



لجنة التأليف والترجمة والنشر

شرح ديوان الجاسر

للأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

٤٢١ - ٠٠٠

نشره

عبدلسلام هارون

أحمد أمين

القسم الثاني

الطبعة الأولى

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦٢

وقال عبد الله بن سبرة (١) :

١- إِذَا مَالَتْ الْجَوَازِءُ وَالنَّجْمُ طَالِعٌ فَكُلُّ نَخَاضَاتِ الْفُرَاتِ مَعَابِرُ

٢- وَإِنِّي إِذَا ضَنَّ الْأَمِيرُ بِإِذْنِهِ عَلَى الْإِذْنِ مِنْ نَفْسِي إِذَا شِئْتُ قَادِرُ

أراد بالنجم الثريا ، وأكثر ما يعترض هذه اللفظة في استعمالهم معرّفاً يراد به الثريا لا غير ، ألا ترى قول الهذلي (٢) :

فَوَرْدُنَ وَالْعَيُوقُ مَقْعَدَ رَابِيٍّ ۖ ضُرْبَاءَ خَلْفَ النَّجْمِ لَا يَتَلَعُ

والجوزاء سُميت بذلك لأنَّ وَسَطَهَا أبيض . وجوز كلُّ شيء : وَسَطُهُ . والوقت الذي يشير إليه يشتد فيه الحر . لذلك قال ساجعهم : « إِذَا طَلَعَ النَّجْمُ ، فَالصَّيْفُ فِي حَدَمٍ ، وَالْعُشْبُ فِي حَطَمٍ » (٣) . فكان قائل هذا الشعر استأذن صاحبه في الانتقال إلى البدو فلم يأذن له ، فأخذ يتشكى (٣) عن مُرَادِهِ بهذا

• الرابي : المحافظ الأمين .
• والضرباء : الذين يضربون بالقضاح ، واحدهم ضارب .
يقول : وردن والعويق مقعد هذا الرابي .
والعويق : كوكب يطلع بحيال الثريا ، ويطلع قبل الجوزاء ، فهو فوقها .
لا يتلع : لا يتقدم .

(١) عبد الله بن سبرة الجرشي ، منسوب إلى جرش ، وهو موضع باليمن . قال أبو رباح : « كان عبد الله بن سبرة هذا أحد فتاك العرب في الإسلام ، وكان رجل من الروم يقال له سعد الطلائع يأتي صاحب الصوائف ، فيقول سعد لصاحب الصائفة : ابعث معي جندا أدلهم على عورات الروم ، فيتوغل بهم وقد جعل لهم كميناً من الروم فيقتلون ، فأكثر ، فقال يوماً لصاحب الصائفة : ابعث معي رجلاً فإني قد عرفت غرة لهم . فاندب عبد الله بن سبرة ومضى معه حتى انتهى إلى غيضة فقال لعبد الله : ادخل . فقال له عبد الله : أنا الدليل أم أنت ؟ فأبى وعرف عبد الله ما أراد فقتله ، وخرج عليه بطريق من بطارقهم فاختلف هو وعبد الله ضربتين فضربه عبد الله فقتله ، وضربه الرومي فقطع إصبعين له . »

(٢) هو أبو ذؤيب ، ديوان الهذليين (١ : ٦) .

(٣) م : « ينسلي » ، والوجه ما في الأصل .

(٤) « الحدم : شدة الحرارة . الحطم : اليأس . »

الكلام ويتوجد^(١) . ويقول : إذا تناهى الحجر وارتفعت الجوزاء في أول الليل إلى كبد السماء ، وطلع الثريا عند السحر ، فكل مخاضة من جوانب الفرات مغبراً لي أهرب فيه ؛ لأن نضوب الماء ونقصانه يكون في ذلك الوقت . وقوله « والنجم طالع » لو وليه « إذا » ف قيل إذا النجم طالع ، لم يصلح ؛ لأن الجملة التي يبين بها إذا لا بُدَّ فيها من فعلٍ ، لما يتضمن من معنى الشرط والجزاء . تقول آتيك إذا زيد^(٢) يأمر^(٣) . ولو قلت آتيك إذا زيد أمير لم يصلح ؛ لكنه لما انعطف على قوله « شالت الجوزاء » حسنَ حملاً على المعنى ، كأنه قيل : وطلع النجم . وهذا إذا كان الواو فيه للعطف ، ويجوز أن يحقل الواو واو الحال ، يريد إذا شالت الجوزاء في حال طلوع النجم . والعمل في « إذا » ما دلَّ عليه قوله : « فكل مخاضات الفرات معابر » . وقوله : « وإني إذا ضنَّ الأمير » ، يقول : إذا تمنع الأمير من الإذن لي ، وصدتني الوقت عن مرادى ، ولم أقدر على جواز المساح والمراصد ، لسكونها مشحونة بالمرتبدين^(٤) فيها ، انتظرت غيظ الماء وجزره في الفرات ، وإمكان المخاضات من العبور والذهاب ، فحينئذ آذن لنفسي وأهرب . وإنما قال ذلك لأن المشرع لا تضبط كما تضبط الجسور ومضايق الطرق .

١٦٣

وقال الربيع بن زياد العبسي^(٥) :

١ - حرق قيْسُ على البلا د حتى إذا اضطرمت أجدما

- (١) يقال توجد فلان أمر كذا ، إذا شكاه ، وهم لا يتوجدون سهر ليلهم : لا يشكون ما مسهم من مشقته . م : « ويتوعد » .
 (٢) يقال أمر كفرح وكرم ، أى صار أميراً . (٣) تسميل المرتبدين .
 (٤) الربيع بن زياد العبسي : أجد الكلمة . انظر ما سبق في حواشى الحماسية ٧٥٨ في القسم الأول .

يقول: أَلْهَبَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرِ الْبِلَادَ عَلَى نَارٍ تَتَوَهَّجُ، فَلَمَّا اسْتَعْرَثَتْ وَتَأَجَّجَتْ هَرَبٌ وَتَرَكَنِي أَصْطَلِي بِهَا. وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ قَيْسًا تَرَكَ أَرْضَ الْعَرَبِ وَانْتَقَلَ إِلَى عُمَانَ بَعْدَ إِثَارَةِ الْفِتَنِ وَاهْتِيَاجِ الشَّرِّ، فِي سَبْقِ دَاحِسٍ. وَالْإِجْذَامُ: الْإِسْرَاعُ فِي السَّيْرِ، وَجَعَلَهُ مَثَلًا لِأَزْوَانِهِ وَنَفَضَهُ الْيَدَ مِمَّا كَانَ لَابَسَهُ وَتَوَلَّاهُ، مِنْ إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.

٢ - جَنِيَّةٌ حَرْبٌ جَنَاهَا فَمَا تُفَرِّجُ عَنْهُ وَمَا أُمْلِي مَا

جَنِيَّةٌ: فَعِيلٌ فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ، لَكِنَّهُ أَلْحَقَ الْمَاءَ بِهِ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ اسْمًا، كَمَا أَلْحَقَ بِالْبَنِيَّةِ وَهِيَ الْكَعْبَةُ، وَبِالذَّبِيحَةِ وَالنَّطِيحَةِ. وَهَذَا اعْتِدَادٌ عَلَى قَيْسٍ بِمَا جَنَاهُ^(١)، وَتَحْمُدٌ بِمَا أَتَاهُ، وَامْتِنَانٌ بِأَنَّهُ لَمْ يَقْعُدْ عَنْ نُصْرَتِهِ، وَلَمْ يُخَذَلْهُ وَقْتُ حَاجَتِهِ، وَلَمْ يُخَلِّهِ لِلْأَعْدَاءِ وَقْتُ إِقَامَتِهِ، وَلَا تَرَكَ النِّيَابَةَ عَنْهُ وَاعْتِنَاقَ الْأَمْرِ بَعْدَ غَيْبَتِهِ، بَلْ نَهَضَ فِي الشَّرِّ وَالْقِتَالِ مَا اتَّصَلَ نَهوضُهُ، وَتَفَرَّدَ بِالدَّفْعِ عَنْهُ عِنْدَ فُتُورِهِ وَنُفُورِهِ. وَقَوْلُهُ «فَمَا تُفَرِّجُ عَنْهُ»، أَي مَا تُفَرِّقُ عَنْهُ وَلَا تُكْشِفُ.

النطحة: الشاة المنطوعة سموت فلا يبد اسمها.

٣ - غَدَاةَ مَرَّرْتَ بِآلِ الرَّبَا بٍ تُعْجَلُ بِالرَّكْضِ أَنْ تُلْجِمَا

أَقْبَلَ يَخَاطِبُ بَعْدَ مَا كَانَ يُخْبِرُ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَصَارِيفِ كَلَامِهِمْ. وَقَوْلُهُ «غَدَاةَ مَرَّرْتَ» ظَرْفٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ أَجْذَامًا. أَي هَرَبْتَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْأَوَانِ. وَ«تُعْجَلُ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. وَالْمَعْنَى: اجْتَرَزْتَ بِآلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ مُسْتَعْجَلًا بِرَكْضِ الْأَعْدَاءِ^(٢) فِي أَثْرِكَ، حَتَّى لَمْ تَتَّسِعْ لِالْجَامِ دَابَّتِكَ، وَلَمْ تَأْمَنْ رَيْثَ إِصْلَاحِ أَمْرِكَ، وَالتَّهَيُّؤُ لِنَجَاتِكَ. وَقَوْلُهُ «أَنْ تُلْجِمَ» فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ مِنْ تُعْجَلُ، وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ تُعْجَلُ بِالرَّكْضِ عَنْ أَنْ تُلْجِمَ، فَحَذَفَ

(١) م: «فما جناه» .

(٢) م والتبريزي: «تركض الأعداء» .

الجارَّ ووصلَ الفعلَ فَعَمِلَ . وفي القرآن : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ .

٤ - وَكُنَّا فَوَارِسَ يَوْمِ الْهَرِيرِ ر إِذْ مَالَ سَرْجُكَ فَاسْتَقْدَمَا^(١)

يَوْمُ الْهَرِيرِ معروف^(٢) . وإنما قال كنا فرسان هذا اليوم ، لما كان عُرفَ من جميل بلائهم ، وحُسن ثباتهم فيه ووفائهم ، وليذكَرُّ بقبْرهم حين نكصوا على أعقابهم ، وقصروا عن شأومهم . وذكُرُ مَثِيلِ السَّرْجِ مَثَلٌ ، وقولُ جرير يَشْهَدُ لَدَلِكِ وَيَكْشِفُهُ ، حين قال :

قُلْ لِلجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرْجُهُ هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرِكِ الْمَنِيَةِ نَاجِ

والمراد اضطرابُ الأمرِ وفشلُ الرأى وتمكُّنُ الخوفِ والدَّهْشِ مِنَ الْمُهْزَمِ ، ونزوله عما يهْمُ بِرُكُوبِهِ . وفي طريقته قول الآخر :

لَا تَجْعَلُونَا إِلَى مَوْلَى يَحُلُّ بِنَا عَقْدَ الْحِزَامِ إِذَا مَا لِبِدُهُ مَالًا

وكما جعلَ الحِزَامَ مَثَلًا لندارك الأمرِ وتلافي فاسدِهِ على الوجه الذى تراه ، جعلَ تَرَكَ شَدَّ الحِزَامِ عند ما يَطْرُقُ أو يُنُوبُ مَثَلًا لِلتَّحَرُّمِ والتجَمُّعِ قبل نزولِ الْخَطْبِ ، حتَّى إِذَا بَدَتْ أَعْنَاقُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِنَافِ شَيْءٍ لَتَمَامِ أُهْمَتِهِ . وعلى ذلك قولُ امرئ القيس :

أَقْصِرْ إِلَيْكَ مِنَ الْوَعِيدِ فَإِنِّي مِمَّا أَلَاقِي لِأَشَدِّ حِزَامِي

فَتَأْمَلُ مَا فَتَحْنَا مُبْهَمَهُ تَنْلُ كُلَّ فَائِدَةٍ ، وتظفرُ بكلِّ غنيمة . ويقال : اسْتَقْدَمُ بمعنى تَقَدَّمَ ، وفي ضِدِّهِ اسْتَأْخَرَ بمعنى تَأَخَّرَ . والمعنى : كنا فرسان هذه الواقعة في هذا اليوم المشهور ، حين كُنْتَ لِلشَّرِّ مُعْوَرًا ، وعلى شفا البلاء مُوفيًا .

(١) التبريزى : « فكننا » .

(٢) انظر الأغاني (١١ : ٥٥) ومعجم البلدان في رسمه .

٥ - عَطَفْنَا وَرَأَيْكَ أَفْرَاسَنَا وَقَدْ أَسْلَمَ الشَّفَتَانِ الْفَمَا
 يقول : تَعَطَّفْنَا عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَدَافَعْنَا دُونَكَ ، وَقَدْ كَثَرَتْ
 الْأَسْنَانُ وَأَسْلَمَتْهَا الشِّفَاهُ ، تَقَلُّصًا عَنْهَا وَيُبُوسَةً حَادِثَةً فِيهَا . وَذِكْرُ الْفَمِ كِنَايَةً
 عَنِ الْأَسْنَانِ ، كَمَا يُقَالُ فَضَّ اللَّهُ فَاهُ . وَيُقَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ذَبَّتْ الشِّفَاهُ (١) .
 وَمِثْلُهُ قَوْلُ عَنَتَرَةَ :

* إِذْ تَقَلَّصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الْفَمِ (٢) *

وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ قَدْ أَسْلَمَ الشَّفَتَانِ وَآوِ الْحَالِ . وَالِاسْتِعَارَةُ بِإِسْلَامِ الشَّفَتَيْنِ فِي
 نِهَايَةِ الْحُسْنِ .

٦ - إِذَا نَفَرْتُ مِنْ بِيَاضِ السُّيُوفِ فِ قُلْنَا لَهَا أَقْدِمِي مُقَدِّمًا
 يقولُ : إِذَا جَبُنْتُ خَيْلَنَا وَحَادَتْ عَنْ تَلَالُؤِ السُّيُوفِ وَبَرِيقِ الشَّمْسِ
 وَشُعَاعِهَا فِي السَّلَاحِ ، وَهَرِيرِ الْأَبْطَالِ وَتَدَاعِيهَا ، أَكْرَهْنَاهَا عَلَى الْإِقْدَامِ . وَذِكْرُ
 الْقَوْلِ هَاهُنَا كِنَايَةً عَنِ الْفِعْلِ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ قَالَ بِرَأْسِهِ كَذَا ، إِذَا حَرَّكَهُ ،
 وَقَالَ بِسَوِّطِهِ ، إِذَا أَشَارَ بِهِ . وَالْمُقَدِّمُ وَالْإِقْدَامُ بِمَعْنَى . وَحَقِيقَةُ الْكَلَامِ إِذَا نَفَرْتُ
 قَدِّمْنَاهَا تَقْدِيمًا .

١٦٤

وقال الشنفرى (٣) :

١ - لَا تَقْبُرُونِي إِنْ قَبِرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ

(١) ذبت : ذبلت وجفت من العطش أو غيره .

(٢) صدره : * ولقد حففت وصاة عمى بالضحى *

(٣) الشنفرى : شاعر جاهلى من بنى الإواس بن الحجير بن الهنوب بن الأزد بن الغوث .

انظر أخباره فى الأغانى (٢١ : ٨٧) . والشنفرى اسمه ، وقيل لقب له ، ومعناه العظيم الشفة .
 وهو ابن أخت تابط شرا ، وكان أحد الثلاثة العدائين .

يقال: قَبِرْتُ الإنسانَ ، إذا دَفَنْتَهُ ، وأَقْبَرْتُهُ إذا جَعَلْتَهُ له مَوْضِعَ قَبْرِ ،
 وفي القرآن : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ . والشَّاعِرُ كَأَنَّهُ نَبَهُ بِهَذَا الكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ
 مِمَّنْ يُقْتَلُ وَيُتْرَكُ بِالْعَرَاءِ لَا يَرْتَدِّي لَهُ شَقِيقٌ ، وَلَا يَرْتِيهِ ^(١) نَسِيبٌ وَلَا رَفِيقٌ ،
 فَيَأْتِيهِ عَوَافِي السَّبَاعِ وَاللَّطِيرِ . فحَاطَبَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ : لَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفَنِي مُحَرَّمٌ
 عَلَيْكُمْ ، يَرِيهِمْ اسْتِغْنَاءَهُ عَنْهُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَرَفَعَهُ نَفْسِهِ عَنِ الاسْتِغْنَاءَةِ إِلَيْهِمْ
 وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِمْ ، وَذَهَابَهُ عَنْهُمْ فِعْلَ المَجَانِبِ لَهُمْ ، البَعِيدِ مِنْهُمْ . ثم قَالَ « وَلَكِنْ
 أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ » ، أَيْ وَلَكِنْ الضَّبُّعُ تَأْكُلُ لَحْمِي فَأَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ . جَعَلَهُ
 كَمَا هُوَ لَقَبُ الضَّبُّعِ ^(٢) . ومَوْضِعُهُ مِنَ الإِعْرَابِ مَبْتَدَأٌ وَالخَبْرُ مَحذُوفٌ ، وَهُوَ
 يَا كُنِّي وَتَتَوَلَّى أَمْرِي وَنَحْوُهُ . وَهَذَا فِي أَنَّهُ جُمْلَةٌ جُعِلَتْ لِقَبًّا وَفِي أَنَّ شَرْطَهَا
 أَنْ تُحْكِي ، كَمَا بَطَّ شَرًّا وَمَا أَشْبَهَهُ . وَإِنَّمَا جُعِلَتْ لِقَبًّا لَهَا لِأَنَّ العَادَةَ فِي اصْطِيَادِ
 الضَّبُّعِ أَنْ يُقْصِدَ وَجَارَهَا وَيُحْفَرُ وَهِيَ تَتَأَخَّرُ شَيْئًا شَيْئًا . وَالصَّائِدُ يَقُولُ : أُمَّ عَمْرٍو
 لَيْسَتْ هَاهُنَا ؟ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ بِشَاءِ هَزَلِي ، وَجَرَادٍ عَظْلِي ، خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ
 لَيْسَتْ هَاهُنَا ؟ فَلَا يَزَالُ يُحْفَرُ الوِجَارَ ، وَيَكْرُرُ هَذَا الكَلَامَ ، وَالضَّبُّعُ تَتَأَخَّرُ
 حَتَّى تَبْلُغَ أَقْصَى وَجَارَهَا فَتُخْرَجَ حِينَئِذٍ بِأَغْلَظِ عُنْفٍ . وَأمَّا كَانَ الأَمْرُ [عَلَى
 هَذَا ^(٣)] فِي اصْطِيَادِهَا لِقَبِّهَا بِبَعْضِ مَا تُخَاطَبُ بِهِ فِي تِلْكَ الحَالِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ :
 لَا تَقْرُبُونِي إِذَا مِتُّ فَقَدْ حَرَّمْتُ دَفَنِي عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ أَبْشِرِي
 أُمَّ عَامِرٍ وَلِيَّ أَمْرِي دُونَكُمْ . فَهَذَا وَجْهٌ حَسَنٌ إِلَيْهِ يَذْهَبُ الحُذَّاقُ مِنَ
 أَصْحَابِ المعَانِي . وَحِكْيِ سَيَبَوِيهِ عَنِ الخَلِيلِ فِي قَوْلِ الأَخْطَلِ :

• يقال: عَطَلت الجراد
 وعاطلت ، ركب بعضها
 بعضاً للسفاد .
 وخامر المكان : لزمه
 وأقام به ، وقولهم
 للضبوع « خامري أم عامر »
 يضرب للذي يرتاع من
 على شيء جباناً .

ولقد أبيت من الفتاة بمعزل فأبيت لا حرج ولا محروم

• بمعزل ، رواية الديوان
 ٢٨٢/١ « بمعزل » .

والحرج : الأثم ،
 والحرج : الضيق
 والإثم .

(١) كذا في م . وفي الأصل : « ولا يرتته » .

(٢) الصواب : كنية الضبع .

(٣) التكملة من م .

أنه قال آيت الذى يقال له لا حَرَجُ ، فحَكَى . ثم قال : يقوِّيه فى ذلك قول الأخطل :

على حين أن كانت عُمَيْلٌ وشائظًا وكانت كِلَابٌ خَامِرِيٌّ أُمٌّ عَامِرٍ (١)
 لأنه أراد كانت كِلَابٌ التى يقال لها خَامِرِيٌّ أُمٌّ عَامِرٍ ، فحكى ذلك الكلام وكنى به عن الضَّبْعِ . ويحتمل أن يكون البيت على كلامين ، كأنه قال : لا تدفنونى ، مخاطباً أصحابه ورفقائه ، وليس يُرِيدُ نَهْيَهُمْ عن ذلك ؛ ولكن يريد كَشْفَ حالِهِ لَهُمْ ، وبيان عاقبة أمرِهِ فيهم . ثم أقبل على الضَّبْعِ فقال : أَبْشِرِيْ يا أُمَّ عَامِرٍ ، فَإِنَّكَ تَأْكُلِينَ مِنِّي . ويكونُ هذا فى تحويل الكلام عن شَيْءٍ إلى آخر ، كقول الله عز وجل : ﴿ يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ ، فأعلم ذلك تنتفع به إن شاء الله . ويقال بَشَرْتُهُ فأبَشَرَ ، كما يُقال فَطَّرْتُهُ فأفطَّر . ويقال بَشَرْتُهُ بالتخفيف بمعنى بَشَرْتُهُ ، فاستبَشَرَ . وحكى أَبَشَرْتُهُ أيضاً .

٣- إذا احتَمَلُوا رَأْسِيْ فِي الرَأْسِ أَكْثَرِيْ وَغُوْدِرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى ثُمَّ سَائِرِيْ
 إذا ظَرَفُ لِقَوْلِهِ تَقْبِرُونِي ، أو لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ والحال ، وقد جُعِلَ خَبَرًا للمبتدأ الذى بَعْدَ لَكِنْ ، وهو قَوْلُهُ أَبْشِرِيْ أُمَّ عَامِرٍ (٢) مَن يَأْكُلُنِيْ أَوْ يَتَوَلَّى أَمْرِيْ . ويجوز أن يكون ظَرَفًا لِقَوْلِهِ أَبْشِرِيْ فِي القَوْلِ الثَّانِي . وإِنَّمَا قَالَ « فِي الرَأْسِ أَكْثَرِيْ » لِأَنَّ الحَوَاسَّ خَمْسٌ ، وأرْبَعٌ مِنْهَا فِي الرَأْسِ : البَصَرُ للهِئَاتِ ، والأذُنُ للمسموعات ، والأنفُ للمشمومات ، والفمُ للمذوقات . وقد اعْتَرَضَ بِهِ بَيْنَ المعطوفِ والمعطوفِ عَلَيْهِ ، وساغَ ذلكَ لِأَنَّهُ يُسَدِّدُ المعنى المطلوب

(١) الوشائظ : الدخلاء فى القوم ليسوا من صميمهم . والبيت فى اللسان (وشظ) .

(٢) أى الذى يقال له أبشري أم عامر هو الذى يأكلني أو يتولى أمري . انظر ما سبق

ويؤكده . وقوله « وغودِرَ عند الملتقى ثم سائرى » ، يروى بفتح الثاء ويكون ظرفاً وإشارة إلى المعركة ومزدحم الناس . والتقدير وغودِرَ ثم سائرى حيث التقى القومُ بعد أن حَمَلَ رأسه لشهْرته ، أو لِيُعْلَمَ به إتيانُ القتلِ عليه . ويروى « ثم » بضم الثاء ويكون حرفَ العطفِ عطفَ به سائرى على المضمَرِ في غودِرَ ، والمعنى غودِرَ رأسه ثم سائره حيثُ التقى القومُ للنظارة . والأولى أجود . وإنما ضَعُفَت هذه لأنَّ عطفَ الظاهرِ على المضمَرِ المرفوعِ ضَعِيفٌ حتَّى يُؤكِّدَ . وتأكيده : وغودِرَ هو عند الملتقى ثم سائره . ويجوز أن يكون سائرى في موضعِ النَّصبِ معطوفاً على رأسى ، كأنه احتملوا رأسه ثم سائره ، فيكون أقرب . وكان الشنفرى أحدَ الخُلعاء الذين تبرأَ عشائِرهم منهم وأسلموا بجزائريهم ، ولهذا قال في نفسه :

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تِيَّاسِرُنَ لَحْمُهُ عَقِيرَتُهُ لَأَيًّا بِمَا حَنَّ أَوَّلُ (١)
 ومن أجل ذلك كَشَفَ القِنَاعَ مع قومه ، وأخذ يتفادى منهم ويقول :
 لا تَقْبُرُونِي إِنْ قَبِرْتُ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ . فإن قيل : أين جوابُ إذا ؟ قلت : إن جعلته
 ظرفاً لقوله لا تقبروني فذاك جوابه ، وكذلك إن جعلته ظرفاً للخبر المقدَّر .
 والسائر : الباقي من الشيء ، وهو من الشُّور ، وأسأرتُ في الإِنَاءِ .

• أي هو مطارِدٌ بسبب ما ارتكبه من الجنايات ، الذين يطاردونه يتقاسمون لحمه ، مما يتقاسم أهل الميسر لحم الناقة ، فأى منهم نطف به قتله . تياسرن : اقتسم لحمه . وعقيرته : نفسه .

٣ - هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَسْرُنِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبَسَّلاً بِالْجَرَائِرِ

أشار بقوله « هنالك » إلى الوقت الذي يتناهى فيه الأمد ، ويدنو فيه الأجل ، لا إلى الوقت الآتى عليه بعدَ القتل ، وهو ظرفٌ لِلْأَرْجُو . والمعنى : في ذلك الوقت لا أطمع في حياة سارة لي ، وأنا مخذولٌ مُسَلَّمٌ بجزائري في القبائل ، لا يُرَى إِلَّا شامِتٌ بى ، أو طالبٌ للانتقام منى . وقوله « سَجِيسَ اللَّيَالِي » يُرَادُ

(١) البيت من لاميته التي يقال لها « لامية العرب » .

به امتدادُه وسلاستُه في الاتصال ، وهو اسم الفاعلِ من سَجَسَ (١) . وقد
أَحْكَمْنَا القَوْلَ فِيهِ فِي كِتَابِنَا فِي الْأَزْمَنَةِ (٢) . وهو ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ مُبَسَّلًا بِالْجُرَائِرِ .
وانتصب مُبَسَّلًا عَلَى الْحَالِ . وَالْجُرَائِرُ : جَمْعُ الْجَرِيرَةِ . وَأُبْسَلُوا : أُسْلِمُوا . وَفِي
الْقُرْآنِ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴾ .

١٦٥

وقال تأبط شرا (٣) :

١ - وقالوا لها لا تنكحيه فإنه لأوّل نصلٍ أن يلاقى مجمعا

كان تأبط شرا خطب امرأة عسبية ، فأرادت إجابته ووعدت مناحتة ،
فلما جاءها أظهرت الزهد ، وأخلفت الوعد ، واعتلت بأن الرغبة في شرفه
وفضله كما كانت ، لكنه قيل لها ما تصنعين برجلٍ يُقتل عنك قريبا ، لأن
له في كل حىّ جناية ، وعنده لكلّ إنسانٍ طائلة ، فتبقيين أيما ! فانصرف
تأبط شرا وقال هذه الأبيات .

وقوله « أن يلاقى » يجوز أن يكون موضعه رفعا بالابتداء ، وخبره لأوّل
نصلٍ ، والجملة في موضع خبر إن . [والتقدير : إن] تأبط شرا ملاقاة
مجمعا لأوّل نصلٍ يُجرّد . ويجوز أن يكون « يلاقى » في موضع النصب على
أن يكون بدلا من الهاء في « إنه » ، كأنه قال إن ملاقاة مجمعا لأوّل نصلٍ .
والهاء في فإنه يجوز أن يكون لتأبط شرا ، وهو الأجود في الوجهين . ويجوز أن

(١) ابن جنى : « يقال سجس الماء ، إذا فسد وتغير . ومنه عندى قولهم : لا أكلك
سجيس الدهر ، أى امتداده . والتقاؤها أن الشيء إذا طالت مدته في غالب الأمر تغير وفسد ،
كأنه قال : لا أكلك إلى آخر المدة التي يتغير فيها الدهر » .

(٢) الأزمنة والأمكنة (١ : ٢٩٣) . وهذا نص صريح في أن المرزوقى ألف شرح
الحماسة بعد تأليفه كتاب الأزمنة .

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية ١١ . (٤) التكملة من م .

يكون للأمر والشأن في الوجه الأوّل ، ويكون تفسيره الجملة . ويجوز أن يكون في موضع الظرف ، أي زمن أن يُبْلَقَ مَجْمَعًا . والمعنى هو لأوّل نَصْلِ إذا لاقى مَجْمَعًا ، أي يُقْتَلُ بأوّل نَصْلِ يُعْمَلُ (١) في ذلك الوقت . ويُرْوَى « أن يُبْلَقَ مَصْرَعًا » ، والمَصْرَعُ يجوز أن يكون مَصْدَرًا ، ومكانًا ، وزمانًا . وانتصابه يجوز أن يكون على أنه مفعول يُبْلَقُ . ويجوز أن يكون مفعول يُبْلَقُ محذوفًا ويكون مَصْرَعًا في موضع الحال ؛ كأنه قال أن تلاقِيه ذا مَصْرَعٍ ، أي مصروعًا ، فَحَذَفَ المضاف .

٢ - فَلَمْ تَرَ مِنْ رَأْيِ فَتِيْلًا وَحَاذَرْتُ تَأْتِيَهُمَا مِنْ لَابِسِ اللَّيْلِ أَرْوَعًا

يقول : لم تَرَ هذه المرأة من الرأى لما قبِلتْ مَشُورَةَ الناسِ وَتَمَنَعَتْ من مناختي ما يوازي فَتِيْلًا ، أي ما يغني غناء فَتِيْلٍ . وقد حَذَرْتُ بَقَاءَها أَيَّمًا من رَجُلٍ رَكَبَ اللَّيْلَ لا يفارقه فِيمَا يَهْمُهُ ، فكأنه لبأسه ذِكْرُ القَلْبِ شَمَهُمْ . والفتيل والنَّقِيرُ والقَطْمِيرُ يُضْرَبُ المثلُ بها في حَقَارَةِ الشَّيْءِ . والأرْوَعُ يكون الحديدُ القَلْبُ المُرْوَعُ القُوَادِ ، ويكون الجميلُ . وقوله « وحاذرت » في موضع الحال ، والأجود أن يُضْمَرَ معها « قد » ، أي لم تَرَ فَتِيْلًا من الرأى مُحَاذِرَةً

• الفيل : ما ضله
الإشنان بين أصابعه
من ضبط أو وسخ -
والخط الذي في شق
النواة .
والنقير : النقرة في
ظهر النواة .
والقطير : القشرة
الرقية على النواة
كاللغافة لها .

٣ - قَلِيلٌ غِرَارِ النَّوْمِ أَكْبَرُ هَمِّهِ دَمُ الثَّأْرِ أَوْ يَلْقَى كَمِيًّا مُسَفِّعًا

هذا من صفة لابس الليل . فإن قيل : ما معنى قليل غرار النوم ؟ وإذا (٢) كان الغرار القليل من النوم ، بدلالة قولهم ما نومه إلا غرارًا (٣) ، فكيف جاز أن تقول قليل غرار النوم ، وأنت لا تقول هو قليل قليل النوم ؟ قلت : يجوز أن يُرَادَ بالقليل النَّفْيُ لا إثباتُ شيءٍ منه ، والمعنى : لا ينامُ الغرارُ فكيف

(١) يعمل ، من الإعمال لا من العمل . وفي م : « يعمد » .

(٢) في الأصل : « وإنما » ، صوابه في م .

(٣) م : « إلا غرار » بالرفع ، وهو الأصوب . وقد أنشدوا في الشاذ :

وما الدهر إلا منجنونا بأهله
وما صاحب الحاجات إلا معذبها

ما فَوْقَهُ ؟ ويجوز أن يكون المعنى نومه قليل ما يقبل من النوم ، أى نومه قليل قليل ، يريد به أنه مُسَهَّدٌ ، وأن أكبر^(١) ما يهتم له ، طلب دَمِ النَّارِ ، أو ملاقاته كَمِيٍّ مُسَفَّحِ الْوَجْهِ ، لدَوَامِ تَبَدُّلِهِ لِلسَّامِ ، وتَسْيَارِهِ فِي الْمَوَاجِرِ . وَالْكَمِيُّ : الذى يَكْمِي شَجَاعَتَهُ لوقتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وقيل هو الذى يُتَكَمَّى فِي سِلَاحِهِ ، وقوله « أَوْ يَلْقَى » أن مُضْمَرَةً بَيْنَ أَوْ وَالْفِعْلِ ، ولولا ذلك لم يَجُزْ عَطْفُ الْفِعْلِ عَلَى الْاسْمِ ، لاختلافهما . وَإِذَا أُضْمِرَ « أَنْ » يَصِيرُ حَرْفُ الْعَطْفِ نَاسِقًا اسْمًا عَلَى اسْمٍ ، والتقدير : أَكْبَرُ هُمَهُ دَمُ النَّارِ أَوْ لِقَاءُ كَمِيٍّ . ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ ، والتقدير : أو أن يرسل رسولا ، حتى يكون أن مع الفعل في تقدير مصدر منسوق على قوله وَحْيًا ، إذ قد امتنع أن يُحْمَلَ عَلَى أَنْ يُكَلِّمَ .

٤ - يَمَاصِعُهُ كُلُّ يَشْجَعٍ قَوْمُهُ وَمَا ضَرْبُهُ هَامَ الْعِدَى لِيُشَجَّعًا^(٢)

يجوز أن يكون قوله « يَمَاصِعُهُ » صفة لسكياً مسقفاً ، لأن مثله من الأفعال يكون صفة للنكرة ، وحالاً للمعرفة ، ويكون التثنية على خصمه الذى هُمهُ ملاقاته ، كالثناء عليه . ويجوز أن يكون راجعاً إلى الأول ، وداخلاً في صفاته ، فيتبع قوله قليل غرار النوم . ومعنى يَمَاصِعُهُ : يقاتله . وأصله الضرب بالسيف والرثى . ويقال مَصَعُ بَدَنِيهِ ، إِذَا حَرَّ كُهُ . وَمَصَعُ الْبَطَّارِ بَدْرَقِهِ ، إِذَا رَمَى بِهِ .

(١) كذا في م وهو الأوفى . وفي الأصل : « أكثر » .

(٢) التبريزى : « وروى : كلُّ يَشْجَعٍ يَوْمَهُ »

كلُّ يَشْجَعٍ نَفْسَهُ : وروى :

ومن روى : كل يشجع قومه بالنصب فالمعنى راجع إلى ما ذكرناه أيضاً ، لأن شجاعته في نفسه شجاعة قومه ، فكأنه بإقدامه في الحروب كسب لقومه ذكر الشجاعة فيهم ، ونسبها إليهم .

وقوله « كلٌّ » أى كلٌّ واحدٍ من الناس ، فأفردَ وهو فى النِّية مضافٌ . ومعنى البيت : إنَّ كلَّ مَنْ قاتَلَ هذا الرَّجُلَ قاتَلَهُ طَمَعًا فى أن يَنْسُبَهُ قَوْمَهُ إلى الشَّجَاعَةِ ، وليتَّبِجَّحَ به عند أقرانه (١) ، ويذهب به صِيتُهُ فى الناس . وليس قَتْلُهُ للشُّجْعَانِ وضرُّهُ هَامَ الأعدَاءِ لمثل ذلك ، لكنَّهُ طَمَعٌ منه ، وجَرَى على عادته . وقوله « يُشَجِّعُ قَوْمَهُ » أى لأن يشجعه قومه ، والمفعول محذوف بدلالة قوله (٢) :

* أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الوَغَى *

يُرِيدُ أن أَحْضَرَ ، يدلُّ على هذا ما بَعْدَهُ ، وهو :

* وَأَنْ أَشْهَدَ اللِّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي *

٥ - قَلِيلٌ إِذْخَارِ الزَّادِ إِلَّا تَعَلَّةٌ فَقَدْ نَشَرَ الشَّرُّسُوفُ وَالتَّصَقَ المِعَا

قوله « إِلَّا تَعَلَّةٌ » من عَلَّتهُ بكذا ، فهو كالتقدمة من قَدَّمتُ . والشَّرُّسُوفُ : مَقَاطُ الأضلاع (٣) ، ولا يَنْشُرُ إِلَّا للهِزَالِ . وَذِكْرُ القِلَّةِ هَاهُنَا مقصودٌ به إلى النِّفَى لا غير ، بدلالة مجئ الاستثناء بعده ، وإذا كان كذلك لم يثبت القليلُ به . والمعنى : ما يَدْخُرُ من الزَّادِ إِلا قَدْرًا يَتَعَلَّلُ به ، فقد أَثَرَ الطَّوَى فِيهِ حتى هُزِلَ ، فَتَرَى رِئُوسَ أضلَاعِهِ شَاخِصَةً ، وَأَمْعَاءَهُ بِجَنْبِهِ ملتصقة ، لِقِلَّةِ طُعْمِهِ ، وَاتِّصَالَ مَمارِسَتِهِ للشَّدَائِدِ . وعلى هذا قول الله عزَّ وجل : ﴿ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ و ﴿ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

٦ - يَبِيتُ بِمَعْنَى الوَحْشِ حَتَّى أَلْفَنَهُ وَيُضْبِحُ لا يَحْمِي لَهَا الدَّهْرَ مَرَّتَعًا

قوله « يَبِيتُ بِمَعْنَى الوَحْشِ » ، أى استمرت هذه الحالة به ، واتصلت منه

(١) التَّبِجَّحُ : الفَخْرُ .

(٢) هو طَرْفَةٌ ، فى مَعْلَقَتِهِ المشهُورَةِ .

(٣) مَقَاطُ : جَمْعُ مَقَطٍ . وفى الأَصْلِ : « مَقَابِلُ » ، تَحْرِيفٌ . وفى م : « مَقَطٌ » .

ودامت ، لأن الأما كن سواه ضاقت عنه ، ومجامع الإنس تكرهته فلفظته ،
فألف القفار ولزم مراتب الوحش ومساكنها ، حتى أنست به وسكنت إليه ،
وعدته واحداً منها ، وصار هو أيضاً على تعاقب الزمان وتصرف الأحوال
لا يحمي من أجلها مرعى ، ولا يرعى من مرادها مأوى ، لأن همته مصروفة
إلى غيرها ، ونفسه مشغولة بسواها ، فلا نفرتها منه تقبضها عنه ، ولا صيده
لها يجعلها من همه . ومثل هذا قول الآخر (١) .

عَلَامَ تَرَى لَيْلَى تُعَذِّبُ بِالْمَعْنَى أَخَا قَفْرَةٍ قَدْ كَانَ بِالْغَوْلِ يَأْنِسُ (٢)
وَأَضْحَى صَدِيقَ الذِّئْبِ بَعْدَ عَدَاوَةٍ وَبُغْضٍ وَرَبَّتَهُ الْقِفَارُ الْأَمَالِسُ (٣)

٧- على غيرة أو جهره من مكانيس أطال نزال القوم حتى تسعسعا (٤)

تعلق قوله « على » بقوله « لا يحمي » . والمعنى : لا يحافظ لها ولا
يتقربها ، لا على غفلة منها واغترار منه إياها ، ولا بمجاهرة لها ولا مكاشفة دونها ،
بل أطال مزاوله الغارات ومنازلة الكهامة منذ ترعرع ، إلى أن ولى شبابه
وتسعسع . وهذه إشارة إلى ما تنقل فيه على تغير الأحوال ومضي الأوقات ، من
اكتساب العداوات وإيقاع الوقعات ، وتهيبج الغارات . وقوله « تسعسع » من
قولك تسعسع الليل أو النهار ، إذا أدبر . وفي الحديث : « تسعسع الشهر » .

(١) هو عبيد بن أيوب العنبري ، أو عبيد بن ربيعة التيمي . انظر الحيوان (٦ : ١٦٨)
وحاسة البحرى ٤١١ .

(٢) الحيوان : « أخا قفرا كان بالذئب » .

(٣) في الحيوان :

وصار خليل الغول بعد عداوة صفيا وربته القفار البساسب

(٤) رواية التبريزي : « أو نهزة من مكانيس » . وفي الأصل : « نزاع القوم » والتفسير
بعده يقتضى ما أثبتنا من م والتبريزي . وقد أشار التبريزي أيضاً إلى رواية : « تسعسعا » ، قال :
« من قولهم رجل شعشع ، أى حلو خفيف ، أى صار لبقاً بالنزال ملىح الطعان والضراب ،
لطول عادته لذلك » .

والمكانيس : الملازم للكناس . ويُقال كَنَسَ الظُّبِيُّ فهو كَانِسٌ ، إذا أوى
إلى كِنَاسِهِ . قال لبيد :

تَسَلَّبَ الكَانِسَ لم يُؤزَّرَ بها شُعْبَةُ السَّاقِ إِذَا الظَّلُّ عَقَلَ (١)
وَيُقَالُ لِلْكَانِسِ الْمَكْنَسُ . يُقَالُ : ظَبِيٌّ كَانِسٌ (٢) ، إِذَا لَزِمَ كِنَاسَهُ .

• يؤر بها :
• يفرع ويذعر .

٨ - وَمَنْ يُغَرَّ بِالْأَعْدَاءِ لَا بُدَّ أَنَّهُ سَيَلْقَى بِهِمْ مِنْ مَصْرَعِ الْمَوْتِ مَصْرَعًا (٣)
قوله « لا بُدَّ » يجرى مجرى لا محالة ، وهو من البَدَد مصدر للأبَد ، وهو
سَعَةٌ ما بين اليَدِ والجَنبِ ، كأن المراد لا سَعَةٌ في ذلك ولا تجوُّز . وكان الواجب
أن يقول : لا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ سَيَلْقَى ، فَحَذَفَ مِنْ . فَإِذَا قُلْتَ : لا بُدَّ مِنْ كَذَا ،
فانتصاب بُدَّ بلا ، وخبره من كذا . ولم يتعلَّق مِنْ بِبُدَّ كما تعلَّق بخير من قولك
لا خير منه لك ، لأنَّه لو كان كذلك لَنَوَّنَ بُدَّ ولم يَجْزُ غَيْرُهُ . يقول : من أُولِعَ
بمنازلة الأعداء ، وغري بمضاربتهم لا بُدَّ أن يَلْقَى بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ مَصْرَعًا
مِنْ مَصْرَعِ الْمَوْتِ ، لأنَّه كما يرى فيهم يرى بهم . ويقال : غَرَى بِكَذَا وَأُغْرَى
بِهِ ، وقد رُوِيَ « يُغَرَّ » بفتح الياء ، و « يُغَرَّ » بضمها . والمَصْرَعُ هَاهُنَا
مَصْدَرٌ ، وقد يكون في غير هذا اسمًا للمكان والزَّمان . وعلى طريقة هذا البيت
المَثَلُ السَّائِرُ : « مَنْ يَرَى يَوْمًا يَرَى بِهِ » . وجواب الجزاء في ضمن قوله لا بُدَّ أَنَّهُ
سَيَلْقَى ، والتقدير من يُغَرَّ بِالْأَعْدَاءِ فَهُوَ سَيَلْقَى بِهِمْ مَصْرَعِ الْمَوْتِ ، لا بُدَّ
مِنْ ذَلِكَ .

٩ - رَأَيْتَ قَتِيَّ لَا صَيْدٌ وَخَشِيَهُمْهُ فَلَوْ صَافَحَتْ إِنْسًا لَصَافَحَتْهُ مَعًا

(١) في الأصل : « يورا » ، وفي م : « يوراء » ، والوجه ما أثبتنا ، وهي إحدى روايات
البيت ، كما في اللسان (وأر) . ويروي : « لم يورأ » ، وهي رواية الديوان ١١ طبع ١٨٨١ .

(٢) كذا في النسختين . والمعروف « كانس » .

(٣) في الأصل : « من مصرع القوم » ، صوابه في م والتبريزي .

رَجَعَ إِلَى ذِكْرِ الْوَحْشِ بَعْدَ أَنْ اعْتَرَضَ بَيْنَ الْكَلَامِ فِيهَا بِقَوْلِهِ: «أَطَالَ نِزَالَ الْقَوْمِ»، وَبِقَوْلِهِ «وَمَنْ يُغَيِّرُ بِالْأَعْدَاءِ». وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَبَيِّنَ سَبَبَ أَنْسَابِهَا بِهِ، وَزَوَالَ نِفَارِهَا مِنْهُ بِأَشْفَى مِمَّا قَدَّمَهُ. فَيَقُولُ: رَأَتْ الْوَحْشُ بِهِ فَتَيَّ صَيْدُ الْوَحْشِ بِمَا لَيْسَ يَخْطُرُ بِيَالٍ، وَلَا يَعُدُّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْأَشْغَالِ. فَلَوْ مَكَنَّتْ مِنْ نَفْسِهَا إِنْسَانًا لَمَكَنَّتْ هَذَا. فَقَوْلُهُ «لَا صَيْدُ وَحْشٍ يُهْمُهُ» مِنْ صِفَةِ الْفَتَى، وَنَفَى بِقَوْلِهِ لَا الْفِعْلَ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَكْرَرْ لَا مَرَّتَيْنِ كَمَا تَقُولُ لَا عَبْدٌ لَكَ وَلَا جَارِيَةٌ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ أَضْمَرَ بَعْدَ لَا فِعْلًا، وَجَعَلَ الصَّيْدَ يَرْتَفِعُ بِهِ، وَيَكُونُ الْفِعْلُ الظَّاهِرَ بَعْدَهُ تَفْسِيرًا، كَأَنَّهُ قَالَ لَا يُهْمُهُ صَيْدُ وَحْشٍ يُهْمُهُ. وَالْمَصَاحِفَةُ أَصْلُهَا فِي مِمَّا صَفَحَةَ إِحْدَى الْيَدَيْنِ لِلْآخَرَى عِنْدَ السَّلَامِ، فَاسْتَعَارَهَا لِلتَّمَكِينِ وَالِاسْتِسْلَامِ. وَقَوْلُهُ «مَعًا» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ مَجْتَمِعَةً وَمُصْطَجِبَةً. وَالْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ الْإِتْيَانِ بِلَفْظَةِ تَفْيِيدِ الْعُمومِ، فَكَأَنَّ الْمُرَادَ الْوَحْشُ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا.

١٠- وَلَكِنْ أَرَبَابَ الْمَخَاضِ يَشْفُهُمْ إِذَا اقْتَفَرُوهُ وَاحِدًا أَوْ مُشَيِّعًا

١١- وَإِنِّي وَإِنْ عَمَّرْتُ أَعْلَمُ أَنَّنِي سَأَلْتِي سِنَانَ الْمَوْتِ يَبْرِقُ أَصْلَعًا

قَوْلُهُ «الْمَخَاضُ» هِيَ النَّوْقُ الْحَوَامِلُ، وَهُوَ اسْمٌ صَيِّغٌ لِلْجِمَاعَةِ مِنْهَا، وَلَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا، وَإِنَّمَا خَصَّهَا لِأَنَّ التَّنَافُسَ فِيهَا أَكْثَرُ، وَأَرَبَابُهَا بِهَا أَشْحَ. وَالشَّاعِرُ تَرَكَ قِصَّةً إِلَى قِصَّةٍ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا يُهْمُهُ طَلَبُ الْوَحْشِ، لَكِنْ يُهْمُهُ قَصْدُ أَرَبَابِ الْإِبِلِ فِي أَمْوَالِهِمْ، فَهُوَ يُؤْذِيهِمْ وَيَنْزِعُهُمْ، وَيُضْئِنُهُمْ إِذَا تَتَبَعُوا أَثْرَهُ. وَقَدْ أَغَارَ عَلَيْهِمْ وَاسْتَأَقَ إِبِلَهُمْ مُنْفَرِدًا عَنْ أَصْحَابِهِ، أَوْ مُحْتَفِلًا بِهِمْ مُعَانًا بِتَشْيِيعِهِمْ. وَهَذَا بَيَانٌ مِمَّا قَدَّمَهُ فِي قَوْلِهِ «أَطَالَ نِزَالَ الْقَوْمِ حَتَّى تَسْعَسَعَا».

وَاتَّصَبَ وَاحِدًا عَلَى الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ اقْتَفَرُوهُ ، أَيْ مَفْرَدًا . وَيُقَالُ اقْتَفَرْتُ
 الْوَجْشَ ^(١) إِذَا تَتَبَعْتَ أَثْرَهُ . وَمَعْنَى يَشْفُهُمْ ، يَهْزِلُهُمْ وَيَكْدُ عَيْشَهُمْ . وَمَشِيْعًا :
 مَعَهُ شَيْعَةٌ . يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يَبَالِي كَيْفَ سَقَطَ عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُ يَشْفُهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ .
 وَقَوْلُهُ « وَإِنِّي وَإِنْ عُمِّرْتُ » بَيَانُ قَوْلِهِ « وَمَنْ يُغْرَ بِالْأَعْدَاءِ » ، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ
 « رَأَيْنَا فِتْيَ » بَيَانُ قَوْلِهِ « بَيْتٌ بِمَعْنَى الْوَجْشِ حَتَّى أَلْفَنَهُ » ؛ لِأَنَّهُ فَسَّرَ كُلَّ
 بَيْتٍ مِنَ الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ بِبَيْتٍ . فَيَقُولُ : أَنَا وَإِنْ أُطِيلَ عُمْرِي ، وَمُدَّ مِنْ نَفْسِي بِمَا
 يَلْحَقُنِي مِنَ وَاقِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَجْتَرِحُهُ وَأَخْتَاضُهُ ^(٢) ، أَتَبَيَّنُ أَنِّي سَأَلْتُ
 أَجْلِي ، وَأُوَافِي مَضْرَعِي إِذَا دَنَا الْحَيْنُ الْمَعْلُومُ ، بِالْحَيْنِ الْمُحْتَمُومِ ، وَتَرَاءَى سِنَانُ
 الْمَوْتِ لِي بَارِزًا بَارِقًا ، أَيْ السِّنَانُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْمَوْتُ ، فَلَا أَخْتَارُ لِنَفْسِي إِلَّا
 مَا لَا يَكْسِبُنِي عَارًا . وَفِي الْكَلَامِ مَعَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ التَّسْلِيَّ النَّامَّ ، وَالرِّضَا
 بِالْمَقْدُورِ . وَجَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ أَعْلَمُ أَنَّنِي ، وَهُوَ عَلَى إِرَادَةِ الْفَاءِ ، وَيَجُوزُ عَلَى
 نَيْتَةِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ .

١٦٦

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي قَعَسٍ ^(٣) :

١ - دَعَوْتُ بَنِي قَيْسٍ إِلَى فِشْمَرْتِ خَنَازِيدُ مِنْ سَعْدِ طِوَالِ السَّوَاعِدِ ^(٤)

يقول : استنعت بهؤلاء القوم وندبتهم إلى نصرتي والدفاع دوني ، فحقت
 لي رجال كأنهم فحول ممتدة القامات ، مبسوطه الأيدي بالضرب والطعن .

(١) في الأصل : « الرجل » ، صوابه في م والتبريزي .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « وأعتاصه » .

(٣) في الحيوان (١ : ١٣٤) : « بعض النيسيين من قيس بن ثعلبة » . وفي البيان

(٢ : ١١) : « قول القيسي » .

ويجوز أن يريد بالطول الاقتدار والغلبة ، كما يُقالُ في السَّلاطَةِ : هو طويل اللسان . والخناذيد : الكرام من الخيل ، فاستعارها للكرام من الرجال كما يُستعار القُروم المصاعِبُ لهم . ومن زعم أن الخناذيد : الخِصِيَّانِ أو الفحولة ، فقوله بعيدٌ عن الصواب ؛ يشهدُ لما ذكرناه من أنه الكرام قولُ الشاعر (١) :

* وَخَنَازِيدَ خِصِيَّةٍ وَفُحُولًا (٢) *

• القروم : جمع قرم ، وهو من الفحول الذي يترك من الركوب والعد ويودع للضراب .
• المصاعب : جمع مصعب ، وهو القرم .

والطوال ، يكون جمعٌ طويل وطوالٍ جميعا . ومفعول شمرت محذوف ، والمراد ، رفعت ذيوها ، وتهيات مجتمعة ومتخففة للقتال . وكما قيل هم طوال الأيدي والسواعد في الجري المُقدِّم ، المُستَعْلِي المُتَتَدِر ، قيل في السخاء : هم بسط الأيدي والأكف ، وقيل هو شديد الساعد للقوى الجلد .

٣ - إِذَا مَا قُلُوبُ الْقَوْمِ طَارَتْ مَخَافَةً مِنْ الْمَوْتِ أَرْسَوْا بِالنَّفُوسِ الْمَوَاجِدِ

انتصب مخافةً على أنه مفعولٌ له . وجواب إذا « أرسوا » . والمعنى : إذا تمكن الرعبُ من القلوبِ والصُّدُورِ حَتَّى طَاشَتْ [له (٣)] الألباب ، وطارَتْ له الأفئدة ، ثبت هؤلاء القوم في مواقفِ التَّدَافُعِ والتَّحَارُبِ بنفوسِ كَرِيمَةٍ لَا تُغْضِي عَلَى قَدِي ، وَلَا تَصْبِرُ عَلَى أَدَى ، فَهِيَ آبِيَّةٌ لِلدَّنِيَّاتِ ، صَابِرَةٌ عِنْدَ النَّائِبَاتِ . وقوله « أرسوا » مفعولُه محذوف ، كأنه قَالَ أَرْسَوْا قُلُوبَهُمْ بِالنَّفُوسِ الْكَرِيمَةِ . ويجوز أن يكون الباء من النفوس زائدةً للتأكيد (٤) ، كما قال :

(١) دعوت بني قيس ، هذه رواية الأصل وم والتبريزي . وفي الحيوان والبيان :

« دعوت بني سعد » .

(٢) هو النابغة الذبياني ، كما حقق ابن بري . ويروى لخفاف بن عيسد قيس البرهمي .

اللسان (خند) . وفي الحيوان (١ : ١٣٣) أنه خفاف بن نُدْبَةَ .

(٣) صدره : * وبراذين كايات وأتنا * .

(٤) هذه من م .

(ب) * سُودُ الْمَحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالسُّورِ (ط) *

والمعنى أرسوا النفوس ، أى أثبتوها إثباتاً لا تحاحل معه ولا تمؤنج .
على هذا قولهم : الجبال الراسيات ، وهو راسى الدعائم . والمواجد : جمع ماجدة ،
وأصله السكرة ، يقال أجدت الدابة العلف ، إذا كثرت لها .

١٦٧

وقال سعد بن مالك (هـ) :

١ - يا بوس للحرب التي وضعت أراهِطاً فاستراحوا

اللام من قوله « يا بوس للحرب » دخلت لتأكيد الإضافة في هذا الموضع ،
وهي إضافة لا تخص ولا تعرف . وهذه اللام لا تجيء على هذا الحد إلا في
بأين : أحدهما باب النفي بلا ، وذلك منه في قولك لا غلامى لك ولا أبالك
وما أشبههما ، والثاني باب النداء في قولك يا بوس للحرب ، وإنما المعنى يا بوس
الحرب . ألا ترى أنه لو لم يرد الإضافة لنون يا بوس في النصب ، لكونه
نكرة ، أو كان يجعله معرفة مبنية على الضم . وقد أتى الشاعر في باب النفي
على أصله في الإضافة فقال :

(١) وقال ابن جني في التنبيه : « يجوز أن تكون الباء هنا حالا من الضمير في
أرسوا ، أى أرسوا ونفوسهم معهم ، كقولك خرج بئابه ، أى وثيابه عليه » .
(٢) البيت يروى لشاعرين متعاصرين ، أحدهما الراعى النهرى ، والآخر القتال الكلابى .
انظر الخزانة (٣ : ٦٧٧ - ٦٦٩) . وصدر البيت :

* هن الحرائر لاربات أحمره *

(٣) هو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، جد طرفة بن العبد ، كما ذكر
القبريزى . وهذه الحماسية يقولها سعد يعرض فيها بالحارث بن عباد ، وكان قد عرف باعتزال
الحرب ومجانبتها ، ولم يسقه إلى خوض غمارها في آخر الأمر إلا مارواه أبو رياش ، ومؤداه أن
ابن أخيه واسمه بجير بن عمرو بن عباد - عرض له مهلهل على غرة فقتله وقال له : بؤبشع
نعل كليب ! فقيل للحارث بن عباد : إن ابن أخيك قد قتل دية لشسع نعل كليب ، فلم يهتج لذلك =

أبالموتِ الذي لا مُدَّ أُنِّي مُلَاقِي لا أَبَاكَ تَخَوِّفِينِي (١)

والذي يَدُلُّ على أن هذه الإضافة لا تخصَّص أن لا قد عمِلَ معها ، وهو لا يَعْمَلُ إِلَّا في النِكَرَاتِ . وَمَعْنَى البيتِ أَنَّهُ على وَجْهِ التَّعَجُّبِ دَعَا بُوَسَّ الحَرْبِ التي حَطَّتْ أَرَاهِطُ وَأَذَلَّتَهُمْ حتى اسْتَسَامُوا للأعداءِ ، وَأَلْفُوا وَضَعِ الحَرْبِ (٢) ، وحالفوا الراحة ، وآثروا السلامةَ . وهذا الكلامُ فيه مع القصد إلى التَّعَجُّبِ تَهْكِمٌ وتعبيرٌ ؛ كأنه أراد : ما أبأسَ الحَرْبَ التي فَعَلَتْ ذلكَ . وقوله « فاستراحوا » فيه تَهْكِمٌ وبيانٌ لاستغنائهم ذلكَ (٣) ، وميْلِهِم إليه ؛ كأنهم عدُّوا نَفْضَ اليَدِ من مجاذبةِ الأعداءِ ومراقبتِهِم والاحترازِ من مكائِدِهِم ، لظهور عجزِهِم ، وتصوُّرِهِم بصورةٍ من لا يُحْتَفَلُ لَهُ ، ولا يُسْتَظْهَرُ عَلَيْهِ ، ولا يُتَّقَى مِنْهُ — سَلَامَةٌ وراحَةٌ ، وإن كان سُقُوطًا ومهانةً . وكل ذلك لخروجهم عن مَلَكَةِ العِزَّةِ ، وإطراحِهِم قِنَاعِ الحِمِيَّةِ . وأَرَاهِطُ جَمْعٌ ، يقال رَهْطٌ وَأَرَهْطُ وَأَرَاهِطُ . والرَّهْطُ يَقَعُ على ما دون العشرة — ولذلك جاز أن يُضَافَ ما دون العشرةِ من أسماء الآحاد إليه — وفارَقَ الخَيْلَ والغنمَ والإِبِلَ (٤) .

٢ — والحَرْبُ لا يَبْقَى لِجَا حِمِّهَا التَّخْيِيلُ والمِرَاحُ

وتريث حتى يتحقق من الخبر بنفسه ، وأرسل إليه المهلهل : إنى إنما قتاته بشسع نعل كليب أجمع قومه وأعد للجرى عدتها ، وكان يوم التحالق بين قومه بكر بن وائل وإخوتهم تغلب . وانظر العقد (٥ : ٢٢٠ — ٢٢١) .

(١) البيت لأبي حية النيمى ، كما فى اللسان (أبى) .

(٢) أى ترك الحرب .

(٣) م : « بيان الاستغناء منهم لذلك » .

(٤) أشبع التبريزى الكلام على : « وضعت أراهط » ، قال : « وليس الوضع هاهنا

ضد الرفع ، وإنما المراد أنها تركتهم فلم تكلفهم القتال فيها . وإنما يعنى سعد بن مالك الحارث ابن عباد ومن كان مثله فى اعتزال الحرب . وقد روى أن الحارث لما حارب مع بنى بكر بعد قتل بجير قال : أترانى ممن وضعته الحرب ؟ فهذا يدل على النصب . ومن رفع أراهط فالعنى يابوس للحرب التى وضعتها أراهط . وهذا اللفظ هو الأصل لأن قولك ترك بنو فلان الحرب هو واجب الكلام ، وقولك تركت الحرب بنى فلان مجاز واتساع .

يقال : جَحَمَتِ النَّارُ فِي جَاحِمَةٍ ، إِذَا اضْطَرَمَتْ ؛ وَمِنْهُ الْجَحِيمُ . وَهَذَا الْكَلَامُ جَارٍ مُجْرَى مَا قَبْلَهُ ، وَفِيهِ إِزْرَاءٌ بِالَّذِينَ ذَكَرَهُمْ ، وَإِيهَامٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ خِيَلَاءٍ وَبَطْرٍ ، وَمِرَاحٍ وَنَزَقٍ ، فَلَمْ تَشْدُبْ أَقْدَامُهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَلَا صَبَّرَتْ أَنْفُسُهُمْ أَوْانَ الْكِفَاحِ ، فَقَالَ مُعَرِّضًا : لَا يَبْقَى لِنَارِ الْحَرْبِ كِبْرِيَاءُ الْمُتَكَبِّرِينَ ، وَلَا نَشَاطُ الْمَرْحِينَ ، بَلْ يَسْتَبَدُّونَ بِهِمَا اللَّيْنُ وَالْكَسَلُ ، وَالْإِنْخِرَالُ وَالْفَشَلُ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْإِمْتِهَانِ ، وَالِاسْتِسْلَامُ عِنْدَ الْإِمْتِحَانِ . وَقَوْلُهُ « لَا يَبْقَى لِحَاحِمِهَا التَّخْيِيلُ » يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ صَاحِبَ التَّخْيِيلِ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْبَدَلُ فِي إِلَّا الْفَتَى — وَهُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ مِنْهُ ، وَجَهَ الْكَلَامُ وَمَخْتَارُهُ ؛ لِأَنَّ الثَّانِيَّ يَكُونُ مِنَ الْجِنْسِ الْأَوَّلِ ، وَفِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ لَا يَكُونُ مِنْ جِنْسِهِ ، وَالِاخْتِيَارُ فِي الْمُسْتَشْنَى بَعْدَهُ النَّصْبُ .

٢ — إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي الـ نَجَدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَاحُ

قَوْلُهُ « إِلَّا الْفَتَى » ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ التَّخْيِيلِ ، وَهَذَا لُغَةٌ تَمِيمٌ ، وَلُغَةٌ سَائِرُ الْعَرَبِ النَّصْبُ فِيمَا كَانَ اسْتِثْنَاءً خَارِجًا وَإِنْ كَانَ جَائِيًا بَعْدَ النَّفْيِ ، لِأَنَّ كَوْنَهُ لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ يُبَعِّدُ الْبَدَلَ فِيهِ ، وَالنَّصْبُ كَانَ جَائِزًا عَلَى كُلِّ وَجْهِ . وَالنَّجَدَاتُ : الشَّدَائِدُ . وَالصَّبْرُ أَصْلُهُ الْحَبْسُ ، وَفَعَّالٌ بِنَاءِ الْمِبَالِغَةِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمَ الْفَاعِلِ مِنَ صَبَّرَ ، لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ مِنْ صَبَّرَ مُصَبَّرٌ . يَقُولُ : لَسْكَنَ [لَا] يَبْقَى لِمَلَابَسَةِ الْحَرْبِ وَالصَّبْرِ عَلَى شِدَائِدِهَا [إِلَّا الْفَتَى ^(١)] الْحَسَنُ الثَّابِتُ فِي الْكِرَائِهِ ، وَالْفَرَسُ الصُّلْبَةُ عَلَى الْجِرَاءِ . وَيُقَالُ فَرَسٌ وَقَاحٌ ، وَحَافِرٌ وَقَاحٌ ، وَهُوَ وَقِحُ الْوَجْهِ ؛ وَمُصَدَّرُهُ الْقِحَّةُ .

(١) التَّكْمَلَةُ مِنْ م .

٣ - والنَّثْرَةُ الحَصْدَاءُ وَالْبَيْضُ المَكَلُّ والرِّمَاحُ

عَدَدَ الآلاتِ التي يحتاج إليها الفَتَى الصَّبَّارُ في النَّجَدَاتِ عندِ مِرَاسِ الحربِ ، ودِفَاعِ الشَّرِّ . فالنَّثْرَةُ : الدَّرْعُ الواسِعَةُ المُحَكَّمَةُ السَّرْدِ ، ويُقالُ فيها النَّثْلَةُ باللامِ أيضاً . والحَصْدَاءُ : الجُدَلَاءُ ، ومَصْدَرُهُ الحَصْدُ . يُقالُ حَصِدٌ يَحْصِدُ حَصْدًا ، وأَحْصَدْتُهُ وهو مُحْصَدٌ . يُقالُ ذلكُ في الأوتادِ والحبالِ والذُّرُوعِ إذا أَحْكَمْتُمْ وفُتِلَتْ . ويُقالُ هو حَصِيدٌ ومُسْتَحْصِدٌ أيضاً . وقَوْلُهُ « البَيْضُ المَكَلُّ » يَعْنِي بالمساميرِ ، كأنَّها غُشِيَتْ وسُمِّرَتْ . والمعنى إنَّما يَبْقَى على صِلَاءِ الحربِ ومزاوَلَتِها مَنْ كانَ في نَفْسِهِ يَرْجِعُ إلى قُوَّةِ وجَلْدِ ، ومن صَبْرِهِ يَعْتمِدُ على أبلِغِ أمدٍ ، ومن سِلاحِهِ يَبْقَى بِأتمِّ عُدَدٍ . ولم يَصِفِ الرِّمَاحَ ، وَيَعْنِي أقومَها لا محالة .

٤ - والكَرُّ بَعْدَ الفَرِّ إِذْ كَرِهَ التَّقَدُّمُ والنَّطَاحُ

بَيَّنَ ما يَحْتَاجُ إليه الصَّبَّارُ من الأفعالِ في الحربِ ، كما بَيَّنَ الآلاتِ التي من شَرَطِها [استصحابُها^(١)] ، فكانتْهُ قالُ : وَيَبْقَى لجاجِها الكَرُّ بَعْدَ الفَرِّ في وَقْتِ يُكَرُّهُ فيه الإقْدَامُ والتَّقَدُّمُ ، والنَّطَاحُ والتَّجَرُّدُ . وبعضُهم يروى هذا البيتُ في غيرِ هذا الموضعِ^(٢) ، والصوابُ هذا الترتيبُ . وجَعَلَ النُّطَاحَ بين الكِبَاشِ مَثَلًا للمبالِطَةِ بين الفِرسانِ .

٥ - وتَسَاقَطَ التَّنَوَّاطُ وَالذَّنْبَاتُ إِذْ جُهِدَ الفِضَاحُ^(٣)

هذا ينعطف على قوله وضعت أراھط فاستراحوا . يقول : وتَسَاقَطَ الدُّخلاءُ

(١) هذه من م .

(٢) أي يرويه بعد البيت التالي ، وممن فعل ذلك التبريزي .

(٣) التبريزي : « وتساقط الأوشاط » ، ثم أشار إلى رواية « التَّنَوَّاطُ » . ولم يفسر

الأوشاط صريحا . وفي اللسان : « والشيط : التابع والخلف ، والجمع أوشاط » .

والهَجْنَاءُ الَّذِينَ نَيْطُوا بِصِمِيمِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَكُونُوا مِنْهُمْ . وَالتَّنَوَّاطُ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ ، كَالْتَرْدَادِ وَالتَّكْرَارِ ؛ وَكَأَنَّ الْمُرَادَ ذَوُ التَّنَوَّاطِ ؛ فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَصِفَ بِهِ كَمَا يَوْصَفُ بِالْمَصَادِرِ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ التَّنَوَّاطَ مَا يُعَلَّقُ عَلَى الْفَرَسِ مِنْ إِدَاوَةٍ وَغَيْرِهَا ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ قَدْ نَيْطَ بِهِ ، ثُمَّ أُطْلِقَ تَشْبِيهًا عَلَى الدُّخْلَاءِ . وَقَدْ اسْتَعْمِلَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ فِي الدَّعِيِّ ، فَقِيلَ : هُوَ مَنْوُوطٌ . وَقَالَ الشَّاعِرُ (١) :

وَأَنْتَ دَعِيٌّ نَيْطَ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نَيْطَ خَلْفَ الرَّايِبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ
فَعَلِيَ هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بَدْوَى التَّنَوَّاطِ الْأَدْعِيَاءِ . وَقَوْلُهُ الذَّنْبَاتُ ، يَرِيدُ التَّبَاعَ وَالْعُسْفَاءَ . وَيُقَالُ لَهُمُ الذَّنَابُ وَالْأَذْنَابُ أَيْضًا . وَكَمَا قِيلَ هَذَا تَشْبِيهًا بِذُنَابِةِ الْوَادِي (٢) ، قِيلَ فِي الرُّؤَسَاءِ الذَّنَائِبُ ، لِأَنَّهِمُ الْأَعْلَوْنَ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الذَّنْبَاتِ لَا يُقَالُ فِي النَّاسِ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهُمْ أَذْنَابٌ ، ثُمَّ أَنْشَدَ :

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بَأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا (٣)
وَمَنْ حَيْثُ جَازَ الْأَذْنَابُ وَاسْتَعَارَتْهَا جَازَ اسْتِعَارَتِهَا الذَّنْبَةَ وَالذَّنَابَةَ وَالذَّنَائِبَ
وَالذَّنْبَاتِ ، وَلَا فَضْلَ . وَقَوْلُهُ « إِذْ جُهِدَ الْفِضَاحُ » مَعْنَاهُ مُبْلَغٌ بِالْفِضِيحَةِ جَهْدُهَا
وَلَمْ يُرْضَ بِالْعَفْوِ مِنْهَا . وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ ، لَا يَثْبُتُ إِلَّا مَنْ يَرْجِعُ
إِلَى كَرِيمٍ مُتَنَاهٍ ، وَحِرْصٍ عَلَى الْمَحَافِظَةِ عَلَى الشَّرْفِ بِالْبَغِ .

٦ - كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَأَ مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاخُ

أَخَذَ يَقْتَصُّ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ . وَقَوْلُهُ « كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا » مَثَلٌ يُضْرَبُ
لشِدَّةِ الْحَرْبِ ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَكْشِفُونَ عَنِ السَّاقِ ، فَجَعَلَ الْفِعْلُ

(١) هُوَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَهْجُو أَبَا سَفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ . دِيْوَانُهُ ١٦٠ وَاللِّسَانُ (نُوط) .

(٢) الذَّنَابَةُ بَضْمُ الذَّالِ وَتَكْسِرُ أَيْضًا .

(٣) الْبَيْتُ لِلْحَطِيطَةِ . دِيْوَانُهُ ص ٦ .

لها ، والمراد انكشفت الحرب لهم عن تشمير أهلها واشتدادها . وقد قيل : الساق اسمٌ للشدة ، وفُسر عليه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ فقيل : المعنى يوم يكشفُ عن شدة . وكذلك كشفت الحربُ عن ساقها ، معناه أبرزت عن شدتها . وقوله « وبدا من الشرِّ الصَّراح » أى الخالص الذى لا يمتزج به خيرٌ ولا يُرجى بعده صلاحٌ . ويقال : صريحٌ وصراحٌ ، كما يقال طویلٌ وطوالٌ ، وعريضٌ وعراضٌ . ويقال : صرحتِ الخمرة ، إذا انكشفت عنها زبدها .

٧ — فَالْهَمْ بِيضَاتُ الْخُدُورِ رِ هُنَاكَ لَا النَّعْمُ الْمُرَاحُ

أقبلَ يصفُ ما امتحنوا به فى الحُرْمِ إذا تُرِكَ حَدِيثُ الْمَالِ وَالْبَلَاءِ فى النُّفُوسِ . وقوله « فالهمُّ ببيضاتِ الخدورِ » يجوز أن يُرادَ به ما يُهْتَمُّ له فى ذلك الوقتِ : الحُرْمُ والنِّسَاءُ المُخَدَّرَاتُ اللاتى كأنهنَّ بيضٌ مكنونٌ صيانةً وجمالاً ، لا الإبلُ المرأحةُ من مرأعِها . كأنه سَمِيَ ما يُهْتَمُّ له هماً . ويجوز أن يكون المعنى ما يُهْتَمُّ به : النِّسَاءُ لا الإبلُ . والمراد أنهم كانوا يفتنمون سبباً للنِّسَاءِ وإلحاقِ العارِ بسببهنَّ ، لا اغتنامِ الأموالِ . وتُسَبَّهُ المرأةُ بالبيضِ لتألمِها وزوالِ الحُجُومِ عنها . وقال الخليل : بِيضَةُ الخِدْرِ هِىَ الجاريةُ المُخَدَّرَةُ الجميلةُ . وإنما قال المرأحُ لأنَّ النَّعْمَ مُذَكَّرٌ . ويقال سَرَّحْتُ الماشيةَ بالغدَاةِ ، وأرَّحْتُها بالعَشِيَّةِ .

٨ — بِئْسَ الْخَلَائِفُ بَعْدَنَا أَوْلَادُ يَشْكُرُ وَاللَّقَاحُ

أولادُ يَشْكُرُ ، هم من جملة من وضعته الحربُ . فيقول : إذا خَلَفْنَا من لا دِفَاعَ به من الرِّجالِ والأموالِ ، فبئسَ الخلائفُ بعدنا . جعلَ أولادُ يَشْكُرَ كاللَّقَاحِ — وهى الإبلُ بها كَبْنٌ — فى حاجتها إلى من يَدْبُ عنها ، ويُحاجي عليها . ورواه بعضهم : « واللَّقَاحُ » بفتح اللام ، وهم بنو حنيفة ، وكانوا لا يدِينون للملوكِ . ويكونُ الكلامُ على هذا تَهَكُّمًا .

٩- مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٍ (١)

يقول : مَنْ أَخْجَمَ عَنِ الْحَرْبِ وَكَرِهَ الْأَصْطِلَاءَ بِنَارِهَا وَالصَّبْرَ عَلَى بِلْوَاهَا ، وَعَجَزَ عَنِ الثَّبَاتِ فِي وُجُوهِ أِبْنَائِهَا ، فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٍ لِي فِيهَا وَلَا انْحِرَافٌ .
ومعنى « فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ » فأنا المشهور بأبيه ، المستغنى عن تطويل نَسَبِهِ .
فقوله لَا بَرَّاحٍ ، الْوَجْهُ فِيهِ النَّصَبُ ، وَلَكِنَّ الضَّرُورَةَ دَعَتْهُ إِلَى رَفْعِهَا .
وقال سيبويه : جَعَلَ لَا كَلَيْسَ هَاهُنَا فَرَفَعَ بِهِ النَّسْبَةَ ، وَجَعَلَ الْخَبَرَ مُضْمَرًا . وَمِثْلُهُ :

* بِنِ الْجَحِيمِ حِينَ لَا مُسْتَصْرَخٌ (٢) *

كأنهما قالا : حين ليس عندي مُسْتَصْرَخٌ وَلَا بَرَّاحٌ عِنْدِي فِي الْحَرْبِ .

(١) هذا آخر المقطوعة عند المرزوقي . وروى التبريزي بعده خمسة أبيات . وهي :

١٠ - صَبْرًا بِنِي قَيْسٍ لَهَا حَتَّى تُرِيحُوا أَوْ تُرَاحُوا

١١ - إِنْ الْمَوَائِلَ خَوْفِهَا يَعْتَاقُهُ الْأَجَلُ الْمَتَاحُ

١٢ - هِيَهَاتِ حَالِ الْمَوْتِ دُونَ الْقَوَاتِ وَانْتِضَى السَّلَاحُ

١٣ - كَيْفَ الْحَيَاةُ إِذَا خَلَّتْ مِنْهَا الظَّوَاهِرُ وَالْبِطَاحُ

١٤ - أَيْنَ الْأَعْرَازَةُ وَالْأَسِنَّةُ عِنْدَ ذَلِكَ وَالسَّمَاحُ

وقال في شرح البيت الأول : « أَيْ اصْبَرُوا لِهَذِهِ الْحَرْبِ حَتَّى تَقْتُلُوا أَعْدَاءَكُمْ فَتُرِيحُوهُمْ مِنْ شِدَّتِهَا أَوْ يَقْتُلُوكُمْ فَيُرِيحُوكُمْ مِنْ ذَلِكَ » . وفي شرح الثاني : « الْمَوَائِلُ : الَّذِي يَطْلُبُ الْمَوْتِ . خَوْفِهَا أَيْ خَوْفِ الْحَرْبِ . وَنَصَبَ الْخَوْفِ بِالْمَوَائِلِ . وَيَعْتَاقُهُ ، أَيْ يَشْغَلُهُ الْأَجَلُ عَنِ النِّجَاءِ فَيَقَعُ فِيهَا بِكَرِهَتِهَا . وَالْمَتَاحُ : الْمَقْدَرُ . وَهُوَ كَمَا يُقَالُ : لَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ وَاقِعُ التَّوَقُّعُ » . وقال في شرح الثالث : « أَرَادَ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ حَالَ دُونَ أَنْ يَفُوتَ الرَّجُلَ فَيَذْهَبَ عَنْ هَذِهِ الْحَرْبِ مِنْهُزِمًا . يُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا الْقَتْلُ أَوْ الْغَلْبُ » . وفي شرح الرابع : « الظَّوَاهِرُ : أَعَالَى الْأَوْدِيَةِ وَالْبِطَاحُ : بَطُونِهَا . وَهُوَ مِنْ نَوَادِرِ الْجَمْعِ ، وَاحِدُهَا أَبْطَحُ وَبِطْحَاءٌ » .

(٢) للعجاج في ديوانه ١٤ . وقبله ، وهو أول الأرجوزة :

* وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَحْشَ الطَّبِيخُ *

وهذا يقلُّ في الشعر ولا يكثرُ . وجعل غيرهُ بَرَّاحٌ مبتدأ والخبر مضمراً ؛
وإنما يحسنُ ذلك إذا تكرر ، كقول القائل : لا درهمٌ لي ولا دينارٌ ، ولا
عبدٌ لي ولا أمةٌ . إلا أنه جَوِّزٌ للشاعر الرفعُ في النكرة بعد لا وإن لم يكرَّرْ ،
لأنَّ أصلَ ما يُنْفَى بلا الرفع ، فكأنه من باب ردِّ الشيء إلى أصله . ويقال
ما بَرَّحتُ من مكان كذا ، أي ما زلتُ بَرَّاحاً وبروْحاً . وما بَرَّحتُ أفعلُ
كذا بَرَّاحاً ، أي أمتُ على فعله ، مثل ما زلتُ أفعله . والبَرَّاحُ الأوَّلُ في
المكان ، والبَرَّاحُ الثاني في الزَّمان ، ولا بُدَّ له من خبرٍ .

١٦٨

قال جحدرٌ ، وهو ربيعةُ بنُ ضبيعةٍ (١) :

١ - قد يَتِمَّتْ بِنْتِي وَأَمَّتْ كَنَّتِي

٢ - وَسَعَيْتُ بَعْدَ ادِّهَانِ جُمَّتِي (٢)

٣ - رُدُّوا عَلَيَّ الْخَيْلَ إِنْ أَلَمَّتْ

٤ - إِنْ لَمْ أَنْاجِزْهَا فَجَزُّوا لِمَتِي

٥ - قَدْ عَلِمْتُ وَالِدَةَ مَا ضَمَّتْ

٦ - مَا لَفَفْتُ فِي خِرْقٍ وَشَمَّتْ (٣)

٧ - إِذَا الْكُمَاةُ بِالْكُمَاةِ التَّفَّتْ (٤)

(١) جحدر ، قال ابن جني في المبهج : « هو أجمع القصير من الناس ، وهو صفة
منقولة » . وجحدر هو ربيعة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن ضبيعة ، كما ذكر التبريزي .
(٢) م : « بعد الدهان » . التبريزي : « بعد الرهان » وهذه الأخيرة محرفة .
(٣) قال التبريزي : « ويروى : ولففت » .
(٤) بعده عند التبريزي :

* أُمُخِجٌ فِي الْحَرْبِ أُمَّ أُمَّتِ *
* أُمُخِجٌ فِي الْحَرْبِ أُمَّ أُمَّتِ *

هذا توجعٌ وتحسُّرٌ . والمرادُ إني قد استتممتُ ، وكانت هذه الأمور من
 اليتيمِ والأيمَّةِ والتسعثُ قد اتفقتُ ووقعت . وإنما قال هذا لأنه كان قد سيمَ
 في يومٍ تحلَّقَ اللِّمَمَ أن يحلِّقَ الشَّعْرَ ، إذ كانوا جعلوا ذلك شعاراً لهم (١) ، وهذا
 اليومُ من أيامِ بَكْرٍ وتغلبِ (٢) . وكان جحدرٌ هذا حسنَ اللَّمَّةِ غزلاً ، متبججاً
 بحاله ووفرتِه عند النساءِ ، فسأل — لكرهته ما ساموهُ — الإغفاء منه ، منتظرياً
 ما يكون من بلائه ، وتشهير نفسه بين الصَّفِّينِ بعلامةٍ تميِّزه وآثارٍ تُشرفه ،
 وحملاتٍ على الأعداءِ تدلُّ على غنائه ، ومقاماتٍ تشهدُ بوفائه ؛ فإن لم يفِ
 بذلك حينئذٍ تجزُّ لَمَّتُه عُقوبةً وتنكياً ، ففي جزِّ اللَّمَّةِ إذلالٌ ؛ ولذلك كان
 يُفعل بالأسير عند المنِّ عليه . ثم ذكر ما نشأ عليه وتفرَّسَ فيه (٣) من وقتِ
 الولادةِ إلى الإيفاعِ ، من الغناء والكفاية ، والذكاء والشَّهامة ، فقال : قد
 عَلِمْتُ والدتي أياً ولدي تَضُمُّهُ إلى نفسها بي ، وأىَّ إنسانٍ تَلْفُفُ في القمطِ حين
 لَفَّتَنِي ، وأىَّ فارسٍ تَشْمُهُ بِشَمِّي ، إذا ترا كَمَتِ الأهوالُ ، وتداعت الأبطالُ ،
 وضاقَ المَكْرُ والمَجَالُ ، وتلاحقتِ الرِّجالُ بالرِّجالِ . فهذا سببُ توطئته
 النفسَ على القتلِ ، [ووجه الشرط في مناجزة الخيل (٤)] . وقوله « يَتِمَّتْ »
 مصدره اليتيمُ . قال الدررَيْدِيُّ : اليتيمُ الفرْدُ ، لذلك سُمِّيَ الذي يموتُ أحداً والديه

(١) كانت بكر بن وائل — وهم قوم جحدر — قد حلقت رءوسها استبسالا للهوت ،
 وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسايمهم . وكان الحارث بن عباد قد اقترح يوم تحلَّق اللمم أن
 يشترك النساء في هذه الحرب ، وأن تحمل كل امرأة إداوة من ماء تنقلدها ، وهراوة تمسكها ،
 فإذا صرت المرأة على صريع قد حلق رأسه عرفته فسقته من الماء ونعشته ، وإذا صرت على صريع
 لم يحلق رأسه ضربته بالهراوة فقتلته وأنت عليه . وكما حلقت بكر رءوسها قطعت ثمار سياطها —
 وهي عذباتها — وذلك رافة بالخيل أن تعقر أو يؤثر بها أثر فيبيح عند شدة القتال ، والذي
 أشار بذلك هو عامر بن نيم اللات بن ثعلبة ، فسمى لذلك « مقطع الجذم » .

(٢) م : « من وقعت بكر وتغلب » .

(٣) م : « وتقدس فيه » ، تحريف .

(٤) هذه التكملة من م .

يتيمًا ، كأنه أُفردَ ، وقيل اليتيم في الناس من الأبِ والأمِّ ، ومن البهائم من الأمِّ .
 وقوله « آمت » مصدره الأيمَّةُ والأيومُ . والأيمُّ : التي لا زوجَ لها .
 والكنَّةُ ، قال الخليل : هي امرأةُ الأخِ أو الابنِ . ويشهدُ لما قاله قول
 الشاعر (١) :

هِيَ مَا كَنَّنِي وَتَزَّ عُمُّ أُنَى لَهَا حَمُودِ

ويُعني جحدرُ بالكنَّةِ امرأةَ نفسه ، كأنه من حيث كانت كنةَ قومه
 أضافها إلى نفسه .

والشَّعْتُ والشُّعُوثةُ : اغبرارُ الشعرِ وتلبُّدهُ .

وقوله « رُدُّوا على الخيلِ » ، يريدُ اصرفوا وجوهها إلى .

والمناجزةُ : المعالجةُ بالقتالِ (٢) ، ومنه إنجازُ الوعدِ ، ونَجَزَ الشيءُ .

وقوله « نالفتُ في خرقِ » بدلٌ من قوله ما ضمتُ ، والتكرار على هذا

الوجه تفخيمٌ للقصة .

(١) هو فقيد ثقيف ، كما في اللسان (حما) .

(٢) من مجزوء الحقيف . وقبله في اللسان وشرح التبريزي :

أبها الركب سلموا	واربعوا كي تكلموا
وتقضوا لبانة	وتحيسوا وتغنموا
خرجت مزنة من الـ	بحسر ربا تجمجم

وقد روى التبريزي قصة لهذا الشعر استعان فيها الحارث بن كلدة طبيب العرب بوسائل

العلاج النفسى .

(٣) كذا في النسختين . والوجه : « المعالجة » . وفي اللسان : « وتناجز القوم :

تسافكوا دماءهم ، كأنهم أسرعوا في ذلك » .

١٦٩

وقال شماس بن أسود (١) :

١- أغرَكَ يوماً أن يُقال ابن دارمٍ وتُقَصَى كما يُقَصَى من البركِ أجربُ

لفظة لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى التوبيخ والتقريع . ويقال غرَّه ، إذا غشه وختره (٢) بما لا يجبُ السكونُ إليه والإيمانُ به . ويقال : ما غرَكَ مني ، أي لم وثقتَ بي ؟ وما غرَكَ بي ، أي لم اجترأتَ عليَّ ؟ وما غرَكَ عني ، أي لم غفَّلتَ عني ؟ فيقول : اغتررتَ بقولِ الناسِ فيكَ هو ابنُ دارمٍ وإن أُخِّرَ منزلتُكَ ، وأقصيتَ في نفسك كما يُقَصَى البعيرُ الجربُ من البركِ مخافةَ الإعداءِ ، وكان حُكْمُ مِثْلِكَ ألا يُقْنِعَهُ فخامةُ الذِّكرِ مع سقوطِ القدرِ ، ولا يسكنُ من الناسِ إلى تسميتهم إياهُ بأحبِّ أسمائه إليه وهذا فعلهم به . قوله « ابنُ دارمٍ » يجوز أن يكون مبتدأ وخبرُهُ محذوفٌ ، وأن يكون خبراً والمبتدأ محذوفٌ ، والمضمرُّ في الوجهين أنتَ أو هو . ويقال بغيرِ جربٍ وأجربُ . والبركُ : جمع بارِكٍ ، كتاجرٍ وتجرٍ .

٢- قضى فيكم نوسٌ بما الحقُّ غيرهُ كذلك يخزوكَ العزيزُ المدرَّبُ (٣)

(١) التبريزي : « شماس من الفرس الشموس ، وإنما يريدون أنه أبي عزيز . وهذا أشبه من اليوم الشامس ، وإن كان ذلك جائزاً » . وقد نسبة التبريزي فقال : « شماس بن أسود الطاهوي » . وذكر أنه يقول الشعر لحري بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل ابن دارم . وكان قيس بن حسان بن عمرو بن مرشد قد أخذ بكرا من لبل عمرو بن عمران ، جار حري بن ضمرة ، فانتقم له حري بأن أخذ من لبل قيس بن حسان ثلاثين بهيراً ، فانطلق قيس إلى أخواله بني مجاشع يستعديهم ، فمشوا إلى بني نهشل وطلبوا أن يرد إليه حري الإبل ، فلم يقبل ، فطلبوا منهم خلعهُ نفلعوه ، وأخذهُ بنو مجاشع فضرُّوه وأخذوا منه أكثر مما أخذهُ .

(٢) ختره : غشه وخدعه . وفي م : « خبره » .

(٣) التبريزي : « قيس » بدل « نوس » ، وقال : « روى أبو هلال : قضى فيكم نوس » .

نَوْسُ هَذَا الْمَذْكُورِ كَانَ لَهُ جَارٌ ، وَاهْتَضَمَهُ ابْنُ دَارِمٍ وَاسْتَأَقَ مَالَهُ ، فَلَمَّا جَاءَ الصَّرِيحُ نَوْسًا ذَهَبَ فِي أَثَرِ ابْنِ دَارِمٍ وَارْتَجَعَ مَالَ جَارِهِ مِنْهُ ، وَسَلَبَهُ مَا صَحِبَهُ مِنْ مَالٍ نَفْسِهِ ، وَأَبَانَ يَدَهُ مِنْهُ بِضْرَبَةٍ تَنَاوَلَهُ بِهَا ، فَلِهَذَا قَالَ : حَكَمَ فِيكُمْ نَوْسٌ عِنْدَ الْإِنْتِقَامِ لِجَارِهِ مِنْكُمْ بِحُكْمَةِ جَائِزَةٍ خَارِجَةٍ عَنِ الْاِقْتِصَادِ إِلَى الْاِسْتِطَاطِ . ثُمَّ قَالَ « كَذَلِكَ يَخْزُوكَ » أَيْ يَسُوسُكَ الرَّجُلُ الْجَدُّ الْعَزِيزُ الْمَجْرَبُ . وَهَذَا الْكَلَامُ ، أَعْنِي كَذَلِكَ يَخْزُوكَ ، يَجْرِي مَجْرَى الْاِلْتِفَاتِ ، كَأَنَّهُ التَّفَتَ إِلَى غَيْرِهِمْ فَيَخَاطِبُهُمْ مُبَكِّتًا لَهُمْ وَمُقَرَّرًا بِذَلِكَ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ صَرَفَ الْكَلَامِ عَنِ خِطَابِ الْجَمَاعَةِ وَأَقْبَلَ يَخَاطِبُ الْوَاحِدَ . وَيُقَالُ خَزَاهُ يَخْزُوهُ ، إِذَا كَفَّهُ عَنِ الْمَكْرُوهِ وَحَبَسَهُ عَلَى مُرِّ الْمُرَادِ . قَالَ لَبِيدُ :

❖ وَأَخْزَاهَا بِالْبُرِّ اللَّهُ الْأَجَلُ (١) ❖

٣ - فَأَدَّ إِلَى قَيْسِ بْنِ حَسَّانَ ذُوْدَهُ وَمَا نَيْلَ مِنْكَ التَّمْرُ أَوْ هُوَ أَطْيَبُ

يُخَاطِبُ ابْنَ دَارِمٍ مَتَوَعِّدًا وَمُعَيِّرًا ، وَيَقُولُ : أَخْرُجْ مِمَّا فِي ذِمَّتِكَ مِنْ ذُوْدِ قَيْسِ بْنِ حَسَّانَ إِلَيْهِ ، وَحَالَكَ إِذَا رُمْتَ ظُلْمَ غَيْرِكَ أَنْ مَا يُنَالُ مِنْكَ كَالْتَّمْرِ فِي الْخَلَاوَةِ أَوْ أَطْيَبُ . وَالْمَعْنَى : إِنْ تَعَرَّضْتَ لِأَخْذِ مَالٍ قَرِيبٍ مِنْكَ أَوْ بَعِيدٍ عِنْدَكَ ، مَعَ ضَعْفِ الْمُنَّةِ فِي سُقُوطِ الْعِزَّةِ (٢) ، لَا يُجْدِي عَلَيْكَ نَفْعًا ، وَلَا يَسُوقُ إِلَيْكَ غُنْمًا ، فَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَكَ لَهُ ، وَرُدَّهُ قَبْلَ أَنْ تَسْتَوْبِلَ عَاقِبَتَهُ ، وَتَسْتَوْخِمَ مَغْبَتَهُ . وَالْوَوُ مِنْ قَوْلِهِ « وَمَا نَيْلَ » ، وَوَالْحَالِ ، كَأَنَّهُ قَالَ أَدَّهُ وَأَنْتَ إِذَا أَكَلْتَ مُسْتَطَابًا . وَقَوْلُهُ « أَوْ هُوَ أَطْيَبُ » أَيْ أَطْيَبُ مِنَ التَّمْرِ .

(١) صدره في ديوان لبيد ١٢ طبع ١٨٨١ والمقاييس واللسان (خزا) :

❖ غير أن لا تكذبها في النقي ❖

(٢) م : « وسقوط العزة » .

والخذف من الخبر جائز ، وقد مضى مثله . وأو هي أو الإباحة ، وقد نقل إلى الخبر .

٤ - فالأصل رَحِمَ ابن عمرو بن مرثد يُعَلِّمُكَ وَصَلَ الرَّحْمَ عَضْبٌ مُجْرَبٌ يقول : إن لم تصل رَحِمَكَ مُخْتَارًا لَهُ ، وَمُعَقِّيًا أَثَرَ الْعُقُوقِ بِهِ ، وَمُزِيلًا عَنْ نَفْسِكَ سِمَةَ الْجَاهِلِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهَا لَا يُمَكِّنُهُ الْخُرُوجُ مِنْهُ ، وَالْأَكْلُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِمْرَائِهِ ، عَلِمَكَ صِلَةَ الرَّحْمِ وَالْخُرُوجَ مِنَ الْحُقُوقِ ، سَيِّفٌ قَاطِعٌ لَا يُبْقِي عَلَيْكَ وَلَا يَأْلُو تَأْدِيكَ . وفي طريقته السَّائِرَةُ قَوْلُهُمْ : « الطَّعْنُ يَنْظَرُ » (ط) ، ومن الشعر قول زهير :

ومن يَفْصِ أطراف الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ مُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْدَمِ .

• اللهدم : الماضي .
وأراد بأطراف الرماح
الزجاج ، جمع رُجْح ، وهي
الحديدة في أسفله قال أبو
عبدة : هذا مثل - يقول : إن
الرجح ليس يطعن به ، إنما
يطعن باللسان ، هذا أبو الصلح ،
وهو الرجح الذي لا يطعن به ،
أطاع العوالي وهي التي
يطعن بها .

١٧٠

وقال حجر بن خالد (٢) :

وَجَدْنَا أَبَانَا حَلَّ فِي الْمَجْدِ بَيْتُهُ وَأَعْيَا رِجَالًا آخِرِينَ مَطَالِعُهُ

قوله « حَلَّ فِي الْمَجْدِ بَيْتُهُ » في موضع المفعول الثاني لوجد ، لأنه بمعنى علم . والبيت لا يحل ولكن يحل فيه ، لكنته رعى بالكلام على السعة والمجاز ، لأن المعنى لا يختل . ويقولون : فلان عالي المكان ، لأنه إذا علا مكانه فقد علا هو . وقال الآخر :

* وَحَلَّتْ بِيُوتِي فِي يَفَاعٍ مُمْنَعٍ *

فيقول : عَلِمْنَا بِالْإِخْتِبَارِ (٣) فِي طِلَابِ الْعُلُوفِ ، وَالْإِجْتِهَادِ فِي مَنَالِ أَقْصَى

(١) أي يعطف على الصلح . ويروى : « الطعن يظنره » . انظر مقاييس اللغة (ظار) .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١١٨ من القسم الأول .

(٣) كذا في م . وفي الأصل : « بالاختيار » .

السَّمُوِّ ، تَمَكَّنَ بَيْتُ أَيْبِنَا مِنْ ذِرْوَةِ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ ، فَمَحَلُّهُ فَائِتٌ لَا يُلْحَقُ ،
وَمَطْلَعُهُ مُعْجِزٌ لَا يُمَكِّنُ ، إِذْ كَانَ مَدَاهُ الْغَايَةَ الَّتِي لَيْسَ وِرَاءَهَا مُسْتَشْرِفٌ
لِنَظِيرٍ ، وَلَا مَنَالٌ لِلْآخِ .

٢ - فَمَنْ يَسْعَ مَنَالًا يَنْبَلُ مِثْلَ سَعْيِهِ وَلَكِنْ مَتَى مَا يَرْتَحِلُ فَهُوَ تَابِعُهُ
يَقُولُ : مَنْ طَلَبَ نَيْلَ مَكَانِهِ ، أَوْ الْارْتِقَاءَ إِلَى دَرَجَتِهِ ، بِسَعْيٍ يَتَكَلَّفُهُ
وَيَجْهَدُ فِيهِ نَفْسَهُ ، وَقَفَّ دُونَهُ وَقَعَدَ بِهِ طَوْقَهُ ، وَكَانَ أَقْصَى غَايَتِهِ بَعْدَ اسْتِفْرَاحِ
مُجْهَدِهِ ، أَنْ يَكُونَ تَابِعًا لَهُ ، وَوَاطِئًا عَقِبَهُ ؛ فَأَمَّا مُسَامَاتُهُ ^(١) فِي مَدَارِجِهِ ،
أَوْ مُسَامَتَتُهُ فِي مَطَالِعِهِ ، فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، وَلَا مَطْمَعٍ فِيهِ .
وَقَدْ سَلَكَ الْأَعْشَى هَذَا الْمَسْلَكَ فَقَالَ :

* كُلُّ سَيْرَضَى بَأَنْ يُبَلِّغَ لَهُ تَبَعًا ^(٢) *

وَذِكْرُ الْارْتِحَالِ حَسَنٌ فِي الْاسْتِعْلَاءِ ^(٣) مَعَ ذِكْرِ السَّعْيِ . وَقَدْ قِيلَ :
« لَوْلَا السَّعْيُ لَمْ تَكُنِ الْمَسَاعِي » .

٣ - يَسُودُ ثِنَانًا مَنْ سِوَانَا وَبَدُونَنَا يَسُودُ مَعَدًّا كُفَّهَا مَا تُدَافِعُهُ ^(٤)
الثَّنَى : مَنْ دُونَ الرَّئِيسِ ، لَكِنَّهُ يَلِيهِ فِي الرَّتْبَةِ . وَالْبَدَاءُ : السَّيِّدُ غَيْرُ
مُدَافِعٍ عَنِ أَوْلِيَّةِ سَيَادَتِهِ ، فَكَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا الْأَوَّلُ فِي الرَّيَاسَةِ وَالثَّانِي . وَأَصْلُهُ مِنْ

(١) م : « مساواته » .

(٢) صدره في الديوان ٨٦ : * تلقى له سادة الأقبام تابعة * .

(٣) م : « الاستعارة » . ولكل وجه .

(٤) يروون أن حجر بن خالد لما أنشد هذا البيت رفع عمرو بن كلثوم التغلبي يده فلفظمه
في حضرة الملك ، فغضب الملك وقام ابن كلثوم ، فلما كان الليل دخل حجر على عمرو فقبته فلفظمه
فنادى : يا تغلب ! فامتلات الأرض خيلا ، ثم نادى مناد من فوق قصر الملك : يا حجر بن خالد ،
لأنك جار ! فتصدعت خيل التغالبة . وأنشأ حجر مديحا في الملك ، رواه التبريزي والجاحظ في
الحيوان (٣ : ٥٩) ، أوله :

سمعت بفعل الفاعلين فلم أجد * كفعل أبي قابوس حزما ونائلا

(٣ - حماسة - ثان)

ثَنَيْتُ الشَّيْءَ . وفي حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا ثَنِيَّ فِي الصَّدَقَةِ » .
والمعنى أنها لا تؤخذ في السنة مرتين . ويُقالُ ثَنَيْتُ الشَّيْءَ ثَنِيًّا ، ثم يُسَمَّى
المَثْنِيُّ ثَنِيًّا وما تُثْنِي به هو أيضًا ثَنِيًّا . وعلى هذا الضَّعْفُ ، يُقالُ ضَعَفْتُ الشَّيْءَ
مُخَفَّفًا في معنى ضَاعَفْتُ ضَعْفًا ، ثم يُسَمَّى المَضْعُوفُ ضِعْفًا بالكسر ، والمَضْعُوفُ
بهِ ضِعْفًا أيضًا . قال لبيد :

* وَعَالَيْنَ مَضْعُوفًا وَفَرْدًا سُمُوطُهُ (ط) *

والبداء : العظم المنفصل مما عليه من اللحم ، كأنه من هذا . قال :

* أَغَلَّتِ الشَّتْوَةُ أَبْدَاءَ الْجُزْرِ (ط) *

ومعنى البيت : المغمور فينا إذا حصل في غيرنا سادهم وعلاهم ، والرئيس منّا
تَسَلَّمَ له الرياسة على قبائل معدِّ كُلهما ، غير معارضٍ فيها ، ولا مدافعٍ [عنها] (٣) .
٤ - ونحن الذين لا يروّع جارنا **وَبَعْضُهُمُ لِلْعَدْرِ صُمٌّ مَسَامِعُهُ**
يَصِفُ عَزَمَهُمْ وَمَنْعَتَهُمْ ، وَعَهْدَهُمْ وَوَفَاءَهُمْ ، وَأَنَّ الْمُجَاوِرَ لَهُمْ ، وَالْمَعْتَصِمَ
بِحَبْلِهِمْ ، يَبْقَى آمِنًا مَعَهُمْ غَيْرَ مَذْعُورٍ ، وَمَوْفُورًا غَيْرَ مَسْلُوبٍ . ثم قال مُعَرِّضًا
بغيره : وَبَعْضُ النَّاسِ لَمَّا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْعَدْرِ ، وَيَشْتَهَرُ بِهِ مِنْ تَضْيِيعِ الذَّمَّارِ ،
وَلِكُونِهِ مُنْطَوِيًّا فِيمَا يَأْتِيهِ عَلَى الْإِصْرَارِ ، يُصِمُّ مَسَامِعَهُ عَنْ ذِكْرِ الْعَارِ ، فَلَا
يُبَالِي بِذَمِّ النَّاسِ لَهُ ، وَلَا يَأْنَفُ مِنْ تَهْجِينِهِمْ أَفْعَالَهُ . وفي طريقته قول الآخر (٤) :

(١) عجزه : * جمان ومرجان يشك الفاصلا *

(٢) لطفة في ديوانه ٧٣ واللسان (يسر ، بدأ) . وصدوره :

* وهم أيسار لقمان إذا *

(٣) هذه من م .

(٤) أنشد الجاحظ في البيان (٣ : ٣٣٣) البيتين التاليين مع ثالث بعدهما ، وروى
عن أبي عبيدة أنها من الشوارد التي لا أرباب لها . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٩)
وديوان المعاني (١ : ١٨٢) وأمالى القالي (٣ : ٨٣) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠)
والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) .

إِنْ يَجْبُنُوا أَوْ يَغْدِرُوا أَوْ يَبْخُلُوا لَا يَحْفَلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا (١)

وكان وجه الكلام أن يقول لا يرّوع جارهم ، حتى يرجع من الصّلة إلى
الموصول الذّكر ؛ لكنه لما كان المقصود بقوله نحن والذين شيئاً واحداً لم يُبال
برجوع الضمير إلى كل واحد منهما . وقد مضى مثله .

٥- نَدَهْدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى وَبَعْضُهُمْ تَغْلِي بَدَمٍ مَنَاقِعَهُ (٢)
الدَّهْدَقَةُ : الصَّوْتُ (٣) . وَالْبَضْعُ : الْقَطْعُ . أَي تَمَوَّلَى ذَلِكَ كَرَمًا مَنَّا عَلَى
اعْتِسَافٍ وَسَوْءِ تَأْتٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْبَضْعُ جَمْعَ بَضْعَةٍ (٤) فَيَكُونُ الْمَعْنَى :
إِنَّا نُقَلِّبُهَا فِي الْقُدُورِ ، فَلِعِظْمِهَا يُسْمَعُ لَهَا فِي التَّقَلُّبِ صَوْتٌ . وَالْمَنَاقِعُ : جَمْعُ
الْمِنْتَعِ وَالْمِنْتَعَةِ ، وَهِيَ الْقُدُورُ الصَّغَارُ ، وَقِيلَ هِيَ الْأَتْوَارُ (٥) الصَّغِيرَةُ . وَقِيلَ الْمَنَاقِعُ
وَاحِدُهَا مُنْتَعٌ ، وَأَصْلُهُ مَا يُنْتَعُ فِيهِ الشَّيْءُ ، فَاسْتَعَارَهُ لِلْقُدُورِ . فَأَمَّا قَوْلُهُمْ
مُنْتَعُ الْبَرَمِ فَقَدْ قِيلَ فِيهِ مَا ذَكَرْنَا وَغَيْرُهُ . وَقَدْ رُوِيَ مِنْتَعُ الْبَرَمِ ، بِكسْرِ
المِيمِ ، وَفُسِّرَ عَلَى وَعَاءِ الْقِدْرِ (٦) . وَذِكْرُ الْبَاعِ مَثَلٌ ، وَالْمُرَادُ الْكِرَامُ . فَعَلَى
الطَّرِيقَةِ الْأُولَى يَكُونُ مَعْنَى الْبَيْتِ : يُسْمَعُ لِقَطْعِ اللَّحْمِ بِأَيْدِينَا دَهْدَقَةٌ ، لِقِلَّةِ
رِقْقَتِنَا فِيهِ ، وَسَوْءِ حِدْقِنَا بِهِ ، كَمَا قَالَ الْآخِرُ (٧) :

(١) بعده : كَأَبِي بَرَأَشِ كُلِّ يَوْمٍ * م لونه بتخيل

(٢) التبريزي : « ومن روى : الباع ، بالفتح منقوطة أراد الباعى ، فحذف الياء » .

(٣) التبريزي : « ندهدق : نغلى . والدهدقة : الصوت » .

(٤) البضعة بالفتح ، قال في اللسان : « وأخواتها بالكسر مثل القطعة ، والفلة ،

والقدرة ، والكسفة ، والحرقه ، وغير ذلك مما لا يحصى » .

(٥) التور بفتح التاء : إناء من صفر أو حجارة كالإجانة .

(٦) هذا ما في م . وفي الأصل : « دعاء القدر » .

(٧) هو شقران مولى سلمان . انظر الحماسية ٦٩٨ وشروح سقط الزند ٥٩١ . وعند

الجاحظ في البيان (٣ : ٣٠٩) أنه ثروان مولى بني عذرة .

جُفَاةُ الْمَحَزِّ لَا يُصِيبُونَ مَفْصِلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذَمًا (١)
 وعلى الطريقة الثانية يكون المعنى : تَغَلَّى قُدُورُنَا بِفِدْرِ اللَّحْمِ ، فإذا قَلَبْنَاهَا
 فِيهَا إِقَامَةً لخدمَةِ الضَّيْفِ ، وَكَتْسَابًا لِلْحَمْدِ ، وَرَغْبَةً فِي ابْتِنَاءِ الْمَجْدِ ، تَقَلَّبَتْ
 وَلَهَا صَوْتٌ ، لِعِظَمِهَا وَاتِّسَاعِ قُدُورِهَا (٢) . وَبَعْضُ النَّاسِ — وَهَذَا تَعْرِيفٌ
 بِالْغَيْرِ — تَغَلَّى قُدُورُهُ الَّتِي كَأَنَّهَا مَنَاقِعُ فِي الصَّغْرِ بِذَمِّ النَّاسِ لَهُ . فَقَوْلُهُ « بِذَمِّ »
 فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، تَقْدِيرُهُ : تَغَلَّى مَذْمُومَةً .

٦- وَيَحْلُبُ ضِرْسُ الضَّيْفِ فِيمَا إِذَا شَتَا سَدِيفُ السَّنَامِ تَسْتَرِيهِ أَصَابِعُهُ
 يُرْوَى « ضِرْسُ الضَّيْفِ » بِالرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا ، وَسَدِيفَ بِالنَّصْبِ
 عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ، وَهُوَ الْجَيْدُ . وَبَعْضُهُمْ يَنْصِبُ الضَّرْسَ وَيَرْفَعُ سَدِيفَ
 السَّنَامِ ، وَالْمَعْنَى لَا يَلْتَبِسُ فِي الْوَجْهِينِ . يَقُولُ : وَإِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ ، وَأَسْنَتَ
 النَّاسُ ، فَإِنَّ الضَّيْفَ فِيمَا يَأْكُلُ سَدِيفَ السَّنَامِ ، مِنَ الْإِبِلِ السَّنَانِ ، عَلَى
 مَا تَخْتَارُهُ أَصَابِعُهُ فِي الْجِفَانِ . وَالسَّدِيفُ : قِطْعُ السَّنَامِ . وَقِيلَ هُوَ شَحْمُ
 السَّنَامِ . وَمَعْنَى إِذَا شَتَا ، إِذَا أَحْمَلَ . وَذِكْرُ الْحَلَبِ كِنَايَةٌ عَنِ الْأَكْلِ .
 وَالْمَعْنَى : إِنَّا لَا نَرْضَى بِنَحْرِ الْكَسِيرَاتِ الْمَهْزُولَاتِ ، بَلْ نَعْتَبِطُ خِيَارَ الْإِبِلِ
 وَكَرَائِمَهَا عِنْدَ حُلُولِ الضَّيْفَانِ . وَتَسْتَرِيهِ : تَخْتَارُهُ ، يَقَالُ اسْتَسْرَيْتَ (٣) الشَّيْءَ
 أَيْضًا . وَالسَّرِيُّ : الْخِيَارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَمَوْضِعُ تَسْتَرِيهِ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ

(١) التخذم : قطع اللحم بالسكين . في الأصل : « تجذما » وفي م : « تجذما » كلاهما
 محرف عما أثبتنا . يقول : هم سادة نشئوا على السيادة ، وعودوا أن يكونوا مخدومين لا خادمين ،
 فليس لهم بصر بجزر الإبل وتفصيل أعضائها . والعرب تعد الجهل بجزر الإبل مدحا والمعرفة
 به ذما . انظر شروح سقط الزند .

(٢) م : « قدورنا » . والمؤدى واحد .

(٣) في الأصل : « استريت » ، والوجه ، ما أثبتنا من م .

للسديف ، والعمل فيه يَحْلُبُ ، كأنه قال تَحْلُبُهُ الضرسُ (١) مختاراً بالأصابع .
 ٧ - مَنَعْنَا حِمَانًا وَاسْتَبَاحَتْ رِمَاحُنَا حِمَى كُلِّ قَوْمٍ مُسْتَجِيرٍ مَرَاتِعَهُ (٢)
 يقول : إذا أَحْمَيْنَا (٣) مكاناً ذَبَبْنَا أعداءنا عنه ، ولا يَجْسُرُ أحدٌ منهم
 على دخوله ، ومتى شئنا استباحنا أَحْمِيَةَ الناس لعزنا وَفَضَّلَ قُوَّتِنَا ، ولاستسلام
 القبائل لنا ، وإن كانت الأحمية مستجيرة المراتع . وقوله « مُسْتَجِيرٍ مَرَاتِعَهُ »
 الهاء يرجع إلى حِمَى كُلِّ قَوْمٍ ، والمعنى الحِمَى الذي قد استجار مراتعه بالمتنع
 القوى ، وتعزَّزَ بِالظَّهْرِ الظَّهِير . وهذا إشارة إلى إيلاف الجوار ، كأنها تَجْمَعُ
 بين جوارين في حَيْبِهَا وَحَى غيرها ، تَسْتَظْهِرُ بِأَحَدِهَا على الآخر . وَجَعَلَ الفِعْلُ
 للمراتع مجازاً ، أى تَسْتَبِيحُ الحِمَى الذي هذا صِفَتُهُ . ويجوز أن يكون أراد
 الحِمَى الذي قد أدخل على قَوْمِهِ (٤) الضعفاء من الأجانب في الجوار . ويقال :
 استجار ، إذا تَضَمَّنَ الإِجَارَةَ وَطَلَبَ من غيره المجاورة ، واستجار أيضاً إذا
 طَلَبَ أن يُدْخَلَ في الجوار ويُحَامَى عليه . ويقالُ اسْتَجَرْتُ فُلَانًا وَبِفُلَانٍ ،
 والمفعول محذوف .

(١) الضرس مذكر ، ويؤنث كما ورد هنا . وأنكر الأصمعي تأنيثه ، وقال في
 قول دكين : * ففقت عين و طنت ضرس *

« إنما هو : وطن الضرس ، فلم يفهمه الذي سمعه » .

(٢) أشار التبريزي إلى رواية « مستجير » بالهاء المهملة ، قال : « وكأنه يريد النغاف
 العشب من الكثرة وفرط الحماية له » .

(٣) كذا في الأصل . وفي م : « حينا » ، وهما لغتان . وفي إصلاح المنطق ٢٥٣ :
 « حيت السكان وأحميته : جعلته حى لا يقرب ومنعت الناس منه » .

(٤) في النسختين « عن قومه » .

١٧١

وقال أيضاً :

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَلِيَاءُ بْنُ عَمْرٍو بَدَى لَوْنَيْنِ مُخْتَلِفِ الْفَعَالِ^(١)

وصفه بأنه ثابت القدم بحسن الوفاء ، محافظاً على الذمار ، باقٍ على طريقة واحدة في الشدة واللين . فيقول : وبقاتك ما هو بذي لونين^(٢) يخالف باطنه ظاهره ، ولا يوافق مقاله فعاله ، يتنقل في الأهواء ، ويتلون تلون الأوقات ، فهو على أن يجيب كل ناعق ، ويتبع كل قائد وسائق ، إن ضمن لم يف ، وإن وعد لم يُنجز .

٢ - غَدَاةَ أَتَاهُ جَبَّارٌ يَدِّ مَعْضَلَةٍ وَحَادَ عَنِ الْقِتَالِ^(٣)

جَبَّارٌ : رجل . وَالإِدِّ : المنكر من الأمر الشديد . وفي القرآن : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ . وقد أفردها هنا عن موصوفه فأجرى مجرى أسماء الدواهي . وَالْمَعْضَلَةُ : الداهية العسيرة الضيقة . ومنه قولهم : هو عضلة من العضل ، وداء عضال : الذي غلب وأعيا . وقوله « غداة أتاه » ظرف للفعل الذي دل عليه قوله « بذي لونين مختلف الفعال » ، كأنه جاب عليه هذا الرجلُ أمراً منكراً ، ضيقاً عسيراً ، ثم خلاله يصلى بناره ويقاسى مكرهه ، ويماصع خصماءه فيه ويجاذبهم ، وهرب هو .

(١) وكذا رواية ابن جني . وانفرد التبريزي برواية : « ألياء بن عبد » .

(٢) م : « بذي وجهين » .

(٣) التبريزي : « ويروى : غداة أتاه جبارٌ بعبدٍ مغفلة . ومعناه أن جباراً جاءه

بعبد مغفلة ، كأنه يستغفله ، وحاد هو عن القتال فقتله ألياء . ويروى : جبار بن عبد مغفلة . كأنه استغفله لما أتى جبار ألياء » .

٣- فَفَضَّ مَجَامِعَ الْكَتْفَيْنِ مِنْهُ بِأَبْيَضَ مَا يُغَبُّ عَنِ الصَّقَالِ

الْفَضُّ : الْكَسْرُ وَالتَّفْرِيقُ ، وَيُقَالُ انْفَضَّ الْقَوْمُ ، إِذَا تَفَرَّقُوا . يَقُولُ : فَصَلَ مَجْمَعًا كَتَفَيْهِ بِضَرْبَةٍ مِنْ سَيْفٍ يُحَادِثُ بِالصَّقْلِ ، وَلَا يَتَغَابَلُ عَنْهُ . وَالْإِغْبَابُ : أَنْ تَرِدَ الْإِبِلُ الْمَاءَ غَيْبًا . وَيُقَالُ أَغَبَّ الْقَوْمُ ، إِذَا صَارَتْ إِبِلُهُمْ كَذَلِكَ . وَليْسَ يَرِيدُ بِنَفْيِ الْإِغْبَابِ أَنْ يَدُلَّ عَلَى صَقْلِ السَّيْفِ كُلِّ يَوْمٍ ؛ وَلَكِنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ لَا يَهْمَلُ صَقْلَهُ زَمَانًا مَمْتَدًّا ؛ إِذْ كَانَ صَاحِبُهُ يَسْتَعْمِلُهُ كُلَّ يَوْمٍ . وَعَلَى هَذَا ذِكْرُ الْغَبِّ فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ : « زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا » .

٤- فَلَوْ أَنَا شَهِدْنَاكُمْ نَصْرَنَا بِنَدَى لَجَبٍ أَزَبَّ مِنَ الْعَوَالِي

يَقُولُ : لَوْ حَضَرْنَاكُمْ لَنَصَرْنَاكُمْ وَجَاهَدْنَاكُمْ بِمَجِيئِ لَهْ جَلَبَةٍ وَصَوْتٍ ، أَزَبَّ لِكثْرَةِ الرَّمَاحِ فِيهِ . أَيْ تُشَبَّهُ كَثْرَةُ الرَّمَاحِ فِيهِ وَالتَّفَافُهَا كَثْرَةَ شَعْرِ الْأَزَبِّ . وَهَذَا عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ ، لِأَنَّ أَصْلَ الزَّبَبِ فِي الشَّعْرِ . وَفِي الْمَثَلِ : « كُلُّ أَزَبٍّ نَفُورٌ » ، يَعْنِي الْبَعِيرَ الْكَثِيرَ الشَّعْرَ عَلَى الْوَجْهِ وَالْعُثُنُونَ ، لِأَنَّ مَا حَوَالِي عَيْنَيْهِ مِنَ الشَّعْرِ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ الْمَنَاطِرَ عَلَى خِلَافِ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ فَيَنْفِرُ . وَالْعَوَالِي : جَمْعُ عَالِيَةٍ ، وَيُرَادُ بِهَا جِنْسٌ مِنَ الرَّمَاحِ .

٥- وَلَكِنَّا نَأِينَا وَكَتَفَيْتُمْ وَلَا يِنَائِي الْحَفِيُّ عَنِ السُّؤَالِ

يُرْوَى « وَكَتَفَيْتُمَا » . يَقُولُ : بَعُدْنَا عَنْكُمْ فَامْتَقَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ وَاسْتَغْنَيْتُمْ عَمَّنْ يَعَاوِدُكُمْ فِي كُلِّ مَا يَدْهُمُكُمْ ، فَلَمْ تَدْعُكُمْ حَاجَةً إِلَى مَجَاوِرَتِنَا ، وَلَا أَلْجَأَتِكُمْ الضَّرُورَةَ إِلَى التَّكْثُرِ بِنَا . وَالرَّجُلُ اللَّطِيفُ الْبَارُّ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْعُدُ عَنِ تَنْسَمِ الْأَخْبَارِ وَاسْتِنْشَائِهَا لِمَنْ يُهْمُهُ أَمْرُهُ ، وَإِنْ بَعُدَ بِنَفْسِهِ وَمَكَانِهِ . وَمَنْ رَوَى « وَكَتَفَيْتُمَا » كَانَ الْمَعْنَى ا كَتَفَيْتُمَا فِي الْبُعْدِ عَنْكُمْ فَلَمْ نَحْتَجِجْ إِلَيْكُمْ . وَالْقَصْدُ

في الروايتين أنه لم يكن بإحدى الجنبتين افتقاراً إلى الأخرى ، فصار ذلك سبباً في التناهي ، وعُدراً بيننا^(١) في التأخر عن المعاونة والمكانفة . ودلّ بقوله : « ولا ينأى الحفيُّ » على أن القلوب في التعطف والخلوص ، على ما يؤجبه الوداد ولم يغيرها البعاد . ويقال فلان حفيٌّ بفلان ظاهر الحفوة ، أي البر .

١٧٢

وقال حسان بن عتبة^(٢) :

١ - إذا كنت من سعدٍ وأمك منهمُ غريباً فلا يغررك خالك من سعدٍ
يقول : إذا كنت بعيداً عن وطنك وذويك من قبل أبيك ، وحاصلاً في
بني خالك ، ضارباً فيهم بسهم الخوولة ، لسكون أمك منهم ، فلا تفتربهم ،
ولا تعتمد على قرابتك فيهم ، فإن التشابك الموثوق به المستصلح لإعداده ،
إذا كان الالتحام بالأبوة لا بالأبومة . فأما الخوولة فمشابهة للغربة ، بعيدة من
القربي والقربة ، والمكانفة والنصرة . وهذا المعنى قد كشفه غيره فقال :
بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد^(٣)

(١) في الأصل وم والتمورية : « بيننا » .

(٢) كذا في النسخين . وعند التبريزي وابن جني في كتابيه : « حسان بن وعلة » .
وقال التبريزي فيه : « أحد بني مرة بن عباد » وفي محاضرات الراغب (١ : ١٧٧) :
« حسان بن وعلة » . ونسب الجاحظ الشعر في الحيوان (٣ : ١٣٧) إلى النمر بن تولب .
قال ابن جني : « حسان : علم صرّجل . ويجوز أن يكون من أحد شيئين إما من قولهم فلان
غس ، أي ضعيف . . . فإن كان من الغس فهو فعلان ، وإن كان من الغسن وهو خصل
العرف فهو فعال . وينبغي أن يكون فعلاناً لامتناعهم من صرفه » .

(٣) قال العيني : « هذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر ، والفرضيون
على دخول أبناء الأبناء في الميراث ، والفقهاء كذلك في الوصية ، وأهل المعاني والبيان في
التشبيه . ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله » . وفي الحزانة (١ : ٢١٣ - ٢١٤) أن
قائله الفرزدق .

قوله « في سعدٍ » يجوز أن يكون خبراً ، ويُجعل غريباً مُنتصباً على الحالِ ، ويكونُ العاملُ فيه كُنْتُ ، أو العاملِ في الظرف . ويجوز أن يُجعل في سعدٍ لغواً ، ويُجعل غريباً خبرَ كان . وقوله « فلا يغررُك » جعل النهي في اللفظ للخال ، والمعنى لا تغترّ بخالك من سعدٍ ، لأنّ المنهَى هو المخاطب . ومثل هذا قولهم : لا أريّنك ها هنا . وقول الآخر (١) :

* إنَّ الرِّياضَةَ لا تُنصِبُكَ للشَّيبِ (٢) *

٢ - فإن ابن أخت القومِ مُصغى إناؤه إذا لم يُزاحم خالهُ بأبِ جلدٍ يقول : ابن أخت القومِ منحوس الحظّ ، منقوص الشرب ، مُمال الإناء والحوضِ متى لم تنجده أبوةً يشتدُّ بها أمومته ، وعمومةٌ يتأيدُ بها خوولته (٣) . وهذه الأمثال مضروبةٌ للهزيمة تدلّحُ فلا يتحركُ لدفعها الأخوال وإن كان بين ظهرانيهم ، ولأنّ الحميّة إنما يبعثها ترافدُ بنى الأعمام ، أو المنتسبين إلى الآباء . وجواب إذا لم يُزاحم مُقدّم ، وهو ظرفٌ لإصغاء الإناء . واستعارة الإناء ها هنا كما قال زهير :

ومَنْ لا يَدُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهَدِّمُ وَمَنْ لا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
ومن هذه الطريقة قوله :

يا جَفَنَةً كَنَصِيحِ الحَوْضِ قَدِ كَفَيْتُ بِبِئْتِي صَفِينِ يَعْلُو فَوْقَهَا القَمَرُ
وإن كان في الكفء ما ليس في الإصغاء ، فاعلمه .

(١) هو الجبيح الأسدي . المفضليات (١ : ٣٢) .

(٢) في الأصل : « لا تنضيك » ، وصوابه في م والمفضليات والخزانة (٤ : ٢٩٦) .

وصدره : * ولو أصابت لقات وهي صادقة *

(٣) م : « تشيد » و « تؤيد » بدل « يشتد » و « يتأيد » .

١٧٣

وقال بعض بني جهينة (١) :

١ - أَلَاهَلْ أَتَى الْأَنْصَارُ ابْنَ بَحْدَلٍ حُمَيْدًا شَفَى كَلْبًا فَقَرَّتْ عُيُونُهَا (٢)
 هذا الاستفهام طريقته طريق التمني وإظهار الميل إلى أن يكون الأنصار
 شركوه في العلم بالحالة التي يقتضها . ويجوز أن يكون أخرج الكلام على هذا
 ليبلغوا . فيقول : هل تأدى خبر حميد بن بحدل فيما كان من نصره كلباً على
 قيس ، وإقراره عيونهم منهم ، وشفائه قلوبهم مما كان تداخلها من عداوتهم ،
 واهتاج فيها من نار حقدهم .

٢ - وَأَنْزَلَ قَيْسًا بِالْهَوَانِ وَلَمْ تَكُنْ لِتُقْلِعَ إِلَّا عِنْدَ أَمْرِ يُهَيِّنُهَا
 يقول : وأحل حميد قبيلة قيس بمحل الذل والامتهان ، والهضم والهوان ،
 حتى كفوا عن مجاذبة كلب والتعرض لهم بالسوء . ثم قال : ولم تكن قيس
 تنزجر وترتدع إلا عند ما يسقطها ، ويُنزِلها بدار الرغم ويسخطها ، لفرط
 لجأها ، وتأبيها وجأها . واللام من « لِتُقْلِعَ » لام الجحود .

(١) البهج : « في وقعة لـكـب مع فزارة . جهينة اسم مرتجل من الجهن ، وهو
 غلظ الوجه ، وكأنه تحقير جهنة أو نحوها . والفزارة : أم البير . وفزارة ، بنو ذبيان بن بغيض
 ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . وكلب ، بنو وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران
 ابن الحاف بن قضاة . وجهينة ، بنو زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة .

(٢) التبريزي : « وروى : الأشراف . والأمصار » . لما كانت فتنة ابن الزبير ،
 وكان عبد الملك بن مروان يقاتل مصعب بن الزبير ، وكانت قيس زيرية ، كان أبناء القيسيات
 من بني أمية يفخرون على أبناء الكلبيات بما تفعل بهم قيس في البدو والحضر ، فبحث خالد
 ابن يزيد بن معاوية عن رجل من الكلبيين ليحو ذلك العار ، فاتدب لذلك حميد بن بحدل
 خال يزيد بن معاوية ، وكتب له خالد بن يزيد عهداً على لسان عبد الملك بن مروان بأخذ
 الصدقة من قيس حتى يتمكن من النكاية . وقد استغل حميد هذا السلطان فأوغل في النكاية
 بـقيس - ولا سيما بنتي فزارة - إغلا سجله هذا الشعر .

٣ — فَقَدْ تَرَكْتَ قَتْلَى حُمَيْدِ بْنِ بَجْدَلٍ كَثِيرًا ضَوَاحِيهَا قَلِيلًا دَفِينَهَا (١)
 هذا بيان لما حلَّ بقَيْسٍ . يَقُولُ : تَرَكْتَ الْقَتْلَى الَّذِينَ أَبَادَهُمْ حُمَيْدُ
 ابْنُ بَجْدَلٍ بِالْعَرَاءِ ، فَقَدْ كَثُرَ بَوَارِزُهُمُ لِلشَّمْسِ ، وَقَلَّ دَفَائِنُهُمْ فِي الْأَرْضِ . وَإِنَّمَا
 يُفْطَعُ بِمَا يَصِفُ مَا دُفِعَ إِلَيْهِ قَيْسٌ وَابْتُلِيَ بِهِ . وَالضَّوَاحِي : جَمْعُ ضَاحِيَةٍ ،
 وَهِيَ الظُّوَاهِرُ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ ضَحَى يَضْحَى عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ ، وَأُغَاءٌ أُخْرَى ضَحَى
 يَضْحَى ، وَهَذَا أَفْصَحُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَأَنْتَ لَا تَظُنُّمْ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ .
 وَأَضَافَ قَتْلَى إِلَى حُمَيْدٍ لِأَنَّهُ الْمَوْجِعُ بِهِمْ ، التَّمَانِيلُ لَهُمْ .

٤ — فَإِنَّا وَكَلْبًا كَالْيَدَيْنِ مَتَى تَقَعُ شِمَالُكَ فِي الْمَيْجَا تُعْنِكَ يَمِينُهَا
 هَذَا الْكَلَامُ تَحْمُدٌ (٢) وَتَنْبِيهُ عَلَى أَنْ مَا يَجْمَعُهُمْ وَكَلْبًا فِي نِهَايَةِ الْقُوَّةِ
 وَالِاسْتِحْكَامِ ، فَلَا يَعْرِضُ فِيهِ فُتُورٌ ، وَلَا يَتَسَاطُ عَلَيْهِ كَلَّةٌ وَلَا قُصُورٌ ، فَهَمَّ
 كَالْيَدَيْنِ إِذَا دُفِعَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى شِدَّةٍ أَعَانَتِهَا الْأُخْرَى . وَجَعَلَ الْفُضْلَى مِنَ الْيَدَيْنِ
 — وَهِيَ الْيَمِينُ — مَثَلًا لِأَنْفُسِهِمْ .

١٧٤

وقال المنخل الإشكري (٣) :

١ — إِنْ كُنْتَ عَاذِلْتِي فَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحْجُورِي (٤)

(١) التبريزي: «قوله قليلا، لم يرد أن القليل منهم دفنوا، أراد أنه لم يدفن منهم أحد. ومثله:
 قليلا على ظهر المطيعة ظله سوى ما نفي عنه الرداء المحبر» .

(٢) هذا ما في م. وفي الأصل: «تحمّل» .

(٣) هو المنخل بن مسعود بن عاصم بن ربيعة بن عمرو الإشكري. وهو قديم جاهلي. وكان يشبب بهند أخت عمرو بن هند، وكان يتهم بامراته أيضا، كما كان يتهم بالتجردة امرأة النعمان بن المنذر. وكان للنعمان منها ولدان كان الناس يقولون إنهما من المنخل. ولما قال النابغة قصيدته في وصف التجردة قال المنخل: ما يعرف هذا إلا من جرب. فكانت تلك السعاية سببا في هرب النابغة ولحاقه بآل جفنة الغسانيين. انظر الأغانى (١٨: ١٥٢) — (١٥٦) والمؤتلف ١٧٨ والشعراء ٣٦٤ — ٣٦٦ .

(٤) التبريزي: «إنما قال ذلك لأن النعمان بن المنذر كان يكرمه ويقربه، ودار النعمان بالحيرة، والحيرة من العراق» .

يَسْتَعْفِي من لَوْمِهَا وتَقْرِيعِهَا في تَبْذِيرِ المَالِ وإِتْلَافِهِ ، وَتَرْكِ الأَدِّخَارِ مِنْهُ لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ ؛ فيقولُ : إنْ كَانَ دَأْبُكَ إِدْمَانَ عَذْلِي ، وَالأَسْتِمْرَارَ فِي تَوْبِيخِي ، فَفَارِقِينِي وَخُذِي طَرِيقَ العِرَاقِ لا رَدَّكَ اللهُ . قَوْلُهُ « لا تَحْجُورِي » دُعَاءٌ عَلَيْهَا ، مِنْ قَوْلِكَ حَارَ أَي رَجَعَ . وَمِنْهُ قَوْلُ النّاسِ : « نَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الحَّوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ » ، لِأَنَّ النّقصَانَ تَرَجُّعَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ « سِيرِي » دُعَاءٌ أَيْضاً ، كَأَنَّهُ قَالَ فَسَيَّرِكَ اللهُ وَلا رَدَّكَ !

٢ - لا تَسْأَلِي عَن جُلِّ مَا لِي وَانظُرِي كَرَمِي وَخَيْرِي^(١)

قال الخليلُ : الخَيْرُ : الهَيْئَةُ . يقولُ : اترُكِي البَحْثَ وَالفَحْصَ عَن ذَخَائِرِي وَمَعَاظِمِ مَالِي ، وَلَكِن [اعلمِي^(٢)] شَرَفِي وَكَرَمِي وَحُسْنَ هَيْئَتِي وَخُلُقِي . وَقَوْلُهُ « وَانظُرِي » مَعْنَاهُ وَاعْلَمِي . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ، أَي يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَيَتَيَقَّنُونَهُ . وَالعَرَبُ تَضَعُ عِبَارَاتِ طُرُقِ العِلْمِ فِي مَوَاضِعِ العِلْمِ . يَقُولُونَ : سَمِعْتُ كَذَا ، بِمَعْنَى عَلمْتُهُ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُنَا : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . وَيَقُولُونَ : ذُقْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى عَلمْتُهُ وَخَبَرْتُهُ . وَيَقَالُ : سَمِمْتُ رَاحَةَ الفَضْلِ مِنْ فُلَانٍ ، أَي عَلمْتُهُ .

٣ - وَفَوَارِسِي كَأَوَارِحِ النَّارِ أَحْلَاسِي الذُّكُورِ

يقولُ : وَرُبَّ فُرْسَانٍ يَشْتَعِلُونَ لَيْلاً وَنَهَاراً ، ذِكَاً وَحَمِيَّةً ، وَبِأَسَاوِجِدَةٍ ، اشْتِعَالَ النَّارِ ، وَيَلْزَمُونَ ظَهْرَ الذُّكُورِ مِنَ الدَّوَابِّ اللُّزُومِ الشَّدِيدِ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ شَأْنَهُمْ وَدَأْبَهُمْ . وَجَوَابُ رَبِّ مُنْتَظَرٌ . وَقَوْلُهُ « كَأَوَارِحِ النَّارِ » ، الأَوَارِ : التَّوَهُجُّ وَالأَلْتِهَابُ ، وَلِهَذَا أَضَافَهُ إِلَى الحَرِّ . وَيَقَالُ وَأَرَّتِ النَّارُ ، إِذَا

(١) فِي الأَصْلِ : « وَاسْأَلِي كَرَمِي » . وَالتفسيرُ بَعْدَهُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا مِنْ م وَالتَّبْرِيْزِي .
(٢) التَّكْمَلَةُ مِنْ م .

توهَّجَتْ ، ومنه الإبرة . وإذا كان كذلك فالأصلُ في أوَارٍ وُوَارٍ ، فيما أن يكون قد قلب ، فقدم الهمزة ، وإما أن يكون لِين الهمزة ثم أُبْدِلَ من الواو المضمومة التي هي فاء الفعل هَمْزَةً ، كما فُعِلَ في وَقَّتَ إذا قِيلَ أَقَّتَ ، فصار أوَارًا . وقوله « أخلاس الذكور » ، الحِلْسُ : كل شيء وَلِيَ الظَهْرَ تحت الرَّحْلِ . وحكى ثَعْلَبُ عن ابن الأعرابي أن الأَحْلَاسَ البُسْطُ ، واحِدُهَا حِلْسٌ ، قال : ومنه الخبر : « إذا ظَهَرَتِ الفِتْنُ فَكُنْ حِلْسَ بَيْتِكَ » . وأنشد :

نَوَمْتُ عَنْهُنَّ غَلَامًا جِدَسًا وقد تَغَطَّى فَرَوَةً وَحِلْسًا

ومنه استَحْلَسَ الأَرْضُ بالنباتِ ، والأَرْضُ بِالظلامِ . ولما أَدَّى الحِلْسُ معنى اللزوم صَحَّ الوَصْفُ به . وعلى هذا أسماء الأجناس إذا ضُمَّتْ مَعَانِي الأفعال .

٤ - شَدُّوا دَوَابِرَ بَيْضِهِمْ فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ القَتِيرِ

٥ - واستَلَّامُوا وتَلَبَّبُوا إِنَّ التَّلَبُّبَ المَغْفِيرِ

قوله « شَدُّوا دَوَابِرَ » ، هو جَوَابُ رَبِّ . والمعنى : رَبَّ فرسان هذا صَنَفْتَهُم استَعَدُّوا . والمعنى استَعَدُّوا مَعِيَ أولِي مغيرين أو مُدَافِعِينَ ، بأن شَدُّوا مَآخِرَ المَغَاوِرِ في جِيُوبِ دُرُوعِ مُحْكَمَةِ رِئُوسِ المَسَامِيرِ ، ضَيْقَةِ السَّرْدِ . والدوابر ، واحِدُهَا دَابِرَةٌ وهي المَآخِرُ ، وتُسْتَعْمَلُ أَيْضًا في الحَوَافِرِ والمَخَالِبِ . ومنه قَطَعَ اللهُ دَابِرَتَهُمْ ، لأنَّ سِبَاعَ الطُّيُورِ إذا قُطِعَتْ دَوَابِرُهَا تَعَطَّلَتْ عن الكَسْبِ . و « استَلَّامُوا » ، أي لَبَسُوا اللُّؤْمَ ، وهي جَمْعُ لَأْمَةٍ . وَفَعْلَةٌ وَفَعَلٌ قليل ، ومثله نُوبَةٌ وَنُوبٌ . وهي من الملاءمة المطلوبة في نَظْمِ الخَلْقِ وَسَرْدِهَا . ولَمَّا كان الواو العاطفة لا تُوجِبُ شيئًا من الترتيب لم يبال بتأخير واستَلَّامُوا ، وإن كان لَبَسَ الدُّرُوعَ مُقَدِّمًا على لَبَسِ البَيْضِ ، وشَدُّوا دَوَابِرَهَا

فيها . وقوله « إِنَّ التَّلْبَبَ لِلْمُغِيرِ » يَجْرِي مَجْرَى الالتفات . والتَّلْبَبُ : التَّحَزُّمُ ، وقيل هو الانتطاق والتَّجَرُّدُ . ويمكن الاستشهاد بهذا على أن الفوارس الموصوفين كانوا مُغِيرِينَ .

٦ - وعلى الجياد المضمرا ت فوارس مثل الصقور^(١)

الواو من قوله « وعلى الجياد المضمرا ت فوارس » واو الحال ، كأنه قال شدوا دوابر بيضهم والحال ذا . يُرِيدُ : رَبَّ فُرْسَانَ تَشَمَّرُوا واستعدوا معي للغارة أو الدفاع للمغيرين ، وبإزائنا خيل هكذا . يقول : وعلى الجياد العتاق المسومة المصنوعة ، فُرْسَانٌ كَانَهُمْ فِي حِدَّةٍ نَظَرَهُمْ وارتفاع ناظرهم وطموحهم ، صُقُورٌ فِي حَالٍ مَا تُخَلِّي لِلصَّيْدِ . وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ جَوَابَ رَبِّ لَمْ يَجِبْ بَعْدُ ، وَإِنَّمَا أَعَادَ ذِكْرَ الْجِيَادِ لِمَبَادُؤِ رَبِّ عَنْهُ بِمَا حَالَ بَيْنَهُمَا ، وَجَوَابُهُ أَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنْ أَوْلَيْكَ . وَهَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِخْتِيَارِ ، أَعْنِي أَقْرَرْتُ عَيْنِي^(٢)

٧ - وإذا الرياح تناوحت بجوانب البيت الكسير

٨ - ألفتني هشَّ اليدينِ بمرى قدحى أو شجيري

أخذ يتبجح بالسخاء والتكرم ، كما يتبجح بالثبات والتشجع . وهذه الفصول تفسر قوله « وانظري كرمي وخيري » . فيقول : وإذا تقابلت الرياح أوان الشتاء ، ووقت الجذب والإمحال ، حَتَّى زَعَزَعَتْ جَوَانِبَ الْبَيْتِ الْعَظِيمِ

(١) بعده عند التبريزي :

يُخْرِجُنْ مِنْ خَلَلِ الْغَبَا رِ يَجْفَنَ بِالنَّعْمِ الْكَثِيرِ

أَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنْ أَوْلَى ثَمَكَ وَالْفَوَائِحِ بِالْعَبِيرِ

وقال : « يقال وجف يجف ، إذا أسرع ، وجيفا . وأوجف إجمافا كذلك » .

(٢) نص التبريزي : « وليس في المختار ، وهو يروى بعد قوله : يخرجني » .

الكسور والأركان ، ألفتني هكذا . ويُقال بَيْتٌ كَسِيرٌ إذا كان عَظِيمَ الكِسْرِ ، كما يُقال رَجُلٌ جَسِيمٌ بَدِينٌ ، إذا كان عَظِيمَ الجِسْمِ والبَدَنِ . وكَسْرُ البَيْتِ وكِسْرُهُ بالفتحِ والكَسْرِ : جانبُهُ . وتفسير الكِسْرِ على هذا أبلغ وأحْسَنُ من أن يُجعل في معنى المَهْدَمِ والمكسور . وعلى ما به فقد يُفسَّرُ عليه . وقوله « أَلْفَيْتَنِي » جوابُ إذا . يَقُولُ : تَجِدُنِي في ذلك الوقت خفيفَ اليدِ بِمَسْحِ القِدَاحِ ، وعند حُضُورِ الأيسارِ ، نَشِيطاً في إجالَتِها ، حريصاً على فوزِها وتحْمَلِ الكَلْفِ في إدارَتِها . رَقُولُهُ « أَوْشَجِيرِي » الشَّجِيرِ : الغريب . ويقال : نَزَلَ بينهم شَجِيراً ، أي غريباً . وإنما يَعْنِي قِدْحاً يَتَبَرَّكُ بِهِ ، فيستعار من الغَيْرِ ، فإذا أَجَالَهُ الياسِرُ مع قِدَاحِهِ كان كالشَّجِيرِ فيما بينها والدَّخِيلِ . والهَشَّ : الخفيف . ويُقال استَهَشَّنِي الشَّيْءُ ، أي استَخَفَّنِي . ومنه : هَوَيْهَشُّ إلى إخوانه .

٩ - ولقد دَخَلْتُ على الفَتَاةِ الخِدْرَ في اليومِ المَطِيرِ

١٠ - الكاعِبِ الحَسَناءِ تَرُ فُلُ في الدَّمَقْسِ وفي الحَرِيرِ

ذكر أن أوقاته منقسمة^(١) بين الجدِّ والهزل ، وأمواله^(٢) متوزعة

بين لوازم الحقوق ، ولواحق الفضول ، فيقول : ولقد أعطيت الصَّبِيَّ حَقَّهُ ،

وأقتُ لاهوَى رَسَمَهُ ، وسَعَيْتُ في البَطَالَةِ أوقاتها ، وأعطيتُ الخسارَةَ مَقاوِدَها ،

فدخلتُ على الفتاةِ الخِدْرَةَ في أطيبِ أوقاتِ اللذَّةِ ، وهو ما أشار إليه بقوله

« في اليومِ المطيرِ » . ثُمَّ وَصَفَ الفتاةَ فقال : كانت ناهِدةَ الشَّدِيدِينَ ، حَسَنَةً

الخِلْقَةِ ، موفِّرةَ الحَظِّ من النِّعْمَةِ والنُّعْمَةِ ، فهي تتبختر في ملابس الحريرِ [المتلوثة

على أجناسها المختلفة . والدَّمَقْسُ : الحرير^(٣) الأبيض ، ولهذا قال امرؤ القيس :

(١) م : « مقنسة » .

(٢) كذا على الصواب في م . وفي الأصل : « وأقواله » .

(٣) هذه التكملة من م .

* وشَحْمٌ كَهُدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِّ (١) *

وإذا كان كذلك فقوله « وفي الحرير » ينصرف إلى سائر الألوان ، ويشتمل على جميع الأجناس ، فكأنه قال : ترُفُلٌ في أجناس الحرير ، الأبيض منها وغير الأبيض ، يُريدُ أن معارِضَها من تلك الأجناس .

١١ - فدَفَعْتُهَا فَتَدَاَفَعْتُ مَشَى القَطَاةِ إِلَى الغَدِيرِ

١٢ - وَلِثْمَتُهَا فَتَنْفَسْتُ كَتَنْفُسِ الظَّبِّيِ العَقِيرِ (٢)

قوله « فتدافعت » هو مطاوعة دافعت ، ومطاوعة دَفَعْتُ اندَفَعْتُ ، إلا أنه يوضع كلُّ موضعٍ صاحبه . فيقول : هزرتُها مُسَاعَدَتِي ، وَبَعَثْتُهَا لَتَسَعَى مَعِي ، فانبعثت وأسمحت وهي تمشي مَشَى القَطَاةِ إذا وَقَعَتْ على الغدير ، ومَشَتْ نحو الماء . وهذه المِشِيَّةُ فيما يقال أحسن المَشَى ، لأمْنِها وسرورِها بالورود ، وعُجْبِها بالخلاء . وانتَصَبَ « مَشَى » على أنه مَصْدَرٌ من غير لَفْظِهِ لأن معنى تدافعتْ مَشَتْ ، والقَصْدُ إلى التشبيه لأنَّ المعنى مَشَتْ مِشِيَّةً تُشَبِّهُ تلك المِشِيَّةَ . وسبويه يُضْمِرُ في مثل هذا الموضعِ فِعْلاً من لَفْظِ المَصْدَرِ إن وَجَدَهُ ، وإلا قَدَّرَهُ ، وَيَجْعَلُ الظاهر دليلاً عليه . وقوله « ولثمتها » (٣) يُريدُ : وَقَبَلْتُهَا فَتَنْفَسْتُ . ومنه اللثام ، لأنه في الفم كاللثام في الأنف . والمعنى أُنِي لِثْمَتُهَا فَدَحِقْتُهَا من ذلك تَعَبٌ ، فَتَنْفَسْتُ لَهُ تَنْفُسًا كَتَنْفُسِ الظَّبِّيِ إذا عَقِرَ . ويقال إنه في تلك الحالة يَتَنْفَسُ تَنْفُسًا ممتدًا طويلاً ؛ فَشَبَّهَ تَنْهَدَهَا بِهِ . ويروى : « كَتَنْفُسِ الظَّبِّيِ

(١) صدره : * فظل العذارى يرتعن بلحمها *

(٢) هذه رواية م . وهي ما يتساق مع التفسير التالي . وفي الأصل : « البهير » . وهي رواية كتلك . على أن الرواية التي اعتمدها التبريزي في من الحماصة : « الغريز » ونبه على الروايتين الآخرين ، فهن ثلاث روايات .

(٣) في الأصل : « فلثمتها » وهو مخالف لنص البيت . والوجه ما أثبتنا من م .

البَّهْرِ ، والمعنى قريبٌ ، لأنَّ البُّهْرَ : النَّفْسَ العَالِي . وفي طريقة قوله « ولثمتها فتنفست » قولُ طَرَفَةَ العَبْدِي^(١) :

تَحْسِبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةً يَا لِقَوْمٍ لِلشَّبَابِ المُسْبِكِرُ

لأنَّ المعنى في الموضعين التَّنبِيهُ على تنهاى الموصوف في النَّعْمَةِ والرِّقَّةِ .

١٣ - - فدانت وقالت يا مُنْخَلُ ما بِجَسْمِكَ مِنْ حَرُورِ^(٢)

١٤ - ما شَفَّ جَسْمِي غَيْرُ حُبِّكَ فَاهْدِي عَنِّي وَسِيرِي

١٥ - وأحبُّها وتُحِبُّني وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي^(٣)

(١) كذا جاءت نسبة طرفة في النسختين ، ولعله سهو ، فإن العروف في نسبة طرفة « البكري » لا « العبدى » . على أن الكلمة ساقطة من التيمورية .

(٢) التبريزي : « ويروى : من غرور ، وقيل هو قلة اللحم » .

(٣) روى التبريزي بعده خمسة أبيات ، ضمن تفسير الأول منها بيتا سادسا لم يرو في

الحماسة وهي :

١٦ - ولقد شربتُ من المدا مة بالصَّغِيرِ وبالكَبِيرِ

١٧ - فإذا انتشيتُ فإنَّني ربُّ الخورنقِ والسَّديرِ

١٨ - وإذا صحَّوتُ فإنَّني ربُّ الشَّويهةِ والبَعيرِ

١٩ - يا هَندُ مَنْ لَمْتِمِّمِ يا هَندُ للعانى الأَسيرِ

٢٠ - يعكفنَ مثل أساود ال تَنُومِ لم تُعكفَ بزورِ

وقال في تفسير البيت ١٦ : « يعنى بصغير ماله وكبيره ، ولم يرد إناء صغيرا وإناء كبيرا .

والذى يحقق هذا قوله :

وشربتُ بِالْخَيْلِ الإِنا ثِ وبالْمَطَّهَةِ الذُّكُورِ

وهذا مثل قول الآخر :

شربتُ بِقَسِراطِ وَأَسْكَرتُ صَحْبِي وَرَحمتُ ولى عِنْدَ التَّجَارِ حِسابِ

قيراط : اسم ناقته . وقيل : أراد بالصغير الدرهم ، وبالكبير الدينار .

ثم فسر البيت ١٩ بقوله : « هي هند بنت المنذر بن ماء السماء ، وهي عمه النعمان =

(٤ - حماسه - ثان)

قوله « فَدَنْتُ » أراد به دُنُوَّ الشَّفَقَةِ ، والتَّقَرُّبَ بِحَسَنِ العَطْفَةِ ، لا قُرْبَ المَسَافَةِ . والمعنى : تَأَمَّلْتُ تَغْيِيرَ لَوْنِي وَنُحُولِي ، فاعتقدتُ أَنَّهُ من مُلَازِمَةِ تَبَدُّلِ ، ومُقَاسَاةِ تَعْمَلِ ، فأَعَارَتْنِي شَفَقَتَهَا وَقَالَتْ : ما الذي بِجِسْمِكَ من حَرُورٍ ، أَى من أَثَرِ الحَرُورِ . وقد اِخْتَلَفَ في السَّمُومِ والحَرُورِ ، فمنهم من جَعَلَ السَّمُومَ بالنَّهارِ والحَرُورَ بالليلِ ، ومنهم من يقول على العَكْسِ مما ذَكَرْتُ . وقال الخليل : السَّمُومُ الرِّيحُ الحَارَّةُ ، لَيْثاً هَبَّتْ أو نَهَاراً . والحَرُورُ : حَرُّ الشَّمْسِ . وقوله « ما شَفَّ جِسْمِي » يقول : أَجَبَّتْهَا مُبْطِلاً اعتقادَها ، ومُكَذِّباً ظَنِّها ، وراجِعاً بالعتَبِ عليها ، وَقُلْتُ : ما أَنجَلَ جِسْمِي ولا أَثَرَ في لَوْنِي إلا حُبُّكَ ، فاسْكُنِي عَنِّي وسِيرِي . ومعنى سِيرِي هَوْنِي عليك الأَمْرَ . وعلى نَحْوِ من هذا يُحْمَلُ قولُ الله تعالى : ﴿ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا على آهَتِكُمْ ﴾ إِذْ لم يَكُنْ [ثُمَّ (١)] مَشَى ولا انْطَلَقَ . ويجوز أن يَكُونَ سِيرِي أَمْرًا بالسَّيْرِ ، فقد قال فيما تقدم :

== ابن المنذر ، وكان المنخل يتهم بالمتجرده امرأة النعمان ، وكانت فاجرة ، وكانت ولدت له غلامين يقال لهما ابنا المنخل . فذكر بعض من يحدث أن النعمان كان له يوم يركب فيه فيطيل ، وله إبان يعرف فيه بجيئه ، وأن المنخل كان يأتيها فيكون عندها حتى إذا جاء النعمان أخرجه ، فجاءها ذات يوم وقد ركب النعمان ، فلاعبته بقيد جعلته في رجله ورجلها ، فهما على حالهما تلك إذ دخل النعمان قبل إبانة الذي كان يجيء فيه ، فوجدهما على حالهما ، فأخذه فدفعه إلى عكب صاحب سجنه — رجل من لحم ، صاحب الفرات — ليعذبه .

وقال في تفسير البيت ٢٠ : « يقع في بعض النسخ . يجوز أن يكون في صفة النساء ، فيكون من قولهم . عكفت المرأة شعرها وعكفتها ، أى ألزمت بعضه بعضا وجعلته ضفائر . وإذا كان كذلك احتمل أساود التنوم وجهين : أحدهما أن يكون أراد هذا الشجر لأنه يسود كله ، والآخر يريد بالأساود جمع الأسود من الحيات ، لأن غدائر النساء تشبه بها . هذا إذا وقع هذا البيت عند وصفه النساء ، وإن وقع عند وصفه الخيل فعناه أن الخيل تجيء بالفوارس فكأنها تعكفها كعكف الشعر ، وهى يعنى مذكرات ، فهو محمول على الجماعات ، ويكون قد وصف الرجال بالأساود من الحيات ، لأن الرجل قد يوصف بأنه كالحية ، إذا كان شجاعا مخشى الشر » .

(١) هذه من م والتمورية .

فَدَفَعَتْهَا فَتَدَفَعَتْ مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ

وقوله : وأحبُّها وتُحِبُّني ، هو بيان تطاول الألفة بينهما ، وتواصل الصُّحبة في أيامهما ، حتى صارت لامتداد الملازمة كما حصل التحابُّ بينهما حصل التألف بين بعيريهما ، فإذا اتفق التباعدُ والافتراق ، وتسلطَّ على كلِّ واحدٍ منهما الاشتياق ، أقبل البعيران يتحابَّانِ ، ويتجادبان الوجدَ والنزاع كما يفعل المتحابان .

١٧٥

وقال باعث بن صريم^(١) :

١ - سَائِلٌ أَسِيدَ هَلْ تَأْرَتْ بُوَائِلِ أُمِّ هَلْ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ بَلْبَالِهَا

٢ - إِذْ أَرْسَلُونِي مَأْحًا بِدِلَالِهِمْ فَمَلَأْتُهَا عَلَقًا إِلَى إِسْبَالِهَا

أَسِيدُ أَرَادَ بِهِ قَبِيلَهُ^(٢) ، وَلِذَلِكَ مَنَعَهُ الصَّرْفُ . وَهَذَا الْإِسْتِشْهَادُ هُوَ تَصْوِيرٌ لِلْحَالِ ، وَتَطَرُّقٌ إِلَى الْإِخْبَارِ . وَإِنَّمَا يَفْتَخِرُ بِأَنَّهُ قَتَلَ قَاتِلَ وَائِلِ ، وَأَدْرَكَ ثَارَهُ ، لَمَّا اعْتَمَدَ فِي طَلَبِ دَمِهِ ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ إِدْرَاكَ شِفَاءِ النَّفْسِ مِنْ جِهَتِهِ وَبِهِ . وَالْبَلْبَالُ : الْحُزْنُ . وَقَوْلُهُ « أُمُّ هَلْ » الْإِسْتِفْهَامُ بِأُمِّ دُونَ هَلْ ، لِأَنَّ أُمَّ هَذِهِ هِيَ الْمَنْقُطَةُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ^(٣) الْعَاطِفَةَ ، لِأَنَّ تِلْكَ تَجِبُ عَدِيْلَةَ الْأَلْفِ . وَقَوْلُهُ « شَفَيْتُ النَّفْسَ » يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْكَثْرَةَ وَالْجِنْسَ ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّهُ شَفَى الْمُتَوَرِّينَ فِيهِ ، وَأَزَالَ مَا خَامَرَهُمْ مِنْ لَذَعِ الْمَصِيبَةِ ، وَالْمُفْجِيعَةِ . وَقَوْلُهُ « إِذْ أَرْسَلُونِي » إِذْ ظَرَفُ لِقَوْلِهِ تَأْرَتْ ،

(١) شاعر جاهلي ، ساق التبريزي نسبة : باعث بن صريم بن أسد بن تميم بن ثعلبة بن غبر ابن حبيب بن كعب بن يشكر . وانظر ما سيأتي من خبره في الشرح .
(٢) هم أسيد بن عمرو بن تميم . الاشتقاق ١٢٣ والمعارف ٣٧ ومختلف القبائل ومؤلفها ٤٥ .
(٣) كذا بالياء في النسخ بالنظر إلى الحرف . ونحوه كثير في كلام المرزوقي .

أو لقوله شَفِيَتْ . والمأخ : الذي يدخل البئر فيملاً الدلّو عند قلة الماء فيها ،
والحاجة إلى الغرف من قعرها . وإنما جعل نفسه مأخاً لينبّه على أن طلب دم
الواترين كان متمسراً متعذراً ، كما أن الاستقاء على الوجه الذي ذكره يكون
شاقاً متعباً . فهذا وجه عدوله عن المتح إلى الميخ . وقوله « فلأنها علّقا إلى
أسبالها » ، انتصب علّقا على التمييز . وأسبالها : أعاليها ، ومثله (١) الأضبار ،
وسبلة الرجل منه . واختار بعضهم أن يرويه « إلى إسبالها » بكسر الههزة ،
مصدر أسبل ، وليس بشيء . والمعنى : ملأت دلاءهم من دم واتريهم (٢) . وجعل (٣)
لهم دلاء لا شتراكهم في الدم وطلبه ، ولنبيأبته عن كل أوليائه . ولما استعار
الدلاء والميخ لما ذكرته كنى عن فعله وتصرفه بالملء .

وذكر بعضهم أن وائلا المقتول هو وائل بن صريم الغبري أخو باعث
الشاعر ، وله قصة . وهى أن عمرو بن هند بعثه ساعياً على بنى تميم ، فكان
جالساً على شفير بئر يجمع الصدقات (٤) ، فذفعوا في صدره وأسقطوه في البئر ،
ثم رجموه بالحجارة حتى قتلوه ، وأخذوا يرتجزون على طريق التهكم والاستهزاء :
* يأيها المأخ دلوى دونكا (٥) *

فاتصل خبره بأخيه باعث ، فسار في بنى غير وآلى أنه لا يمسيك عن
مقاتلتهم حتى يملأ دلوا من دماء بنى تميم ! ففعل (٦) ، حتى كانت المرأة تقول :

(١) فى الأصل والتمورية : « ومنه » ، صوابه فى م .

(٢) م : « واترهم » .

(٣) هذا الصواب من م . وفى الأصل : « وجعلت » .

(٤) كذا فى م والتمورية . وفى الأصل : « لجمع الصدقات » .

(٥) البيت من شواهد الحزاة (٣ : ١٥ - ١٨) . وروى البغدادى عن

ابن السجرى فى أماليه أن الرجز لرؤية . وبعده :

* لى رأيت الناس يحمى ونكا *

(٦) التبريزى : « فقتل ثمانين رجلا وأسر جماعة وقتل رجلا منهم يقال له قامة فذبحه ،

حتى ألقى دلوه فخرجت ملأى دما » .

« تَعَسَّتْ غُبْرٌ ، وَلَا سُقِّمَتِ الْمَطَرُ ، وَلَا لُقِّمَتِ الظَّفَرُ ^(١) » . قال : فهذا معنى « إِذْ أَرْسَلُونِي مَا مَحَا بَدَلَانَهُمْ » ، وهذا حَسَنٌ ، والأوَّلُ محمولٌ على طُرُقِهِمْ وعاداتِهِمْ . ومثله قول الآخر :

مَخَضْتُ بِدَلْوِهِ حَتَّى تَحَسَّى ذُنُوبَ الشَّرِّ مَلَأَى أَوْ قُرَابَا

٣- إِنْ نِي وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ مَسْكَانَهَا وَالْبَدْرَ لَيْلَةَ نِصْفِهَا وَهَالِهَا
٤- آيَتُ أَثَقُّ مِنْهُمْ ذَا الْحَيَّةِ أبدأ فتنظرُ عَيْنُهُ فِي مَالِهَا

أَقْسَمَ بِمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ ، وهو الله هزَّ وجلَّ . ومعنى سَمَكَ رَفَعَ ، ومنه سُمِّيَ عُمُودُ الْبَيْتِ الْمِسْمَاكَ . وجواب القَسَمِ فِي آيَتُ أَثَقُّ ، وهو خَبْرٌ إِنْ أَيْضًا . وقوله « لَيْلَةَ نِصْفِهَا » أَضَافَ النِّصْفَ إِلَى السَّمَاءِ لَمَّا كَانَ اسْتِكْمَالُ الْبَدْرِ عِنْدَ انْتِصَافِ الشَّهْرِ فِي السَّمَاءِ ، فَاجْتَمَعَا فِي ظُهُورِ الْبَدْرِ كَامِلًا فِي السَّمَاءِ سَاغَتْ الْإِضَافَةُ بَيْنَهُمَا ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ لِأَدْنَى مَنَاسِبَةٍ تَحْصُلُ بَيْنَهُمَا . وَعَلَى هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ :

* ضَوْءٌ بَرَقَ وَوَابِلَةٌ *

إِذْ كَانَ أَضَافَ الْوَابِلِ إِلَى الْبَرَقِ لِاصْطِحَابِهِمَا . وَأَبْعَدُ مِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ :
نَحْنُ صَبَّحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا عَشِيَّةَ الْهَلَالِ أَوْ سِرَارِهَا ^(٢)
وَأَضَافَ السَّرَّارَ إِلَى الْعَشِيَّةِ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ اسْتِسْرَارَ الْقَمَرِ فِي الْعَشِيَّاتِ ، كَمَا أَنَّ طُلُوعَهُ فِيهَا . وَعَلَى هَذَا الْكَلَامِ فِي إِضَافَةِ قَوْلِهِ « وَهَالِهَا » وَإِنْ كَانَ إِضَافَةُ الْهَلَالِ إِلَى السَّمَاءِ أَبْيَنَ أَمْرًا ، وَأَقْرَبَ مُتَّصُورًا . فَالْتَقْدِيرُ لَيْلَةَ كَالِهِ فِي نِصْفِ الشَّهْرِ ، وَلَيْلَهُ إِهَالِهِ . وَ« مَسْكَانَهَا » انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ ، وَالْمَعْنَى حَلَفْتُ بِاللَّهِ

(١) بعده عند التبريزي : « وعدمت النقر » .

(٢) بين الشطرين في المقاييس (سر) واللسان (سرر) :

* جردا تعادى طرفي نهارها *

الذي رفع السماء في مكانها بلا عمد - وجعل البدر فيها كاملاً عند انتصاف الشهر ، وهلالاً عند أوله في ليلتيهما - إني لا أثقف من هؤلاء القوم ملتجياً أبداً ناظراً عينه في ماله ، وراجعاً من مقصده إلى أهله وداره . أرى إذا ثقفته قتلتُه حتى لم تنظر عينه في ماله ، ولم يستقر بعده في داره وقراره . وقوله « أثقف » هو الجواب ، وحذف معه لا لأنه أمن التباسه بالواجب ، إذ لو أراد الواجب لقال لأثقفن ، فلما كانت صيغة الواجب بما يلزمها من اللام وإحدى النونين الثقيلة أو الخفيفة لم يبال بحذف حرف النفي . ومثله قول الآخر (١) :

فقلت يمينُ الله أبرحُ قاعداً وإن ضربوا (٢)

لأن المراد لا أبرح . فإن قيل : إذا كان القسم يتناول ما ذكرت من قوله لا أثقف فما معنى قوله آليت ؟ وهل يصح أن يقال إني حلفت والله لا أفعل كذا ؟ قلت إن قوله آليت دخل مؤكداً للقسم على أحد وجهين : (أحدهما) أنه لما تطاول الكلام باليمين وبعد ما بين إن وخبره ذكر آليت ، ثم أتى بما هو الجواب ، ليكون كالمعيد لليمين ، والمجدد لما خاف من دروس رسيها . و (الثاني) أنه لما كان آليت لو اكتفى به مغنياً عن ذكر القسم به صار كتكرار اليمين ، فجري مجرى قوله [لو قال (٣)] والله والله ، وما أشبهه . فأما قوله « فتتنظر عينه في ماله » فلنظفه لفظ الجواب ، والمعنى معنى الحال ، والصفة للنكرة التي قبله ، كأنه قال : لا أظفر أبداً بذي لحية إلا لم تنظر عينه في ماله . ومثله من أبيات الكتاب (٤) قول الفرزدق :

(١) هو امرؤ القيس . ديوانه ٥٨ .

(٢) وإن ضربوا ، لم ترد في م . والمشهور في رواية العجز :

* ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي *

(٣) هذه من م .

(٤) كتاب سيبويه (١ : ٤٢٠) والخزاعة (٣ : ٦٠٧) .

وما قامَ مِنَّا قائمٌ في ندينا فينطقُ إلا بالذي هو أعرفُ
 لأنَّ المعنى ناطقاً . فإن قيل : هل يجوز أن يكون جواباً ؟ قلت لا ، وذلك
 أن المعنى يفسدُ وينعكسُ ، لأنَّ التقدير حينئذٍ يكون لا أتعفه ، فكيف ينظرُ ؟
 أي لو تعفته لنظر ، لأنَّ في وجهِ الجواب يتعلَّقُ وقوعُ الثاني بوقوعِ الأول ،
 ويمتنع بامتناعه ، وفي هذا خروجٌ عما يقصده المتكلم . ومثله في باب الواو :
 لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله [عارٌ عليك إذا فعلت عظيم ^(١)]
 لأنَّ المعنى آتياً مثله .

٥ - وخمارٍ غانيةٍ عقدتُ برأسها أصلاً وكان مُنشرًا بشمالها ^(٢)

تبجَّح في هذا البيت بأنه يغيث المذعورين فيؤمِّنهم . والغانية : التي تستغني
 بجاليها عن الخلى ، وقد مضى القولُ مُستقصى فيه . ومعنى البيت : رُبَّ امرأةٍ
 تبرَّجت مبرزةً من خدرها حاسرة الرأس ، مطارة القناع ، منشورة الخمار ،
 لما استولى عليها من الخوف ، وامتدكها من الرؤع والغارة الطالعة ، والخيل
 العادية ، حتى كأنَّ خمارها طولَ نهارها منشورٌ على شمالها ، وهي لا تشعرُ أنني
 أنا آمنُّها وحفظتُ عليها صيانةً نفسها ^(٣) ، رددت إليها عازبَ عقلها حتى
 اختمرت وأمنت ما كانت تقلقُ لها ، وسرت وجهها . وإنما قال أصلاً ، لأنَّ
 الغارة كأنها وقعتُ أولَ النهار ، ولحوقه للإغانة والتدارك بعقبها ، فحصل الأمن
 عشيَّة . وفي طريقته لعنزة :

- (١) التكملة من م . والبيت لأبي الأسود الدؤلي . انظر شرح شواهد الغنى ١٩٤ .
 ويروى بعض أبيات القصيدة للمتوكل الليثي . حماسة البحري ١٧٣ .
 (٢) التبريزي : « يقول : لأنها سبيت فلحقها عشيا بعد أن يئست لأن الغارة تكون
 بالعداء ، فلما رأته اطمأنت فلائت خمارها برأسها . ومعلوم أن باعثاً لم يل عقد الخمار ، وإنما كان
 السبب في أن عقدت المرأة » .
 (٣) م والتمورية : « وأذكرتها صيانة نفسها » .

ومُرْقِصَةٍ دَفَعْتُ الْخَيْلَ عَنْهَا وَقَدْ هَمَّتْ بِالْقَاءِ الزَّمَامِ (١)
 ٦ — وَعَقِيلَةٌ يَسْعَى عَلَيْهَا قِيمٌ مُتَغَطَّرِسٌ أَبْدَيْتُ عَنْ خَلْخَالِهَا
 لما قَدَّم في البيت الأول ما قَدَّم أتى في الثاني بما يُضادُّه ، لِيُرَى أَنَّهُ كما يَدْفَعُ
 الشَّرَّ والبَلَاءَ يوقِعُهُ أَيضاً ، حَتَّى يَكُونُ جَامِعاً لِلضَّرِّ والنَّفْعِ ، كافيّاً في الدَّفَاعِ
 والوِقَاعِ ، فيقولُ : ورُبَّ كريمةٍ حَيٍّ ، بَعْلُهَا أَوْ ذُو مَحْرَمِهَا القَائِمُ بِأَمْرِهَا مُتَكَبِّرٌ
 أَنْفٌ ، يَرَى صِيانَتَهَا عن التَّكْشِفِ دِيناً ، وَحِفْظَهَا عن التَّبَدُّلِ كَرَمًا ،
 أَنَا أَخْرَجْتُهَا من خَدْرِهَا ، وَأَخْوَجْتُهَا إلى العَدُوِّ وَطَلَبِ التَّمَلُّسِ (٢) مُشْمَرَةً عن
 ساقِهَا ، مُبْدِيَةً خَلْخَالَهَا ، مُذِيَلَةً مَصُونَهَا . أَي كما آمَنْتُ خَوْفَتُ ، وَكَمَا
 سَكَنْتُ أَفْلَقْتُ .

٧ — وَكَتِيبَةٌ سَفِجُ الوُجُوهِ بِوَاسِلِ كَالْأَسَدِ حِينَ تَذُبُّ عَنْ أَشْبَالِهَا

٨ — قَدْ قُدَّتْ أَوَّلَ عُنْفُوَانٍ رَعِيْلِهَا فَلَفَفْتُهَا بِكَتِيبَةٍ أَمْثَالِهَا

يَذُكَّرُ أَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الجَيْشِينَ العَظِيمِينَ مَدْبِرًا لَهُمَا ، وَمُرْسَلًا أَحَدَهُمَا على
 الآخَرَ ، وَأَنَّهُ على ذاك يَكُونُ المَتَقَدِّمُ والمُشَاهِدُ ، والمُرْتَبِّ والمُصَادِمُ . فيقولُ : رَبُّ
 كَتِيبَةٍ قَدْ تَعَوَّدَتِ العَارَاتِ والصَّبْرَ على الإِبْعَادِ فِيهَا ، فَاسْوَدَّتْ أَلْوَانُهَا بما تَقاسِيهِ
 مِنَ التَّعَبِ ، وَتُدِيمُ لُبْسَهُ مِنَ الأَسْلِحَةِ ، وَكأنَّهَا في بَأْسِهَا وَنَجْدَتِهَا ، وَمَا تَأْوِي
 إِلَيْهِ من قُوَّيْهَا وَشِدَّتِهَا ، الأَسَدُ إِذَا ذَبَّتْ عن جِرَائِهَا ، وَدَفَعَتْ عن خَيْسِهَا (٣) ،
 أَنَا قُدَّتْ أَوَائِلُهَا فَخَلَطْتُهَا بِأَمْثَالِهَا ، وَقَابَلْتُهَا بِنظائِرِهَا من أُولَى العَدَدِ والعُدَّةِ ،
 وَالجَلْدِ والشَّدَّةِ . فَإِن قِيلَ : لِمَ قَالَ « أَوَّلَ عُنْفُوَانٍ رَعِيْلِهَا » وَالْعُنْفُوَانُ هُوَ

(١) هذا ما في م والتميمورية . وفي الأصل : « ومرفضة » .

(٢) هذا الصواب من التميمورية . والتلمس : التملص والتلفت . وفي الأصل : « التماسر »

وفي م : « التلمس » كلاهما محرف .

(٣) الخيس ، بكسر الخاء : أجمة الأسد . وهذا الصواب من التميمورية . وفي الأصل

وم : « جنسها » .

الأول ، على ذلك قولهم فَعَلْتُ كَذَا فِي عُنْفُونَ الشَّبَابِ ؟ قلتَ : كأنَّهُ أرادَ قَدْتُ سَوَابِقَ أَوَائِلِهَا ؛ فأضَافَ الأَوَّلَ إلى العُنْفُونَ لذلك . وكما قَاد الأَوَائِلَ والسَّوَابِقَ فقد قَاد الأَوَاخِرَ والأَوَاحِقَ ، ولكن جَعَلَ القَوْدَ إِمْنًا وَلِيَهُ ، وجَعَلَ ما بَعْدَهُم كالتَّابِعِ . يُرِيدُ أَنَّهُ تَقَدَّمَ وَوَطِئَ عَقِبَهُ الأَعْيَانُ والأَفْرَادُ ، ثم احْتَفَّ بِهِم غيرهم . وحقِيقَةُ العُنْفُونَ اعْتَنَفْتُ الشَّيْءَ ، أي اسْتَأْنَفْتُهُ . والرَّعِيلُ مِنَ الخَيْلِ والرِّمَاحُ : أَوَائِلُهَا . وَقَوْلُهُ « بَكْتِيْبِيَّةٌ أَمْثَالِهَا » ، لَوْ قَالَ مِثْلِهَا لجاز ، ولكنَّهُ جَمَعَ على مَعْنَى طَوَائِفِ الكَتِيْبِيَّةِ ، لاختلافها .

١٧٦

وقال الفندُ الزماني (١) :

- ١ - يا طَعْنَةَ ما شَيْخٍ كَبِيرٍ يَفْنِ بِالِ
٢ - تُقِيمُ المَأْتَمَ الأَعْلَى على جُهْدٍ وإِعْوَالِ

ما مِنْ قَوْلِهِ « ما شَيْخٍ » زائِدَةٌ ، أرادَ طَعْنَةَ شَيْخٍ ، وهذا اللَّفْظُ لفظُ النِّداءِ ، والمعْنَى معْنَى التَّعْجُبِ والتَّفْخِيمِ ، كأنَّهُ أرادَ : ما أَهْوَلُها مِنْ طَعْنَةٍ ، وياها مِنْ طَعْنَةٍ بَدَّرَتْ مِنْ شَيْخٍ كَبِيرِ السِّنِّ ، فإِنِ القَوِيُّ ، بِإِلَى الجِسْمِ . واليَفْنُ : الشَّيْخُ الهَرِمُ . [قال الأَعْشى (٢)] :

وما إنْ أَرى المَوْتَ فِما خَلا يُغادِرُ مِنْ شارِحٍ أو يَفْنُ
ويجوزُ في قَوْلِهِ يا طَعْنَةَ ما شَيْخٍ ، أنْ يَكُونَ المُنَادَى مَحذُوفًا ، فيَكُونُ التَّنْبِيهُ بِـ « يا » مَتناوِلاً غيرَ الطَّعْنَةِ ، وَينتصبُ على هذا طَعْنَةَ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ ، كأنَّهُ أرادَ : يا قَوْمِ أَذْ كَرُّ طَعْنَةَ شَيْخٍ . كما قال :

(١) سبقت ترجمته في الحماسية الثانية بالقسم الأول .

(٢) التكملة من م والتميمورية .

فياشاعِرًا لا شاعِرَ اليَوْمَ مِثْلُهُ جَرِيرٌ وَلَكِنْ فِي كَلَيْبٍ تَوَاضَعُ^(١)
 وَقَوْلُهُ « تَقِيْمُ الْمَأْتَمَ الْأَعْلَى » مِنْ وَصْفِ الطَّعْنَةِ ، فَكَأَنَّهُ كَانَ تَنَاوَلَ بِهَا
 رَيْسًا ، فَذَلِكَ وَصَفَ الْمَأْتَمَ بِالْأَعْلَى . وَالْمَأْتَمُ أَصْلُهُ أَنْ يَقَعَ عَلَى النِّسَاءِ يَجْتَمِعُنَ
 فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْأَتَمِّ ، وَهُوَ الضَّمُّ وَالْجَمْعُ ، وَمِنْهُ الْأَتُومُ وَهِيَ
 [الْمَرْأَةُ^(٢)] الَّتِي صَارَ مَسَلَكُهَا مَسَلَكًا وَاحِدًا ، وَأَرَادَ بِالْمَأْتَمِ هُنَا الْاجْتِمَاعَ
 لِلرَّزِيئَةِ ، وَهُوَ بِنَيْتِهِ مَصْدَرٌ وَصِفَ بِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ أَهْلُ الْمَأْتَمِ ،
 فَحُذِفَ الْمُضَافُ كَمَا يُقَالُ جَاءَ الْمَجْلِسُ ، وَالْمُرَادُ أَهْلُ الْمَجْلِسِ . وَقَوْلُهُ « الْأَعْلَى »
 يُرَادُ بِهِ الْأَفْطَحُ شَانًا . وَوَصَفَ الطَّعْنَةَ بِأَنَّهَا تَقِيْمُ الْجَمْعَ عَلَى مُجَاهَدَةٍ وَبَلَاءٍ ،
 وَإِسْرَافٍ فِي الصِّيَاحِ وَالْعَوَاءِ ، أَيْ تُدِيْمُ ذَلِكَ لَهُ . وَالْعَوِيْلُ وَالْعَوَلَةُ :
 صَوْتُ الصَّدْرِ .

٣ - وَلَوْلَا نَبْلٌ عَوْضٍ فِي خُضْمَاتِي وَأَوْصَالِي^(٣)

٤ - لَطَاعَنْتُ صُدُورَ الْخَيْلِ طَعْنًا لَيْسَ بِالْأَلَى

يَعْتَدِرُ مِنْ رِضَا نَفْسِهِ بِتِلْكَ الطَّعْنَةِ الْوَاحِدَةِ . وَعَوْضٌ اسْمٌ لِلدَّهْرِ مَعْرِفَةٌ
 مَبْنِيٌّ ، وَكَأَيْدِي عَلَى الْفَتْحِ فَقَدْ يُبْنَى عَلَى الضَّمِّ ، وَالضَّمُّ فِيهِ حِكَاةُ الْكُوفِيَّوْنَ^(٤) .
 وَيُقَالُ لَا أَفْعَلُهُ عَوْضَ الْعَائِضِينَ . وَإِنَّمَا بُنِيَ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْأَلْفِ وَاللَّامِ .
 وَالْخُضْمَةُ : مَا غَلِظَ مِنَ السَّاعِدِ وَالذَّرَّاعِ ، وَيُبَدَّلُ مِنْ مِيمِهِ الْبَاءُ ، فَيُقَالُ خُضْبَةٌ .
 وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْبَيْتُ ، وَهُوَ :

(١) الْبَيْتُ لِلصَّلْتَانِ الْعَبْدِيِّ . انظُرِ الْخِزَانَةَ (١ : ٣٠٤ - ٣٠٨) .

(٢) هَذِهِ مِنْ مٍ وَالتَّيْمُورِيَّةِ .

(٣) وَقَعَ فِي مَتْنِ التَّبْرِيزِيِّ : « فِي حَظْبَايَ » لِسُكْنِهِ فِي التَّفْسِيرِ يَفْسَرُ « خُضْمَاتِي »
 ثُمَّ يَعْقِبُ عَلَى ذَلِكَ بِالتَّنْبِيهِ عَلَى رِوَايَةِ « حَظْبَايَ » . التَّبْرِيزِيُّ : « وَقَوْلُهُ حَظْبَايَ ، أَيْ جِسْمِي .
 وَيُقَالُ لِنِ الْخُطْبِيِّ عَرَقَ فِي الظَّهْرِ » .

(٤) وَيُرْوَى بِالْكَسْرِ أَيْضًا كَمَا فِي اللِّسَانِ . وَكَلِمَةُ « عَوْضٌ » فِي مَتْنِ الْبَيْتِ ضَبَطَتْ فِي
 الْأَصْلِ وَالتَّيْمُورِيَّةِ بِالْفَتْحِ ، وَبِكَسْرَيْنِ تَغْيِيرًا لِأَجْلِ الشَّعْرِ فِي مٍ . وَالْفَتْحُ أَعْلَى لُغَةٍ فِي اللِّغَاتِ الثَّلَاثِ .

يُذِرِي بِأَرْعَاشِ يَمِينِ الْمُؤْتَلِي خُضْمَةَ الذَّرَاعِ هَذَا الْمُخْتَلِي^(١)
بالميم من « خُضْمَةٌ » والباء جميعاً . ويعنى بذئبل الدهر تأثيره في مفاصل
الشيوخ . وعلى هذا قول الآخر :

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ بَمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ^(٢)
ومعنى البيت الأول : لولا رَمَيَاتُ الدهر في مفاصلي ومجاميع أعضائي ،
وَمُسْتَغْلَظِ عَضُدِي وَذِرَاعِي ، لكان تأثيري وبلأني في الحرب أكثر مما كان ،
وَلَشَفَعْتُ تِلْكَ الطَّعْنََةَ وَلَمْ أَنْرُكْهَا وَتَرًّا . وقوله « لَطَاعَنْتُ صُدُورَ الْخَيْلِ »
أراد بالخيل الفُرسان . أي لولا ما قَدَّمْتُ من العُدْرِ لِدَافَعْتُ بِالطَّعْنِ أَوَائِلَ الْخَيْلِ ،
طعنًا لا تقصير فيه ولا قصور . وَخَصَّ الْأَوَائِلَ مِنْهُمْ لِتَقَدُّمِهِ . ويجوز أن يُرِيدَ
بالصدور الرؤساء والأكابر . وهم يتبجحون بمجازبة العلية . ألا ترى
قول الآخر^(٣) :

مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا
وكما استعملوا الصُّدُورَ فِي الْأَمَائِلِ وَالْحِجَلَةَ اسْتَعْمَلُوا فِي الْأَرَاذِلِ وَالسَّفَلَةَ
الْأَعْجَازَ . وهذا كما قالوا : الرُّءُوسُ وَالْأَذْنَابُ ، وكما قال :

* وَمَنْ يُسَوِّي بَأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا^(٤) *

(١) للعجاج في ديوانه ٥٢ - ٥٣ واللسان (خضم) . والهد : سرعة القطع . وفي
النسختين واللسان : « هذا » ، صوابه في الديوان والتميمورية . وفي اللسان : « المختلا » تحريف .
(٢) البيت لعمر بن قيس . المعمرين ٦٢ ، ٨٩ ومعجم الرزباني ٢٠٠ والخزاة
(١ : ٣٣٨) . والمقاييس (٢ : ٣٠٦) . وفي الأصل : « ويمشى بات » ، صوابه
في م والتميمورية والمراجع السابقة :

(٣) هو بشامة بن حزن . انظر الحماسية ١٣٤ .

(٤) البيت من مشهور شعر الحطيئة . صدره :

* قوم هم الأنف والأذنان غيرهم *

ويقال: أَلَوْتُ فى الأمرِ آلو ، أى قَصَّرْتُ . وجَعَلَ التَّقْصِيرَ لِلطَّعْنِ على المَجَازِ .

٥ - تَرَى الخَيْلَ على آثَارِ مُهْرِي فى السَّنَا العالى^(١)

٦ - ولا تُتَبِّقِي صُرُوفُ الدَّهْرِ إنساناً على حالِ

قوله « على آثار مهري » موضعه نصبٌ على الحال ، والمعنى : تابعين لى . و « فى السنّا » فى موضع المفعول الثانى لِتَرَى ، ومعنى فى السنّا قال بعضهم : النُّورُ العالى : يُرِيدُ به بريقَ السَّلاحِ ، كأنهم يقدّمونه ويَتَّقُونَ به . وهذا معنى ، وأجودُ منه وأعلى أن يكون المعنى : تَرَى الفُرسانَ إذا تَبِعَتْ أثرِي ووطئت عَقِي ، فى مَجْدِ عالٍ قاهرٍ ، له نورٌ يستضاء به . ويكون هذا فى طريقة بيت الأَعشى :

* كلٌّ سَيَرَضَى بأن يُلقَى له تَبَعاً^(٢) *

وشرّحهُ بأنهم يَرَضُونَ برياستى عليهم ، وَيَعُدُّون اتِّباعَهُم لمراسمى ، واحتذاءهم لآثارى مما يَعْلُو به سَنَاهُم ، وَيَسْمُو به عُلَاهُم . وقوله « ولا تُتَبِّقِي صُرُوفُ الدَّهْرِ » تَسْلِيَةٌ لِنَفْسِهِ فيما صار إليه من ضَعْفٍ بعد قُوَّةٍ ، وَهَرَمٍ بعد شَبَابَةٍ ، حتى رَضِيَ بأذنى المزلتَيْنِ فى مُمارَسَةِ الحربِ ، ووقفَ عند أَقْصَرِ السَّعِيَيْنِ فى مُلابَسَةِ الضَّرْبِ والطَّعْنِ . وقوله « على حالِ » فى موضع الصِّفَةِ لإنساناً ، وتعلّق على بِمُضْمَرٍ ، كأنه قال : لا تُتَبِّقِي حواديثُ الدَّهْرِ إنساناً قائماً ، أو ثابتاً على حالٍ ، بل تُبَدِّلُ وتُحوِّلُ ، وكما تُعْطِي تَرْتَجِعُ .

(١) التبريزى : « ويروى : فى الثبا العالى . والأصل العالوية ، ولكن ذكره على اللفظ لأن ثبامثل زلم ، وهى جمع ثبة وهى الجماعة . وقال بعضهم : الثبا ها هنا : مجالس الأشراف » .
(٢) صدره فى ديوان الأَعشى ٨٦ :

٧ — تَفَتَّيْتُ بِهَا إِذْ كَرِهَ الشُّكَّةَ أَمْثَالِي^(١)

٨ — كَجَيْبِ الدَّفْنِسِ الْوَرْهَاءِ رِيَعَتْ بَعْدَ إِجْفَالِ

الشُّكَّةُ : ما يُلْبَسُ من السِّلَاحِ ، وقد شَكَ الرَّجُلُ في السِّلَاحِ ، إذا لَبِسَهُ
يَشْكُ شَكًّا ، وهو شَاكٌ . يقول : تَكَلَّفْتُ بِهَذِهِ الطَّعْنَةَ وإِحْدَائِهَا فَعَلَّ الْفِتْيَانِ
وَأَبْلَيْتُ بِهَا بِلَاءَ الشُّبَّانِ ، في وَقْتٍ يَكْرَهُ فِيهِ حَمْلَ السِّلَاحِ أَمْثَالِي من الرِّجَالِ
الشُّيُوخِ ، فكيف استعمالُهَا . ومِثْلُ تَفَتَّيْتُ : تَشَجَّعْتُ وَتَكَيَّسْتُ . وقوله
« كَجَيْبِ الدَّفْنِسِ » شَبَّهَ اتِّسَاعَ الطَّعْنَةِ وَسُرْعَةَ خُرُوجِ الدَّمِ مِنْهَا بِاتِّسَاعِ جَيْبِ
المرأة الحَمَاءِ ، وَنَزْوِهَا في رَوْعِهَا ، واضطرابِهَا في متخَرِّقِ قَمِيصِهَا . والدَّفْنِسُ :
الحَمَاءُ . والورْهَاءُ : المتساقِطَةُ العَقْلِ ، الضعيفة التَّمَّاسِكِ ، ومعنى رِيَعَتْ أَفْرَعَتْ
بَعْدَ استعجالِ في العَدْوِ ، وإسراعِ في السَّعْيِ . وَخَصَّ جَيْبَ الْوَرْهَاءِ لِأَنَّ
عَادَةَ مِثْلِهَا أَنْ تُخْرِجَ الْيَدَ مِنْهُ ، فيَتَسَعَّ [خَرْقُهُ]^(٢) . وجَعَلَهَا مَرْوَعَةً لِتَنْدَفِيعِ
في الإِجْفَالِ وَتَنْزَوِ . والإِجْفَالُ والجِئْفَالُ واحِدٌ ، وكلُّ هَارِبٍ من شَيْءٍ مُسْرِعٍ
مُجْفِلٌ وَجَافِلٌ . ومنه جَاءَ جُمَالَةٌ من النَّاسِ ، أى جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مُسْرِعَةٌ .
ويُشَبَّهُ هَذَا قَوْلَ الْآخِرِ^(٣) :

مُسْتَنَّةٌ سَنَّ الْفَلُوَّ مَرِشَّةً تَنْفِي التُّرَابَ بِقَاحِزِ مُعْرَورِفٍ^(٤)

لأنَّ نَزْوِ الدَّمِ من الطَّعْنَةِ شَبَّهَهُ هَذَا بِنَزْوِ المَهْرِ واستِنَانِهِ ، كما شَبَّهَهُ ذَلِكَ

(١) التبريزى : « وىروى : الشكة — أى بالفتح — وعنى بها طعنة انتظم بها رجلين على فرس فى حرب البسوس » .

(٢) التكملة من م والتمورية .

(٣) هو أبو كبير الهذلى . ديوان الهذليين (٢ : ١١٠) واللسان ، « رشش ،

قجز ، عرف » .

(٤) فى الأصل : « مغرورق » ، صوابه فى م والتمورية والمراجع السابقة .

بِعَدُوِّ الْجَمُونَةِ عَنْ ذُعْرِ . وَقَدْ سَلَكَ آخِرُ هَذَا الْمَسَلِكِ فَقَالَ فِي مَعْنَى هَذَا وَلَفْظُهُ :
 كَجَيْبِ الدَّفْنِسِ الْوَرْهَاءِ رَيْعَتٌ وَهِيَ تَسْتَفْلِي (١)
 وَمَعْنَى تَسْتَفْلِي تَطْلُبُ فَلْيَ شَعْرَهَا ، وَقَدْ أَخْرَجَتْ يَدَهَا مِنْ جَيْبِهَا فَذُعِرَتْ
 فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ، فَلَمْ تَصْبِرْ لَتَرْدِ الْيَدِ إِلَى جَوْفِهَا ، وَلَمْ تَرْتَفُقْ بِجَيْبِهَا فَرَفَقَتْهُ
 وَوَسَّعَتْهُ . وَهَذَا كَأَنَّهُ لَمَّا قَصَدَ بَيَانَ سَعَةِ الطَّعْنَةِ جَعَلَ التَّشْبِيهَ بِالْجَيْبِ فِي حَالَةِ
 إِخْرَاجِ الْحَقَاءِ يَدَهَا مِنْهُ مُسْتَفْلِيَةً ، فزَادَ عَلَى الْأَوَّلِ هَذِهِ الزِّيَادَةَ الْغَامِضَةَ الْمَأْخُذَ
 اللَّطِيفَةَ الْمَوْجِعَ ، وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ « بَعْدَ إِخْفَالٍ » قَدْ اخْتَصَّ بِمَا اخْتَصَّ . وَيُشْبَهُ
 هَذَا فِي الزِّيَادَةِ عَلَى الْمَعْنَى وَقَدْ اسْتَقَرَّ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ :

أَوْ تَيْسٍ أَظْبِ بِيَطْنٍ وَادٍ يَعْدُو وَقَدْ أَفْرَدَ الْغَزَالُ
 لِأَنَّهُ زَادَ فِيهِ إِفْرَادَ الْغَزَالِ ، فَدَلَّ عَلَى شِدَّةِ الْخُوفِ وَخِيفَةِ الْعَدُوِّ . فَأَمَّا
 قَوْلُ أَوْسٍ :

وَفِي صَدْرِهِ مِثْلُ جَيْبِ الْفَتَاةِ تَفْهَقُ حِينًا وَحِينًا تَهْرُ
 فَهَوَ وَإِنْ زَادَ التَّقْسِيمُ قَاصِرٌ عَنْهُمَا .

١٧٧

وَقَالَ رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ (٢) :

١ - أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنُو وَتَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَإِنْ دُعِيَ اسْتَجَابَا
 قَوْلُهُ أَخُوكَ مَبْتَدَأٌ ، وَكَرَّرَهُ عَلَى وَجْهِ التَّأْكِيدِ (٣) ، وَمَنْ يَدْنُو فِي مَوْضِعِ

(١) للفند الزماني ، أو امرئ القيس بن عابس الكندي . اللسان (دفنس)

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية التاسعة .

(٣) ابن جنى : « وإن شئت جعلت الثاني خبراً عن الأول . . . ثم أبدل من يدنو

وترجو مودته ، من أخوك الثاني » .

الخبر . ومعنى البيت : مُخَالِصُكَ فِي الْأَخْوَةِ وَالْوُدِّ مِنْ يُقَرِّبُ مَسْكَانَهُ مِنْكَ^(١) ،
وَيَحْسُنُ شَفَقَتَهُ عَلَيْكَ ، وَتَطْمَعُ فِي إِثْمَارِ وَدِّهِ لَكَ ، وَإِنْ اسْتَعْنَتْ^(٢) بِهِ لِمَا مَنَعَهُ
تَنْزِلَ ، أَوْ نَائِبَةَ تَطْرُقُ ، أَغَاثُكَ بِإِذْنِ مَقْدُورِهِ فِي نُصْرَتِهِ لَكَ . ويجوز أن
يكون قوله ، « من يدنو » أراد به قُرْبَ النَّصْحِ وَالشَّفَقَةِ ، لَا تَقَارُبَ الدَّارِ
وَالْمَسَافَةِ ، كَمَا يُقَالُ فَلَانٌ أَذْنَى إِلَيْكَ مِنْ فَلَانٍ .

٢ — إِذَا حَارَبْتَ حَارِبَ مِنْ تَعَادِي وَزَادَ سِلَاحَهُ مِنْكَ اقْتِرَابًا

يجوز أن يكون هذا الكلام مُتَّصِلًا بِمَا قَبْلَهُ ، وَالضَّمِيرُ فِي حَارِبَ لِأَخُوكَ ،
وَمِنْ تَعَادِي فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ مِنْ حَارَبْتَ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : إِذَا حَارَبْتَ مِنْ
تَعَادِي حَارِبَ هَذَا الْمُوَاخِي لَكَ مَعَكَ ، وَزَادَ نُصْرَتَهُ وَعُدَّتَهُ مِنْكَ قُرْبًا مَا دُمْتَ
مُحَارِبًا . ويجوز أن يكون مُنْقَطِعًا مِمَّا قَبْلَهُ ، وَيَكُونُ مَثَلًا مَضْرُوبًا ، فَيَقُولُ :
إِذَا كَشَفْتَ عَدُوَّكَ وَأَبْدَيْتَ صَفْحَةً مَا تُضْمِرُهُ مِنَ الشُّؤْلِ لَهُ بَعَثَهُ ذَلِكَ عَلَى
مَكَاشَفَتِكَ ، وَازْدَادَ عُدَّتَهُ مِنَ الْكَيْدِ وَغَيْرِهِ مِنْكَ دُنُوءًا . وَإِذَا جَامَلْتَهُ وَدَاجَيْتَهُ
بَقِيَ عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مَسِيرًا لَا مُجَاهِرًا .

٣ — وَكُنْتُ إِذَا قَرِينِي جَاذِبَتُهُ حِبَالِي مَاتَ أَوْ تَبِعَ الْجِذَابَا

هَذَا مِثْلُ قَوْلِ عَمْرٍو بْنِ كَلْثُومٍ :

مَتَى نَقْصِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبَلٍ نَجْدُ الْحَبْلَ أَوْ نَقْصُ الْقَرِينَا

وَجَعَلَ الْجِذَابَ لِلْحِبَالِ عَلَى الْحَازِ . وَقَوْلُهُ « أَوْ تَبِعَ الْجِذَابَ » يَرِيدُ أَوْ انْجَذَبَ
وَتَرَكَ الطَّمَّاحَ وَالْإِبَاءَ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِذَا جَاذَبَنِي قَرِينٌ لِي حَبَلًا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ،

(١) نظر له التبريزي بقول الأعشى :

فإن القريب من يقرب نفسه

(٢) م : « استعنت » .

فإِذَا أَنْ يَنْقَطِعَ دُونَ شَأْوِي فِي الْجِدَابِ فِيهِلِكَ ، وَإِمَّا أَنْ يَتَّبِعَ صَاغِرًا فَيَنْقَادَ .
وخبِرُ كَانَ فِي إِذَا أَوْجَوَابِهِ .

٤ - فَإِنْ أَهْلِكَ فَذِي حَنْقٍ لَظَاهُ عَلَى يَكَادُ يَلْتَهِبُ التَّهَابًا^(١)

هذا الكلامُ تَسَلَّى عن العيشِ بَعْدَ قِضَاءِ حَاجَتِهِ ، وإِدْرَاكِ ثَأْرِهِ ، وإِرْغَامِ عَدُوِّهِ ، ولولا ما تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَتَسَهَّلَ لَكَانَ لَا يَسْهَلُ عَلَيْهِ انْقِطَاعُ العُمْرِ ، ولو مَاتَ مَاتَ بَعْضَةً . فيقول : إِنْ أُمَّتْ فَرُبَّ رَجُلٍ ذِي غَيْظٍ وَغَضَبٍ تَكَادُ نَارُ عِدَاوَتِهِ تَتَوَقَّدُ تَوَقُّدًا ، أَنَا فَعَلْتُ بِهِ كَذَا . وَقَوْلُهُ « لَظَاهُ » فِي مَوْضِعِ المَبْتَدَأِ ، وَ « يَكَادُ يَلْتَهِبُ » فِي مَوْضِعِ الخَبَرِ ، وَالجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِذِي حَنْقٍ ، وَانْجَرَّ ذِي حَنْقٍ بِإِضْمَارِ رَبِّ ، وَالمَجْرُورُ بِرَبِّ يَقَعُ مَوْصُوفًا فِي الأَكْثَرِ ، وَجَوَابُ رَبِّ فِيمَا بَعْدَهُ ، وَالفَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « فَذِي حَنْقٍ » مَعَ مَا بَعْدَهُ جَوَابُ الجِزَاءِ . فَإِنْ قِيلَ : إِنْ الفَاءُ فِي جَوَابِ الجِزَاءِ إِنَّمَا يَجِيءُ إِذَا خَالَفَ الجُمْلَةُ الَّتِي تَكُونُ جِزَاءَ الجُمْلَةِ الَّتِي تَكُونُ شَرْطًا بِأَنَّ تَكُونَ مَبْتَدَأً وَخَبْرًا ، فَكَيْفَ يَكُونُ تَقْدِيرُهُمَا بَعْدَ الفَاءِ هَا هُنَا ؟ قُلْتُ : يَكُونُ التَّقْدِيرُ : إِنْ أَهْلِكَ فَالْأَمْرُ وَالشَّانُ

(١) ابن جنى : « ذى مجرورة برب مضرة ، أى فرب ذى حنق ، وحذفها للعلم بموضعها كقول الآخر :

رسم دار ووقت فى طلاله كدت أفضى الغداة من جلله

أى رب رسم دار . وهذا يدفع قول أبى العباس أن الواو فى نحو قوله :

* وبلد تحسبه مكسوحا *

هى التى جرت بلد لما خلفت رب وكانت عوضاً منها . ألا ترى أنه قال : فذى حنق ، أى فرب ذى حنق . ولا يقول أحد إن الفاء عوض من رب . وكذلك قول المنذلى :

فخور قد لهوت بهن عين نواعم فى المروط وفى الرياط

وقال الآخر :

* بل بلد ملء الفجاج قتمه *

ولا أحد يدعى أن بل عوض من رب . فإذا صح هذا ونبت فى الفاء وبل كانت الواو محمولة على حكمه .

رُبَّ ذِي حَنْقٍ بِهَذِهِ الصَّنْفَةِ فَعَلْتُ بِهِ كَذَا . فَقَوْلُهُ « رُبَّ ذِي حَنْقٍ » خَبْرٌ
للمبتدأ الذي أظهرناه .

٥ - مَخَضْتُ بِدَلْوِهِ حَتَّى تَحَسَّى ذُنُوبَ الشَّرِّ مَلَأَى أَوْ قُرَابًا^(١)

هذا جوابُ رُبِّ . فيقولُ : رُبَّ إنسانٍ هكذا ، أنا حَرَكْتُ بِدَلْوِهِ التي
أدلاها في الأمرِ الذي خُضْنَا فيه ، حَتَّى مَلَأْتُهَا . وَجَعَلَ الدَّلْوَ كنايةً عن السَّبَبِ
الذي جاذبهُ فيه ، وَالطَّمَعُ الذي جَرَّاهُ عليه ، قال : فَتَحَسَّى دَلْوَ الشَّرِّ مملوءةً
أو قريبةً من الامتلاء . وَقُرَابُ المَلءِ : أن يُقَارِبَ الامتلاء ، ويقالُ قِرَابٌ بكسر
القاف وقُرَابٌ بضمها . والمعنى : جَعَلْتُ شِرْبَهُ من الشَّرِّ شِرْبًا مُرَوِّيًا .
وقد استعمل أبو تمام الدَّلْوَ على الطَّرِيقَةِ التي اسْتَعْمَلَهَا ربيعةُ فقال :

أَلْقَوْا دِلَاءً فِي بُحُورِكَ أَسَلَمْتَ تَرِعَاتِهَا الْأَكْرَابُ وَالْأَوْذَامُ^(٢)
وَاسْتَعْمَلَ غَيْرَهُ دَلْوَتُ فِي مَعْنَى الاستخراج فقال :

(١) روى التبريزي بعده ثلاثة أبيات ، وهي :

٦ - بِمِثْلِي فَاشْهَدِ النَّجْوَى وَعَالِنُ بِنِي الْأَعْدَاءِ وَالْقَوْمِ الْغَضَابَا

٧ - فَإِنِ الْمَوْعِدَى يَرُونَ دَوِييَ أُسُودَ خَفِيَّةَ الْغُلْبِ الرَّقَابَا

٨ - كَأَنَّ عَلَى سِوَاعِدِهِنَّ وَرْسًا عَلَا لَوْنَ الْأَشْجَاعِ أَوْ خَضَابَا

وقال في تفسير الأول : « أي جاهر بمِثْلِي الْأَعْدَاءِ وكاشفهم ليكشفوا عنك ، فثلى
يصلح لدفع المكاره ، وكشف النوائب » . وقال في تفسير الثاني : « يريد الغلب رقابا ،
وانتصابه على التشبيه بالضارب الرجل » . وقال في الثالث : « أي كأن على سواعد هذه الأسود
الورس أو الخضاب ، من كثرة ما افترتست الفرائس . والأشجاع : عروق ظاهر الكف ،
والواحد أشجع » .

(٢) النزعات : الممتاثات . وفي الأصل وديوان أبي تمام ٢٨١ : « نزعاتها » ، تحريف .
وفي الأصل : « والأوذاما » ، صوابه في م والتمورية والديوان . والبيت من قصيدة له في
مدح المأمون ، مطلعها :

دمن ألم بها فقال سلام كم حل عقدة صبره الإمام

فقد جعلتُ إذا ما حاجتني نزلتُ ببابِ دارك أدلُّوها بأقوامٍ^(١)
فكان المراد أن هذا المعادى الممتلئ غيظاً لما ألقى دلوّه يستقي بها الماء
من بئري ملاتها شراً وجعلته سقياه^(٢).

١٧٨

وقال سلمى بن ربيعة^(٣):

١ - حَلَّتْ تُمَاضِرُ غَرَبَةً فَاحْتَلَّتْ فَلَجًا وَأَهْلَكَ بِاللَّوَى فَاحِلَّتْ^(٤)

تُمَاضِرُ : امرأته وكانت قد فارقتُه عاتبةً عليه في استهلاكِه المال ،
وتعريضه النفس للمعاطب فلحقت بقومها ، وأخذ هو يتكلفُ عليها ويتحسّرُ
في أثرها وأثر أولاده منها ، فيقول : نزلت هذه المرأة بعيدةً منك ، فاحتلت
فلجاً وأهلك نازلون بين هذين الموضعين . وهذا الكلام توجعٌ . وفلجٌ على
طريق البصرة ، والحلة : موضعٌ من الحزن ببلاد ضبة ، واللوى : رمْلٌ متصلٌ به

(١) البيت لهام الرقاشي ، كما في البيان (٢ : ٣١٦ / ٣ : ٣٠٢ / ٤ : ٦٥) برواية :

« حتى جعلت » .

(٢) في الأصل : « أو جعلتها معناه » ، صوابه في م والتمورية .

(٣) سلمى ، بفتح السين والميم ، كذا في الأصل والتمورية ، وورد مهمل الضبط

في م . وكذلك ضبطه القالي في الأمالي (١ : ٨٢) وكذا ضبط في نوادر أبي زيد ١٢٠ قال :

« وقال سامان بن ربيعة الضبي ، أو سلمى » قال أبو الحسن : « هكذا وقع في كتابي : سلمى ،

وحفظي سلمى » . وقال البكري في اللآلئ ٢٦٧ : « هكذا رواه أبو علي : سلمى ، ولم

يختلف الرواة أنه سلمى » . وهو سلمى بن ربيعة بن زبان بن عامر ، من بني ضبة ، شاعر

جاهلي . التبريزي وابن جني في التنبيه : « من بني السيد بن ضبة » . والأبيات في الخزانة

(٣ : ٤٠٢) ونوادر أبي زيد والأمالي . ونسبها الأصبغ في الأصمعيات ١٨ لعلباء بن أرقم .

ويفهم من صنيع الجاحظ في الحيوان (٥ : ٧٤) أنها لعمر بن قيس .

(٤) كذا رسمت بالتاء المبسوطة في الأصل والتبريزي ومعظم المراجع . وكتبت في م

والتمورية بالتاء المعقودة ورسم إلى جوارها تاء مبسوطة . وضبطت في م والنوادر والتنبيه

لابن جني بكسر الحاء .

رَقِيقٌ . وبين المواضع الذي ذكرها تباعدٌ . إن قيل لم قال حلت ، ثم قال
احتلت ، وهلا اکتفى بأحدهما ؟ قلت : نبه بالأول أنها اختارت البعد منه
والتغريب^(١) عنه ، وبالثاني الاستقرار ، فكأنه قال : نزلت في هذه الغربة
فاستوطنت فلجاً . وفلج بفتح اللام : موضعٌ . وفلج بسكون اللام : ماءٌ .

٢ - وكان في العينين حبّ قر نفلٍ أو سنبلاً كحلت به فانهلت

يقول : ألفت البكاء لتباعدها ، فساعدت العينان وجادتا^(٢) بإسالة دمعهما
غزيراً متحلباً ، واكفاً منهما ، فكان في عيني أحد هذين المهيجين الحالين
للعيون . وقوله « كحلت » إخبار عن إحدى العينين ، وساغ ذلك لما في العلم
من أن حالتيهما لا تفرقان . وعلى العكس من هذا قول امرئ القيس :

وعين لها حذرة بدرة شقت ماقيهما من أخز^(٣)

لأن امرأ القيس وحده في الابتداء ثم ثني عند رد الضمير ، على أنه متى
اجتمع شيان في أمر لا يفرقان فيه اجتزئ بذكر أحدهما عن الآخر . وفي طريفة
هذا البيت قول ابن هرمة :

وكانما اشتملت مواق عيئه يوم الفراق على يبيس الخمخيم^(٤)

٣ - زعمت تماضر أني إمأمت يسدأ بينوها الأصاغر خلتي

زعم يتردد بين الشك واليقين ، وها هنا يريد به الظن . وأنني مع الجزاء

(١) هذا الصواب من م والتمورية . وفي الأصل : « والتقرب » .

(٢) في الأصل : « وجلتا » ، صوابه في م والتمورية .

(٣) كذا في النسخ ، على الحرم في أول العجز . ورواية الديوان ١٦ والتبريزي :

« فشقت » على الإمام .

(٤) المواق : جمع الماق ، وهي لغة في موق العين ، وهو حرفها الذي يلي الأنف . وفي م :

« ماق » وهذه جمع مؤق وماق . اللسان (ماق) .

والجواب نائبٌ عن مفعوليته . يقول : ظننت هذه المرأةُ أَنَّهُ إن نَزَلَ بي حَدِيثٌ قضاءَ الله عزَّ وجلَّ ، سدَّ مكاني ورمَّ ما يتشعثُ من حالها بزوالي أبنائها الأصاغِرُ . ويريد بهذا الكلام التوصلَ إلى الإبانة عن محله ، وأنه لا يُغني غناءهُ من النَّاسِ إلَّا القليل . وقوله « أُبَيِّنُوهَا » تصغيرُ أبناء مقصوراً عند أصحابنا البصريين^(١) ، وهو اسمٌ صيغٌ للجَمْعِ كأروى^(٢) ، وأذئاب^(٣) ، وأضحى^(٤) فهو على أَفْعَلٍ بفتح العين . وعند الكوفيين هو تصغيرُ ابنٍ ، مثلُ أدلٍ على أَفْعَلٍ بضم العين . ويقال : سدَّ فلانٌ مسدَّ فلانٍ ، وسدَّ خلتَهُ ، وناب منابهُ ، وشغل [مكانه^(٥)] بمعنى . فإن قيل : كيف ساعَ أن يقول يسدُّ خلتِي ، وإذا مات لم تكن له خلةٌ . قلتَ : أضافها إلى نفسه لما كان يسدُّها أيامَ حياته ، فكأنه قال : الخلة التي كنت أسدُّها . وهذا من إضافة الشيء إلى الشيء على المعتاد فيهما . ومثله قولهم : شهاب القذفِ ، فأضيف الشَّهاب إلى القذفِ لما كان من رمي الرامي . ووجوهُ الإضافاتِ واسعةٌ كثيرةٌ ، وكذلك متعلقاتها^(٦) .

٤ - تَرَبَّتْ يَدَاكَ وَهَلْ رَأَيْتَ لِقَوْمِهِ مِثْلِي عَلَى يُسْرِي وَحِينَ تَعَلَّتِي أَقْبَلَ عَلَيْهَا يُوْبِّخُهَا وَيَخْطِي رَأْيَهَا ، وَيَكْذِبُ ظَنِّهَا ، وَيَقْبَحُ اخْتِيَارَهَا ، فِي إِفَاتَةِ نَفْسِهَا الْخَطِّ مِنْهُ ، وَيَدْعُو عَلَيْهَا بِالْفَقْرِ وَالْبَأْسَاءِ ، وَالْخَيْبَةِ فِي الرَّجَاءِ ، فَيَقُولُ :

(١) ابن جنى : « ذهب سيبويه إلى أن الواحد المكسر من هذا الجمع أبني على وزن أفعل مفتوح العين ، بوزن أعمى ، ثم حقر فصار أبين كأعمى ، ثم جمع بالواو والتون » ، وساق بعد ذلك كلاماً مسهباً .

(٢) الأروى : اسم جمع للأروية ، وهي الأنثى من الوعول . قال ابن بري : « أروى تنون ولا تنون . فنونها احتمال أن يكون أفعلا مثل أرنب ... وأما أروى فيمن لا ينون فوزنها فعل » .

(٣) الأذئاب : جمع أذابة ، وهو ضرب من عظام الشجر .

(٤) أضحى هذه بالتنوين : جمع أضحية ، وهي لغة في الضحية .

(٥) التكملة من م والتمورية .

(٦) وكذلك متعلقاتها ، ساقطة من م .

صار في يدك التراب ، وهل رأيت لقومه من يماثلني في حالتى السراء والضراء
واليسر والعسر ، والغنى والفقر ، حتى تعلقى منك رجاءك في بغيرى إذا أخليت
مكاني . وترى يستعمل في الفقر والخبية لا غير ، وأثرَب يستعمل في الغنى والفقر
جميعاً ، فإذا أريد به الغنى فالمعنى صار له من المال بعدد التراب ، وإذا أريد به
الفقر فالمعنى صار في التراب ، كما يقال أمهل إذا صار في السهل . وقد يجوز
أن يكون مثل أقل ، والمعنى : صار مالك قليلاً من المال . وأضاق : صار في حال
ضيق . وقوله « حين تعلقى » المعنى وحين اعتمدت على إقامة العلة بحصول
الفقر . وعلى هذا قوله :

* قليل ادخار المال إلا تعلقة *

أى قدر ما يُقام به العلة . وقوله « لقومه » أضمر قبل الذكر ، لأن
الكلام يحتمل نية التقديم ونية التأخير .

٥ - رجلاً إذا ما النابت غشينه أكنفى لمعضلة وإن هى جلت

انتصب « رجلاً » على أنه بدل من مثلي ، كأنه قال : هل رأيت لقومي
رجلاً أكنفى للشدائد وإن عظمت عند طروق النوائب وغشيان الحوادث منى .
فحذف منى لأن المراد مفهوم . ويروى « أكنفى لمعضلة » ، وهى الداهية
الشديدة ، يقال أعضل الأمر إذا اشتد . ويروى « لمضلة » وهى التى تضم
الأضلاع بالزفرات وتنفس الصعداء حتى تكاد تحطها .

٦ - ومناخ نازلة كفيت وفارس نهلت قناتي من مطاه وعلت

أخذ يعدد ما كانت كفايته مقسومة فيه ، ومصروفة إليه . وقوله « ومناخ »
مصدر أنخت . وكفيت يتعدى إلى مفعولين وقد حذفهما ، كأنه قال : كفيته

العشيرة . يقول : ورُبَّ نازلةٍ أُنَاخَتْ ، أُنَا دَفَعْتُ الشَّرَّ فِيهَا^(١) ، وَكَفَيْتُ قَوْمِي الْإِهْتَامَ بِهَا ؛ وَرُبَّ فَارِسٍ سَقَيْتُ رُحْمِي مِنْ دَمِ ظَهْرِهِ الْعَلَّالَ بَعْدَ النَّهْلِ . وَخَصَّ الظَّهْرَ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ وَلَّى وَأَذْبَرَ^(٢) .

٧— وَإِذَا الْعَذَارَى بِالذُّخَانِ تَقَنَّعَتْ وَاسْتَعَجَلَتْ نَصَبَ الْقُدُورِ فَمَلَّتِ أَقْبَلَ يَعُدُّ خِصَالَ الْخَيْرِ الْمَجْمُوعَةَ فِيهِ ، بَعْدَ أَنْ نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَقُومُ مَقَامَهُ أَحَدٌ ، فَكَيْفَ مِنْ طُمَعِ^(٣) فِي نِيَابَتِهِ عَنْهُ بَعْدَهُ . وَالْعَذَارَى : جَمْعُ عَذْرَاءَ ، وَأَصْلُهُ الْعَذَارَى بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ ، فَالْيَاءُ الْأُولَى مُبَدَّلَةٌ مِنَ الْمَدَّةِ قَبْلَ الْهَمْزَةِ ، كَمَا تُبَدَّلُ فِي سِرْبَالٍ إِذَا قُلْتِ سِرَابِيلُ ، فَلَمَّا انْقَلَبَتِ الْمَدَّةُ يَاءً لَانْكَسَارِ مَا قَبْلَهَا وَكَانَ الْأَصْلُ فِي هَمْزَةِ التَّائِيثِ أَلْفًا عَادَ إِلَى أَصْلِهَا لَزْوَالِ الْأَلْفِ قَبْلَهَا ، فَأُبْدِلَ مِنْهُ يَاءٌ ثُمَّ أُدْغِمَ الْأُولَى فِي الثَّانِيَةِ فَقِيلَ عَذَارَى ، وَكَذَلِكَ فِي صَحْرَاءِ صَحَارِيٍّ ، ثُمَّ حُذِفَتْ إِحْدَى الْيَاءِ مِنْ تَخْفِيفٍ فَقِيلَ عَذَارَى وَصَحَارَى ، ثُمَّ فَرَّشُوا مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ فَانْقَلَبَتْ أَلْفًا فَقِيلَ عَذَارَى وَصَحَارَى . وَيُقَالُ : عَذَرَ الْمَرْأَةَ وَأَعَذَرَهَا ، إِذَا ذَهَبَ بُعْذَرَتِهَا ، وَهُوَ أَبُو عَذْرِيهَا وَأَبُو عَذْرَتِهَا . فِيَقُولُ الشَّاعِرُ : وَإِذَا أَبْكَارُ النِّسَاءِ صَبَّرَتْ عَلَى دُخَانِ النَّارِ حَتَّى صَارَ كَالْقِنَاعِ لَوَجْهِهَا ، لِتَأْثِيرِ الْبَرْدِ فِيهَا ، وَلَمْ تَصْبِرْ عَلَى إِدْرَاكِ الْقُدُورِ بَعْدَ تَهْيِئَتِهَا وَنَصْبِهَا ، فَشَوَتْ فِي الْمَلَّةِ قَدْرَ مَا تُعَلَّلُ بِهِ نَفْسَهَا مِنَ اللَّحْمِ ، لِتَمَكَّنَ الْحَاجَةَ وَالضَّرَّ مِنْهَا ، وَلِإِجْدَابِ الزَّمَانِ وَاشْتِدَادِ السَّنَةِ عَلَى أَهْلِهَا أَحْسَنْتُ . وَجَوَابُ إِذَا فِي الْبَيْتِ بَعْدَهُ . وَخَصَّ الْعَذَارَى بِالذِّكْرِ لِفَرْطِ حَيَاتِهِنَّ وَشِدَّةِ انْقِبَاضِهِنَّ ، وَلِتَصَوُّوْنَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَتَبَدَّلُ فِيهِ

(١) م والتمورية : « أنا دفعت شرها » .

(٢) م والتمورية : « أنه أدبر عنه وولى » .

(٣) م والتمورية : « طمعت » .

غيرُهْن . وجعل نَصَبَ القُدُورِ مفعول استعْجَلَتْ على الجَازِ والسَّعَةِ . ويجوز أن يكون المراد استعْجَلَتْ غيرها بنصب القُدُورِ وفي نَصَبِها ، فَحَذَف .

٨- دَارَتْ بِأَرْزَاقِ العُفَاةِ مَغَالِقُ بِيَدَيَّ مِنْ قَمَعِ العِشَارِ الجِلَّةِ

قوله « أرزاق العُفَاةِ » كلامٌ شريفٌ ، وتقدير البيت : دَارَتْ بِيَدَيَّ مَغَالِقُ بِأَرْزَاقِ العُفَاةِ مِنْ قَمَعِ العِشَارِ الجِلَّةِ ، فَفَصَلَ بِالفَاعِلِ بَيْنَ الأَرْزَاقِ وَبَيْنَ مِنْ قَمَعِ العِشَارِ . والعُفَاةُ : جمع العافِي ، والجمعُ على فُعَلَةٍ يَخْتَصُّ بِالمُعْتَلِّ دُونَ الصَّحِيحِ . يقول : وَإِذَا صَارَ الزَّمَانُ كَذَا دَارَتْ القِدَاحُ فِي المَيْسِرِ بِيَدَيَّ لِإِقَامَةِ أَرْزَاقِ الطُّلَّابِ مِنْ أَسِنَّةِ النُّوقِ المَسَانِّ الكِبَارِ الحَوَامِلِ ، الَّتِي قَرَّبَ عَهْدَهَا بِوَضْعِ الحِجْلِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُضَنُّ بِهَا ، وَيُتَنَافَسُ فِيهَا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ القِدَاحُ مَغَالِقَ لِأَنَّ الجُزْرَ تَغْلِقُ عِنْدَهَا وَتَهْلِكُ بِهَا . والقَمَعُ : قِطْعُ السَّنَامِ ، الوَاحِدَةُ قَمْعَةٌ : والقَمِيعُ : مَا فَوْقَ السَّنَاسِينِ مِنَ السَّنَامِ . وَبَعِيرٌ قَمِيعٌ : عَظِيمُ القَمَعِ . وَيُقَالُ سَنَامٌ قَمِيعٌ ، أَيْ عَظِيمٌ قَدْ تَمَكَّنَ فِيهِ الشَّحْمُ . والعِشَارُ : جَمْعُ عِشْرَاءَ ، وَهِيَ الَّتِي قَدِ أُنِي عَلَيْهَا مِنْ حَمَلِهَا عِشْرَةٌ أَشْهُرٌ ، وَتَسْتَصْحِبُ هَذَا الأَسْمَ فَتُسَمَّى بِهِ بَعْدَ وَضْعِهَا الحِجْلَ بِأَشْهُرٍ . كَأَنَّهُ نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ يَعْتَبِطُ صِحَاحَ الإِبِلِ وَخِيَارَهَا ، لَا كَسِيرَهَا وَهَزَلَهَا .

٩- وَلَقَدْرَأَبْتُ ثَأْيَ العِشِيرَةِ بَيْنَهَا وَكَفَيْتُ جَانِبَهَا اللَّتِيَا وَالتِّي

الثَّأْيُ : الفَسَادُ . يُقَالُ ثَأَى الجُرْحُ يَثْأَى ثَأْيًا . والرَّأْبُ : الشَّعْبُ والإِصْلَاحُ . يقول : وَكَمَا ظَهَرَ غَنَائِي فِي تِلْكَ الأَبْوَابِ فَلَقَدْ سَعَيْتُ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ مِنَ العِشِيرَةِ ، وَرَدَّ التَّعْطُفَ الذَّاهِبَ عَنْهَا إِلَيْهَا ، وَلَمْ شَعْبَهَا ، وَضَمَّ نَشْرَهَا ، وَكَفَيْتُ مَنْ جَنَى مِنْهَا الجُنَايَةَ الصَّغِيرَةَ وَالكَبِيرَةَ ، بِالمَالِ وَالنَّفْسِ ، وَالجَاهِ وَالعِزِّ . وَقَوْلُهُ « جَانِبَهَا » إِنْ فُتِحَتِ البَاءُ كَانَ وَاحِدًا وَإِنْ أُدِّيَ مَعْنَى

الجمع ، وإن سَكَنْتِ الياء جاز أن يكون جمعا سالما وأن يكون واحداً قد حُذِفَ
فتحتها . وقوله « اللَّتَيَا » تصغير التي ، فجعلها اسمين للكبيرة من الدَّوَاهِي
والضغيرة ، ولهذا استغنيا عن الصَّلَةِ وانتقلا عن كونهما وُصِّلَتَيْنِ . ويذهب
بعضهم إلى أن صلتيهما محذوفتان لدلالة الحال عليهما .

١٠- وَصَفَحْتُ عَنْ ذِي جَهْلِهِا وَرَفَدْتُهَا نَضَحِي وَلَمْ تُصِبِ الْعَشِيرَةَ زَلَّتِي

١١- وَكَفَيْتُ مُوَلَايَ الْأَحْمَ جَرِيرَتِي وَحَبَسْتُ سَأَمْتِي عَلَى ذِي الْخَلَّةِ

قوله « وَصَفَحْتُ عَنْ ذِي جَهْلِهِا » ، يَصِفُ نَفْسَهُ بِالْحِلْمِ مَعَهُمْ ، وَكَظْمِ
الغَيْظِ فِيهِمْ ، وَمَنْعِ سُفْهَاتِهِمْ . يَقُولُ : وَعَقَفْتُ عَنْ جَاهِلِيهَا فَلَمْ أُؤَاخِذْهُ بِمَا بَدَرَ
مِنْهُ مِنْ هَفْوَةٍ أَوْ زَلَّةٍ ، ثُمَّ بَدَلْتُ نَضَحِي لِعَشِيرَتِي ، وَحَسَنْتُ لَهُمْ عِشْرَتِي مِقْدَارَ
جُهْدِي ، وَلَمْ أُجِرَّ عَلَيْهِمْ جَرِيرَتِي ، وَلَمْ أُوسِعْهُمْ زَلَاتِي . وَقَدْ أَلَمَّ فِي هَذَا
بِقَوْلِ الْآخِرِ (١) :

* إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا (٢) *

وفي طريقته قول الآخر :

ولو شاء قومي كان حلمي فيهم وكان على جهال أعدائهم جهلي

وقوله « وَكَفَيْتُ مُوَلَايَ الْأَحْمَ جَرِيرَتِي » ، أَي لَمْ يُؤَاخِذُوا بِجَرَائِرِي ،

بَلْ كُنْتُ الْمُدَاوِي لَهَا وَالخَارِجَ مِنْهَا . وَيُرْوَى : « الْأَحْمَ إِضَاقَتِي » فَيَكُونُ مِثْلَ

قَوْلِ الْآخِرِ (٣) :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ

(١) هو السموهول بن عادي . الحماسية ١٥ .

(٢) عجزه : * فليس إلى حسن الثناء سبيل *

(٣) هو المتنخل الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ٣٠) .

والشاعرُ يقول : وكألم يشمَلُ أباعدَ ذَوِيَّ ورَهْطِي زَلَّاتِي ، كذلك لم ينلِ
الأدانيَ جنائياتي ؛ ثم إذا نلتُ خيراً أشركتُ ذَوِي الحَاجةِ منهم فيه ،
وحبستُ مالي الرَاعيَّةَ عليهم ، حتى لا يَتميزُوا عني في التصرُّفِ والتناولِ .
وقوله « الأحمَّ » ، يريد الأخصَّ والأمسَّ ، وهو أفعَلُ من الحميم ، ولهذا
قال الشاعر وإن كان في ضِدِّ هذا المعنى :

* ومولائك الأحمُّ له سَعَارٌ^(١) *

أى لهبُ الجُوع ، ومنه قولهم : كيف السَّامةُ والحامَّةُ .

١٧٩

وقال أبيُّ بن ربيعة^(٢) :

١- وخيلٍ تلافيتُ ريعانها بعجلزةٍ جزمى المدخرُ

رِيعانُ كلِّ شيءٍ : أوَّلُهُ ، وأكثر ما يُستعملُ في الشَّبابِ والخيلِ . والرَّيعُ
فَضْلُ كلِّ شيءٍ ، ومنه رِيعُ الحِنطةِ إذا زَكَتْ ، ورِيعُ الدُّروعِ : فُضُولُ
أَكْمامِها على الأنايلِ . والعِجْزَةُ : الفرسُ الشديدةُ الخَلْقِ ، ورُبَّمَا وُصِفَتْ بهِ
النَّاقَةُ . وبعضهم يَحْكِي فيها : عَجْزَةٌ ، بفتح العين واللام . يقول : رُبَّ خيلٍ
مُغِيرَةٍ تَدَارَكْتُ أوائلها طارِداً للوسائقِ ، وأنا على فرَسٍ صُلْبَةٍ تَجْمُرُ فيما تَدْخُرُ
من جَرِيها . ومن عَادَةِ عِتْقِ الخيلِ أن تُتَبَقَى من عَدُوها بَقِيَّةً لوقتِ الحاجةِ
إليها ، فمَتى اسْتُجِثَّتْ بعد الكدِّ والعَمَلِ أعطَتْها . ولذلك قال كَلْحَبَةُ العَرِينِيُّ :

(١) صدره في اللسان (سعر) :

* تسمنها بأخثر حلبيتها *

(٢) التبريزي : « أبي بن سلمي بن ربيعة بن زبان الضبي » وقد سبقت ترجمة أبيه في

الحماسة السابقة .

فَأَدْرَكَ إِبْقَاءَ الْعَرَادَةِ ظَلَعُهَا وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزِيمَةٍ إِصْبَعًا^(١)

فقوله إبقاء العرادة كقوله ها هنا « المذخر » . وجمزى مثله وكرى وهو صفة . وجعل الجمز لمدخور الجرى على المجاز ، لأن الجمز ومدخور الجرى جميعا للفرس . والحقيقة أنها تجمز في مذخر الجرى . وليس هذا كقولهم هو حسن الوجه ، وكريم الأب ، إذا كان الحسن والكرم في الحقيقة للأب والوجه ، ولكن هو كما يقال فلان ثبت الغدر ، نزع المجال ، قموص الخبر ، وما أشبهه .

٢ - جَومِ الجِراءِ إِذا عُوْقِبَتْ وَإِنْ نُوزِقَتْ بَرَزَتْ بِالْحَضْرُ

يقال برز جوم ، إذا كان ماؤها ينقطع ويعود سريعاً . ومعنى قوله « جوم الجراء إذا عوقبت » أى جريه يمتد ولا ينقطع إن طلب عقبها لمساقتها^(٢) فيه ، فكأنه لا آخر لجرها ، كالبر الجموم . و « إن نوزقت » أى إن غولبت فيما يستنزق من سيرها سبقت بعدوها . وكما سمي آخر الجرى العقب سمي آخر الشهر به ، فقيل جئت عقب الشهر ، إذا جئت بعد ما مضى ، وجئت فى عقبه وعقبه ، إذا جئت وقد بقيت منه بقية . ويقال : عاقبت الفرس ونازقته ، كما يقال طاوت زيدا وفاصلته ، وذلك إذا غالبته فى الطول والفضل . ومعنى برزت : تقدمت . والحضر : العدو . ويروى « عوفيت^(٣) » أى إن طلب عفوها ، وليس بجيد . ألا ترى أنه قيل : « أول الجرى نزقة ، وآخره عقبه » .

(١) فى الأصل : « من جريمة » صوابه فى م والتمورية والفضليات (١ : ٣٠) .

(٢) م : والتمورية « بمساقتها » .

(٣) لم يذكر التبريزى هذه الرواية .

٣ - سَبَّوحٌ إِذَا اعْتَزَمَتْ فِي الْعِنَانِ مَرُوحٌ مُلَمَّامَةٌ كَالْحَجَرِ^(١)

أراد بها أنها تسبَّح في جريها إذا اعتزمت في العنان، أي انتحلت في العدو وهي مُلجَمَةٌ كثيرة النشاط، مجتمعة الخلق صلبة كأنها حَجَرٌ. والاعتزام: لزوم القصد في الحضر وغيره وترك الانثناء. وقد اعتزمت الطريق. ويقال اعتزمت الفرس على الجري إذا مرَّ جامحاً. وقوله « في العنان » في موضع الحال، كما يُقال: جاء فلان في جبَّة، أي وعليه جبَّة. واللَّمَمَةُ: جمعك الشيء، وهو مثل اللَّم في المعنى وإن لم يكن من لفظه عندنا. ورواه بعضهم « إذا اعتزمت^(٢) » بالراء غير مُعجَمَةٍ، وجعله من العرام؛ وليس بشيء.

٤ - دُفِعْنَ عَلَى نَعَمٍ بِالْبِرِّ قِ مِنْ حَيْثُ أَفْضَى بِهِ ذُو شَمِيرٍ

هذا جوابُ رَبِّ إِذَا جَعَلْتَ قَوْلَهُ « تَلَايَيْتُ رَيْعَانَهَا » مِنْ صِفَةِ « وَخَيْلٍ » حَمَلًا عَلَى مَا يَجِيءُ عَلَيْهِ الْمَجْرُورُ بِرُبِّ فِي الْأَكْثَرِ، مِنْ لُزُومِ الْوَصْفِ لَهُ؛ وَقَدْ جَاءَ غَيْرُ مَوْصُوفٍ وَإِنْ قَلَّ. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ تَلَايَيْتُ الْجَوَابَ وَدُفِعْنَ مِنْ صِفَةِ الْخَيْلِ. وَالْمَعْنَى دُفِعَتْ هَذِهِ الْخَيْلُ وَأُرْسِلَتْ عَلَى إِبِلٍ وَأَقْفَةٍ بِالْبِرِّاقِ مِنْ حَيْثُ أَدَّاهُ إِلَى الْفِضَاءِ ذُو شَمِيرٍ، وَهُوَ مَكَانٌ^(٣). قَوْلُهُ « أَفْضَى بِهِ » الضَّمِيرُ لِلنَّعَمِ، وَهُوَ يُذَكَّرُ، يُقَالُ هَذَا نَعَمٌ وَارِدٌ. وَالْبِرِّاقُ: جَمْعُ بُرْقَةٍ، وَهُوَ مَوْضِعٌ فِيهِ حَبَابَةٌ بَيْضٌ وَسُودٌ؛ وَمِثْلُهُ جَبَلٌ أَبْرَقَ. أَيْ لَمَّا حَصَلَ بِالْفِضَاءِ تَلَقَّيْتُ^(٤) بِالْخَيْلِ وَشُنَّتِ الْغَارَةُ عَلَيْهِ.

(١) ضبطت الكلمات بالرفع في الأصل على القطع، وبالجر على الإنباع في م والتميمورية.

(٢) رواية التبريزي: « إذا اعتزمت ».

(٣) ذكره البكري في معجم ما استعجم. وروى البيت وأخطأ في نسبه إلى سلمى

ابن ربيعة.

(٤) كذا في النسختين. وفي التيمورية: « فلقيت ».

٥ - فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَتْ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ

رَجَعَ إِلَى صِفَةِ الْفَرَسِ لَمَّا رَكَّضَهَا فِي إِثْرِ الْخَيْلِ الْمَغِيرَةِ عَلَى النَّعْمِ الَّذِي وَصَفَهُ ، يَقُولُ : لَوْ أَنَّ ذَوَاتِ الْحَوَافِرِ ^(١) جُعِلَ فِي قُدْرَتِهَا الطَّيْرَانُ بِآلَةٍ تَخْصُصُهَا لَطَارَتْ هَذِهِ الْفَرَسُ ، وَكَانَتْ الْأَوْلَى بِذَلِكَ ، لَمَا فِيهَا مِنَ النَّجَابَةِ وَالْعِتْقِ ، وَلَكِنَّ الطَّيْرَانَ خُصَّ بِهِ ذُو الْجَنَاحِ .

٦ - فَمَا سَوْدَنِيْقٌ عَلَى مَرْبَاٍ خَفِيْفُ الْفَوَادِ حَدِيْدُ النَّظْرِ

٧ - رَأَى أَرْنَبًا سَنَحَتْ بِالْفِضَاءِ فِبَادَرَهَا وَجَلَّتِ الْخَمْرُ

يَقُولُ : مَا شَاهِبِينَ وَاقَعٌ عَلَى مَحْرَسَةٍ ذَكَى شَهْمُ النَّفْسِ ، بَعِيدُ النَّظَرِ حَدِيدُ الْعَيْنِ ، سَرِيْعُ الْإِذْرَاكِ ، رَأَى أَرْنَبًا سَنَحَتْ . وَمَعْنَى سَنَحَتْ عَرَضَتْ ، يُقَالُ مِنْهُ سَنَحَتْ الْحَاجَةُ . وَالْأَرْنَبُ : الْأُنْثَى مِنَ الْأَرَانِبِ . وَالذَّكْرُ خُرْزُ . وَالْكَلَامُ بَعْدُ مُشْغُولٌ بِصِفَةِ السَّوْدَنِيْقِ . أَي رَأَى أَرْنَبًا انْفَقَتْ بِالْعَرَاءِ وَاعْتَرَضَتْ فَسَابَقَهَا إِلَى مَدَاخِلِ الْخَمْرِ ، ثُمَّ رَجَعَ عَلَيْهَا فِي طَرِيقِهَا لثَلَا تَفْوَتَهُ - بِأَسْرَعٍ مِنْ فَرَسِي . وَالْوَجَلَاتُ : جَمْعُ وَجَلَةٍ ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْوُلُوجِ ، وَمَوْضِعُ وَجَلَاتِ نَصَبٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولَ بَادَرَهَا . وَالْخَمْرُ : مَا وَارَاكَ مِنَ الشَّجَرِ ^(٢) . وَيُقَالُ : بَادَرْتُ مَكَانًا كَذَا ، وَإِلَى مَكَانٍ كَذَا .

٨ - بِأَسْرَعٍ مِنْهَا وَلَا مِزْرَعٌ يُقَمِّصُهُ رَكْضُهُ بِالْوَتْرِ

قَوْلُهُ « بِأَسْرَعٍ » خَبْرٌ « مَا » . يَقُولُ : مَا سَوْدَنِيْقٌ هَذَا وَصَفَهُ بِأَسْرَعٍ مِنْ فَرَسِي ، وَلَا سَهْمٌ يَنْزِيهِ رَكْضُ الْوَتْرِ بِهِ . وَالْمِزْرَعُ : السَّهْمُ . وَيُقَالُ : نَزَعْتُ فِي الْقَوْسِ نَزْعًا ، وَانْتَزَعْتُ لَهُ بِمِزْرَعٍ ، وَنَزَعْتُ ، أَي بَسَمْتُ . وَفِي الْمَثَلِ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْجَنَاحِ » صَوَابُهُ فِي م . وَفِي التَّيْمُورِيَّةِ : « الْحَافِرِ » .

(٢) م وَالتَّيْمُورِيَّةِ : « مِنْ شَجَرٍ » .

« عَادَ السَّهْمُ إِلَى النَّزَعَةِ » فِي مَعْنَى رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ . وَيَقْمَصُّ ، أَيْ يُحَرِّكُ . وَيُقَالُ قَمَّصَ الْبَحْرُ بِالسَّفِينَةِ ، إِذَا حَرَّكَهَا بِالْمَوْجِ ، حَتَّى كَانَتْهَا بِعَيْرِ يَقْمِصُ . قَالَ :

* يَقْمِصُ بِالْبُوصِيِّ مُعْرُوفٌ وَرَدُ^(١) *

وَإِنَّمَا جَعَلَ الرَّكْضَ لِلْوَتْرِ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَزُجُّ بِالسَّهْمِ وَيُدْفَعُهُ ، فَكَأَنَّهُ يَرْكُضُهُ^(٢) ، وَهَذَا يُشْبِهُ الْقَلْبَ ، لِأَنَّ الرَّكْضَ لِلْوَتْرِ وَقَدْ جَعَلَهُ لِلسَّهْمِ ، فَهُوَ كَقَوْلِ الْآخِرِ :

* مَا أَمْسَكَ الْحَبْلَ حَافِرُهُ *

وَمَا أَشْبَهَهُ . وَيُمْكِنُ أَنْ يُتْرَكَ عَلَى ظَاهِرِهِ ، فَيَجْعَلُ السَّهْمَ رَاكِضًا مِنْ حَيْثُ كَانَ رَاكِبًا لِلْوَتْرِ . وَالرَّكْضُ : تَحْرِيكُ الْفَارِسِ رِجْلَيْهِ عَلَى الْفَرَسِ عِنْدَ الْاسْتِحْثَاتِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَأَنَّ السَّهْمَ هُوَ الَّذِي يَرُكُضُ الْوَتَرَ وَإِنْ كَانَ الْحَفْزُ لِلْوَتْرِ .

١٨٠

وقال زيد الفوارس^(٣) :

١ — تَأَلَّى ابْنُ أَوْسٍ حَلْفَةَ لَيْرِدُنِي عَلَى نِسْوَةٍ كَأَنَّهِنَّ مَفَائِدُ

(١) للحطيفة في ديوانه ١٩ . وصدرة :

* وهدأ أي من دونها ذو غوارب *

(٢) هذا الصواب من م والتيمورية . وفي الأصل : « يرفضه » .

(٣) شاعر جاهلي . وهو زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي ، كما هو عند التبريزي . ذكره الأمدى في المؤلف ، ولم يرفع نسبه . وله ذكر في يوم بزاحة ، وشهد يوم القرابين ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه وهو فارسهم ، ولهذا قيل له زيد الفوارس ، وكان يقال له أيضاً « فارس الرباب » ، ويقال له « الرديم » أيضاً ، لأنه كان إذا وقف في الحرب ردم ناحيته ، أي سدها . انظر الخزانة (١ : ٥١٧) وبلوغ الأرب للأوسى (٢ : ١٣٧ — ١٣٨ ، ١٨٩) .

آلَى الرَّجُلِ وَاتَّسَلَى وَتَأَلَّى بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وهذه الأبنية من الأليّة ، وهي اليمين . و « حَلْفَةٌ » انتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ . وَقَوْلُهُ « لِيَرُدُّنِي » يُرَوَى بِفَتْحِ اللَّامِ وَضَمِّ الدَّالِ ، عَلَى أَنَّ يَكُونُ اللَّامُ لَامَ الْيَمِينِ . وَذَكَرَ سَيْبَوِيهِ أَنَّ لَامَ الْقَسَمِ يَلْزَمُهَا إِحْدَى النُّونِ الثَّقِيلَةِ أَوِ الْخَفِيفَةِ ، وَقَالَ أَيْضًا : وَقَدْ يُحَذَفُ النُّونُ فِي الشُّعْرِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ بِالرُّوَايَةِ الثَّانِيَةِ جَاءَ عَلَى مَا سَوَّغَهُ . وَقَدْ جَاءَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا وَأَبْعَدُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ ، وَهِيَ حَذْفُ اللَّامِ وَإِثْبَاتُ النُّونِ . قَالَ :

وَقَتِيلٌ مُرَّةً أَثَارَنَّ فَإِنَّهُ فِرْعُوعٌ وَإِنْ أَخَاهُمْ لَمْ يُقْصَدِ (٢)

والمفائد : جمع المفاد ، وهي المساعير والسفائيد . والفاد في اللغة : التحريك ، وقيل إن الفواد منه اشتق ، لأنه ينبض . ومعنى البيت : حَلَفَ الرَّجُلُ حَلْفَةً لِيَأْسِرَنِّي ثُمَّ يَمُنُّ عَلَيَّ فَيَرُدُّنِي عَلَى نِسْوَةٍ كَأَنَّهُنَّ مَسَاعِيرٌ ، لِاحْتِرَاقِهِنَّ وَجَدَّابِي وَعَمَّا عَلَيَّ ، فَفَعَلْتُ أَنَا بِهِ مِثْلَ مَا هُمْ بِهِ فِيَّ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ ابْنَ أَوْسٍ كَانَ مَأْسُورًا فَحَلَفَ أَنَّهُ يُنَجِّجِيهِ زَيْدُ الْفَوَارِسِ وَيُفَكُّ أَسْرَهُ ، وَيَرُدُّهُ عَلَى نِسَاءِ هُنَّ مِنَ الْوَجْدِ بِهِ بِهَذَا الْمَحَلِّ ، فَاقْتَصَّ ابْنُ أَوْسٍ قِصَّتَهُ فِيمَا كَانَ يَرْجُوهُ مِنْ جِهَتِهِ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِ ، وَأَنَّهُ حَقَّقَ أَمَلَهُ . وَيُمْكِنُ الْإِسْتِشْهَادُ لِلْخَبَرَيْنِ وَالْمَعْنِيَيْنِ عَلَى اخْتِلَافِهِمَا مِمَّا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْأَبْيَاتُ الَّتِي بَعْدَهُ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ أَنَّهُ أَرَادَ بِالنِّسْوَةِ حُرْمَ ابْنِ أَوْسٍ ، وَأَنَّهُ شَبَّهَهُنَّ بِالسَّفَائِدِ لِسُوءِ أَحْوَالِهِنَّ ، وَتَأْثِيرِ الضَّرِّ وَالْجَهْدِ فِيهِنَّ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ هَجْوًا وَتَعْيِيرًا لِابْنِ أَوْسٍ ، وَأَنَّ أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ مِنَ الْفَقْرِ بِهَذَا الْمَحَلِّ . فَأَمَّا مَنْ رَوَى « لِيَرُدُّنِي » فَالْمَعْنَى حَلَفَ

(١) البيت لعاصم بن الطفيل في ديوانه ١٤٥ ، وهو من شواهد الخزانة (٤ : ٢١٦) .

وقتييل ، يروى بالأوجه الثلاثة . وقتيل مرة هو أخوه حنظلة بن الطفيل ، كما في شرح الديوان . ويروى « فرع » بفتح الفاء وآخره عين مهيمة .

لهذا الأمر ، وجوابُ القَسَمِ يكون محذوفاً مقدَّراً ، ويُستدلُّ عليه بما ذكره .
 وقال بعض المتقدمين : تقولُ حَلَفَ لِيُقَعَلَنَّ ، فإذا حَذَفْتَ النون كَسَرْتَ اللامَ
 وأَعْمَلْتَها إعمالَ لامِ كَيْ ، والمَوْضِعُ مَوْضِعُ القَسَمِ والمعنى مَعْنَاهُ . وأنشد :
 إِذَا قُلْتُ قَدْنِي قَالَ بِاللَّهِ حَلْفَةً لِيُغْنِي عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعًا (١)
 وقيل مثل تألَّى ليردني : أرادَ لِيَفْعَلَ كذا . وفي القرآن : ﴿ يُرِيدُونَ
 لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، كَأَنَّ الفِعْلَ دَلَّ عَلَى المَصْدَرِ ، واللام مع الاسم
 المجرور به في موضع الخبر لذلك المصدر المبتدأ ، كأنه إرادتي كذا .

٢ - قَصَرْتُ لَهُ مِنْ صَدْرِي شَوْلَةً إِنَّمَا يُنَجِّي مِنَ المَوْتِ الكَرِيمِ المُنَاجِدُ
 أَخَذَ يَذْكَرُ أَنَّهُ كَذَبَ نَفْسَهُ فِيمَا حَدَّثَهَا بِهِ ، وَأَنَّهُ اسْتَعْمَلَ البَغْيَ فَضَصِرَ
 عَلَيْهِ ، فَقَالَ : قَصَرْتُ عَلَيْهِ فَرَمِي شَوْلَةً وَأَمَرْتُهُ ، لِأَنَّ الكَرِيمَ يُنَجِّي نَفْسَهُ ،
 وَيُنْهِضُ حِيلَتَهُ إِذَا جَدَّ جِدُّهُ (٢) وَكَادَ عَدُوُّهُ يَغْلِبُهُ وَتَعَلَّوْا عَلَيْهِ يَدُهُ . هذا إذا
 جعلت ابن أوسٍ هو الذي حَدَّثَ نَفْسَهُ وَأَكْدَّ طَمَعَهُ وَيَمِينَهُ بِأَنَّهُ سَيَأْسِرُ
 الشاعِرُ . فأما إذا جعلت ابن أوسٍ أسيراً وراجياً أنه سيفكُ زيدُ الفوارسِ
 إِسارَهُ ، وَيَحُلُّ عِقَالَهُ ، فالمعنى في « قَصَرْتُ لَهُ مِنْ صَدْرِي شَوْلَةً » أَنَّهُ بَيْنَ كَيْفِ
 حَقَّقَ رَجَاءَهُ ، وَمِنْ أَيْنَ يَوْصَلُ إِلَى تَخْلِيصِهِ . وفي قوله « إِنَّمَا يُنَجِّي مِنَ المَوْتِ
 الكَرِيمِ » أَنَّهُ خَلَّصَ نَفْسَهُ لَمَّا عَلَّقَ الرَّجَاءَ بِهِ ، وَجَعَلَ يَحْلِفُ أَنَّ خِلاصَهُ
 بِسَعْيِهِ وَتَعَطُّفِهِ ، لِأَنَّهُ بَعَثَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ظَنِّهِ بِهِ .

٣ - دَعَانِي ابْنُ مَرْهُوبٍ عَلَى شَنْءٍ بَيْنِنَا فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الرِّمَاحَ مَصَايِدُ
 حَوَّلَ كَلَامَهُ إِلَى قِصَّةٍ أُخْرَى فَقَالَ : اسْتَغَاثَ بِي هَذَا الرَّجُلُ عَلَى مَا بَيْنَنَا
 مِنْ عَدَاوَةٍ وَبَغْضَاءٍ ، فَأَجَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ هَوَّنتُ عَلَيْهِ مَا خَافَهُ أَوَّلًا ، وَصَغَّرْتُ فِي

(١) من قصيدة لحيث بن عتاب ، في مجالس ثعلب ٦٠٤ - ٦٠٧ ، والحزانة (٤: ٥٨٣) .

(٢) في الأصل : « جاء جدّه » ، صوابه في م والتمورية .

هاجِسِه ما أَكْبَرُهُ ثانياً ، وَبَيَّنْتُ أَنْ الرِّمَاحَ حَبائِلُ الرِّجَالِ الكِرَامِ فِي الحَرْبِ
وَمصائِدُهُمْ ، فلا تُبَالِ بِالْمَوْتِ إِذا كانَ على وَجْهِهِ لا يَتَعَقَّبُهُ عارٌ ، ولا يَصْحَبُهُ
هوان . وكما جَعَلَ هذا الشاعِرُ الرُّمَحَ آلةً فِي صَيْدِ الأبطالِ ، جَعَلَ غَيْرُهُ الصَّيْدَ
لَهُ لا بِهِ ، فقال :

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ تَصِيدُ رِمَاحُهُمْ غَدَاةَ الصَّبَاحِ ذَا الحُدُورَةِ والحَرْدِ
وقوله « على شَنْءٍ بَيْنِنَا » فِي مَوْضِعِ الحالِ ، يقال شَنَنْتُهُ أَشْنَوْتُهُ شَنْناً
وَمَشْنَأَةً وَشَنَأَنَا .

٤- وَقُلْتُ لَهُ كُنْ عَنِ شِمَالِي فَإِنِّي سَأُكْفِيكَ إِنْ ذَادَ المَنِيَّةَ ذَائِدُ
يقول : تَعَطَّفْتُ عَلَيْهِ وَأَخَذْتُ بِالْفَضْلِ مَعَهُ بَعْدَ اسْتِنصَارِهِ ، وإِظْهَارِ حاجَتِهِ
وَإِذْعَانِهِ ، وَرَسَمْتُ لَهُ الكَوْنَ فِي الجانِبِ الأيسَرِ مِنِّي ، وَاثِقاً بِحَسَنِ مُحافِظَتِي ،
وَجَمِيلِ مُدافِعَتِي ، وَمُعْتَمِداً مِنْ جِهَتِي على أَنِّي سَأُكْفِيهِ المَحْذُورَ إِنْ دَفَعَ المَوْتَ
دافِعٌ . وَالمُرَادُ : إِنْ فَعَلَ أَحَدٌ مِنَ النَاسِ ما لا يُطَاقُ مِنْ دَفْعِ المَحْتُمِ فَعَلْتُهُ أَنَا
مَعَكَ ، اعْتِناءً بِأَمْرِكَ ، وإِثارةً لَهْوانَتِكَ ، وَتَحَرُّياً لِلحامِاةِ عَلَيْكَ . وَإِنما قالَ
« كُنْ عَنِ شِمَالِي » لِأَنَّهُ مَوْضِعُ المَعانِ المَنْصُورِ ، وَالمِمينُ مَوْضِعُ الناصِرِ . يقالُ :
أنا على يمينِكَ وَعَنْ يمينِكَ ، أَي ناصِرُكَ .

١٨١

وقال الوقاد بن المنذر^(١) :

١- لَقَدْ عَلِمْتَ عَوْذَ وَبُهَيْثَةَ أَنِّي بِوَادِي مُحامٍ لا أَحاولُ مَغْنا

(١) كذا في النسخ . وعند التبريزي وابن جني : « الوقاد بن المنذر بن ضرار الضبي » . قال ابن جني : « هذا في الأصل مصدر رقد يرقد رقاداً ، ودخول اللام عليه وهو علم يمكن فيه حال الصفة كالحارث والطفيل . وهذا إنما هو على جريان المصدر صفة نحو قولهم هذا رجل رقاد ، أي راقد ، كقولهم هذا رجل عدل ، أي عادل » . والظاهر أنه شاعر جاهلي .

بُهَيْثَةٌ مِنْ سُلَيْمٍ ، بَطْنٌ مِنْهُمْ ، وَالبُهَيْثَةُ فِي اللُّغَةِ : وَالدُّ البَغِيَّةُ . وَالبُهَيْثُ
الدِّشْرُ وَحُسْنُ اللُّقَاءِ . وَالحَمَامُ ، بِضَمِّ الحَاءِ : حُمَى الإِبِلِ وَالدَّوَابِّ . وَفِي طَرِيقَةِ
هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ عَنْتَرَةَ :

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغَشَى الْوَعْغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

المعنى : وَاللهِ قَدْ عَلِمَ هَاتَانِ الْقَبِيلَتَانِ أَنِّي فِي هَذِهِ الْوَقِيعَةِ الْوَأَقِيعَةِ بِهَذَا الْوَادِي
لَمْ أَشْتَفِئْ بِاجْتِرَارِ الْمَنَافِعِ ^(١) ، وَاحْتَوَاءِ الْمَغَانِمِ ، وَإِنَّمَا قَصَّرْتُ سَعْيِي عَلَى طَلَبِ النَّارِ ،
وَإِدْرَاكِ الْأُوتَارِ .

٢ - وَلَكِنَّ أَصْحَابِي الَّذِينَ لَقَيْتَهُمْ تَعَادَوْا سِرَاعًا وَاتَّقَوْا بَابِنَ أَرْزَمًا

أَرَادَ بِالأَصْحَابِ مِنْ لِقَائِهِ مِنَ الأَعْدَاءِ . وَمَعْنَى تَعَادَوْا سِرَاعًا : تَبَادَرُوا
مُسْرِعِينَ وَتَسَابَقُوا ، وَهَذَا مِنَ العَدْوِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَادَى بَيْنَهُمَا ،
أَيَّ وَآلِي ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى تَوَالُوا . وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ : تَعَادَى الْقَوْمُ ، أَيَّ مَاتَ بَعْضُهُمْ
فِي إِثْرِ البَعْضِ . وَقَوْلُهُ « وَاتَّقَوْا بَابِنَ أَرْزَمًا » ، يَرِيدُ جَعْلَهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ،
وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي اسْتَجَنُّوا بِهِ كَأَنَّهُ كَانَ مِدْرَةَ الكَتِيْبَةِ . وَإِنَّمَا ثَبَّتَ فِي وَجْهِ
الْقَوْمِ يَشْغَلُهُمْ لِيَسْلَمَ أَصْحَابُهُ ، وَيَأْخُذُوا الْمُهْلَةَ فِي الْفِرَارِ . وَفِي الْحَدِيثِ : « كُنَّا
إِذَا أَحْمَرَ البَّاسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

٣ - فَرَكَبْتُ فِيهِ إِذْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ بِمُنْقَطَعِ الطَّرْفَاءِ لَدَنَا مُقَوْمًا

يَقُولُ : طَعَنْتُهُ لَمَّا عَرَفْتُ مَحَلَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَمَوْضِعَهُ مِنَ البَلَاءِ وَالمِحَامَةِ
فِيهِمْ ، بِرَمْحٍ لَيْنٍ مُثَقَّفٍ ، عِنْدَ مُنْقَطَعِ الطَّرْفَاءِ . وَالطَّرْفَاءُ : شَجَرٌ . وَمُنْقَطَعُهُ :
الْمَكَانُ الَّذِي يَخْلُو مِنْهُ عَلَى اتِّصَالِهِ بِمَنْابِتِهِ . وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : وَاحِدُ الطَّرْفَاءِ ظَرْفَةٌ

(١) فِي الأَصْلِ : « بِاحْتِزَازٍ » ، صَوَابُهُ فِي م وَالتِيمُورِيَّةِ .

كَقَصْبَةِ وَقَصْبَاءَ . والباء من قوله « بَمَنْقَطَعِ » يتعلّق بقوله « رَكَّبْتُ » على ما فسّرناه . وكان لا يمتنع أن يكون معنى قوله عَرَفْتُ مكانه ، عَرَفْتُ مَوْضِعَهُ وَمَقَامَهُ ، لأنّ الرئيس يُخْفِي مكانَهُ وَيُخْمِلُ نفسه كثيرا ، وحينئذٍ يتعلّق الباء من قوله بَمَنْقَطَعِ الطَّرْفَاءِ بقوله مكانه ، وإكِنَّ قوله « واتَّقُوا بَابَنَ أَرْزَمًا » يَأْتِي إِلَّا الْقَوْلَ الْأَوَّلَ .

٤- وَلَوْ أَنَّ رُمِيَّ لَمْ يَخْنِي انْكَسَارُهُ جَعَلَتْ لَهُ مِنْ صَالِحِي الْقَوْمِ تَوْءَمًا^(١)

نِسْبَةُ الْخِيَانَةِ إِلَى الرُّمْحِ لَمَّا انْكَسَرَ كَنِسْبَةِ الْعَجْزِ إِلَى الْحَبْلِ إِذَا لَمْ يَصِلْ ، مِنْ قَوْلِهِمْ حَبْلٌ عَاجِزٌ . وَالتَّوْءَمُ ، زِنْتُهُ فَوْعَلٌ ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْوَأْمِ ، وَالتَّوَاءَمُ فِيهِ مَبْدَلَةٌ مِنَ الْوَاوِ ، وَكَأَنَّ الْوَالِدَ وَاءٌ فِي الْإِنْيَانِ غَيْرَهُ ، أَيْ وَافِقٌ . وَكَمَا تَوَسَّعُوا فِيهِ هَاهُنَا فَأُخْرِجَ إِلَى بَابٍ غَيْرِ بَابِ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَةِ ، تَوَسَّعَ فِيهِ فِي قَوْلِهِ :
قَالَتْ لَنَا وَدَمْعُهَا تُوَامٌ كَالدَّرِّ إِذْ أُسَامَهُ النَّظَامُ^(٢)

وقد أحكمت القول فيه وفي تصريفه وجمعه في شرح كتاب الفصيح .
فيقول : لولا أن رُمِيَّ خانني حين أعملته في هذا الرجل فانكسر ، لجعلت له نظيرًا من أشرف القوم وزعمائهم حتى يصير معه كتوءميين . وخصّ الصالحين منهم لأنهم يتبجّعون بقتل الملوك والرؤساء . فإن قيل : لم ذمّ الأجرار في الطعن وهم يحمّدونه حتى عدّ انكسار الرُمح خيانة منه ؟ قلت : الأجرار فعل الطاعن ، وهو محمود ، وإنما ذمّ من الرُمح ضعفه وقلة ثباته في العمل ؛ وليس ذلك من الأجرار في شيء .

(١) التبريزي : « من صالح القوم » .

(٢) الرجز في إصلاح النطق ٣٤٥ واللسان (تام) بدون نسبة .

٥— وَلَوْ أَنَّ فِي يُمْنِي السَّكْتِيَّةِ شَدَّتِي إِذَا قَامَتِ الْعَوْجَاءُ تَبَعْتُ مَا تَمَّا
 كَأَنَّهُ خَفِيَ عَلَيْهِ مَكَانُ وَاتِرِهِ فَلَمْ يَعْلَمْ أَهْوُو فِي الْمَيْمَنَةِ أَمْ فِي الْمَيْسَرَةِ ، فَأَخَذَ
 يَتْلَاهُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ . وَالشَّدَّةُ : الْحَمْلَةُ ، فيقول : لو اتَّفَقْتُ حَمَلَتِي فِي يُمْنَاهَا
 بَدَلًا مِنْ يُسْرَاهَا ، لَقَامَتِ أُمُّهُ وَقَدْ تَكَلَّمَتْهُ تَهْيِجُ الْمَأْتَمِ ، وَتَبَعْتُ عَلَى النَّوْحِ
 عَلَيْهِ النَّوَامِحَ ، وَلَكِنْ ذَهَابُ مَقَامِهِ عَنْ عِلْمِي هُوَ الَّذِي نَجَّاهُ مِنِّي . وَجَعَلَهَا
 عَوْجَاءَ إِمَّا عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ ، كَمَا قَالَ :

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٌ^(١) فِدَعَاءُ قَدْ حَلَبَتْ عَلَى عِشَارِي^(١)

فِيكَوْنُ الْعَوْجُ فِي تِلْكَ لَتَفَاوَتْ خِلْقَتَيْهَا ، وَزَوَالِهَا عَنْ سَنَنِ الْإِسْتِقَامَةِ ،
 كَالْفَدَعِ فِي هَذِهِ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّهَا مَضْرُورَةٌ مَجْهُودَةٌ مَعْوَجَّةُ الْوَجْهِ ،
 مَهْزُولَةٌ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْعَوْجَاءُ لِقَبًا لَهَا ، وَالْمَأْتَمُ ؛ أَصْلُهُ فِي الضَّمِّ وَالْجَمْعِ .

١٨٢

وَقَالَ أَيْضًا :

١— إِذَا الْمُهْرَةُ الشَّقْرَاءُ أَرْكَبَ ظَهْرُهَا فَسَبَّ الْإِلَاهُ الْحَرْبَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ
 رُوِيَ « أَرْكَبَ ظَهْرُهَا » . وَيُقَالُ أَرْكَبَ الْمُهْرُ ، إِذَا حَانَ أَنْ يُرْكَبَ
 وَاسْتَبْصِلِحَ لِلإِسْرَاجِ وَالإِجْلَامِ . وَجَعَلَ الْفِعْلَ لِلظَّهْرِ عَلَى التَّوَسُّعِ إِذَا كَانَ مَوْضِعَ
 الرَّكُوبِ ، وَيَكُونُ أَرْكَبَ كَمَا يُقَالُ أَجَزَّ الْخَضْرُ ، وَأَخْصَدَ الزَّرْعُ . وَيُرْوَى :
 « أَدْرَكَ ظَهْرُهَا » وَالْمَعْنَى بَلَغَ حَدَّ الرُّكُوبِ وَالانْتِفَاعِ بِهِ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ أَدْرَكَ
 الثَّمْرُ ، إِذَا امْتَكَنَ الْانْتِفَاعُ بِهِ . فيقول : إِذَا بَلَغَ فَرَسِي هَذَا الْحَدَّ فَهَيِّجَ اللَّهُ
 نَارَ الْحَرْبِ ، وَأَقَامَ سُوقَ التَّغَاوُرِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ ، حَتَّى أَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى مَا كُنْتُ

(١) البيت للفرزدق يهجو جريراً ، في ديوانه ٤٥١ .

أريدُهُ وأنتظرُهُ . وارتفاعُ المَهْرَةِ بفعلٍ مُضْمَرٍ بعد إذا ، يكونُ الظاهرُ تفسِيرَهُ .

٢ — وَأَوْقَدَ نَاراً بَيْنَهُمْ بِضِرَامِهَا لَهَا وَهَجَّ لِلْمُضْطَلِّي غَيْرُ طَائِلِ

هذا من جملة الدعاء . والكلامُ يدلُّ على استعجاله بحصول الحالة المُتَمَنِّاة فيقول : وَأَجَّجَ بَيْنَهُمْ نَارَ الشَّرِّ بما يلهبُها حتى يصيرَ لها وَهَجٌ لا خَيْرَ فيه لمن يدنو منه وَيَضْطَلِّي به . وَخَصَّ الضَّرَامَ لِأَنَّهُ يُسْرِعُ ذَهَابَ النَّارِ فِيهِ فَيَعْلُو لَهَبُهَا . إن قيلَ : لِمَ كَرَّرَ طَلِبَ اتِّقَادَ النَّارِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ؟ قلتَ : الْأَوَّلُ أَرَادَ بِهِ نَارَ الْحَرْبِ ، وَالثَّانِي أَرَادَ بِهِ نَارَ الْخِلَافِ وَالشَّرَّ الْمُنْتَدِجَ عَنِ النَّائِمِ وَالْوَشَايَاتِ ، حَتَّى أَنْ مَنْ دَخَلَ فِيهِمْ طَالِباً لَا يُقَاعِ صُلْحٍ وَصَلَاحٍ بَيْنَهُمْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِزَالَتِهِ ، وَكَانَ خَلِيقاً بَأَن يَشْقَى شَقَاوَتَهُمْ ، وَيَدْخُلُ مَدَاخِلَهُمْ . وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي طَائِلِ ، وَأَنَّهُ مِنَ الطَّوْلِ . وَيُقَالُ : مَا حَلَيْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِطَائِلِ .

٣ — إِذَا حَمَلْتَنِي وَالسَّلَاحَ مُشِيحَةً إِلَى الرَّوْعِ لَمْ أَصْبِحْ عَلَى سِلْمٍ وَائِلِ

المُشِيحُ وَالسَّاحُ وَالشَّيْحُ وَاحِدٌ . قَالَ :

* مُشِيحٌ فَوْقَ شَيْحَانٍ ^(١) *

يَعْنِي رَجُلًا عَلَى فَرَسٍ . وَقَالَ :

* وَشَايَحْتُ قَبْلَ الْقَوْمِ إِنَّكَ شَيْحٌ ^(٢) *

فَيَقُولُ : إِذَا جَالَ تَحْتِي وَعَلَى سِلَاحِي قَاصِدًا إِلَى الْحَرْبِ فَرَسٌ جَادَةٌ ، لَمْ أَصَالِحْ وَائِلًا ، وَلَمْ أَرْضَ مِنْهَا إِلَّا بِالشِّفَاءِ وَالِاشْتِفَاءِ . وَالْمَشَايِحَةُ : الْمُحَادَرَةُ . وَالْمُشِيحُ : الْحَازِمُ .

(١) عجزه في اللسان (شريح) :

* يدر كأنه كلب *

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين (١ : ١١٦) ولللسان (شريح) .

* بديرت إلى أولاهم فسبقهم *

صدره :

٤ - فِدَى لِفَتَى أَلْتَى إِلَى بَرَأْسِهَا تِلَادِي وَأَهْلِي مِنْ صَدِيقِي وَجَامِلِي
 قَوْلُهُ « أَلْتَى إِلَى بَرَأْسِهَا » أَيْ وَهَبَهَا لِي وَمَكَّنَنِي مِنْ قِيَادِهَا بِنَفْسِي . وَذِكْرُ
 الرَّأْسِ كَمَا يُقَالُ : هُوَ يَرْتَبِطُ كَذَا رَأْسًا وَكَذَا ظَهْرًا . وَذِكْرُ الْإِنْقَاءِ كَمَا يُقَالُ :
 أَلْتَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَ الْأُمُور . وَالْمَعْنَى : أُنْفِدِي بِمَالِي الْقَدِيمِ وَأَهْلِي الْمُصَادِقِينَ فَتَى
 مَكَّنَنِي مِنْ هَذِهِ الْمُهْرَةِ وَمَلَّكْنِيهَا . وَقَوْلُهُ « مِنْ صَدِيقِي وَجَامِلِي » دَخَلَ مِنْ
 عَلَى طَرِيقِ التَّبْيِينِ ، فَالصَّدِيقُ تَفْسِيرُ الْأَهْلِ ، وَالْجَامِلُ تَفْسِيرُ التَّلَادِ . وَكَأَنَّ
 هَذَا الرَّجُلَ يَنْتَظِرُ إِمْكَانَ الْفُرْصَةِ مِنْ أَعْدَائِهِ لِيَنْتَهِزَهَا فِي وَقْتِهِ ، وَيَتَمَتَّنِي اهْتِيَاجَ
 الشَّرِّ فِي النَّاسِ وَتَدَاعِي الْقَبَائِلِ بِالْأُوتَارِ ، وَتَنَاهُضَهُمْ لِلْقِتَالِ عِنْدَ تَكَامُلِ عُدَّتِهِ
 لِيَجِدَ طَرِيقًا إِلَى مَكْشَفَةٍ مَن يُرِيدُ مَكْشَفَتَهُ ، وَتَسْبَبًا إِلَى إِدْرَاكِ مَا يُرِيدُ
 إِدْرَاكَهُ ، فَلِهَذَا عَلَّقَ الدُّعَاءَ بِإِرْكَابِ الْمُهْرِ ، وَأَجَّلَ الزَّمَانَ فِي ابْتِغَاءِ الْمَطْلُوبِ .
 وَخَصَّ الصَّدِيقَ مِنْ أَقْرَبِهِ وَذَوِيهِ لِأَنَّ النَّفْسَ أَضْنُ بِهِمْ ، كَمَا خَصَّ الْجَامِلَ وَهُوَ
 ذِكْرُ الْإِبِلِ وَإِنَائِهَا لِأَنَّهَا هِيَ الْمَالُ الْمُخْتَارُ مِنَ الْأَزْوَاجِ الثَّمَانِيَةِ . وَيُرْوَى : « مِنْ
 صَدِيقِي وَجَامِلِي » بِالْحَاءِ ، فَيَكُونُ مِنْ تَفْسِيرِ الْأَهْلِ خَاصَّةً ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ وَأَهْلِي
 مِنْ مُصَادِقِي لِي وَبَارِي بِي . وَيُقَالُ : حَمَلَهُ عَلَى كَذَا مَرَّةً كَبًّا ، إِذَا أَعْطَاهُ . كَأَنَّهُ
 قَالَ : كُلُّ مَنْ حَمَلَنِي عَلَى فَرَسٍ مِنْ أَهْلِي فَهُوَ فِدَاؤُنِي لِمَنْ حَمَلَنِي عَلَى هَذَا الْمُهْرِ ؛ لِأَنَّهُ
 يَقَعُ دُونَهُ فِي الْقَدْرِ وَالْمَكَانَةِ .

١٨٣

وَقَالَ شَمْعَلَةُ بْنُ الْأَخْضَرِ (١) :

١ - وَيَوْمَ شَقِيقَةِ الْحُسَيْنِ لَاقَتْ بَنُو شَيْبَانَ آجَالًا قِصَارًا

(١) هُوَ شَمْعَلَةُ بْنُ الْأَخْضَرِ بْنِ هَيْبَةَ بْنِ النَّذْرِ بْنِ ضَرَارِ الضَّبِيِّ . شَاعِرٌ فَارِسٌ وَأَبُوهُ
 الْأَخْضَرُ أَحَدُ سَادَاتِ ضَبَّةِ وَفَرَسَانِهَا وَشِعْرَانِهَا . الْمُرْتَلَفُ ١٤١ . وَالْأَبْيَاتُ التَّالِيَةُ رَوَاهَا
 الْأَمْدِيُّ فِي كِتَابِهِ .

الشقيقة: رملة تُسَقُّ من معاظم الرَّمَل ، وهي في الأصل صفةٌ فجُعِلَتْ اسماً وألْحَقَ به الهاء . وقد قيل فيها إنها رملةٌ بين رَمَلَتَيْنِ ، والحَسَنانِ قيلَ هُمَا رَمَلَتَانِ ببلادِ بَنِي تَمِيمٍ ، وقيل حَسَنٌ كَثِيبٌ ضُمَّ إليه قِطْعَةٌ أَرْضٍ تَقْرُبُ منه فقيل حَسَنانِ ، كقولهم الكوفتان والحيرتان . وهذه الأبيات في مقتلِ بَسْطامِ بنِ قَيْسٍ ، قِيلَتْ عَلَى طريقِ التَّشْفِي وإظهارِ الشَّامَةِ . يُرِيدُ : لاقَى بنو شَيْبَانَ يَوْمَ اجْتِمَاعِنَا بهذا المكانِ آجالاً غيرَ مُتَمَدِّدَةٍ ، متقاصِرةً عن الغايةِ التي كانت آمالَهُمْ تَنْزِعُ إليها ، وَيَعِدُهُمُ اغْتِرَارُهُمْ بها .

٢ - شَكَّنَا بِالرَّمَّاحِ وَهَنْ زُورٌ صِمَاخِي كَدْبِشِيمِ حَتَّى اسْتَدَارَا^(١)

الشكُّ : النَّظْمُ . يقول : انتظَمْنَا بِالرَّمَّاحِ وَالخَيْلُ مُنْحَرِفَةٌ لِلطَّعْنِ صِمَاخِي رَيْسِيهِمْ - يَعْنِي بَسْطامًا - حَتَّى دِيرَ بِهِ فَسَقَطَ . وكانِ بَسْطامُ أَعْرَابِيٍّ فِي بَنِي شَيْبَانَ عَلَى بَنِي ضَبَّةَ ، واستاقَ إِبِلَهَا ، وكانَ رِجالُ الحَيِّ غائبِينَ ، فَلَمَّا أَحْسَوْا بِذَلِكَ رَكِبُوا إِثْرَهُ ، فَلَمَّا لَحِقُوهُ أَخَذَ بَسْطامُ يُعْرِقِبُ الإِبِلَ ، فقالوا : يا بَسْطامُ ما هذا السَّفَهُ ، إِمَّا أَنْ تَكُونَ لَنَا أَوْلَكَ ! ثُمَّ أُصِيبَ صِمَاخَهُ - والصِّمَّاحُ هُوَ الخَرْقُ الباطِنُ الَّذِي يُفِضِي إِلَى الرَّأْسِ - وَقَاتِلُ بَسْطامِ هُوَ عاصِمُ ابنِ خَلِيفَةَ الضَّبِّيِّ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ كانَ مَضْعُوفًا . وفي ذلكَ اليَوْمِ رَأَتْهُ أُمُّهُ يُسِنُّ سِنانَ رُمِحِهِ فقالت : ما تُرِيدُ بهذا ؟ قال : أُرِيدُ أَنْ أَقْتَلَ بِهِ بَسْطامًا ! فقالت الأُمُّ مَتَّعِجِبَةً وَمُسْتَنَكِرَةً : « أَسْتُ أُمَّكَ أَضِيقُ مِنْ ذاكِ ! » . وَحِكِي أَنَّهُ أدْرَكَ الإسلامَ وَأَسْلَمَ ، فَكانَ إِذا وَرَدَ بابَ عَمْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقولُ : عاصِمُ بنِ

(١) بين هذا البيت وتاليه عند الأمدى :

تَرَى الشَّقْرَاءَ تَرْفُلُ فِي سَلاها وقد صار الدِّماءُ لها إِزارا
كما رَفَلَتْ وَطافَ بِها العِذارى فبِأُفِّةِ الحَيِّ بُردًا مُستعارا

خليفة ، قاتل بسطام بن قيس بالباب المفتحاً . ومعنى «استدار» ، أخذه دوار الموت . وقوله « شككنا بالرماح » والشك كان من واحد منهم وبرمحه ، على عادتهم في نسبة الفعل إلى القبيل وإن كان من أحدهم ، لا شرا كهم في الرضا به ، وتجمعهم لإيقاعه . على ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴾ وما أشبهه .
 ٣ - فخر على الألاء لم يوسد وقد كان الدماء له خمار الألاء : شجرة حسنة المرأى ، قبيحة المختبر ، ولهذا شبه به كل من قصر مخبره عن منظره . قال :

فإنكم ومدحكُم بجيرا أبالجاء كما امتدح الألاء^(١)
 يراه الناس أخضر من بعيد وتمنعه المرارة والإباء

ومعنى خر على الألاء ، أى مال عليها لما أصيب . والمراد بالبيت : سقط بسطام لما طعن على الألاء وهو غير مؤسد ، قد غشى رأسه ووجهه بالدم . قوله « لم يوسد » فى موضع الحال ، وهو بيان لكونه مقتولاً ، وأن خروجه كان لذلك . وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ وما أشبهه . والخمر والخمار : كل ما غطاك .

١٨٤

وقال حسيل بن سجيح^(٢) :

١ - لقد علم الحى المصبح أنى غداة لقينا بالشريف الأحمسا

يقول : صبحتهُ مُشدداً ومخففاً ، إذا قصدته الغارة صباحاً . وفى المثل :

(١) لبشر بن أبى خازم ، كما فى اللسان (ألا) .

(٢) التبريزى : « حسيل بن سجيح الضبي » . وحسيل بالتصغير كما فى النسخ والمبج وشرح التبريزى . وأما سجيح فضبط فى النسخ بفتح السين ، وفى المبج وشرح التبريزى بهيئة التصغير . قال التبريزى : « كان بنو ضبة انتجعوا أرض بنى عامر بالشريف ، فطلبهم بنو عامر ، فسار حسيل فى أخريات بنى ضبة فنع بنى عامر من النيل منهم » .

« حَبَّحْتَاهُمْ فَغَدَوْا شَامَةً ^(١) »

والأخامِسُ لقبُ لبني عامرٍ، وجمعُ جمعِ الأسماءِ وإن كان صفةً في الأصل فهو كالأَبْطَحِ والأَجْدَلِ وأشباههما؛ وقد تقدّم القولُ فيه. والشاعر يقول: تَبَيَّنَ الحَيُّ المُغَارُّ عليهم صَبَاحًا أَنِّي غَدَاةَ لَقِينَا بَنِي عامرٍ بالشَّرِيفِ — وهو مَوْضِعٌ بِنَجْدٍ، وكذلك الشَّرَفُ — أَبْلَيْتُ. وهذا الكلامُ منه استشهادٌ بمن دَافَعَ عنهم. وخبرٌ أَنَّ فيما بَعْدَهُ، وهو قوله « جَعَلْتُ لَبَانَ الجَوْزِ » . وغداة لَقِينَا ظَرْفٌ له. فإن قيل: هَلَّا جعلته ظَرْفًا لَعَلِمَ أَوَّلِ لَقِينَا؛ قلت: لا يجوز أن يَكُونَ ظَرْفًا لَعَلِمَ، لأنَّه إذا جُعِلَ كذلك صارَ أجنبيًّا مما دَخَلَ في صِلَةٍ أَنْ، وحائلاً بينه وبين خبره، والفصلُ بين الموصول وما في صلته بالأجنبي منه غير جائز. ولا يجوز أن يكون ظَرْفًا لِلْقِينَا، لأنه مضافٌ إليه، والمُضَافُ لا يجوز أن يكون عاملاً في المُضَافِ.

٢ — جَعَلْتُ لَبَانَ الجَوْزِ لِلقَوْمِ غَايَةً من الطَّعْنِ حَتَّى آضَ أَحْمَرَ وَارِسًا ^(٢)

جَعَلْتُ هَاهُنَا تَعْدَى إِلَى مَفْعُولِينَ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى صَيَّرْتُ. واللَّبَانُ: الصِّدْرُ مِنَ الفَرَسِ. والوَرِسُ: صِبْغٌ أَحْمَرٌ مَعْرُوفٌ. وَثَوْبٌ وَرِسٌ وَوَارِسٌ. وَأَوْرَسَ الرَّمْثُ، إِذَا اصْفَرَ ثَمَرُهُ، فَهُوَ وَارِسٌ، وَهُوَ أَحَدُ الحُرُوفِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى أَفْعَلٍ فَهُوَ فَاعِلٌ؛ وَلَا يَقَالُ مُورِسٌ. وَرُبَّمَا ^(٣) فُسِّرَ الوَرِسُ عَلَى الزَّعْفَرَانِ. يَقُولُ: ثَبَّتْ فِي وَجْهِ القَوْمِ فَصَيَّرْتُ صَدْرَ فَرَسِي مَدَى لِلطَّعْنِ وَمَوْقِعًا، حَتَّى صَارَ لَسِيلَانَ الدَّمِ عَلَيْهِ أَحْمَرَ كَالوَرِسِ.

(١) المثل عند الميداني (١ : ٣٦٧).

(٢) التبريزي: « وروى: غابة. أي صار كالأجمة من كثرة ما انكسر من

الرماح فيه ».

(٣) في الأصل: « وإنما »، صوابه في م والتيمورية.

٣- وَأَرْهَبْتُ أَوْلَى الْقَوْمِ حَتَّى تَنْهَنَهُوا كَمَا ذُوتَ يَوْمَ الْوَرْدِ هِيَا خَوَامِسَا
 يقول : خَوَّفْتُ أَوْلِيَهُمْ حَتَّى كَفُّوا وَتَنَكَّسُوا ، كَمَا تَكْفُ إِبْلَا عِطَاشًا
 وَرَدَّتْ لِحْمِسِ ، فَازْدَحَمَتْ عَلَى الْمَاءِ يَوْمَ الْوُرُودِ . وَالْهِيمُ : الَّتِي بِهَا الْهَيَامُ ،
 وَهُوَ دَاءٌ يَصْحَبُهُ الْعَطَشُ الشَّدِيدُ . جَعَلَ أَوْلِيَهُمْ تَتَبَادَرُ وَتَزْدَحِمُ حَرَصًا عَلَى
 الْقِتَالِ ، مَبَادِرَةَ الْهِيمِ وَازْدِحَامَهَا عَلَى الْمَاءِ وَقَدْ وَرَدَتْ لِحْمِسِ . وَهَذَا التَّشْبِيهُ مِنْ
 بَابِ التَّصْوِيرِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي شَرْحِهِ . وَقَوْلُهُ : « تَنْهَنَهُوا كَمَا ذُوتَ »
 يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ حَتَّى ذُوتُهُمْ كَمَا ذُوتَ ، فَوَضَعَ تَنْهَنَهُوا بَدْلَهُ وَدَالًا عَلَيْهِ .
 وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ : كَمَا نَهْنَهَتْ يَوْمَ الْوَرْدِ إِذَا ذُوتَ هِيَا ، فَوَضَعَ ذُوتَ
 مَوْضِعَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : أَرْهَبْتُهُمْ كَمَا أَرْهَبْتَ ، فَوَضَعَ ذُوتَ مَوْضِعَ
 أَرْهَبْتَ ، وَهَذَا أَقْرَبُ .

٤- بِمِطْرِدٍ لَدُنِّ صِحَاحٍ كُعُوبُهُ وَذِي رَوْتَقٍ عَضْبٍ يُقَدُّ الْقَوَانِسَا
 ٥- وَبَيْضَاءَ مِنْ نَسِجِ ابْنِ دَاوُدَ نَثْرَةً تَخَيْرْتَهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ الْمَلَابِسَا

الْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « بِمِطْرِدٍ » تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ أَرْهَبْتُ . فَيَقُولُ : خَوَّفْتُهُمْ بِالْبُرُوزِ
 لَهُمْ ، وَمَعَالِنَةَ ذَوِي الْحِشْمَةِ بِالتَّنَكُّرِ مَعَهُمْ ، وَالشَّدَّ عَلَيْهِمْ بِرُمْحٍ مَسَوِّى لَيْنٍ
 صَحِيحِ الْكُعُوبِ وَالْأَنْايِبِ ، وَسَيْفِ ذِي مَاءٍ ، قَاطِعِ نَافِذٍ فِي الْقَوَانِسِ ، لَا يَنْذُبُو
 وَلَا يَرْتَدِعُ . وَمَعْنَى الْأَطْرَادِ فِي الرُّمْحِ تَقْوُّمُهُ وَتَوَافُقُ أَنْايِبِهِ عِنْدَ الْهَزِّ .
 وَالْقَوَانِسِ : أَعْلَى الْبَيْضِ ؛ وَقَوْنَسُ الْفَرَسِ مِنْهُ ، وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي تَحْتَهُ
 الْعُصْفُورَانِ . هَكَذَا قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ وَالْعُصْفُورَانِ سَوَاءٌ ،
 وَالْقَدُّ : الْقَطْعُ طَوْلًا ، فَإِنْ كَانَ عَرْضًا فَهُوَ الْقَطُّ . وَقَوْلُهُ « وَبَيْضَاءَ مِنْ نَسِجِ
 ابْنِ دَاوُدَ » فَإِنَّهُ عَنَى بِهِ دِرْعًا ، وَالْمُرَادُ تَعْدَادُ عُدَّتِهِ وَاحِدًا وَاحِدًا . أَيْ
 أَرْهَبْتُهُمْ بِدِرْعِ نَقِيَّةِ اللَّوْنِ مِنَ الصَّدَا دَاوُدِيَّةٍ وَاسِعَةٍ ، اخْتَرْتَهَا مِنَ الْمَلَابِسِ يَوْمَ

اللقاء . وإنما قال « من نَسَجِ ابنِ دَاوُدَ » كما قال الآخر^(١) :

* وَنَسَجُ سُلَيْمٍ كُلُّ قَضَاءِ ذَائِلِ^(٢) *

وللعرب عادةٌ معروفةٌ في إقامة الأبِ مقامَ الابنِ ، والابنِ مقامَ الأبِ ، وتسمية الشيء باسم غيره إذا كان من سببه . والأعلام لا يدخلها الجاز ، ولكن تستعار إذا حصل بها القصدُ وأمنَ معها اللبسُ عند الذِّكْر . وانتصبَ الملابسُ على المفعول ، لأنَّ الفعلَ بعد انحذفِ حرفِ الجرِّ منه وصلَ إليه فنصبه . وأصلها تحيُّرُها يومَ اللقاءِ من الملابسِ . ومثله قوله تعالى : ﴿ واختارَ موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾ . والمرادُ : اختارَ موسى من قومه ، ومثُلُ هذا من الحذفِ لا ينقاس .

٦ - وَحَرْمِيَّةٌ مَنسُوبَةٌ وَسَلَاجِمٌ خِفافٍ تَرَى عَنْ حَدِّهَا السَّمَّ قَالِيسَا

يريدُ : وبقوسٍ مُتَّخِذَةٌ مِنْ شَجَرِ الْحَرَمِ^(٣) ، لها نَسَبٌ لِحُدُودِهَا وَعِثْقِي نِجَارِهَا ، حَتَّى يُقَالَ فِيهَا : مَلَكَهَا فُلَانٌ ، وَوَرِثَهَا فُلَانٌ ، وَاتَّخَذَهَا فُلَانٌ ، وَهِيَ الْقَوْسُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا كُنِيَتْ وَكُنِيَتْ ، وَبِنِصَالِ طَوَالِ خِفافٍ تَقْلِسُ حَدُودُهَا السَّمَّ وَتَرَشَّحُهُ ، لِأَنَّهَا أُمِّهِيَّتْ بِهِ وَشُرْبَتُهُ . وَالْقَلْسُ : الْقَيْءُ ، يُقَالُ قَلَسَ قَلْسًا ، ثُمَّ يُقَالُ لِلدَّسَعَةِ تَخْرُجُ إِلَى الْقَلْسِ ، بِتَحْرِيكِ اللَّامِ . وَالسَّلَاجِمُ : الطَّوَالُ ، وَأَرَادَ بِهَا النَّبْلَ كَمَا هِيَ ، وَيُقَالُ حَرَمٌ وَحَرَمٌ . وَانْتَصَبَ قَالِيسَا عَلَى الْحَالِ لِلسَّمِّ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَرَى السَّمَّ ذَا قَلْسٍ ، أَيْ مُمَجُّوجًا بِهِ مُلْتَقًى مِنْ جَوَانِبِ حُدُودِهَا .

(١) هو النابغة الذبياني . ديوانه ٦٤ واللسان (قضى ، ذيل) .

(٢) صدره : * وكل صوت ثلثة تبعية *

(٣) ياقوت : الحرم : أحدهم الحريمين ، وهما واديان ينبتان السدر والسلم يصبان في بطن الليث في أرض اليمن .

٧- فَمَا زِلْتُ حَتَّى جَنَنِي اللَّيْلُ عَنْهُمْ أُطْرَفُ عَنِّي فَارِسًا ثُمَّ فَارِسًا

يُرْوَى « أُطْرَفُ فَرُسَانَا وَأُلْحِقُ فَارِسًا ». يقول : لم أزل بياض ذلك اليوم أدفعُ في جوانبِ مجالي وأطرافِ أرضي ، الفارسَ بعد الفارسِ ، إلى أن تَغَشَّاني الظَّلامُ فَحالَ بيني وبينهم ، وسترَ كلاً مَنَّا عَنْ صَاحِبِهِ . وَمَعْنَى أُطْرَفُ أَجْعَلُهُ مَنِّي فِي طَرَفٍ ، وَمَوْضِعُهُ مِنَ الإِعْرَابِ نَصَبٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ مَا زَالَ . وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ « فَارِسًا ثُمَّ فَارِسًا » المداومةَ والاتِّصالَ . أَيْ لَمْ أَفْتُرْ عَنْ دِفَاعِهِمْ وَقِتْمًا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : جَاءَنِي بِنَوْتِيمٍ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، أَيْ تَوَالَوْا أَفْرَادًا . وَمَنْ رَوَى « أُطْرَفُ فَرُسَانَا وَأُلْحِقُ فَارِسًا » فَلَمَعْنَى أَسُوقُ فَرُسَانَا وَأَذُودُهُمْ عَنِّي ، وَقَدْ أُلْحِقَ فِي الطَّرْدِ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ فَأَصْبِيهِ .

٨- وَلَا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْكِرَامُ أَخَاهُمْ السَّمِيدَ السَّلَاحِ عَنْهُمْ أَنْ يُمَارِسَا

هَذَا الْكَلَامُ تَبَرُّؤٌ مِنَ التَّحَمُّدِ بِمَا فَعَلَ إِلَى النَّاسِ ، وَتَرَكٌ لِلتَّبَجُّحِ بِالِدَّفَاعِ حِينَ دَافِعٍ ، وَإِظْهَارٌ لِأَنَّ مَذْهَبَ الْكِرَامِ ذَلِكَ ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ فِي اعْتِقَادِهِمْ إِلَّا يُحْمَدُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا قَاتَلَ دُونَهُمْ ، أَوْ مَارَسَ الشَّدَّةَ فِيهِمْ وَلَهُمْ ، مَتَى كَانَ تَامَ السَّلَاحِ ، مُزَاحَ الْعِلَلِ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ دَأْبَهُمْ وَدِينَهُمْ ، وَإِذْ كَانَ سَبِيلُهُ فِيمَا يَأْتِيهِ كَمَنْ يُؤَدِّي الْفَرَضَ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ التَّضْجِيعَ ، وَالْحَتْمَ الَّذِي لَا يَسُوغُ التَّجَوُّزَ فِيهِ وَالتَّأْوِيلَ . وَقَوْلُهُ « عَنْهُمْ » يَتَعَلَّقُ بِالْعِتِيدِ السَّلَاحِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَارِسَ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ فِي صِلَةِ أَنْ ، فَلَمْ يَجُزْ تَقَدُّمُهُ عَلَيْهِ . وَيَكُونُ الْمَعْنَى : أَخَاهُمْ الْمِعْدَّ السَّلَاحِ عَنْهُمْ ، النَّائِبَ مَنَابَهُمْ . وَمَعْنَى أَخَاهُمْ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ ، كَمَا يُقَالُ : يَا أَخَا بَكْرٍ أَوْ تَمِيمٍ .

١٨٥

وقال محرز بن المكعب^(١) :

١- نَجَّى ابْنُ نَعْمَانَ عَوْفًا مِنْ أَسَدِنَتِنَا إِيغَالَهُ الرَّكْضَ لَمَّا شَالَتْ الْجِذَمَ

قال الخليل : الإيغال : الإيعان في السير مع دخول فيما بين جبال أو في أرض العدو . وقال غيره : هو الإسراع في إبعاد . يقول : أنقذ هذا الرجل من رماحين استعجاله فرسه ، واستحاثه بالركض إياه ، لَمَّا رُفِعَتْ بَقَايَا السَّوْطِ تَخَوَّفُ بِهَا الْخَيْلُ ، وَيُسْتَدْرُ مِنْهَا الْعَدُوُّ . وهذه إشارة إلى وقت الانهزام وجدد الطالبين في اللحاق . والركض ينتصب على أنه مفعول من الإيغال ، كما يقال أبعد السير ، وأسرع السير . ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال ، كأنه قال إيغاله راكضًا . وأدخل الألف واللام على حد دخولهما في قوله :

* فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ^(٢) *

و : * أوردتها التقريب والشدة منهلًا *

وما أشبهه . وجذم كل شيء : أصله ؛ يقال جذمت الشيء ، إذا قطعته . والجذمة : القطعة من الخبل وغيره .

(١) هو محرز بن المكعب الضبي ، من ولد بكر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر . قال الأنباري : « ولم يلحق يوم الكلاب » وفي العقد في يوم الكلاب الثاني : « وقال محرز بن المكعب الضبي ولم يشهدا » . والمكعب ضبط في أصول شرح المفضليات بكسر الباء ، ويؤيده ما في اللسان : « ويقال كعبه بالسيف ، أي قطعه . ومنه سمي المكعب الضبي ، لأنه ضرب قومًا بالسيف » . وأجاز التبريزي تبعاً لابن جني فتح الباء وكسرها منه . وانظر المفضلية رقم ٦٠ .

(٢) قطعة من بيت للبيد في ديوانه ١٢١ واللسان والمقاييس (عرك) . وهو بتمامه :

فأوردتها العراك ولم يندها ولم يشفق على نعص الدخال

٢- حَتَّىٰ آتَىٰ عِلْمَ الدَّهْنَانِ يُوَاعِسُهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِالصَّمَانِ مَا جَسِمُوا
 الدَّهْنَانَا بِيَلَادِ تَمِيمٍ . وقال الخليل : الدَّهْنَانَا مَوْضِعٌ رَمْلٌ كُفُّهُ ، وَالنَّسَبُ
 إِلَيْهِ دَهْنَاوِيٌّ . ومعنى يُوَاعِسُهُ يَسِيرُ فِي وَعَسَائِهِ ، وَهِيَ الرَّمْلَةُ اللَّيْنَةُ ، وَالسَّيْرُ
 فِيهَا يَنْصُوبُ . وَيُقَالُ : وَعَسَتْ الْمَكَانَ وَعَسَاءً ، إِذَا وَطِئْتَهُ وَطَأً شَدِيدًا ، وَيُسَمَّى
 الْأَثَرَ الْوَعْسَ . وَسُمِّيَ ضَرْبٌ مِنْ سَيْرِ الْإِبِلِ الْمُوَاعِسَةَ مِنْ هَذَا . وَحَقِيقَةُ قَوْلِهِ
 « يُوَاعِسُهُ » يُوَاعِسُ إِلَيْهِ أَوْ فِيهِ ، أَيْ يَمُدُّ سَيْرَهُ إِلَيْهِ فِيهِ . وَالصَّمَانُ :
 الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ ، وَاحِدَتُهُ صَمَانَةٌ ، وَمَوْضِعٌ مَا مِنْ قَوْلِهِ مَا جَسِمُوا نَصَبٌ عَلَى
 الْمَفْعُولِ مِنْ جَسِمُوا ، فَيَقُولُ : أَوْغَلَ الرَّكْضَ حَتَّىٰ بَلَغَ جِبَالَ الدَّهْنَانِ ، مُوَاعِسًا
 فِي رَمْلِهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَيَّ شَيْءٍ تَكَلَّفَهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِنَ السَّيْرِ فِي الصَّمَانِ .
 وَمَوْضِعُ يُوَاعِسُهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعٌ مَا مِنْ قَوْلِهِ
 مَا جَسِمُوا نَصَبًا عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ فِعْلِ دَلَّ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ :
 ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ^(١) ﴾ . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ .

٣- حَتَّىٰ انْتَهَى الْمِيَاهِ الْجَوْفِ ظَاهِرَةً مَا لَمْ يَسِرْ قَبْلَهُمْ عَادٌ وَلَا إِرْمٌ ^(٢)
 الْجَوْفُ وَادٍ . وَظَاهِرَةٌ أَنْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ ظَرْفٌ ، وَيُقَالُ : وَرَدَ الْمَاءُ
 ظَاهِرَةً ، إِذْ وَرَدَ نِصْفَ النَّهَارِ ؛ وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الظَّهِيرَةِ . وَأُظْهِرْنَا : صِرْنَا فِي
 الظَّهِيرَةِ . وَقَدْ جُعِلَ اسْمًا لِهَذَا الظَّمِّ . وَقَوْلُهُ « مَا لَمْ يَسِرْ » أَرَادَ سِيرًا لَمْ يَسِرْهُ
 قَبْلَهُمْ أَحَدٌ ، أَوْ انْتَهَاءً لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَا فِي مَوْضِعِ

(١) هَذَا مَا فِي م وَالتَّمِيمُورِيَّةِ ، وَهُوَ الْوَجْهُ . انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٤٤١ س ١٢ .
 وَبَدَلَهَا فِي الْأَصْلِ : « هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ » .

(٢) وَضَعْتُ نَقَطَتَيْنِ فَوْقَ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ مِنْ « يَسِرْ » وَنَقَطَتَانِ تَحْتَهُ لِإِقْرَأَ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ ،
 وَذَلِكَ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ . وَأَمَّا فِي م وَالتَّمِيمُورِيَّةِ وَالتَّبْرِيْزِيَّةِ فَالرَّوَايَةُ « تَسِرْ » بِالنَّاءِ .

التَّبْرِيْزِيَّةِ : « أَبُو هَلَالٍ : عَادٌ وَإِرْمٌ وَاحِدٌ فَجَعَلَهُمَا اثْنَيْنِ . وَظَاهِرَةٌ ، أَيْ مَظْهَرَةٌ . وَيَجُوزُ
 أَنْ يَجْعَلَ ظَاهِرَةً حَالًا لِلْمِيَاهِ » .

النَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ حَتَّى انْتَهَوْا ، وَتَلْخِيسَ الْكَلَامِ : حَتَّى سَارُوا إِلَى مِيَاهِ هَذَا الْوَادِي نِصْفَ النَّهَارِ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ الْأُمَّتَيْنِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ حَمَلَهُمُ الرَّعْبُ الَّذِي تَدَاخَلَهُمْ ، وَالاجْتِهَادُ فِي الْخَلَّاصِ مِنَ الْهَزِيمَةِ الْمَسْتَوْلِيَةِ عَلَيْهِمْ ، عَلَى أَنْ يَقْطَعُوا مَا بَيْنَ الْمَكَانَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِأَنَّهِنَّ كَانُوا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ بِالصَّحَّانِ ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي بِالذَّهْنَا ، وَذَلِكَ شَاقٌّ مُسْتَبْعَدٌ وَقُوعُهُ .

١٨٦

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ شَقِيقٍ ^(١) :

١ - فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتِ وَلَنْ تَرِيهِ أَ كَفَّتِ الْقَوْمَ تَخْرُقُ بِالْقَيْنِينَا ^(٢)

يَخَاطِبُ امْرَأَةً مُفْطَعًا لِلشَّانِ الَّذِي مُنَوَّابَهُ ، وَمُهَوَّلًا لِأَمْرِ الَّذِي دُفِعُوا إِلَيْهِ ، فَيَقُولُ : لَوْ رَأَيْتِ وَلَا أُرَاكَ اللَّهُ مِثْلَهُ مَشْهَدَ الْقَوْمِ وَأَكْفَهُمْ تَخْرُقُ بِالرَّمَّاحِ لَرَأَيْتِ امْرَأَةً هَائِلًا . وَجَوَابُ لَوْ مَحْذُوفٌ ، كَمَا يَقَالُ : لَوْ رَأَيْتَ زَيْدًا وَفِي يَدِهِ السَّيْفِ . وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي أَنَّ تَبَقِيَّةَ الْإِبْهَامِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ بَتَرَكَ الْجَوَابِ أْبْلَغُ فِي الْإِفْهَامِ . وَقَوْلُهُ « وَأَنْ تَرِيهِ » دَعَاءٌ ، وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ الدُّعَاءُ يَقَعُ بِلَا ، وَبِلَا يَجِيءُ قَلِيلًا ، تَقُولُ : لَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ فِي كَذَا وَتَرِيدُ الدُّعَاءَ ، كَمَا تَقُولُ لَا بَارَكَ اللَّهُ . وَفَسَّرَ قُطْرُبُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ ﴾

(١) ابن جنى فى التنبيه : « عامر بن شقيق الضبي » . التبريزى : « عامر بن شقيق ، من بنى كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك » .

(٢) روى التبريزى قبل هذا البيت :

أَلَا حَلَّتْ هَنِيْدَةٌ بَطْنَ قَوِّ بِأَقْوَاعِ الْمَصَامَةِ فَالْعَيْوْنَا

وقال : « قو : موضع . وأقواع : جمع قاع . والمصامة : موضع » . ونبه التبريزى على أنه يروى : « تخرق بالقلينا » ، وهو جمع قلة .

أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾ عَلَى أَنَّهُ دَعَاءٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ « وَلَنْ تَرِيَهُ » إِخْبَارًا بِأَنَّهَا وَقَدْ فَاتَهَا رُؤْيَا ذَلِكَ فِيمَا مَضَى لَا تَرَى مِثْلَهُ فِي الْمُسْتَأْنَفِ فِظَاعَةً وَسِنَاعَةً ، وَأَنَّ الْخَطْبَ بَلَغَ حَدًّا خَرَجَ بِهِ عَنِ الْمَعْتَادِ الْمُسْتَجِازِ . وَقَوْلُهُ « تَخْرُقُ بِالْقُنَيْنَا » أَيْ تَثْقَبُ ، وَمِنْهُ خَرَقَتْ الْأَرْضَ وَاخْتَرَقْتُهَا ، وَرِيحٌ خَرِيقٌ . وَيُرْوَى : « تَخْرُقُ » بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الرَّاءِ ، وَلَهُ وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخُرْقِ : ضِدُّ الرَّفْقِ ، كَأَنَّ الْأَكْفَّ كَانَتْ تَخْرُقُ فِي الطَّعْنِ وَلَا تَرْفُقُ ، لِشِدَّةِ الْأَمْرِ ؛ وَهَذَا حَسَنٌ . وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخَرَقِ ، كَأَنَّهَا تَشْتَقُّ بِالطَّعْنِ مُلْتَمِّمٌ الْأَحْوَالِ وَمَتَوَاصِلَهَا وَتُمَزَّقُهَا ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَمَنْزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ . وَهَذَا الْوَجْهَ أَغْرَبُ ، وَيَكُونُ الْمَفْعُولُ مَحذُوفًا ، لِأَنَّ الْكَلَامَ يَدُلُّ عَلَيْهِ . وَمَنْ رَوَى « تَخْرُقُ » فَالْمَعْنَى تَنْظِمُ . وَإِنْ جَعَلْتَ الْفِعْلَ لِلْفَاعِلِ فَرَوَيْتَ « تَخْرُقُ » جَازَ أَيْضًا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَفْعُولُ مَحذُوفًا ، وَالْمُرَادُ كَأَنَّهَا تَنْظِمُ مَطْعُونِينَ فِي شِدَّةٍ وَحَمَلَةٍ . وَالْقُنَيْنِ : جَمْعُ سَالِمٍ ، وَهُوَ نَادِرٌ ، وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ مِثْلُهُ فِي الْمَنْقُوصِ كَطَبِئَةٍ وَطَبِينٍ ، وَثُبَيْةٍ وَثُبَيْنٍ ، كَأَنَّهُ يَجْعَلُ هَذَا الْبِنَاءَ فِي جَمْعِهِ جَبْرًا لَهُ ^(١) مِمَّا نَقِصَ مِنْهُ . وَيَجِيءُ أَيْضًا كَثِيرًا فِي أَسْمَاءِ الدَّوَاهِي ، كَالذَّرْبَيْنِ ، وَالْأَقْوَرَيْنِ ، وَالْفِتْكَرَيْنِ ^(٢) ؛ كَأَنَّهُ بَلَغَ بِهَا رَتْبَةَ النَّاظِقِينَ تَهْوِيلًا . وَقَدْ حُكِيَ كَسْرُ الْقَافِ مِنَ الْقُنَيْنِ وَحِينَئِذٍ يَكُونُ كَعَصَا وَعِصَى ، وَيَكُونُ وَزْنُهُ فُعُولًا وَالنُّونُ بَدَلٌ مِنْ لَامِ الْفِعْلِ . وَيُحْمَلُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ سِنِينَ فِي جَمْعِ سَنَةٍ .

٢ — بَدِي فِرْقَيْنِ يَوْمَ بَنُو حُبَيْبِ نِيُوبِهِمْ عَلَيْنَا يَحْرِمُونَا

قَوْلُهُ « بَدِي فِرْقَيْنِ » يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ لَوْرَأَيْتِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ تَخْرُقُ بِالْقُنَيْنِ ، كَذَلِكَ قَوْلُهُ « يَوْمَ بَنُو حُبَيْبِ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا

(١) م والشمورية : « جبرائله » . (٢) الفتكرين ، بكسر الفاء وضمة .

لكل واحد من الفعلين لأنهما ظرّفان : أحدهما للمكان والآخر للزمان . وأضاف
اليوم إلى الكلمة التي بعده لأن الأزمنة تضاف إلى الجمل من الابتداء والخبر ،
والفعل والفاعل ، تبيناً لها . ويقال : هو يَحْرِقُ أنيابه ، إذا حَكَّ بعضها ببعض
تهديداً . ويقال أيضاً : هو يَحْرِقُ عليه الأرم ، وَيَعْلُكُ على الأرم ، أى يصرفُ
بأنيابه تغليظاً . وحكى فيه الأزم بالزاء أيضاً . والأزم : العض . ويقال حرّقه
بالمبرد ، إذا برّده . وحكى أبو حاتم : فلان يُحْرِقُ نابه على ، برفع الناب .
قال : لأنه هو الذي يَحْرِقُ . وبيت زهير^(١) يشهد لذلك . وأنشد :

أَبِي الضَّمِّمِ وَالنُّعْمَانُ يَحْرِقُ نَابَهُ عَلَيْهِ فَأَفْضَى وَالسَّيُوفُ مَعَاقِلُهُ

٣ — كَفَاكَ النَّأْيُ مِمَّنْ لَمْ تَرِيهِ وَرَجَّيْتَ الْعَوَاقِبَ لِلْبَيْنِنَا

كأنه وَكَنَّا إلى الاعتبار بعد ما فاتها من مشاهدة الحال ، ودعاها إلى
الاستدلال ، والاكتفاء فيه بما آل إليه أمرها في أعزّته مع غيبتهم عنها .
فيقول : أغناكُ بعدكُ إذا نظرتِ واعتبرتِ عن الاستكشاف والسؤال ، وإن
تلهفتِ لما لم تدركيه من مساقطهم ، ولم تُشارِفيه من مصارعهم ، وحالكُ أنكُ
علقتِ رجاءكُ بالأولادِ ، وبأن يُحسِنَ الله العقبى لهم إذا بلغوا طلب الأوتار ،
ورأوا السعى في دركِ الثَّارِ ، وقطعتِ طمعكُ في الآباءِ وملاككُ اليأسُ منهم .
وقوله « وَرَجَّيْتَ » قد معه مُضمرةٌ ، لأنّ الماضي بتقدير قد معه يقع موقع
الحال . وضعفَ عينه للكثير ، كأنها كانت تكرر الرجاء وتجدّده مع كل
حادثَةٍ ، وعند كل مُهمّة .

(١) م : « وبيت النابغة » . وليس كذلك . والبيت التالي في ديوان زهير ١٤٣ .

١٨٧

وقال أبو ثمامة بن عارم^(١) :

١ — رَدَدْتُ لِضَبَّةٍ أَمْوَاهَا وَكَادَتْ بِلَادُهُمْ تُسْتَلَبُ

يقول : اعتنيت بضبة ، فأعنتها على مجاذبتها ومنازعتها ، وحفظت لها وعليها مياهاها وبلادها ، ومراعيها ومرادها ، بعد أن شارفوا التسليم والاستسلام ، والملاينة والانقياد ، حتى كادوا يُغلبون عليها ، ويُمنعون من حقوقهم فيها ، لما يظهرُ على صفحات أحوالهم من التخاذل ، ويبنون أمورهم عليه في التهاون والتواكل .

٢ — بَكَرَّ الْمَطِيُّ وَإِتْمَابِهِ وَبِالْكُورِ أَرْكَبُهُ وَالْقَتَبُ

الباء من قوله « بكر » تعلق بردت . ويروي : « بكرى المطي » ؛ وساغ الوجهان لأن المصدر يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى الفاعل . ومراده أن يُبين كيف كانت نيابته عنهم ، ومدافعتهم دونهم ، وكيف جاذب أعداءهم وجادل عنهم ، حتى توصل إلى قمعهم ، ونزع أيديهم عما أنشبوها فيه من أملاكهم ، وردهم دون ما سوغوه من اهتزازهم . والقَتَبُ أخف من الكور . وإنما ذكر هذه المراكب ليبيِّن تطاول الأمد بينه وبينهم ، وتحمل أنواع المشاقِّ اللاحقة في نزاعهم ، وليدلَّ على كثرة مناقلاتهم^(٢) ، واختلاف التردد في مجالسهم وأما كنيهم .

(١) التبريزي : « أبو ثمامة بن عازب الضبي » . ثم قال : « وقيل ابن عارم ، وقيل

ابن غارب » .

(٢) هذا ما في م . وفي الأصل : « ملاقاتهم » وفي التيمورية : « مناولاتهم » وهذه

معرفة عما في م .

٣ - أَخَاصِمُهُمْ مَرَّةً قَائِمًا وَأَجْتُو إِذَا مَا جَثُوا لِلرُّكْبِ

انتصب قائماً على الحال ، ونبه بما أوردته على امتداد المجازبة ، وتكرّر المحاجة ، وعلى اختلاف الهيئات وتغيّر الأوقات ، وكل ذلك بحسب اشتداد سورة الخصام ولينها ؛ وأنه تكفل بالأمر معهم تكفل من تعين عليه الفرض في مرادتهم ، فابتدل نفسه معهم ، ووطنها على مصابرتهم (١) ، فإن قاموا قام معهم ، وإن برکوا باراهم في برؤوهم ، لئلا يكون محلاً بمعرض يخرجون فيه ، أو تاركاً لشيء من نصبهم . ويقال : جثا لركبته ، إذا سقط .

٤ - وَإِنْ مَنطِقٌ زَلَّ عَنْ صَاحِبِي تَعَقَّبْتُ آخَرَ ذَا مُعْتَقَبٍ (٢)

فصل بين إن والفعل بقوله « منطق » ، ولو ظهر تأثيره بالجزم لم يجز ذلك فيه . وارتفع بفعل هذا الظاهر تفسيره . فإن قيل : فإن في أي الفعلين عمل ؟ وهل تقول إنه عمل فيهما جميعاً ؟ قلت : أمّا عمله فيهما فغير سائغ ، لأن أداة واحدة لا تجزم شرطين في حالة واحدة ، لكن الفعل المضمر لما لم يظهر صار في حكم ما لم يعتد به ، وإن كان الاسم يرتفع به ، حتى صار التقدير : وإن زل منطق زل عن صاحبي . وقد روى « تعقبت » و « تعرقبت » ، ومعنى تعقبت تتبعت وطلبت عقبه ؛ ومثله اعتقبت . وقيل المعتقب أخذ عقبته الشيء ، وهي آخره . ومعنى تعرقبت : عدت عنه وأخذت في غيره . ويقال تعرقبت الفرس ، إذا ركبتها من خلفها . وعراقيب الأمور : التباساتها وطلب الحيل والحجج فيها ، وأنشدت :

(١) في الأصل والتمورية : « مصيرهم » ، صوابه في م .

(٢) التبريزي : « ومن روى : معتب ، جملة من العتبة وهي الدرجة ، أي أخذ في طريق فيه درج أعتب فيها حتى أغلب . أي أخذ بحجة بعد حجة ، كما يرتقى في الدرجة عتبة بعد عتبة » .

فلا يَعْدَمَكَ عِرْقُوبٌ لِلأَيِّ إِذَا لَمْ يُعْطِكَ النَّصْفَ الْخَصِيمَ^(١)

والمعنى : لا يَعْدَمَكَ حِيلَةٌ لِالتَّوَاءِ خَصْمٍ عَلَيْكَ . وَقَالَ آخَرُ :

* إِذَا حَبَا قَفٌّ لَهُ تَعَرَّقَبَا *

أَيَّ عَدَلَ عَنْهُ فَالتَّوَى . وَمِثْلُ تَعَقَّبْتُ فِي إِفَادَتِهِ طَلَبْتُ عَقْبَهُ وَعُقْبَاهُ : تَفَقَّدْتُ الشَّيْءَ وَتَعَهَّدْتُهُ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى طَلَبْتُ فَفَقَدْتُهُ وَعَهَّدْتُهُ ، أَيَّ نَظَرْتُ هَلْ فُقِدْتُهُ وَهَلْ بَقِيَ عَلَى عَهْدِهِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ بَدَرْتُ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَلِمَةً لَمْ يُوَفَّقْ فِيهَا لِلصَّوَابِ ، أَوْ خِفْتُ عَوْدَهَا بِغَيْرِ صِلَاحٍ عَدَلْتُ عَنْهَا وَطَلَبْتُ مَكَانَهَا أُخْرَى ذَاتَ مُتَبَعٍ ، فَأَعَقَّبْتُهَا بِهَا .

٥ - أَفِرُّ مِنَ الشَّرِّ فِي رِخْوَةٍ فَكَيْفَ الْفِرَارُ إِذَا مَا اقْتَرَبَ

قَوْلُهُ فِي « رِخْوَةٍ » أَيَّ تَرَاحِيهِ . وَهُوَ رِخْوٌ ، أَيَّ مُسْتَرَخٍ . كَأَنَّهُ أَرَادَ : أَهْرُبُ مِنْهُ مَا لَمْ يَتَشَدَّدْ . وَنَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ يَتَفَادَى مِنَ الشَّرِّ مَا أَمَكْنَ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَعْمِلُ الْبَغْيَ وَلَا يَبْتَدِي الْخَصْمَ ، فَإِنْ جَاءَ مِنْهُ مَا لَا مَعْدِلَ عَنْ اقْتِحَامِهِ وَرُكُوبِ الْبُلُوَى فِيهِ ، وَلَا مَعْوَالَ إِلَّا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى شِدَائِهِ وَتَوَسُّطِ الْأَذَى الْعَارِضِ لَهُ خَاضَةً^(٢) مُتَلَقِّيًا لِمَكَارِهِهِ بَعْدَتَهُ ، مُجَازِبًا لِلْعَمَارِعِينَ بِأَقْصَى مَا فِي طَوْقِهِ وَقُوَّتِهِ ، إِلَى أَنْ يَتَحَصَّلَ لَهُ الْفَلَجُ وَالظَّفَرُ ، أَوْ يَتَحَصَّنَ عَنِ لَوْمِ اللَّائِمِينَ بِمَا يُقِيمُهُ مِنَ الْعُذْرِ فِي الْمُجَاهِدَةِ وَالتَّثْبُتِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ هُدْبَةَ ابْنِ خَشْرَمَ :

وَلَا أَتَمَّنِّي الشَّرُّ وَالشَّرُّ تَارِكِي وَلَسَكُنْ مَتَى أُحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ

(١) رواية اللسان (عرقب) : « لوأي » بدل « لأى » .

(٢) في جميع النسخ : « خاصة » ، تحريف .

١٨٨

وَقَالَ أَبُو ثَمَامَةَ أَيْضًا :

١ - قُلْتُ لِمُحْرَزٍ لِمَا التَّقِينَا تَنَكَّبَ لَا يُقَطِّرُكَ الزَّحَامُ

نَكَّبَ وَتَنَكَّبَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَيُقَالُ هُوَ أَنْكَبُ عَنِ الْحَقِّ ، وَمِنْهُ
الرِّيحُ النَّكْبَاءُ ، لَعْدُوْلَهَا عَنِ مِهَابِ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَهْكُمٌ
وَاسْتِهْزَاءٌ ، كَأَنَّهُ يَرْمِيهِ بِأَنَّهُ لَمْ يُبَاشِرِ الشَّدَائِدَ ، وَلَمْ يُدْفَعْ إِلَى مَضَائِقِ الْجَمَاعِ .
فَيَقُولُ : انْحَرِفْ مُتَمَاسِكًا لَا يُسْقِطُكَ تَرَاحُمُ النَّاسِ . وَالتَّقَطِيرُ : الْإِلْقَاءُ عَلَى أَحَدِ
الْقَطْرَيْنِ ، وَهِيَ الْجَانِبَانِ ، كَأَنَّهُ يَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يُدَاسَ بِالْقَوَائِمِ ، كَمَا يُخَافُ عَلَى
الصَّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ ، لِقَلَّةِ غِنَائِهِ ، وَضَعْفِ ثَبَاتِهِ . وَهَذَا فِي بَابِهِ أَبْلَغُ مَا مَرَّ بِي .
وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ حَجَلِ بْنِ نَضَلَةَ :

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضًا رُمَحَهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ

وَقَوْلُ سَبْرَةَ بْنِ عَمْرِو الْفَقْعَسِيِّ :

لَا شَيْءَ يَعْدِلُهَا وَلَكِنْ دُونَهَا خَرَطُ الْقَتَادِ تَهَابَ شَوْكَتَهَا الْيَدُ

وَفِي هَذَا تَعْرِيفٌ أَيْضًا . وَمِنَ التَّعْرِيفِ مَا أَنْشِدْتُهُ عَنِ الْبَزِيدِيِّ [قَالَ (١)]:

أَنْشَدَنِي الْأَصْمَعِيُّ :

فَدَعَّ شَوْكَ السَّيَالِ فَلَا تَطَّأُهُ وَخُضُّ إِنْ خُضَّتْ مَاءٌ غَيْرَ عَمْرِ

وَقَوْلُ الْآخَرِ :

فَأَرْضَكَ أَرْضَكَ إِنْ تَأْتِنَا تَمَّ نَوْمَةٌ لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ

(١) هذه من م والتميمورية .

٢ - أَتَسْأَلُنِي السَّوِيَّةَ وَسَطَ زَيْدٍ أَلَا إِنَّ السَّوِيَّةَ أَنْ تُضَامُوا
يُخَاطَبُهُ مُقَرَّرًا وَمَتَوَعَّدًا . والتقرير بألف الاستفهام ولا حرف نفي معه
يكون فيما لا يُدْبِتُ ولا يُسْتَجَازُ كَوْنُهُ . وَالسَّوِيَّةُ : الإِنْصَافُ ؛ وهى من
الاستواء كالجريمة والدَّنيَّة والخطيئة . وزَيْدٌ : قَبِيلَةُ الْمُخَاطَبِ . فيقول على
وجه الإنكار والهزاء : أَتَسْأَلُ إِنْصَافَكَ وَأَنْتَ وَسَطَ رَهْطِكَ وَفِيهَا بَيْنَ عَشِيرَتِكَ
وَمَحَلِّ عِزِّكَ . ثم قال : إِنَّ مِنَ السَّوِيَّةِ اهْتِصَامَكُمْ وَضَيْمَكُمْ ، وهذا من باب
إبدال الشئ من الشئ . كقول الآخر (١) :

* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ * (٢)

والضربُ لا يكون تحيةً . والمعنى : أَنَّهُمْ يُعْطُونَ بَدَلَ الإِنْصَافِ الظُّلْمَ ،
لأنهم لا يستحقون غيره ، ولأن النصفة لا تصلحهم ولا توافقهم .

٣ - فَجَارِكَ عِنْدَ يَيْتِكَ لَحْمٌ ظَبِّي وَجَارِي عِنْدَ يَيْتِي لَا يُرَامُ
يَصِفُهُمْ بِسُوءِ الْوَفَاءِ ، وَقَلَّةِ الْمَحَافِظَةِ عَلَى عَقْدِ الْجَوَارِ ، فيقول : جَارِكَ
كَالصَّيْدِ لِمَنْ يَطْلُبُهُ ، وَبِعَرَضِ الْأَكْلِ وَالاسْتِبَاحَةِ لِمَنْ يَرِيدُهُ ، وهذا وهو في
فَنَائِكَ ، وَغَيْرُ مُفَارِقٍ لِدَارِكَ ، لضعفِ حِشْمَتِكَ (٣) وسقوطِ هِمَّتِكَ ، واستسخافِ
النَّاسِ لِقَدْرِكَ وَوَزْنِكَ ؛ وَجَارِي لَا يَطْلُبُ وَلَا يُطْمَعُ فِيهِ لِتَحَصُّنِ مَكَانِهِ فِي
فِنَائِي ، وَتَعَزُّزِهِ بِي ، مَا دَامَ مُتَمَسِّكًا بِحَبْلِي ، أَوْ مُعْتَصِمًا بِحِلْفِي . وإنما قال
ذلك لأنَّ النَّزَاعَ بَيْنَهُمَا كَانَ بِسَبَبِ جَارٍ . وإضافة اللحم إلى الظبي في نهاية
الموافقة للمعنى الذي يقصده ، والغرض الذي كان يرُميه . وقد جاء اللحم غير
مُضَافٍ إِلَى اسْمِ الصَّيْدِ فِي الْكِنَايَةِ عَنِ الذَّلِّ وَالْاهْتِصَامِ . على هذا قولهم : هُوَ

(١) هو عمرو بن معديكرب الزبيدي . الخزانة (٤ : ٥٣) .

(٢) صدره : * وخيل قد دلفت لها بنخيل *

(٣) هذا ما في م والتيمورية . وفي الأصل : « جِسْمِكَ » .

لَحْمٌ مُوَضَّعٌ ، وَهُوَ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ . وَقَدْ اسْتَعْمِلَ الشَّحْمُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، عَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

* لِمَنْ كُنْتُ فِيهِ شَحْمُهُ وَأَطَايِبُهُ *

وقول الآخر :

فَلَا تَحْسَبْنِي يَا ابْنَ أَرْزَمٍ شَحْمَةً تَزَرَّدَهَا طَاهِي شِوَاءٍ مُنَاهِوَجٍ

وقد قال آخر سالكاً هذه الطريقة في الكناية :

* وَلَسْتُ خَلَاةً لِمَنْ أَوْعَدَنُ^(١) *

وقالوا في الدليل : هُوَ فُقْعٌ ، وَهُوَ فُقْعٌ بِقَرَقِرٍ ، وَهُوَ بَيْضَةُ الْبَلَدِ .

١٨٩

وقال عبد الله بن عنمة^(٢) :

١ — أَبْلِغْ بَنِي الْحَارِثِ الْمَرْجُو نَصْرَهُمْ وَالِدَهُرُ يُحَدِّثُ بَعْدَ الْمِرَّةِ الْحَالَا

قَوْلُهُ « وَالِدَهُرُ يُحَدِّثُ » اعْتِرَاضٌ حَصَلَ بَيْنَ أَبْلِغْ بَنِي الْحَارِثِ وَبَيْنَ

مَفْعُولِهِ الثَّانِي : وَهُوَ قَوْلُهُ ، « إِنَّا تَرَ كُنَّا فَلَمْ نَأْخُذْ بِهِ بَدَلًا » .

وَمِثْلُهُ مِمَّا قَدْ دَخَلَ الِاعْتِرَاضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَفْعُولِ قَوْلُ أَبِي النَّجْمِ :

وَبَدَّلْتُ وَالِدَهُرُ ذُو تَبَدُّلٍ هَيْفًا دَبُورًا بِالصَّبَا وَالشَّمَالِ

وَفِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ

(١) للأعشى في ديوانه ص ٢٢ . وصدده :

* وَحَوْلَى بَكَرٍ وَأَشْيَاعِهَا *

(٢) التبريزي : « عبد الله بن عنمة الضبي ، وهو من بني غيظ بن السيد » . وعبد الله

هذا من شعراء الفضليات ، له المفضلية ١١٤ ، ١١٥ . وهو عبد الله بن عنمة بن حرثان بن

ثعلبة بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سويد بن ضبة بن أد بن طابخة بن الياس

ابن مضر . هكذا ساق البغدادي نسبه في الخزانة (٣ : ٥٨٠) ولعل فيما ذكر البغدادي خطأ

أو نقصاً . وهو شاعر إسلامي مخضرم شهد القادسية . انظر الإصابة ٦٣٣٤ .

مَوَدَّةً يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ، لَأَنَّ قَوْلَهُ يَا لَيْتَنِي مَفْعُولٌ لِيَقُولَنَّ ، وَكَأَنَّ لَمْ يَكُنْ اعْتِرَاضٌ . وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ ذُو تَبَدُّلٍ اعْتِرَاضٌ . وَقَوْلُهُ « الْمَرْجُو نَصْرُهُمْ » فِيهِ تَعْيِيرٌ وَتَقْرِيعٌ كَمَا أَنَّهُ (١) فِي قَوْلِهِ « وَالدهرُ يُحَدِّثُ بَعْدَ الْمِرَّةِ الْحَالَا » هُزُوٌّ وَسُخْرِيٌّ . وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ كَانُوا تَرَكَوْا عَشِيرَتَهُمْ وَانْتَقَلُوا عَنْهُمْ لِلْوُثَّةِ حَصَلَتْ بَيْنَهُمْ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ طَمَعًا فِي نَيْلِ مَا يَفُوتُهُمْ مِنْهُمْ مِنْ جِهَتِهِمْ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوهُمْ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِمْ تَنَدَّمُوا ، فَأَخَذَ هَذَا الشَّاعِرُ مِنْهُمْ يَرْحِي بِهَذَا الْكَلَامِ مُعَيَّرًا وَمُتَلَهِّفًا ، فَيَقُولُ : أْبَلِغْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ رُجِيَ مَعُونَتُهُمْ وَطَمِعَ فِي نَصْرَتِهِمْ وَذَبَّهِمْ — وَالدهرُ ذُو غَيْرٍ وَتَلَوْنِ ، فَيَتَعَقَّبُ فِيهِ الشِّدَّةَ لَيْنًا ، وَالقُوَّةَ ضَعْفًا ، وَالْعِزَّةَ ذُلًّا — رِسَالَتِي إِلَيْهِمْ . وَإِنَّمَا تُبَيِّنُ مِنْ قَوْلِهِ الْحَالِ ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدَ الْأَحْوَالِ ، الضَّعْفُ ، وَالْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْتُهُ لِقَوْلِهِ يُحَدِّثُ بَعْدَ الْمِرَّةِ . وَحَكَى بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذَا كَمَا يُقَالُ تَرَكَتُهُ بِحَالٍ ، لِلْمُشْرِفِ عَلَى الشَّرِّ أَوْ الْهَلَاكِ ، وَالْمُرَادُ بِحَالٍ سَوْءٌ ، فَكَذَلِكَ هُنَا يُرِيدُ وَالدهرُ يُحَدِّثُ الْحَالَةَ الْمُنْكَرَةَ بَعْدَ الْمِرَّةِ . وَقِيلَ أَيْضًا الْحَالُ : التُّرَابُ اللَّيْنُ وَالْحَمَاءُ ، فَاسْتِعَارَةٌ لِلضَّعْفِ وَاللَّيْنِ .

٢ — إِنَّا تَرَكَنَا فَلَمْ نَأْخُذْ بِهِ بَدَلًا عِزًّا عَزِيزًا وَأَعْمَامًا وَأَخْوَالًا

يَقُولُ : أَدِّ إِلَيْهِمْ أَنَا بِمُفَارَقَةِ قَوْمِنَا تَرَكَنَا أَقْرَبَ مِنْ جِهَةِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، مُتَنَاصِرَةً عَلَى دِفَاعِ حَوَادِثِ الدَّهْرِ مُتَعَاوِنَةً ، وَظَهْرًا ظَهِيرًا ، وَعِزًّا مُتَنَاهِيًا قَوِيًّا ، وَلَمْ نَعْتَصِ مِنْهُمْ مَا فِيهِ طَائِلٌ . قَوْلُهُ « وَأَعْمَامًا وَأَخْوَالًا » أَي تَرَكَنَاهُمْ وَهُمْ مِنَ الْبِرِّ وَالشَّفَقَةِ عَلَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْأَعْمَامُ وَالْأَخْوَالُ ، وَفِيمَا يُرْجَى مِنَ الْوُفُورِ بِهِمْ وَالتَّأْيِيدِ بِمَكَانِهِمْ . وَقَوْلُهُ « عِزًّا عَزِيزًا » ، مِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يَسْتَقُوا

(١) فِي النِّسْخِ « أَنْ » ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لِإِعْرَابِ الْعِبَارَةِ .

من لَفْظِ الشَّيْءِ الَّذِي يُرِيدُونَ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِهِ بِنَاءٍ يُتَّبِعُونَهُ بِهِ تَأْكِيداً وَتَنْبِيهاً
عَلَى تَفَاهِيهِ فِي مَعْنَاهُ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : ظِلٌّ ظَلِيلٌ ، وَدَاهِيَةٌ دَهِيَاءٌ ،
وَشِعْرٌ شَاعِرٌ .

٣ — قَدْ كُنْتُ أَخْذُحِقِّي غَيْرَهُمْ هُتَّضَمِ وَسَطَ الرَّبَابِ إِذَا الْوَادِي بِهِمْ سَالَا
هَذَا الْكَلَامُ تَوَجُّعٌ وَتَلَهُّفٌ فِي إِتْرٍ مَا فَانَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، بِمَا حَصَلَ مِنْ فِسَادِ
ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، حَتَّى صَارُوا إِلَى التَّبَايُنِ ، وَالتَّمَايُزِ بِالْأَبْدَانِ وَالتَّهَاجُرِ . فَيَقُولُ :
كُنْتُ أَتَقَاضَى بِمُحَقَّقِي بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَأَقْتَضِيهَا وَأَسْتَوْفِيهَا غَيْرَ مَهْضُومٍ
وَلَا مَهِينٍ إِذَا جَاءُوا مُخْتَفِلِينَ تَمْتَلِي مِنْهُمْ الطَّرِيقُ وَالفِجَاجُ ، وَتَسِيلُ بِهِمُ الْمَذَانِبُ
وَالْتَّلَاعُ . وَمِثْلُ قَوْلِهِ « إِذَا الْوَادِي بِهِمْ سَالَا » ، قَوْلُ الْآخِرِ (١) :

* وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحِ (٢) *

٤ — لَا تَجْعَلُونَا إِلَى مَوْتِي يَحُلُّ بِنَا عَقْدَ الْحِزَامِ إِذَا مَا لِبْدُهُ مَالَا
الْمَوْتِي فِي الْبَيْتِ : النَّاصِرُ أَوْ الْوَلِيُّ لِأَغْيَرٍ . وَكَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى قَوْمِهِ يَسْتَعِظِفُهُمْ ،
وَيَشْكُو إِلَيْهِمْ مَا لَاقَوْهُ مِنْ غَيْرِهِمْ . فَيَقُولُ : تَلَا فَوَا أَمْرَنَا وَلَا تَكْلُوهُ إِلَى نَاصِرٍ
يُؤَثِّرُ صِلَاحَ حَالِهِ وَإِنْ فَسَدَ حَالُنَا ، وَيَرُومُ انْتِعَاشَهُ وَإِنْ سَقَطْنَا ، وَيُسَوِّى
لِبْدَهُ إِذَا اغْوَجَّ وَزَالَ عَنْ مَقَرِّهِ بِنَا . وَهَذَا تَعْرِيفٌ لِمَنْ كَانُوا انْتَقَلُوا إِلَيْهِمْ ،
كَأَنَّهُمْ كَانُوا يَهْمُهُمْ مَا يَخْتَصُّ بِأَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ لَا يَحْفَلُونَ بِمَا يَخْتَلُّ مِنْ شَأْنِ
هَوْلَاءٍ أَوْ يَنْحَلُّ مِنْ عَقْدِهِمْ .

وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخِرِ :

(١) هُوَ كَثِيرٌ عِزَّةً ، أَوْ يَزِيدُ بِنِ الطَّيْرِ ، أَوْ عَقْبَةُ بِنِ كَعْبِ بِنِ زُهَيْرٍ . مَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ
فِي (شَوَاهِدِ الْاِسْتِعَارَةِ) .

(٢) صَدْرُهُ : * أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا * .

وَكُنَّا فَوَارِسَ يَوْمَ الْهَرِيرِ إِذَا مَالَ سَرَجُكَ فَاسْتَقْدَمَا^(١)
وَأَفْصَحُ مِنْ هَذَا قَوْلِ ابْنِ أَحْمَرَ:
فَإِمَّا زَالَ سَرَجٌ عَنْ مَعْدٍ وَأَجْدِرُ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا

١٩٠

وقال ابن عنمة أيضاً:

١- مَا إِنْ تَرَى السَّيِّدَ زَيْدًا فِي نَفُوسِهِمْ كَمَا يَرَاهُ بَنُو كُوزٍ وَمَرْهُوبٌ^(٢)
السَّيِّدُ: قَبِيلَةٌ ، وَكَذَلِكَ كُوزٌ وَمَرْهُوبٌ . وَقَوْلُهُ « مَا إِنْ » إِنْ زِيدَتْ
لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ . وَذَكَرَ سَيْبَوَيْهٌ أَنَّ مَا الْحِجَازِيَّةَ إِذَا قُرِنَ بِإِنْ هَذِهِ يَبْطُلُ عَمَلُهُ ،
يَقُولُ: بَنُو السَّيِّدِ لَا يَقْسِمُونَ لِزَيْدٍ مِنَ التَّعْظِيمِ ، وَلَا يُوجِبُونَ لَهُ فِي نَفُوسِهِمْ
مِنَ الْحُرْمَةِ وَالتَّبَجُّيلِ ، مَا يُوجِبُهُ وَيَقْسِمُهُ بَنُو كُوزٍ وَمَرْهُوبٌ . وَالضَّمِيرُ عَلَى
هَذَا مِنْ قَوْلِهِ « فِي نَفُوسِهِمْ » يَكُونُ لِلْسَّيِّدِ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِزَيْدٍ
لِأَنَّهُ قَبِيلَةٌ أَيْضًا . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: لَكَ فِي نَفْسِكَ حَقٌّ وَمَنْزَلَةٌ . كَأَنَّ زَيْدًا كَانَ
لَهُ إِذَا رَاجَعَ نَفْسَهُ مِنَ التَّوَجُّهِ وَالْإِدْلَالِ ، وَالتَّخَضُّصِ وَالْإِعْتِزَازِ فِي بَنِي كُوزٍ
وَمَرْهُوبٍ ، مَا لَا يَكَادُ يَجِدُهُ فِي بَنِي السَّيِّدِ .

٢- إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ نَعْطِ الْحَقَّ سَائِلَهُ وَالذَّرْعُ مُحْقَبَةٌ وَالسَّيْفُ مَقْرُوبٌ
يَقُولُ: إِنْ وَقَفْتُمْ عِنْدَ مَا يَثْبُتُ مِنْ حَقِّكُمْ ، وَرَضَيْتُمْ بِمَا لَا نَجْعَدُهُ مِنْ
وَاجِبِكُمْ ، وَلَمْ يُخَيَّلْ [إِلَيْكُمْ^(٣)] أَنْ طَلَبَ مَا فَوْقَهُ أَعْوَدُ عَلَيْكُمْ ، خَرَجْنَا مِنْهُ

(١) للربيع بن زياد العبسي . الحماسية ١٦٣ .

(٢) هذه الأبيات هي المفضلية رقم ١١٥ ، وانظر الخزانة (٣ : ٥٧٦ - ٥٨٠) .

(٣) التكملة من م والتمورية .

إليكم من غير إباء ولا امتناع ، ولا اهتياج حربٍ أو إعمالٍ سِلاحٍ . وقوله « والدَّرْعُ مُحَقَّبَةٌ » أى مشدودةٌ فى الحقائق ، لأنه أرادَ بالدَّرْعِ الجِنْسَ . والاحتقَابُ والاستحقَابُ : شدُّ الحَقِيبةِ من خَلْفٍ . وكذلك قوله « والسَّيْفُ مَقْرُوبٌ » أى متروكةٌ فى قُرْبِهَا ؛ لأنه أرادَ السُّيُوفَ . ويقال : قَرَبْتُ السَّيْفَ وأقربتهُ ، وعَمَدَتُهُ وأَعَمَدَتُهُ . وقال أبو زيدٍ : القِرَابُ : غِشَاءٌ يكون السَّيْفُ مُعَمَّداً فيه . واحتجَّ بقوله :

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضَعَى إِلَيْكَ رِحَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا^(١)
٣ — وَإِنْ أَيْدِيكُمْ فَإِنَّا مَعْشَرٌ أَنْفٌ لَا نَطْعُمُ الْخَسْفَ إِنْ لَسَّ مَشْرُوبٌ^(٢)

يقول : إن عدوئكم طوركم ، وتجاوزتم فى الطلبِ حَقَّكُمْ إلى ما ليس لكم ، فإنَّ أنفَتنا تمنعُ من احتمالِكم ، والتزامِ شهوتِكم ، وحميتنا تأبى الرضا بالتحكم ، والصبرَ على الاقتسارِ والتهمُّ ، فلا نطعمُ الخسفَ وإن شربنا السمَّ . والخسفُ : أن يحمَلَك إنسانٌ ما تكرهه . ومن الصَّنعةِ الحسنةِ مقابَلتهِ الطَّعمَ بالشُّربِ ، واستعارتهِ إياها فى تجرُّعِ الغُصَّةِ ، وتوطينِ النَّفسِ على المَشَقَّةِ ، عند إزالةِ المَدَلَّةِ ، وردِّ الكريهةِ . وأنفٌ : جمعُ أنوفٍ . والمَعْشَرُ : الجماعةُ أمرُهُم واحدٌ ، ويقال : جاء القومُ مَعْشَرَ مَعْشَرَ ، أى عَشْرَةَ عَشْرَةَ .

٤ — فَازْجُرْ حِمَارَكَ لَا يَرْتَعُ بِرَوْضَتِنَا إِذَا يُرْدُ وَقِيدُ الْعَيْرِ مَكْرُوبٌ^(٣)

هذا مثلٌ . والمعنى : انقبضْ عن التَّعَرُّضِ لنا ، والدُّخُولِ فى حُرْمَتِنَا ،

(١) لمرة بن محكان . الحماسية ٦٧٥ .

(٢) المفضليات : « لانطعم النذل » .

(٣) التبريزى عن أبى محمد الأعرابى : « لما معنى قوله ازجر حمارك ، يعنى به فرس زيد الفوارس ، واسمه عرقوب ، فكنى عنه بالحمار على سبيل التهمُّ والهزء . وقوله : وقيد العير مكروب ، أى إنهم يعقرونه ، والعقر أشيق القيود » ، وانظر لإعراب هذا البيت الخزانة (٣ : ٥٧٦) وسيبويه (١ : ٤١١) .

وَرَعَى سَوَامِكِ رَوْضَتَنَا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ ذَمَّتْ عَاقِبَةُ أَمْرِكَ ، وَعُدَّتْ خَاسِرَ الصَّفْقَةِ وَخِيمَ الرِّثْمَةِ . جَعَلَ إِسْرَافَ الْحِمَارِ فِي حِمَاهُمْ كِنَايَةً عَنِ التَّحَكُّكِ بِهِمْ ، وَالتَّعَرُّضِ لِمَسَاءَتِهِمْ . وَلَا حِمَارَ ثَمَّ وَلَا رَوْضَ^(١) . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : أَرَادَ أَكْفُفَ لِسَانِكَ . قَوْلُهُ « إِذَا » قَالَ سَيْبِيُّ : هُوَ جَوَابٌ وَجَزَاءٌ ، فَلَا بُدَّاءَ الَّذِي هُوَ جَزَاؤُهُ مَحذُوفٌ مُسْتَدَلٌّ عَلَيْهِ مِمَّا فِي كَلَامِهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ فَإِنَّهُ إِنْ رَتَعَ رَجَعَ إِلَيْكَ وَقَدْ ضَيَّقَ قَيْدَهُ ، أَيْ مَلَأَ قَيْدَهُ فَنَلَّأَ حَتَّى لَا يَمْشِي إِلَّا بِتَعَبٍ ، كَأَنَّهُ يُضْرَبُ أَوْ يُسْتَعْمَلُ حَتَّى يَرِمَ جِسْمُهُ وَيُودَى الْوَجَعُ مِنْهُ إِلَى مَوْضِعِ حَافِرِهِ فَيَضِيقُ عَلَيْهِ الْقَيْدُ .

٥- إِنْ تَدَعَ زَيْدٌ بَنِي ذَهْلٍ لِمَغْضَبَةٍ نَغَضِبُ لِرُزْعَةِ إِنْ الْفَضْلُ مُحْسُوبٌ

يقول : إِنْ غَضِبَ بَنُو ذَهْلٍ لِزَيْدٍ وَامْتَعَضُوا مِنْ ضَيْمٍ يَرُكِبُهَا ، وَأَغَاثُهَا إِذَا اسْتَجَارَتْ بِهِمْ ، غَضِبْنَا لِزُرْعَةٍ ، وَانْتَقَمْنَا مَنْ يَهْتَضِمُهُ ، إِنْ الْفَضْلُ مَعْدُودٌ . فَاَلْمَعْنَى : إِنَّهُ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْنَا فَقَدْ عَدَدْنَا مَا لَكُمْ ، فَلَمْ نَجِدْ زِيَادَةً لَكُمْ ، وَلَا اسْتِظْهَارًا يُوجِبُ لَكُمْ التَّعَلِّيَّ وَالتَّغْلِبَ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ بَيْنَنَا عَلَى التَّسَاوِيِ فَلَا اسْتِبْدَادَ وَلَا احْتِكَامَ . وَيُرْوَى : « إِنْ الْقَبِصَ مُحْسُوبٌ^(٢) » ، وَهُوَ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ مَثَلًا . وَيُقَالُ إِنَّهُمْ لَفِي قَبِصِ الْعَدَدِ وَفِي قَبِصِ الْخَصِي ، أَيْ فِي أَكْثَرِ مَا يُسْتَطَاعُ عَدَدُهُ مِنْ كَثْرَتِهِ ، وَالْمُرَادُ : إِنْ الْأَعْدَادُ الْكَثِيرَةُ تَضَبَطُ وَتُحْصَرُ ، فَكَيْفَ مَا بَيْنَنَا مِنْ تَفَاوُتٍ^(٣) وَتَفَاضُلٍ ، أَوْ تَسَاوٍ وَتَعَادُلٍ .

٦- وَلَا يَكُونَنَّ كَمَجْرَى دَاحِسٍ لَكُمْ فِي غَطْفَانَ غَدَاةَ الشَّعْبِ عُرْقُوبٌ

كَانَ التَّنَازُعُ بَيْنَهُمْ فِي رِهَانٍ وَقَعَ عَلَى عُرْقُوبٍ ، وَهُوَ فَرَسٌ لَمْ . فَيَقُولُ :

(١) انظر ما سبق في الحواشي . (٢) وهذه هي رواية المفضليات .

(٣) في جميع النسخ : « تقارب » .

لا يَكُونُ جَرَى عُرْقُوبٍ عَلَيْكُمْ فِي الشُّؤْمِ كَجَرَى دَاحِسٍ فِي شَطْفَانِ غَدَاةٍ
شِعْبِ الْحَيْسِ . فقوله « عُرْقُوبٍ » ارتفع على أَنَّهُ اسْمٌ لا يَكُونُ ، وقد حَذَفَ
المُضَافَ وَأَقَامَ المُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، لأنَّ المراد : ولا يَكُونُ جَرَى عُرْقُوبٍ كَجَرَى
دَاحِسٍ . وقوله « غَدَاةُ الشَّعْبِ » ظَرَفَ لقوله كَجَرَى . وجعل النَّهْيَ فِي
اللَّفْظِ لِعُرْقُوبٍ وهو فِي المعنى لَهُمْ . حَذَرَهُمُ اسْتِعْمَالَ اللَّجَاجِ لئلا يَتَأَدَّى الأَمْرُ إِلَى
مِثْلِ مَا تَأَدَّى فِي رِهَانِ دَاحِسٍ وَالغَبْرَاءِ . ومثلُ هَذَا مِنَ النَّهْيِ قولُهُمْ :
لا أَرِيَنَّكَ هَاهُنَا .

١٩١

وقال الأخضر بن هبيرة (١) :

١ - أَلَا أَيُّهَا النَّاجِحُ السَّيِّدَ إِنِّي عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَبْسِلٌ مِنْ ورائِهَا (٢)
وَصَفُّ أَيُّ بَدَا غَيْرُ جَارٍ عَلَى سَنَنِ مَا يُجَلِّبُ لَهُ الصِّفَاتُ ، لأنَّ الصِّفَةَ شَرَحُ
الكلامِ وَتَبْيِينُهُ ، وَمُزِيلُ اللَّبْسِ عَنْهُ ، وَإِذَا كَانَ أَيُّ وَذَا مُبْهِمِينَ فَالانْشِرَاحُ
غَيْرُ حَاصِلٍ بِهِمَا ، لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمُعْوَلُ عَلَى مَا يَتَّبَعُهُ مِنَ الْمُعْرِفِ بِالْأَنْفِ وَاللَّامِ
صَارَ ذَا كَأَنَّهُ لا اعتدَادَ بِهِ فِي الشَّرْحِ . فيقول : أَيُّهَا المُتَعَرِّضُ لِبَنِي السَّيِّدِ
والمُتَنَقِّصُ لَهُمْ ، وَالنَّاحِتُ أُمَّتَهُمْ ، إِنِّي عَلَى بُعْدِهَا مِنِّي مُدَافِعٌ عَنْهَا وَذَابٌ ، مع
تَغْيِيبِهِمْ دُونَهَا ، قِضَاءُ لِحَقِّ الشَّرْفِ ، وَذَهَابًا مع النِّصْفَةِ . وَيُقَالُ بَسَلٌ وَاسْتَبَسَّلَ
وَتَبَسَّلَ بِمَعْنَى . وَقَالَ الخليل : اسْتَبَسَّلَ الرَّجُلُ ، إِذَا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى المَوْتِ

(١) هو الأخضر بن هبيرة بن المنذر بن ضرار بن عمرو بن مالك بن كعب بن بجالة بن ذهل
ابن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، والمقطوعة رواها التبريزي لولده الفضل بن الأخضر ،
ثم نقل عن أبي هلال أنها للأخضر ، وانظر للأخضر المؤلف ٣٤ .

(٢) التبريزي عن أبي هلال : « من عادة كلاب الأعراب أن تنبج السحاب لأنه يؤذيها
بخره ، وإذارات القمر ظنته قطعة سحاب فنبجت أيضاً ، وليست تضره ، فجعل هذا مثلاً للذي
ينال من الشريف ويقع فيه ولا يضره . »

واستيقن به^(١). وقد استعار أبو ذؤيب النُبَاحَ للتعريضِ والإيذاء، كما فعل هذا، فقال:

ولا هَرَّهَا كَلْبِي لِيُبْعِدَ نَفْرَهَا ولو نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاءِ كِلَابُهَا
وقوله « على نأبها » موضعه نصبٌ على الحال، لأن المعنى أستبسلُ من ورائها بعيدةً.

٢- دَعِ السَّيِّدَ إِنْ السَّيِّدَ كَانَتْ قَبِيلَةً تُقَاتِلُ يَوْمَ الرَّوْعِ دُونَ نِسَائِهَا
يقول: انتركُ ذكر هؤلاء القومِ ولا تطلبُ عيبيهم، فإنها قبيلةٌ ذاتُ أنفٍ وإباء، فما لحقهم منذ كانوا عارٍ في حرمة، ولا أصابهم سبأٌ عند غارة، بل كانت تحفظُ على علاتها نساءها، وتبتذلُ عند الفرعِ مصوناتِ نفوسها، وهذا تعريضٌ بالمخاطبين وأنهم بخلاف ذلك.

٣- عَلَى ذَاكَ وَدُّوا أَنِّي فِي رَكِيَّةٍ تُجَدُّ قُوَى أَسْبَابِهَا دُونَ مَائِهَا
ذالك من مثل هذا الموضع لا يُدْنِي ولا يُجْمَعُ ولا يُؤَنَّثُ^(٢)، ويُشار به إلى المُقْتَصِّ من الحال. يقول: وعلى ما ذكرته فيهم، ومع محافظتي على ما يجبُ علىَّ لهم، ليسوا إلى بأوداء، بل يتمنون أني في بئرٍ تُقطعُ طاقاتُ حبالها دون الوصولِ إلى مائها، لُبْعِدِ قَعْرِهَا. وهذا الكلامُ إعلامٌ بأن تعصبه لهم، ليس عن مُصادقةٍ بينهم توجبُ إعارَةَ الشَّهادةِ فيهم، أو مواخاةً تُؤلفُهُم وتُعطفُ أواصرَهُم عليهم، لكنَّهُ رأى حَقًّا فقاله، وتحمَّلَ صِدْقًا فأداه. وقوله «دون مائها» في موضع الحال لأنَّ دونَ للقاصر عن الشيء. والتقدير: تُجَدُّ القُوَى قاصِرةً عن الماء.

(١) في الأصل: « إذا وطن على الموت واستيقن » والتكلمتان من م والتميمورية.

(٢) الحق أن هذا أحد المذاهب في استعمال كاف الخطاب المصاحبة لأسماء الإشارة،

ومنهم من يستعملها استعمال الكاف الاسمية فتطابق أحوال الخطاب من أفراد وتثنية وجمع

وتذكير وتأنيث. انظر مع الهوامع (١ : ٧٦) وشرح المفصل (٣ : ١٣٥).

١٩٢

وقال سنان بن الفحل^(١) :١ - وَقَالُوا قَدْ جُنُنْتَ فَقُلْتُ كَيْلًا وَرَبِّي مَا جُنُنْتُ وَلَا انْتَشَيْتُ^(٢)

كان الواجب أن يقول قالوا جُنُنْتَ أو سَكِرْتَ ، فاكْتَفَى بذكر أحدهما لأن النفي الذي يَتَعَقَّبُ في الجواب يَنْظِمُهُمَا . ومثلُ هذا قول الآخر^(٣) :

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَمْتُ وَجْهًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي

لأنَّ المرادَ أُرِيدُ الْخَيْرَ وَأَتَجَنَّبُ الشَّرَّ أَيُّهُمَا يَلِينِي ، فاكْتَفَى بذكر أَحَدِهِمَا لأنَّ ما بعده يُبَيِّنُهُمَا : وَلِكَلَّا مَوْضِعَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ لِلرَّدْعِ وَالزَّجْرِ ، وَحِينَئِذٍ يَصَحُّ الْاِكْتِفَاءُ بِهِ وَالْوَقْفُ عَلَيْهِ . وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ لِلتَّنْبِيهِ كَأَلَّا ، وَحِينَئِذٍ يَحْتَاجُ مَا بَعْدَهُ إِلَى مَا يَتِمُّ بِهِ . وَسَيَبْوِيهِ قَصَرَ تَفْسِيرِهِ عَلَى أَنَّهُ لِلرَّدْعِ وَالزَّجْرِ . وَالشَّاعِرُ أَرَادَ قَالِ النَّاسُ فِيَّ لَمَّا أَظْهَرْتُ إِنْكَارِي ، وَتَشَدَّدْتَ فِي إِبَائِي ، وَتَحَفَّظْتُ عِنْدَ مَا عَرِضَ وَجْشَمَ ، وَاسْتَنْكَمْتُ مِمَّا سِيمَ وَكُلَّفَ : إِنَّهُ قَدْ جُنَّ أَوْ سَكِرَ . فَزَجَرْتَهُمْ وَرَدَعْتَهُمْ ، وَحَلَفْتُ بِاللَّهِ نَافِيًا لَمَّا نُسِبْتُ إِلَيْهِ وَوَسِمْتُ بِهِ مِنَ الْجُنُونِ وَالشُّكْرِ جَمِيعًا . ثُمَّ أَخَذَ يَبَيِّنُ كَيْفَ اسْتَنْكَرَ مَا دُفِعَ إِلَيْهِ ، وَاشْتَمَّازَ مِمَّا عَرِضَ عَلَيْهِ حَتَّى قِيلَ فِيهِ مَا قِيلَ . وَالْاِنْتِشَاءُ وَالنَّشْوَةُ : [الشُّكْرُ^(٤)]

(١) التبريزي : « سنان بن الفحل أخو بني أم الكهف ، من طيء » . وفي الخزانة

(٢) : (٥١٣ : ٥) : « سنان بن الفحل شاعر إسلامي في الدولة الروانية » .

(٣) الخزانة : « قال أمين الدين الطبرسي في شرح الحماسة : قد عيب على أبي تمام إيراد مثل هذه الأبيات في باب الحماسة ، والبكاء على الظلم ضعف وعجز . والوجه فيه أن بكاءه كان لمطالبتهم ما ليس لهم ولا سبيل له على الاعتراف والمغالبة فمل أهل الجاهلية ؛ إذ لا يراقب دين ولا يرهب سلطان » .

(٤) هو المثقب العبدى . المفضليات (٢ : ٩٢) .

(٤) التكملة من م والتمورية .

٢- ولكنني ظلمتُ فبكدتُ أبكي من الظلم المبين أو بكيتُ

لكن استدراكٌ بعد نفي . وهذا الكلام بيان ما أنكر منه حتى قيل إنه جن . وذكر البكاء ليرى أنفته وامتعاضة ، وإبكاره لما أريد ظلمه فيه واغتياظه . فأما العرب فإنها تنسب أنفسها إلى القساوة ، وتعيّر من يبكي لذلك . [قال مهلهل ^(١)] :

يُبكي علينا ولا نبكي على أحدٍ لنحن أغانأ كباداً من الإبل
يقول : لكن عرض على ضم لم آلفه ، واستنزلت عن حق لي طال
ملازمتي له ، فشارفتُ البكاء أو بكيتُ . كل ذلك لاستينكافي مما ندبوني إليه
وتعجبي مما رازدوني عليه .

٣ - فإن الماء ماء أبي وجددي وبيري ذو حفرت وذو طويت

صرح بما أريد غضبه عليه فقال : هو ماء موروث عن الأسلاف وحي معروف بي وبهم ، سلمه الناس لنا على مر الأيام ، وبيري توليت استخذائها وحفرتها وطيبها . وقوله « ذو حفرت » ذو لغة طائية في معنى الذي . يقولون : هذا ذو قال ذلك ، ورأيتُ ذو قال ذلك ، ومررتُ بذو قال ذلك ، فيحتاج من الصلة إلى مثل ما يحتاج إليه الذي ، لكنها تقع في لغتهم للمذكر والمؤنث ولهذا صلح أن يقول « وبيري ذو حفرت » ، والبيري مؤنثة .

٤ - وقبلك رب خضم قد تمالوا على فما هليعت ولا دعوت
نبه على حسن ثباته في وجه الخصوم ، وتمرنه بمجادبتهم قديماً وحديثاً ، وتحككه بهم على احتفال منهم في مناواته سالفاً وآناً ، فيقول : وقد بليتُ قبلك بقوم لدد تالبوا على وتعاونوا ، فلم أجزع لما منيت بهم جزعاً فاحشاً ،

ولا استنصرتُ عليهم غيري عند دفاعهم استنصارًا مكروهاً . والهَلَعُ : أخشُ
الجزع . وتَمَّالُوا ، هو تَفَاعَلُوا من قولهم هو مَلِيٌّ ؛ بكذا . فإن قيل : كيف قال
هَلِغْتُ ، وقد قال فيما قبله : « فَكِدْتُ أبكى من الظلمِ المُبِينِ أو بَكَيْتُ » وهل
الهَلَعُ إلا البكاء والجزع ؟ قلت : إن الهَلَعُ هو الجزع الفاحش الذي يظهر فيه
الخصوعُ والانقياد ، فهذا هو الذي انتضح منه ^(١) ، وزعم أنه لا يظهر عليه .
والبكاء الذي ذكر أنه شارفَه أو كاد يشارفُه قد يَبِينُ أنه كان منه على طريق
الاستنكاف والامتعاض ؛ فإذا كان كذلك فإنه لم يكن عن تخشعٍ وتذللٍ ، ولا
انقيادٍ واستسلامٍ ، وسَلِمَ الكلامُ من التناقض والفساد .

٥ - وَلِكِنِّي نَصَبْتُ لَهُمْ جَبِينِي وَأَلَّةَ فَارِسٍ حَتَّى قَرَيْتُ
يقول : وَلِكِنِّي صَبَرْتُ لَهُمْ ، وَاَنْتَصَبْتُ فِي وُجُوهِهِمْ ، وَهَيَّأْتُ عُدَّتِي
وسِلاحِي لِدَفْعِهِمْ ، دَارِيًّا فِي نُحُورِهِمْ ، مُحَلِّثًا لَهُمْ عَن وُرُودِهِمْ ، فِعْلَ الْفَارِسِ الذَّابِّ
المانع يوم الحِيفَاظ ، [حَتَّى ^(٢)] خَلَّصْتُ مِنْ غَضَبِهِمْ حَقِّي ، وَقَرَيْتُ الْمَاءَ مِنْ
دُونِهِمْ فِي حَوْضِي . وَالْأَلَّةُ : الْحَرْبَةُ ، وَجَمْعُهَا إِلَالٌ ، وَأَصْلُهُ الْبَرِيْقُ وَاللَّمْعَانُ .
وَالْقَرَى : الْجَمْعُ .

١٩٣

وقال جابر بن حريش ^(٣) :

١ - وَلَقَدْ أَرَانَا يَا سُمِّيُّ بِحَائِلٍ نَرَعَى الْقَرَى فِكَامِسًا فَالْأَصْفَرَا

(١) انتضح من الأمر ، بالضاد المعجمة : أظهر البراءة منه ، وفي جميع النسخ :
« انتصح » تحريف .

(٢) التكملة من م والتمورية .

(٣) الظاهر أنه شاعر طائي .

- ٢- فالجزعُ بين ضباعة فرصافةٍ فمواريضِ جوِّ البساسِ مُقْفِراً^(١)
- ٣- لأرضٍ أكثرُ منك بيضَ نعامةٍ ومذانباتندى وروضاً أخضراً^(٢)
- ٤- ومعيناً يحمي الصَّوارَ كأنه مُتخَمِّطٌ قَطِمٌ إذا ما برَّبراً^(٣)
- ٥- إذ لا يخافُ حدوجناً قذفَ النَّوى قَبَلَ الفسادِ إقامةً وتديراً

قوله « أرانا » حكاية الحال ، وما يستمرُّ ويتصل من الأفعال إذا أُريدَ فيه الإخبارُ عن الماضي قد يُؤتى بلفظِ المُستقبلِ فيوضع موضعَ بناءِ الماضي . على ذلك قوله :

ولقد أمرُّ على اللِّيمِ يَسْبِنِي فمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لا يَغْنِينِي^(٤)

ألا ترى أنه قال أمرُّ ، ثم قال فمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ . كذلك هذا قال ولقد أرانا ، ثم جاء في آخر الأبيات فقال : إذ لا يخافُ حدوجناً قذفَ النَّوى . فإن قيل : كيف جاز أن يقول أراني وأرانا ، وأنت لا تقولُ أضربُنا ولا أضربُ بني ؟ قلت : أفعالُ الشكِّ واليقينِ يجوز ذلك فيها وإن امتنع في غيرها ، لأنَّ تأثيراتها في المفعول الثاني من المفعولين ، إذ كان الشكُّ واليقينُ يتعلَّقان به لا بالأوَّل ، فصار لذلك المفعول الأوَّل كأنه غير الثاني ، وكالغلو الذي لا تأثير له في حصولِ الفائدة ، فجرى الثاني من الأوَّل لذلك مجرى الأجنبيِّ . وإذا قلتَ أضربُ بني أو أضربُنا لم يصيرَ أحدُ الضميرين كالأجنبيِّ من الأوَّل لا لفظاً ولا معنى ، والمعتادُ في الفاعلِ والمفعولِ مغايرةُ الثاني للأوَّل ، فلما كان الأمرُ على ذلك لم

(١) التبريزي : « وىروى : رضافة ، بالضاد منقوطة » ، وأشار أيضاً إلى رواية :

« حو البساس » ، قال : « والحو : جمع أحوى ، وهو الأسود ، والمراد به النبت » .

(٢) م : « لا روض » .

(٣) التبريزي : « وىروى : مغبياً ، أى ثوراً له غيب » . م : « يحمى الصوار » .

(٤) لرجل من بني سلول ، كما في الخزانة (١ : ١٧٣) .

يَجْزُ فِيهِ مَا جاز فِي الْأَوَّلِ . مُبَيِّنٌ هَذَا أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ ضَرَبْتُ نَفْسِي أَوْ أَضْرِبُ نَفْسِي لَصَلَحَ ، لِتَغَايُرِ الْحَاصِلِ فِي اللفظ ، فَاعْلَمَهُ .

وقوله حائل : اسم وادٍ . والقريُّ : مجرى الماء إلى الروضة ، وكامسٌ والأصفرُ : مكانان . وضباعةٌ ورصافةٌ : جبلان ، وكذلك عوارضٌ^(١) . وجوَّ البسابسِ أي داخل البسابس ، وهي المفاوز الواسعة الخالية . والجوَّ : الهواء بين السماء والأرض أيضاً . والمقفرُ : الصائرُ في المقفر ، وهو المكان الخالي . وانتصبَ جوَّ على الظرف ، ومقفرًا على الحال .

ومعنى الأبيات : كُنَّا نَرَى أَنْفُسَنَا يَا سُمَيَّةَ بِهَذَا الْوَادِي ، وَنَحْنُ نَنْتَقِلُ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِعِ الَّتِي ذَكَرْتَهَا ، وَنَتَحَوَّلُ^(٢) بَيْنَ هَذِهِ الْمَنَاجِعِ الَّتِي عَدَدْتَهَا الْحَاصِلَةَ [فِي] جَوِّ الْأَرْضِينَ الْمَسْعُوبَةِ ، وَفِي أَثْنَاءِ الْأَرْضِينَ الْمُقْفَرَةِ ، وَلَا أَرْضَ أَكْثَرَ خِصْبًا مِنْ أَرْضِكَ وَخَيْرًا ، وَأَنْدَى مَذَانِبَ وَتِلَاعًا ، وَأَحْوَى لَبِيضِ النَّعَامِ ، وَأَجْمَعُ نُخْضِرِ الرِّيَاضِ الَّتِي يَسْتَوِطِنُهَا الْوَحُوشُ مِنَ الْبَقَرِ وَغَيْرِهَا ؛ وَثَوْرُهَا يَحْفَظُ قَطِيعَهُ وَكَأَنَّهُ لِنَشِاطِهِ إِذَا جَارَ فِجْلٌ هَائِجٌ مَغْضَبٌ أَيَّامَ أَمِنَّا عَادِيَةَ النَّوَى ، وَبِائِقَةِ الدَّهْرِ وَالْأَذَى ، وَلَمْ تَخَفْ نِسَاؤُنَا مِنْ تَرَاجِي الْعُرْبَةِ ، وَتَقَاذِفِ الشَّقَّةِ ، وَلَمْ يَقَعْ بَيْنَ الْعِشَائِرِ حَرْبٌ الْفَسَادِ ، وَضُرِرَ التَّهَاجُرُ وَالْبِعَادُ ، وَنَحْنُ مُتَدَيِّرُونَ وَمَقِيمُونَ ، وَفِي أَنْوَاعِ النِّعْمَةِ وَالنِّعْمَةِ مَتَرَدِّدُونَ ، وَلِدَارِ السَّلَامَةِ وَالْخَفْضِ مَسْتَوِطِنُونَ .

وهذا الكلام تحشُرٌ في إثرِ أيامِ السَّلَامَةِ ، وَتَشَاكٍ مِنْ أَيَّامِ الْفِتْنَةِ .

وقوله « إِذْ لَا يَخَافُ » ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ وَلَقَدْ أَرَانَا . وَقَوْلُهُ « قَبْلَ الْفَسَادِ »

بَدَلٌ مِنْهُ ، وَالْمَذَانِبُ : مَسَائِلُ الْمِيَاهِ . وَمَعْنَى « أَكْثَرُ مِنْكَ بَيْضَ نَعَامَةٍ » أَكْثَرُ مِنْ أَرْضِكَ ، فَخَذَفَ الْمُضَافَ ، وَانْتَصَبَ « بَيْضَ » عَلَى التَّمْيِيزِ . وَقَوْلُهُ

(١) التبريزي : « وعوارض : جبل عليه قبر حاتم الطائي » .

(٢) نتحول ، بالحاء المهملة في جميع النسخ .

« ومذانباً » انتصبَ على أنه معطوفٌ على بيض نعامية ، وتندى في موضع الصفة للمذانب ، أى نديّة ، وكذلك « وروضاً » و « معيناً » . والمعينُ : الثور الكبير العين . والصوّار : القطيع ، واشتقاقه من صرته أى قطعته . والحُدُوج : المراكب ، ونسبَ الخوفَ إليها مجازاً ، لأنَّ المرادَ بها النساء ، وقوله « متخمطٌ » شبهَ الثورَ بفحلٍ له سؤرةٌ وجلبةٌ ، لاهتياجه وغضبه ، ومنه قيل للبحر إذا التظمتُ أمواجه : هو خبطُ التّيّار . والقَطِمْ : الهاجِج . وبربرَ : صَوْت . وقذْفُ النَّوى : رَمِيهِ . وقوله « قَبْلَ الفَسَادِ » يريدُ قَبْلَ حربِ الفَسَادِ ، وإنما سُمِّيت بهذا الاسم لأنَّ بَعْضَهُمْ كان يَشْرَبُ في قَحْفِ رأسِ صاحِبِهِ إذا قَتَلَهُ ، ويخِصِفُ نَعْلَهُ بأذنه ، إظهاراً للتَّشْفِي . وانتصبَ « إقامَةٌ » على أنه مصدر لِعَلَّةِ ، ويجوز أن يكون في موضع الحال ، فتقدير الأول : لا تَخَافُ قَذْفَ النَّوى لإِقَامَتِنَا وتديرتنا ، وتقدير الثاني : لا تخافه مقيمين ومديرين . ويقال ما بالدار ديارٌ ، وداريٌّ ، ومنه قوله :

* لَبِثُ قَلِيلًا يَلْحَقِ الدَّارِيُّونَ ^(١) *

والأصل في تدير الواو ولكنّه بنوّه على ديارٍ ، لإلفهم له بكثرة تردده في كلامهم .

١٩٤

وقال إياس بن مالك ^(٢) :

١ - سَمَوْنَا إِلَى جَيْشِ الحَرُورِيِّ بَعْدَمَا تَنَاذَرَهُ أَعْرَابُهُمْ وَاللَّهُ أَجْرُ

(١) الرجز في المقابيس واللسان (دور) . وقد فسر الداري بأنه رب النعم والمال ،

سمى بذلك لأنه مقيم في داره .

(٢) هو إياس بن مالك بن عبد الله بن خيبري، المعنى الطائي ، شاعر من شعراء صدر =

يقولُ : سَمَتْ أَبْصَارُنَا وَنَفُوسُنَا ، وَارْتَفَعَتْ هِمَاتُنَا إِلَى مَحَارِبَةِ الْحُرُورِيَّةِ
 — وَهُمْ فِرْقَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ — بَعْدَ اشْتِدَادِ شَوْكَتِهِمْ وَتَكَاثُفِ عُدَّتِهِمْ ، وَحِينَ
 تَحَامَى جَيْشَهُمْ بِأَدْيِ النَّاسِ وَحَاضِرُهُمْ ، وَحَذَرَ نَاحِيَّتِهِمْ وَقَصَدَهُمْ عَسِيرِيَّتُهُمْ
 وَمُهَاجِرُهُمْ . وَأَرَادَ بِالْمُهَاجِرِ مَنْ تَرَكَ الْبَدْوَ وَانْتَقَلَ إِلَى الْأَمْصَارِ .

٢ — بِجَمْعِ تَظَلُّ الْأَكْمِ سَاجِدَةً لَهُمْ وَأَعْلَامُ سَلْمَى وَالْهَضَابِ النَّوَادِرُ^(١)
 الباء من قوله « بِجَمْعِ » تَعَلَّقَ بِسَمُونَا ، يُرِيدُ : قَصَدْنَا بِجَيْشِ كَثِيفٍ
 يُلْحِقُ الْحَزْنَ بِالسَّهْلِ ، وَيُسَوِّي الْهَضَابَ بِالْأَرْضِ إِذَا سَارَ عَلَيْهَا لِكَثْرَتِهِ .
 وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

* تَرَى الْأَكْمَ مِنْهُ سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ^(٢) *

وَأَصْلُ السُّجُودِ الْخُضُوعُ ، كَأَنَّهَا تَصِيرُ لَهَا تَرَابًا . وَالْأَكْمُ : جَمْعٌ ، يُقَالُ
 أَكَمْتُ وَأَكَمْتُ ، وَإِكَامٌ وَأَكْمٌ^(٣) . وَسَلْمَى : أَحَدُ جِبَلِي طَيْيٍّ . وَالْهَضَابُ : جَمْعُ
 هَضْبَةٍ ، وَهِيَ مَا انبَسَطَ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجِبَالِ . وَالنَّوَادِرُ : الْمُرْتَفِعَةُ ، وَكُلُّ
 شَيْءٍ زَالَ عَنْ مَكَانِهِ فَقَدْ نَدَرَ ؛ وَمِنْهُ نَوَادِرُ الْكَلَامِ . وَجَعَلَ لَسَلْمَى أَعْلَامًا
 لِامْتِدَادِهِ وَاتِّصَالِ جِبَالِهِ بِهِ .

٣ — فَأَمَّا أَدْرَ كُنَّا فَمَقْدَقَلَّصَتْ بِهِمْ إِلَى الْحَى خُوصٌ كَالْحِنِيِّ ضَوَايِرُ
 أَدْرَكَ : افْتَعَلَ مِنَ الْإِدْرَاكِ ، وَهُوَ فِي مَعْنَى أَدْرَكَ . وَقَلَّصَتْ : ارْتَفَعَتْ .

== الإسلام . وكان من خبر الشعر أن جيشاً لنجدة الحروري عليهم رجل يقال له أبو عمرو كان
 يغير على العرب ، وفعل ذلك بنو أسد وطبي حتى صر بنو من فعلوا ذلك بهم ومضوا ، ثم إن
 بنو تذاصروا ، وحرص بعضهم بعضاً على القتال ، وأقبلوا في أثرهم ومنعهم كتاب من النبي
 صلى الله عليه وسلم فأخرجوه واستقبلوا القبلة وحملوا عليهم فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ،
 فذلك حيث يقول إياس هذه الأبيات . وقد زعموا أن قائل هذه الأبيات مروان بن عبد الله
 ابن حن . والأبيات ه — ٧ في اللسان (قدر) منسوبة إلى إياس .

(١) م والتمورية والتبريزي : « ساجدة له » .

(٢) أنشد هذا العجز في اللسان (سجد) . (٣) يقال بضم الكاف وسكونها .

وقد كُنِيَ عن طول القوائم بالتقليص فقيل في وصفِ الفرس مُقَلَّصٌ ، والمُرَادُ ذلك . ويقال المُشَمَّرُ : هو مُقَلَّصٌ أسفلِ السَّرْبَالِ ، كما قيل هو مَشْقُوقٌ ذيل القميصِ . والحِنِيُّ : القَيْبِيُّ ، سُمِّيَتْ بذلك لانحنائها ؛ فهو فَعِيلٌ بمعنى مفعول ، فيقولُ : حينَ لِحَقْنَاهُمْ كانت خَفَّتْ بهم وشمَّرتْ إلى الحِيِّ خَيْلٌ غَاثَةٌ العيونِ ، لاحِقَةُ البطونِ ، كأنَّها في ارتفاعِ جنوبها قَيْبِيٌّ مَأْطُورَةٌ . ولَمَّا يقتضى جَوَابًا ، وهو فيما يجيء من بعدُ . والواو من قَوْلِهِ « وَقَدْ قَلَّصَتْ بِهِمْ » واو الحال .

٤ - أَنْخَنَا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُنَّ وَزَادْنَا جِيَادُ السُّيُوفِ وَالرِّمَاحُ الْخَوَاطِرُ
يجوز أن يكون معنى إليهم عندهم ، فقد حُكِيَ : لَا تَذْكُرْ فُلَانًا إِلَى بَسْوَةٍ ، أى عندى . ويجوز أن يكون معناه الانتهاء ، ويكون المراد : أَنْخَنَا إِلَى فِينَاهُمْ وبِإِزَائِهِمْ . وَأَنْخَنَا هو جوابُ لَمَّا . يقول : لَمَّا أدركناهم تَمَّ سَامِينَا جَيْشَهُمْ بِمِثْلِهِ عَدَدًا وَعُدَّةً ، وجزايناهم بأشباههم فرسانا ورجالةً ، وزادنا سيوفٌ مُنْتَخَلَةً (١) وريماحٌ نَدَنَةٌ مُتَقَمَّةٌ . وإِنَّمَا قال « أَنْخَنَا » لِمَا استمَّرتْ به عادتهم من ركوبِ الإِبِلِ وَقَوْدِ الخَيْلِ إِلَى المَغَارِ ، إِبْقَاءً عَلَيْهَا ، وإعداداً لوقت الحاجة إليها . والخوَاطِرُ من الخَطَرِ ، وأصله التَحَرُّكُ .

٥ - كِلَا ثَقَلَيْنَا طَمِعَ بَغْنِيمَةٍ وَقَدْ قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَادِرٌ
« كِلَا ثَقَلَيْنَا » أى كلُّ واحدٍ من جماعتينا . والثَّقَلُ : الجماعة . والثَّقَلَانُ : الجنُّ والإنس . وقال الخليلُ : ثَقَلُ الرَّجُلِ : حَشَمُهُ وَمَتَاعُهُ . وقوله « بَغْنِيمَةٍ » ، أى بسبب غنيمَةٍ . والمعنى : كلُّ واحدٍ من الغَارِيْنِ (٢) طَمِعَ فِي اغْتِنَامِ صَاحِبِهِ ،

(١) في الأصل : « منتحلة » وفي م : « منتحلة » ، صوابه ما أثبتنا من التيمورية .

والمنتحلة : المختارة ، ومنه قول يزيد بن عمرو بن الصعق ، في اللسان (فرش) :
نعلوهم بقضب منتخله لم تعد أن أفرش عنها الصقله

(٢) الغار : الجمع الكثير من الناس ، وقيل الجيش الكثير . ومنه قول الأحنف :

« وما أصنع به إن كان جمع بين غارين من الناس » .

أى يَعُدُّهُ غَنِيمَةً ، لِثِقَتِهِ بِبِأَسِهِ وَنَجْدَتِهِ . وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَّ رَمِي الإِظْفَارَ وَإِعْطَاءَ الْفَلَجِ وَالغَلَبَةِ مَا قَدَّرَهُ ، لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ ، وَلَا مُعَقَّبَ لِأَمْرِهِ . وَيُقَالُ قَدَّرْتُ مِنَ التَّقْدِيرِ ، قَدَرًا وَقَدْرًا . وَ« مَا هُوَ قَادِرٌ » إِنْ شُدَّتْ جَعَلْتَ مَا مَوْصُولًا بِمَعْنَى الَّذِي ، وَإِنْ شُدَّتْ جَعَلْتَهُ مَوْصُوفًا بِمَعْنَى شَيْئًا . وَعَلَى الْوَجْهِينِ وَجَبَ أَنْ يَقُولَ مَا هُوَ قَادِرُهُ ، فَحَذَفَ الضَّمِيرَ تَخْفِينًا .

٦ — فَلَمَّ أَرَى يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سَالِبًا وَمُسْتَلْبًا سِرْبَالَهُ لَا يُنَاكِرُ

قوله « كَانَ أَكْثَرَ سَالِبًا » مِنْ صِفَةِ الْيَوْمِ ، وَالْمُفْضَلُ مَحْذُوفٌ الذِّكْرُ ، كَأَنَّهُ قَالَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَانْتَصَبَ « سِرْبَالَهُ » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ مِنْ مُسْتَلْبًا . وَ« لَا يُنَاكِرُ » فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ وَأَكْثَرَ مُسْتَلْبًا ذَا صِفَتِهِ . وَمَعْنَى لَا يُنَاكِرُ : لَا يَقْدَرُ عَلَى الْامْتِنَاعِ . يُقَالُ نَاكَرَنِي ، أَيْ دَافَعَنِي وَمَانَعَنِي . يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ يَوْمًا حَصَلَ فِيهِ مِنَ السَّالِبِينَ وَالْمَسْلُوبِينَ مِثْلُ مَا اجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا وَقَعَةَ أَظْهَرَ حَالًا وَأَكْشَفَ أَمْرًا فِي قُوَّةِ غَالِبِهَا وَضَعْفِ مَغْلُوبِهَا ، وَاسْتِسْلَامِ الْمَقْهُورِ الْمَسْلُوبِ وَاسْتِعْلَاءِ الْقَاهِرِ السَّالِبِ ، مِنْ تِلْكَ الْوَقَعَةِ .

٧ — وَأَكْثَرَ مِنَّا يَافِعًا يَبْتَغِي الْعُلَى يُضَارِبُ قِرْنًا دَارِحًا وَهُوَ حَاسِرٌ

فِي هَذَا أَيْضًا حَذَفَ وَإِيجَازًا كَمَا كَانَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَلَمْ أَرَ قَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ شَابًّا يَطْلُبُ الصَّيْتَ وَالذِّكْرَ ، وَيَعْفُ عَنْ الْغَنِيمَةِ فِي الرَّوْعِ ، فَيُضَارِبُ نَظِيرًا لَهُ فِي الْبِأَسِ مُسْتَلِيمًا ، وَهُوَ يَنَازِلُهُ حَاسِرًا مُتَجَرِّدًا — مِنْ قَوْمِنَا . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ حَاسِرٌ » حَالٌ لِلْمُضْمَرِ فِي يُضَارِبُ ، وَيُضَارِبُ وَيَبْتَغِي جَمِيعًا صِفَتَانِ لِقَوْلِهِ يَافِعًا ، وَعَلَى هَذَا قَدْ حَذَفَ حَرْفَ الْعَطْفِ مِنْ قَوْلِهِ يُضَارِبُ ، لِأَنَّ الْجَمَلَ حَقُّهَا إِذَا وَصِفَ بِهَا النَّكِرَاتُ أَنْ يُنْدَسَقَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِحَرْفِ

العطف . ويجوز أن يكون يُضارِبُ في موضع الحال مما في يبتغي . واليافع : الشابُّ المُتَنَاهِي الشَّبَابِ ، والفِعْلُ منه أَيْفَعُ الغُلَامُ وَتَيْفَعُ . وبابُ يَفَعُ مقصورٌ على الارتفاع والإشراف في الجبل والأرض وغيرها . ويقالُ غُلَامٌ يَفَاعٌ وَيَفَعَةٌ وَيَافِعٌ ، ولا يُقالُ مُوفِعٌ . وجَعَلَ القِرْنَ دَارِعًا وصاحِبَهُ حاسِرًا ، تفضيلاً له عليه . وقد يوصَفُ المدوح بلبس الدرِّعِ ويرادُ به حزامته وتحرُّزه ، كما يوصَفُ بضِدِّه ويرادُ إقدامه وجُرَّأته .

٨- فَمَا كَلَّمَتِ الأَيْدِي ولا اناَطَرَ القَنَا ولا عَثَرَتْ مِنَّا الجُدُودُ العَوائِرُ

نَبَهَ بهذا الكلام على تَسَاعُدِ أحوالهم فيما تردَّدوا فيه ، وتَنَاصُرِ أسبابهم عندما لا بَسُوهُ ونَهَضُوا له . وإمكانُ الفُرْصِ فيما يُقَرَّبُ التَمَكُّنُ مِنَ العَدُوِّ ، وارتفاعُ العِللِ من مُوجِباتِ القَهْرِ والعُلُوِّ . فيقول : قَوِيَّتْ أَيْدِي المقاتلين مِنَّا فلم يَمَسَّها لُغُوبٌ ، وَوَفَّتِ الأَسْلِحَةُ بمواعيدها من البقاء فلم يَخُنْ رُمُحُ [منها (١)] بانكسارٍ وفُتُورٍ ، ولا سَيْفٌ بنبؤٍ وكُلُولٍ ، ولا خَذَلْتَنَا جُدُودُنَا فَمَالَتْ إلى تَعَثُّرٍ أو سُقُوطٍ . وإذا تَوَازَرَتْ هذه الأسبابُ وتعاوَنَتْ ، فَحَصَلَ الجِدَّةُ والجِدَّةُ ، وانزاحت العِللُ في الدَّواعي والآلات ، كان السَّكَمُ في نَيْلِ المَرادِ . وقوله « اناَطَرَ » في معنى انعطف وتَنَتَّى . يُقالُ أَطَرْتُهُ فاناَطَرْتَهُ ، ومنه إطار (٢) البابِ والمُنخَلِ . وقوله « ولا عَثَرَتْ مِنَّا الجُدُودُ العَوائِرُ » ، مثل قول الآخر (٣) :

* ولا تَرَمَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ (٤) *

لأنه لم يُشَدِّتْ لأنفسِهِم جُدُوداً من شأنها أن تَزِلَّ وتَعَثُرُ ثمَّ نَفَى ذلك عنها

(١) هذه من م والثيمورية .

(٢) في الأصل : « إطارات » وأثبتنا ما في م والثيمورية .

(٣) هو ابن أحمَر . الخزانة (٤ : ٢٧٣) .

(٤) صدره : * لا تَفْزَعُ الأَرنبُ أهوالها *

فى ذلك اليوم ، بل أراد أنهم لا جدود لهم بهذه الصفة ، كما أن الشاعر الآخر أراد
لا ضباً فينجحر . ومعنى الكلام : كان الغلب لنا وتعثرت جدود غيرنا .

١٩٥

وقال الأخرم السننسى^(١) :

١ - أَلَا إِنَّ قَرْطًا عَلَى آلَةٍ أَلَا إِنِّي كَيْدُهُ مَا أَكِيدُ^(٢)

يقال : فلان لى على حالة وعلى آلة ، إذا تنكّر وتغيّر عما كان يُعهدُ عليه
من قبل . وهذا يجرى مجرى الكنايات . ويُقال أيضا : حصل فلان لنا على
لون ، يُراد على لون مذموم . فيقول : إن هذا الرجل تحول عما كان يجرى
عليه معى ، إلى أمرٍ أنكره ولا أعرفه ، ألا إننى أكيد كيدَهُ ، أى أقابل
كيدَهُ لى بكيدٍ مثله . وما زائدة ، وتلخيصه : أكيدُهُ كيدا يُمائل كيدَهُ لى .
وهذا كما يُقال ضربه ضربه غريبة الإبل . والمعنى : أقتدى به فيما ينطوى لى
عليه ويعاملنى به ، لا أبتدئه بمساءة ، ولا أعاجله بمكرٍ وخيانة ، بل أقلدّه
البنى ، وأنتظر من جهته الخوول والنكث ، ثم أجازيه كليل الصاع بالصاع .

٢ - بَعِيدُ الْوَلَاءِ بَعِيدُ الْمَحَلِّ مَنْ يَنَأُ عَنْكَ فَذَاكَ السَّعِيدُ

يَدُمُ قَرْطًا فيقول : هو بعيد النصرة والمؤالاة ، أى بطيها ، بعيد الدار
والمسكن ؛ يعنى تنائها . ثم قال : مَنْ بَعْدُ عَنْكَ فَقَدْ سَعِدَ جَدُّهُ . نقل الكلام
عن الإخبار إلى الخطاب على عادتهم فى افتنانهم ، وكأنه التفت إليه يريه الزهادة

(١) الأخرم ، بالخاء المعجمة بعدها راء مهملة . وفى الأصل والتمورية : « الأخرم » ،
وأثبتنا ما فى م والتبريزى . التبريزى : « قال أبو هلال : إن سننسى امرأة عمرو بن العوث بن
طى ولدت له ثعل ونهان ، فهم يسمون بها » ، وفى القاموس إن سننسى بن معاوية بن جرول ،
أبو حى من طى .

(٢) التبريزى : « قرط : رجل من سننسى » .

في مجاورته ، والاستغناء عن معونته ، واكتفاءهم بأنفسهم دونه ، فقال ذلك بعدما أخذ في وصفه .

٣ - وَعِزُّ الْمَحَلِّ لَنَا بَائِنٌ بِنَاءُ الْإِلَهِ وَمَجْدٌ تَلِيدٌ

الهاء من قوله « بِنَاءُ الْإِلَهِ » يجوز أن يكون للعرز ، ويجوز أن يكون للمحل . فإذا جعلته للعرز فالأجود أن ينعطف مجدُّ على الإله ، كأن العرز حصل للمحل بالله تعالى وبمجد الآباء . وإذا جعلته للمحل يجوز أن يرتفع ومجدُّ بالابتداء ، ويكون الكلام منقطعاً والخبر محذوفاً ، كأنه قال : ولنا مجدُّ تليدٌ . وبناء الإله في موضع الحال للمحل ، والأجود أن يضم معه قد . وإنما يفتخر بأن بلادهم حصينة ، وديارهم عزيزة . وذلك أن بلاد طي يكتنفها جبالهم أجاً وسلمى ، فلا تستطرفهم الغارات ، ولا تهجم عليهم سوابق الفلوات والنزوات . فيقول : عزنا في دارنا ظاهر للناس غير خاف ، آثرنا الله تعالى به ، ولنا مجدُّ متوارث . وأصل المجد الكثرة . والتلاد والتلديد : القديم .

٤ - وَمَأْتِرَةٌ الْمَجْدِ كَانَتْ لَنَا وَأَوْرَثْنَاهَا أَبُونَا لَبِيدٌ^(١)

مأترَةٌ : مفعلة من أثمرت الحديث ، إذا رفعتة ونسبتة . يريد : أن العرز اجتمع لهم مكتسباً وموروثاً ، وتالداً وطريفاً ، ونحولاً من عند الله تعالى تخويلاً ، فلم بذلك صيت في الناس يؤثر ، وذكره على مر الأيام يخلد ، وثناء يتصل ولا ينقطع ، وسناء يستمر ولا يقف ، كما كان لأبيهم لبيد .

٥ - لَنَا بَاحَةٌ ضَبْسٌ نَابِهَا يَهُونُ عَلَى حَامِيَيْهَا الْوَعِيدُ

الباحَةُ : الساحة . والضبس : الشديد . ويقال هو ضبس شرس ، في الحريرص

(١) هو لبيد بن سننيس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو بن العوث بن طي .
نهاية الأرب (٢ : ٣٠٠) والأغانى (١٤ : ٩٠) .

الشديد . والنابُ : سيّد القوم . وأراد بالحميين جبليّ طيّب^(١) ، والضميرُ منها يعودُ إلى السّاحة . ويجوز أن يريدَ بالناب واحدَ الأنياب ، وجعله مثلاً للشّدّة . وذكر البّاحة والمرادُ أهلها ، كما قال الآخر^(٢) :

وإن مُقرّمٍ مِنّا ذرّاً حدُّ نابهٍ تخمّطَ فينا نَابُ آخرٍ مُقرّمٍ .

يقول : لنا ساحةُ دارِ رئيّمها والمدافعُ عنها شكسُ الخلق ، شديد الإباء على الأعداء ، يهونُ وعيدُ المتوعّدين على النازلين في جوانبِ جبليّتها ، المانعين منها . وقوله « على حاميتها » حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

٦ - بها قُضِبَ هِنْدُوَانِيَّةٌ وعِيسُ تَزَاءَرُ فِيهِ الْأَسْوَدُ

٧ - ثَمَانُونَ أَلْفًا وَلَمْ أَحْصِهِمْ وَقَدْ بَلَغَتْ رَجْمَهَا أَوْ تَزِيدُ

نبةً بهذا الكلام على أن ديارهم تحوي العَدَدَ والعُدّة ، فرجالهم أسودٌ في مأسَدَتِهَا تَزِيرُ فِيهَا^(٣) ، وسلاحهم الهِنْدُوَانِيَّةُ يستعملونها^(٤) . والعِيسُ : الأصل الكريم ، ومنابت كرائم الأشجار الملتفة ، ومنه قولهم « أعياصُ قُرَيْشٍ » لكِرامِهِمْ . وقوله « ثمانون ألفاً » هو تبين كميّة ما أشار إليه ، وتفصيلُ ثروتهم بعد الإجمال ، فقال : هو ثمانون ألفاً ، ولست أقول هذا عن إحصاء وعَدٍّ ، أو ضبطٍ بعد حصرٍ ، لكنّه رَجْمٌ مِنِّي و حَدْسٌ ، فهم يبلّغونه أو يزيدون عليه . وتحقيق قوله « لم أحصها » ، لم أضبط كثرتها . والحِصَاةُ تُسْتَعْمَلُ فِي الْكَثْرَةِ وَالْعَقْلِ . وقوله « وقد بلغت رجمها » ، أي رجمي لها ، أُضِيفَ الْمَصْدَرُ إِلَى الْمَفْعُولِ .

(١) التبريزي : « وقيل حاميها : جانيها الأمانان منها مثل حواي الحصن ، وهي البروج . وقيل : حاميها : الخيل والسلاح » .

(٢) هو أوس بن حجر . ديوانه ص ٢٧ .

(٣) يقال هذا الفعل من باب ضرب ومنع وسمع .

(٤) الهندوانية بضم الهاء وكسرهما ، مع ضم الدال : منسوبة إلى الهند على غير قياس .

١٩٦

وقال عبد الرحمن المعنى^(١) :

- ١ — قد قَارَعَتْ مَعْنٌ قِرَاعًا صُلْبًا
- ٢ — قِرَاعَ قَوْمٍ يُحْسِنُونَ الضَّرْبًا
- ٣ — تَرَى مَعَ الرَّوْعِ الْغُلَامَ الشُّطْبًا
- ٤ — إِذَا أَحَسَّ وَجَعًا أَوْ كَرْبًا
- ٥ — دَنَا فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا قُرْبًا
- ٦ — تَمَرُّسَ الْجُرْبَاءِ لَأَقْتِ جُرْبًا

أصلُ القَرَعِ الضَّرْبُ عَلَى الشَّيْءِ الصُّلْبِ . وَمَعْنٌ : قَبِيلَةٌ . يريدُ أنها ضَارَبَتْ أَعْدَاءَهَا ضِرَابًا شَدِيدًا ، وَدَافَعَتْهُمْ دِفَاعًا مَرَضِيًّا ، ضِرَابَ قَوْمٍ لَهُمْ نَيْقَةٌ^(٢) حَسَنَةٌ فِي الْقِتَالِ ، وَأَخَذَةٌ عَجِيبَةٌ فِي اللَّقَاءِ ، يَهْتَدُونَ لِلْغِلَابِ وَالْإِعْتِلَاءِ أَحْسَنَ اهْتِدَاءٍ ، وَيَتَأْتُونَ لِلْقِرَاعِ مِنْ أَقْرَبِ غَايَةٍ وَإِلَى أْبَعْدِ انْتِهَاءٍ ؛ تَرَى عِنْدَ اهْتِيَاكِ الْفَرْعِ الْغُلَامَ الْقَامَّ الْقَامَةَ مِنْهُمْ ، الْقَلِيلَ اللَّحْمِ ، الْمَتَطَاوِلَ عِنْدَ مَبَارَزَةِ الْخَصْمِ مَتَى أَدْرَكَ وَجَعًا ، أَوْ أَحَسَّ شِدَّةً وَضِيقًا ، يُقَدِّمُ وَلَا يُحْجِمُ ، بَلْ يَزْدَادُ عَلَى حَدِّ الْجِذَابِ مُصَادِمَةً ، وَعَلَى طَوْلِ الْمِرَاسِ مَكَاْفِحَةً وَمَكَاْفَةً ، فَيَحْتَكُّ بِالْأَبْطَالِ فِي الْمَوَاقِفِ احْتِكَكًا بِالْإِبِلِ الْجُرْبِيِّ فِي الْمَعَاظِنِ .

(١) شاعر إسلامي ، قال هذه الأرجوزة في لقاء بني معن الحرورية ، كما نص التبريزي . وانظر أول الحماسية السابقة . التبريزي : « قال أبو هلال : هذا الشاعر يعرف بمرقس — بفتح الميم والقف ، والسين غير معجمة — أحد بني معن بن عتود ، ثم أحد بني حى بن معن » .

(٢) النيقة ، بالكسر : اسم من التنوق بمعنى التأنق . وهو التجود والمبالغة .

قوله « تَرَى مع الرَّوْع » أى عند حصول الرَّوْع لا يتأخّر عنه ، فهو معه يُقومُ بقيامه ، ويحتاج باهتياجه .

وقوله « إذا أَحَسَّ » ظُرِفُ لقوله دَنَا . وانتَصَبَ « تحكّك^(١) » على أنه مصدرٌ من فَعَلَ دَلَّ عليه قوله « فما يزدادُ إلا قُرْبًا » .

وقوله « لا قَتَ جَرَبِي » يجوز أن يكون جمعَ أَجْرَبِ وجَرِبٍ كَأَحْمَقَ وَحَمِقٍ وحمقى . ويجوز أن يكون مقصوراً من جَرَبَاءِ ، وللشاعر أن يقصُرَ الممدود . أى تَحَكَّكَ الجَرَبَاءِ لا قَتَ جَرَبَاءِ مِثْلَهَا . ويجوز أن يُروى « جُرْبًا » بضمّ الجيم ، فيكون كَأَسْوَدَ وَسُودٍ ، وأَقْلَفَ وَقُلْفٍ .

١٩٧

وقال عبيد بن ماوية^(٢) :

١ — أَلَا حَى لَيْلَى وَأَطْلَالَهَا وَرَمَلَةَ رِيًّا وَأَجْبَاهَا

يخاطبُ نَفْسَهُ مُظْهِراً لِلتَّجَلُّدِ ، وَمَتَّبِجاً بَأَنَّ الشَّدَائِدَ لَا تُنْسِيهِ الأُحِبَّةَ وَلَا تَعْتَاقُهُ عَنِ التَّسْلِيمِ عَلَيْهَا ، وَالْوَقُوفَ عَلَى مَنَازِلِهَا وَمَسَاءَلَتِهَا^(٣) ، وَأَنَّهُ مَتَى مَتَى مُنَى بِهَا أَهْمَةُ أَمْرُهَا أَشَدُّ مِمَّا كَانَ قَبْلُ ، وَلَمْ يَلْهُ عَنْهَا ؛ فَيَقُولُ : سَلِّمْ عَلَى هَذِهِ المَرَأَةِ وَعَلَى دِيَارِهَا ، وَعَلَى رِمَالِ رِيًّا وَالجِبَالِ الحَاطِطَةِ بِهَا ، وَإِنْ طَرَقَكَ مِنَ الحَوَادِثِ مَا يَشْغَلُ عَنِ مِثْلِهِ .

٢ — وَأَنْعَمُ بِمَا أُرْسَلَتْ بِأَلِهَا وَنَالَ التَّحِيَّةَ مِنْ نَالَهَا

قوله « بما أُرْسَلَتْ » أى بَدَلًا مِمَّا أُرْسَلَتْ . وَمَا مَعَ الفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ مَصْدَرٍ ، يَعْنِي بِإِرْسَالِهَا . وَتَقُولُ العَرَبُ : هَذَا بِذَلِكَ ، أَيْ عِوَضًا مِنْهُ ، وَهَذَا لَكَ مِنْ ذَلِكَ

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ . وَالوَجْهَ « تَمَرَسَ » كَمَا هُوَ نَصُّ الشَّعْرِ فِي جَمِيعِهَا .

(٢) عبيد ، ضبط بفتح العين وكسر الباء في الأصل . وضبط بالتصغير في م والتبريزي .

(٣) هذه الكلمة من م والتمورية .

في معناه . وعلى هذا قول الشاعر^(١) :

لَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمَزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ
أى عَوْضًا مِنْ مَاءِ زَمَزَمَ . وَالْبَالُ وَالْخَلْدُ يُسْتَعْمَلَانِ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ،
يَقُولُونَ : وَقَعَ فِي خَلْدِي كَذَا ، وَسَقَطَ عَلَى بَالِي وَخَطَرَ بِيَالِي . وَالْمَعْنَى : قَلَّ أَنْعَمَ
اللَّهُ بِهَا ، جَوَابًا لِتَحِيَّتِهَا ، وَجَزَاءً عَلَى مُرَاسَلَتِهَا . وَقَوْلُهُ « وَنَالَ التَّحِيَّةَ مَنْ نَالَهَا »
يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ . يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : وَأَصَابَ الْمَلِكَ مِنْ أَصَابِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ .
وَهَذَا الْكَلَامُ تَفْخِيمٌ لِشَأْنِ الْمَرْأَةِ وَتَعْظِيمٌ لِحُطْبِهَا . وَيُقَالُ نَلْتُ كَذَا أَنْالُ نَيْلًا .
والتَّحِيَّةُ : الْمَلِكُ ، وَمِنْهُ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ . وَقِيلَ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ^(٢) :

وَلَكُلُّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ

إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ تَحِيَّةَ الْمَلِكِ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ فِي مَخَاطَبَتِهِ : أَيْتَ اللَّعْنُ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى
وَاحِدٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَالَ بِمَعْنَى أَنْالَ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ : يُقَالُ نَلْتُهُ أَنْوَلُهُ^(٣)
نَوَلًا وَنَوَالًا ، أَيْ أَعْطَيْتُهُ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْكَلَامُ [دَعَاءً] . وَالْمَعْنَى : أَنْالَ اللَّهُ
التَّحِيَّةَ^(٤) [مِنْ أَنْالَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ تَحِيَّتِي . كَأَنَّهُ يَدْعُو نَفْسَهَا إِلَى إِهْدَاءِ التَّحِيَّةِ إِلَيْهَا
عَلَى بُعْدِهَا . وَفِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ قَرِيبَةً .

٣ - فَإِنِّي لَذُو مِرَّةٍ مِرَّةٍ إِذَا رَكِبْتُ حَالَةً حَالَهَا

الْمِرَّةُ : الْقُوَّةُ وَالْقَتْلُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : اسْتَمَرَّتْ مَرِيرَتُهُ ، وَاسْتَمَرَّ عِذَارُهُ ،
فِي الْإِبَاءِ وَالتَّشْعُحِ . وَلَمْ يَرْضَ أَنْ جَعَلَ لِنَفْسِهِ مِرَّةً حَتَّى وَصَفَهَا بِأَنَّهَا مِرَّةٌ ، يَعْنِي
فِي فَمِ ذَائِقِهَا ، وَعِنْدَ تَجْرِبَةٍ مُزَاوِلِهَا . وَهَذَا التَّجْنِيسُ حَسَنٌ الْمَوْرِدِ . وَالضَّمِيرُ مِنْ

(١) هو الأحوال الكندي ، أو يعلى بن الأحوال . انظر اللسان (مطا ، طهى) ومعجم

البلدان (طهيان) والحزانة (٢ : ٤٠٤) وشروح سقط الزند ٤٠ .

(٢) هو زهير بن جناب الكلبي . انظر المعمرين ٢٦ .

(٣) في الأصل والتميمورية : « أناله » ، صوابه في م .

(٤) التكملة من م والتميمورية .

قوله « حالها » يعود إلى الحالة ، كأنه أضافه إليها لما كانت تليها ، وجعلها مركوبها . فيقول : أفعل ذلك واصرف همك إليها ، وإلى الداء لها ، وطلب الشقيا لديارها ، ولا تبال بما يعين ويعرض من مزاحمة سدو ، أو مراغمة حسود ، فإني لندو قوة لا تستهليها الفرق المنايذة ، إذا تراكت الأمور ، وتراكت الأحوال والوجوه ، فخفيت مواردها ومصادرها ، والتبست فصولها ووصولها .

٤ - أقدم بالزجر قبل الوعيد لتنهى القبائل جهالها

يجوز أن يكون أقدم بمعنى أتقدم ، ويكون الباء من « بالزجر » في موضعه . ومثله نبه بمعنى تنبه ، ووجه بمعنى توجه ، ونكب بمعنى تنكب . ويجوز أن يكون قدم ضد آخر ، ووجب أن يقول : أقدم الزجر ، فجعل الباء زائدة للتأكيد ، كما جاء في قواه : ﴿ تَنْبِتُ ^(١) بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلآكِلِينَ ﴾ لذلك . ومثله قول الشاعر ^(٢) :

* سُودُ الْحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالشُّورِ ^(٣) *

ومعنى البيت : أزجر المتعرض لي قبل أن أتوعده ، وأعظه بالنهي والتحذير قبل تخشين الجانب له ، لكي ينهي حكام القبائل سفهاءها ، وليكون مني تدرج في مواخذتهم ؛ فابتدئ بالزجر ، ثم أرتقي إلى الوعيد ، ثم إلى الإيقاع .

(١) هذا رسم نسخة الأصل والتمورية . وهي مهملة الضبط في م . وهذه القراءة هي التي يصح الاستشهاد بها على زيادة الباء ، وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وسلام ، وسهل ، ورويس ، والجحدري . وقرأ الجمهور : « تنبت » بفتح التاء وضم الباء . انظر تفسير أبي حيان .

(٢) هو الراعي النميري ، أو القتال الكلابي . الخزانة (٣ : ٦٦٧) .

(٣) صدره : * هن الحرائر لربات أحرمة *

- ٥ - وقافيةٍ مثلِ حَدِّ السَّنَانِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مِنْ قَالِهَا
٦ - تجودتُ في مَجْلِسٍ واحدٍ قَرَاها وَتَسْعِينَ أمْثَالِها

القافية : آخر البيت المشتمل على ما يجب على الشاعر مراعاته وإعادته في كل بيت ، سُمِّي بذلك لأنه يَقْفُو ما قَبْلَهُ . وهم يُسَمُّون البيت بأسره قافيةً ، لاشتماله على القافية ، والقصيدة بأبياتها قافية ، لاشتمالها على الأبيات المقفاة . وهذا توسعٌ منهم ، كما يسمُّون القصيدة كلمةً ؛ والحقيقة ما قدَّمته . والأوَّلِي بهذا الشاعر عندي أن يريد بالقافية البيت ، لأنَّ نَظْمَ تسعين بيتاً غيرُ مستنكرٍ في العرف والعادة من المقتدرين ، المجيدين المنلقين ، ذوى البدائنه العجيبة ، والخواطر السريعة ، ولو أراد القصيدة لبعَدَ عن المعتاد . فيقول : رُبَّ قافيةٍ تَنفُذُ نفاذَ السَّنَانِ ، وترويه لجودتها^(١) الرواةُ فلا تَخْلُقُ على مَرِّ الأيام ، ولا تُبْلِيه^(٢) السُّنُونِ والأعوام ، بل تَبْقَى مع اللَّيْلِ والنَّهار بقاء الظُّلْمِ والأنوار ، وإن دَرَجَ قارِضُها ، ومَضَى مُنْشِئُها ، أنا تجودتُها في مَجْلِسٍ واحدٍ مع تسعين من نظائرها . يريدُ أنه لسانُ قومِهِ ، ومِدْرَه عَشيرَتِهِ . ومعنى تجودتُ : اخترتُ عند الجمع جيدها . وهذا كما يقال : تَنَقَّيْتُ الشَّيْءَ وتَخَيَّرْتُهُ . وقوله « وتسعين » أراد مع تسعين ، فيكون انتصابه على أنه مفعول معه كقوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشركاءكم ﴾ ، لأنَّ المراد مع شركائكم . ويجوز أن تكون الواو عاطفةً منه ، كأنه قال : قَرَاها وقَرَى تسعين تمائلاً . وقَرَى يجوز أن يكون من قَرَيْتُ الماءَ في الحوضِ ، ويجوز أن يكون من قَرَوْتُ الأَرْضَ إذا تَدَبَّعْتَهُ . ويجوز أن يكون القَرَى ما يُطْعَمُ الضَّيْفَ ، فاستعاره كما قال :

(١) في الأصل : « وترويه بجودتها » وأثبتنا ما في م والتيمورية .

(٢) كذا في جميع النسخ . وكأن المرزوق أجرى الضمير صرة على الشعر وصرة على القصيدة .

* قَرَى الهمَّ إذ ضافَ الزَّمَاعَ *

كأنَّ القوافى لما توارَدَت أحسنَ القيام بها ، وجوَّد القَرى لها .

١٩٨

وقال ابن رالان السننسى^(١) :

١ - لما رأت معشراً قلت حمولتهم قالت سعاد أهدا مالكم بجلاً

الحولة : الإبل التي يُحمَلُ عليها . والحُمولة بالضم : الأحمال . يقول : حين رأت هذه المرأة فقرنا وقلة إبلنا قالت منكراً ومتعجبةً : أهدا مالكم فحسب . و « بجلاً » في موضع الحال ، والمعنى أهدا مالكم مكتفى به . والأصل في بجل البناء على السكون ، ودعت الضرورة إلى تحريكه فحرَّكه بالفتح ، وكان الواجب إذا حرَّك الكسر فيه . ومثله قول الآخر^(٢) :

* ونعم إن قلمتُ نعماً^(٣) *

لأنَّ نعماً أيضاً مبنى على الشكون فحرَّك آخره للضرورة بالفتح كما ترى . وقد يُضافُ بجل لكونه اسماً كما يضافُ قد إذا كان بمعنى حسب . قال .

* بجلي الآن من العيش بجل^(٤) *

(١) رالان بترك الهمز في النسخ . وهو جابر بن رالان ، سبقت له الحماسية ٥٩ ص ٢٣٤ .

(٢) هو الطائي الكبير ، كما ذكر ابن جنى في التنبيه ، يعني بالكبير أبا تمام . والبيت

التالي في ديوانه ٣٠٥ .

(٣) تمامه :

تقول إن قلمت لا لامسامة لأصركم ونعم أن قلمت نعماً
وقبله :

فخرا بنى مصعب فالمسكرات بكم عادت رعانا وكانت قبلكم أ كما
(٤) للبيد ، كما في اللسان والمقاييس (بجل) . وصدرة :

* فتي أهلك فلا أحفله *

وفى قد جاء :

* قَدْنِي مِنْ نَضْرِ الْخُبَيْبِينَ قَدِي ^(١) *

والمال عندهم الإبل ، ولهذا يطلِقون فيقولون : المالُ في الرَّعَى ^(٢) ، لاشتهار لفظه المال عندهم بها .

٢ - إِمَّا تَرَى مَالَنَا أَضْحَى بِهِ خَلَلٌ فَقَدْ يَكُونُ قَدِيمًا يَرْتَقُ الْخَلَلًا

الْخَلَلُ الْأَوَّلُ النَّقْصُ ، وَالْخَلَلُ الثَّانِي الْفُرْجَةُ بَيْنَ الشَّيْثِينَ حَتَّى يَصِحَّ الرَّتْقُ مَعَهُ . وَفِي الْكَلَامِ اخْتِصَارٌ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَجَبْنَاهَا بِأَنْ قُلْنَا : إِنْ كُنْتَ تَرَى خَلَلًا حَالِنًا وَانْتِقَاصَ مَالِنَا ، وَظُهُورَ الْفَاقَةِ وَالْفَقْرِ عَلَى [صَفْحَاتِ ^(٣)] ظَوَاهِرِنَا ، فَقَدِيمًا كَانَ يُسَدُّ الْخَلَلَ بِمَالِنَا ، وَتَرْتَقُ الْفُتُوقُ بِهَا ، وَتُرَدُّ عَادِيَةُ الشَّرِّ بِتَفْرِيقِهَا . وَقَوْلُهُ « فَقَدْ يَكُونُ » جَعَلَ اللَّغْظَ مُسْتَقْبَلًا وَإِنْ أَرَادَ الْمِضَى ، لِاسْتِمْرَارِ الْحَالِ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَكَى الْحَالِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ .

٣ - قَدْ يَعْلَمُ الْقَوْمُ أَنَا يَوْمَ نَجَدْتِهِمْ لَا نَتَّقِي بِالْكِمِيِّ الْحَارِدِ الْأَسْلَا

قَوْلُهُ « قَدْ يَعْلَمُ الْقَوْمُ » الْكَلَامُ فِي اسْتِعْمَالِ لَفْظِ الْمُسْتَقْبَلِ هُوَ عَلَى مَا قَدَّمَاهُ فِي قَوْلِهِ « فَقَدْ يَكُونُ قَدِيمًا » مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ . فَيَقُولُ : قَدْ اشْتَهَرَ مِنْ شَأْنِنَا يَوْمَ الْبَأْسِ وَالشَّدَّةِ ، وَوَقْتَ احْتِمَاءِ الْوَطِيسِ وَالتَّهَابِ النَّائِرَةِ ، أَنَا لَا نُحْجَمُ فَنَتَّقِي رِمَاحَ الْأَعْدَاءِ بِالشُّجْعَانِ ، وَلَكِنْ غَيْرُنَا يَتَّقِي بِنَا فَتَتَقَدَّمُ إِذَا تَأَخَّرَ ، وَنَسْتَبْسِلُ

(١) الحميد الأرقط . الخزانة (٢ : ٤٥٣) . والحبيبان هما عبد الله ومصعب ابنا الزبير . وهو تغليب سماعي ، إذ أن عبد الله بن الزبير يكنى أبا حبيب باسم ولده . ويروى : « الحبيبين » بصيغة الجمع كالأشعرين ، يراد به عبد الله بن الزبير وأصحابه .
(٢) الرعى ، فعل بمعنى مفعول ، وهو ما يرمى .
(٣) هذه من م والتمورية .

إذا تحرّز . والحارد : المَجْتَمِعُ الخَلْقِ الشَّدِيدُ المَهِيْبُ ، الذي يُحَسَّبُ من عِزَّةِ غَضْبَانٍ .

٤- لكن تَرَى رَجُلًا فِي إِثْرِهِ رَجُلٌ قَد غَادَرَا رَجُلًا بِالقَاعِ مُنْجِدًا

هذا تصويرٌ لما أُثْبِتَ من أفعالهم في الإقدام ، لَمَّا نَفَى عن أَنفُسِهِم الإحْجَامَ ، فيقولُ مُحَاطِبًا واحداً من الناسِ : لَكِنَّا نتهافت ونقتابع ^(١) حِرْصًا على القتالِ ، حتَّى تَرَانَا من بين طَارِدٍ وَقَاتِلٍ ، وكَارٍ وَفَارٍ ، وطالِبٍ ومطلوبٍ . وقد تَرَكَاصرِيعًا ساقطًا على الأرض ، كَأَنَّ أحدهما صَرَخَ قَتِيلًا والآخر يَتْبَعُهُ لينالَ منه . ويجوز أن يكون معنى « قَد غَادَرَا » قد غادر كلُّ واحدٍ منهما رَجُلًا مصروعًا ، كما يقال : كَسَانَا الأميرُ حُلَّةً ، والمعنى كسا كلَّ واحدٍ مِنَّا . وكقول الله تعالى : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ . وفي هذه الطريقة قول الآخر ^(٢) :

وَهَلْ عَمَرَاتُ المَوْتِ إِلَّا نَزَالُكَ الكَمِيَّ عَلَى لَحْمِ الكَمِيِّ المُقَطَّرِ
والقَاعُ : المستوي من الأرض . والمُنْجِدُ : المصروع . والجدالةُ : الأرضُ ،
كَأَنَّ معنى جَدَلْتُهُ : أَصَبْتُ الجِدَالََةَ به .

١٩٩

وقال قبيصة بن النصراني الجرمي ^(٣) :

١- لَمْ أَرْ خَيْلًا مِثْلَهَا يَوْمَ أُدْرِكَتْ بَنِي شَمْجِي خَلْفَ اللّٰهِمِّ عَلَى ظَهْرِ ^(٤)
أراد بالخيلِ الفُرسانِ لا الأفراس ، كما رُوِيَ : « يا خيلَ اللهِ اركبي » .

(١) كذا في جميع النسخ بالباء .

(٢) هو شريح بن قرواش العبسي . الحماسية ١٤٠ .

(٣) التبريزي : « قبيصة بن النصراني الجرمي من طي » .

(٤) شمجي ، بفتح الجيم ، من بني الغوث بن طي . الاشتقاق ٢٣٥ .

وقوله « على ظهر » في موضع الصفة لقوله « خَيْلاً » ، كأنه قال لم أر فرساناً
 ثمائلها على ظهر يوم أدركت هذه القبيلة خلف هذا الجبل . وقوله « على
 ظهر » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون المعنى لم أر خَيْلاً على ظهر الأرض ،
 كما جاء في التنزيل : ﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ . والثاني أن يكون
 المعنى : لم أر خَيْلاً على ظهور الدواب ، لكنه قصد الجنس فوحد ، كما يقال
 هو يرتبط كذا رأساً من الدواب ، وكذا ظهرها منها . وذكر بعضهم أن ظهرها
 اسم ماء ، كأنه قال خلف هذا الجبل على هذا الماء . وهذا إذا ثبت يسلم للسمع .
 وذكر بعض أصحاب المعاني أن قوله « على ظهر » يجوز أن يكون في موضع
 الحال للمضمَر في أدركت ، أي يوم أدركتهم قاهرة لهم ، وعلى قهر وغلبة
 فيهم ؛ من قولك ظهرت على فلان ظهوراً وظهراً . وفي القرآن : ﴿ ليظهره
 على الدين كله ﴾ .

٢ - أبرّ بأيمان وأجرأ مقدماً وأنقض منا للذي كان من وتر

لما أراد بالخيال أصحابه وفرسان جيشه ساغ أن يقول « وأنقض منا » .
 وبشبهه هذا ما يجيء من صلة الذي في مثل قوله :

* أنا الذي سمّنت أمي حيدرته ^(١) *

فقال سمّنت والوجه سمّته . وباب ^(٢) الصلّات والصفّات تتداخل وتشابه .
 فيقول : لم أر أوفى بالندور والأقسام إذا عقّذناها والتزمناها ، وأجرأ إقداماً
 وثباتاً في وجوه الأعداء إذا ناصبناها وكاشفناها ، وأسعى في نقض الأوتار
 وإدراك الذحول بعد إبرامها وتعقدها منا . ونقض الوتر هو حل عقده باشتفاء

(١) لعل بن طالب ، كما سبق في ص ٤٠٧ وحواشي ص ١١٠ .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وهو جائز في العربية .

النَّفْسِ مِنَ الْوَاتِرِ الَّذِي يُبْرِمُهُ . وَكَانَ الشَّرِيفُ الْأَنْفُ مِنْهُمْ إِذَا أُصِيبَ وَوَاتِرٌ
يَنْذُرُ أَنَّهُ لَا يَشْرَبُ خَمْرًا وَلَا يَقْرَبُ امْرَأَةً ، أَوْ لَا يَغْسِلُ رَأْسًا ، وَمَا يَجْرِي
هَذَا الْمَجْرَى مِمَّا يَكْرَهُ النَّفْسَ إِذَا أَخَلَّتْ بِهِ ، حَتَّى يَنَالَ الْوَاتِرَ . لِهَذَا قَالَ
امْرؤُ الْقَيْسِ مَدَّ تَأْيِيرَهُ فِي بَنِي أَسَدٍ وَنَيْلَهُ مَنِ النَّفْسِ فِيهِمْ :

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ
فَالْيَوْمَ أَسْقَى غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ
فَأَمَّا قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ :

فَأَظَعَنْتَ وَتَرَكَ فِي دَارِهِمْ وَوَتَرَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يُقِمَّ^(١)
فَهُوَ فِي طَرِيقَةِ قَوْلِهِ نَقَضْتُ الْوَاتِرَ مِنْهُ .

٣ --- عَشِيَّةً قَطَعْنَا قِرَائِنَ بَيْنِنَا بِأَسْيَافِنَا وَالشَّاهِدُونَ بَنُو بَدْرِ

أَضَافَ الْقِرَائِنَ إِلَى بَيْنِنَا لِأَنَّهُ جَعَلَهُ اسْمًا وَنَقَلَهُ مِنْ بَابِ الظُّرُوفِ . وَعَلَى هَذَا
قِرَاءَةٌ مِنْ قِرَاءٍ : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ^(٢) ﴾ بِالرَّفْعِ ، وَالْمَعْنَى وَصَلَكُمْ . وَلَكَ أَنْ
تُرَوَى « قِرَائِنَ بَيْنِنَا » فَلَا تَضِيفَ وَتَتَرَكَ بَيْنِنَا فِي بَابِهِ ظَرْفًا ، كَمَا قَدْ قُرِئَ :
﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ بِالنَّصْبِ . وَيَعْنِي بِالْقِرَائِنِ الْأَرْحَامَ وَالْأَوْاصِرَ . وَانْتَصَبَ
« عَشِيَّةً » عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ « يَوْمَ أَدْرَكْتُ بَنِي شَمَجِي » ، فَيَقُولُ : لَمْ أَرَ خِيَلًا
تَمَائِلُهَا عَشِيَّةً أَرْسَلْنَا دَوَابَّنَا عَلَى أَعْدَائِنَا ، وَأَوْقَعْنَا أَنْفُسَنَا عَلَيْهِمْ ، فَقَطَعْنَا بِاسْتِعْمَالِ
السِّيُوفِ الْوُصَلَ الْجَامِعَةَ لَنَا ، وَالْأَسْبَابَ النَّاطِمَةَ لِشَتَاتِنَا ، وَبَنُو بَدْرِ حَاضِرُونَ لَنَا ،
وَمَتَوَسِّطُونَ لِمَا نُثِيرُهُ بَيْنِنَا ، وَالْمَشَاهِدُونَ لِبَلَاتِنَا ، وَالْمَصَدِّقُونَ لِمَا نَدَّعِيهِ
مِنْ فِعْلِنَا .

(١) فِي الدِّيْوَانِ ص ٣٠ :

فَأَظَعَنْتَ وَتَرَكَ مِنْ دَارِهِمْ وَوَتَرَكَ فِي دَارِهِمْ لَمْ يُقِمَّ
(٢) هَذِهِ هِيَ قِرَاءَةُ جَهْوَرِ الْقِرَاءِ . وَقُرَأَ نَافِعٌ وَالْكَسَائِيُّ وَحَفْصٌ : « بَيْنَكُمْ » بِالْفَتْحِ
عَلَى الْبِنَاءِ أَوْ عَلَى النَّصْبِ . تَفْسِيرُ أَبِي حَيَّانَ (٤ : ١٨٢) فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

٤- فَأَصْبَحْتُ قَدْ حَلَّتْ يَمِينِي وَأَدْرَكَتْ بَنُو ثَعْلٍ تَبْلِي وَرَاجَعَنِي شِعْرِي
 يقول: أتى عليَّ الصُّبْحُ ثَانِيَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَقَدْ حَلَّ نَذْرِي ، وَأَدْرَكَ قَوْمِي
 ذَحْلِي ، وَأَنْطَلَقَ بِالْفَخْرِ لِسَانِي ، فَصِرْتُ خَفِيفَ الظَّهْرِ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ مُثْقَلًا
 بِعِبِّ الوِثْرِ ، وَكَانَ الشُّعْرُ هَاجِرًا نِي وَفَارَقَنِي مُدَّةَ السَّعْيِ فِي نَيْلِ الْمَطْلُوبِ مِنْ
 إِمْكَانِ فُرْصَةٍ أَنْتَهَزْتُهَا ، ثُمَّ رَاجَعَنِي . وَهَذَا ضِدُّ قَوْلِ الْآخِرِ (١) :
 فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجْرَتْ

٢٠٠

وقال أدهم بن أبي الزعراء (٢) :

- ١ - قَدْ صَبَّحَتْ مَعْنُ بِجَمْعِ ذِي لَجَبُ
- ٢ - قَيْسًا وَعُبْدَانَهُمْ بِالْمُنْتَهَبِ
- ٣ - وَأَسَادًا بِغَارَةِ ذَاتِ حَدَبِ
- ٤ - رَجْرَاجَةً لَمْ تَكُ مِمَّا يُؤْتَشَبُ
- ٥ - إِلَّا صَمِيمًا عَرَبًا إِلَى عَرَبِ
- ٦ - تَبْكِي عَوَالِيَهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَضِبِ
- ٧ - مِنْ ثَغْرِ اللَّبَّاتِ يَوْمًا وَالْحُجْبِ

(١) هو عمرو بن معد يكرب . الحماسية ٢٩ .

(٢) شاعر طائي معنى من شعراء مخضرمي الدولتين ، وأبوه سويد بن مسعود بن جعفر بن عبد الله بن طريف بن حبي بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن عتود . المؤتلف ٣١ . يقول هذه الحماسية في وقعة « المنتهب » ، وهي قرية في طرف سلمي أحد جبل طي ، كانت عندها وقعة بين طي وحلفائهم بني بدر بن فزارة بقيادة معدان بن عبيد بن عدى ، وبين قيس وأسد بقيادة أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فهزم القيسيون أقبح هزيمة .

يُرْوَى : « الألباب » .

قوله « قد صَبَّحَتْ مَعْنُ بِجَمْعٍ » ، الجَمْعُ : المُجْتَمِعُونَ ، والجَمَاعُ : المُتَفَرِّقُونَ .
ومعنى صَبَّحَتْ ، أى أَتَتْ قَيْسًا صَبَاحًا بِكُتَيْبَةَ لَهَا جَلْبَةٌ وَصَوْتُ ، لكَثْرَتِهَا .
وَالْعَبْدَانُ يُكْسَرُ أَوَّلُهُ وَيُضَمُّ ، وهو جمعُ عَبِيدٍ ، يُقَالُ عَبْدٌ وَعَبِيدٌ وَعَبِيدٌ
وَعِبَادٌ وَعَبِيدِيٌّ وَمَعْبُودَاهُ وَعَبِيدٌ ، فَعَبِيدَانُ جمعُ عَبِيدٍ . وَالْمُنْتَهَبُ ، قيل هو اسمُ
مكان ، ويجوز أن يكون المرادُ به الانتهابُ أو مَوْضِعُ الانتهاب . ومعنى البيت
أَغَارَتْ هذه القبيلةُ وقصدتُ بجيشٍ عظيمٍ ، بنى قَيْسٌ وَعَبِيدَهُمْ بهذا المَوْضِعِ .
وَيَعْنِي بِالْعَبِيدِ الرُّعَاةَ وَالْمُسَفَاءَ الَّذِينَ يَكُونُونَ مع الإِبِلِ . كَانَهُمْ فِي أَحْوِيَتِهِمْ ،
وَفِي مَوْضِعٍ كَانَتْ أَمْوَالُهُمْ حَاضِرَةً ، غيرَ عَازِبَةٍ وَلَا غَائِبَةٍ .

وقوله « وَأَسَدًا بَغَارَةً » ، يَقُولُ : وَصَبَّحَتْ أَسَدًا بِخَيْلِ ذَاتِ اعْتِلَاءٍ
وَمَوْجَانٍ ، تَتَدَافَعُ فِي سَيْرِهَا وَلَا تَسْتَقِيمُ ، لكَثْرَتِهَا ، ولم يكنوا أَشَابَاتٍ وَفِرْقًا
جُمِعَتْ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ . وقوله « ذَاتِ حَدَبٍ » يجوز أن يكون مصدر
الأَحْدَبِ ، وَيَكُونُ وَصَفَ الْغَارَةِ بِالْحَدَبِ كَمَا قِيلَ آلَةُ حَدَبَاءَ ، وَعِزَّةٌ قَعْسَاءُ ،
كَأَنَّهُ يُنْبِئُ ظَهْرُهَا عَمَّنْ يُرِيدُ رُكُوبَهَا وَاقْتِسَارَهَا . ويجوز أن يراد به الارتفاع
والكثرة . وقال الخليلُ : الْحَدَبُ حَدُورٌ فِي صَبَبٍ ، يَعْنِي الْعَقَبَةَ . قال : ومنه
حَدَبُ الرِّيحِ وَحَدَبُ الرَّمْلِ . وفي القرآن : ﴿ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ .
فَأَمَّا قَوْلُهُ « بَغَارَةً » فَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْخَيْلَ غَارَةً لِأَنَّهَا مِنْ قِبَلِهَا تَكُونُ ، وَهَذَا
مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِمَا يَكُونُ مِنْ سَبَبِهِ . وَالغَارُ بِلَاهَاءٍ يَسْتَعْمَلُ فِي الْجَمْعِ
الكَثِيرِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « مَا ظَنَنْكَ بِرَجُلٍ جَمَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَارَيْنِ (١) » .

وقوله : « رَجْرَاجَةٌ » ، يُقَالُ كَتَيْبَةٌ رَجْرَاجَةٌ ، أَيْ تَضْطَرِبُ وَتَمُوجُ مِنْ

(١) فِي اللِّسَانِ (غُور) : « وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَخْنَفِ فِي انْصِرَافِ الزَّبِيرِ عَنْ وَقْعَةِ الْجَمَلِ :
وَمَا أَصْنَعُ بِهِ إِنْ كَانَ جَمْعُ بَيْنَ غَارَيْنِ مِنَ النَّاسِ ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَذَهَبَ » .

كثرتها . وامرأة رَجْرَاجَةٌ ، أى تَتَرَجَّرُجُ من بُدْنِهَا وَنَعْمَتِهَا^(١) . وقوله « مما يوتَسَّبُ » يقال أُشْبِتُهُ وَاثْتَشَبْتُهُ ، أى جَمَعْتُهُ من وجوهٍ مختلفة لا خَيْرَ فيها . وأصل الأَشْبِ اللَّتِيفُ . ويقال غِيْضَةٌ أَشْبَةٌ . وتوسَّعُوا فيه فقالوا : عِنْدَ فُلَانٍ أَشَابَةٌ من المَالِ ، أى مِمَّا كَسَبَهُ من الحَرَامِ وَمَالاً خَيْرَ فيه .

وقوله « إلاً صمياً » ، يقال هو من صميم قومه ، إذا كان من خالصتهم ومَحْضِ أَصْلِهِمْ ؛ ومنه قولهم : صمِيمُ الرَّأْسِ وَالسَّاقِ ، للعَظْمِ الَّذِي به قَوَامُ العُضْوِ . وتوسَّعُوا فقالوا : جَاءَ فى صمِيمِ الصَّيْفِ أو السَّيْفِ . وَاثْتَصَبَ صمياً على أَنَّهُ استغنى خَارِجٌ . وجَعَلَ قَوْلَهُ « عَرَباً إلى عَرَبٍ » بَدَلاً منه . ومعنى إلى عَرَبٍ : مع عَرَبٍ ، كما يقولون : هذا إلى ذاك .

وقوله « تَبْكِي عَوَالِيَهُمْ إِذَا لم تَخْتَضِبِ » فعَالِيَةُ الرَّشْمِ وغيره أَعْلَاهُ ، وقيل العَالِيَةُ القَنَاةُ المُسْتَقِيمَةُ . وقَوْلُهُ « إِذَا لم تَخْتَضِبِ » يقال خَضَبَ الرَّجُلُ شَعْرَهُ ، وَاخْتَضَبَ . ولا يُذَكَّرُ الشَّعْرُ معه ، وقد يكون اخْتَضَبَ فى مطاوعة خَضَبَ . ومعنى البيت : لكنهم كانوا خُلصاً عَرَباً مع عَرَبٍ ، عَوْدُوا رِمَاحَهُمْ أَن تُسْقَى دِمَاءُ الصُّدُورِ وَالقُلُوبِ ، فَإِذَا انْقَطَعَ شِرْبُهَا عنها تَبْكِي تَحْشُرًا عَلَيْهِ ، وَوَجَدًا به . وهذا مثل .

ويعنى بَشَغْرِ اللَّبَّاتِ : هَزَمَاتِ التَّرَاقِي وَحُجُبِ الأَفئدة . ويقال لَبَبٌ وَلَبَّةٌ ، ولذلك روى : « مِنْ نُغْرِ الأَلْبَابِ » و « اللَّبَّاتِ » . والمعنى أَنَّهُم بَصَرَاءُ بِالطَّعْنِ فلا يصيبون إِلا المَقْتَلِ .

(١) البدن ، بضم الباء وفتحها : البدانة ، وهى السمن والجسامة .

٢٠١

وقال بُرْجُ بْنُ مُسْهِرِ الطَّائِي^(١) :

١ - إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ خَلِيلٍ أَوْدُهُ ثَلَاثَ خِلَالٍ كُلُّهَا لِي غَائِضُ

جَعَلَ شَكْوَاهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لِيَأْسَهُ مِنْ مَعْرِئَةِ الْخَلُوقِينَ فِيمَا يَتَأَلَّمُ مِنْهُ وَيَتَضَجَّرُ بِهِ . يَقُولُ : أَشْكُو ثَلَاثَ خِلَالٍ مِنْ صَدِيقٍ لِي أَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَأَخْلِصُ الْوُدَّ لَهُ ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْخِلَالِ يَهْزُنِي وَيَنْقُصُ مِنَ الْحَمَى ، وَيَكْسِرُ مِنْ نَشَاطِي . وَيُقَالُ غَاضَ الْمَاءُ وَغَضَّتْهُ أَنَا ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ ﴾ فَهِيَ مِنْ بَابِ فَعَلْتُ الشَّيْءَ فَفَعَلْتُ^(٢) . قَالَ الشَّاعِرُ :

* فَلَا رَاكِدٌ يَجْرِي وَلَا هُوَ غَائِضُ *

٢ - فَمِنْهُنَّ أَلَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ تَلْعَةً بِيوتًا لَنَا يَا تَلْعَ سَائِلِكِ غَامِضُ

يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى « تَجْمَعُ » بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ ، فَإِذَا نَصَبْتَ فَلَانَ أَنْ قَبْلَهُ هِيَ النَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ ، وَإِذَا رُفِعَ فَلَانَ تَكُونُ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ ، أَرَادَ أَنَّهُ لَا تَجْمَعُ ، وَهَلَاءُ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّأْنِ . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ ، قُرَيْشٌ يَرْجِعُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ ، حَمَلًا عَلَى الْوَجْهِينِ الْمَذْكُورَيْنِ . وَالتَّلْعَةُ : أَرْضٌ مَرْتَفَعَةٌ يَتَرَدَّدُ فِيهَا السَّيْلُ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي . وَيُقَالُ : فَلَانٌ لَا يُوَثَّقُ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١٢٢ . قال أبو رياش : « كان سبب هذه الأبيات أن البرج بن مسهر بن جلاس بن الأرت الطائي - واسم الأرت خالد - كان هو وعمه أبو جابر يشربان ، وكانت امرأة أبي جابر جالسة ، فانتفى البرج فقبلها ، ثم رأى عمه وقد رآه فاستحيا وكف وقال : « يا عمي غلبني الشراب ! قال : أو لم أرك حين رأيتني كفت واستحييت ، ولو كان الشراب غلبك لم تستحي ! اذهب فوالله لا تجمعني وإياك محلة ولا غزوة ، ولا تجتمع في بلد ، ولا أكلك أبداً . فقال هذه الأبيات » .

(٢) هذا . وقال ابن جنى في التنبيه : « أي ناقص لي ونائل مني . من غضت الماء أي نعتته . وقيل في غائض : إنه أراد غائظ فابدل الظاه ضادا » .

بَسِيلٍ تَلَعَتْهُ ، إِذَا كَانَ غَيْرَ صَدُوقٍ فِي أَخْبَارِهِ . وَبَابُ التَّلْعِ كُلُّهُ يَدُورُ عَلَى
الإِشْرَافِ وَالْإِرْتِفَاعِ . وَقَوْلُهُ « يَا تَلَعَ سَيْلُكَ غَامِضٌ » يَسْمَى نَقَادُ الْكَلَامِ مِثْلَهُ
التَّفَاتَا ، فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ جَرِيرٍ فِيمَا حُكِيَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ :

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بَدَى طُلُوحِ سُقَيْتِ الْغَيْثِ أَيَّتَهَا الْخِيَامُ
وَصَلَحَ تَرْخِيمُ تَلْعَةٍ وَإِنْ كَانَ نَكِيرَةً ، لِأَنَّهُ قَصَدَ بِهَا فِي النَّدَاءِ إِلَى
وَاحِدَةٍ بَعَيْنِهَا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : مِنْ تِلْكَ الْخِلَالِ الَّتِي أَتَأَلَّمُ مِنْهَا أَنَّى وَإِيَّاهُ
لَا نَجْتَمِعُ طَوْلَ الدَّهْرِ فِي مَكَانٍ ، وَلَا يَحْوِي بُيُوتَنَا تَلْعَةً مِنَ التَّلَاعِ . ثُمَّ
التَّفَتَ مُظْهِرًا التَّضَجُّرَ ، وَمُبْدِيًا التَّوَجُّعَ إِلَى التَّلْعَةِ ، فَقَالَ : لَا جَرَى فِيكَ
سَيْلٌ ، وَلَا ظَهَرَ بِكَ خِصْبٌ ، وَلَا سَقِي لَكَ عَهْدٌ . وَهَذَا كَأَنَّهُ عَدَّ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي
لَا يَتَّمَقُّ لَهُ مَعَ صَدِيقِهِ الْمَذْكُورِ فِيهِ التَّقَابِلَ عَلَى قُرْبِهِ وَجَوَازِ كَوْنِ ذَلِكَ فِيهِ —
ذَنْبًا ، فَأَقْبَلَ يَدْعُو عَلَيْهِ تَضَجُّرًا بِهِ . وَمِنْ عَادَةِ النَّاسِ النَّظَرَ فِي الدِّيَارِ وَمَا
يَسْنَحُ فِيهَا مِنْ اجْتِمَاعِ الْأَحِبَّةِ أَوْ افْتِرَاقِهِمْ ، وَانْتِظَامِ شَمْلِهِمْ فِيهَا أَوْ انْبِقَاتِهِ . وَقَدْ
وَرَدَ الْخَبْرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ أَيْضًا .

٣ - وَمِنْهُمْ أَلَّا أَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ وَلَا وُدَّهُ حَتَّى يَزُولَ عَوَارِضُ

يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى « أَسْتَطِيعُ » بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ .
وَقَوْلُهُ « وَلَا وُدَّهُ » إِنْ قِيلَ كَيْفَ قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ وُدَّهُ ، وَقَدْ قَالَ فِي الْبَيْتِ
الْأَوَّلِ مِنْ خَلِيلٍ أَوُدَّهُ ، فَأَثَبَتِ الْوُدَّ ؟ قُلْتُ : إِنَّمَا يَعْنِي لَا أَسْتَطِيعُ مُقْتَضَى
وُدَّهُ وَمُوجِبُهُ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ . وَقَوْلُهُ « حَتَّى يَزُولَ عَوَارِضُ » ، مَعْنَاهُ حَتَّى
كَانَ مَا لَا يَكُونُ . وَالْمُرَادُ بِالْبَيْتِ : وَمِنْ تِلْكَ الْخِلَالِ مَا عَرَضَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنْ
إِعْرَاضٍ مُتَّصِلٍ وَهَجْرٍ دَائِمٍ ، فَلَا أَقْدِرُ عَلَى مَفَاوِضَتِهِ فِيمَا يَبْعُنُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ،
وَلَا أُطِيقُ مُبَائِئَتَهُ مَا يَنْتَقِلُ فِيهِ مِنْ مَحْبُوبٍ أَوْ مَكْرُوهٍ ، وَلَا أَسْتَطِيعُ مُوَادَّتَهُ

ومخالصته بحسب الأحوال المتشابكة بيننا ، ما ثبتت عوارضٌ - وهو جبلٌ -
ودامَ للدَّهرِ مُتَّصِلٌ .

٤ - ومنهنَّ أَلَا يَجْمَعُ الغَزْوُ يَدِنَنَا وفي الغَزْوِ مَا يُلْقَى العَدُوَّ المَبَاغِضُ

وَجَهُ جَوَازِ الرَّفْعِ فِي يَجْمَعُ والنَّصْبِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ . وقد رَبَّ الشَّاعِرُ فِي
هذه الأبيات مسببات المودة وتناجها ، وما يوجبُه غِرَاسُ المِقَّةِ وآثارُها ، أحسنَ
ترتيبٍ ، فابتدأ عند ذكر انتفاؤها وامتناعها بتعذر الاجتماع بالأبدان في المجالس
والمجال ، لأنه الأول والأصل في انعقاد الوداد ، ثم أتبعه بما يصحب الاجتماع
للتألف ، حتى لا ينفك منه من التوائس والتسائل ، والمخالقة والإلطاف ، لأنه
تلوُّ الأول وثانيه . ثم أردف المقدمتين بنتيجتهما من التعاون والتساعُد ،
والاهتمام والشفقة عند ما يحدث ويتجدد من صغير وكبير ، ومرودٍ ومقبول ،
فيقول : ومن تلك الأحوال أن التشارك في جوالب الدهر بيننا رِفِضٌ ، والتألب
على الأعداء من مقاصدنا سقط ، فلا يُؤلَّفُ بيننا مراعاةً عزٍّ ، ولا عمارةً ودٍّ ،
ولا ينظِّم نوانا اجتذابٌ محمَّدةً ، ولا دِفَاعٌ مظلمةً . ثم قال : « وفي الغَزْوِ
مَا يُلْقَى العَدُوَّ » ما صلةً ، والمعنى : وفي العزِّ يُحتاج إلى الصديقِ المُخالصِ ، إذ
كان إنما يُلقى فيه العَدُوَّ المَبَاغِضِ . فهذا وجهٌ . ويجوز أن يكون المعنى : وفي
الغَزْوِ قد يُلقى العَدُوَّ المَبَاغِضُ فكيف الصديقُ المَوَادِّ . والأوَّلُ أشبهُ وأجودُ .

٥ - وَيَتْرُكُ ذَا البَأْسِ الشَّدِيدِ كَأَنَّهُ من الذَّلِّ والبَغْضَاءِ شَهْبَاءُ مَاخِضُ

أَخَذَ يُبَيِّنُ مَسَاسَ الحاجة في الغَزْوِ إلى ائْتِلافِ الأودَاءِ ، وتعاونِ
الأشْدَاءِ ، فيقول : وإذ كان الغَزْوُ يَتْرُكُ المَتَكَبِّرَ الذاهِبَ بنفسه مذاهِبَ ذَوِي
الجَبْرِيةِ والعِزِّ ، وكأنَّهُ مما لَزِمَهُ من الذَّلِّ والبَغْضِ للخلاف والحرب ، وتناسي
الاعتلاء والقهر ، ناقةً شهباءَ أثمرَ وجعُ الولادة فيها فَضَعْفَتُ وسَقَطَتْ . وإنما

خَصَّ الشَّهْبَاءَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَنْعَمُ الْإِبِلِ وَأَرْقَاهَا ، وَأَقْلَمَهَا صَبْرًا وَأَضْعَفَهَا .

وَالْمَخَاضُ : وَجَعُ الْوِلَادَةِ ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ . وَالطَّلْقُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي النِّسَاءِ .

٦ — فَسَائِلُ هَذَاكَ اللَّهُ أَيُّ بَنِي أَبِي مِنَ النَّاسِ يَسْعَى سَعِينًا وَيُقَارِضُ أَخَذَ يَسْتَعِطِفُ الصَّدِيقَ الَّذِي شَكَاهُ ، وَيَسْتَمِيلُ بِقَلْبِهِ ، فَقَالَ : سَلْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِلْخَيْرِ وَصِلَةَ الرَّحِمِ ، وَعَدَلَ بَكَ عَنْ سَبِيلِ الضَّلَالِ وَالْقَطِيعَةِ : أَيُّ قَوْمٍ مِنَ النَّاسِ يَسْعَى فِي مَنَعِ قَوْمِي التَّشَابُكِ مِنَ الْإِنْبِتَاتِ ، وَصَوْنِ عُرَى التَّوَاصُلِ عَنِ الْإِنْفِصَامِ ، سَعِينًا ؛ أَوْ يُقَارِضُ ذَوِي الْقَرَابَاتِ ، وَإِخْوَانَ الْوِدَادِ وَالْمَصَافَاةِ ، فِي حَالَتِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، مُقَارِضَتِنَا ؛ ثُمَّ تَوَفَّرَ عَلَيْنَا بِمَثَلِ مَا يَقْتَضِيهِ الْخِبْرَةُ وَالْمَعْرِفَةُ ، وَعَلَى مَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ الْبَحْثُ وَالْمُسَاءَلَةُ .

٧ — نُقَارِضُكَ الْأَمْوَالَ وَالْوُدَّ بَيْنَنَا كَأَنَّ الْقُلُوبَ رَاضَهَا لَكَ رَائِضُ فِي الْكَلَامِ الْإِمَامُ بِالْعَتَبِ^(١) ، وَإِظْهَارُ لِّلِاسْتِجْفَاءِ ؛ لِأَنَّهُ أَخَذَ يُبَيِّنُ تَمَامَ مِيلِهِمْ إِلَيْهِ ، وَحُسْنَ احْتِمَالِهِمْ مِنْهُ ، وَأَنَّهُمْ عَلَى جَفَائِهِ لَا يَمْنَعُونَهُ مَالًا ، وَلَا يَمْدُقُونَ لَهُ وَدًّا ، وَكَأَنَّ قُلُوبَهُمْ جُبِلَتْ عَلَى حُبِّهِ ، وَأَشْرَبَتْ مَوَدَّتَهُ ، فَتَى رَامَتْ سَلْوَةً أَوْ نُبُوءًا أُدِيرَتْ إِلَى عَادَتِهِ^(٢) الْأُولَى ، وَعُطِفَتْ عَلَى مَحَبَّتِهِ الْقُدْحَى .

٨ — كَفَى بِالْقُبُورِ صَارِمًا لَوْ رَعَيْتُهُ وَلَكِنَّ مَا أَعْلَنْتَ بَادٍ وَخَافِضُ قَوْلُهُ « بِالْقُبُورِ » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ كَفَى ، وَانْتَصَبَ « صَارِمًا » عَلَى الْحَالِ أَوْ التَّمْيِيزِ . وَلَمَّا كَانَ الْقَصْدُ بِذِكْرِ الْقُبُورِ إِلَى مَا يُؤَدِّي

(١) م : « بالعب » .

(٢) هذا الصواب من م والتمورية . وفي الأصل : « إعادته » .

إليها ، وهو الأجلُ المضروب ، صلح أن يقول « صارمًا لو رعيتُهُ » . ويقالُ رَعَيْتُ النُّجُومَ ورَاعَيْتُهَا ، إذا راقبتهَا . وقوله « وخافضُ » أراد به مُنْخَفِضٌ ، لكنه أخرجَهُ مَخْرَجَ النسبة كأنه قال وذو خَفَضٍ^(١) . يقول : لو انتظرتَ الموتَ ، وصَبَرْتَ على المُجَاملةِ مُدَّةَ العَيْشِ ، لكان يكفيك عند حُصُولِهِ ما تَعَجَّلْتَهُ من الضَّرْمِ ، ولكن ما أَظْهَرْتَهُ من البُغْضِ تَمَكَّنَ من نَفْسِكَ وقلْبِكَ ، واستولى على فِعْلِكَ وقَوْلِكَ فلم تَمَلِكْ معه صَبْرًا ، ولم تُطِقْ بما يجمعنا رِقَقًا ، فهو باطنٌ ظاهرٌ ، مُسَرَّ مُعَلَّنٌ . وإنما قال هذا لأنَّ الإنسان قد يُظْهِرُ خِلَافَ ما يَنْطَوِي عليه أو دُونَهُ ، ما دام يَمَلِكُ زَمَانَ تَجَمُّلِهِ وَتَسْتَرِهِ ، وصارَ الغَلْبَةُ لِعَقْلِهِ وإِرَادَتِهِ . فإذا كان ما يَنْبَعُ منه عن مَعِينٍ^(٢) في القَلْبِ كَنِينٍ ، وعَرِيقِ مَكِينٍ ، قد اَمْتَلَكَ النَّفْسَ وَغَلَبَ الْمُسْكَةَ وَالصَّبْرَ ، فذلك النِّهَايَةُ لا يُقَدَّرُ على سَتْرِهِ ، ولا يُهْتَدَى إلى دَفْعِهِ . وفي القرآن ما فيه هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ .

٢٠٣

وقال قبيصة بن النصراني^(٣) :

١ - ألم تر أن الوردَ عرَّدَ صدرهُ وحادَ عن الدَّعْوَى وضوءَ البوارقِ^(٤)

(١) ساق التبريزي هذه العبارة بدون نسبة على غالب عاداته ، ثم قال : « هكذا ذكره بعضهم . والجيد ما ذكره أبو العلاء ، وهو أنه لم يذكر خافضا مقابلا به قوله باد ، ولكنه خبر معطوف على خبر ، كما يقال إن فلانا مكرم لك وكثير المال . يريد : إن هذا الذي بدا منك خافض لنا عند الناس ، أى ناقص منزلتنا في الشرف والعز » .

(٢) هذا ما في م والتمورية . وفي الأصل : « معي » ، محرف .

(٣) سبقت له الحماسية ١٩٩ . لكن ذكر أبو محمد الأعرابي أن هذه الأبيات للأعرج المعنى . وكان من قصة الشعر أن الأعرج المعنى حاد به فرسه يوم قتلت بنو جديلة سبعة إخوة له يوم ناصفة ، وهو قوله :

وأخرجني من فتية لم أرد لهم فراقا وهم في مأزق متضايق

(٤) التبريزي : « وروى : عزَّ بصدرة . وهو أجود الروايتين » .

التعريدُ : تَرَكَ القَصْدِ وسُرْعَةُ الانهزام^(١) . والمرادُ بالدَّعْوَى قولُ
الكُفَاةِ مَنْ يُبَارِزُ ! وَخُذْهَا وَأَنَا فُلَانٌ ! وَأَنَا الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ كَذَا ! وَأَشْبَاهَهُ .
والبَوَارِقُ ، جمع بَارِقَةٍ : السُّيُوفِ وسائرُ الأسلحةِ .

وقائل هذه الأبيات يعتمر من إحصام اتفق ، وتأخر عن الزحف ظهر
للناس من فعله ، فأخذ يورك بالذنب على فرسه^(٢) ، وإن نفرتة كانت
السبب في نكوصه ، فقال على طريق التلطف والتوجع : أما تعلم أن فرسي
الورد انحرف عن القصد صدره ، وتولى إلى غير الوجهة التي أريدها وجهه ،
لنفوره عن تداعي الأبطال ، ونكوله عن لمعان السيوف والرداح .

٣ -- وأخرجني من فتية لم أرد لهم راقا وهم في مأزق متضايق

قوله « وأخرجني » معطوف على ما اعتل به من نفور الفرس ، ومعذود
فيما أمله من جنابته عليه والواو من قوله « وهم في مأزق » واو الحال ، والأزق
الضييق في الحرب ، ومأزق مفعول منه . وقال « متضايق » لأن ضيق المكر
في المعارك يحصل شيئا بعد شيء . فيقول : فرق بيني وبين فتیان أحببت
الكون معهم ، وأوجببت على نفسي مآلاتهم ومساعدتهم ، في وقت كنت
خليقا بالثبات معهم ، وإظهار البلاء في نصرتهم ، وكانوا مدفوعين منه إلى ضنك
مجال مثلي يستدعي له ، ويستنهض للإغاثة^(٣) فيه .

٣ -- وعض على فأس اللجام وعزني على أمره إذ ردد أهل الحقائق

هذا بيان جراح فرسه وتأببه عليه ، فيقول : ركب رأسه وغلبني على أمره ،

(١) التبريزي : « وقوله عرد صدره ، أي عرد هو ، كما تقول ولي وجهه . والتعريد :

العدو ، ومنه سميت العراة لأنها ترمي بالحجر المرمي البعيد . »

(٢) في اللسان : « ورك فلان ذنبه على غيره توريبا ، إذا أضافه إليه وقرفه به . »

(٣) م : « للإغاثة . »

فلما كره أهل الحقائق لم أقدر على الكرم معهم^(١) ، ولا مَلَكتُ رَدَّ فَرَسِي مع رَدِّهم . وأهل الحقائق هم الذين يَبْلُغُونَ فيما يَلُونَهُ ما يَحِقُّ وَيَجِبُ . ويُقالُ حَقَّقْتُ العقدة ، إذا شَدَدْتُها .

٤ - فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا بَلَوْتُ بَلَاءَهُ وَأَنْتِي بِمَتَعٍ مِنْ خَالِيلِ مُفَارِقِ

يُروى : « وَأَبْنَا تَمَتَّعَ » . وله ، الضمير للفرس . كأنه كان يخاطبه متحسراً وُيَبَّأَتْهُ مُتَّأَهِّفًا ، ويقول بعد أن مَنِيَّ مِنْهُ بِمَا مَنِيَّ ، وَأَبْتَلِيَّ مِنْ نَفَرْتِهِ وَرَكُوبِ رَأْسِهِ بِمَا ابْتَلِيَّ : مِنْ أَيْنَ لِيِ الْاسْتِمْتَاعِ مِنْ خَالِيلِ فَارَقْتُهُ ، وَكَيْفَ أَسَاعِدُهُ وَأَتَحْمَلُهُ عَنْهُ ثِقَلًا وَقَدْ بَاعَدْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . فقوله « وَأَنْتِي بِمَتَعٍ » في موضع المفعول لِقُلْتُ . ويُقالُ مَتَّعَ بِكَذَا وَاسْتَمْتَعَ ، وَمَتَّعَهُ اللهُ بِهِ وَأَمْتَّعَهُ . ومن رَوَى : « وَأَبْنَا تَمَتَّعَ » يدخل وأبنا في جملة ما اتَّصَلَ بِمَا ، ويكون المعنى : وَلَمَّا بَلَوْتُ بَلَاءَهُ وَأَكْرَهَنِي عَلَى مَرَادِهِ ، فَانصَرَفْنَا مِنْ مَقْصَدِنَا ، قُلْتُ لَهُ مُقَرَّعًا وَمُتَوَجِّعًا : الْآنَ تَمَتَّعَ مِنْ أَجْلِ خَالِيلِ بَعَدْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . كَانَ تَفَجَّعُهُ امْتِدًّا أَوْلًا وَآخِرًا ، وَقَبْلَ الْأُوبَةِ وَبَعْدَهَا . وَجَوَابُ لَمَّا فِي الْوَجْهِينِ قَوْلُهُ فَقُلْتُ بِمَا اتَّصَلَ بِهِ .

٥ - أَحَدَّثُ مَنْ لَأَقَيْتُ يَوْمًا بَلَاءَهُ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّي غَيْرُ صَادِقِ

يُقالُ حَدَّثْتُهُ كَذَا وَبَكَذَا ، فَيُحْمَلُ عَلَى خَبْرَتِهِ كَذَا وَبَكَذَا ، وَنَبَّأْتُهُ كَذَا وَبَكَذَا . قال الهذلي :

* وَلَكِنْ خَبَّرُوا قَوْمِي بِلَائِي *

وقال الآخر :

* وَأَنْبَأَتْهُ أَنَّ الْفِرَارَ خَزَايَةٌ *

يقول : أَبُتُّ فِي النَّاسِ قِصَّتِي وَقِصَّةَ فَرَسِي ، وَأُخْبِرُ كُلَّ مَنْ لَأَقَيْتُهُ بِجَنَائِتِهِ

(١) التبريزي : « ولم أقدر على الكرم إذ رد أهل الحقائق خيلهم إلى الفنا طائفة إذ عصاني . »

عَلَىٰ وَبَلَايِهِ مَعِيَ ، وَهُمْ بِحَسَدِهِمْ وَسُوءِ رَأْيِهِمْ يُوجِّهُونَ الظَّنَّ إِلَىٰ ، وَيُسَاطُونَ
التُّهْمَةَ عَلَىٰ ، فَأَنَا بَيْنَ تَكْذِيبٍ وَتَعْيِيرٍ مَعَهُمْ وَفِيهِمْ .

٢٠٣

وقال أيضًا^(١) :

١ - هَاجِرَتِي يَا ابْنَةَ آلِ سَعْدِ

٢ - أَأَنْ حَلَبْتُ لِقْحَةَ لِلْوَرْدِ

يُرْوَى « هَاجِرَتِي » عَلَى الْخِطَابِ ، وَالْكَلَامُ بِهِ ظَاهِرُ الْاسْتِقَامَةِ ،
وَيُرْوَى « هَاجِرَتِي » ، وَالْمَعْنَى أَنْتِ هَاجِرَتِي^(٢) . وَقَوْلُهُ « يَا ابْنَةَ آلِ سَعْدِ » يَجُوزُ
أَنْ يَرِيدَ يَا ابْنَةَ سَعْدِ فزَادَ الْآلَ كَمَا يُزَادُ لَفْظَةُ حَيٍّ وَذُو . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ ،
أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

إِنَّ ابْنَ آلِ ضِرَارٍ حِينَ أَنْدَبُهُ زَيْدًا سَعَى لِي سَعِيًّا غَيْرَ مَكْفُورِ
أَرَادَ إِنَّ ابْنَ ضِرَارٍ . وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ مُخْتَلِفٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَهَا
ابْنَةَ الْآلِ إِعْظَامًا لَهَا ، كَمَا يُقَالُ يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْآلِ وَحَقِيقَتِهِ .
وَاللَّقْحَةُ : النَّاقَةُ الْحُلُوبُ ؛ وَلَا يُوصَفُ بِهِ ، لَا يُقَالُ نَاقَةٌ لِقْحَةٌ ، بَلْ يَجْرِي مَجْرَى
الْأَسْمَاءِ . يَقُولُ : صَارَ مَتْنِي أَيْتُهَا الْمَرْأَةُ حِينَ آثَرْتُ فَرَسِي الْوَرْدِ بِابْنِ لِقُوحِي ،
فَأَخْرَجَ قَوْلَهُ « أَأَنْ حَلَبْتُ » مَخْرَجَ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ
الاسْتِفْهَامِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ : أَلَا أَنْ حَلَبْتُ ، أَيْ أَلِ هَذَا الشَّانِ كَانَ مِنْكَ الْهَجْرَانُ لِي .

٣ - جَهَلْتِ مِنْ عِنَانِهِ الْمُتَمَدِّ

٤ - وَنَظَرِي فِي عِطْفِهِ الْأَلَدِّ

(١) كَذَا فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ وَالتَّبْرِيزِيِّ . وَفِي م : « وَقَالَ خِفَافُ بْنُ نَدْبَةَ » .

(٢) كَذَا . وَالْأَوْفَقُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : يَا هَاجِرَتِي .

٥ - إِذَا جِيَادُ الْخَيْلِ جَاءَتْ تَرْدِي

٦ - مَمْلُوءَةٌ مِنْ غَضَبٍ وَحَرْدٍ

قوله « جَهَلْتِ مِنْ عِنَانِهِ » يجوز على مذهب أبي الحسن الأخفش أن يكون زاد « مِنْ » في الواجب، أراد جَهَلْتِ عِنَانَهُ، ويكون قوله، « وَنَظَرِي » في موضع النَّصْبِ عَطْفًا عَلَيْهِ إِنْ شِئْتَ . وَمِمَّا حَكَاهُ مِنَ الْحُجَّةِ لَهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : « قَدْ كَانَ مِنْ مَطَرٍ » ، « قَدْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ فَخَلَّ عَنِّي » . وعلى مذهب سيبويه يكون فيه وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مُحْمُولًا عَلَى الْمَعْنَى ، لِأَنَّ الْجَهْلَ نَفَى الْعِلْمِ ، كَأَنَّهُ قَالَ بَدَلَ جَهَلْتِ : مَا عَلِمْتِ وَمَا عَرَفْتِ . وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ حَذَفَ مَفْعُولِ جَهَلْتِ كَأَنَّهُ قَالَ جَهَلْتِ مِنْ عِنَانِهِ الطَّوِيلِ مَدُّ لَوْلَهُ مِنَ الْعِتْقِ وَالنَّجَابَةِ ، لِأَنَّ الَّذِي جَهَلْتَهُ ذَلِكَ ، إِذْ كَانَ امْتِدَادُ عُنُقِهِ يُدْرِكُ مُشَاهَدَةً . وَالشَّاعِرُ أَقْبَلَ يُبَيِّنُ عُذْرَهَا فِيمَا أَنْكَرْتَهُ وَعُذَرَ نَفْسِهِ فِي تَفَقُّدِهِ فَرَسَهُ فَقَالَ : جَهَلْتِ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ كَرَمِهِ وَنَجَابَتِهِ ، وَمَا أَتَبَيَّنُهُ وَأَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ مِنْ امْتِدَادِ عُنُقِهِ وَجَلَّاجِ جَانِبِهِ ، وَاعْتِرَاضِهِ فِي مَشْيِهِ ، فَلِذَلِكَ اسْتَعْظَمْتُ إِثَارِي إِيَّاهُ . وَذَكَرَ الْعِنَانَ وَالْقَصْدُ الْعُنُقُ لِأَنَّ طَوْلَهُ بَطُولُهَا ، وَاللَّدْدُ أَصْلُهُ فِي الْخِصْمَةِ ، يُقَالُ خَصِمَ أَلَدُّ . وَقَوْلُهُ « إِذَا جِيَادُ الْخَيْلِ » إِذَا ظَرَفُ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « فِي عِطْفِهِ الْأَلَدُّ » . وَقَوْلُهُ « تَرْدِي » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ جَاءَتْ . وَالرَّدْيَانُ : ضَرْبٌ مِنَ الْمَشْيِ . قَوْلُهُ « مَمْلُوءَةٌ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ تَرْدِي . وَالْحَرْدُ : الْقَصْدُ ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ ، أَيْ عَلَى جِدٍّ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَالْمَعْنَى : إِذَا جَاءَتْ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ قَدْ حَمِيَتْ وَنَشِطَتْ فَامْتَلَأَتْ غَضَبًا ، وَصَارَ مَشْيُهَا رَدْيَانًا ، كَانَ فِي عِطْفِ هَذَا لَدْدٌ وَاعْتِرَاضٌ ، وَفِي مَشْيِهِ

اقتسار والتوالا . والعطفُ من كل شيء : جانبهُ من لَدُنْ رَأْسِهِ إِلَى وَرِكِهِ .
ويقال : نَنَى عِطْفُهُ ، إِذَا أَعْرَضَ وَجْهًا .

٢٠٤

وقال آخر^(١) :

١ - لَعَمْرُ أَخِيكَ لَا يَنْفَكُ مِنَّا أَخُو ثِقَةٍ يُعَاشُ بِهِ مَتِينٌ^(٢)

قوله « لَعَمْرُ أَخِيكَ » يجوز أن يُريدَ بِأَخِيكَ نَفْسَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ لَعَمْرِي .
وَجَعَلَ نَفْسَهُ أَخَاهُ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعْطَافِ وَتَلْطِيفِ الْحَالِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
الْمُخَاطَبُ كَانَ لَهُ أَخٌ يَعِزُّ عَلَيْهِ وَيُقَسِّمُ بِحَيَاتِهِ ، فَاقْتَدَى بِهِ فِي ذَلِكَ إِعْظَامًا لَهُ
وَالْمُقَسِّمُ بِهِ . وَلَعَمْرُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ مَحذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ لَعَمْرُ أَخِيكَ قَسَمِي
أَوْ مَا أَقْسَمُ بِهِ . وَمَعْنَى لَا يَنْفَكُ : لَا يَزَالُ . وَالْمَتِينُ : كُلُّ صُلْبٍ شَدِيدٍ ،
وَالْمَصْدَرُ الْمُتَانَةُ ، وَمَاتَنْتُ الرَّجُلَ مُمَاتَنَةً ، إِذَا حَاكَمْتَهُ ففَعَلْتَ مِثْلَ مَا يَفْعَلُهُ
مِنَ الشَّدَّةِ . يَقُولُ : وَبِقَاءِ أَخِيكَ لَا يَزَالُ مِنَّا أَخٌ يُوْتَقُ بُوْدَهُ ، وَيُحَسِّنُ الظَّنَّ
بِنِيَابَتِهِ ، وَيُعَاشُ بِهِ وَفِي ظِلِّهِ ، جَلْدٌ قَوِيٌّ عَزِيزٌ .

٢ - مُفِيدٌ مُهْلِكٌ وَلِزَازٌ خَصْمٌ عَلَى الْمِيزَانِ ذُو زِنَةٍ رَزِينٌ^(٣)

قوله « مُفِيدٌ مُهْلِكٌ » مثل قول الآخر :

* مُفِيدٌ مُفِيدٌ^(٤) *

ويكون أفادَ متعدِّيًا إلى مفعولين ، وقد حَذَفَهُمَا ، وكذلك مُفِيدٌ . ويجوز

(١) التبريزي : « وقال أيضاً » . فتكون الحماسية على هذا لقيصة بن النصراني .

(٢) رواه التبريزي : « لعمر أبيك » ، ثم قال : « إذا روى لعمر أخيك فإنه يجوز

أن يريد بأخيه نفسه » . (٣) هذا البيت وشرحه الذي يليه ساقط من م .

(٤) لكعب بن سعد الغنوي في أمالي القالي (٢ : ١٤٨) . وتامه :

مفيد مفيت العائدات معود لفعل الندى والمكرمات كسوب

(١٠ - حماسة - ثان)

أن يكون أفاد بمعنى استفاد ، فيكون معنى مُفِيدٌ مُهْلِكٌ : كَسُوبٌ بِالغَزْوِ مِنْفَاقٌ .
والأوَّلُ أَصْلَحُ فِي هَذَا . وَقَوْلُهُ « لِيَزَازُ خَصْمِي » لِيَزَازَ كَالسَّنَادِ وَالْعِمَادِ وَمَا
أَشْبَهَهُمَا . وَاللِّزُّ أَصْلُهُ اللُّزُومُ وَالثَّبَاتُ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ لِيَزَازُ الْبَابُ (١) . ثُمَّ
تَوَسَّعُوا فَقِيلَ هُوَ مِلْزٌ فِي الْخِصْومَةِ وَلِيَزَازَ ؛ وَهُوَ مُلْزَزُ الْخَاقِ ، أَيْ مُجْتَمِعُهُ .
يَقُولُ : يَفِيدُ أَوْلِيَاءَهُ الْخَيْرَ وَالْغَنَمَ وَيُهْلِكُ أَعْدَاءَهُ ، ثُمَّ يَلْزَمُ خَصْمَهُ فَلَا يَفَارِقُهُ
أَوْ يَغْلِبُهُ . وَإِذَا وُزِنَ بغيره رَجَحَ عَلَيْهِ فِي السَّبْرِ وَالِاخْتِبَارِ ، فَإِذَا اسْتُخِفَّ
ذَلِكَ كَانَ هُوَ وَقَوْرًا رَزِينًا . وَيُقَالُ رَزِينٌ بَيْنَ الرِّزَانَةِ ، وَامْرَأَةٌ رِزَانٌ .

٣ - يَزِيدُ نَبَالََةً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَنَافِلَةً وَبَعْضُ الْقَوْمِ دُونَ
نَبَالََةٌ مَصْدَرُ نَبُلٍ . وَالنَّافِلَةُ : الْفَضْلُ . وَدُونَ ، حَقِيقَتُهُ الْقَاصِرُ عَنِ الشَّيْءِ .
وَيُقَالُ هُوَ دُونَكَ فِي الْحَسَبِ عَلَى التَّوَسُّعِ ، هَذَا إِذَا كَانَ ظَرْفًا . وَيُقَالُ هُوَ دُونَ
فِي الرَّجَالِ ، وَمَا هُوَ بِدُونٍَ ، فَيُجْمَعُ اسْمًا ، وَالَّذِي فِي الْبَيْتِ هُوَ عَلَى هَذَا . يَقُولُ :
وَمَعَ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْخِصَالِ فِيهِ سَرُورٌ وَنُبُلٌ ، وَحَمِيَّةٌ وَعِزٌّ ، فَيَفْضَلُ عَلَى كُلِّ
نَدْبِيلٍ ، وَيَعْلُو عَلَى كُلِّ ذِي شَأْنٍ نَدْبِيهِ ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ سَاقِطٌ قَاصِرٌ ،
مَتَأَخَّرٌ نَاقِصٌ .

٢٠٥

وَقَالَ خُفَّافُ بْنُ نَدْبَةَ (٢) :

١ - أَعْبَّاسُ إِنْ الَّذِي بَيْنَنَا أَبَى أَنْ يَجَاوِزَهُ أَرْبَعُ

الْمَخَاطَبُ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ ، وَمِرَادُ الشَّاعِرِ أَنْ يَقُولَ : يَا عَبَّاسُ ، إِنْ

(١) هِيَ الْخَشْبَةُ الَّتِي يَلْزَمُ بِهَا .

(٢) هُوَ خُفَّافُ بْنُ عَمِيرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الشَّرِيدِ السَّامِيِّ . وَأُمُّهُ نَدْبَةُ سُودَاءَ ، وَإِلَيْهَا يَنْسَبُ =

الحُرُمَاتِ الأَرْبَعِ التِّي تَجْمَعُنِي وَإِيَّاكَ ، مَنَعْتِ أَنْ يَتَخَطَّاهَا مَا بَيْنَنَا مِنَ الشَّرِّ ،
فَهُوَ يَقِفُ دُونَهَا ، وَيَقْصُرُ عَنْ تَجَاوُزِهَا . وَظَاهِرُ الْكَلَامِ فِيهِ قَابُ ، لِأَنَّهُ
جَعَلَ الْفِعْلَ الَّذِي هُوَ الْمَجَاوِزَةُ لِلأَرْبَعِ ، وَالأَرْبَعُ هِيَ الآبِيَّةُ مِنْ أَنْ يَجَاوِزَهَا
مَا حَدَّثَ بَيْنَهُمَا . وَصَلَحَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ لَا يَلْتَبِسُ مِنَ الْكَلَامِ . وَعَلَى هَذَا
قَوْلُ الْآخِرِ :

* كَمَا أَسْلَمْتُ وَحُشِيَّةٌ وَهَقَا *
لأنَّ الوَهَقَ يُسَلِّمُ الوَحْشِيَّةَ . وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِذَا تَعَدَّى أَحَدُ الشَّيْثِينَ

صَاحِبَهُ فَقَدْ صَارَ الْآخِرُ كَأَنَّهُ تَعَدَّاهُ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ سَاغَ أَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْمَجَاوِزَةُ .

٢ — عِلَاقُ مِنْ حَسَبِ دَاخِلٍ مَعَ الْإِلِّ وَالنَّسَبِ الأَرْفَعِ
٣ — وَأَنَّ ثَنِيَّةَ رَأْسِ الْهَجَا ءَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ لَا تُطْلَعُ

هَذَا تَفْسِيرُ الْخِصَالِ الأَرْبَعِ التِّي أَجْمَلَهَا . وَالْعِلَاقُ ، جَمْعُ عِلَاقَةٍ ، وَهُوَ
مَا يُتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الشَّيْءِ أَوْ يُعَلَّقُ بِهِ الشَّيْءُ . وَقَوْلُهُ « مِنْ حَسَبِ دَاخِلٍ مَعَ
الْإِلِّ » ، فَالْحَسَبُ : الشَّرْفُ . وَالْإِلُّ : الْعَهْدُ . وَمَعْنَى دَاخِلٍ مَعَهُ ، أَيِ مُخْتَلِطٍ
بِهِ . وَالنَّسَبُ الأَرْفَعُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يُعْنِي بِهِ النَّسَبَ مِنْ قِبَلِ الأَبِ ، لِأَنَّهُ
أَرْفَعُ النَّسَبِينَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُعْنِيَ النَّسَبَ الرَّفِيعَ الْعَلِيِّ . وَقَدْ حَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ

— وَهِيَ بَفَتْحِ النُّونِ وَضَمِّهَا . وَهُوَ أَحَدُ غُرَبَانَ الْعَرَبِ ، ثَانِيهِمْ عُنْتَرَةُ ، وَثَالِثُهُمُ السَّلِيكُ بْنُ السَّلِيكَةِ
كُلُّ مَنْهُمْ أُمُّهُ سَوْدَاءُ . وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَنْسَاءَ بِنْتِ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ ، وَيَكْنَى أَبُو خِرَاشَةَ ، وَهُوَ
يَقُولُ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

أَبَا خِرَاشَةَ أَمَا كُنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنْ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبِيعُ

وَقَدْ أَسْلَمَ خَفَافٌ وَبَقِيَ إِلَى زَمَانِ عُمَرَ . انْظُرِ الْإِصَابَةَ ، وَأَسَدَ الْغَايَةِ ، وَالْأَغَانِي (١٦ : ١٣٤)

— (١٣٩) وَالْحِزَانَةُ (٢ : ٤٧٠ — ٤٧٥) وَالْأَشْتِاقُ ١٧٢ ، ١٨٨ وَالشَّعْرَاءُ وَالشَّعْرَاءُ ٣٠٠ .

من العلائق ثلاثٌ : حَسَبٌ ، وَنَسَبٌ ، وَعَهْدٌ بينهما ، والعلاقة الباقية هي
مذكورةٌ في البيت الذي يليه ، وهو قوله :

وَأَنَّ ثَنِيَّةَ رَأْسِ الْهَجَا • بَيْنِي وَبَيْنَكَ لَا تَطَّلِعُ

كأنهما كانا تعاقداً أن لا يهجو أحدهما صاحبه ، ولا يذكره في الشعرِ
ناحتاً أثلته . وجعل لرأس الهجاء عَقَبَةً ثَنِيَّةً بِشَقَّتْهَا من يريدُ قَطْعَهَا . ويقال
طَلَعَ الثَّنِيَّةَ واطَّلَعَهَا ، إذا أَشْرَفَ عَلَيْهَا . فإن قيل : وما الفصل بين الحَسَبِ
والنَّسَبِ ؟ قلت : إن الحَسَبَ ما يُعَدُّ من الخِصَالِ الكريمة ، وترى الحَسِيبَ
يُوجِبُ للحَسِيبِ وَيَعْرِفُ له بِحَسَبِهِ مَحَلًّا وَقَدْرًا ، وإن لم يكن بينهما قُرْبَى ولا
قَرَابَةً . والنَّسَبُ يريد به الرَّحْمُ والقَرَابَةُ . فإن قيل : فما معنى الإلِّ ، وما الفرقُ
بينه وبين الخِصْلَةِ الرَّابِعَةِ ، وهي التَّعَاقُدُ على تركِ الهجاء واطِّراحه ؟ قلت :
الإلُّ : العَهْدُ ، بذلك فَسَّرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ
إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ . كأنهما كانا تَوَاتَقًا على أن لا يُدَبَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا على
صاحبه ، ولا يَسْعَى فِي نَصَبِ الْمَكَائِدِ له — فهذا ميثاقُ بينهما — ثم اتَّفَقَا أَيضًا
على أن لا يَتَهَاجِيَا . وإذا كان كذلك فالفصل بين الأمرين ظاهر ، كما ظهر بين
الحَسَبِ والنَّسَبِ .

٤- وَأَبْغَضُ إِلَى بَاتِيَانِهَا إِذَا أَنَا لَمْ أَنَسَهَا أُدْفَعُ (١)

قوله « وَأَبْغَضُ إِلَى بَاتِيَانِهَا » استُعِيرَ فِيهِ بِنَاءُ الْأَمْرِ لِلخَبَرِ ، لَأَنَّ مَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ ،
والتَّعَجُّبُ خَبْرٌ ، وَهُم يَسْتَعِيرُونَ الْمَبْنَى الْمَعْنَى ، كَمَا يَسْتَعِيرُونَ الْجَمَلَ وَالْمَفْرَدَاتِ .
وهذا كَمَا يُسْتَعَارُ بِنَاءُ الخَبَرِ لِلأَمْرِ كَقَوْلِهِ : ﴿ وَالْمَطَّلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ . وموضع
بَاتِيَانِهَا رَفْعٌ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ بَغَضَ إِتْيَانِهَا إِلَى جِدًّا . يقول : ما أَبْغَضَ

(١) التبريزي : « لم آتها » .

إيمان عَقَبَةِ الهجاء واطلاعها إلى ، لأني أربأ بنفسي عنه وقَدْرِي ، وأصونُ منه ديني وعِرْضِي ، وأتناسى فعلَ ذلك فلا يكون من هَمِّي . ولو لم أترُكها تأثماً وتكرماً ثم أردتُ مناقضتك ومقادعتك ، لكان ما تعاهدنا عليه من ترُكهِ يدفعني عنه ، ويمنعني منه . فإذا ظَرَفُ لقوله أدْفَعُ (١) .

٢٠٦

وقال بَعْضُ الْأَصْوَصِ مِنْ طَيْيٍّ (٢) :

- ١- ولما أن رأيتُ أبنِي شَمَيْطٍ بِسِكَّةِ طَيْيٍّ والبابُ دُونِي
٢- تَجَلَلْتُ الْعَصَا وَعَلِمْتُ أَنِّي رَهِينُ مُخَيَّسٍ إِنْ أَدْرَكَوْنِي

الشعرُ لبعض المتلصّصة ، وكان أنهيَ حاله إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهو بالكوفة ، فوجه في طلبه ابنه شَمَيْطُ ، فأحسَّ بذلك وركب فرسه

(١) روى التبريزي بهذه الحماسية مقطوعة أخرى لمبد بن عاقمة . ونصها :
غِيَّبْتُ عَنْ قَتْلِ الْحَتَاتِ وَلَيْتَنِي شَهِدْتُ حَقَاتًا حِينَ ضُرِّجَ بِالْدمِ
وفي الكفِّ مني صارمٌ ذو حقيقةٍ متى ما يُقدِّمُ في الضريبة يُقدمُ
فيعلمَ حيًّا مالكٍ ولفيفها بأن لستُ عن قتل الحتاتِ بمحرمِ
فقل لزهير إن شتمتَ سرّاتنا فلسنا بشتامين للمشتمِ
ولكننا نأبي الظلامَ ونعتصى بكلِّ رقيق الشفرتين مصمِ
وتجهلُ أيدينا ويحلمُ رأينا ونشتمُ بالأفعال لا بالقلمِ
وإن التماذي في الذي كان بيننا بكفّيك فاستأخره له أو تقدّمِ

وقد روى ابن جني في التنبية منها البيت الأول .

(٢) هو شبيب بن عمرو بن كريب الطائي ، كان يصيب الطريق في خلافة علي بن أبي طالب ، فبعث إليه أحر بن شميطة العجلي وأخاه في فوارس ، فأحسَّ شبيب بذلك ، وركب فرسه العصا فنجا به . انظر البيان (٣ : ٨٥) وشرح التبريزي للحماسة .

العَصَا فَنَجَا بِهِ ، وَذَكَرَ قِصَّتَهُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ . وَقَوْلُهُ « وَالْبَابُ دُونِي » يَعْنِي بِأَبِ الْبَلَدِ وَالْمَسَالِحِ ^(١) . وَقَوْلُهُ « تَحَلَّلْتُ الْعَصَا » جَوَابُ لَمَّا ، أَيْ رَكَبْتُهُ عَلَى جُلِّهِ وَلَمْ أَتَلَوَّمْ لِإِسْرَاجِهِ ، خَوْفًا عَلَى نَفْسِي ، وَعِلْمًا أَنِّي إِنْ تَوَقَّفتُ أودِعْتُ السِّجْنَ مُرْتَهِنًا بِمَا كَسَبْتُ يَدِي . وَ« مُخَيِّسٌ » : اسْمُ سِجْنٍ بَنَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَالتَّخْيِيسُ : التَّذْلِيلُ ، وَأَصْلُهُ فِي السِّكِّدِّ وَالْإِعْمَالِ . عَلَى هَذَا قَالَ النَّابِغَةُ :

وَخَيِّسِ الْجِنَّ إِنْ قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ
وَيَقَالُ فِي الشَّتْمِ : خَيِّسَ أَنْفَهُ فِيمَا يَكْرَهُ ، كَمَا يَقَالُ أَرْغَمَ أَنْفَهُ .

- ٣- وَلَوْ أَنِّي لَبَيْتُ لَهُمْ قَلِيلًا لَجَرُّونِي إِلَى شَيْخِ بَطِينِ ^(٢)
٤- شَدِيدِ مَجَامِعِ الْكَتْفَيْنِ بَاقٍ عَلَى الْحَدَثَانِ مُخْتَلِفِ الشُّعُونِ ^(٣)

قَوْلُهُ « قَلِيلًا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا ، يَرِيدُ زَمَانًا قَلِيلًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِمُصْدَرٍ مَحذُوفٍ ، يَرِيدُ لَبْنًا قَلِيلًا . فَيَقُولُ : لَمْ أَتَمَكَّثْ لِلطَّالِبِينَ لَمَّا عَرَفْتُ الْحَالَ ، وَلَمْ أَتَبَاطَأْ مَعْرُجًا عَلَى إِعْدَادِ شَيْءٍ ، وَلَوْ ظَفَرُوا بِي لَجَرُّونِي إِلَى حَضْرَةِ رَجُلٍ عَظِيمِ الْبَطْنِ شَيْخٍ ، وَذَلِكَ صِفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَلَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي عِظْمِ بَطْنِهِ أَنَّهُ قَالَ : « هُوَ لِكَثْرَةِ عِلْمِهِ » . وَقَوْلُهُ « شَدِيدِ مَجَامِعِ الْكَتْفَيْنِ » مِنْ صِفَتِهِ إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ . يَرِيدُ أَنَّهُ شَدِيدُ الظَّهْرِ ، قَوِيَّ الْمَتْنِ ، مَجْتَمِعِ الْخَلْقِ ، وَذَلِكَ خِلْقَةُ الْأَسَدِ . وَقَوْلُهُ « بَاقٍ عَلَى الْحَدَثَانِ » يَعْنِي صَبْرَهُ فِي حَوَادِثِ الدَّهْرِ ، وَانْتِصَابَهُ فِي وُجُوهِ بُغَاةِ الْجَوْرِ ، لَا يَأْخُذُهُ فِي

(١) م : « أَوِ الْمَسَالِحِ » .

(٢) رَوَايَةُ الْجَاهِظِ :

وَلَوْ أَنْظَرْتَهُمْ شَيْئًا قَلِيلًا لَسَاقُونِي إِلَى شَيْخِ بَطِينِ

(٣) رَوَايَةُ الْجَاهِظِ : « شَدِيدِ مَجَالِزِ الْكَتْفَيْنِ صَابٍ » .

طلب الحقِّ وإيضائه لومةً لأئمِّه ، واعتراضُ ممانعٍ (١) ، ولا يَلْفُتُهُ عن هَدْيِهِ
 وَسَنَنِهِ كِرَاهَةً كَارِهِه ، وَقَعِيدَةٌ خَازِلٍ . وقوله « مَخْتَلَفِ الشُّنُونِ » يعنى طرائقه
 فى زُهْدِهِ وَعِلْمِهِ وَوَرَعِهِ ، وَبَاسِهِ وَإِقْدَامِهِ فى ذَاتِ اللَّهِ ، وَجُمْنِهِ عن محارِمِ اللَّهِ ،
 وَتَعَقُّفِهِ عن احتجازِ المطامعِ ، وإبْتِنَاءِ المصانِعِ ، مع قلة الاحتفالِ بِاكتسابِ رِضَا
 خَلْقِهِ ، إِذَا أَدَاهُ إِلَى سَخَطِ رَبِّهِ ، إِلَى مَا لَا يَكَادُ يَجْتَمِعُ إِلَّا فى مِثْلِهِ ، وَيَطْوُلُ
 الكَلَامُ بَعْدَهُ وَضَبَطَهُ . وفى هذه الطريفة وإن اختلف الوصفان والموصوفان
 قول الآخر (٢) :

قليلُ التَّشَكِّيِّ لِلْمُهْمِّ يُصِيبُهُ كَثِيرُ الْهَوَى شَتَّى النَّوَى وَالْمَسَالِكِ

٢٠٧

وقال حُرَيْثُ بْنُ عَنَابٍ (٣) :

- ١ - لَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ نَبْهَانَ تَارِكِي بِلَمَاعَةٍ فِيهَا الْحَوَادِثُ تَخْطِرُ
 - ٢ - نَصِرْتُ بِمَنْصُورٍ وَبَابْنِي مُعَرِّضٍ وَسَعْدٍ وَجَبَّارٍ بَلِ اللَّهِ يَنْصُرُ
 - ٣ - وَاللَّهُ أَعْطَانِي الْمَوَدَّةَ مِنْهُمْ وَثَبَّتَ سَاقِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أُعْثِرُ
- لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرْفِ ، وَهُوَ لَوْ قَوَّعَ الشَّيْءَ لَوْ قَوَّعَ غَيْرَهُ ، وَجَوَابُهُ نَصِرْتُ .
 وَأَرَادَ بِنِي نَبْهَانَ فَذَكَرَ الْجَدَّ وَالْمَرَادُ الْقَوْمُ ، وَسَمَّى نَبْهَانَ الْعَبْدَ تَهْنِئَةً لَهُ ،
 وَرَمِيًا إِيَّاهُ بِاللُّؤْمِ . وَاللَّمَاعَةُ : الْمَفَازَةُ يَلْمَعُ فِيهَا السَّرَابُ . وَجَعَلَهَا مَخُوفَةً لَا تُؤْمَنُ
 فِيهَا نَوَائِبُ الدَّهْرِ ، وَحَوَادِثُ الْمَوْتِ . وَمَعْنَى تَخْطِرُ تَحَدُّثُ وَتَعْتَرِضُ . وَيُقَالُ
 رُمِحَ خَطَّارٌ ، أَيْ شَدِيدُ الْاهْتِرَازِ ، وَمِنْهُ خَطْرَانُ الْفَجْلِ بِذَنْبِهِ عِنْدَ الصِّيَالِ .

(١) فى الأصل والنيمورية : « وإعراض ممانع » وفى م : « وإعراض اعتراض ممانع » ،
 والوجه ما أثبتنا .

(٢) هو تأبط شراً . انظر الحماسية ١٣ ص ٩٤ .

(٣) سبقت ترجمته فى الحماسية ٦٩ ص ٢٥٥ .

فيقول: لما وجدتهم متخلفين عني وتاركين لي بمفازة هذه صفتها، استنصرت غيرهم فنصرني الله بالأقوام الذين ذكرتهم. ولا يمتنع أن يكون اللماعة كناية عن الأمر الشديد والداهية المنكرة. ويكون قوله «تاركى بلماعة» كما يقال تركته بحالة سوء، وبآخر رمق، وما يجري مجراه. وقوله «فيها الحوادث تخطر» جعله مثلاً لما لم يكن يأمنه من فنون الحوادث، وصروف المتألف. ثم أخذ يشكر الله على ما عطف عليه من مثل الأقوام الذين أغاثوه، وثنى إليه من نصرهم، وعلى تثبيت قدمه بعد ما كادت تزل به، وتلافيه بحسن الاستمسك، عند ما ظن من إشراف الهلاك.

٤- إذار كِب الناس الطريق رأيتهم لهم قائد أعمى وآخر مبصر الضمير من قوله «لهم قائد» يجوز أن يكون لناصريه، وهم الذين سماهم، ويكون الكلام مدحاً وما بعد هذا البيت يتلوه في ذلك ويتبع. ويجوز أن يكون لخاذليه بنى نهبان، ويكون الكلام ذمّاً، وما بعده يطرد معه ويذهب. ووجه المدح أن يكون المراد بقوله «إذار كِب الناس الطريق» إذا انتوى الناس نيأتهم، فسلكوا في مناجعهم ومزالفهم^(١)، ومتصرفاتهم ومناقيلهم، طرائقهم الآمنة، رأيت هؤلاء القوم لعزهم ومنعتهم يسيرهم الليل والنهار، ويقودهم الظلم والأنوار، لا يحذرون منيعاً، ولا يخافون مغيراً، ولا ينأى عنهم استباحة حمى، ولا يعرض لهم حيناً توجهوا أذى. فالقائد الأعمى هو الليل، والآخر المبصر هو النهار. ووجه الذم أنهم لجهلهم وسوء تأتبيهم، إذا أبصر الناس مرآشدهم واستبصروا فيما يُقدّمون عليه أو يُخجمون عنه وجدت هؤلاء القوم يستضيئون برأى كل أحد، ويستشيرون كل ذي نحلة ومذهب، فيرشدهم جماعة ويُغويهم آخرون، على حسب اختلاف الآراء والمقاصد، لا بصيرة

(١) المزالف: القرى التي بنى الريف والبر.

تُمْسِكُهُمْ ، ولا عزيمة تَغْلِبُهُمْ وَتَجْدِيهِمْ ، فهم تَبَعٌ لِكُلِّ نَاعِقٍ ، وجوابٌ لِكُلِّ نَادِبٍ .

٥- لِهْمُ مَنْطِقَانِ يَفْرَقُ النَّاسَ مِنْهُمَا وَلِحْنَانٍ مَعْرُوفٌ وَآخِرٌ مُنْكَرٌ

إذا جُعِلَ الكلامُ مَدْحًا على ما قَدَّمْتُهُ ورتبته يكون معنى « لِهْمُ مَنْطِقَانِ » أنهم خطباء شعراء ، فالناسُ يَرْهَبُونَ نَظْمَهُمْ وَنَثْرَهُمْ ، وَيَهَابُونَ أَسْنَتَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ ، وَأَنْدِيَةِ الْاِحْتِفَالِ . ومعنى « وَلِحْنَانٍ مَعْرُوفٌ وَآخِرٌ مُنْكَرٌ » أنَّهُمْ اصْطِنَاعًا لِمَوَالِيهِمْ فَلَحْنُهُمْ فِيهِ لِحْنٌ مَعْرُوفٌ حَسَنٌ مَرْجُوءٌ ، وَاسْتِئْصَالًا لِمُعَادِيهِمْ فَلَحْنُهُمْ فِيهِ لِحْنٌ مُنْكَرٌ نَخُوفٌ . وفي طريقة هذا الوجه قول نُصَيْبٍ :

يُحْيُونَ بَسَامِينَ طَوْرًا وَتَارَةً يُحْيُونَ عَبَّاسِينَ شَوْسَ الْحَوَاجِبِ

وَاللَّحْنُ : الْمَعَارِيضُ ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ . وَأَصْلُهُ الْعُدُولُ وَالْمِيلُ عَنِ الظَّاهِرِ . وَإِذَا جُعِلَ ذِمًّا لِأَوْلِيكَ الْقَوْمِ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ ذُووُ وُجُوهِ فِي لِقَاءِ النَّاسِ مَخْتَلِفَةٍ ، وَأَقْوَالٍ غَيْرِ صَادِقَةٍ ، فَلِكُلِّ مِنْهُمَا مَنْطِقَانِ : أَحَدُهُمَا فِي التَّقْوِيلِ وَالتَّنْفِيقِ ، وَالْآخَرُ فِي الْبُهْتِ وَالتَّخْرِصِ ، عَرَفَهُمَا النَّاسُ فَهُمْ يَفْرَقُونَ مِنْهُمَا . وَلَهُمْ تَعْرِيزَانِ بَعْدَهَا : أَحَدُهُمَا يَعْتَادُونَهُ عِنْدَ نَكْتِ الْعَهْدِ وَنَقْضِ الْعُقُودِ ، وَقَدْ عَرَفَهُ النَّاسُ فَهُوَ مَشْهُورٌ مِنْ أَفْعَالِهِمْ ؛ وَالْآخَرُ يَتَعَاطَوْنَ عِنْدَ إِعْمَالِ حَيْلَةٍ ، وَإِمْضَاءِ غِيَلَةٍ ، فَهُوَ خَافٍ بَعْدُ مُنْكَرٌ .

٦- لِكُلِّ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ رِبَاعَةٌ وَخَيْرُهُمْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَثْرٍ

قوله « لِكُلِّ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ رِبَاعَةٌ » ، أَي لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَمْرٌ مُسْتَقِيمٌ ، وَتَدْبِيرٌ مُرَضِيٌّ ^(١) ، وَأَفْضَلُهُمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ بِحَثْرٍ بِنِ عَتُودِ .

(١) كذا في م والتميمورية والتبريزي . وفي الأصل : « مضى » أي مضى .

ويقال : ما في بني فلانٍ أحدٌ يَضْبِطُ رِبَاعَتَهُمْ^(١) غيرُ فلانٍ ، أي أمرهم وشأنهم .
والناس على رِبَاعَتِهِمْ^(٢) وِرِبَاعَتِهِمْ ، أي على استقامتهم . وِحِكِي : تركناهم على
سَكِنَاتِهِمْ وِرِبَاعَتِهِمْ ، أي على حالتهم الحسنة . ولا يُقال ذلك في غير الحسن .
وِحِكِي أيضاً : هو على رِبَاعَةِ قَوْمِهِ ، وهو ذورِ رِبَاعَةِ قَوْمِهِ ، أي سيدهم ومُدَبِّرُهُمْ .
فعلى هذا يجوز أن يكون المعنى لكلهم ذو رِبَاعَةٍ ، فحذف المضاف . ويؤيد
هذا قوله « وخيرهم في الخير والشرُّ بَحْتُرُ » . وقد حكي^(٣) في هذه الأبيات معان
غريبةٌ ففهمها^(٤) .

٢٠٨

وقال أبان بن عبدة [بن العيار^(٥)] :

١- إذا الدينُ أودى بالفسادِ فقلْ له يدَعْنَا ورأسًا من معدِّ نصادمِهِ
الدينُ يجوز أن يراد به الطاعة والائتلاف ها هنا . ومعنى أودى بالفساد :
هَلَكَ بفسادِ ذاتِ البينِ . ويجوز أن يراد به دينُ الإسلام ، ومعنى أودى
بالفسادِ أوقِعَ^(٦) بما ظهر من ولاةِ الأمر ، جعلوا الخلافةَ مُلكًا ، وفيء المسلمين
مِلكًا . وقيل أراد بالفسادِ الحربَ المعروفةَ بحربِ الفسَادِ ، وسميت بذلك لتناهي
الشرِّ والحقدِ بين أهلها ، ويقالُ إن الواحد منهم كان يَخْصِفُ نَعْلَهُ بأذنِ مقتوله
ويشرب الماءَ في قِحْفِ رأسِهِ . ويكونُ المرادُ بالدينِ في هذا الوجه ائتلافَ

(١) الرباعة ، بفتح الراء وتكسر .

(٢) الربعة ، بالتحريك ، وبفتح فكسر ، وبكسر ففتح .

(٣) م والتمورية : « جرى » .

(٤) التبريزي : « وقال ابن الحياط : يقول : لكل هؤلاء أمر وشأن ، وخيرهم بحتر ،
ولا يصلح للرياسة والسياسة ، لأنه لثيم ذئب » .

(٥) التكملة من التيمورية . وذكر التبريزي أنه في إحدى النسخ « أبان بن عبدة »

ثم قال : « عبدة بن عيار ابن مسعود بن جابر بن عمرو بن جزء » .

(٦) كذا في جميع النسخ .

العشيرة ، لأن هذه الحرب كانت في أحياء طي . والرأس : الجماعة الكنيرة . قال :

وَرَأْسِ أَعْدَاءِ شَدِيدِ أَضْمِهِ سِرْنَا إِلَيْهِ إِذْ غَزَانَا أَعْظَمَهُ^(١)
 وقوله « نَصَادِمُهُ » أى نَدَافِعُهُ ونُصَاكِهِ . فيقول : إذا ارتفعت دعوة
 الاتفاق والاتلاف من بين العشائر ، وبطلت طاعة بعضهم للبعض ، وسقط
 التعاون والتجمع [منهم^(٢)] بما يعيهم من المباينة ، ويظهر فيهم من أثر
 العقوق والمشاقفة ، فقل له ليركنا وجيشاً عظيماً من قبائل معدّ ندافعُه ونحاربُه .
 وإذا كان بيننا التوازر والتألف لم نبال بقبائل معدّ كلها . قوله « نَصَادِمُهُ »
 فى موضع الحال ، أى مُصَادِمِينَ لَهُ . وقوله « يَدَعْنَا » إن شئت قلت انجزم
 بلام الأمر وقد حذف ، كأنه قال : قل له ليدعنا . وإن شئت قلت انجزم على
 أن يكون جواب أمر محذوف ، كأنه قال : قل له دعهم يدعنا . وعلى هذا قوله
 عز وجل : ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ، كأنه قال قل لهم
 افعلوا يفعلوا .

٢ — ببيض خفاف مرهفات قواطع لداود فيها أثره وخواتمه

الباء من قوله « ببيض » تعلق بنصادمه من البيت الأول . ويعنى بها
 الشيوف . وجعلها خفافاً لسرعة الضارين بها فى أعمالها . والمرهفات : المرققات
 الحدّ ، المواضى فى الضرائب . وقال : لداود فيها خواتم ، يريد عنتها . وداود
 عليه السلام إنما سرد الدروع لما آين الله الحديد له معجزة لا الشيوف ، لكن
 القصد إلى العتق والقدم ، لا إلى الطبع والعمل . وقيل فيه إنه قدّر أن الأمر

(١) الرجز للعجاج فى ديوانه ٦٤ .

(٢) هذه من م والتمورية .

في نسبة الشيوف والذروع إلى داود على سِوَاء، لَجْهَلِهِ . والأثرُ: فِرِنْدُ السَّيْفِ .
وَذِكْرُ الخَوَاتِمِ مَثَلٌ ، أَى هى مِمَّا اتَّخِذَ فى أَيَّامِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ تَحْتَ خَوَاتِمِهِ .

٣- وَزَرْقٍ كَسْتَهَا رِيَشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ أَثْبِثْ خَوَافِي رِيَشَهَا وَقَوَادِمَهُ

٤- بِجَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ بِيَثْرِبَ أَخْرَاهُ وَبِالشَّامِ قَادِمُهُ^(١)

يَعْنَى بِالزَّرْقِ نِصَالًا مَجْلُوءَةً قُدِّذَتْ بِرِيَشِ صَقْرٍ . وَالْمَضْرَحِيُّ : الْكَرِيمُ
مِنَ الصُّقُورِ ، وَقِيلَ هُوَ مَا طَالَ جَنَاحَاهُ مِنْهَا ؛ وَتَوَسَّعَ فِيهِ فَقِيلَ لِلسَّيِّدِ السَّرِيِّ هُوَ
مَضْرَحِيٌّ . وَقَالَ « كَسْتَهَا رِيَشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ » عَلَى الْجَازِ ، لَمَّا كَانَ الْقُدْذُ مِنْ
جَنَاحِهَا . وَجَعَلَ فى الْقَوَادِمِ — وهى كِبَارُ الرِّيشِ — وَفى الخَوَافِي — وهى
صَغَارُهُ — أَثَابَةً وَجُثُولَةً ، نَفِيًّا لِلْحَرْقِ^(٢) وَالْفَسَادِ عِنهَا . وَذَكَرَ أَثْبِثًا لِأَنَّهُ
أَجْرِيٌّ مَجْرِيُّ الْفَعْلِ ، وَتَأْنِيثُ الخَوَافِي لَيْسَ بِمُحَقِّقِيٍّ . وَقَوْلُهُ « بِجَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ
فى حَجَرَاتِهِ » يَصِفُهُ بِالكَثْرَةِ — أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ لَهُ حَجَرَاتٍ ، وهى النَّوَاحِي ،
وَاحِدَتُهَا حَجْرَةٌ . وَفى الْمَثَلِ « يَرِبُضُ حَجْرَةٌ وَيَرْتَعِي وَسَطًا » — وَأَنَّ الْبُلُقَ
مِنَ الخَيْلِ عَلَى شَهْرَتِهَا إِذَا ضَلَّتْ عَن أَرْبَابِهَا فَذَهَبَتْ فى جَوَانِبِهِ لَمْ يُهْتَدَ إِلَيْهَا .
وَقَوْلُهُ « بِيَثْرِبَ أَخْرَاهُ » يَعْنَى مَدِينَةَ الرِّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . يَرِيدُ أَنَّ جَيْشَهُ
يَأْخُذُ مِنَ الأَرْضِ ، لِكَثْرَتِهِ ، مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ .

٥- إِذَا نَحْنُ سِرْنَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ تَحَرَّكَ يَقْظَانُ التُّرَابِ وَنَائِمُهُ

لَمْ يَرُضَ بِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنَ الوَصْفِ فى كَثْرَتِهِ ، فزَادَ وَقَالَ : إِذَا سِرْنَا بَيْنَ
بَيْنَ مِشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا طَبَّقْنَا الأَرْضَ بِكَثْرَتِنَا ، فَتَزَلْزَلَ لَنَا الطَّرِيقُ
الْمَسْلُوكَةَ وَغَيْرَ الْمَسْلُوكَةَ . وَالْيَقْظَانُ : مَا وُطِئَ بِالأَرْجُلِ وَسُلِكَ ، فَكَأَنَّ تُرَابَهُ

(١) كلمة « الشام » كذا وردت بالهمز في الأصل فقط .

(٢) الحرق ، بالتحريك : النسل والتقطع .

مُنْتَبِهٌ . والنائم : الذي لم يُوطأ ولم يُسَلَك ، فكان تُرَابُهُ نَائِمٌ . وقد أحسن ما شاء في الاستعارة ، والطَّباقِ بالنوم واليقظة . فأما قول زهير :
يَهْدُ لَهُ مَا دُونَ رَمَلَةٍ عَالِجٍ وَمَنْ أَهْلُهُ بِالنَّوْرِ زَالَتْ زَلَازِلُهُ^(١)
فقد حَسَّنَه التَّقسيم وإن كان شَأُوهُ مقصوراً عن شَأُوِ هذا .

٢٠٩

وقال أنيف بن حكيم النبهاني^(٢) :

١ - جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَيٍّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ كِتَابَ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نِكَالَهَا
٢ - لَهُمْ عَجْزٌ بِالْحَزْنِ فَالرَّمْلِ فَاللَّوَى وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيٍّ جَدِيسٍ رِعَالَهَا
قوله « من حَيٍّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ » أراد من حَيٍّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ فَكَتَفَى بالتوحيد عن التثنية . ومثل هذا الاكتفاء قوله في البيت الثاني « وقد جَاوَزَتْ حَيٍّ جَدِيسٍ رِعَالَهَا » لأن المراد حَيٍّ طَسَمٍ وَجَدِيسٍ فَكَتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهَا عن الآخر ، لتجاورها في الذِّكْر ، واشتارها في العُرْف . وقوله « يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نِكَالَهَا » فالإقراء : هُجْنَةٌ تَلْحَقُ مِنْ قِبَلِ الْفَحْلِ . وَخَهَّهْمُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ عنده لا يأنفون من التقصير في الحرب والنكول ، ولا يمتعضون من الانهزام والنكوص ، فالبلاء إليهم أسبق ، والنكالُ فيهم أبسط . وقوله « لَهُمْ عَجْزٌ بِالْحَزْنِ فَالرَّمْلِ فَاللَّوَى » رَتَّبَ النَّسَقَ بِالنَّسَقِ بِالنَّسَقِ مِنَ التَّعْقِيبِ بِالنَّسَقِ .
وفي الأمرِ العامِّ يُقَطَعُ الْحَزْنُ - وهو ما غلظَ من الأرض - إلى ما سهَّلَ

(١) ديوان زهير ١٤٤ .

(٢) هذه الحماسية تكرر للحماسية رقم ٣٣ ص ١٦٩ مع تخالف يسير في الرواية . وهذا سهو من أبي تمام . ومن عجب أن التبريزي لم ينتبه أيضا إلى ذلك . وقد سبق اسم الشاعر « أنيف بن حكيم » . لكن ما ورد هنا في جميع النسخ يطابق ما في التبريزي .

من الرَّمْل ، وَيُقَطَعُ الرَّمْلُ إِلَى اللّوَى ، وهو مُسْتَرْقَه . وقوله « وقد جاوزت حَيَّ جَدِيس » فإنه يعنى بلاد حَيَّ طَسْمٍ وجديس ، فحذف المضاف . والرّعال : جمع الرّعلة والرّعيل ، وهما الجماعة المتقدّمة من الجيش . والمراد أنهم لكثرتهم شغلوا ما بين هذه المواضع . ومثله ما تقدّم من قوله :

* بِيْتَرِبَ أَخْرَاهُ وَبِالشَّامِ قَادِمُهُ ^(١) *

٣- وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيْلِ حَرَشَفُ رَجَلَةٍ تَتَّاحُ لِعِرَاتِ الْقُلُوبِ نِبَالَهَا

الحرشف : الجماعة من الرّجالة . ويقال راجلٌ ورجلٌ ورجلةٌ ورجالةٌ للمشيّة على أرجلهم . وصفهم بأنّ فيهم رُمّةً وأنهم عند التّعبية تتقدّم الرّجالة الرّمّة ، وخلفهم الفرسان كالسّنْدِ لهم والإياد ^(٢) ، يمنعونهم مما يشرّدُهُم أو يغيّر نظمتهم ؛ ثم وصفهم بأنّ نبالهم تُقدّر للقلوب الغارّة ، لأنهم حذاقٌ يصيبون المقاتل . ومعنى « تتّاح » شهيّاً . ويقال تاح يتوح ويتيح ، لغتان . وأتاح الله له كذا . والعِرَاتُ : جمع غرّة ، يقال جاريةٌ غرّةٌ : غريرةٌ . ويروى « لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ » ، والمعنى ظاهر .

٤- أَيْ لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا الضِّيمَ أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالَهَا

يقول : منع لهم التّزام الضّيم . والرّضا بالدّنية ، وفور عديم ، وذلك أنّ العزّة في الكثرة . ويقال نتقت المرأة والنّاقةُ فهي تنطقُ نتوقاً ، وهي كثرة الولد وسرعة الحمل . وذَكَرَ الْعِيَالَ اسْتِعَارَةً فِي الْأَوْلَادِ ، وَاحِدُهَا عَيْلٌ ، يُقَالُ عِنْدَهُ كَذَا عَيْلًا . وَيُقَالُ عَيْلٌ وَعِيَالٌ ، وَهُوَ مُعِيلٌ وَمُعَيْلٌ ، أَيْ كَثِيرَ الْعِيَالِ . وَفَاعِلٌ أَبِي قَوْلُهُ « أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ » ، وَأَنْ يَعْرِفُوا فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ ، وَبَاقِي الْأَبْيَاتِ قَدْ تَقَدَّمَ بِتَفْسِيرِهِ ^(٣) .

(١) انظر الحماسية السابقة . (٢) الإياد : ما يؤد به الشيء ويقوى .

(٣) انظر ما سبق في الحماسية ٣٣ ص ١٧١ - ١٧٣ .

٢١٠

وقال الكروسي بن زيد^(١):

١- رَأَتْني وَمِنْ لُبْسِي الْمَشِيبُ فَأَمَلْتُ غِنَائِي فَكُونِي آمِلًا خَيْرَ آمِلٍ^(٢)
 يقول: رأيتني هذه القبيلة، وقد قنعني المشيب بخماره، ونجذني الدهر بأحدائه ومصائبه^(٣)، فَعَلَّقتُ رَجَاءَهَا بَغْنَائِي وكفايتي، وشَدَّتْ أزرَهَا لَمَّا تَفَرَّسَّتْ في نَظْرِي وشهامتي، فَتَمَوَّيْتُ أَمَلَهَا، وأكَّدتُ طَمَعَهَا، وَقُلْتُ: كُونِي آمِلًا خَيْرَ آمِلٍ. وهذا الكلام يجوز أن يكون معناه دُومِي على أَمَلِكِ وكُونِي خَيْرَ آمِلٍ، فسأصَدِّقُ ظَنِّكَ وأحَقِّقُ طَمَعَكَ. ويجوز أن يكون دعاء لها، كأنه قال: جَعَلَكِ اللهُ خَيْرَ آمِلٍ. وخير الأملين مَنْ يُبَلِّغُهُ اللهُ مَأْمُولَهُ، وَيُنْدِيلُهُ طَلِبَتَهُ وَسُؤْلَهُ. وإنما قال «كوني آملاً» ولم يقل آملةً، لأنَّ المراد كُونِي حَيًّا آمِلًا، فلم يقصد قَصْدَهَا.

٢- لَنْ فَرِحَتْ بِي مَعْقِلٌ عِنْدَ شَيْبَتِي لَقَدَفَرِحَتْ بِي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ
 ٣- أَهْلٌ بِهِ لَمَّا اسْتَهَلَّ بِصَوْتِهِ حِسَانُ الْوُجُوهِ لَيِّنَاتُ الْأَنَامِلِ
 يقول: إن كانت هذه القبيلة سُرَّتْ بِي عند كِبَرَتِي^(٤)، واستكمال رأيي

(١) شاعر إسلامي طائي. والكروس: الضخم الرأس: وهو الكروس بن زيد بن الأجدم بن مصاد بن معقل بن مالك بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيء. قال يخاصم ابن عم له لى مروان بن الحكم، وهو على المدينة:

قضى بيننا مروان أمس قضية فا زادنا مروان إلا تائبيا
 فلو كنت بالأرض القضاء لعفتها ولكن أتت أبوابه من ورائيا
 وهو أول من جاء بنجر الحرة الكوفة. وفيه يقول عبد الله بن الزبير الأسدي:
 لعمرى لقد جاء الكروس كاظما على نيا للمؤمنين وجيع

انظر المؤلف ٢٧١ ومعجم المرزباني ٣٥٦ وشرح التبريزي.

(٢) م: «غناي».

(٣) م والتميمورية: «ومصايره».

(٤) م: «كبرى». وفي التيمورية «كرايتي»، وهذه الأخيرة محرفة.

وَتَجَرَّبَتِي ، فَحَقَّ لَهَا ذَلِكَ ، فَقَدْ اسْتَبَشَّرْتُ بِي عِنْدَ وِلَادَتِي ، وَحِينَ هُنْتُ بِقَدَمَتِي . والقوَابِلُ : جمعُ القَابِلَةِ ، وهي التي تَقْبَلُ الوَلَدَ عِنْدَ الوِلَادَةِ . واللام من قوله « لَيْنٌ » دَخَلَتْ مُوَطَّئَةً لِلْقَسَمِ ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ الْمَنُويُّ « لَقَدْ فَرِحَتْ » . وهذا خِلافُ قول الآخر (١) :

وَهَيْئِي بِي قَوْمِي وَمَا إِنْ هَنَأْتُهُمْ وَأَصْبَحْتُ فِي قَوْمِي وَلَيْسُوا بِمَنْدُبِي (٢)
وقوله « أَهْلًا بِهِ لَمَّا اسْتَهَلَّ بِصَوْتِهِ » نَقَلَ اللَّفْظَ إِلَى الْغَيْبَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي حَدِيثِ نَفْسِهِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَصَارِيْفِهِمْ . يقول : تَبَاشَرْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ عِنْدَ مِيلَادِي ، فَرَفَعْنَ أَصْوَاتَهُنَّ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، كَمَا يُهَلُّ الْمَلْبِيُّ فِي الْحَجِّ ، وَالنَّاظِرُ إِلَى الْهَلَالِ ، حِينَ وَقَعَتْ عَنْ أُمِّي (٣) ، وَاسْتَهَلَّتْ بِبُكَائِي . وَإِنَّمَا وَصَفَ النِّسَاءَ بِحُسْنِ الْوُجُوهِ وَلِينِ الْأَبْدَانِ ، لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهِنَّ رَبَائِبُ نِعْمَةٍ وَذَوَاتُ نِعْمَةٍ ، لَمْ يُقَاسِينَ شَقَاءَ عَيْشٍ ، وَلَمْ يَكْتَسِبِينَ جَلَابِيبَ فَقْرٍ .

٢١١

وقال قوَالُه (٤) :

١ - قَوْلًا لِهَذَا الْمَرْءِ ذُو جَاءٍ سَاعِيًا هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِفِي الْفَرَائِضُ

قوله « ذُو جَاءٍ سَاعِيًا » ذُو بِمَعْنَى الَّذِي ، وَهِيَ لَفْظَةٌ طَائِيَّةٌ تُجِيءُ بِهِذِهِ الصُّورَةُ فِي كُلِّ حَالٍ وَلَا تُغَيَّرُ . وَقَوْلُهُ « هَلُمَّ » لَهُمْ فِيهِ طَرِيقَانِ : مِنْهُمْ

(١) هو الشنفرى الأزدي . المفضلية رقم ٢٠ .

(٢) رواية المفضليات : « وهني بى قوم » و « وأصبحت فى قوم » . وهى الرواية الصحيحة ؛ لأنه يريد بهؤلاء القوم بنى سلمان بن مفرج الذين أسروه . والنبت : الأصل ، ويقع مصحفاً فى بعض الروايات : « بمنيتى » .

(٣) م : « من أمى » .

(٤) التبريزى : « قوال الطائى » . وهو شاعر إسلامى أدرك الدولة العباسية . وقد قال هذه الأبيات فى ساع جاء يطلب إبل الصدقة ، وهو أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان . انظر الخزانة (٢ : ٢٩٦) وما سبق فى ترجمة أدهم بن أبى الزعراء . الحماسية ٢٠٠ .

من يجعله اسماً للفعل فلا يغيره عن حاله في المؤنث والتثنية والجمع ، وهم أهل الحجاز . وفي القرآن : ﴿ والقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا ﴾ . ومنهم من يجعله هاء التثنية وقد رُكِبَ مع لمٌ وهو فعلٌ ، فيثنيه ويجمعه ويؤنثه . وعلى الطريقتين جميعاً يكون ميمه مفتوحة ولا يُجرىه مجرى رُدٍّ وزرٍّ ، فيكسر آخره ويضمُّ وإن كان فعلاً ، وذلك لأن التركيب قد غيَّره فسلب بعض أحكامه . ومعنى البيت : أبلغا المرء الذي جاء والياً للصدقات ومستوفياً لها : أقبل وتعال ، فإن الذي تُعطى بدلاً من الفرائض السيفُ . وهذا في جعله المشرَّفِيَّ هو الفرائض مجازاً ، كما قال الآخر (١) :

* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ (٢) *

والفرائضُ : الأسنان التي تصلحُ لأن تؤخذَ في الصدقاتِ . والمشرَّفِيَّ : السيفُ نُسب إلى المشارف : قرى لهم كانت تطبعُ الشيوفَ فيها . وقد حُكي في المرءِ « الاسرؤُ » وقد بقي ألف الوصل مع دخول الألف واللام ، إلا أنه قليل .

٢- وإن لنا حمضاً من الموتِ مُنقَعاً وإنك مُختلٌّ فهل أنت حامضُ العربُ تقولُ : « الخلةُ خُبزُ الإبلِ والحُمضُ فاكهتها » . ومعنى مُنقَعاً ثابتاً ، يقالُ « أنقِعْ له الشرَّ حتى يسأمَ » أي أدِمهُ . والمُختلُّ : راعى الخلةَ ، وكانت الإبلُ إذا بَشِمَت الخلةَ (٣) وسُمِّمته حتى اتخمتُ منه ، نقلوها إلى الحُمضِ لتشتهي الخلةَ ثانياً . وهذا مثلٌ ضربَهُ لهذا الساعى . يقول : إنك

(١) هو عمرو بن معد يكرب . الخزانة (٤ : ٥٣) .

(٢) صدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

(٣) كذا في م والتمورية . وفي الأصل : « شبت » ، تحريف . والمعروف ، في « بسم »

أن يتعدى بالحرف ، يقال بسم من الطعام ، أي اتخمت منه ، وأبشمه الطعام .

مَلَّتِ العافية والسلامة ، فهُلِمَ إلى البلاء والشرِّ من الولاية .
 ٣- أَظُنُّكَ دُونَ المَالِ ذُو جِئْتَ تَبْتَعِي مَسْتَلْقَاكَ بِيضٌ لِلنَّفُوسِ قَوَا بِضُ
 قوله « دُونَ المَالِ » تَعَلَّقَ بِأَظُنُّكَ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ جِئْتَ ، وَلَا
 تَبْتَعِي ، لِأَنَّ « ذُو » يَطْلُبُ مِنَ الصَّلَةِ مَا يَطْلُبُهُ « الَّذِي » ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا
 فِي صِلَتِهِ لَا يَعْمَلُ فِيهَا قَبْلَهُ . وَقَالَ « ذُو جِئْتَ » وَكَانَ الْأَجُودُ أَنْ يَقُولَ :
 ذُو جَاءَ يَبْتَعِي ^(١) ، لِأَنَّهُ أُجْرِي أُجْرِي نَجْرِي الَّذِي ، فَكَمَا جُوزَ أَنْ يَقَالَ أَنْتَ الَّذِي
 فَعَلْتَ كَذَا ، وَ :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ ^(٢) *

جُوزَ فِي ذُو أَيْضًا ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُخَاطَبَ . وَالْمَالُ فِي الْأَكْثَرِ يَطْلُقُونَهُ عَلَى
 الْإِبِلِ ، عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ : الْمَالُ فِي الرَّغْبِيِّ . وَالشَّاعِرُ قَصَدَهُ فِي الْكَلَامِ إِلَى التَّهْمِ
 وَالشُّخْرِيَّةِ ، وَقَدْ خَلَطَ بِهِ التَّوَعُّدَ وَالِاسْتِهَانَةَ ، لِذَلِكَ قَالَ أَظُنُّكَ . وَقَوْلُهُ « ذُو جِئْتَ »
 فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي ^(٣) وَتَبْتَعِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَمَفْعُولُهُ حُذِفَ . وَالْمَعْنَى
 أَحْسِبُكَ الَّذِي جَاءَ دُونَ الْمَالِ تَبْتَعِي صَدَقَاتِهِ ، سَتَرِي مَا أَعَدَّ لَكَ مِنْ سُيُوفٍ
 تَنْزِعَ الْأَرْوَاحَ وَالْمُهَاجِرِينَ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ اسْتَجَازَ تَكْرِيرَ مَعْنَى وَاحِدٍ فِي بَيْتَيْنِ
 عَلَى تَقَارُبٍ بَيْنَهُمَا ، وَهَلَّا اِكْتَفَى بِقَوْلِهِ « هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرَفِيَّ الْفَرَائِضُ » ؟ قُلْتَ :
 إِنَّ قَوْلَهُ أَظُنُّكَ دُونَ الْمَالِ ذُو جِئْتَ تَبْتَعِي ، بِمَا دَخَلَهُ مِنَ التَّهْمِ وَالْوَعِيدِ ،
 وَتَكشَّفَ فِيهِ مِنَ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ ، صَارَ كَأَنَّهُ أَدَّى غَيْرَ مَا أَدَاهُ قَوْلُهُ « هَلُمَّ فَإِنَّ
 الْمَشْرَفِيَّ الْفَرَائِضُ » . وَمِثْلُهُ قَوْلُ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ :

(١) لَسْنَا نَدْرِي كَيْفَ يَكُونُ هَذَا أَجُودًا ، أَوْ كَيْفَ يَصِحُّ . فَإِنَّهُ لِأَنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَ « ذُو »
 مَفْعُولًا ثَانِيًا لِأَظُنُّكَ ، فَتَكُونُ الْعِبَارَةُ : أَظُنُّكَ ذُو جَاءَ يَبْتَعِي . وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ
 لِلْفِعْلِ « الْمَالِ » . وَأَمَّا الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِأَظُنُّكَ فَهُوَ جَمَلَةٌ « سَتَلْقَاكَ » . فَهَذِهِ زَلَّةٌ مِنْ زَلَاتِ أَبِي عَلِيٍّ .

(٢) لَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . انْظُرْ ٤٠٧ ، ٦١١ وَحَوَاشِي ١١٥ .

(٣) هَذَا مَا فَهَمَهُ الْمَرْزُوقِيُّ . وَالصَّوَابُ أَنَّهُ صَفَةُ لِلْعَمَلِ ، كَمَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ .

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طيبٌ
 إذا شاب رأسُ المرء أو قلَّ ماله فليس له في ودهن نصيبٌ
 يردن ثراء المال حيث علمنه وشرح الشباب عندهن عجبٌ
 ألا ترى أنه لم ير المعنى متكرراً في البيتين ، لما كان أحدهما يشتمل من
 الاستيفاء والبيان على ما لم يشتمل عليه الآخر .

٢١٢

وقال وضاح بن إسماعيل^(١) :

١ - صبا قلبي ومال إليك ميلاً وأرقني خيالك يا أثيراً
 ٢ - يمانية تلم بنا فتبدي دقيق محاسن وتكن غيلاً
 يقال صبا قلبي يصبو صبوا وصبوا . والصبوة : جهل الفتوة . يقول :
 أسهرني خيالك ، وانعدل قلبي عن وجهه وطيبته ، ذهاباً فيك ، وميلاً إليك .
 ثم أخذ يصف الخيال فقال : هي تأتيني من ناحية اليمن ، فتزور زيارة خفيفة
 لا لبث معها ولا تمكث فأتمتع بها ، وتبدي لي في إمامها ما دق من محاسنها
 كالعين والأنف والأسنان والفم ، وتستر ما جل منها كالمعصم والساعد والساق

(١) وضاح : لقب غلب عليه لجماله وبهائه ، ويقال له أيضاً « وضاح اليمن » . وفي الأغاني : « كان وضاح اليمن ، والمقنع السكندی ، وأبو زيد الطائي يردون مواسم العرب مقنعين يسترون وجوههم خوفاً من العين ، وحذرا على أنفسهم من النساء ، لجمالهم » . واسمه عبد الرحمن ابن إسماعيل بن عبد كلال بن داود بن أبي جمد ، وهو من شعراء الدولة الأموية . ويزعم الرواة أن أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان — وهي زوجة الوليد بن عبد الملك — كانت تعشقه وأنها أرسلت إليه وإلى كثير في حجة لها أن ينسبها ، فأما كثير فهاب ذلك وامتنع ، وأما وضاح فنسب بها ، فبلغ ذلك الوليد فطلبه فقتله .

وهذه الحماسية التي يقولها وضاح هي من إحدى القصائد التي مدح بها الوليد بن عبد الملك قبل أن يجفوه الوليد . الأغاني (٦ : ٣٠ — ٤٤) .

والفَخِذِ ، فَأَسْهَرَ . كَأَنَّهُ رَأَاهَا فِي الْمَنَامِ عَلَى مَا كَانَ يَرَاهَا فِي الْيَقْظَةِ خَرَادَةً^(١) وَحَيَاءً . وَيُقَالُ مِعْصَمٌ غَيْلٌ ، وَسَاعِدٌ غَيْلٌ ، أَيْ مَمْتَلَىٌّ مِنَ اللَّحْمِ غَلِيظٌ . وَالْحَاسِنُ قَيْلٌ لَا وَاحِدَ لَهَا ، وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ الْمَسَاوِي وَالْمَذَا كِيرٌ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : وَاحِدُهَا مَحْسِنٌ ، وَهِيَ الْمَوَاضِعُ الْحَسَنَةُ . يُقَالُ : امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الْحَاسِنِ .

٣ - ذَرِينِي مَا أَمَّنَ بَنَاتِ نَعْشٍ مِنْ الطَّيْفِ الَّذِي يَنْتَابُ لَيْلًا^(٢)

يَسْتَعْنِي مِنْ خِيَالِهَا لِاسْتِغَالِ قَلْبِهِ بِالْغَزْوِ . وَالِاسْتِعْفَاءُ فِي الْحَقِيقَةِ مِنَ الْحُبِّ الَّذِي يَصَوِّرُهَا فِي فِكْرِهِ حَتَّى يَحْلُمُ بِهَا . وَقَوْلُهُ « مَا أَمَّنَ » الضَّمِيرُ لِلْخَيْلِ وَلَمْ يَجْزِ لَهَا ذِكْرٌ ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ . وَمَوْضِعُ « مَا أَمَّنَ » نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ ، أَيْ مُدَّةَ أَمَّيَّهَا ، لِأَنَّ مَا مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ مَصْدَرِ حُذِفَ اسْمُ الزَّمَانِ مَعَهُ . وَبَنَاتِ نَعْشٍ مِنَ الْكَوَاكِبِ الشَّامِيَّةِ ، وَكَانَ غَزْوُهُ نَحْوَ الرُّومِ . وَالْمَعْنَى : أَعْنِينِي مِنَ الصَّبَا وَاللَّهُوِ ، وَشَغَلِ الْقَلْبَ بِالْحُبِّ وَالْعِشْقِ ، مَا دَمْتُ فِي هَذَا الْوَجْهِ ، وَقَاصِدًا نَحْوَ الْغَزْوِ . وَلَيْلًا ، انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ ، كَأَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ النَّهَارَ ، فَإِذَا نَزَلَ لَيْلًا وَنَامَ أَرَفَهُ الْخَيْالُ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « يَا تَابُ لَيْلًا » وَهُوَ يَفْتَعِلُ مِنَ الْأَوْبِ ؛ وَيَنْتَابُ أَوْجَهَ فِي النَّقْدِ وَأَحْسَنَ .

٤ - وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتِ فَهَيِّجِينَا إِذَا رَمَقْتِ بِأَعْيُنِهَا سُهَيْلًا

يَقُولُ : إِنْ أَرَدْتِ تَشْوِيقَنَا إِلَيْكَ ، وَتَذَكِيرَنَا بِكَ ، فَلْيَكُنْ عِنْدَ مُنْصَرَفِنَا مِنَ الْغَزْوِ ، وَقَتُونَا مِنْ هَذَا الصُّقْعِ ، وَحِينَ تَنْظُرُ خَيْلَنَا إِلَى سُهَيْلٍ . وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ سُهَيْلًا مِنَ الْكَوَاكِبِ الْيَمَانِيَّةِ . لِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ^(٣)

(١) المعروف أخرت إخراداً ، بمعنى استجيت .

(٢) التبريزي : « ما أمت » ولكن في شرحه « ما آمن » كما هنا .

(٣) هذه تورية منه . والثريا هذه هي الثريا بنت عبد الله بن الحارث صاحبة عمر وسهيل هذا ، هو سهيل بن عبد العزيز . الأغاني (١ : ٩٠) .

هي شاميّةٌ إذا ما استَقَلَّتْ وسُهَيْلٌ إذا استَقَلَّ يَمَانِ

ومثل قولِ وضاحٍ ما قاله المتلمس ، وهو :

فَلْتَتَرُ كَنَّهُمْ بِلَيْلٍ نَاقِي تَدَعُ السَّمَاءَ وَتَقْتَدِي بِالْفَرَقْدِ^(١)

والسَّمَاءُ من قِبَلِ المَشْرِيقِ ، والفَرَقْدُ من قِبَلِ الشَّامِ .

٥ - فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتِ الخَيْلَ تَعْدُو عَوَابِسَ يَتَخِذْنَ النَّقْعَ ذَيْلًا

٦ - رَأَيْتِ عَلَى مُتُونِ الخَيْلِ جِنًّا تُفِيدُ مَغَانِمًا وَتُفَيْتُ نَيْلًا

يَصِفُ الغَزْوَ ومِلاقاةَ العَدُوِّ ، وَأَنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ التَّصَابِي والتَّبَطْلُ ، وَلَا يَصْلُحُ

المُسْتَعْلِي بِهِ التَّشْوِيقُ والتَّغْزِيلُ ، فيقول : لَوْ رَأَيْتِ الدَّوَابَّ عَادِيَةً بِفُرسَانِهَا وَقَدْ

تَكَلَّحَتْ لِاشْتِدَادِ الحَالِ عَلَيْهَا ، وَسَحَبَتْ ذَيْلًا مِنَ الغُبَارِ لِتَنَاهِي شِدَّهَا ، لَرَأَيْتِهَا

كَأَنَّ عَلَيْهَا جِنًّا لَا رِجَالَ ، تَسْتَفِيدُ المَغَانِمَ مِنْ أَعْدَائِهَا . وَتُفَيْتُهُمْ نَيْلَ شَيْءٍ مِنْهَا .

وهذا كما قيل « يَسْبِقُ إِنْ طَلِبَ ، وَيَلْحَقُ إِنْ طَلَبَ » ، وَيَشْهَدُ لِأَفَادِ وَأَنَّهُ

يَكُونُ بِمَعْنَى اسْتِفَادِ قَوْلِ الآخِرِ^(٢) :

فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُووُ الغِنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

٢١٣

وقال آخر^(٣) :

١ - لَا قُوَّتِي قُوَّةُ الرَّاعِي قَلَانِصُهُ يَاوِي فَيَاوِي إِلَيْهِ الكَلْبُ^(٤) والرُّبْعُ

٢ - وَلَا العَسِيفَ الَّذِي يَسْتَدُّ عُمْبَتَهُ حَتَّى يَبِيدَ وَبَاقِي نَعْلِهِ قِطْعُ

(١) في ديوان المتلمس ٦ مخطوطة الشنقيطي : « تدر السماء وتهتدي » .

(٢) هو بشار ، أو ابن الحياط ، أو أبو البريان . سمط اللآلي ٣١٠ . وقيل :

لمست بكفى كفه أتبعي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدى

(٣) لم يعرفه شراح الحماسة . وهو وضاح اليمين ، صاحب الحماسية السابقة . انظر الحيوان

(١ : ٢٦٥) وشروح سقط الزند ٢٠٦ .

(٤) رواية الجاحظ : « الراعي ركائبه » .

أَخَذَ أَبُو تَعَامٍ هَذَا الْمَأْخَذَ فِي قَوْلِهِ :

وَالصَّبْرُ بِالْأَرْوَاحِ يُعْرَفُ فَضْلُهُ صَبْرُ الْمُلُوكِ وَلَيْسَ بِالْأَجْسَادِ

يقولُ : ليس غِنَائِي فِي الْأُمُورِ وَكِفَايَتِي غِنَاءَ الرُّعَاةِ الَّذِينَ سَعَيْهِمْ وَكَدُّهُمْ مَقْصُورَانِ عَلَى ضَمِّ الْقِلَاصِ وَحِفْظِهَا فِي مَرَاعِيهَا عِنْدَ سَرْحِهَا وَإِرَاحَتِهَا ، فَإِذَا أَوَى إِلَى مَوْضِعٍ أَوَى إِلَيْهِ كَلْبُهُ الَّذِي يَحْرُسُ بِهِ وَرُبْعُهُ . وَالرُّبْعُ : مَا نَتَجَّحَ فِي الرَّبِيعِ . وَقَوْلُهُ « وَلَا الْعَسِيفِ » انْعَظْ عَلَى الرَّاعِي . يُرِيدُ : وَلَا قُوَّتِي قُوَّةَ الْعَسِيفِ . فَالْعَسِيفُ : الْأَجِيرُ وَالْعَبْدُ الْمُسْتَهَانُ بِهِ ، الْمُتَمَتِّنُ فِي الْعَمَلِ . يُقَالُ : كَمِ أَعْسِفُ عَلَيْكَ ، أَي كَمِ أَعْمَلُ لَكَ . وَقَوْلُهُ « يَشْتَدُّ عُقْبَتَهُ » انْتَصَبَ عُقْبَتَهُ عَلَى الظَّرْفِ ، أَي وَقْتُ عُقْبَتِهِ ، كَأَنَّهُ يَمَاقِبُ الرَّكُوبَ غَيْرَهُ . يُقَالُ هُمَا يَتَعَاقَبَانِ لِلرُّكُوبِ بَيْنَهُمَا ، أَوْ الْأَمْرِ يُرَكَّبُ هَذَا عُقْبَةً وَهَذَا عُقْبَةً . وَالْعُقْبَةُ قِيلٌ فَرَسَخَانٌ . وَيَشْتَدُّ : يَفْتَعِلُ مِنَ الشَّدِّ : الْعَدُوِّ . وَبَعْضُهُمْ يَرُويهِ « تَشْتَدُّ عُقْبَتُهُ ^(١) » بِالرَّفْعِ ، وَيَجْعَلُ تَشْتَدُّ مِنَ الشَّدَّةِ ، أَي تَشْتَدُّ عُقْبَتُهُ عَلَيْهِ ، وَالصَّوَابُ مَا قَدَّمْتُهُ . وَالْمَعْنَى : وَلَا غِنَائِي أَيْضاً غِنَاءَ الْأَجِيرِ الَّذِي يَعْدُو فِي عُقْبَتِهِ وَوَقْتُ عُقْبَتِهِ ، وَلَيْسَ يُرِيدُ أَنَّ لَهُ عُقْبَةً فَيَتَرُكُهَا وَيَعْدُو ، لَكِنِ الْمَعْنَى إِذَا كَانَ لغيرِهِ نَوْبَةٌ فِي الرُّكُوبِ لِمَعَاقِبَتِهِ صَاحِبَهُ ، فَنَوْبَتُهُ الشَّدُّ وَالْخِدْمَةُ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهِ الْمَسَاءُ وَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ حِذَائِهِ . وَقَوْلُهُ « وَبَاقِي نَعْلِهِ قِطْعٌ » فِي مَوْضِعِ خَبَرِ يَدْبِيتُ ، تَقْدِيرُهُ : حَتَّى يَبِيتَ مُنْقَطِعَ بَاقِي النَعْلِ .

٣ — لَا يَحْمِلُ الْعَبْدُ فِينَا فَوْقَ طَاقَتِهِ وَنَحْنُ نَحْمِلُ مَا لَا تَحْمِلُ الْقَلْعُ

يقولُ : الْعَبْدُ الْمُسْتَعْدِمُ فِينَا لَا نُكَلِّفُهُ إِلَّا دُونَ مَا يُطِيقُهُ ، إِهْبَاءً عَلَيْهِ ، وَتَرَةً كَأَنَّ لاسْتِنْفَادِ وَسْعِهِ ، وَنَحْنُ نَحْمِلُ مِنْ مَسَاقِ الْأُمُورِ ، وَمُنْقِلَاتِ الْأَعْبَاءِ

(١) وهي رواية الجاحظ أيضا .

مالا تطيقه الجبال . والقَلْعُ : جمع قَلْعَةٍ ، وهى الهضابُ العِظَامُ ، وبها سُمِّيَ الحِصْنُ المُنْبَنَى عَلَى الجِبَلِ قَلْعَةً^(١) . ويقال أَقْلَعُ فلانٌ قِلاَعاً^(٢) ، إذا بناها ؛ وبها سُمِّيَتِ السَّحَابُ العِظَامُ قَلْعاً أيضاً .

٤ — مِنَ الأَنَاةِ وَبَعْضُ القَوْمِ يَحْسَبُنَا أَنَا بَطْلًا ، وَفِي إِبْطَانِنَا سِرْعُ الأَنَاةِ : الرَّفْقُ . يقول : نَسْتَأْنِي فِي الأُمُورِ فِعْلَ الحَازِمِ ذِي الرَأْيِ السَّدِيدِ ، وَالتَّأْمَلِ اللَّطِيفِ ، الَّذِي يَنْظُرُ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ ، فَيَدْرِي كَيْفَ يُورِدُ وَيُصْدِرُ ، وَيُبْرِمُ وَيَنْقُضُ ، وَلَا نَتَهَجَّمُ فِيمَا نَزَاوَلُهُ فِعْلَ العَجُولِ الأَخْرَقِ الَّذِي لَا يَتَّبِعُ العَوَاقِبَ ، وَلَا يَتَجَنَّبُ المَقَابِحَ ، فَلَا يُبَالِي أَيًّا يَأْخُذُ وَيَدَعُ . وَكثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ بِنَا تَبَاطُؤًا فِي المِهْمَاتِ وَتَشَاؤُلًا ، وَالَّذِي يَعْدُونَهُ بُطْأًا فَهُوَ سَرْعَةٌ ، لِأَنَّا نَتْرُكُ كُلَّ مَا نَتَوَلَّاهُ مَفْرُوعًا مِنْهُ مُحْكَمًا ، لَا تَفَاوُتُ فِيهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى اسْتِثْنَاءٍ تَدْبُرُ ، وَاسْتِحْدَاثٍ نَظَرٍ وَتَدْبَعِ .

٢١٤

وقال عمرو بن مخلد الكلبى^(٣) :

١ — وَيَوْمَ تَرَى الرَّاياتِ فِيهِ كَأَنَّهَا حَوَائِمُ طَيْرٍ مُسْتَدِيرَةٍ وَوَأَقِعُ

(١) يقال هذا بفتح اللام وإسكانها .

(٢) هذا ما فى الأصل والتمورية . ونحوه فى التبريزى : « ويقال أقلع فلان قلعة إذا بناها » لکن فى م : « إقلاعا » . وفى اللسان : « وأقلموا بهذه البلاد إقلاعا بنوها فجعلوها كالقلعة » . (٣) التبريزى : « الكلابى » ، والصواب أنه كلبى ، من بنى تيم اللات بن ربيعة ابن كلب . الطبرى (٧ : ٤٢) والاشتقاق ٣١٤ والأغانى (١٧ : ١١٢) . ويقال له « ابن مخلد الحمار » أيضا ، و « ابن مخلد » . وهو شاعر إسلامى جزرى ، كما ذكر المرزبانى فى معجمه ٢٤١ . وكان مداحا لبنى مروان . والشعر يقوله فى يوم صرح راهط وكان ذلك سنة ٦٥ . انظر معجم البلدان والأغانى (٩ : ٣٥ / ١٠ : ١٥٣ / ١٤ : ١١٦ ، ١١٨ / ١٧ : ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ / ١٩ : ١٠٩) والميدانى (٢ : ٣٦٧) وكتب التاريخ فى حوادث سنة ٦٥ . وأبيات هذه المقطوعة روى منها أبو الفرج ١ ، ٣ ، ٥ ، وزاد بيتين أحدهما بعد الأول ، وهو :

مضى أربع بعد اللقاء وأربع وبالمرج باق من دم القوم ناعم =

- ٢ - أَصَابَتْ رِمَاحُ الْقَوْمِ بِشَرِّ أَوْثَابَتِهَا وَحَزْنَا وَكَلَّ لِلْعَشِيرَةِ فَاجِعٌ^(١)
 ٣ - طَعَنَّا زِيَادًا فِي أَسْتِهِ وَهُوَ مُدْبِرٌ وَثُورٌ أَصَابَتْهُ السِّيُوفُ الْقَوَاطِعُ^(٢)
 ٤ - وَأَدْرَكَ هَمَامًا بِأَبْيَضِ صَارِمٍ فَتَى مِنْ بَنِي عَمْرِو طَوَالَ مُشَايِعٍ^(٣)
 ٥ - وَقَدْ شَهِدَ الصَّفَيْنِ عَمْرُو بْنُ مُحْرِرٍ فَضَاقَ عَلَيْهِ الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ وَاسِعٌ^(٤)

الرايات : الأعلام . والحوائم : جمع حائمة ، وهي العطاش من الطيور تحوم حول الماء . وحوامانها : دورانها ؛ فكثير استعماله حتى صار كل عطشان حاماً . ويروي : « عوائف طير » . وقوله « مستدير وواقع » بدل من حوائم ، وجعل الريات بعضها جائل في الجوى دائر ، وبعضها ساقط ، لأن المنهزمين تسقط أعلامهم فتتخفض ، والظافرين تثبت أعلامهم فتخفق . وقوله « وكل للعشيرة فاجع » ، أي كل واحد من المذكورين رئيس عشيرة قد فجعوا به . والشاعر يذكر وقعة المرج مرج راهط - وراهط رجل من قضاة في الجاهلية الأولى - واجتمع به المروانية ، وهم الذين دعوا إلى مروان بن الحكم ، وهم كلب وعبس وغيرهم من قبائل اليمن . والزبيرية ، وهم الذين دعوا إلى ابن الزبير ،

= والآخر بعد الثالث ، وهو :

ونجى حبشاً ملهب ذو علالة وقد جذ من يديه الأصابع
 وروى المرزباني البيت الخامس من هذه الحماسية فقط ، وزاد بعده :
 فلن ينصب القيسي للناس راية من الدهر إلا وهو خزيان خاشع

- (١) في الأصل : « بالعشيرة » وأثبتنا ما في م والتميمورية .
 (٢) هو زياد بن عمرو العقيلي ، كما ذكر التبريزي ، وكما سيأتي . وأما ثور فهو ثور ابن يزيد السلمي ، كما ذكر الطبري . وروى المرزباني : « وهو هارب » .
 (٣) التبريزي : « عمرو بن محرز من أشجع » وقال أيضاً : « ووضع طوال مع مشايح ردى في صنعة الكلام ، لأن الطوال ليس من المشايخ بقريب » .
 (٤) الصفيين ، مثنى صف ، كما نص التبريزي ، وهي تطابق رواية م والتميمورية . وفي الأصل : « الصفيين » بكسر الصاد والفاء المشددة ، على أنها صفيين السكان المشهور . قال التبريزي « وهو تصحيف » .

وهم قَيْسٌ ومن تبعَهُمْ ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الدَّبْرَةُ^(١) على القَيْسِيَّةِ
ورئيسُهُم زُفَرُ بن الحارِثِ ، ومعَهُم الضَّحَّاكُ بن قَيْسٍ . ولهذا قال الشاعر :

فَمَنْ يَكُ قَد لاقى من المَرَجِ غِبْطَةً فكان لَقَيْسٍ فيه خاصٍ وجادِعُ^(٢)
وقوله « طعمنا زياداً في استه » ، فهو زياد بن عمرو العُقَيْلِي . وقوله « وهو مدر »
أى مُولٍ منهزمٍ . ويجوز أن يكون من الإِدبار ، لتركه الرَّأْيِ حتَّى بُلِيَ بِمَا بُلِيَ .
وعمرُو بن مُحْرِزٍ من أشجع^(٣) . وقال : ضاقَ عليه المَرَجُ على سَعَتِهِ ، لأنَّه كان
مَغْلُوباً مَطْلُوباً . ويقالُ ضاقَ بفلانِ الفِضَاءَ . والمُشايِعُ : المُقَوِّى لأصحابه المُتابعِ
لهم . وجعلَه طُوالاً لأنَّهُم يستحبُّون تمام الخلق ، وامتدادَ القامة . وقوله « وثورٌ
أصابتهُ السُّيُوفُ القواطِعُ » ، رفعَ ثوراً لأنَّ الفِعْلَ بَعْدَهُ شغِلَ عنه ، وإن نَصَبَهُ
طَلَباً للمطابقة إذ كان في الجملة التي قبْلَه منصوبٌ كان أحسنَ .

٢١٥

وقال زُفَرُ بن الحارِثِ^(٤) :

١ - أفي الله أمّا بحدلٍ وابنُ بحدلٍ فيحياً وأمّا ابنُ الزُّبَيْرِ فيمقتلُ

كان معاويةُ بن أبي سفيانٍ لما جعل ابنه يزيدَ وليَّ عَهْدِهِ بايعةُ الناسُ

(١) الدبرة ، بالفتح : العاقبة السيئة ، أى الهزيمة . فى الأصل : « الدعوة » ،

صوابه فى م والتميمية .

(٢) جعل التبريزى هذا البيت من أبيات هذه الحماسية . لكن نسخ المرزوقى نجعلها

من الشواهد فحسب ، ولذلك لم يعلق عليه بشيء من التفسير أو التوضيح . والذى أوجب
هذا اللبس عند التبريزى موافقة هذا البيت لسائر الأبيات فى الوزن والروى والموضوع .
والخاصى : قاطع الحمصية . والجادع : قاطع الأنف أو الأذن ونحوها . والمراد بذلك
الإذلال والقهر .

(٣) فى الأصل : « من أشجع الناس » وكلمة « الناس » مقحمة ، والصواب فى م

والتميمورية . وذكر التبريزى من أولاده زياد بن عمرو بن محرز الأشجعى . وهم بنو أشجع بن
ريث بن غطفان .

(٤) سبقت ترجمته فى الحماسية ٢٨ .

إِلَّا الْحَيَّ^(١) مِنْ قَيْسٍ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: وَاللَّهِ، مَا نُبَايِعُ ابْنَ الْكَلْبِيَِّّةِ - وَذَلِكَ أَنْ
 أُمَّ يَزِيدَ مَيْسُونُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ بَحْدَلِ الْكَلْبِيِّ - فَصَارَ فِي نَفْسِ يَزِيدَ لَقَيْسٍ
 ذَلِكَ ضِغْنًا وَحِقْدًا، وَابْتَدَأَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي أُمِّيَّةَ، فَلَمَّا هَلَكَ يَزِيدُ اسْتُخْلِفَ
 ابْنُهُ مَعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ، وَأُمُّهُ كَلْبِيَّةٌ أَيْضًا، وَصَارَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ بَحْدَلِ أَخُو
 مَيْسُونَ وَخَالَ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ كَالْمَلِكِ لِلأَمْرِ، فَكَانَتْ خِلاَفَتُهُ أَيَّامًا قَلِيلَةً،
 وَتَحَرَّكَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَاضْطَرَبَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ فِي الأَمْرِ اضْطِرَابًا شَدِيدًا،
 وَصَارَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ تَارَةً وَإِلَى مَنْ يَخْتَارُونَهُ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ أُخْرَى، حَتَّى
 قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَا النَّاسُ إِلَّا بِحَدَلِيٍّ عَلَى الْهَوَىٰ وَإِلَّا زُبَيْرِيٌّ عَصَى فَتَزَبَّرَا

إِلَى أَنْ وَقَعَ الأَخْتِيَارُ عَلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَلَمَّا قَامَ بالدَّعْوَةِ صَارَتْ
 البَحْدَلِيَّةُ مَعَهُ، فَسُمُّوا مَرْوَانِيَّةَ، وَصَارَ السَّبَبُ فِي حَرْبِ قَيْسٍ وَتَغْلِبِ أَنْ
 صَارَتْ قَيْسُ زُبَيْرِيَّةَ وَتَغْلِبُ مَرْوَانِيَّةَ، فيقول زُفَرُ بْنُ الحَارِثِ وَهُوَ رَئِيسُ
 قَيْسٍ «أَفِي اللهُ» يَرِيدُ: أَفِي ذَاتِ اللهِ وَمَرْضِيَّ حُكْمِهِ أَنْ يُطَلَّبَ حَيَاةُ ابْنِ بَحْدَلِ
 وَالمْتَعْصِبَةُ لبْنِي أُمِّيَّةَ وَمَرْوَانَ وَعَبْدَ المَلِكِ ابْنِهِ، وَيُطَلَّبَ قَتْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ
 مَعَ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ وَسَابِقَتِهِ. وَهَذَا الكَلَامُ تَقْرِيعٌ لِلنَّاسِ وَإِكْبَارٌ لِلأَمْرِ. وَقَوْلُهُ
 «أَمَّا بَحْدَلٌ» حُكْمٌ أَمَّا أَنْ يَنْقَطِعَ عَمَّا قَبْلَهُ، وَلِهَذَا عُدَّ مِنْ حُرُوفِ الأَبْتِدَاءِ،
 وَلأنَّهُ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الجَزَاءِ وَالجَزَاءَ لَهُ صَدْرُ الكَلَامِ، إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَأَنَّهُ
 قَالَ: أَفِي اللهُ هَذِهِ القِصَّةُ وَهَذَا الأَمْرُ وَالشَّأْنُ. وَقَوْلُهُ «فِيحْيَا» فَأخْبَرَ عَنْ أَحَدِ
 الأَسْمِينَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ فِي مِثْلِ حَالِهِ. وَفِي القُرْآنِ: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
 أَنْ يُرْضَوْهُ﴾.

(١) وَكَذَلِكَ فِي م وَالتِيمُورِيَّةِ. وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ حَيْثُ نَقَلَ كَلَامَ المَرْزُوقِيِّ بِدُونَ نِسْبَةٍ:

«إِلَهَذَا الْحَيَّ».

٢- كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَقْتُلُونَهُ وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمَ أَغْرُهُ مُحَجَّلٌ

إنما قال « كذبتكم » لأن الذي أنكره منهم وقرعهم عليه كان خبيرا .
ويجوز أن يكون المعنى : كذبتكم أنفسكم حين حدثتموها بما لا يقيم لكم .
وقوله « لا تقتلونه ولما يكن يوم » ، يقول : لا تقدرون قبل أن يكون لنا
عليكم يوم مشهور على قتله ، وإذا عجزتم قبله ففي مستقبل الزمان بعده أنتم
أعجز ، وعن أمنيتكم وترجيم ظنكم أبعد .

٣- وَلَمَّا يَكُنْ لِلْمَشْرِفِيَةِ فَوْقَكُمْ شُعَاعُ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ تَرَجَّلُ

قرن الشمس : أول ما ظهر منها . والترجل ، قالوا : إذا ارتفعت الضحى
وانبسطت الشمس ولم يشتد حرها فذاك الترجل . وقال ابن الأعرابي : الترجل
قبل المتوع ، والمتوع قبل انتصاف النهار . وأنشد لمزرد :

فأصبح كالدّهقان لما بداهُ من الشمس إشراقاً ولما ترجل
وبين بالشرط الثاني غرضه في تعجيزهم ، وأن الذي يريدونه من قتله
لا يتم أبداً لهم ، ولا يدخل تحت مقدورهم (١) .

٢١٦

وقال حسان بن الجعد (٢) :

١- أبلغ بني خازم أني مفارقهم وقائل لجمالي غدوة بيني

٢- إني امرؤ غرض من كل منزلة لا شدتي تبغني فيها ولا إيني

(١) هذا ما توقعه الشاعر ، ولكن أتت الأقدار بخلاف ما قدر ، فقد لقي عبد الله
ابن الزبير حنقه بيد الحجاج ، إذ أسره وصلبه بمى منكوسا سنة ٧٣ .
(٢) شاعر إسلامي كما يتضح من ذكر علاقته بعبد الله بن خازم . وكان عبد الله بن خازم
أميرا لحراسان ، ولى امرتها لبني أمية ، فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه ابن خازم بطاعته ، فأمره
على خراسان ، ثم ثار به أهل خراسان فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك ٧٢ .

هذا الشاعر خرج إلى عبد الله بن خازم راغباً في جواره والكون في جملته فلم يُخمدُهُ وانصرفت عنه ، وقال : لِيُبَلِّغَ هَذَا الرَّجُلُ وَذَوُوهُ أَنِّي مَرْتَحِلٌ وَنَافِضٌ يَدِي مِنْهُ ، وَحَامِلٌ إِلَيَّ عَلَى مُفَارَقَةِ أَرْضِهِ ، وَمُظْهِرٌ الزُّهْدَ فِي صُحْبَتِهِ ، لِأَنِّي أَجْتَوِي كُلَّ مَنزِلَةٍ لَا تَمَسُّ حَاجَتَهَا إِلَى كَوْنِي بِهَا ، وَأَنْتَوِي الْبُعْدَ عَنْ كُلِّ جَنبَةٍ لَا تَشْتَدُّ رَغْبَتَهَا فِي إِقَامَتِي فِيهَا ، كَمَا أَنِّي أُجْبِرُ بِجَوَارِكُلِّ مَنْ اعْتَقَدَ الْغِنَى عَنْ رَأْيِي وَغَنَائِي ، وَخَشَوْنِي وَلِينِي . وَيُقَالُ : غَرَضْتُ مِنْ كَذَا ، إِذَا مَلَلْتَهُ ؛ وَغَرَضْتُ إِلَى كَذَا ، إِذَا اشْتَقَقْتَهُ . فَهُوَ كَمَا يُقَالُ رَغِبْتُ فِيهِ وَرَغِبْتُ عَنْهُ .

٢١٧

وقال القتال الكلابي^(١) :

١ - إِذَا هَمَّ هَمَّ لِمَ يَرِ اللَّيْلُ غُمَّةً عَلَيْهِ وَلَمْ تَضْعُبْ عَلَيْهِ الْمَرَكَبُ^(٢)

يصفه بالإقدام والتشمير ، وحسن النفاذ في الأمور ، وأنه متى ما وقع في نفسه أمرٌ فهمَّ به اقتعد الليل ولم يعده حائلاً دون مراده ، ولا مانعاً عن قصده ومراده ، حتى يصير رُكوبه غُمَّةً ، وما يتصور من هوله شدة تدفع في الصدر ، وتحلى عن الورد ، ولم يشق عليه المراكب ، ولا يستكره فيه المصاعب . ويقال : هو في غُمَّةٍ من أمره ، أي حيرةٍ وظلمةٍ . وأصل الغم^(٣) التغطية .

٢ - قَرَى الْهَمَّ إِذْ ضَافَ الزَّمَاعَ فَأَصْبَحَتْ مَنَازِلُهُ تَعْتَسُ فِيهَا الثَّعَالِبُ

يقول : يجعل قرى همّه إذا اعتراه ، النفاذ والعزيمة ، والإجماع فيه

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٢ ص ٢٠١ .

(٢) هذا ما في م والتمورية والتبريزي . وفي الأصل : « ولم يصعب » .

(٣) هذا الصواب من م والتمورية والتبريزي . وفي الأصل : « الغمة » .

والصَّريمة ، فترى منازله تستبدلُ بسكَّانها وحشاً تعتسُ فيها ، ويعتاضُ هو من الدَّعةِ والخفضِ تعباً يمتطيه ، ودُّهوباً يستمرُّ فيه . والاعتساسُ : الاختلاف بالليل . ويقال : عَسَّ واعتسَّ ، ومنه أخذ العَسَسُ . وفي المثل الجارى « كَلْبُ عَسَّ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَبَضَ » .

٣ — جَلِيدٌ كَرِيمٌ خَيْمُهُ وَطِبَاعُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا تُدْنِي عَلَيْهِ الضَّرَائِبُ يُقَالُ هُوَ جَلْدٌ وَجَلِيدٌ بِمَعْنَى . وَالخَيْمُ . الطَّبِيعَةُ ؛ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : أَصْلُهُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ . وَالطَّبَاعُ : مَا طَبَعَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي مَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ . وَالضَّرَائِبُ : جَمْعُ الضَّرِيْبَةِ ، وَهِيَ الْخَلِيقَةُ . وَيُقَالُ : لَيْسَ لِفُلَانٍ ضَرِيْبٌ ، أَيْ شَبِيهِ ، وَهُوَ كَرِيمُ الضَّرِيْبَةِ . فَيَقُولُ : هُوَ قَوِيٌّ الْجَأْشِ ، مَرْضِيٌّ الطَّبِيعَةِ ، وَقَدْ جُبِلَ فِي كُلِّ مَا يُسْتَشْفَى مِنْ أُمُورِهِ عَلَى أَحْسَنِ مَا تُجْبَلُ عَلَيْهِ النَّفُوسُ وَالْأَخْلَاقُ .

٤ — إِذَا جَاعَ لَمْ يَفْرَحْ بِأَكْلَةِ سَاعَةٍ وَلَمْ يَبْتَئِسْ مِنْ فَقْدِهَا وَهُوَ سَاغِبٌ أَحْسَنَ حَاتِمٌ طَيِّبٌ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ حِينَ قَالَ :

غَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصَعُّكِ وَالغِنَى فَكَلَّمَا يُسْقَى بِكَأْسَيْهِمَا الدَّهْرُ^(١)
فَمَا زَادَنَا بَغِيًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانَا وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ^(٢)

وَالشَّاعِرُ يَصِفُ كَرَمَ نَفْسِهِ وَحُسْنَ صَبْرِهِ عَلَى تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ ، فَالشَّبْعَةُ لَا تُطْفِئُهُ ، وَالْجُوعَةُ لَا تُؤَيِّسُهُ فَتُرْدِيهِ . وَالسَّغْبُ : الْجُوعُ . وَأَضَافَ الْأَكْلَةَ إِلَى سَاعَةٍ تَقْصِيرًا بِهَا وَإِزْرَاءً ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ وَقْتًا لَهَا . وَقَوْلُهُ « مِنْ فَقْدِهَا »

(١) روى البيت في بيتين من ديوان حاتم ١١٩ . وها :

غَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصَعُّكِ وَالغِنَى كَمَا الدَّهْرُ فِي أَيَّامِهِ الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ
لَبَسْنَا صُرُوفَ الدَّهْرِ لَيْتًا وَغِلَظَةَ وَكَلَّا سَقَانَاهُ بِكَأْسَيْهِمَا الدَّهْرُ

(٢) فِي الدِّيْوَانِ : « فَمَا زَادَنَا بِأَوْ » . وَالْبَأُو : الْفَخْرُ وَالْكِبْرُ .

يريدُ من قَدِّ لها ، والمصدرُ يضافُ إلى الفاعل والمفعول جميعاً ، على هذا قوله تعالى :
﴿ من دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ .

٥- يَرَى أَنْ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَلَا يَرَى إِذَا كَانَ يُسْرًا أَنَّهُ الدَّهْرُ لَا زِبُّ (١)
يُسْتَحْسَنُ لِبَشَارِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُهُ ، بَلْ قَدْ صَارَ مَثَلًا :

خَلِيلِيَّ إِنْ الْعُسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ وَإِنْ يَسَارًا فِي غَدٍ لِحَقِيقُ
وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ ، إِذَا صَحَا صَحَوْتُ ، وَإِنْ مَاتَ الزَّمَانُ أَمُوتُ

يقولُ : يَعْلَمُ أَنَّ سَبَابَ الدُّنْيَا وَتَصَارِيفَهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّغْيِيرِ وَالتَّبَدُّلِ ،
فَالْعُسْرُ وَالْيُسْرُ يَتَعَايَبَانِ وَلَا يَلْزَمَانِ ، فَتِي اسْتَغْنَى كَرَمٌ وَلَمْ يَبْطُرْ ، عِلْمًا بِأَنَّهُ
يَفْنَى فَلَا يَبْقَى ، وَإِذَا افْتَقَرَ عَفَّ وَلَمْ يِيَّاسَ ، ثِقَةً بِأَنَّهُ يَزُولُ وَلَا يَدُومُ . وَقَوْلُهُ
« يَرَى » مِنَ الْبَيْتِ يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴾ ، لِأَنَّهُ
بِمَعْنَى يَظُنُونَهُ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَزَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى نَعْلَمُهُ . وَقَدْ
يُسْتَعْمَلُ الْعِلْمُ فِي مَوْضِعِ الظَّنِّ أَيْضًا ، لَذَلِكَ قَالَ :

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهَوَّ ذَلِيلٌ (٢)

٢١٨

وقال أوس بن حبناء (٣) :

١- إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهَوَانَ فَأَوْلِهِ هَوَانًا وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبًا أَوَّاصِرُهُ (٤)

(١) هذه رواية الأصل والتبريزي . وفي م : « إذا كان عسرا » ، والتمورية : « إذا كان عسرا » .

(٢) لطرفة في ديوانه ٥٢ والشعر والشعراء ١٤٧ . ونسب في اللسان (حصي) إلى كعب بن سعد الغنوي .

(٣) الظاهر أنه شاعر إسلامي ، ولعله أخو المغيرة بن حبناء الشاعر الإسلامي ، الذي ترجم له البغدادي في الحزانة (٣ : ٦٠١) . وذكر : أن « حبناء » أم المغيرة ، شهر بالنسبة إليها واسم أبيه حبين بن عمرو بن ربيعة الحنظلي التيمي ، لكن صاحب القاموس لم يذكره في إخوة المغيرة . قال : « والحبناء : الضخمة البطن ، وأم المغيرة ، ويزيد ، وصخر ، الشعراء . وأبوهم عمرو بن ربيعة » .

(٤) روى الجاحظ هذه الأبيات في البيان (٢ : ٣٥٧ / ٣ : ٦١) بدون نسبة .

حقيقة أولئك كذا : جعله مما يليك ، لكنه اشتهر في الإحسان ، وقد
يُستعمل في الإساءة ، كما فعله هذا الشاعر . ومثله بَشْرْتُهُ في معنى تناوله الشرِّ ،
وإن كان اشتهاره في الخير . ألا ترى قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .
يقول : قابلُ معاملك بمثل ما يرصده لك ، فإن الأفعال بين الناس قروضٌ ،
وشرطُ القروض الوفاءُ بها ، والخروج من ذمِّها ، فمن أهانك فأهنه وإن
قربت عواطف أرحامه ، وشوايك أسبابه ، ولا تُوجب له إلا مثل ما يوجبُه
لك . ويقال : بيني وبينه آصرةٌ ، أي عاطفةٌ ، والأضر : العطف . وقوله
« قريباً » خبر كان ، وقدمه على اسمه ولم يؤنثه لأنه أراد النسبة فلم يندبه على
الفعل . ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

٢ - فإن أنت لم تقدر على أن تهينه فذره إلى اليوم الذي أنت قادره
يقول : إن أعجزك مكافأته على إساءته إليك ، وأعوزك إنالته مثل
ما يُنيلك في الحال ، فأنظره إلى الوقت المساعد لك من مستقبل أيامك ،
وانتظره نوبتك من الدهر ، فإذا أمكنتك الفرصة فانتزها . وقوله « إلى اليوم
الذي أنت قادره » أراد أنت قادر فيه ، فقدّر الظرف تقدير المفعول الصحيح
لأن الظرف إذا أضيف إليه يخرج من أن يكون ظرفاً كما يخرج منه إذا دخل
عليه حرف الجر . على هذا قولهم :

* ياسارق الليلة أهل الدار^(١) *

وقوله :

* طبّاخ ساعات الكرى زاد الكسل^(٢) *

(١) الخزانة : (١ : ٤٨٥) وسيبويه (١ : ٨٩) ، ولم ينسب فيهما .
(٢) مجالس نعلب ١٥٢ والخزانة (٢ : ١٧٢) وسيبويه (١ : ٩٠) والكمال
١١٣ ليسك . وقد نسب في الكامل إلى الشماخ بن ضرار ، والصواب أنه لجبار بن جزء
وهو ابن أخي الشماخ ، كما ذكر البغدادى . وقد ساق قصة الرجز مفصلة .

٣- وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة وصمم إذا أيقنت أنك عاقره
يقول: اجر مع الدهر في تصرفه وتلوئه ، ودار عدوك وجامله إن أعياك
مكايلته ومحاسبتة ، فإذا انقضت أيامه وتيسر لك بعد مُداجاتك له عقره
وإهلاكه فائبت في الأزم عليه ، والانتقام منه ، ثبات السيف القاطع في ضربته ،
وإيائك والغفلة عنه بعد إيقاظك إياه ، واللين معه وقد خشنته .

٢١٩

وقال آخر (١) :

١- إني إذا ما القوم كانوا أنجيه (٢)

٢- واضطرب القوم اضطراب الأرشية (٣)

٣- وشُدَّ فوق بعضهم بالأروية

٤- هناك أوصيني ولا توصي بي

قوله « إني إذا ما القوم » خبر إن في قوله « أوصيني ولا توصي بي » .
والمعنى : إني أهل لأن يوصي إلى حينئذ في غيري ، ولا يوصي غيري بي . فتبين
هذا من الكلام وإن كان على لفظ الأمر والنهي . وعلى هذا قول القائل زيد
قم إليه ، أي هو أهل لأن تقوم إليه . فبهذا التقدير وأمثاله جاز أن يقع الأمر
موضع الخبر . وأنشد أبو زيد :

(١) هو سجيم بن وثيل اليربوعي ، كما في اللسان (نج) . وسجيم شاعر مخضرم
عاش في الجاهلية أربعين سنة وفي الإسلام ستين سنة . انظر الخزانة (١ : ١٢٣ - ١٣٠)
وابن سلام ١٢٩ والاشتقاق ١٣٨ والإصابة .

(٢) روى أيضا : « أنجيه » كما في اللسان (نج) ، وفسره بقوله : « أي انتحوا عن
عمل يعملونه » .

(٣) ويروى أيضا : « واختلف القوم اختلاف » ، و « والتبس القوم التباس »
و « واختلف القول » . انظر اللسان (٢٠ : ١٨٠) .

وَكُونِي بِالْمَكَارِمِ ذِ كَرِينِي وَدَلِّي دَلَّ مَا جِدَّةِ صَنَاعِ^(١)

وقال: أراد كوني تذكريني، فوضع ذكريني موضع تذكريني. ومرجع هذا الذي قاله إلى مثل ما بينناه. وكما أن خبر إن فيما بيناه فكذلك جواب إذا، فأفهمه. وما من قوله « ما القوم » زائدة. وأنجية: جمع نجية، والنجية يقع للواحد والجمع. وفي انقرا: ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾. ومعنى كانوا أنجيه، أي صاروا فرقا لما حزبهم من الشر، ودعهم من الخوف، يتناجون ويتشاورون.

وقوله « واضطرب القوم » أي أخذهم القيام والعود، وفارقهم القرار والهدوء، فأقبل بعضهم يمشى إلى بعض، متعاونين في التهيؤ والارتحال، ومتساعدين على التيسر للانتقال. فشبه ميلانهم وترجحهم في اختلافهم، بترجح الأرشية عند الاستقاء عليها من الآبار البعيدة القعر، وميلانها.

وقوله « وشد فوق بعضهم بالأروية »، يعني أنهم ركبوا الليل وداوموا السير، فغلب النعاس على طائفة منهم حتى خيف عليهم الشقوط، لضعف استمساكهم، فشددت الحبال فوقهم. والأروية: جمع الرواء وهو الحبل الذي يروى به، أي يستقى. ومنه قيل الراوية، ويجوز أن يكون الاضطراب الذي ذكره لا اتصال التسيار وغلبة النوم، للإخلال بالنزول والقرار أيضاً. وصرفه إلى الأول أحسن.

وقوله « هناك أوصيني » هناك يشار به إلى الزمان والمكان معاً، وموضعه نصب على الظرف، والكاف منه كاف الخطاب، والعامل فيه أوصيني. والمعنى: في ذلك الوقت يوجد الغناء والكفاية عندي، ويحصل الصبر والمداومة مني،

(١) لرجل جاهلي من بني نهشل. نوادر أبي زيد ٣٠، ٣٢، ٥٨. وقبله

ألا يأم فارغ لا تلوي على شيء رفعت به سماعي

فاجعلى وصاتك إلى لا بى ، واعتمدى على لا على غيرى . وقال بعض القدماء :
معنى كانوا أنجيه ، يريد قوماً ناموا على رواحهم فرأوا فى منامهم كأنهم يتناجون .
والصواب عندى ما قدمته .

٢٢٠

وقال المتلمس^(١) :

- ١ - ألم تر أن المرء رهن منية صريع لعافى الطير أو سوف يرمس
٢ - فلا تقبلن ضيماً مخافة ميتة وموتن بها حرّاً وجلدك أملس

قال هذا فيما كان بين ضبيعة وبكر بن وائل ، ومعنى ألم تر اعلم . يقول :
الإنسان مرتهن بأجله ، فإما أن يموت حتف أنفه فيدفن ، وإما أن يقتل فى
معركة فيترك لعوافى السباع والطير . وجعل « رهن منية » و « صريع لعافى
الطير » جميعاً خبرين لأن ، ثم أنى بأو الإباحة . ويجوز أن ينتصب صريع على
الحال ، وفى رفعه وجه آخر ، وهو أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه هو
صريع . وإن جعلت أو التى تكون للشك يكون الكلام مبنياً على اليقين
ثم يعترض فيه الشك . والأصلح فى مثل هذا أن يجعل بإمّا ، ليكون بنية
الكلام على الشك ، إذ كان واحد من الأمرين لا يتيقن .

وقوله « فلا تقبلن ضيماً » يقول : ادفع عن نفسك خطّة الضيم والهزيمة ،

(١) التبريزى : « واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد » . وهو من
بنى ضبيعة ، وأخواله بنو يشكر ، وكان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة ، وهو الذى كتب له
إلى عامل البحرين مع طرفة بقتله ، ويروون أنه دفع صحيفته إلى غلام بالحيرة ليقرأه ففطن لما
أريد به ، فألقى بها فى الحيرة ونجا بنفسه . والمتلمس من أشهر المقلين فى الجاهلية . انظر الأغاني
(٢١ : ١٢٥ - ١٢٧) والحزاة (١ : ٤٤٦ / ٣ : ٧٣) والشعر والشعراء .
١٣١ - ١٣٦ .

ولا تلتزم العار والدنيّة ، إشفافاً من المنية . وانتصب « مخافة » على أنه مفعول له . وقوله « وموتن بها » ، الضمير من بها يرجع إلى المخافة ، أى مُت بتلك المخافة حرّاً لم يستعبدك الخضم ، ولم يستوطئك الظلم ، وجلدك نقي من العيب ، سليم من العار والشين . ويروى « واحين بها حرّاً وجلدك أمّس » والرواية الأولى أحسن ، ويكون « واحين » أمراً بالحياة وقد أدخل عليه النون الخفيفة . ومعنى يرّمس : يدفن . والرّمس : الدفن . والرياح الرواس منه ، وتوسّعوا في الدفن فقبل الرّمس هذا الحديث ، كما يقال ادفن . وعافى الطير : ما يعترى منه . ويقال فلان كثير العافية والعفاة ، ويراد الزوّار والمجتدون .

٣ - فَمِنْ طَلَبِ الْأُوتَارِ مَاحَزَ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بِيَهَسُ

٤ - نَعَامَةٌ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ

قصير : صاحب جذيمة الأبرش . وقصة جذيمة وزبّاء الرثومية مشهورة . وإن قصيراً توصل بأن جدع أنف نفسه ، إلى أن استخدمته زبّاء ثم استخلصته حتى تمكن فأدرك ناره منها . وبهس هو الذى يلقب نعامة ، وهو رجل من بنى غراب بن فزارة ، وكان يحمق ، فقتل له سبعة إخوة فجعل يلبس القميص مكان السراويل ، والسراويل مكان القميص ، فإذا سئل عن ذلك قال :

الْبَسْتُ لِكُلِّ عَيْشَةٍ لَبُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا^(١)

فتوصل بما صورّه من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته . وحديثه مشهور أيضاً . وكلام المتلمس بعث وتحضيض على دفع الضيم ، وركوب الإباء من التزام العار ، فلذلك أخذ يذكّر بحال من استضعف . فلم يزل يحتمل حتى أدرك مباحية من أعدائه .

(١) يروى أيضاً : « لكل حالة » ، وهى رواية التبريزى .

وقوله : « ما حَزَّ أَنْفَهُ » ما زائدة . وارتفع « نَعَامَةٌ » على أنه بدلٌ من قوله بِيَهْسُ . وموضع « كيف » نَصَبٌ على أنه مفعول تَبَيَّنَ ، والعامِلُ في كيفَ يَلْبَسُ تَبَيَّنَ . كأنه قال : تبين في أثوابه يلبسُ أيَّ لِبْسَةٍ .

٥ - وما الناسُ إلا ما رأوا وتحدّثوا وما العجزُ إلا أن يُضاموا فيجلسوا^(١)

قوله « ما رأوا » ما مع الفعل في تقدير مصدرٍ ، كأنه قال : وما الناسُ إلا رُؤيةٌ وتحدّثٌ ، أي اعتبار بالمشاهدة أو بما يُروى من أخبار الأمم البائدة ؛ فهو كقولك : ما زيدٌ إلا أكلٌ وشُربٌ ، فيكون إما على حذف المضاف ، كأنه قال : ما زيدٌ إلا ذوا أكلٍ وشُربٍ ؛ وإما أن يكون لكثرتهما منه ، وولوعه بهما ، كأنه نفسُ الأكل والشرب . فيقول : ما الناسُ إلا ذوو الاعتبار بما يشاهدونه أو يسمعونهُ من أخبار أسلافهم ، فيتيقنون بأنه لا بدّ من الفناء ، فلا ينبغي لأحد أن يحتمل ضيًّا أو يضبر على مكروه ، وما العجزُ إلا أن يُظلموا ويُساموا الخسفَ فيرضوا به ، وينطووا عليه كاطمين وساكنين . ويجوز أن يريد بقوله « وما الناسُ » وما حَزَمُ الناسُ ، فحذف المضاف ، ويكون حينئذ ما رأوا في موضع الظرف ، كأنه أراد : ما حَزَمُهم إلا مدّة رؤيتهم وتحدّثهم ، أي إذا اعتبروا بالأمرين ، ويكون هذا في باب الإخبار كقولهم : الهلالُ الليلةُ ، على تقدير حدوث الهلال أو طلوعه الليلة . ويكون الدلالة على هذا الوجه أنه طابَقهُ بقوله « وما العجزُ » .

٦ - ألم تر أنَّ الجونَ أصبحَ راسيًّا تُطيفُ به الأيامُ ما يتأيسُّ الجونُ : حصنُ اليمامةِ ، ويُقال إنه من مصانع طسمٍ وجديسٍ . فيقول : لا توعِدونا فإنَّ حصننا حصينٌ لا يوصلُ إليه ، ولا يُستباحُ حِماه . ومعنى « تُطيفُ

(١) التبريزي : قال أبو هلال : الرواية الجيدة ما رواه أبو عمرو : وما البأسُ إلا حمل نفس على السرى وما العجزُ إلا نومة وتشمس

به الأيام « تُلِمُّ به الأحداث وتنو به النوائب فلا يُطِيعُ . وقوله « لا يتأيس »
أى لا يلين . وأنشد الأصمعي :

إِنْ نَكَ جُلُودَ صَخْرٍ لِأَوْيْسِهِ أُوقِدَ عَلَيْهِ فَأَحْمِيهِ فَيَنْصَدَعُ^(١)
وموضع « تطيفُ به الأيام » نصبٌ إن شئت على الصفة ، وإن شئت
على أنه خبرٌ بعدَ خبرٍ . وموضع « ما يتأيس » نصبٌ على الحال ، والعامل
فيه تطيفُ .

٧- عَصَى تَبَعًا أَرْمَانَ أَهْلِكَ الْقُرَى يُطَانُ عَلَيْهِ بِالصَّفِيحِ وَيُكَّسُ
يُرْوَى :

... أَيَّامَ أَهْلِكَ الْقُرَى يُطَانُ عَلَى صُمِّ الصَّفِيحِ وَيُكَّسُ^(٢)
يقول : إن تبعًا لما غزا القرى والمدن لم يصل إلى اليمامة للحصن . وذِكرُه
العصيان كما قال غيره : « تمرّد ماردٍ وعزّ الأبلق^(٣) » . وقوله « يُطَانُ عَلَيْهِ
بِالصَّفِيحِ » أى يجعل بدل طينه فى الإصلاح والعمارة الكس بالحجارة . ويجوز
أن يكون « بالصفيح » فى موضع الحال ، أى يُطَانُ وَيُكَّسُ بِصَفَائِحٍ ، أى
وهو مبنى بالحجارة .

٨ - هَلُمَّ إِلَيْهَا قَدْ أُثْبِرَتْ زُرُوعُهَا وَعَادَتْ عَلَيْهَا الْمَنْجَنُونَ تَكَدَّسُ
يُخَاطَبُ النُّعْمَانُ . و « إِلَيْهَا » أى إلى اليمامة . وهذا الكلام تهكمٌ وسخريةٌ .
يقول : إن قدرت عليها فأقصدها فإنها أخصب ما يكون ، مُزْدَرَعُهَا مُثَارٌ

(١) نسب فى اللسان (٥ : ١٣٣) إلى عباس بن مرداس . وهو فى النخص (١٠) :
(٩٥) بدون نسبة . وانظر مقاييس اللغة (أيس) .

(٢) التبريزى : « وىروى : يطان على مثل الصفيح » .

(٣) قائله الزباء نفسها ، وكانت قصدت ماردة — وهو حصن دومة الجندل ،
والأبلق — وهو حصن للسموأل بن عاديا بأرض تيماء ، فلم تقدر عليهما ، فقالت هذا القول ،
فصار مثلاً : بجمع الأمثال (١ : ١١٣) .

وداليتها تدور . ومعنى « تكدّس » يركب بعضها بعضاً في الدوران . ويُستعملُ في سائر الدوابِّ وغيرها . وقال ابن الأعرابي : التكدّس أن يحركَ منكبيه إذا مشى . وقال الأصمعي : هي من مشى القصار الغلاظ . ويقال كدّس به الأرض إذا ضربها به . وأنشدت :

وخيلٍ تكدّسُ بالدارِعينَ نازلتَ بالسيفِ أبطالها^(١)

وروى بعضهم : « قد أبيّثت زروعها^(٢) » . والإبائة : الإثارة . وقوله « هلمَّ إليها » كما يقال أقبل إليها . وقد مضى القولُ في هلمَّ^(٣) .

٩ - وذلك أوانَ العِرضِ حَيَّ ذُبَابُهُ زَنَايِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَلَمِّسُ

يُروى « جنَّ ذُبَابُهُ » أى كثر ونَشِط . والعِرضُ : وادٍ من أودية اليمامة ، فلَكَ أن تجرّه بإضافة الأوانِ إليه وهو مرفوعٌ ، ولك أن تنصب الأوانَ فترفع العِرضُ بالابتداء ، واسم الزمان يضاف إلى الجمل من الابتداء والخبر ، والفعل والفاعل ، وكأنه قال : وهذا الذى ذكرتُ هو فى هذا الأوان . وقوله « حَيَّ ذُبَابُهُ » أى عاش بالخِصْبِ فيه . و « زَنَايِيرُهُ » يرتفع على أنه بدلٌ من الذباب . وذبابُ الرّوضِ قد تُسمّى الزنايير . وقوله « والأزرق المتلمس » إشارةٌ إلى جنسٍ آخر غير الأوّل ، وهو ما كان أخضرَ ضخمًا . والمتلمس : الطالب ، ويقال إنّه سُمّي المتلمس بهذا البيت ، واسمه جرير بن عبد العزى^(٤) .

١٠ - يَكُونُ نَذِيرٌ مِنْ وَرَائِي جُنَّةً وَيَنْصُرُنِي مِنْهُمْ جُلِيٌّ وَأَنْحَسُ

١١ - وَجَمَعَ بَنِي قُرَّانَ فَأَعْرَضَ عَلَيْهِمْ فَإِنْ يَقْبَلُوا هَاتَا الَّتِي نَحْنُ نُوبَسُ

(١) البيت للخنساء . ديوانها ص ٧٥ طبع ١٨٨٨ .

(٢) اللسان : « هلموا إليه قد أبيّثت زروعها » .

(٣) انظر البيت الأول من الحماسية ٢١١ .

(٤) أو ابن عبد المسيح ، كما سبق فى ترجمته .

قوله « يكون نذيرٌ » قيل فيه هو نذير بن مُهَيْثَةَ بن وَهَب بن حَرْب . وقيل أراد بالنذير المنذر . والمعنى : إني أرصد لهم من يُنذِرُنِي بهم فيخبرُنِي بمجيئهم إذا همُّوا به ، فأَتَقِي وأَسْتَجِنُّ وأَحْرَزُ . وجَلِيٌّ وأَحْسُ من ضَبَيْعَةَ بن ربيعة بن نِزَار يقول : وإذا جاء وقت التَّجَادُبِ والتَّدافُعِ قام بنصرى هذَانِ البَطْنَانِ . وقوله « وَجَمَعَ بنِي قُرَّانَ » النَّصْبُ فيه على إِضْمَارِ فَعَلٍ ، كأنه قال : سُمِّ جَمَعَ بنِي قُرَّانَ ، ويكون الفعل الظاهر تفسير المضمرة ؛ والرَّفْعُ على الابتداء . ومعنى البيت : أَجْرُونَا مجرى نُظْرَانِنَا فَإِنَّا نَرْضَى بِهِمْ قُدُوءَ ، وَاَعْرِضُوا مَا تَسُومُونَنَا على بنِي قُرَّانَ ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ يَتَلَقَّوْنَهُ بِالْقَبُولِ ، وَيُوطِنُونَ أَنفُسَهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا بِهِمْ أُسُوءَ ، وَإِلَّا فَالامتناع منه واجبٌ . وقوله « هَانَا الَّتِي نَحْنُ نُوبَسُ » أى هذه الخُطَّةُ الَّتِي نُكْرَهُ عَلَيْهَا . وَالْأَبْسُ : الْقَهْرُ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : أَبَسْتُ الرَّجُلَ ، إِذَا لَقِيْتَهُ بِمَا يَكْرَهُ ؛ وَأَبَسْتُ مِنْهُ ، إِذَا وَضَعْتَ مِنْهُ بَاسْتِخْفَافٍ بِهِ وَإِهَانَةٍ لَهُ . وَجَوَابُ الْجَزَاءِ لَمْ يَجِيءَ بَعْدُ .

١٢ - فَإِنْ يُقْبَلُوا بِالْوَدِّ نَقْبِلُ بِمِثْلِهِ وَإِلَّا فَإِنَّا نَحْنُ آبَى وَأَشْمَسُ
١٣ - وَإِنْ يَكُ عَنَّا فِي حُبَيْبٍ تَشَاوُلٌ فَقَدْ كَانَ مِنَّا مِقْنَبٌ مَا يُعْرَسُ

قوله « فَإِنْ يُقْبَلُوا بِالْوَدِّ » أعاد به الشَّرْطَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ « فَإِنْ يُقْبَلُوا هَانَا الَّتِي نَحْنُ نُوبَسُ » ، وَلَمْ يَأْتِ لِلشَّرْطِ بِجَوَابٍ ، ثُمَّ قَالَ « فَإِنْ يُقْبَلُوا بِالْوَدِّ نَقْبِلُ بِمِثْلِهِ » ، فَالْتِمَازُ بِجَوَابِ وَاحِدٍ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى مَا يَكُونُ جَوَابًا لَهَا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : إِنْ قَبِلُوا مَا نُوبَسُ نَقْبِلُ مِثْلَهُ ، وَإِنْ أَقْبَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَادِّينَ وَوَامِقِينَ أَقْبَلْنَا بِمِثْلِهِ ، وَإِلَّا فَنَحْنُ أَشَدُّ إِبَاءً ، وَأَبْلَغُ شِمَاسًا ، وَأَحْمَى أَنْفَا وَأَعَزُّ جَانِبًا . وَالشَّمَّاسُ : الْامْتِنَاعُ ، وَمِنْهُ شِمَاسُ الدَّابَّةِ ، وَهُوَ أَنْ لَا يُمَكِّنَ مِنَ الْإِسْرَاجِ وَالْإِلْجَامِ . وَكَانَتْ بَنُو ضَبَيْعَةَ حُلَفَاءَ لِبَنِي ذُهَلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ ،

فوقعَ بينهم نزاعٌ ، فعاتبَهُم المتلمسُ . وقوله « وإن يك منّا في حُبَيْبٍ تثاقُلُ »
 فإنّه أراد حُبَيْبَ فُحْفَفَ ، وهو حُبَيْبُ بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل .
 يقول : إن تكاسلَ بنو حُبَيْبٍ عن طلبِ دماننا ، وتثاقلوا عن إدراكِ ثأرنا ،
 فقد كان منا من يدأبُ ويسهرُ ، فَلَا يَرَى^(١) تعريسا ولا تلوّما وتعريجا في
 ذلك . والمقنبُ : زُهاء ثلاثمائة من الخليل . والتعريس : نزولُ في آخر الليل .

٢٢١

وقال سعدُ بنُ ناشبٍ^(٢) :

١ - تُفندني فيما ترى من شرّ استي وشدة نفسي أم سعدٍ وما تدرى

٢ - فقلتُ لها إن الحليمَ وإن حلا ليُلني على حالٍ أمرٍ من الصبرِ^(٣)

تفندني أي تجهلني . والفند : إنكارُ العقل من هَرَمٍ . يقال شيخٌ مُفندٌ .
 وفي القرآن : ﴿لَوْ لَا أَنْ تُفندُونَ﴾ ، أي تجهلوني ، وفُسّر على تكذبوني أيضا .
 والشراسةُ : صعوبةُ الخلقِ وخشونة الجانب . فيقول : تُعَيِّبني^(٤) هذه المرأة على
 ما ترى من عُسر الخلقِ وإباء النفسِ وفظاظة القلبِ ، جاهلةً بأحوال الرجالِ ،
 والفصل بين أوقاتِ الجِدِّ والهزل ، والشدة واللين ، فأجبتُها وقلتُ : إن الرجلِ
 الحليمِ وإن عطفهُ وسهّل خُلقهُ فقد يُجدُّ في وقتِ الغلظة وعند حالةِ
 القسوة أمرًا مَرارةً من الصبرِ ، وأشدَّ صلابةً من الحجرِ . وقوله « وما تدرى »
 في موضع الحال . وفي هذه الطريقة قولُ الآخر^(٥) :

(١) م : « ترى » . والمعنى يتجه بكل منهما .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٠ ص ٦٧ .

(٣) التبريزي : « إن الكريم » . وقد أشير في هامش الأصل إلى أنه كذلك في نسخة .

(٤) م : « تفتني » ، التيمورية : « تعتيني » .

(٥) هو الشنفرى الأزدي . الفضليات (١ : ١١٠) .

وإني لحلو إن أريدت حلاوتي ومُرٌّ إذا نفسُ العزوفِ اقشعرتِ
٣- وفي اللينِ ضعفٌ والشراسةُ هيبةٌ ومن لا يهبُ يُحمَلُ على مرَّكبٍ وعِرٍ

الواو من قوله « والشراسةُ » عاطفةٌ لجملةٍ على جملةٍ ، ولا يجوز أن يُجرَّ الشراسةُ على أن يكون معطوفاً على في اللين ، لما فيه من العطف على عاملين بحرفٍ واحدٍ^(١) . ومعنى البيت أن من استلين جانبهُ في كلِّ حالٍ استضعفَ واهتضم ، ومن استخشن خلقه هيبَ وتجوّمى .

٤- وما بي على من لأن لي من فظاظَةٍ ولكنني فظُّ أبيُّ على القسرِ
في هذه الطريقة قول الآخر^(٢) :

أبيُّ لما آبي سريعٌ مباءتي إلى كلِّ نفسٍ تنتجى في مسرّتي

يقول : أضعُ كلَّ واحدٍ من الفظاظَةِ والشهولة ، والشراسة والسلاسة ، في موضعه ، وأستعملُه مع من يستحقُّه ، فمن جرى معي وانقاد لي لنت له ، وقابلته بمثل فعله ، ومن تابى عليّ وطلبَ مني متابعته والجرى مع هواه أبيتُ عليه ، وخالفته فيما يبتغيه . والقسر : القهر على الكره ، ويقال قسرته واقدسرتُه ، ومنه قيل للأسد قسورةً .

٥- أقيمُ صنفاً ذي الميلِ حتى أردّه وأخطمه حتى يعودَ إلى القدرِ

٦- فإن تعذليني تعذلي بي مرزاً كريمَ نثا الإغسارِ مشتركِ الأيسرِ

(١) أى العطف على معمولى عاملين بحرف واحد . والمسألة خلافية . قالوا : إذا لم يكن أحد العاملين حرف جر فإنه لا يميز العطف نحوى إلا الأخفش ، وإذا كان أحدهما حرف جر مؤخرًا نحو زيد في الدار والحجرة عمرو ، أو وعمرو والحجرة فإنه لا يميز العطف إلا الأخفش أيضاً . وإن كان حرف جر مقدما ، كما في نص هذا البيت فإن المنع مذهب سيبويه ، وبه قال المبرد وابن السراج وهشام ، وقد أجاز الأخفش هذا البيت من هذا العطف ، وبه قال الكسائى والقراء والزجاج . انظر آخر باب العطف عند الأشمونى .

(٢) هو الشنفرى الأزدي . الفضليات (١ : ١١٠) .

قوله « أقيم صغاً ذى المئيل » ، تبجج فيه بأنه عارفٌ بأسرار الرجال ، لطيفٌ التوصل إلى إنزالهم منازلهم ، بصيرٌ بمداواة أدوائهم ، لا يترُكهم سُدى ، ولا يخلِّبهم أهالاً . والصغاً : المئيل والاعوجاج ، يقال صغاً فواده يصغى ويصغو ، أى مال . وصغوك مع فلان ، أى مئلك . يقول : من مال عنا فإنى أقوم اعوجاجه بما يُحوج إليه من قولٍ وفعلٍ ، حتى أرده إلى ما أريده ، فإن تبينت فيه تعدياً لطوره ، وذهاباً عن حقه وحدّه ، زمتّه بزمامٍ مثله حتى يرجع إلى مرتبته وقدره . وقوله « فإن تعدليني » يصف نفسه بأنه سمح معطاء ، لا يكف عن البذل ، ولا يرد عن الإعطاء والجود ، على تلون الزمان به ، وتغير الأحوال عليه . والمرزأ : المصاب فى ماله كثيراً . وقوله « تعدلى بى مرزأ » ، أى رجلاً مرزأً ، وذلك الرجل هو كما يقال : لقيتُ بريد الأسد^(١) . والنشأ : الخبر ، ويُستعمل فى الخير والشر ، والثناء لا يستعمل إلا فى الخير ، يقول : إن لمتنى على ما هو دأبى من الإفضال ، لمت بى رجلاً لا يفكر فى عقب الدهر ، وكورره بالغنى والفقر ، فإن نابه العسرُ حسن بلاؤه وكرمت أخباره فيه ، وإن ناله اليسر أشرك الأفتارب والأجانب فى نفعه ، فعمت فواضله لديهم .

وقدأكثر الشعراء فى هذا المعنى . فمن ذلك قولُ الشمرذل :

وَصُولٌ إِذَا اسْتَنْفَى وَإِنْ كَانَ مُقْتَرًا مِنْ الْمَالِ لَمْ تَحْفِ الصَّدِيقَ مَسَائِلُهُ
وقولُ المرار :

إِذَا افْتَقَرَ الْمَرَارُ لَمْ يُرَقِّرْهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمَرَارُ أَيْسَرَ صَاحِبَهُ
وأحسن من الجميع قول الآخر :

إِذَا افْتَقَرُوا عَضُّوا عَلَى الْفَقْرِ حِسْبَةً وَإِنْ أَيْسَرُوا عَادُوا سِرَاعًا إِلَى الْفَقْرِ

(١) وهذا ما يسميه البلاغيون « التجريد » .

٧- إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ الشَّرِيحِيِّ ذِي الْأَثْرِ

يذكر من نفسه الصرامة والنفاذ، وفصل الأمور، والصبر على ممارسة الخطوب. يقول: إذا عزم على الأمر كان جميع الرأي، يجعل المهموم به نصب عينيه، حتى يخرج منه، ونفذ نفاذ السيف الخدم لا يتوقف في الضريبة، ولا يكهم. والشريحى: منسوب، ويجوز أن يكون وصف بذلك لكثرة مائه وروثه، حتى كأن فيه سراجاً؛ ومنه قيل: سرج الله أمرك، أى حسنه ونوره. والتصميم: المضي في الأمر، ويقال صمم في عضته، إذا نيب. قال:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساعاً لنابيه الشجاع اصمماً^(١)
والأثر: الفرند والماء، ويقال أثر بالضم.

٢٢٢

وقال أيضا:

١- لا توعدنا يا بلال فإنا وإن نحن لم نشقق عصا الدين أحرار

يخاطب بهذا الكلام بلالاً الخارجي، ويعيره خروجه من طاعة السلطان وشقه عصا الإسلام، فيقول: اترك توعدنا فإنا وإن لم نفرق الجماعة تفريقك، ولم نخالف المسلمين مخالفتك فإن فينا كرمًا وإباءً يحميننا من الانهزام، ويحرم علينا الصبر على المذلة والعار، فلا طريق لك إلى تمكينا والتحكيم فينا. وقال الخليل: قولهم شق عصا المسلمين، العصا: الاجتماع والاتلاف. والأجود عندي أن يكون مثلاً كما يقال للرفيق الحسن السياسة: هو لبن العصا، وفي ضده:

(١) للمتلس في ديوانه ٢ نسخة الشنقيطى. وروى: «لنابه» شاهدا على لزوم الألف. شرح الأشموني (١: ٧٩).

هو صُلبُ العَصَا ، وكقولهم : قَشَرْتُ له العَصَا ، إذا أَبْنَتَ له ما في نَفْسِكَ ،
وكما قيل : « عَصَا الجَبَانِ أطْوَلُ » . وقال بعضهم ^(١) يصف الخوارج :
رَجَوًا بِالشَّقَاقِ الأَكْلَ خَضْمًا فَقَدَّرَضُوا أَخِيرًا مِنْ أكلِ الخَضْمِ أَنْ يَأْكُلُوا قَضْمًا
فَأَنى بِالشَّقَاقِ وَأَصْلُهُ مِنْ شَقَّ العَصَا .

٢ - وَإِنَّ لَنَا إِمَّا خَشِينَاكَ مَذْهَبًا إِلَى حَيْثُ لَا نَخْشَاكَ وَالذَّهْرُ أَطْوَارُ
يَتَوَعَّدُهُ بِأَنَّهُ إِنْ أَعْيَاهُ مُقَارَّتُهُ وَلَمْ يَفِ ^(٢) بِمَدَافِعَتِهِ ، فَارْتَقَ أَرْضَهُ وَتَرَبَّصَ بِهِ
مَا لَا يُؤْمَنُ مِنْ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ ، وَتَحَوُّلِ الأَحْوَالِ ، لِأَنَّ فِي سَعَةِ الأَرْضِ مَذْهَبًا لَهُ ،
وَفِي التَّبَاعُدِ عَنْهُ رَاحَةً تُؤْمِنُهُ . وَقَدْ أَوْمَأَ بِقَوْلِهِ « وَالذَّهْرُ أَطْوَارُ » إِلَى تَصَارِيفِ
الزَّمَانِ ، وَتَلَوُّنِهِ بِالخَيْرِ تَارَةً وَبِالشَّرِّ أُخْرَى . وَيُقَالُ لِلنَّاسِ أَطْوَارُ ، أَيْ أَخْيَافُ
عَلَى حَالَاتٍ شَتَّى . وَفِي القُرْآنِ : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ . وَقَوْلُهُ « إِلَى حَيْثُ
لَا نَخْشَاكَ » أَجْرَى حَيْثُ مَجْرَى الأَسْمَاءِ ، وَجَعَلَ لَا نَخْشَاكَ مِنْ تَمَامِهِ ، وَحَذَفَ
الضَّمِيرَ مِنْهُ تَخْفِيفًا ، كَأَنَّهُ قَالَ إِلَى حَيْثُ لَا نَخْشَاكَ فِيهِ ، أَيْ إِلَى مَكَانِ الأَمْنِ
مِنْكَ . وَيُرْوَى « فَإِنَّ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحًا وَمَذْهَبًا » . وَالْمَزَاحُ : المَبْعَدُ ، يُقَالُ :
زَاحَ عَنِّي .

٣ - فَلَا تَحْمِلْنَا بَعْدَ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ عَلَى غَايَةٍ فِيهَا الشَّقَاقُ أَوْ العَارُ
يَقُولُ : لَا تُلْجِئْنَا بَعْدَ انْقِيَادِنَا لَكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ ، وَدُخُولِنَا تَحْتَ
هَوَاكَ ، وَتَلْقِينَا بِالسَّمْعِ وَالتَّوَابِعِ أَمْرًا ، إِلَى غَايَةٍ تُضَيِّقُ نِطَاقَ صَبْرِنَا ، وَتُعْجِزُ
طَاقَتَنَا وَجُهْدَنَا ، فَتُفْضِي بِنَا الحَالَ إِلَى أَحَدِ شَيْئَيْنِ ، إِمَّا مُشَاقَّتِكَ وَمَجَاهَدَتِكَ ،
وَرَكُوبِ كُلِّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ فِي الخُرُوجِ عَنْكَ وَعَلَيْكَ ، وَإِمَّا الرِّضَا بِالدَّيْنَةِ

(١) هو أيمن بن خريم الأسدي ، يذكر أهل العراق حين ظهر عبد الملك بن مروان
على مصعب بن الزبير . اللسان (خضم ، قضم) . والرواية في اللسان : « القضا » .
(٢) م : « ولم يقف » .

والدَّخُولِ تَحْتَ الْعَارِ وَالْمُضِيْمَةِ ، فَلَا حِظَّ لَنَا وَلَكَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي الشَّقَاقِ وَأَصْلِهِ . وَيُقَالُ هُوَ يُشَاقُّهُمْ خِلَافًا وَعِنَادًا .
 ٤ - فَإِنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْتَتْ قِنَاعَهَا بِهَا حِينَ يَجْفُوهَا بَنُوهَا لِأَبْرَارٍ قَوْلُهُ « إِذَا » ظَرْفٌ نَخْبِرُ بِإِنَّ ، وَهُوَ أَبْرَارٌ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « حِينَ يَجْفُوهَا » ، وَالتَّقْدِيرُ : إِنَّا لِأَبْرَارٍ بِالْحَرْبِ إِذَا أَلْتَتْ قِنَاعَهَا وَجَفَاها أَبْنَاؤها . وَقَوْلُهُ « أَلْتَتْ قِنَاعَهَا » مَثَلٌ . يَرِيدُ : إِذَا اشْتَدَّتْ فَتَكشَّفَتْ ، وَزَالَتِ الْمَسَاتِرَةُ بَيْنَ أَوْلَادِهَا فَتَبَرَّجَتْ ، فِي أَقْبَحِ زِيَّهَا وَأَفْظَعِ صُورَتِهَا . وَتَشْبِيهِ الْحَرْبِ فِي ابْتِدَائِهَا بِالْفَتِيَّةِ الْمُخَدَّرَةِ وَتَسْتُرِهَا ، وَعِنْدَ تَفَاقُمِهَا بِالْعَجُوزِ وَاطِّرَاحِهَا لِقِنَاعِهَا ، مَشْهُورٌ فِي عَادَاتِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ . وَبَرُّ أَبْنَائِهَا بِهَا : صَبْرُهُمْ عَلَى حَرِّهَا ، وَتَهْيِيْجُهُمْ لِنَارِهَا . وَجَفَاؤُهُمْ بِهَا أَنْ يَكُونُوا عَلَى الضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ .

٥ - وَلَسْنَا بِمُحْتَلِّينَ دَارَ هَضِيْمَةٍ مَخَافَةَ مَوْتِ إِنْ بِنَا نَبَتِ الدَّارُ هَذَا خِلَافُ قَوْلِ الْآخِرِ :

إِذَا ارْتَحَلُوا عَنْ دَارِ ضَيْمٍ تَعَادَلُوا عَلَيْهَا وَرَدُّوا وَفَدَّهُمْ يَسْتَقِيلُهَا^(١) وَانْتَبَسَبَ « مَخَافَةَ » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَالْهَضِيْمَةُ وَالْمَضِيْمَةُ وَاحِدٌ .

٢٢٣

وَقَالَ قَرَادُ بْنُ عَبَّادٍ^(٢) :

١ - إِذَا الْعَمْرُ لَمْ يَغْضَبْ لَهُ حِينَ يَغْضَبُ فَوَارِسُ إِنْ قِيلَ أَرَكُبُوا الْمَوْتَ يَرَكُبُوا^(٣)

(١) لَعْمِيْرَةُ بْنُ جَعْلٍ . الْمُفْضَلِيَّةُ ٦٣ . وَأَنْشَدَهُ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ (٢ : ٣٤٧) .
 (٢) التَّبْرِيْزِيُّ : قَالَ أَبُو هَلَالٍ : هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ قَرَادُ بْنُ الْعِيَارِ بْنِ مَحْرُزِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَرْقَمِ بْنِ قَسِيْمِ بْنِ نَاشِرَةَ بْنِ سِيَّارِ بْنِ رِزَامِ ، وَأَبُوهُ الْعِيَارُ أَحَدُ شَيْطَانِيْنَ الْعَرَبِ » . وَيُؤَيِّدُ مَا قَالَ أَبُو هَلَالٍ أَنَّ الْأَمْدِيَّ فِي الْمُؤْتَلَفِ ١٥٩ ذَكَرَ أَبَاهُ « الْعِيَارُ » ثُمَّ قَالَ : « وَكَانَ ابْنُهُ قَرَادُ بْنُ الْعِيَارِ شَاعِرًا مُنْكَرًا شَرِيْرًا بَدِيءَ اللِّسَانِ ، وَعَمَّرَ دَهْرًا طَوِيْلًا ، وَهَلَكَ فِي وِلَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمَانَ الْأَوَّلِيِّ وَقَدْ بَلَغَ مِنَ السَّنِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ » . وَانْظُرْ مَعْجَمَ الْمَرْزُبَانِيِّ ٣٢٨ .
 (٣) الْأَمْدِيُّ : « مَعَاشِرُ » بَدَلُ « فَوَارِسُ » .

٢- ولم يَحْبُهُ بِالنَّصْرِ قَوْمٌ أَعَزَّةٌ مَقَاحِيمٌ فِي الْأَمْرِ الذِي يُتَهَيَّبُ

٣- تَهَضَّمَهُ أَدْنَى الْعَدُوِّ وَلَمْ يَزَلْ وَإِنْ كَانَ عِضًا بِالظَّلَامَةِ يُضْرَبُ

يُخْبِرُ بَأْنَ عِزِّ الرَّجْلِ بِعَشِيرَتِهِ ، وَاعْتِلَاءَهُ بِذَوِيهِ وَأَفَارِبِهِ ، فَإِذَا لَمْ يَتَفَضَّبْ لَهُ فُرْسَانٌ يَسْخَطُونَ لِسُخْطِهِ وَيَمْتَعِضُونَ مِنْ دُخُولِ الضَّمِّ عَلَيْهِ ، فَيُرَكَّبُونَ حَدَّ الْمَوْتِ فِي هَوَاهُ ، وَيَقْتَحِمُونَ الشَّدَائِدَ فِي نَصْرَتِهِ ، تَجَانَسَ عَلَيْهِ أَعْدَائُهُ ، وَأَدْنَى مُخَالَفِيهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ مَذْكَرًا دَاهِيَةً لَا يُطَاقُ ، وَلَمْ يَزَلْ مَضْرُوبًا بِالظُّلْمِ وَالْمُضْيِمَةِ ، مَقْهُورًا بِالْإِزْرَاءِ وَالْمُضْيِمَةِ ، وَإِنْ كَانَ لَا يُؤْتَى مِنْ حَدِّ وَمُضَاءِ . وَالْعِضُّ : السَّيِّئُ الْخُلُقُ ، وَالْمُنْكَرُ الشَّدِيدُ اللَّسَانِ . وَيُقَالُ هُوَ عِضُّ مَالٍ وَعِضُّ سَفَرٍ وَقِتَالٍ ، إِذَا كَانَ حَسَنَ الْغِنَاءِ فِي جَمِيعِهَا . وَجَوَابُ « إِذَا الْمَرْءُ » قَوْلُهُ « تَهَضَّمَهُ » ، وَهُوَ الْعَامِلُ فِيهِ . وَالْمَقَاحِيمُ : جَمْعُ الْمَقْحَامِ ، وَهُوَ الذِي يَنْخَوْضُ قَحْمَةَ الشَّيْءِ ، أَيْ مَعْظَمَهُ . وَمَعْنَى تَهَضَّمَهُ كَسْرَهُ وَأَذَلَّهُ . وَالْحِبَاءُ : عَطَاءُ بِلَا مَنِّ وَلَا جِزَاءِ . وَيُقَالُ : حَبَاهُ اللَّهُ بِكَذَا ، وَحِبَاهُ كَذَا أَيْضًا . وَخَبِرُ لَمْ يَزَلْ « يُضْرَبُ » ، وَفِي الْجُمْلَةِ جَوَابُ « وَإِنْ كَانَ عِضًا » .

٤- فَبَاخَ لِحَالِ السَّلَامِ مَنْ شِئْتَ وَاعْلَمَنْ بَأْنَ سِوَى مَوْلَاكَ فِي الْحَرْبِ أَجْنَبُ

٥- وَوَلَاكَ مَوْلَاكَ الذِي إِنْ دَعَوْتَهُ أَجَابَكَ طَوْعًا وَالدِّمَاءُ تَصَبَّبُ

٦- فَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَى وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا فَإِنَّ بِهِ تُشْأَى الْأُمُورُ وَتُرَابُ

يُحْتَهُ عَلَى اسْتِصْلَاحِ [بَنِي (١)] الْأَعْمَامِ ، وَيُنْبَسُ عَلَى أَنَّهُمُ الْمُعْتَمِدُونَ فِي الشَّدَائِدِ ، فَيَقُولُ : وَالِ لِأَيَّامِ السَّلَامَةِ وَأَحْوَالِ الْمَوَادِعَةِ وَالْمُسَالَمَةِ مَنْ شِئْتَ ، وَإِنْ لَمْ يَجْمَعْكَ وَإِيَّاهُ نَسَبٌ وَلَا سَبَبٌ ، عَالِمًا بِأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلْحَرْبِ وَمَجَادِبَةِ الْأَعْدَاءِ إِلَّا قَرِيبٌ ، وَأَنْ مِنْ سِوَاهُ فِيهَا غَرِيبٌ . وَقَوْلُهُ « وَمَوْلَاكَ مَوْلَاكَ »

(١) التكملة من م والتمورية .

تَلَفَى بِهِ تَحْقِيقَ مَا قَدَّمَهُ ، وَتَأْكِيدَ مَا أَطْلَقَهُ ، وَنَفَى عَنْهُ تَسَلُّطَ الْمَجَازِ وَالِاتِّسَاعِ .
 فيقول : مولاك في الحقيقة هو ابن عمك الذي إن استغثت به أبعد ما كان منك
 أغائك عن حنوّ وشفقة ، وإن دعوته والكلم يقطر وحبل الألفة ينقطع ،
 أجابك لا بتصنع وتعمل ، فأما من ولاؤه بالاسم دون المعنى ، أو يكون مداجياً
 لك يُجاملك بالغش وينطوي لك على الضغن ، يخذلك أحوج ما كنت إليه ،
 ويبعد عنك أقرب ما كنت فيه ، فلا معتمد عليه ، ولا استنامة إليه . وانتصب
 « طَوْعاً » لأنه مصدر في موضع الحال . ومثل هذا قول الآخر :

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدَعُهُ لِمَلَمَّةٍ يُجِبُّكَ وَإِنْ تَغَضَّبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضِبُ
 وقوله « وَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَى وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا » يجوز أن يكون المعنى : لَا تَخْذُلْهُ
 وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا لَكَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَنَهِاجٍ مَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ : « انْصُرْ
 أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » . يقول : طاب نفسك لمولاك بمثل ما تطاب به
 مولاك لنفسك ، وانصره على كل حال .

وفي مثل طريقة البيتين الأولين من هذه المقطوعة قول الآخر^(١) :

وَمَنْ لَا يَكُنْ ذَا نَاصِرٍ يَوْمَ حَقِّهِ يُغَلَّبُ عَلَيْهِ ذُو النَّصِيرِ وَيُضْهِدُ
 وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي لِنَدَى الظُّلْمِ زَاجِرٌ إِذَا خَطَرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ بِمَشْهَدِ
 ومعنى « بِهِ تُشَأَى الْأُمُورُ وَتَرَأَبُ » يريد بالمولى تُصْلَحُ الْأُمُورُ وَتُفْسَدُ .
 ويقال : رَأَبْتُ الشَّيْءَ ، كَمَا يَقَالُ رَقَعْتُ الْخُرْقَ .

(١) هو عدى بن زيد العبادي . حماسة البحري ١٥٤ .

٢٢٤

وقال زاهر أبو كرام التيمي^(١) :

١- لله تيمم أي رُمح طرادٍ لاقى الحمامُ به ونصلٍ جِلادٍ

قوله « لله تيمم » ، تيممٌ : رجلٌ من بني يشكر ، بارزٌ أبا كرامٍ فقتله ، وكان أحدَ الفرسان ، فأخذ أبو كرامٍ يُقيمُ أمره ويعظمُ شأنه ، لأنَّ ثناءه عليه وإكباره لمكانه راجعٌ إليه ، إذ صار قتيله . واللام من « لله تيمم » دخلت للتخصيص ، والتعجبُ دخلَ في الكلام أيضاً بقوله « أي رُمح طراد » . وعلى هذا قولهم : لله دَرّه . وهذا التخصيص باللام يجري مجرى الإضافة في قولهم : بَدتُ الله ، وكعبةُ الله ، وإن كانت الأشياء كلها لله . وقوله « أي رُمح طرادٍ لاقى الحمامُ به » الضميرُ في به لتيممٍ ، والمعنى : لاقى الموتَ بتيممٍ أي رُمحٍ مُطارِدَةٍ ، وأيُّ نصلٍ مُجالدةٍ ، كأنه كان رُمحاً ونصلاً ، ومِحشٌ حربٍ . ويجوز أن يكون المراد : لاقى الموتَ به أي سلاحٍ وعُدَّةٍ ، وأيُّ مقاتلٍ وبطلٍ . ولك أن ترفع « الحمام » ، والمعنى : لاقى الموتَ بتيممٍ أي رُمحٍ وأيِّ رُمحٍ ، وأيِّ سيفٍ وأيِّ سائفٍ . ودلَّ على صاحب السيف والرُمح قوله « ومِحشٌ حربٍ » في البيت الثاني .

٢- ومِحشٌ حربٍ مُقدمٍ مُتعرِّضٍ للموتِ غيرِ مُعَرِّدٍ حَيَّادٍ

يقالُ : حَشَشْتُ النارَ ، إذا جمعتَ الحطبَ إليها وهيَّجتها . كأنه جعله آلةً في حَشٍّ نارِ الحربِ ، لأنَّ المِفْعَلَ والمِفْعَالَ للآلاتِ . والتَّعْرِيدُ : تركُ القصدِ وسرعةُ الانهزامِ . والحَيَّادُ : الذي يَحِيدُ عن موضعِ القتالِ كثيراً . يريدُ أنه

(١) أبو كرام ، كذا ضبط في النسخ بكسر الكاف وتخفيف الراء . و « التيمي » نسبة إلى تيم . وعند التبريزي « أبو كرام التيمي » ، ثم قال : « ويروى : كِدَام » .

يُقَدِّمُ وَلَا يُحْجِمُ . وَاِنْعَظْ « وَمِحْسَ حَرْبٍ » عَلَى « وَنَضَلَ جِلَادٍ » .

٣ — كَاللَّيْثِ لَا يَثْنِيهِ عَنِ إِقْدَامِهِ خَوْفُ الرَّدَى وَقَعَايَعُ الْإِعَادِ

٤ — مَذِلُّ بِمُهْجَتِهِ إِذَا مَا كَذَّبَتْ خَوْفَ الْمَنِيَّةِ نَجْدَةُ الْأَنْجَادِ

يقول : هو في بأسِهِ وإِقْدَامِهِ ، مِثْلُ اللَّيْثِ لَا يَصْرِفُهُ عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي يَوْمُهُ ، وَالْأَمْرِ الَّذِي يُهْمُهُ ، مَا يَسْتَشْعِرُهُ الْجَبَانُ مِنْ خَوْفِ الْمَوْتِ ، وَقَعْقَعَةُ الْوَعِيدِ . وَالْقَعْقَعَةُ : صَوْتُ الْجِلْدِ الْيَابِسِ وَالْبَكْرَةِ ؛ وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : هَالِ فَلَانًا قَعْقَعَةُ الْوَعِيدِ . وَقَالُوا : تَقَعَّقَتْ مَفَاصِلُهُ أَيْضًا .

وقوله : « مَذِلُّ بِمُهْجَتِهِ » كَأَنَّهُ يَطُولُ تَعَرُّضُهُ لِلشَّدَائِدِ ، وَيَدُومُ ابْتِدَالُهُ لِمَا يَجِبُ صَوْنُهُ مِنْ كِرَامِ النَّفْسِ ، فَعَلَّ مَنْ ضَجِرَ بِمُهْجَتِهِ فَاسْتَقْتَلَ ، وَاسْتَطَابَ الْمَوْتَ فَتَعَجَّلَ . وَيُقَالُ : مَذِلَ بَسْرُهُ ، إِذَا بَاحَ بِهِ . وَالْمُهْجَةُ : خَالِصَةُ النَّفْسِ ، وَمِنْهُ الْأُمُهْجَانُ فِي اللَّبَنِ ^(١) . وَانْتَصَبَ « خَوْفَ الْمَنِيَّةِ » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَإِذَا مَا كَذَّبَتْ نَجْدَةُ الْأَنْجَادِ ، ظَرَفُ لِقَوْلِهِ مَذِلٌ ، وَالْمَعْنَى : إِذَا خَانَتْ شِدَّةُ الْأَشِدَّاءِ ، وَلَمْ تَفِ بِمَا تَعِدُ شِجَاعَةُ الشُّجْعَانِ ، لِاسْتَفْحَالِ الشَّانِ ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَانَ يَمْذُلُ بِمُهْجَتِهِ ، فَكَأَنَّهُ يَمِيلُ إِلَى انْقِطَاعِ الْعُمُرِ . وَالْأَنْجَادُ : جَمْعُ النَّجْدِ . وَالنَّجْدَةُ : الْبَاسُ . وَيُقَالُ : هُوَ صَادِقُ الْبَاسِ ، كَمَا قِيلَ كَاذِبُ الْبَاسِ .

٥ — سَأَقِيمُهُ كَأْسَ الرَّدَى بِأَسِنَّةٍ ذُلِقَ مُوَلِّلَةَ الشِّفَارِ حِدَادِ

٦ — فَطَعَمْتُهُ وَالْخَيْلُ فِي رَهْجِ الْوَعْيِ نَجْلَاءَ تَنْضَحُ مِثْلَ لَوْنِ الْجَادِي

أَخَذَ يَقْتَصُّ كَيْفَ قَتَلَ تَيْمًا . وَالْمَسَاقَاةُ تَكُونُ مِنْ اثْنَيْنِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ :

(١) يُقَالُ . لِبَنِ أُمُهْجَانَ ، إِذَا سَكَنَتْ رَغْوَتَهُ وَخَاصٌ وَلَمْ يَخْتَرْ .

« بِأَسِنَّةِ ذُلُقٍ » فجمع ، وإنما كان سِنَانٍ من رُمَحَيْن . ويجوز أن يكون جَمَعَ لأنه أراد الزُّجَّ والسِّنَان من كلِّ واحدٍ منهما . والذُّق : المَحْدَدَةُ . وذُلُقُ كلِّ شيءٍ : حَدُّهُ ، ومنه قيل ذَلِيقُ اللِّسَانِ . والمُؤَلَّلَةُ أيضا : المَحْدَدَةُ . والشَّفَارُ ، أصله أن يستعمل في السِّكِّين العريض . وكما جعلَ هذا الشَّفَرَةَ لِلرُّمَحِ جعله غيرُهُ لِلسَّيْفِ فقال :

وَيَرَكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنِ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلٌ^(١)
 وقوله « فَطَعَنْتُهُ وَالْخَيْلُ » الواو واو الحال ، والرَّهَجُ : الغبارُ . وقوله :
 « نَجْلَاءُ » أراد طَعَنْتُهُ طَعْنَةً نَجْلَاءُ أَي وَسِعَةٌ ، تَنْضِحُ أَي تَرُشُ . والنَّضْحُ
 بالحاء غير معجمة يستعمل فيما رَقَّ ، وبالحاء معجمة فيما غُلِظَ . وقوله « مِثْلُ لَوْنِ
 الْجَادِي » يَعْنِي بِهِ دَمًا ، أَي لَوْنُهُ مِثْلُ لَوْنِ الزَّعْفَرَانِ .

٧- فَكَأَنَّمَا كَانَتْ يَدِي مِنْ حَتْفِهِ لَمَّا انْتَنَيْتُ لَهُ عَلَى مِيعَادِ

٨- فَهَوَى وَجَائِشَهَا يَفُورُ بِمُرْبِدٍ مِنْ جَوْفِهِ مُتَدَارِكِ الْإِزْبَادِ^(٢)

قوله « فَكَأَنَّمَا كَانَتْ يَدِي مِنْ حَتْفِهِ » يريدُ أَنَّهُ سَقَطَ لِأَوَّلِ طَعْنَةٍ ، فَكَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا ، لِأَنَّهَا كَانَتْ جَائِقَةً نَافِذَةً إِلَى الْمَقْتَلِ ، فَكَانَ بَيْنَ حَيَاتِهِ وَبَيْنَ يَدِي لَمَّا أَمَلَتْهَا لِلطَّعْنِ مَوْعِدَةً أَنْجِزَتْ ، وَخَذَلَتْهُ اخْتِطَفَتْ . وقوله « فَهَوَى وَجَائِشَهَا يَفُورُ » يريدُ : سَقَطَ وَمَا يَجِيشُ مِنْ نَجِيْعِهِ يَسِيلُ وَقَدْ عَلاهُ الزَّبْدُ لِكَثْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ ، فَهُوَ يَمُورُ وَلَا يَرَقُّ وَلَا يَهْدَأُ . ومعنى « مُتَدَارِكِ الْإِزْبَادِ » أَي مُتَابِعِهِ ، أَي إِزْبَادُهُ لَا يَنْقَطِعُ .

(١) البيت لمعن بن أوس . ديوانه ٣٧ ليسك وأمالى القالى (٣ : ٢١٩) .

(٢) النبريزى : « متتابع الإزباد » .

٢٢٥

وقال عمرو القنا^(١) :

١ - القائلين إذا هم بالقنا خرجوا من غمرة الموت في حوماتها عودوا

الحومات : جمع حومة ، وهي في الأصل أكثر موضع في البحر ماء ، وكذلك في الحوض ، فاستعارها لشدة الحرب . وإنما يصف حرصهم على القتال ، وأنه لا يلحقهم السامة فيه والملا ، فمتى خرجوا من غمرة منية ، وحومة كرية ، مطاردين الأعداء ، دعتهم أنفسهم إلى أن يتنادوا : عودوا ، فلا شفاء نلنا ، ولا بواء من الأعداء أصبنا . وقوله « بالقنا خرجوا » أى خرجوا ومعهم القنا . وعودوا في موضع المفعول من القائلين ، وهو حكاية ما قالوا .

٢ - عادوا فعادوا كراماً لا تنابله عند اللقاء ولا رُعش رعايد

قوله « لا تنابله عند اللقاء » مثله قول الهذلي^(٢) :

قد ظلت فيها معي شعث كأنهم إذا يشب سعيرو الحرب أرماع

يقول : عادوا لاتفاق آرائهم واجتماع كلماتهم ، وهم كرام الموافقة ، شداد المناصبة ، لا يتضاءلون عند اللقاء ، ولا يتقاصرون في جهد البلاء ، ولا يرتعشون في الدفاع ، ولا يتخاضعون أوان الامتناع . والتنابله : جمع التنبال ، وهو القصير . والرعايد : جمع رعايد ، وهو الذى لا يتماسك جبيناً وضعف قلب .

٣ - لا قوم أكرم منهم يوم قال لهم محرض الموت عن أحسابكم ذودوا

(٣) فى هامش التيمورية : « وهو أحد الفوارس الخوارج مع قطرى » . وانظر خبر حربه مع المهلب وابنه حبيب فى تاريخ الطبرى ، فى حوادث سنة ٦٥ . وهو غير عمرو القنا الجاهلى الذى ذكره لقيط بن يعمر فى قوله :

كلاك بن قنان أو كصاحبه عمرو القنا يوم لاقى الحارثين معا

(٢) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ٥٠) .

دخل تحت قوله « أَكْرَمُ مِنْهُمْ » كلُّ خصلةٍ محموديةٍ ، لأنه إذا تناهى كرمهم إذا دعا الداعي وقت التحريض : أن ادفَعُوا عن أحسابِكُمْ ، فقد حصلوا كلَّ منقبةٍ شريفةٍ ، وطلَعُوا على كلِّ ثَنِيَّةٍ من ثنايا المجدِ مُنيفةٍ ، واكتسَبُوا من الأحداثِ الجميلةِ بما يظهرُ من بلائِهِم ما يَقَعُرُّ عنه كلُّ أكرمِةٍ نبهيةٍ .

٢٢٦

وقال الفرزدق^(١) :

١ - إِنْ تُنْصِفُونَا يَا لَ مَرَّوَانَ نَقْتَرِبْ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَأَذْنُوا بِبِعَادِ

يقولُ : إِنْ حَمَلْتُمُونَا^(٢) فِي مَجَاوِرَتِنَا لَكُمْ عَلَى السَّوَاءِ ، وَتَرَكْتُمْ^(٣) الْبَغْيَ عَلَيْنَا وَالْعَلَاءَ ، اخْتَلَطْنَا بِكُمْ ، وَطَلَبْنَا مَوَافَقَتَكُمْ ، وَإِلَّا فاعلمُوا أَنَّ الْبِعَادَ مِنْكُمْ هَمُّنَا وَهَمَّتُنَا ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَنَا صَبْرٌ عَلَى الْاهْتِضَامِ ، وَلَا طَرِيقٌ إِلَى الْإِنْتِقَامِ ، فَلَا ثَالِثَ لَهَا إِلَّا الْإِنْتِقَالَ . وَيُقَالُ أَذِنْتُ بِكَذَا ، إِذَا عَلِمْتَ بِهِ فَاسْتَعَدَدْتَ لَهُ ؛ وَأَذَنِي فُلَانٌ ؛ وَمِنَهُ الْأَذَانُ بِالصَّلَاةِ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَذَّنَ .

٢ - فَإِنَّ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحًا وَمَذْهَبًا بَعِيسٍ إِلَى رِيحِ الْفَلَاةِ صَوَادٍ^(٤)

قوله « مَزَاحًا » هُوَ مِنْ زَا حَ يَزِيحُ ، إِذَا ذَهَبَ ؛ وَمِنَهُ أَرْحَتِ الْعِلَّةَ . وَالْكَلَامُ خَارِجٌ عَلَى أَنَّهُ تَفْسِيرُ الْبِعَادِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَبَيَّأَنُهُ . يَقُولُ : إِنْ سُمِّتُمُونَا خَسْفًا ، وَأَذَقْتُمُونَا فِي وَلَا يَتِيكُمُ عَسْفًا ، فَإِنَّ لَنَا عَنْكُمْ فِي الْأَرْضِ مَبْعَدًا وَمُنْتَأَى ،

(١) شهرة الفرزدق تعنى عن ترجمته . ولا يكاد مرجع من مراجع التراجم الأدبية يخلو منها . وذكر ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٣٠٤) أن الأبيات للبرج بن خنيزر التميمي وكان الحجاج قد ألزمه البعث إلى المهلب لقتال الأزارقة ، فهرب منه إلى الشام . وذكر المبرد في الكامل ٢٩٠ أن الأبيات لمالك بن الربيع المازني ، قالها حين هرب من الحجاج .

(٢) في الأصل : « إِنْ حَمَلْتُمُونَا » ، صوابه في م والتيمورية .

(٣) في الأصل : « وَتَرَكْتُمُونَا » ، صوابه في م والتيمورية .

(٤) رواية ياقوت : « مَزَا حًا وَمَزَحَلًا » .

بِإِبِلٍ بَيْضٍ كِرَامٍ ، أَنْفَتِ الْمَفَاوِزَ ، فَهِيَ لِلتَّلَكُّوْ (١) عَنْهَا نَوَازِعُ دُونِهَا ، عَوَاطِشُ إِلَى رِيحِهَا . وَالصَّوَادِي : جَمْعُ صَادِيَةٍ ؛ وَالصَّدَى : الْعَطَشُ .

٣— مُخَيِّسَةٌ بُزْلٍ تَخَايَلُ فِي الْبُرَى سَوَارٍ عَلَى طُولِ الْفَلَاةِ غَوَادٍ

التَّخْيِيسُ : حَبَسَ الْإِبِلَ عَلَى السَّكْدِ وَالْعَمَلِ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

* وَخَيْسِ الْجِنِّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ (٢) *

أَيِ احْبِسْتَهُمْ وَاسْتَعْمَلْتَهُمْ ، وَإِنَّمَا وَصَفَ الْعَيْسَ لِيُرِيَ أَنَّهُ مُتَمَكِّنٌ مِنْ مُرَادِهِ فِي التَّبَاعُدِ ، مُسْتَظْهِرٌ فِي الْعُدَّةِ لِلسَّفَرِ إِنْ اضْطُرَّ إِلَيْهِ . وَجَعَلَهَا بُزْلًا لِتَكُونَ مَتْنَاهِيَّةً فِي الْقُوَّةِ . وَقَوْلُهُ « تَخَايَلُ فِي الْبُرَى » أَيِ تَحْتَالُ فِي سَيْرِهَا وَهِيَ مُبْرَاةٌ تُطِيقُ وَصَلَ السَّيْرِ بِالشَّرَى ، عَلَى امْتِدَادِ الشُّقَّةِ وَطُولِ الْوَجْهِةِ . وَقَوْلُهُ « فِي الْبُرَى » فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَلَى الْحَالِ .

٤— وَفِي الْأَرْضِ عَنِ ذِي الْجَوْرِ مَنْأَى وَمَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أُوطِنَتْ كِبِلَادِي

أَظْهَرَ فِي الْكَلَامِ طَيْبَ نَفْسِهِ عَلَى السَّفَرِ ، وَسُئِلَهُ عَنْ بَلَدِهِ وَمَوْطِنِهِ ، فَقَالَ : فِي الْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ مُنْتَزِحٌ وَمَتَوَجِّهٌ عَنِ الْجَائِرِينَ ، وَكُلُّ مَكَانٍ اتَّخَذْتَهُ (٣) وَطَنًا كَانَ كَمَسْقَطِ رَأْسِي ، وَمَقَرٌّ نَشْئِي ، إِذْ لَا قَرَابَةَ بَيْنَ الدِّيَارِ وَسَكَّانِهَا وَلَا مُشَاكَلَةَ ، وَإِنَّمَا يُخْتَارُ مِنْهَا مَا كَانَ إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبَ ، وَلِلْعِزِّ أَجْلَبَ ، وَمِنْ الْمَهَانَةِ وَالذَّلِّ أَبْعَدَ .

٥— وَمَاذَا عَسَى الْحِجَّاجُ يَبْلُغُ جَهْدُهُ إِذَا نَحْنُ خَلَفْنَا حَفِيرَ زِيَادِ (٤)

كَانَ شَكْوَاهُ مِنَ الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، وَتَأْذِيهِ بِسُوءِ مَعَامَلَتِهِ ، فَأَخَذَ يَسْتَهِينُ

(١) م والتمورية : « للتأخر » .

(٢) مجزه : * بينون تدمر بالصفاح والعمد *

(٣) هذا ما في م والتمورية . وفي الأصل : « أعدته » .

(٤) جهده ، بالنصب في الأصل ، وبالرفع في م والتمورية والتبريزي .

به . يقول : إذا خرجتُ من مَلَكَتِه ، وفارقتُ أَرْضِي^(١) مملكتِه ، وتباعدتُ
 عن حومةِ سُلْطَانِه ، ودارِ أمرِه ونَهْيِه ، وخَلَّفتُ ورأى حَفِيرَ زيادِ بنِ أبيه ،
 الذي هو حَدُّ عَمَلِه ، فإذا تَرَاهُ يَقْدِرُ عليه مِنِّي ، أو يستطيعُ اختيارَه من إيدائي
 وقَصْدِي . وعسى من أفعال المقاربة ، والفِعْلُ بعده يَصْحَبُه أن في الكلام . وفي
 القرآن : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ
 شَرٌّ لَكُمْ ﴾ . إلا أنه في الشَّعر قد يشبه تكادُ ، وهو نظيرُه في أنه من أفعال
 المقاربة ، فينزعُ منه أن ، لأنَّ الفِعْلَ بعد كاد يكون بغيرِ أن . ومثله في ذلك
 قول الآخر :

﴿ عَسَى اللَّهُ يُعْنِي عَنِ تِلَادِ ابْنِ قَادِرٍ ﴾

ويعني بحفيرِ زيادٍ نَهْرًا كان احتقره زياد .

٦- فَبِأَسْتِ أَبِي الْحِجَّاجِ وَأَسْتِ عَجُوزِهِ عُمَيْدُ بَهْمٍ تَرْتَعِي بِيْهِ هَادٍ

قوله « بِأَسْتِ أَبِي الْحِجَّاجِ » قال أبو زيد : القَصْدُ بمثل هذا القول أن
 يبيِّن أنه يتجاسرُ على ذِكْرِ السَّوْءِ منه . والباء من قوله « بِأَسْتِ » متعلِّقةٌ
 بمضمَرٍ ، كأنه لِحَقِّ بِأَسْتِ وَالِدِيهِ كُلِّ خَزِيَّةٍ وَعَارٍ ، وَمَنْقَصَةٍ وَسَنَارٍ . وقوله
 « عُمَيْدُ بَهْمٍ » انتصبَ على الشَّتْمِ والاختصاص ، والعامِلُ فيه فعل مضمَرٌ ،
 كأنه قال : أعني وأذْ كُرُ . وجَعَلَه بهذا الاسمِ أَشْهَرُ وأعرَفَ منه بِالْعِلْمِ له ،
 والاسم الذي سُمِّيَ به . وهذا هو الغَرَضُ في كلِّ ما يُنصَبُ على المدح أو الذمِّ ،
 ولذلك كان أبلَغَ من الصفاتِ التابعةِ لموصوفِها في المعنى ، إذ كانت الصِّفَةُ
 تجيءُ لشرح الاسمِ وإزالة اللبسِ عنه ، وبابُ المدحِ والذمِّ يجيءُ للتنويه والرفع

(٣) أرضى جمع أرض مضافا إلى ما بعده ، وأصله أرضون . وهذا ما في الأصل والتمورية .
 وفي م : « أرض » .

أو التَّهَجِينِ وَالْحَطِّ . وَالْعَتِيدُ : تصغير عَتُودٍ ، وهو مارَعَى وَقَوَى من أولادِ
الغَنَمِ . وَالْبَهْمُ : صغارُ أولادِ الغنمِ . وقوله « تَرَ تَعَى » موضعه جَرٌّ على أنه
صفة لقوله بِهِمْ . والوَهَادُ : ضِدُّ النَّجَادِ . والمعنى : أنه في القَلَّةِ وَالْحِسَّةِ رَيْسُ
أشباهٍ له هذا صِفَتُهُمْ فيما يَنَالُونَهُ من دُنْيَاهُمْ ، فهو فيهم كَعَتُودٍ من بِهِمْ
ذلك صِفَتُهَا .

٧- فلولا بنو مروانَ كان ابنُ يوسفٍ كما كان عبداً من عبِيدِ إِيَادٍ^(١)
يقولُ : لولا تقدُّمُ الحجاجِ بنى مروانَ ، واستعمالهم إِيَاءَهُ ، وجذبهم بِضَبْعِهِ
ورفعهم خَسِيسَتَهُ ، وإبطاؤهم الناسَ عَقْبَهُ لكان حديثاً كما كان قديماً ذليلاً
مُهِيناً حقيراً ، قَمِيّاً بين أمثالٍ له من إِيَادٍ .

٢٢٧

وقال آخر :

١- قد عَلِمَ المُسْتَأخِرُونَ في الوَهَلِ

٢- إذا السُّيُوفُ عُرِّيَتْ من الخِلَلِ

٣- أنَّ الفِرَارَ لا يَزِيدُ في الأَجَلِ

يقال استأخَرَ بمعنى تأخَّر ، كما يقال استقدمَ بمعنى تقدَّمَ . والوَهَلُ : الفزع .

(١) روى بعده التبريزي :

زَمَانَ هو العَبْدُ المَقْرُؤُ بذلَّةٍ يُرَاوِحُ صَبِيانَ القُرَى وَيُغَادِي

وقال في تفسيره : « قال ذلك لأن الحجاج كان معلماً بالطائف . وفي ذلك يقول الشاعر :

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة السكوثر
رغيف له فلكة ما ترى وآخر كالقمر الأزهر »

ثم قال : « وكان الحجاج في صغره يسمى كليباً » .

والخِلَلُ : بَطَائِنُ جُفُونِ السَّيْفِ ، وَالوَاحِدَةُ خِلَّةٌ ، وَالْمُرَادُ بِهَا هَاهُنَا الْجُفُونَ .
 وَقَوْلُهُ « أَنْ الْفِرَارَ » سَدَّ مَسَدًا مَفْعُولِي عِلْمٍ . يَقُولُ : بَانَ وَظَهَرَ لِلَّذِينَ يَتَأَخَّرُونَ
 عَنِ الدَّفَاعِ ، وَيَتَحَامُونَ الْمِصَاعَ ، مُسْتَشْعِرِينَ أَنَّ الْإِحْجَامَ يَقِيهِمْ ^(١) وَيُبْقِيهِمْ ،
 وَظَانِينَ أَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الزُّحُوفِ إِذَا انْتَضَيْتِ السُّيُوفُ يُزِيدُ فِي أَعْمَارِهِمْ — أَنَّ
 الْحَذَرَ لَا يُغْنَى مِنَ الْقَدَرِ ، وَأَنَّ الْمَرْبَ لَا يُزِيدُ فِي الْأَجَلِ . وَهَذَا كَلَامٌ مَنِ
 ابْتَدَلَ نَفْسَهُ فَسَلِمَ وَصَارَ يُعَيَّرُ مَنْ كَانَ بِخِلَافِهِ .

٢٢٨

وَقَالَ شِبْلُ الْفَزَارِيِّ ^(٢)

وَحَارَبَهُ بَنُو أَخِيهِ فَقَتَلَهُمْ

١ — أَيَا لَهْفِي عَلَى مَنْ كُنْتُ أَدْعُو فَيَكْفِينِي وَسَاعِدُهُ الشَّدِيدُ ^(٣)

يَتَنَدَّمُ عَلَى مَا أُجْرِيَ إِلَيْهِ وَجَرَّهُ الْقَدْرُ فِيهِمْ وَفِيهِ ، وَيَتَذَمُّ مِنْ نَكَائِيهِ
 فِي ذَوِيهِ وَيَتَحَزَّنُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ تَلَافِيهِ ، وَيَتَلَهَّفُ مِنْ فَقْدَانِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى
 فَاقَتِهِ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : يَا حَسْرَتَاهُ عَلَى مَنْ كَانَ مَفْرَعِي فِي النَّوَابِ ، وَمُعْتَمِدِي
 فِي الشَّدَائِدِ ، أَسْتَنْصِرُهُمْ فَيَنْصُرُونِي ، وَاسْتَكْفِيهِمْ فَتَحْصُلُ مِنْهُمْ كِفَايَتِي ، وَالْقُوَّةُ
 لَهُمْ وَبِهِمْ ، وَالنُّصْرَةُ مَجْتَلِبَةٌ مِنْ جِهَتِهِمْ . وَقَوْلُهُ « وَسَاعِدُهُ » الْوَاوُ وَوَاوُ الْحَالِ ، أَيُ
 يَكْفِينِي بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ بِأَس .

٢ — وَمَا عَن ذِلَّةٍ غُلِبُوا ، وَلَكِنْ كَذَلِكَ الْأَسَدُ تَقَرَّسَهَا الْأَسْوَدُ

بَيَّنَّ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْتُوا مِنْ ضَعْفٍ ، وَلَمْ يُنْكَبُوا عَنْ وَهْنٍ ، وَلَكِنَّ الْأَشْدَاءَ إِذَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَفْنِيهِمْ » ، صَوَابُهُ فِي مِ وَالْتِيمُورِيَّةِ .

(٢) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « شِبْلُ » بِالتَّصْغِيرِ .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « بِسَاعِدِهِ . أَيُ يَكْفِينِي الشَّدِيدُ بِسَاعِدِهِ » .

تلاقوا متدافعين ومتجاذبين ، فلا بُدَّ من حُصُولِ الغَلَبِ في أَحَدِ جانِبَيْهِمْ ، واحتِجَانِ القَهْرِ لِأَقْرَبِ طائِفَتِهِمْ . على ذلك الأَسْوَدُ تَكْسِيرُهَا الأَسْوَدُ . وقوله : « كذاكَ الأَسْدُ » الأَسْدُ مرْتَفِعٌ بالابتداء ، وتَفَرِّسُهَا الأَسْوَدُ في موضعِ الخبر ، وكذاكَ في موضعِ الحال ، والتقدير : ولكنَّ الأَسْدَ تَفَرِّسُهَا الأَسْدُ كذاكَ ، أى أمثالاً لَمَنْ قَتَلَتْ ، ويجوز أن يكون أشار بذلك إلى الغَلَبِ ، لأنَّ غَلِبُوا يَدُلُّ عليه ، ويجوز أن يكون ذلك خبراً مقدِّماً للأَسْدِ ، وتَفَرِّسُهَا في موضعِ الحال والتقدير : ولكن كما مثَلهم الأَسْدُ إذا فرستها الأَسْدُ ، ومثل هذا قول الآخر :

قَوْمَنَا بَعْضُهُمْ يُقْتَلُ بَعْضًا لَا يَفْلُئُ الحَدِيدَ إِلَّا الحَدِيدُ
ومن الأمثال : « النَّبْعُ يَقْرَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا » .

٣ - فَلَوْلَا أَنَّهُمْ سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ سَوَابِقُ نَبْلِنَا وَهُمْ بَعِيدٌ
٤ - لِحَاسُونَ أَحْيَاضَ المَوْتِ حَتَّى تَطَايَرَ مِنْ جَوَانِبِنَا شَرِيدٌ

هذا الكلام اعترافٌ منه بقُوَّتِهِمْ وغِنَائِهِمْ في الحرب واستقلالِهِمْ ، فيقول : لولا أَنَّا رَشَقْنَاهم بالنَّبْلِ على بُعْدِهِمْ عَنَّا ، وَقَبْلَ تَمَكُّنِهِمْ مِنَّا ، لكان الإِتْيَانُ عَلَيْهِمْ متَعَدِّراً ، والفَرَاغُ مِنْ مُنَاوَشَتِهِمْ متَصَعِّباً ، لما فيهم من الثَّباتِ في الدَّفَاعِ والصَّبْرِ على الوِقَاعِ ، ولأنَّهُمْ كانوا يُسَاقُونَنا المَوْتَ من حِيَاضِهِ إلى أن يتَفَرَّقَ عَنَّا ، ويذهبَ مِنْ جَوَانِبِنَا كُلِّ مَخْتَلِطٍ بِنَا ، يَأْساً مِنَّا ، ونفوراً من حالِنَا ، لما يستشِنُهُ من جَهْدِ بلائِنَا ، وَيُبْشِرُهُ من عَسَرِ لِيَامِنَا ، لكنَّهُمْ شُغِلُوا بما دَهَمَهُمْ من ذلك . وقوله « وَهُمْ بَعِيدٌ » بعيدٌ مِثْلُ الصَّدِيقِ والرَّسُولِ ، في أَنَّهُ يَقَعُ للواحدِ والجمع . وقوله « شَرِيدٌ » يُرادُ به الكثرة ، وإن كان لفظُهُ واحداً . وقوله : « لِحَاسُونَنا حِيَاضَ المَوْتِ » فيه توسُّعٌ ، لأنَّ المَعْنَى ما في الحِيَاضِ .

٢٢٩

وقال قطريُّ بنُ الفجاءة^(١) :

١ - ألا أيُّها الباغِي البرازِ تَقَرَّبَنُ أُساقِكِ بالموتِ الذُّعافِ المُقشِبِ
يخاطِبُ من طَلَبَ مبارزتهُ . ومعنى « تَقَرَّبَنُ » أَقْبِلْ وهَلُمَّ . وقوله « أُساقِكِ
بالموتِ الذُّعافِ » يجوز أن يكون معناه أُساقِكِ بسببِ الموتِ ، ويجوز أن يكون
على القلبِ أراد أُساقِكِ الموتِ بالذُّعافِ ، والمعنى بأن أفعَلَ بك ما يَقومُ مقامِ
سَقَى الذُّعافِ . ويدلُّ على هذا الوجهُ قوله فيما بَعْدَ : « فَمَا في تَساقِي المَوْتِ في
الحَرْبِ سُبَّةٌ » . والذُّعافُ : سَمٌ ساعَةٌ ، ويقالُ طعامٌ مَذْعُوفٌ . ومَوْتٌ ذُعافٌ
أى وَحِيٌّ . والمُقشِبُ : الذي قد خَلِطَ به أدويةٌ تُقوِّيه وتُهَيِّجُه . وأصلُ القَشْبِ :
الخلطُ ، حتَّى قيلَ رَجُلٌ مُقشِبٌ ، أى مخلوطُ الحَسَبِ باللَّوْمِ .

٢ - فَمَا في تَساقِي المَوْتِ في الحَرْبِ سُبَّةٌ على شَارِيهِ فاسْتَقِنِي مِنْهُ واشْرَبَا^(٢)

التَّساقِي : أن يَسْقِيَ بعضهم بعضًا ، ولا يصحُّ الأمرُ مِنْهُ لواحدٍ ، ولا يَتعدَّى
إليه . ومن هذا الوجهِ خالَفَ تفاعلَ فاعلٍ ، وإن لم يَكُنْ فعلُهُما إلا من اثنين
فصاعِدًا . ألا تَرى أَنَّكَ تقولُ يا زَيْدُ ضارِبٌ عَمْرًا ، ولا تقولُ تَضارِبُهُ . والمرادُ
بالكلامِ إظهارَ طيبِ النَّفْسِ بالموتِ ، والتَّسَلَّى عن الحياةِ ، وأَنَّهُ لا يَدْخُلُ العارُ
على من شَرِبَ كَأْسَ الرَّدَى ، ولا مَنقَصَةً على مُتَنازِعِها^(٣) ، فها تَها وخُذْها .

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٢٠ ص ١٣٦ . وقد ضبط في النسخ هنا بسكون الطاء
والصواب فتحها كما سبق .

(٢) التيمورية : « على ساقيه » وفي هامشها إشارة إلى الرواية الأخرى .

(٣) كذا في م والتيمورية ، وفي الأصل : « منازعها » .

٢٣٠

وقال درّاج حين طعن :

١- شُدِّي عَلَى الْعَصَبِ أُمَّ كَهَمَسْ

٢- وَلَا تَهْلِكِ أذْرُعُ وَأَرْوُسْ

٣- مُقَطَّعَاتُ وَرِقَابُ خُنْسْ

٤- فَإِنَّمَا نَحْنُ غَدَاةَ الْأَنْحُسْ

٥- هَيْمٌ بِهَيْمٍ طَلَيْتُ تَمَرَسْ

يقوَّى قلبها على أسوجراحه ، وإحكام شدِّ عصابه ، ويقول : لا يهولنك ما ترين من أذرعٍ مفصّلة ، وأرؤسٍ مقطّعة ، ورقابٍ مقصّرة ، فإن الموت يأتي لحينه وأوانه ، وقدره وميقاته ، ولا يقربُه شدّةُ الجلاد ، ولا فظاعةُ الجراح ، واعلمي أنّ الذي أدانا إلى ما تشاهدينه تناهي العداوات والضغائن ، وانطواه الصدور على الحزازات والسخائم ، وأنّ كلاً منا كان يكظم غيظه ، ويكتم حقدّه ، انتظاراً لعقب الأيام ، وفرص الإمهال ، فلما جمعنا القدر لغداة الأنحس ، كُنّا كإبلٍ جرّبي طليت بالهناء لاقّت مثلها فتحاكّت متلذذة ، وتدافعت متشفية . الهيم : الإبل العطاش ، وإذا كانت جرّبي قد عطشت وطليت كان حماها أزيد ، وكرّبها أفضح ، وتحككها أشد . والخنس : جمع خانس ، كشاهدٍ وشهيد . والخنوس : الانقباض والانحفاض . والباء من قوله « بهيمٍ » يتعلّق بتمرّس ، وتمرّس صفةُ الهيم الأوّل ، وطليت صفةٌ للثاني .

٢٣١

وقال الأرقط بن دعبل^(١) بن كلب العنبري :

١ — إني ونجمًا يوم أبرق مازنٍ على كثرة الأيدي لمؤتسيان^(٢)

لقي هذا الرجل وابنه قومًا لصوصًا فقاتلهم وظفرا بهم ، فأخذ يقتصُ الحال . ونجمٌ : اسمُ ابنه . يقول : إني وابني نجمًا في يومِ الالتقاء مع المتلصصة بأبرق مازن — والأبرق مكانٌ فيه حجارةٌ سودٌ وبيضٌ ، ومنه جبلٌ أبرقٌ ، إذا كان طاقاته ذات لونين سوادٍ وبياضٍ — على كثرتهم وقتلتنا ، لمؤتسيان ، أي يواسي كلُّ من صاحبه على أمره ، ويساعده على مراسه . وقوله « على كثرة الأيدي » في موضع الحال .

٢ — يلوذ أمامي لوذة بلبانه وترهبُ عنَّا نبتةٌ ويمانٍ

الضمير في قوله يلوذ لنجمِ ابنه ، والباء في بلبانه يتعلق بيلوذ ، ولا يجوز أن يتعلق بقوله لوذة ، لأن الفعل والمصدر إذا اجتمعا فالفعل بالعمل أولى . والهاء ضمير الفرس ، ولم يجرد كرهه ، ولكن المراد مفهومٌ ، وكان الأرقط فارسًا على ما يدلُّ الكلامُ عليه ، والابن راجلًا . وكان ليأذُه من حرِّ الوقاع في الوقت بعدَ الوقتِ بأبيه ، على عادةِ مُزاوِلي الحروب في تسانُدِ الرِّجالة إلى الفُرسان ، ثم قال « وترهبُ عنَّا نبتةٌ ويمانٍ » تنبيهًا على عدتِهما واستظهارهما بسلاحهما . ويعني بالنبتة قوسا .

٣ — ونغشى فنغشى ثم زُمى فترتعي ونضربُ ضربًا ليس فيه تَوَانٍ

يقول : نَحْمِلُ عليهم فيحملون علينا ، ثم يرموننا من بعدُ فزرميهم . كأنهم

(١) كذا في جميع النسخ . وعند التبريزي : « رعبل » .

(٢) أنشده ياقوت هذا البيت في (أبرق مازن) مسبوقا بقوله : « وقال الأرقط » .

طَارَدُوا أَوْلَا ثَم نَاضَلُوا وَأَخْرُوا الْجِلَادَ . فَقَالَ : وَنَضْرِبُ ضَرْبًا لَا فَتُورَ فِيهِ
وَلَا تَقْصِيرَ ، وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخِرُ (١) :

* عَنَا طِعَانٌ وَضَرْبٌ غَيْرُ تَذْبِيبٍ (٢) *

فَالْتَذْبِيبُ الْمَنْفِيُّ كَالْتَوَانِي .

٢٣٢

وَقَالَ وَدَاكُ بْنُ نَمِيلِ الْمَازِنِيِّ (٣) :

١ - نَفْسِي فِدَائِي لَبْنِي مَازِنٍ مِنْ شُمُسٍ فِي الْحَرْبِ أَبْطَالِ

يَقُولُ : أَفْدِي مِنْ كُلِّ سَوْءٍ بِنَفْسِي بَنِي مَازِنٍ ، مِنْ فُرْسَانٍ يَنْفِرُونَ مِنْ
الضَّيْمِ ، وَيَشْمُسُونَ إِذَا التَّقْوَا مَعَ الْأَعْدَاءِ فِي الْحَرْبِ ، شِمَاسًا لَا يُحْصِلُهُمْ (٤) عَلَى
طَمَعٍ مُتَيْحٍ ، وَلَا يُؤَدِّيهِمْ إِلَى يَأْسٍ مُرِيحٍ ، بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجِدَابِ ، فَلَا
يَزَالُونَ مَعَهُمْ عَلَى مِرَاسٍ إِتْعَابٍ لَا يَنْقَطِعُ ، وَلِزَامٍ شَرٍّ لَا يُقْلَعُ ، وَهَكَذَا
يَكُونُ شُمُوسُ الْخَيْلِ فِي الْإِبَاءِ وَالْإِنْقِيَادِ . وَقَالَ لَقِيْطٌ (٥) فَبَيَّنَ الْمَعْنَى وَأَوْضَحَهَا :

جَرَّتْ لِمَا بَيْنَنَا حَبْلَ الشَّمُوسِ فَلَا يَأْسًا مُبِينًا نَرَى مِنْهَا وَلَا طَمَعًا

وَفِي طَرِيقَةِ بَيْتِ وَدَاكُ قَوْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ :

وَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ يَزِيدُهُمْ شِمَاسًا وَصَابِرًا شِدَّةَ الْحَدَّائِنِ

(١) هُوَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ . الْمَفْضَلِيَّاتُ (١ : ١٢٠) .

(٢) صَدْرُهُ : * هَمَّتْ مَعْدُ بِنَاهَا فَتَنِيهَا * .

(٣) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ ١٧ ص ١٢٧ . وَكَذَا تَكَرَّرَتْ « نَمِيلٌ » هُنَا بِالنُّونِ .

وَانظُرْ مَا سَبَقَ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « نَمِيلٌ » بِالذَّاءِ .

(٤) هَذَا ضَبْطُ م . وَضَبْطُ فِي الْأَصْلِ : « يُحْصِلُهُمْ » بِفَتْحِ الْهَاءِ وَتَشْدِيدِ الصَّادِ ، وَكَلَامُهَا

مِمَّا لَمْ يَرِدْ فِي الْمَعْجَمِ .

(٥) لَقِيْطُ بْنُ يَعْمَرَ الْإِيَادِيُّ . وَقَصِيدَتُهُ أَوَّلُ مَخْتَارَاتِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ .

٢ - هَيْمٌ إِلَى الْمَوْتِ إِذَا خَيْرُوا بَيْنَ تَبَاعَاتٍ وَتَقَاتِلِ

الهِيمُ : العِطَاشُ ، وَالتَّبَاعَةُ وَالتَّبَعَةُ بِمَعْنَى . يَقُولُ : إِذَا خَيْرَ بَنُو مَازِنٍ فِيمَا يَزَاوِلُونَهُ بَيْنَ الصَّبْرِ عَلَى الْقِتَالِ وَبَيْنَ الرِّضَا فِيمَا يَلْحَقُهُمْ مَعَهُ تَبِعَاتُ الْعَارِ ، وَجِدُوا يُؤَثِّرُونَ فَوْتَ الرُّوحِ عَلَى التِّزَامِ الهَضْمِ ، إِيْشَارَ العِطْشَانِ لِمَاءِ .

٣ - حَمَّوْا حَمَاهُمْ وَسَمَّا بَيْنَهُمْ فِي بَاذِخَاتِ الشَّرَفِ الْعَالِي

يَقُولُ : مَنَعُوا حَمَاهُمْ مِمَّنْ يُرِيدُ دُخُولَهُ ، وَيُرُومُ إِبَاحَتَهُ ، فَسَلِمَ عَلَى مَرَّةِ الْأَيَّامِ ، وَصَارَ بَيْنَهُمْ مَنْ يَفَاعُ الشَّرَفِ الْعَالِي فِي أَعْلَى مَنْزِلَةٍ ، فَلَا يَرْتَقِي إِلَيْهِ هَمَّةٌ حَاسِدٌ ، وَلَا يَنَالُهُ أُمْنِيَّةٌ مُنَازِعٌ . وَالبَاذِخُ : الْجَبَلُ الطَّوِيلُ ؛ وَمِنْهُ البَذِخُ : الكِبَرُ .

٢٣٣

وَقَالَ سَوَّارٌ (١) :

١ أَجْنُوبُ إِنَّكَ لَوْرَأَيْتَ فَوَارِسِي بِالسَّيْفِ حِينَ تَبَادَرَ الْأَشْرَارُ

٢ - سَعَةَ الطَّرِيقِ مَخَافَةً أَنْ يُوسَّرُوا وَالخَيْلُ تَتَّبِعُهُمْ وَهُمْ فُرَارُ

هَذَا الْكَلَامُ تَلْهُفٌ وَتَحَسُّرٌ ، وَإِخْبَارٌ بِحُسْنِ بَلَائِهِ وَبِلَاءِ فُرْسَانِهِ فِيمَا مُنُوا بِهِ وَتَحَمُّدٌ . فَيَقُولُ : لَوْ شَاهَدْتِ فُرْسَانِي يَا جَنْوَبُ بِالسَّيْفِ - وَهُوَ شَاطِئُ الْبَحْرِ - حِينَ تَسَابَقَ شِرَارُ الرِّجَالِ وَجُبْنَاؤُهُمْ إِلَى مُتَسَّعِ الطَّرِيقِ ، خَارِجِينَ مِنْ مَنَافِذِ الْمَضِيقِ ، خَوْفًا مِنَ الْإِسَارِ ، هَامِّينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، وَالخَيْلُ فِي طَلَبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَبْغِثُونَ بِي عِنْدِ أَحْرَارِ الْبِئْسِ ، وَاشْتِدَادِ الْمِرَاسِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ مَعِيَ فِي الْكِرَائَةِ ، لَرَأَيْتِ أَمْرًا مُنْكَرًا . حَذَفَ جَوَابَ الْأَمْرِ ، وَإِبْهَامُ الْحَالِ فِي مِثْلِ

(١) سبقت ترجمة سوار بن المضرب في الحماسية ١٨ ص ١٣٠ .

هذا الكلام أبلغ من بيانها ، وقد مضى القول في مثله ، فيما تقدم . وسعة الطريق : مفعولٌ تبادر ، ونخافة انتصب على أنه مفعولٌ له ، وأن يُوسرُوا مفعولٌ من المخافة .

٣ - يدعون سوارًا إذا احمر القنا ولكل يوم كريمة سوار
احمرار القنا إنما يكون من الدم السائل عليه ، لكثرة الطعن . وقد قيل : موتٌ أحمر ، ومنيّةٌ حمراء ، يراد الشدة ، حتى قيل سنة حمراء ، وقالوا : « الحسنُ أحمر » أي يتجشم في طاب الجمل الشدائد . وقوله « ولكل يوم كريمة سوار » أراد أن يُبين أن ذلك دأبهم عند الكريمة في دعائي ودأبي في الإجابة ، وأنه لم يكن بدعاً منهم ومني ولا نكراً .

٣٣٤

وقال أبو حزابة^(١) [التميمي] :

١ - من كان أحجم أو خامت حقيقته عند الحفاظ فلم يُقدم على التحم
٢ - فعقبة بن زهير يوم نازله جمع من الترك لم يحجم ولم يخم

هذا الكلام مجرى مجرى التعريض لما يشتمل عليه من التعمير . وقوله « فعقبة » مبتدأ وخبره لم يحجم . فيقول : من كان كف في اللقاء عن الإقدام وقت الحاجة ، وأعنى نفسه من الاقتحام أو ان المحافظة ، راضياً بالقصور والتقصير ، والانخزال والفتور ، أو سقطت همته ، وتخترت حقيقته^(٢) ، فلم تبعثه أنفة ، ولم

(١) اسمه الوليد بن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوى ، حضر وسكن البصرة ثم اكتب في الديوان ، وضرب عليه البعث إلى سجستان فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك ، قال أبو الفرج : وأظنه قتل معه . الأغاني (١٩ : ١٥٢) . التبريزي : « وقال أخو حزابة ، أو بن حزابة » . والتكملة بعده من التيمورية .
(٢) التخرت : التفتر والاسترخاء . في الأصل : « وتخرت » ، صوابه في م والتيمورية .

يهيئجه امتعاضاً وأبيّةً ، فمقبةُ بن زهير يومَ مُنازلتهِ للأتراك لم يتوقّف في المدافعة ، ولم يتكلّبث فيها دون أبعدِ الغايةِ . والإحجامُ : ضدُّ الإقدامِ . وقد مضى القولُ في موضوعه . وحقيقةُ الرَّجُل : ما يحقُّ عليه الدّفعُ عنه من ذويه وحسبه ، كما أنّ حقيقةَ الأمر ما يُتَيَقَّنُ من وجوبه . واستعارةُ النّومِ فيها حسنٌ ، فهو كما يُقالُ نامَ الثّوبُ إذا أُخْلِقَ . وقحَمُ الأمور والطُّرُق : ماصعبَ منها . وقوله « لم يخيم » يقالُ خام عن قرينه ، إذا نكَلَ ونكصَ على عقبه . ويقالُ أيضاً : خام في مكيدتهِ يخيمُ ، إذا لم يظفرَ فيها بخيرٍ . وقوله « فمقبةُ » جوابُ من كان أحجمَ .

٣ - مُشَمَّرٌ للمنايا عن شواهٍ إذا ما الوغدُ أسبَلَ ثوبيهِ على القدمِ

يقول : كَشَفَ في المُجاهدةِ عن ساقه ، وتَشَمَّرَ للبلاءِ عند سِياقه ، إذا الدَّنيُّ من الرّجالِ أرخى ذيله ، فلا يتشَمَّرُ لتلقَى المهمّةِ ، وتغشى غطاءً عجّزه ، فلا ينبعثُ لدفعِ الملمّةِ ، ولا يتحرّكُ لمنعِ المظلمةِ . والشّوى : الأطرافُ . والوغدُ من قولك : وَغَدْتُ القومَ ، إذا خدمتهم . وقوله « إذا ما الوغدُ » ما زائدة ، وإذا ظرّفَ لما دلَّ عليه قوله « مُشَمَّرٌ » وهو جوابه . وفي خلافِ قوله قولُ الآخر^(١) :

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشَمَّرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِزْرِي
ع- خَاضَ الرَّدَى فِي الْعِدَى قَدَمًا بِمَنْصُلِهِ وَالخَيْلُ تَعْلُكُ ثِنِي الْمَوْتِ بِاللُّجْمِ

يقول : دَخَلَ قديمًا في مكَاشفةِ أعدائهِ الهلاكِ بسيفه ، لا يَنْقَبِضُ ولا يُجِجِمُ ، وَالخَيْلُ عَوَاضُ على لُجْمِها ، تَعْلُكُها في أثناءِ الموتِ . وَالْعَلْكَ : المَضغُ ، ويقالُ : في لِسَانِهِ عَوْلُكَ ، أي يَمَضُغُهُ^(٢) . فَعَلَى هذا يكونُ « ثِنِي الْمَوْتِ »

(١) هو أبو جندب الهذلي . اللسان (نصف) ، وقد سبق في ص ٢٩ .

(٢) في الأصل « مضغة » تحريف ، صوابه في التيمورية . وفي القاموس أن العولك للعبة

في اللسان . وفي مقاييس اللغة : « ويقولون : في لسانه عولك ، إذا كان يمضغه ويعلكه » .

ظرفاً ، كما يقال جعلته ثني كذا . ويجوز أن يكون مفعولاً من تغلّك . ويقال :
ثنيت الشيء ثنياً ، ثم يُسمى المثنى ثنياً . ويكون « باللجم » في موضع الحال ،
كأنه قال : والخيل تمضغُ مثنى الموت ، أي مضاعفه ، مُلجمة . وهذا حسن .
وبعضهم روى « والخيل تغلّكُ ثن الموت » ، والثن : حطامُ اليبس ، والمختار
ما قدمته . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

خُضْنَا إِلَيْهِ الْمَوْتِ فِي أَيْمَانِنَا حُمْرُ الشَّفَارِ جُفُونُهُنَّ الْأُرُوسُ
٥ - وَهُمْ مِثُونَ أُلُوفًا وَهُوَ فِي نَفَرٍ شَمُّ الْعَرَانِينَ ضَرَّابِينَ لِلْبِهِمِ
يقول : واقع الأعداء وناجزهم ، على كثرة عددهم ، وهو في رجالٍ كرامٍ
يستنكفون من تقبل العار ، قتالين لبهم الرجال . وقوله « ميثون » جمع مائة
وهي من الأسماء المنقوصة إذ كانت لامها محذوفة ، بدلالة قولهم : أمأيتُ ، ولذلك
جُمع على السّلامة . وإنما أشار إلى جنس التّرك كُله فعدّهم أعداءه ، لأنّه
حارَبَ مِثِينَ أُلُوفًا مِنْهُمْ . والبهم : جمع بهمة ، وهم الشجعان الذين لا يُدرى
كيف يؤتون ، لاستبهام أحرالهم .

٢٣٥

وقال أوس بن ثعلبة^(١) :

١ - جَذَامُ حَبْلِ الْهَوَى مَاضٍ إِذَا جَعَلَتْ هَوَاجِسُ الْهَمِّ بَعْدَ النَّوْمِ تَعْتَكِرُ
يَصِفُهُ بِالنَّفَازِ فِي الْأُمُورِ ، وَاجْتِمَاعِ الرَّأْيِ فِي الْأُخْطُوبِ ، وَالْمِضْيِ فِيمَا يَعْرِضُ ،

(١) هو أوس بن ثعلبة بن زفر بن ودبعة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة . وكان
سيد قومه وأحد فرسان بكر بن وائل بخراسان ، ولي خراسان أيام الدولة الأموية . وهو
صاحب « قصر أوس » ، وفيه يقول ابن أبي عيينة :

فيا حسن ذاك القصر قصرأ ونزهة ويا فيح سهل غير وعمر ولا ضنك
كأن قصور القوم ينظرون حوله إلى ملك موف على قنة الملك =

وَتَرَكَ التَّبَاطُؤَ عَمَّا يَعْنُ وَيَحْدُثُ ، وَأَنَّهُ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ رُكُوبِ الْأَسْفَارِ وَتَجَشُّمِ
 الْمَشَاقِّ مَا يَدْفَعُ فِي صَدْرِ الْقَرَمِ ، وَيَثْنِي مِنْ حَدِّ الْقَصْدِ ، بَلْ يَقْطَعُ عِلَاقَ
 الْهَوَى ، وَيُبْعِدُ عَنْ نَفْسِهِ عَوَاقِقَ الْمُنَى ، فَيَمِضِي قُدُمًا إِذَا أَقْبَلَتْ عَوَارِضُ الْمَهْمُومِ
 بِاللَّيْلِ ، تَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْخَاطِرِ ، وَتَجُولُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ . وَالْجُذْمُ : الْقَطْعُ .
 وَحَبْلُ الْهَوَى : الْوُصْلَةُ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّفْسِ . وَعَاكَرَ وَعَاكَرَ : عَطَفَ .
 [وَالْمَاجِسُ : مَا وَقَعَ فِي خَلْدِكَ . وَأَنْشُدَ :

فَطَاطَأْتُ النَّعَامَةَ مِنْ قَرِيبٍ وَقَرَّتْ هَاجِسَهَا بِهَجْسِي ^(١)
 النَّعَامَةُ : اسْمُ فَرْسِهِ ^(٢) .

٢ - وَمَا تَجَهَّمَنِي لَيْلٌ وَلَا بَلَدٌ وَلَا تَكَاءَدَنِي عَنْ حَاجَتِي سَفَرٌ
 قَوْلُهُ « وَمَا تَجَهَّمَنِي لَيْلٌ » فِيهِ قَلْبٌ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى : مَا تَجَهَّمْتُ لَيْلًا وَلَا بَلَدًا .
 وَيُقَالُ تَجَهَّمْتُ فُلَانًا وَفُلَانًا ، إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ بِوَجْهِ كَرِيهِ . وَأَسَدُّ جَهْمٌ
 الْوَجْهِ . فَيَقُولُ : لَا أَتَكَرَّرُهُ زَمَنًا ، وَلَا اسْتَصْعَبُ مَرَكَبًا ، وَلَا اسْتَبْعِدُ بَلَدًا إِذَا
 سَنَحَ أَمْرٌ أَوْ جَبَّ نَهْوً ، أَوْ سَفَرٌ اقْتَضَى لِبُعْدِهِ صَبْرًا جَمِيلًا . وَيُقَالُ تَكَاءَدَنِي
 كَذَا ، وَتَصَعَّدَنِي كَذَا ، إِذَا شَقَّ عَلَيْكَ .

٢٣٦

وَقَالَ آخِرٌ ^(٣) :

١ - أَقُولُ وَسَيِّفِي فِي مَفَارِقِ أَغْلِبِ وَقَدْ خَرَّ كَالْجِذْعِ السَّحُوقِ الْمُسْتَدَّبِ
 مَفْعُولٌ « أَقُولُ » أَوَّلُ الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ « بَكَ الْوَجْبَةُ » .

= وهو زوج أم الأطباء السودوسية ، التي اشترت بشار بن برد بدينارين ثم اعتقته . معجم
 البلدان (٧ : ٩٩) والآغاني (٣ : ٢١) .

(١) أنشده في اللسان (هجس) .

(٢) التكملة من م والتمورية .

(٣) التبريزي : « وقال آخر وقد أوقعت مازن بقوم من بني عجل فقتلوا منهم ، فعدت

بنو عجل على جار لبني مازن فقتلوه » .

وقال « في مَفَارِقِ » لأنه جمعُه على ما حَوَّلَه ، كما يقال بَعِيرٌ ضَخْمُ العِثَانَيْنِ ، كأنَّهُ جَعَلَ كُلَّ قِطْعَةٍ مِمَّا يَلِي المَفْرَقَ مَفْرَقًا فجمعه . ومعنى خَرَّ سَقَطًا ، ومصدره الخُرُور . والسَّحُوقُ من النَّخْلِ والحُمْرُ : الطويل . يقال : أَتَانُ سَحُوقٌ ، ونَخْلَةٌ سَحُوقٌ . يقول : لَمَّا تَمَكَّنْتُ من أَغْلَبَ قَنَعَتُهُ بِسَيْفِي فَسَقَطَ ، قُفِلْتُ متسِفِيًا ومُسْتَهِينًا : أَنَاخَتِ الوَجْبَةُ بِكَ لَا بِنِ كُنْتَ تَطْلُبُهُ لَهَا^(١) ، وهذا كما يقال : لليدين وللنعم . وقوله « كالجذع » في موضع الحال ، والعامِلُ فِيهِ خَرَّ ، وتشبيهه إِيَّاهُ بِالْجِذْعِ من قديم التشبيه ، وفي القرآن : ﴿ كَانَهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ^(٢) ﴾ . وَجَعَلَهُ مُشْدَبًا لِيَكُونَ طُولُهُ أَظْهَرَ .

٤- بِكَ الوَجْبَةُ العُظْمَى أَنَاخَتْ وَلَمْ تُدْنِخْ بِشُعْبَةٍ فَابْعَدْ من صَرِيحٍ مُلْحَبٍ . أراد بالوَجْبَةِ العُظْمَى المَنْيَّةَ . وفي القرآن : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ . أى نَزَلَ بِكَ المَكْرُوهُ الأَعْظَمُ ، والبلاءُ الأَفْظَعُ ، لَا بِشُعْبَةٍ . كَانَ هَذَا المَصْرُوعَ كَانَ يَتَوَعَّدُ شُعْبَةً بِالقَتْلِ ، أو يريدهُ له وَيَتَمَنَّاهُ ، فَمَا ائْتَمَرَهُ^(٣) بِهِ أَصَابَهُ وَحَقَّ عَلَيْهِ . وقوله « فابعد » دُعَاءٌ عَلَيْهِ على طريق الاستهانةِ بِمَا حَلَّ بِهِ . وَالمُلْحَبُ : المَذَلُّ ، ومنه طريقٌ لِاحِبِّ أَي وَاضِحٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى مُلْحَبٌ مَجْرُوحٌ مُقْتَطَعٌ . يُقَالُ لَحَبْتُ اللَّحْمَ إِذَا قَطَعْتَهُ طُولًا .

٣- سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سُلَّ أَوْ مَضَتْ إِلَيْهِ ثَنَائِيَا المَوْتِ من كُلِّ مَرَقَبٍ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ تَابَاطُ شَرًّا :

إِذَا هَزَّهُ فِي عَظْمٍ قَرْنٍ تَهَلَّلَتْ نَوَاجِدُ أَفْوَاهِ المَنَايَا الضَّوَّاحِكِ^(٤) وَإِنْ كَانَ هَذَا أَبْلَغُ ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ ضَحِكَ المَوْتِ تَأَلَّقَ السَّيْفِ إِذَا جَرَّدَ من

(١) كذا في م والتميمورية . وفي الأصل : « تظلمه لها » .

(٢) الآية ٧ من سورة الحاقة . وفي الآية ٢٠ من سورة القمر : « كَانَهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مَنْقَعَرٍ » .

(٣) ائتمر به : هم به .

(٤) البيت ٨ من الحماسية ١٣ .

الغمدِ سُروراً به ، وذلك جعله إلى المضروب به ثقةً بكونه له . ويقالُ أومَضَ
وَوَمَضَ ، إذا لَمَعَ . ورواه بعضهم : « أومَضَتُ إليه منأيا الموتِ » ،
وهو تصحيف .

٤ - وَيَا عِجْلُ عِجْلِ الْقَاتِلِينَ بِذَخْلِهِمْ غَرِيبًا لَدَيْنَا مِنْ قِبَائِلِ يَحْصُبِ^(١)

٥ - جَنَيْتُمْ وَجُرْتُمْ إِذَا خَذْتُمْ بِحَقِّكُمْ زَعَمْتُمْ غَرِيبًا مُرْمَلًا غَيْرَ مُذْنِبِ^(٢)

قوله « عِجْلُ الْقَاتِلِينَ » هو إضافة البعضِ إلى الكلِّ ، وكرره تأكيداً .
ولك أن تضمَّ عِجْلَ الأوَّلِ وتنصبَ الثاني على البدلِ ، أو على عطفِ البيانِ .
وبنو عِجْلٍ كانوا موتورين بما ارتكب منهم قبيلةُ الشَّاعرِ ، وهم بنو مازنِ ،
فلَمَّ يطلُبُوا ذخْلَهُمْ من وجهِهِ ، ولا أدَرَ كوا الثَّارِ من كاسبِهِ ، لكنهم أخذوا
غريباً كان جاوَرَ بني مازن فقتلوه ، فقال هذا الشَّاعرُ في مخاطبتهم معيَّراً ، وهازئاً
متهمكماً : يا عِجْلُ الْقَاتِلِينَ بوترهم غريباً كان عندنا من بي يَحْصُبِ ، لم يسعَ في
اكتساب الثَّارِ الذي تدَّعونه ، ولا أعملَ فيه يدهُ وسِنانه حتى جَنَيْتُمْ وَعَدَلْتُمْ
عن طريق الرِّشَادِ ، إذ أخذتم بحقكم - على زُعَمِكُمْ - غير وَاثِرِكُمْ . فقوله « إذ
أخذتم بحقكم زَعَمْتُمْ » يجوز أن يضعفَ بالزُّعْمِ دعواهم الحقَّ المشارَ إليه ، ويجوز
أن يضعفَ ما توهموه من دَرَكَ الثَّارِ بما فعلوه . ويجوز أن يضعفَ الأمرينِ
جميعاً ، وهو الأشبه . فإن قيل : أين مفعول زَعَمْتُمْ ، وكيف ساغ حذفهما ؟ قلت :
الحذفُ هنا كالحذفِ في قوله تعالى : ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ .
وكالحذفِ في قول السُّكْمَيْتِ :

بأى كتابٍ أم بآيةٍ سُنَّةٍ ترى حُبَّهُمْ عاراً عليك وتَحْسِبُ^(٣)

(١) التبريزي : « فيا عجل » .

(٢) التبريزي : « غريباً زعتم » .

(٣) كذا في جميع النسخ ، وعند التبريزي كذلك . ومشهور الرواية كما في الهاشميات

فكما حُذِفَ مفعولا تَحَسِبُ في بيت الكُمَيْتِ ، ومفعولا تَزْعُمُونَ في الآية ، كذلك حذف مفعولا زعتم من هذا البيت ، ويكون التقدير : إذ أخذتم بحقكم - زَعَمْتُمُوهُ مَأْخِزاً - رجلاً هذا صِفْتُهُ ، وبحقكم زعمتموه ثانياً ، فحذف ذِكْرَ الْحَقِّ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِهِ ، ولما حذف المفعول الأول جاز حذف الثاني ، وهذا كما يُحذف المبتدأ والخبر من مسألة الكتاب^(١) ، وهي متى ظننت أو قلت زيدا مُنطَلِقاً . إذا عملت الفعل الأول ساغ ذلك ، لأن الفعل الثاني نقيضهما ، وقد حصل في الكلام ذِكْرُهُمَا . فاعلمه . والمُرْمِلُ : النقيير .

٦ - وما قَتَلَ جَارٍ غَائِبٍ عَنْ نَصِيرِهِ لَطَائِبٍ أوتارٍ بِمَسَلِكٍ مَطْلَبٍ
٧ - فَلَمْ تَدْرِكُوا ذَحَلًا وَلَمْ تَذْهَبُوا بِمَا فَعَلْتُمْ بَنِي عَجَلٍ إِلَى وَجْهِ مَذْهَبٍ^(٢)

يقول : الوترُ مقيمٌ في موضعه ثابتٌ على حاله ، لم تَزِيلُوهُ ولم تُطْعِنُوهُ عن محله ، لأن قَتَلَ جَارٍ لَوَاتِرٍ غَائِبٍ عَنْ نَصَارِهِ ، بعيدٌ عن أرضه ودياره ، لطالب الثأر ليس بطريقٍ يُؤدِّيهِ إِلَى نَيْلِ مُرَادٍ ، ولا بسببٍ يُوصلُهُ إِلَى اشْتِفَاءٍ مِنْ دَاءٍ ، فأنتم لم تُصِيبُوا نُجْحًا فِي فِعْلِكُمْ ، وَلَا سَلِمْتُمْ فِيمَا أُتِيتُمْ مِنْ عَارٍ يَلْحَقُكُمْ .

٨ - وَلَكِنَّكُمْ خَفْتُمْ أَسِنَّةَ مَازِنٍ فَانْكَبْتُمْ عَنْهَا إِلَى غَيْرِ مَنْكَبٍ
٩ - وَقَدْ ذُقْتُمُونَا سَرَّةً بَعْدَ سَرَّةٍ وَعِزُّ بَيَانِ الْمَرْءِ عِنْدَ الْمُجْرَبِ

يقال نَكَبَ بِمَعْنَى تَنَكَّبَ ، ومثله قَدَّمَ بِمَعْنَى تَقَدَّمَ ، ومعناه انحرَفَ . ويقال هو أنكَبُ عن الحقِّ ومِنكَابٌ عنه ، إذا جَانَبَهُ فَيَصِيرُ مِنْهُ فِي شِقِّ . يقول : هَبْتُمْ أَعْدَاءَكُمْ عِنْدَ مَا هَمَّمْتُمْ بِهِ مِنْ طَلْبِ وَتَرِكْتُمْ ، واستشعرتهم منهم جُبْنًا ، فحذرتُمُوهم ، ثم عدلتهم عنهم إلى غيرِ مَعْدِلٍ فَجَبَّحْتُمْ صُورَتَكُمْ ، واخترتهم ذلك

(١) كتاب سيبويه (١ : ٤١) . ونصه : « وقد يجوز ضربت وضربني زيدا ، لأن بعضهم قد يقول : متى رأيت أو قلت زيدا مُنطَلِقاً . والوجه متى رأيت أو قلت زيدا مُنطَلِقاً » .
(٢) كذا في م والتميمورية والتبريزي . وفي الأصل : « فلم تدركوا ثأرا » .

لأنكم خَبَرْتُمونا حالةً بعد أخرى ، والمرءُ يَتَبَيَّنُ الشئُ ، وَيَعْرِفُ الْخَصْمَ
عند تجربته .

٢٣٧

وقال بغير بن لقيط الأسدي^(١) :

- ١- أمّا حكيمٌ فالتَمَسْتُ دِمَاغَهُ وَمَقِيلَ هَامَتِهِ بِحَدِّ الْمُنْضِلِ
 - ٢- وَإِذَا حُمِلْتُ عَلَى الْكَرْيَةِ لَمْ أَقُلْ بَعْدَ الْعَزِيمَةِ لِيَتَنَى لَمْ أَفْعَلِ
- قوله « أمّا » يتضمّن معنى الجزاء ، وأكثُر ما يجيء مكرّرًا ، وقد جاء هنا غير مكرّر . فيقول : مهما كان من شيء فقد طَلَبْتُ دِمَاغَ هذا الرجلِ بسيفي ، فأصَبْتُهُ غير مُتَنَدِّمٍ عَلَيَّ مَا فَعَلْتُ ، ولا مُتَدَمِّمٍ مِنْهُ ، لأنِّي إِذَا حُمِلْتُ عَلَى خُطَّةٍ صَعِبَةٍ فَوَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَيْهَا ، وَقَرَّرْتُ عَزْمِي فِي تَجَشُّمِهَا لَمْ أَقُلْ بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهَا والخروج منها بِوُدِّي أَلَّا أكونَ لَابَسْتُهَا . وأراد بِالْمَقِيلِ الْمَقَرَّ . والهامةُ : رأس كلِّ حيوان ، والجميع الهام . والمُنْضِلُ ، من أسماء السيف . ويقال : ماله عزيمةٌ أي لا يَثْبُتُ على ما يَعَزِمُ عليه . ورأيه ذو عَزِيمٍ . والعزْمُ : توطين النفس على المراد .

٢٣٨

وقال رجلٌ من بني نمير^(٢) :

- ١- أَنَا ابْنُ الرَّابِعِينَ مِنْ آلِ عَمْرِو وَفُرْسَانِ الْمَنَابِرِ مِنْ جَنَابِ^(٣)
- ٢- نُعْرَضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعْرَضُ لِلسَّبَابِ

(١) ذكر في القاموس (بغير) أنه شاعر جاهلي .

(٢) نسب المبرد في الكامل ٦٧ لبيسك بيتين شبيهين بالأول والثاني إلى القتال الكلابي .

(٣) رواية المبرد للبيتين الشبيهين :

أنا ابن الأكرمين بن قشير وأخوالي الكرام بنو كلاب
نعرض للطعان إذا التقينا وجوها لا تعرض للسباب

٣- فآبَى سَرَاةُ بِنَى نُمَيْرٍ وَأَخْوَالَى سَرَاةُ بِنَى كِلَابِ

يفتخرُ بأنَّ آباءه رؤساءَ خطباء . والرابعُ : الرئيس الذي كان يأخذُ رُبْعَ الغنيمَةِ في الغزو . ويقالُ رُبْعَ فُلَانٍ في الجاهليَّةِ وخَسَّ في الإسلام . وذكر عُمَرَا وَجَنَابًا لِيُرَى أَنَّهُ كَرِيمُ الطَّرْفَيْنِ ، يدلُّ على هذا قوله فيما بعده :

فآبَى سَرَاةُ بِنَى نُمَيْرٍ وَأَخْوَالَى سَرَاةُ بِنَى كِلَابِ^(١)

وقوله « نُعْرَضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا » يَصِفُ تَكْرُمَهُمْ وَتَصَوُّنَهُمْ فِي السَّلْمِ ، وَتَبَدُّلَهُمْ فِي الْحَرْبِ . وَيُشْبِهُ هَذَا قَوْلُ الرَّاعِي :

وَيَبْتَدِلُ النَّفْسَ الْمُصُونَةَ نَفْسَهُ إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتَدَالَهَا^(٢)

وقول الآخر^(٣) :

نُعْرَضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ

وسَرَاةُ القَوْمِ : خِيَارُهُمْ . وَقَالَ الخليلُ : السَّرْوُ : سَخَاءٌ فِي مُرْوَةٍ . وَفَعْلَةٌ فِي جَمْعِ المَعْتَلِ نَادِرٌ ، لِأَنَّهُ يَخْتَصُّ بِالصَّحِيحِ ، نَحْوَ الفَجْرَةِ وَالكَفَرَةِ ، وَبِإِزَائِهِ مِنَ المَعْتَلِ فَعْلَةٌ نَحْوَ قُضَاةٍ وَغُرَاةٍ .

٢٣٩

وقال الهدلول بن كعب العبدي^(٤)

حين رآته امرأته يطحن للأضياف ، فقالت : أهذا بعلي^(٥) !؟

(١) نمير وكلاب أخوان ، أبوهما عامر بن صعصعة ، فأبناؤها أبناء عمومة .

(٢) سبق البيت بدون نسبة في الحماسية ٢١ .

(٣) هو الحريش بن هلال القريني . انظر الحماسية ٢١ .

(٤) ذكره المرزباني في المعجم ٤٩١ وقال : « ويقال الدهلول » ، أي بتقديم الذال .

(٥) المبرد في الكامل ٢٣ : « ومما يستحسن ويستجد قول أعرابي من بني سعد بن

زيد مناة بن تميم وكان مملكا ، فنزل به أضياف فقام إلى الرحا فطحن لهم ، فمرت به زوجته في نسوة فقالت لمن : أهذا بعلي؟! فأعلم بذلك فقال «...» . مملكا ، من الإملاك ، وهو عقد النكاح .

١ - تَقُولُ وَدَقَّتْ صَدْرَهَا يَمِينَهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَا الْمُتَقَاعِسِ^(١)

حكى ما قالته امرأته وهي تدق صدرها يمينها ، مستنكرة لما رآته من طحنه لضيفه ، ومستفظة لما شاهدت من تخفيفه وتبذله ، وهو قوله : أَبْعَلِي هَذَا الْمُتَقَاعِسُ بِالرَّحَا . فإنها استشغمت هيئته وامتهانه نفسه فيما يُمتَهَن فيه الخدم^(٢) ، ويأنف من توليه ذؤو^(٣) الرزاة والعزة . وإنما ابتداء كلامه بقول لأن القول يُحكى به ما كان كلاماً ، ويُعملُ فيما كان قولاً . والمتقاعسُ : بناه لما يفعل تكلفاً . على هذا قولهم تخازر وتعاى . والقعسُ : دخول الظهر وخروج الصدر . وقوله « أَبْعَلِي » موضعه رفع بالابتداء ، والألف لفظه لفظ الاستفهام ، ومعناه الإنكار والتقريع . وقوله « هذا » يكون في موضع الخبر ، والمتقاعسُ يتبعه على أنه عطف البيان له . وإن شئت جعلت هذا صفة لبعلي والمتقاعسُ خبراً . وقوله « بِالرَّحَا » لا يجوز أن يتعلق بالمتقاعس ، لأنه في تعلقه به يصير من صلة الألف واللام ، وما في الصلة لا يتقدم على الموصول ، ولكن تجعله تبييناً وتصوراً « المتقاعسُ » اسماً تاماً ، ويصيرُ موقعُ بِالرَّحَا بعده موقعَ بِكَ بَعْدَ مَرَحَبًا ، وَلَكَ بَعْدَ سَقِيًا وَحَدًّا . وإذا كان كذلك جاز تقديمه عليه ، كما جاز أن تقول : بِكَ مَرَحَبًا ، وَلَكَ سَقِيًا . ولما زنى في مثل هذا طريقة أخرى : وهو أن يجعل الألف واللام من المتقاعس للتعريف فقط ، ولا يؤدي معنى الذي ، كما تقولُ نِعْمَ الْقَائِمُ زَيْدٌ ، وَبُسَّ الرَّجُلُ عَمْرُو ، وإذا كان كذلك لم يحتج إلى الصلة ،

(١) التبريزي والبرد : « تقول وصكت » . وعند التبريزي أيضاً « نجرها » موضع « صدرها » .

(٢) كذا في م والتمورية وفي الأصل : « يمتن الخدم » .

(٣) كذا في م والتمورية . وفي الأصل : « ذو » بالإفراد .

فجاز وقوع بالرحا مُقَدِّمًا عليه ومؤخرًا بعده . وموقعُ الجملة التي حكها من كلام المرأة نَصْبٌ على أنه مفعول لتقول . فأما ما يعمل في لفظه « قال » ومتصرفاته فهو ما يكون قولاً ووصفاً للجمل ، كقولك قلت حقاً أو باطلاً ، أو قلت صدقاً أو كذباً وما أشبهه . والبعل يُقال للرجل والمرأة ، وقيل بَعْلَةٌ أيضاً ، والفعل منه بَعُلَ بَعْلَةً وبعولةً . والبعال : ملاعبة الرجل أهله . ويقال بنو فلان لا يُباعِلون ، أى لا يُتزوَّج إليهم ولا يُزوَّجون .

٢ - قُلتُ لها لا تعجلي وتبيني بلائي إذا التفت على الفوارس

حكى ما جعله جواباً للمرأة : كما حكى كلامها ، وهو قوله « لا تعجلي » مع ما يتبعه . ومعنى البيت : لا تسرعى إنكارك ، بل تثبتي في حكمك ، وتبيني براعتي في فعالي ، وغنائى عند الشدائد وبلائي ، إذا اجتمع علىّ في حومة الحرب الفرسان ، وأحاط في مضايقتها بي الأفران ، فإن نجدة الأبطال تظهر في مثل تلك الحال . واعلمي أن ما يستنكف منه هو التخلّف عن الكفاح ، والرضا عن النفس بما لا يجعله الكريم منه بيال ، فأما خدمة الضيف وامتهان النفس في الاحتفال له ، فمقبول من أخلاق الكرام ، محمود عند تجارب الرجال .
وقدم القول في شذوذ فوارس وحكمه (١) .

٣ - ألسنتُ أُرْدُ القِرْنَ يَرَكِبُ رَدْعَهُ وفيه سِنانٌ ذو غرارينِ يابسٍ (٢)

أقبل يُقرّر المرأة على زكي أفعاله ، ورضى أخلاقه . وألف الاستفهام إذا

(١) انظر ما سبق في ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) هذه رواية جميع النسخ والسكامل ومعجم المرزباني . وانفرد التبريزي برواية « نائس » ولكنه في الشرح اعترف بالرواية الأولى ضمناً قال : « ويقولون حديد يابس ، وبارد ، يعنون الصلب . والنائس : المضطرب » . وقد روى في اللسان (ردع) هذا البيت برواية « نائس » منسوباً إلى نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي .

اتَّصَلَ بِحَرْفِ النَّفْيِ تَقَرَّرَ بِهِ فِيمَا كَانَ وَاجِبًا وَاقْعًا ، وَإِذَا انْفَرَدَ عَنْ حَرْفِ النَّفْيِ تَقَرَّرَ بِهِ فِيمَا كَانَ مِنْفِيًّا مَدْفُوعًا . يَقُولُ الْقَائِلُ مَقْرَّرًا : أَفَعَلْتُ هَذَا ؟ إِذَا لَمْ يَكُنْ فَعَلَهُ فَأَنْكَرَهُ . وَالْمُفْعَلُ كَذَا ؟ إِذَا كَانَ قَدْ أَتَاهُ وَاکْتَسَبَهُ . وَالْقِرْنُ : النَّظِيرُ فِي الْبَأْسِ . وَمَوْضِعُ « يَرْكَبُ رَدْعَهُ » [نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، أَيْ رَاكِبًا رَدْعَهُ ^(١)] . وَالرَّدْعُ : الدَّفْعُ وَالْكَفُّ . وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ : أَدْفَعُ الْقِرْنَ وَقَدْ رَكِبَ رَدْعِي إِيَّاهُ فَسَقَطَ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : رَكِبَ رَدْعَهُ وَرَدِيْعَهُ ^(٢) ، أَيْ خَرَّ صَرِيْعًا لَوْجِهِ . وَذِكْرُ الرَّكُوبِ مَثَلٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالرَّدْعِ مَا تَلَطَّخَ بِهِ مِنَ الدَّمِ ؛ وَيُقَالُ ثَوْبٌ مَرْدُوعٌ ، إِذَا كَانَ قَدْ لَطَّخَ بِالزَّعْفَرَانِ ^(٣) أَوْ غَيْرِهِ . وَذَكَرَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَعَانِي أَنَّ مَعْنَى « رَكِبَ رَدْعَهُ » أَيْ إِذَا كَفَّ لَمْ يَرْتَدِعْ وَمَضَى لَوْجِهِ ، كَأَنَّهُ يُتَلَقَّى الرَّدْعُ بِالرُّكُوبِ . وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ : « هُوَ مِنْ ارْتَدَعَ السَّهْمُ ، إِذَا رَجَعَ النَّصْلُ فِي سِنِّهِ مَتَجَاوِزًا ^(٤) » . قَالَ : « وَيُقَالُ رَكِبَ الْبَعِيرُ رَدْعَهُ ، إِذَا سَقَطَ فَدَخَلَ عُنُقَهُ فِي جَوْفِهِ . وَمِنْهُ ارْتَدَعَ فَلَانٌ عَنْ دِينِهِ ^(٥) » . وَالَّذِي قَالَهُ تَحْصِيلُهُ مَا أوردته وكشفتُهُ . وَقَوْلُهُ « وَفِيهِ سِنَانٌ » يَرِيدُ أَنَّهُ مَطْعُونٌ بِسِنَانٍ ذِي حَدَّيْنِ صُلْبٍ . وَمَوْضِعُ « وَفِيهِ » مَوْضِعُ الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ يَرْكَبُ ، كَمَا أَنَّ يَرْكَبُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَالْعَامِلُ فِيهِ أَرُدُّ .

٤ — وَأَحْتَمِلُ الْأَوْقَ الثَّقِيلَ وَأَمْتَرِي خُلُوفَ الْمَنَائِيَا حِينَ فَرَ الْمَغَامِسُ

قَوْلُهُ « وَأَحْتَمِلُ » يَنْعَطِفُ عَلَى خَبَرِ لَيْسَ ، وَهُوَ أَرُدُّ ، وَيَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ

(١) التكملة من م والتمورية .

(٢) لم يذكر في اللسان والقاموس بهذا المعنى ، وذكر بدله في القاموس الرذاع ، كقرباب .

(٣) م والتمورية : « إِذَا كَانَ بِهِ لَطَخٌ مِنَ الزَّعْفَرَانِ » .

(٤) نص الكامل ٢٣ — ٢٤ عند تفسير هذا البيت : « إِذَا رَجَعَ النَّصْلُ مَتَأَخَّرًا

فِي السِّنِّ » .

(٥) هذه الجملة الأخيرة لم ترد في الكامل .

ماقرَّرها به^(١). والأوقُ : الثقلُ . ومعنى « أمترى » أى أمسحُ . وأخلوفُ : جمع الخلف ، وهو ما يقبضُ عليه الحالبُ . وقوله « حينَ فرَّ المعامِسُ » يُروى « المُغامِسُ » بالغين معجمةً . فعنى « المعامِسِ » بالعين الذى يدخلُ فى الشدائدِ ويدخلُ غيرهَ فيها . ويقالُ : يومَ عماسٍ ، أى شديدٍ . ويكونُ المعامِسُ كقولهم المُغامِرُ ، وهو الذى يدخلُ فى الغمراتِ ويدخلُ غيرهَ فيها . وقال بعضهم : العماسُ : الحربُ الشديدةُ وكلُّ ما لا يُقامُ له . ويجوز أن يكونُ المعامِسُ من قولهم عمستُ الأمرُ ، أى أخفَيْتُهُ . ورجلٌ عموسٌ : يتعسَّفُ الأشياءَ بجَهْلِهِ . فيكونُ المعنى : الذى يَرُكَبُ رَأْسَهُ ولا يُبالِى أُصِيبَ أو أُصابَ . ومعنى « المُغامِسِ » بالغين معجمةً : الذى ينغمسُ فى الشرِّ والبلاءِ ، وينغمِسُ غيرهَ فيهما . ومعنى البيتِ : أَلَسْتُ المُتَحَمِّلَ للأعباءِ الثقيلةِ ، والمُسْتَخْرِجَ من ضُرُوعِ المنايا وأخلافِها الشرِّ ، فى الوقتِ الذى يَزِلُّ فيه المُعامِسُ أو المُغامِسُ ، فلا يَثْبُتُ . وجعلَ مَرَى الخلوفِ مثلاً لتَهْيِيجِ الشرِّ ، وامتدِّرارِ الموتِ ، كأنَّهُ يستزيدُ من البلاءِ ولا يَمَلُّهُ ، إذا لم يَثْبُتْ له من ذلك صِفَتُهُ .

٥— وأقْرِى الهُمومَ الطَّارِقَاتِ حَزَامَةً إِذَا كَثُرَتْ لِلطَّارِقَاتِ الوَسَاوِسِ
يقالُ : قَرَيْتُ الضَّيْفَ ، إذا أَحسنتَ إليه وأعددتَ له قِراءَهُ . يقولُ :
أَلَسْتُ أَقْرِى طَوَارِقَ الهَمِّ ، وعَوَاتِقَ البَثِّ ، حَزَمًا ورَأْيًا ، وَجَلَدًا وَنَفَاذًا ، إِذَا
ازدَحَمَتِ الوَسَاوِسُ عَلَى القُلُوبِ ، واعتَلجتْ بِنَاتِ الصُّدُورِ ، فارتبكتِ الآرَاهُ ،
وذهَبَ مِنَ الرَّجَالِ الغَنَاءُ .

٦— إِذَا خَامَ أَقْوَامٌ تَقَحَّمَتْ غَمْرَةٌ يَهَابُ حَمِيَّاهَا الأَلَدُ المُدَاعِسُ^(٢)

(١) كذا فى م والتميمورية على الصواب . وفى الأصل : « من جملة أقررها به » .

(٢) رواية المبرد :

إذا هاب أقوام تجحمت هول ما يهاب حمياه الألد المداعس

خام عن قرنه ينجيم : هاب الإقدام عليه . ويقال خام الرجل ، إذا رجع عليه كيده ، فضره ؛ فيجري مجرى خاب وإن كان يختص بالكيد . فيقول : إذا ضعفت الأقدام عن التدبير ، وعثوا بالأمور فلم يعرفوا مصادرها ومواردها ، توسطت فحمة كل شر يهاب سورتها الرجل الخصيم اللجوج ، المدافع للأقران . قوله « حياها » مصغر لا مكبر له . والدعس : الطعن والدفع وشدة الوطء . ويقال : طريق مدعاس ، أي مذل .

٧- لعمرو أبيك الخير إني لخادم لضيئي وإني إن ركبت لفارس

قوله « لعمرو أبيك » استعطف لها ، إذ أقسم بحياة أبيها لما جرى في العادة من إعظام المقسم به ، وإكبار موقعه . والعمر والعمر لغتان ، ولا يستعمل في القسم إلا بفتح العين . وإضافة الأب إلى الخير ، كما يقال هو فتى صدق ، وهو رجل كرم . وقوله « إني لخادم لضيئي » اعتراف بما عدته ذنباً ، وبيان أن التبجح فيما أنكرته ، وأن التوفر على الضيف وإكرامه في قران الفروسيّة ، ومن الخصال الحمودة .

٨- وإني لأشري الحمد أبغى ربأحه وأترك قرني وهو خزبان ناعس

هذا من جملة ما أقسم عليه ، فيقول : إني لأشري الحمد طالباً ربحه ، ومجتنباً [ثمره . و^(١)] ثمره الإحسان الشكر ، ويحب الشكر الثناء الجميل والأحدوثة الحسنة من كل من يسمع بالصنيع . وأما استعمل الشري في اكتساب الحمد مجلياً للمعنى ، استعمل الربح فيما يتسبب منه وينتج . على ما يتعود في المتاجر ، ويتطلب من البياعات . وقوله « وأترك قرني وهو خزبان » أي أهينه وأكسره ، حتى يبقى مطرفاً خجلاً مغضوض الطرف

مُتَنَدِّمًا ، كَمَنْ غَلَبَهُ النَّعَاسُ . وَقِيلَ فِي « نَاعِسٌ » الْمَرَادُ بِهِ أَنَّهُ مُشْرِفٌ عَلَى الْمَوْتِ . قَالَ : وَيُقَالُ طَعَنْتُ صَاحِبِي فَأَنْمَتُهُ ، أَيْ قَتَلْتُهُ . وَطَعَنْتُ صَاحِبِي فَأَنْعَسْتُهُ ، أَيْ رَنَحْتُهُ . وَالرَّيَاحُ : مَصْدَرٌ كَالرَّيْحِ . وَيُقَالُ لِلْفَائِزِ بِالْخَيْرِ : هُوَ رَاحٌ الصَّفَقَةِ .

٢٤٠

وقال كنزة أم شملة بن برد المنقري^(١) :

١ — إِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهُوَ صَادِقِي بِشَمْلَةٍ يُحْبِسُهُمْ بِهَا مَحْبَسًا أَزْلًا

فقد مضى الكلام في حذف الثون من « ياكُ » في غير موضع . ومراد كنزة من الكلام أن تجعل التتقى في مجاهدة القوم ، وبلوغ أبعاد الغايات في طلب الثار من ابنها ببال ، فأقبلت تقول : ظني بابني كيت وكيت ، مذكرة وموصية . والذي زعمت أنه في ظنها ، ومن أحاديث نفسها ، هو ما تقترحه على ابنها ، وتتمنى أن يحتفظ به من وصايتها . وقوله « وهو » يجوز أن يكون للظن ، والمعنى : إن كنت المعية^(٢) ، فظني بشملة يصدقني لا محالة ، فإنه يفعل كذا . والباء من قوله « بشملة » يجوز أن يكون متعلقا بصادقي ، أي وهو يصدقني بسبب شملة ، وإن شئت يتعلق بظني . ويجوز أن يكون « هو » ضمير ابنه^(٣) شملة ، والمعنى : وهو فيما أفرس فيه وأعتقه من غنائه ، يصدقني — ويكون « بشملة » تبيينا لاصلة ، كما يكون بك بعد مرحبا تبيينا — يحبس القوم بتلك المعركة

(١) التبريزي : « من ولد قيس ، وكانت أمة لبني منقر اشتراها برد » . ويعني بقيس

قيس بن عاصم المنقري . وقيس بن عاصم صحابي مخضرم .

(٢) الوجه : « إن كنت المعية » . ولكن المرزوقي قصد جنس « الشاعر » .

(٣) الوجه : « ابنها » أيضا .

مُحِبِّسًا ضَيْقًا . ويقال أزلوا مالهم يأزِلُونَهَا^(١) أزلًا ، إذا حَبَسُوهَا في المرعى ،
مخافة الأعداء عليها . فالأزلُ مصدرٌ وُصِفَ به .

٢ — فَيَا شَمْلَ شَمْرٍ وَأَطْلُبِ الْقَوْمَ بِالذِّي أُصِيبَتْ وَلَا تَقْبَلِ قِصَاصًا وَلَا عَقْلًا

هذا يدل على ما قدمناه في البيت قبله ، فإنها رجعت إلى مخاطبة ابنها
بعد ما ذكرت هواجس ظنونها ، وجردت القول له بمرادها منه ، وأمرته
بالتشهير في طلب القوم كلهم بمن أصيب به ، وأطراح التقصير فيما جعل له من
سلطانه في حقه ، وبأن لا يقبل الدية وإن غالوا بها ، ولا يرضى بالقصاص منهم
وإن مكثوا من الجاني عليه أيضًا ، بل يعم القوم كلهم بالقتل ، فإنه حينئذ
يكون مدرِكًا تَبَلَه ، وناقضًا وثره ، وقاضيًا حق صاحبه . والقصاصُ : أخذ
الشيء بالشيء ، وأصله من القص : القطع .

٢٤١

وقالت أيضًا :

١ — لَهْفِي عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا بِذِي السَّيِّدِ لَمْ يَلْقُوا عَلِيًّا وَلَا عَمْرًا

٢ — فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهُوَ صَادِقِي بِشَمْلَةٍ يَحْبِسُهُمْ بِهَا مُحْبِسًا وَعَمْرًا

قد تقدّم القول في لهفي ، وما يجوز فيه من نية الأفراد والإضافة^(٢) .
وإنما تحسرت الشاعرة على ما فات عليًا وعمرًا من ملاقات القوم المجتمعين
بذِي السَّيِّدِ المتخلفين للقتال . وإنما تلهفت إِمَّا كانت تؤمل من تأثيرها فيهم .
وموضع « لَمْ يَلْقُوا » نصبٌ على الحال ، والعامل فيه تجمّعوا . ثم قالت
كالمستدرِك برجائه : إِنْ كُنْتُ صَادِقَةً الظَّنُّ بَابِنِي شَمْلَةَ — وهو يصدُقني

(١) كذا في جميع النسخ ، استعمال المال استعمال الإبل .

(٢) انظر ما سبق في ص ٤٤ .

لا محالة — فإنه يحبسُ القومَ بتلك الممركةِ نَحْبَسًا صَعْبًا . تُرِيدُ أَنْ مَافَاتِ
الْمَذْكُورِ بْنِ سَيْتَلَفَاهِ ، فِيمَا يَعِدُهَا بِهِ ظَنُّهَا وَأَمَلُهَا فِيهِ . وَالْقَوْلُ فِي « إِنْ يَكُ ظَنِّي
صَادِقًا » عَلَى مَا تَقَدَّمَ . وَالصَّدْقُ وَالْكَذِبُ أَصْلُهُمَا فِي الْكَلَامِ ، وَتَوَسَّعَ فِيهِمَا
فَقِيلَ بَرْدٌ صَادِقٌ ، وَالْفَجْرُ الصَّادِقُ وَالْكَاذِبُ ، وَهُوَ فَتَى صِدْقٌ ، وَصَدَقُواهُمْ
الْقِتَالِ . وَيُقَالُ : طَرِيقٌ وَعُرٌّ : بَيْنَ الْوَعُورَةِ وَالْوَعَارَةِ ، أَيْ غَلِيظٌ . وَقَدْ
تَوَعَّرَ وَوَعَرَ .

٢٤٢

وقال شبرمة بن الطفيل^(١) :

- ١- لَعْمَرِي لَرِيمٌ عِنْدَ بَابِ ابْنِ مُحْرَزٍ أَغْنُ عَلَيْهِ الْيَارِقَانَ مَشُوفٌ^(٢)
٢- أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ بِيُوتِ عِمَادُهَا سُيُوفٌ وَأَرْمَاحٌ لَهْنٌ حَفِيفٌ^(٣)

الأصل في الرَّيْمِ : الظَّنِيُّ الخالص البياض . وهذا الكلام يخصُّ به الشاعرُ
واحدًا مُعَيَّنًا كَانَ يُقَصِّرُ فِي طَلَبِ الْوِتْرِ ، وَيَشْتغلُ عَنْهُ بِالصَّبَا وَاللَّهُوِ ،
وَيُوئِرُ الْمَقَامَ بِأَطْيَبِ الْمَنْزِلِينَ مِنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ ، لَا يُهْمُهُ إِلَّا الرَّقَاعَةُ
وَالخَلَاعَةُ ، خَالِيَتَيْنِ مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ ، فَأَخَذَ يُعْرِضُ بِهِ وَيَقُولُ عَلَى وَجهِ
التَّهْكِمِ وَالشَّخْرِيَّةِ مِنْهُ : وَبِقَائِي ، لِلِقَاءِ امْرَأَةٍ كَأَنَّهَا ظَبْيَةٌ مَسْكَنُهَا فِي جِوَارِ
هَذَا الرَّجُلِ فِي صَوْتِهَا غَنَّةٌ ، مُحَلَاةٌ بِيَارِقَيْنِ ، مَجْلُوءَةِ الْوَجْهِ ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ

(١) لم نعتزله على ترجمة . ولكن « ابن محرز » الذي ذكره ، من مشهورى المغنين أيام الدولة العباسية . وهو مسلم بن محرز ، مولى بنى محزوم . الأغاني (١ : ١٤٥ - ١٤٧) .

(٢) في اللسان (يرق) : « لعمرى لظي » .

(٣) التبريزى واللسان : « أحب إليكم » . والكلام تهكم كما سيأتى في التفسير .

الأوى إلى بيوتٍ مستحدثةٍ بُنيتْ على عمْدٍ مُتَّخذةٍ من رِماحٍ وسُيوفٍ .
وهذه البيوت للغزاة والمتصيِّدة أكثر ما تكونُ . ألا ترى قول امرئ القيس
بعد فراغه من الصيد :

ورُحْنَا إلى بَيْتِ بَعْلِيَاءِ مَرْدَحِ سَمَاوَتُهُ من أَتْحَمِيٍّ مُشْرَعَبِ
وأوتأدهُ مَازِيَةٌ وَعِمَادُهُ رُدَيْنِيَّةٌ فِيهَا أَسِنَّةٌ قَعَضَبِ (١)

وفي هذه الطريقة قول الآخر :

واللهِ لَلنَّوْمِ على الدِيبَاجِ على الحِشَايا وسرير العَاجِ
مع الفَتَاةِ الطَّفَلَةِ المِغْنَاجِ أَهْوَنُ يَاعْمَرُو من الإِدْلاجِ
وزَفَرَاتِ البَازِلِ العَجْماجِ (٢)

وقوله « مَشُوفٌ » من الشَّوْفِ ، وهو التَّجْلِيَّةُ ، يقال تَشَوَّفَتِ المَرْأَةُ ، إذا
تَزَيَّنَتْ وَطَرَّتْ (٣) ، وَشَقَّتْهَا وهى مَشُوفَةٌ (٤) . وقوله « لَهْنٌ حَفِيْفٌ » ، فالحفيفُ :
صوتُ طَيْرَانِ الطَّائِرِ وصوت الرَّمِيَّةِ .

٣ - أقولُ لِفَتِيَانِ ضِرَارٍ أَبُوهُمُ ونحنُ بَصَحْرَاءِ الطَّعَابِ وَقُوفُ

٤ - أقيموا صُدُورَ الخَيْلِ إنَّ نَفُوسَكُمْ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ ما لَهْنٌ خُلُوفُ

قوله « أقيموا صدور الخيلِ » فى موضع المفعول لأقولُ ، والواو من قوله

(١) قعضب : رجل كان يعمل الأسنة فى الجاهلية .

(٢) أنشد هذا الرجز الإسكافى فى مبادئ اللغة ٤٨ والتبريزى فى شرحه .

(٣) كذا على الصواب فى م . وطرت : صارت طرية . والطارير : ذو الروا . والمنظر .
وفى الأصل والتمورية : « وظهرت » .

(٤) لم يفسر المرزوقى « اليارق » . قال التبريزى : « فارسى معرب ، أصله ياره ،

وهو السوار » . وقيدته استينجاس فى المعجم الفارسى الإنجليزى بأنه سوار عريض :
(Broad bracelet) .

« ونحن بصحراء الطمان » واو الحال . ويقال أقمته فقام بمعنى قومته فتقوم ،
فيتعدى . وأقت بالمكان إذا ثبت فيه إقامة ، وأقت من المكان إذا ارتحلت
عنه . قال امرؤ القيس :

* وفيمن أقام من الحى هراً^(١) *

فأما قول الشاعر :

أقول لأم زنباع أقيمي صدور الخيل شطر بني تميم -
فمعناه أقصدي وتوجهي ببسك نحوهم . والشاعر أخذ يبين ما يأخذ به
نفسه من حث القوم على القتال ، وتشجيعهم على اقتحام الأهوال ، ويرى أنه
مع تقصير من قدام التعريض به ، وعلق التقرير بإهاله وتعذيره ، وعيره
اشتغاله بما لا يشتغل الموتور به ، لا يدع أن يقول محضاً لهؤلاء الفتيان وقد
وقعوا في ميدان الطمان وعرصه الطراد : اثبتوا في وجوه أعدائكم ، وانصبوا
صدور خيلكم لهم ، واستبدلوا بالانحراف تقحماً ، وبالازورار تهجماً ، ودعوا
الذهاب إلى ما يأمركم به الفشل ، ويدعوكم إليه التهاون والكسل ، مستشعرين
الخوف من الموت ، فإن لكل نفس أجلاً لا يؤخره الإحجام والنكوص ،
ولا يقدمه الإقدام والنهوض . وقوله « ما لهن خلوف » أي ليس للنفوس
تخلف عن الأمد المسمى ، ولا تراجع عن الحين الموحى . والميقات يستعمل في
الزمان والمكان ، لأن الوقت الحد . ألا ترى أنهم يقولون ميقات أهل المشرق ،
يريدون الموضع الذي يقبل له الحج إذا ابتدئ بالمسير إليه منه .

(١) معجزة : * أم الظاعنون بها في الشطر *

٢٤٣

وقال قبيصة بن جابر^(١) :

١ - بِنَيْ هَضِيمٍ جَدُّ نَمَانِي بَطِيًّا بِالْمَحَاوَلَةِ احْتِيَالِي^(٢)

رواه بعضهم « بُنَيْ هَضِيمٍ هُوَ جَدُّ نَمَانِي » و « أوجدت مني » ، وليس بشيء ، لأنه يصير المعنى : يا بُنَيْ هَضِيمٍ أوجدت مني بطيء الحيلة بالمحاولة ؟ يريد : إني سريع الحيلة . وهذا كلامٌ مُتَّبِعٌ مُخْتَلٍ^(٣) . وعلى روايتنا يقول : سَمَانِي جَدُّ عَلٍ بِنَيْ هَذَا الْمَكَانِ . وَالثَّنِي : ما انثنى من الوادي ، أى انعطف . ويقالُ : ثَنَيْتُهُ ثَنِيًّا ، ثم يُسَمَّى المثنى ثَنِيًّا ، وما تُنِي به أيضاً ثَنِيًّا . على هذا قولُ طَرَفَةَ :

* لِكَالطَّوْلِ الْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ^(٤) *

وقوله « بَطِيًّا بِالْمَحَاوَلَةِ احْتِيَالِي » انتصب بَطِيًّا على الحال ، فالعامل فيه نَمَانِي . و « احْتِيَالِي » في موضع الرفع على أنه فاعل بَطِيٍّ ، وقد أضاف

(١) هو أبو العلاء قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة الأسدي الكوفي ، له إدراك وصحب عمر بن الخطاب ، وهو من فقهاء أهل الكوفة ، وكان أخا معاوية من الرضاع سأله معاوية يوما عن الوليد بن عقبة : ما كان شأنك وشأن الوليد ؟ قال : خيرا يا أمير المؤمنين في أول وصل الرحم وأحسن الكلام ، فلا تسألن عن الشكر وحسن الثناء ، ثم غضب على الناس وغضبوا عليه وكنا منهم ، فإما ظالمون فنستغفر الله ، وإما مظلومون فغفر الله له ، وخذ في غير هذا يا أمير المؤمنين فإن الحديث ينسى القديم . قال : ولم ؟ فوالله لقد أحسن السيرة وبسط الخير وكف الشر . قال : فأنت أقدر على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل . قال : اسكت لأسكت . فسكت وسكت القوم . قال له : مالك لا تتحدث ؟ قال : نهيتني عما كنت أحب فسكت عما أكره . الإصابة ٧٢٧٠ والأغانى (٤ : ١٨٥) .

(٢) رواية الأصل هذه نص عليها التبريزي في شرحه ، وهي رواية ياقوت في معجم البلدان (٨ : ٤٦٨) . ورواية م والتبريزي : « بُنَيْ هَضِيمٍ هُوَ جَدُّ نَمَانِي » ، ورواية التيمورية : « بِنَيْ هَضِيمٍ هُوَ جَدُّ نَمَانِي » .

(٣) المثنج ، من التثبيج ، وهو التخليط .

(٤) صدره : * لعمرك إن الموت ما أخطأ الفنى *

المصدر إلى المفعول ، لأنّ المعنى : يبطؤ احتياليّ الناس على إذا حاولوه . والمعنى يتعذّر وقوع ذلك منهم ، انفرط حزامتي ، واستحكام تجربتي . ومثل هذه الإضافة قوله تعالى : ﴿ وَ لَمَن انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ ، لأنّ المعنى بعد ظلم الظالم له . هَضِيمٌ : فِعْيَلٌ مِنَ الْهَضْمِ ، مِثْلُ حَذِيمٍ ، وَهُوَ اسْمٌ لِمَكَانٍ ضَيِّقٍ . وَقِيلَ فَرَسٌ أَهْضَمٌ ، إِذَا كَانَ ضَيِّقَ الْجَوْفِ .

٢ - وَعَاجَمْتُ الْأُمُورَ وَعَاجَمْتَنِي كَأَنِّي كُنْتُ فِي الْأُمَمِ الْخَوَالِي

العَجْمُ : العَضُّ فِي الْأَصْلِ ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي الْاسْتِحْجَانِ ، لِأَنَّ النَّازِلَ فِي الشَّيْءِ هَلْ هُوَ صُلْبٌ أَوْ لَا يَعْجُمُهُ وَيَعْضُ عَلَيْهِ . وَيُقَالُ عَجَمْتَنِي الْخَطُوبُ ، أَيِ ابْتَلَيْتُ بِهَا . وَفِيهَا حُكْيَى عَنْ الْحِجَّاجِ^(١) : « إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كِنْفَانَتَهُ فَعَجِمَ عِيدَانَهَا عُوْدًا عُوْدًا » . وَإِنَّمَا اسْتَعْمِلَ فِي مَعَانَاةِ الشَّدَائِدِ وَمِزَاوَلَتِهَا كَمَا اسْتَعْمِلَ الْمَحَاكَّةَ وَالْإِحْتِكَافَ فِيهَا . فَيَقُولُ : إِنِّي مُجَرَّبٌ مُدْرَبٌ ، زَاوَلْتُ الْفَوَائِبَ ، وَعَارَكْتُ الْأَهْوَالَ وَالْعَجَائِبَ ، فَلَزِمْتُهَا وَلَزِمْتَنِي ، وَأَزَمْتُ بِهَا وَأَزَمْتَنِي ، وَصِرْتُ لَطُولَ تَجَارِيئِي وَامْتِدَادِ أَيَّامِ مُحَاكَّتِي نِقَابًا مُحَدَّثًا^(٢) ، أَبْلَغُ بَطْنِي مَا يَبْلَغُ غَيْرِي بِمَشَاهِدَتِهِ . هَذَا عَلَى قُرْبِ مِيلَادِي ، وَحَدَاثَةِ سِنِّي ، حَتَّى كَأَنِّي كُنْتُ فِي الْأُمَمِ الْمَاضِينَ ، وَأَحَدَ الرِّجَالِ الْمَعْمَرِينَ ، فَأَدْرِكُ الشَّيْءَ قَبْلَ حَصُولِهِ ، وَأَنْصُورُهُ وَلَمْ يَجِيئْ ، بِصُورَةٍ مَا فُرِغَ مِنْهُ وَقُضِيَ ، فَظَنَّنِي عِيَانًا ، وَيَوْمِي دَهْرًا .

٣ - فَلَسْنَا مِنْ بَنِي جَدَاءَ بِكُرٍ وَلَكِنَّا بَنُو جِدِّ النَّقَالِ

الجداء : المقطوعة الثدي . والبكر : الباقية على حالتها الأولى . ويقال

(١) انظر البيان (٢ : ٣٠٩) والكمال ٢١٥ والعقد (٤ : ١١٩) والطبرى (٧ : ٢١٠) وصبح الأعشى (١ : ٢١٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٣) وابن الأثير (٤ : ١٥٦) .

(٢) النقاب ، بالكسر : العلامة الفطن المبحث . والمحدث ، بفتح الدال المشددة : الملهم الصادق الفطن .

رَحِمٌ جَدَّاهُ ، إِذَا كَانَتْ غَيْرَ مَوْصُولَةٍ . وَالشَّاعِرُ جَعَلَ الْجَدَّاءَ الْبِكْرَ كِنَايَةً
عَنِ الضَّعِيفَةِ الشَّرِّ ، الْقَلِيلَةِ الْأَهْلِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي جَعْلِ النَّتَاجِ لَهَا ، وَالْوِلَادِ
وَالرِّضَاعِ وَالْفِطَامِ إِذَا فَطَّمُوا حَالَهَا^(١) . فَيَقُولُ : لَسْنَا أَبْنَاءَ الْحَرْبِ الْقَلِيلَةِ الدَّرِّ ،
الْيَسِيرَةِ الْأَذَى وَالشَّرِّ ، الَّتِي لَمْ يَتَكَثَّرْ مَوْقِدُوهَا ، وَلَمْ يَتَشَمَّرْ لَهَا خُطَابُهَا وَمَوْلِدُوهَا
وَلَكِنَّا بَنُو الْمُنَاقَلَاتِ الشَّدِيدَةِ الْهِيَاجِ ، وَالْوَقَعَاتِ الصَّعْبَةِ الْمِرَاسِ ، الَّتِي كَثُرَ
ذُرُوهَا ، وَتَكَرَّرَ الْقِتَالُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ مِنْ أَهْلِهَا . وَقَوْلُهُ « بَنُو جِدِّ النَّقَالِ »
يُرِيدُ : بَنُو النَّقَالِ الْبَلِيغِ الْمُتَنَاهِي ، الَّذِي لَا مُسَاهَلَةَ فِيهِ وَلَا مُيَاسِرَةَ . وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ الْمَعْنَى : لَسْنَا أَصْحَابَ حَرْبٍ بَكْرٍ ، وَلَكِنَّا بَنُو حَرْبٍ عَوَانٍ . كَأَنَّهُ جَعَلَ
النَّقَالَ فِي الْوِلَادِ .

وَقَدْ اضْطَرَبَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، فَأَتَى بِمَا يَحْجُبُهُ السَّمْعُ ،
وَلَا يَبْعِيهِ الْقَلْبُ ، فَقَالَ : الْمَعْنَى لَسْنَا بِعَقْمٍ لَمْ يَكُنْ أَوْلَادُنَا ، بَلْ فِينَا الْكَثْرَةُ
وَالْعِزُّ . وَقَوْلُهُ « بَنُو جِدِّ النَّقَالِ » يَعْنِي بِهِ الْمُنَاقَلَةَ فِي الْكَلَامِ ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ خُطَبَاءُ .
قَالَ : فَالْمِصْرَاعُ الثَّانِي لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ فِي شَيْءٍ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَانَ أَبَا تَمَّامٍ
ذَكَرَ الْبَيْتَ عَلَى رِذَائِهِ لِيَتَجَنَّبَ قَوْلُ مِثْلِهِ ، وَلِيُنَبِّهَ عَلَى الْمُتَرَدِّلِ مِنْهُ ، كَمَا نَبَّهَ
عَلَى الْمُخْتَارِ الْمُسْتَحْسَنِ بغيره .

وَهَذَا الْقَائِلُ لَمْ يَرْضَ بِذَهَابِهِ عَنِ الصَّوَابِ ، حَتَّى ظَنَّ بِأَبِي تَمَّامٍ مَا لَمْ
يَخْطُرُ لَهُ بِبَالٍ .

٤ - تَفَرَّرَى يَبْضُهَا عَنَّا فَكُنَّا بَنِي الْأَجْلَادِ مِنْهَا وَالرَّمَالِ^(٢)

تَبَجَّحَ فِيهَا مَضَى بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الظَّفَرِ بِالْأَعْدَاءِ ، وَتَوَحَّدَهُ بِهِ مِنَ الْفِطْنَةِ
وَالذِّكَاةِ ، وَالنَّكَارَةِ وَالذَّهَاءِ ، وَبِحَسَنِ الصَّبْرِ عَلَى مَدَارِسَةِ الْعَوْصَاءِ ، وَمَدَاوَسَةِ

(١) فِي جَمِيعِ النُّسخِ : « قَطَعُوا حَالَهَا » . (٢) م : « بَنِي الْأَجْبَالِ » .

الغماء ، وبمجانبة الهين من الحروب ، واقتحام أصعب الخطوب . وأقبل الآن
يفتخر بالكثرة ، إذ كان العزّ فيها ، فقال : « نفرّى بيضها عنا » . والضمير في
بيضها للأرض ، كما يقال : من الأرض خلقنا وإليها عودنا . وفي القرآن : ﴿ أَلَمْ
نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا . أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴾ . وساغ ذلك وإن لم يجز لها ذكرٌ لَمَّا
لم يلتبس ، لدلالة الكلام عليه . والمعنى : تشقّق بيض الأرض عنا ، فنحن
بنو حزونها وسهولها . وإنما يعني كثرتهم واتساع ديارهم ، إذ كان الأرض
لا تنقسم إلا إليها . والأجلاد : جمع الجلد ، وهو الضلّب من الأرض ، وذكر
البييض مثل ، وقد تقدّم القول في بيضة البلد .

٥ - لَنَا الْحِصْنَانِ مِنْ أَجَا وَسَلْمَى وَشَرْقِيَّاهُمَا غَيْرَ انْتِحَالِ
٦ - وَتِيْمَاءُ الَّتِي مِنْ عَهْدِ عَادٍ حَمِينَاهَا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي

هذا كالبيان لما تقدّم ، والكشف عما أجمل ، لأنه أتبع ما وصف من
أخلاقهم وعزّهم ، بتحسّن بلادهم وتمنّع جبالهم ، فقال : لنا جبلا طيِّبٌ أجابٌ
وسلمى ، ونواحي الشرق منهما ، دعوى صحيحة لا يضعفها انتحال ، ولا يؤهّنها
كذاب . ويقال انتحلت الشيء ، إذا ادّعيته ولم يكن من شأنك . على هذا
قال الأعشى :

فكيف أنا وانتحالي القوا فبعد المشيب كفى ذلك عارا^(١)

ونجّل الشاعر قصيدة ، إذا رويت عنه ولم تكن من قبله . وانتصب
« غير » على أنه مصدر أكّد به ما قبله ، وعلى قولهم : هذا زيد حقاً ، وغير
شكّ . وقوله « وتيماء » أراد ولنا تيماء التي هذا صفتها وحظّها من عنايتنا بها .

(١) ديوان الأعشى ٤١ واللسان والمقاييس (نحل) . والقواف ، هي القوافي ، مثل
ما جاء في قول الله : (وجفان كالجواب) ، أي كالجوابي . وفي الديوان : « فإنا أم
ما انتحالي القواف » .

وهي بلدة بناحية يثرب . وقوله « من عهد عاد » جعل من بدل مُنذُ ، لأن مُنذ في الأزمنة بمنزلة من في الأمكنة ، فهو في موضع الظرف ، والعامل فيه حينها . وقد ذكر امرؤ القيس [تيماء^(١)] فقال :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أجمًا إلا مشيداً بجندل^(٢)

٢٤٤

وقال سالم بن وابصة^(٣) :

١ — عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلُّق يأتي دونه الخلق
قوله « عليك » مما أغرى به وحضض ، وصار بذلك من أسماء الأفعال .
ويقال عليك كذا وعليك بكذا . والمعنى الزمه وخذ نفسك به . والقصد :
واسطة الأمور ، فما تعداه سرف وما انحط عنه قصور . ولذلك قيل لمن ليس
بجسيم ولا ضئيل ، ولبس بقصير ولا طويل : هو قصد ومقتصد . ومعنى البيت :
عليك باستقامة الطريقة وملازمة الأعدل في القضية مما تلابسه وتفعله ، وترك
تكلف ما ليس من شيمتك وسجيتك ، فإنك إن تجشمتها صابراً على البلوى
فيه نزعته نفسك قريباً عنه ، وعُدت إلى مذهبك الأول فلحقك الذم له .

٢ — وموقفٍ مثل حدِّ السيفِ قمتُ به أحمي الدمارُ وترميني به الحدقُ
يقال للمكان النابي بصاحبه ولا يمكنه الاستقرارُ به تشبيهاً : هو مثل حدِّ

(١) التكملة من م والتميمورية .

(٣) الأجم ، بالجيم : الحصن . والرواية المشهورة : « ولا أطما » والأطم كالأجم وزناً ومعنى .
(٢) سالم بن وابصة بن معبد الأسدي : شاعر فارس من شعراء عبد الملك بن مروان ،
وهو تابعي كان غلاماً شاباً في خلافة عثمان ، وأبوه وابصة صحابي جليل ، وفد على الرسول
سنة تسع . الإصابة ٣٠٤٤ ، ٩٠٨٦ ، والمؤتلف ١٩٧ وشرح شواهد المغني للسيوطي ١٤٣ .
ونسبة الشعر إلى سالم هي كذلك في المؤلف ونوادير أبي زيد ١٩١ والبيان (١ : ٢٣٣) .
ونسب في الحيوان (٣ : ١٢٧) والعقد (٢ : ٢٤) وزهر الآداب (١ : ٧٧) والشعراء
٥٥٧ إلى العرجي . ونسب في حماسة البحري ٣٥٨ إلى ذى الإصبع . وبدون نسبة في مجالس
ثعلب ٣٠٠ .

السيف ، وكقرن الأعفر ، وحدّ السنان . وذمارُ الرّجل : ما يجب عليه حفظه . ورجلٌ ذميرٌ^(١) وذميرٌ ، إذا كان مُنكرًا داهيةً . ويقال ذمّرتُ الرجلَ إذا حَضَضْتَهُ ، ، وتدامرَ القومُ في كذا إذا تَحَاضُوا . والمعنى : رُبَّ مكانٍ ضيقٍ دقيق ، لا تشبّتُ عليه الأقدامُ ، أناقتُ به حاميًا لما يحقُّ على حِمَايَتِهِ ، والعيونُ ترمقُنِي والثُّفوسُ تتطلّعُ إلى ما يكونُ مِنِّي ، وتتنسّمُ أخباري فيه وبلائي . وقوله « وترميني به الحدقُ » جعل الفعلَ على التوسّع للحدق ، وإنما هو للناظرين بها . ألا ترى أنه يقالُ رمانُ القومُ بأبصارِهِم . وموضعُ « أحمي الذّمّارَ » موضعُ الحلال .

٣ - فما زَلِقْتُ ولا أَبَدَيْتُ فاحشةً إذا الرّجالُ على أمثالها زَلِقُوا^(٢) يقول : استقامتُ في فعلِي ، وثبّتُ في موقفي ، ولم أتعثّرْ فيما صرّفتُ القولَ فيه ، ولم أنزلقُ عندما حاضرتُ به ودافعتُ عنه ، ولم أقدمُ على ما يُعَدُّ سَقَطَةً مِنِّي أو يَشِينُنِي ، إذا تُحدّثَ به عني في وقتٍ تكثرُ زَلاتُ الرّجالِ في مطالعة أمثاله من المواقف ، وتبطلُ دعاويهم المتقدّمة لما يظهرُ من عجزهم ، وسوء استمساكهم^(٣) . وجوابُ إذا فيما تقدّم . والمعنى : إذا زَلِقَ الرّجالُ في أمثاله من المقاماتِ ثبّتُ أنا .

٢٤٥

وقال آخر^(٤) :

١ - إنْ ألكُ قَصْدًا في الرّجالِ فإنّني إذا حلَّ أمرٌ سَاحَتِي جَسِيمٌ

- (١) ويقال أيضًا ذمى بفتح فسكسر ، وذمى بكسرتين مع تشديد الراء .
 (٢) يقالُ أبلاهُ جهده ونائله ، إذا أداه إليه . ورواية التبريزي : « ولا أبديت فاحشة » .
 (٣) كذا في م والتمورية . وفي الأصل : « ونبو استمساكهم » .
 (٤) لم يرو التبريزي هذه الحماسية ذات البيت الواحد . والبيت في عيون الأخبار (٤ : ٥٤) مع نسبته إلى « أوفى بن موله » ، ولعل صوابه « أوفى بن مواله » فهو المعروف في أعلامهم .

قد تقدم القول في حذف النون من أك . ومعنى البيت إن كان في خلقتي
اقتصاد فلم أبلغ غايات الجسام ، فإن غناني في النوائب إذا نابت ، واهتدائي لوجوه
الخروج منها إذا حزبت ، يحكمأن لي بجزالة الرأي وجسامة النفس ؛ لأن الرجل
بقلبه ولسانه ، لا بجسمه وجمانه . وفي هذه الطريقة قوله :

إذا كنت في القوم الطوال أصبتهم^(١) بعارفة حتى يقال طویل^(١)
والساحة : فضاء بين دور الحي ، وكما قيل على التوشع نزل بساحتها أمره ،
قيل أيضا نزلت بعقوته خطوبه .

٢٤٦

وقال عامر بن الطفيل^(٢) :

١ — قضى الله في بعض المكاره للفتى برشد وفي بعض الهوى ما يحاذر
٢ — ألم تعلمي أني إذا الإلف قادي إلى الجور لا أنقاد والإلف جائر
معنى هذا يماثل قول الله تعالى : ﴿ عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم
وعسى أن تحببوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ . وفي مثله قال غيره :

كم فرحة مطوية لك تحت أثناء النوائب
ومساءة قد أقبلت من حيث تُنتظر المواهب

ويقال قضاء وقضى به . وقوله « وفي بعض الهوى » أراد به : وقضى له في
بعض المحاب ما يحاذر ؛ فوضع الهوى موضع المحاب لأن كل محبوب يصحبه
الهوى ، كما أن قوله « ما يحاذر » موضع الغواية لكونه في مقابلة

(١) سيأتي البيت في حماسية في (باب الأدب) منسوبة إلى أحد الفزاريين . وأنشده
الجاحظ في البيان (٣ : ٢٤٤) بدون نسبة . التبريزي : « وصلتهم بعارفة » . الجاحظ :
« فضلتهم » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٢٧ .

الرُّشْدِ ، إذْ كَانَ النَّفْيُ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُحَادِثَ . وَقَوْلُهُ « أَلَمْ تَعْلَمْ » تَنْبِيهُ عَلَى مَكَانِهِ مِنَ الرَّأْيِ ، وَأَنَّ ظَنَّهُ يَقُومُ مَقَامَ عِيَانِ غَيْرِهِ . وَأَلْفُ الِاسْتِفْهَامِ إِذَا انْتَرَنَ بِحَرْفِ النَّفْيِ يَقَرَّرُ بِهِ فِيمَا يَجِبُ وَيُحَقِّقُ ، فَيَقُولُ : أَمَا عَرَفْتِ مِنْ دَأْبِي وَطَبِيعَتِي ، أَنِّي لَا أَتَّبِعُ الْغَيْرَ ، وَلَا أَنْقَادُ لِمَا يُجَانِبُ الْعَدْلَ ، فَهَتَّى سَامَنِي أَلَيْفِي مَطَاوِعَتَهُ فِيمَا لَا أَسْتَوْفِقُهُ أَبَدْتُ عَلَيْهِ ، وَتَرَكْتُهُ وَمَا يَخْتَارُ مِنَ الْإِعْتِسَافِ وَرُكُوبِ الْجَوْرِ وَالضَّلَالِ . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ : لَا أَنْقَادُ وَهُوَ جَائِزٌ ، فَوْضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ .

٢٤٧

غزاهُ مُجَمِّعُ بْنُ هِلَالٍ

ابنِ خَالِدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَيْمِ اللَّهِ^(١) ، يَرِيدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ ، فَلَمْ يَغْنَمْ وَرَجَعَ مِنْ غَزَاتِهِ تِلْكَ ، فَمَرَّ بِمَاءِ لَبْنِي تَيْمِ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ مُجَاشِيعَ ، فَفَقَتَلُ فِيهِمْ وَأَسْرَ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

١- إِنْ أُمْسِ مَا شَيْخًا كَبِيرًا فَطَالَ مَا عَمِرْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى الْعُمَرَ يَنْفَعُ

قَوْلُهُ « مَا شَيْخًا » ، مَا زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ . يَقُولُ : إِنْ صَرْتُ شَيْخًا طَاعِنًا فِي السَّنِّ ، ضَارِعًا لِنَائِبَةِ الدَّهْرِ ، مُهِدِفًا لِسَهَامِهِ ، مُقَرَّعًا بِلِيَالِيهِ وَأَيَّامِهِ ، فَحَقُّ ذَلِكَ وَاجِبٌ ، لِأَنَّ مَنْ يَعِشُ يَكْبُرُ وَمَنْ يَكْبُرُ يَهْرَمُ ، وَطَوَّلُ الْعُمُرِ لَا يُجْدِي إِذَا كَانَ مُؤَدَّاهُ إِلَى الضَّعْفِ ، وَقُصَارَاهُ الْمَوْتَ . وَقَوْلُهُ « طَالَ مَا عَمِرْتُ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ الْمَصْدَرِ ، وَيَكُونُ حِينئِذْ حَرْفًا عِنْدَ سَبْوِيهِ ، وَالتَّقْدِيرُ :

(١) زَادَ السَّجِسْتَانِيُّ بَعْدَهُ فِي الْعَمَرِينَ ٣٢ : « بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ عَكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ ابْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ . وَذَكَرَ السَّجِسْتَانِيُّ أَنَّهُ عَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ وَتِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَقَالَ هَذَا الشَّعْرُ . وَانظُرِ الْخُرَازَنِيُّ (٤ : ٣٦٠ - ٣٦١) .

فقد طال عمرى . وعلى هذا يُكْتَبُ طال مُنْفَصِلًا من ما . ويجوز أن يكون ما كافةً للفعل عن العمل ، ومُخْرَجًا له من بابِه ، ولذلك جاز وقوع الفعل بعده ، وإن كان الفعل لا يدخل على الفعل ، وعلى ذلك يُكْتَبُ طال متصلاً بما لأنه منه ومن تمامه . ومعنى عَمِرْتُ : بَقِيْتُ وَحَيِّتُ . والعُمُرُ ، قال الخليل : هو الحياة والبقاء ، ومنه لَعَمْرُ اللهِ . وقولُ الشاعر^(١) :

وَعَمِرْتُ حَرَسًا قَبْلَ نَجْرَى دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ
يشهد لذلك . وقوله « لا أرى العُمَرَ » أراد اتصال العمر وطولهُ ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وذكر بعضهم أن أبا تمام أخطأ في قوله :

مَا لِأَمْرِي خَاضَ فِي بَحْرِ الْهَوَى عُمُرٌ إِلَّا وَلِلْبَيْنِ مِنْهُ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
لأنَّ العُمَرَ اسمُ مُدَّةِ الحَيَاةِ بِأَسْرِهَا لا يَتَّبَعُ ، فكما لا يُقال ما لزيد رأسٌ إِلَّا وفيه شَجَّةٌ ، كذلك لا يُقال ما له عُمُرٌ إِلَّا وهو قصير . قال : وليس قولهم : ما له عَيْشٌ إِلَّا مُنْفَصٍ ، ولا حَيَاةٌ إِلَّا مُكَدَّرَةٌ ، مثل قولك ما له عُمُرٌ إِلَّا قصير ، لو قُلْتَهُ ، لأنَّ عَيْشَ الْإِنْسَانِ ليس هو مُدَّةُ حَيَاتِهِ بِأَسْرِهَا . ألا تَرَى أنك تقول : كان عَيْشِي بِالْعِرَاقِ طَيِّبًا ، وكانت حَيَاتِي^(٢) بِمِصْرَ لَذِيذَةً ، ولا تقول كان عُمُرِي . والذي قاله هذا المعترض على أبي تمام يبطله ما حكيتُهُ عن الخليل في تفسير العُمُرِ ، والبيتُ الذي أنشدته . ألا تَرَى أن قولهُ « عَمِرْتُ حَرَسًا قَبْلَ نَجْرَى دَاحِسٍ » يُقْتَضَى تَبْعِيضَ عَمْرِهِ ، إذ كان ما بعده من عُمُرِهِ قد أَفْرَدَهُ عَمَّا قَبْلَهُ ، وإذا كان الأمر على هذا جاز أن يُقال : كان عُمُرِي قَبْلَ نَجْرَى دَاحِسٍ طَيِّبٍ مِنْ عُمُرِي بَعْدَهُ . وفي القرآن : ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا ﴾ أَي بَعْضَ عُمُرِي ، فحذف المضاف .

(١) هو لبيد ، كما في المعمرين ٦٣ .

(٢) هذا ما في م والتمورية . وفي الأصل : « وكان عيشي » .

٢ - مَضَتْ مِائَةٌ مِنْ مَوْلِدِي فَنَضَوْتُهَا وَخَمْسٌ تَبَاعٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَرْبَعٌ^(١)

هذا تفصيل لما أجمله من كبرته . يقول : أتت عليّ مائة سنة من ميلادي فألغيتها^(٢) ورأى ، كأني لبستها ثم خدعتها واستتبعته بعدها تسعاً توالت ، فلي عذر في ضعف يظهر ، أو كسل ينحق ، إذ كنت غابراً لِدَاتِ فَنَوَا ، ومتمرّقاً أعوامٍ بادَ أهلها فنسوا . قوله « فنضيتها » يروى « فنضوتها » . ويقال نضاً ثوبه ينضو وينضي إذا نزعته ، لغتن . على هذا قول امرئ القيس :

* فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا^(٣) *

ويقال نضى سيفه وانتضى بمعنى . وقوله « بعد ذلك » إن قيل لم لم يقل بعد تلك ، والإشارة إلى قوله مائة ؟ قلت : لم يُراعِ تأنيث المذكورِ وتذكيره ، بل أراد ما ذكرتُ . على ذلك قول ذي الرمة :

وَمِيَّةٌ أَحْسَنُ الثَّمَلَيْنِ خَدًّا وَسَالِفَةٌ وَأَحْسَنُهُ قَدَالًا

ألا ترى أنه لم يقل وأحسنهما . وقوله « وخمس تباع » يقال تباع تباعاً ، فهو مصدرٌ وصِفَ به . ويقال أيضاً رميته بسهمين تباعاً ، أي ولاءً ، وتابَعَ بينهما فلان تباعاً .

٣ - وَخَيْلٍ كَأَسْرَابِ الْقَطَا قَدُوزَ عَثْمَا لَهَا سَبَلٌ فِيهِ الْمِنِيَّةُ تَلْمَعُ^(٤)

تذكر بما كان منه عند تعالي سنه وتناهي عمره ، ما كان منه في ريعان شبابه ، وعند استكمال قوته وتراحي الأحداث به ، فيقول : رَبَّ خَيْلٍ تَمْتَدُّ

(١) رواية المومنين : « وعشر وخمس بعد ذلك » . وهذا يوافق ما زعموا أنه عاش

١١٩ سنة .

(٢) فألغيتها ، بالعين المعجمة ، كذا وردت في جميع النسخ . وفي الخزانة حيث نقل عن المرزوقي « فألغيتها » بالفاء . ولعلها « فألغيتها » .

(٣) عجزه : * لدى الستر إلا لبسة المتفضل *

(٤) السجستاني : « فيارب خيل كالقطا » .

وتتوالى مبادرةً إلى الملتقى ، وتسترسل استرسالَ فِرَقِ القَطَا عند اندفاعِها للوَرْدِ ،
 أنا بعثتها وهيَّجْتُها ، ولها عَارِضٌ يَطر بالموتِ وَيَلْمَعُ . والسَّبَلُ : المَطَرُ . ورواه
 بعضهم : « لها أَسْلٌ » وهي الرِّمَاحُ . وقوله « قد وَزَعَتْها » يجوز أن يكون معناه
 كَفَفَتْها عن التَّعَجُّلِ ، ويجوز أن يكون قَسَمَتْها للتعبئة أو الغارة ، لأنه يُقال
 وَزَعْتُ الشَّيْءَ ووَزَعْتُهُ جميعاً ؛ وعنده أوزاعٌ من الناس ، أي فِرَقٌ ، وعلى
 الوجهين فتدبيرها كان إليه . وقوله « قد وَزَعَتْها » من صفة الخليل ، لأنَّ جواب
 رَبِّ فيما بعده ، ولها سَبَلٌ في مَوْضِعِ الحال . وقوله « فيه المنية » من صفة السَّبَلِ ،
 وَيَلْمَعُ في مَوْضِعِ الحال للمنية ، والعامل ما يدلُّ عليه الظرف .

٤ - شَهِدْتُ وَغَنِمْتُ قَدْ حَوَيْتُ وَوَلَدْتُ أَتَيْتُ وَمَاذَا الْعَيْشُ إِلَّا التَّمَتُّعُ^(١)

قوله « شهدت » جواب رب ، فيقول : رَبُّ خَيْلٍ عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ حَضَرَتْهَا
 مُدَبَّرًا لَهَا ، وَرَبٌّ غَنِيمَةٌ تَغْنَمُهَا وَتَوْلِيَتْ قَسَمَتْهَا ، وَرَبٌّ لَذَّةٌ أَتَيْتَهَا وَنِلَتْ مُنَالِي
 مِنْهَا . ثُمَّ أَقْبَلَ كَالْمَتَلَقِّ إِلَى غَيْرِهِ ، فَقَالَ : وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا التَّمَتُّعُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ .
 ارتفع « العيش » على أنه عطفُ البيانِ لَذَا ، لأنه جعل العيش كالحاضر ، فأشار
 به إليه وإن كان القصدُ إلى الجنس . والتَّمَتُّعُ : الانتفاع بالشيء زماناً طويلاً . ومنه
 تَمَتَّعَ النَّهَارُ : ارتفع ، واسْتَمْتَعْتُ وامْتَتَعْتُ وتَمَتَّعْتُ بمعنى .

٥ - وَعَايِرَةٌ يَوْمَ الْهُيْمَا رَأَيْتَهَا وَقَدْ ضَمَّهَا مِنْ دَاخِلِ الْخَلْبِ مَجْزَعٌ^(٢)

يقول : وَرَبُّ امْرَأَةٍ فِي هَذَا الْيَوْمِ لَتَمَكَّنَ الْخُوفِ مِنْهَا ، وَتَمَلَّكَ الْجَزَعِ
 قَلْبَهَا ، رَأَيْتَهَا تَعْتَرُ لُوجْهَهَا وَلَا تَسْتَقِيمُ فِي مَشِيهَا ، مَخَافَةَ السَّبَاءِ لَهَا ، وَقَدْ ضَمَّهَا
 مَجْزَعٌ ، أَي اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْحُزْنَ وَالْقَلْقُ ، حَتَّى صَارَ يَضُمُّهَا إِلَيْهِ وَلَا يَدْعُهَا لِغَيْرِهِ .

(١) السجستاني : « أصبت وماذا العيش إلا تمتع » .

(٢) ياقوت : « الهيميا : اسم موضع كانت فيه وقعة لبنى تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ، على بني

مجاهم » . وأنشد هذا البيت والبيتين ٧ ، ٨ .

وقوله « من داخل الخلب » يبين به منشأ الجزع ومقره ، والخلب : حجاب القلب ، ومنه قولهم : خلبت المرأة فلاناً ، أى أصابت قلبه بلطفها وخذعته ، خلباً . ثم يقال : هو خلب نساء ، كما يقال هو زير نساء . وهذا على طريقتهم في النقص والنقض وما أشبهه .

٦ - لها غلل في الصدر ليس ببارح شجى نشب والعين بالماء تدمع يجوز أن يكون قوله « لها غلل » في موضع الجر على أن يكون صفة لعائرة ، ويجوز أن يكون في موضع المفعول الثاني لقوله رأيتها . وأصل الغلل هو الماء يجرى بين الشجر ، فاستعاره لما تداخلها من الشجى . وقال الخليل : الغلل : تغلغل الماء بين الشجر ، والغللة : سرعة السير ؛ ومنه رسالة مغللة أى محمولة من بلد إلى بلد . ورواه بعضهم^(١) « لها غلل » بضم الغين ، جمع غلة . ولو كان كذا لقال ليست ببارحة^(٢) . ومعنى « ليس ببارح » أى ليس بزائل ، وموضع قوله « شجى نشب » رفع على البدل من غلل . ويريد بنسب أنه علق به كما ينسب الصيد في الجبالة . وفي الكلام المروي : نشب فلان منسب سوء ، أى وقع فيما لا يتخلص منه . وقوله « والعين بالماء تدمع » في موضع الحال ، ولا بد من الواو فيه ليعلم بذي الحال ، والعامل فيه قوله شجى نشب . ولو كان في الجملة ضمير لكانت في دخول الواو وسقوطه بالخيار ، إذ كان الضمير يعلق من الحال ما يعلقه الواو .

٧ - تقول وقد أفردتها من حليلها تعست كما أتعستني يا مجمع قوله « تقول » جواب رب . والمراد : رب عائرة هذه صفتها في يوم الهيما

(١) هو أبو هلال كما نص التبريزي .

(٢) التبريزي بعد أن ساق هذه الرواية « ليس ببارح ، أى بارحة ، فذكر لأن المؤنث

غير حقيقى » .

قالت لي بعد أن سببتُها وفترتُ بينها وبين زوجها بالقتل : سقطتَ لوجهك ،
ولا انتعشتَ من عثرتك يا مجّمع ، ولحقتَ الانكسار والنكس كما ألحقتَهُما بي .
وسمّي الزوجُ حليلاً والمرأة حليمةً لأنّ كلَّ واحدٍ منهما يحلُّ مع صاحبه .

٨ -- فقلتُ لها بل تعسِ أختِ مجاشعٍ وقومكِ حتّى خدكِ اليومَ أضرعُ

يقول : أجبّتها بأن قلت بل التّعسُ لك ولقومكِ حين ضيّعوكِ ، وفعلوا
ما أدّى وبأله إلى أن صار خدكِ اليومَ ضارعاً ، وجدكُ سافلاً . وقوله « بل تعسِ
أختِ مجاشعٍ » تدّاركِ ببلِّ دعاءها عليه فنقله إليها ، لأنّ بلّ للإضراب عن
الأوّل والإثباتِ للثاني . وأجرى تعساً في الإضافةِ مجرى وَيك ، وذلك أن
المصادر التي قد اشتقَّ الأفعال منها إذا دُعِيَ بها تستعملُ باللام لا غير ، تقول :
تَبُّ لزيدٍ وخُسْرٌ لعمرو . وما لم يُشتقَّ الفعلُ منه وهو وَيلٌ وَوَيْحٌ وَوَيْسٌ إذا
كان معها اللام رُفِعَتْ وصارت باللام جَمَلًا ، وإذا أُفْرِدَتْ عن اللام أُضِيفَتْ
ونُصِبَتْ . تقول وَيلٌ لزيدٍ وَوَيْحٌ لعمرو فترفعُ ، وويلَ زيدٍ وَوَيْحَ عمرو فتنصبُ .
وهذا الشاعر قال : « بل تعسِ أختِ مجاشعٍ » فأجراه مجرى وَيلٍ والفِعْلُ
يُشتقُّ منه . ومجاشع : قبيلة . فقال أختِ مجاشعٍ كما يقالُ يا أبا بكرٍ ويا أبا
تميمٍ ، و « أضرعُ » بمعنى ضارعٍ . ويُقال خدُهُ ضارعٌ ، وجنبُهُ ضارعٌ .
والضراعة : الاستفقالُ في خضوعٍ . قال الهذلي (١) :

* لسانكِ الضراعةُ والكلولُ (٢) *

٩ - عَبَّاتُ له رُمحًا طويلًا وألَّةٌ كأنَّ قَبَسٌ يُعَلَى بها حين تُشرَعُ

أخذ يبين كيف تمكّن من قتل زوجها ، وماذا أعدّ من السلاح له . ويقال :

(١) هو ساعدة بن جؤية . ديوان الهذليين (١ : ٢١١) .

(٢) صدره : * ألا قالت أمانة إذ رأته *

عَبَاتُ الخَيْلِ وَعَبَاتُهَا ، إِذَا هَيَّأْتَهَا لِلْحَرْبِ ، وَعَبَّيْتُهَا أَيضًا . وَعَبَاتُ الطَّيْبِ
وَالْمَتَاعِ لَا غَيْرَ . وَالْمُرَادُ : هَيَّأْتُ لَهُ رُمْحًا طَوِيلًا ، وَسِنَانًا لَمَاعًا بَرَّاقًا ، كَأَنَّمَا
يُعْلَى بِهِ نَارٌ إِذَا أُشْرِعَ لِلطَّعْنِ . وَالْأَلَّةُ : تُسْتَعْمَلُ فِي الْحَرْبِ وَتَشْتَهَرُ بِهَا . وَأَصْلُ
الْأَلِيلِ الْبَرِيقِ . وَالْمُرَادُ بِهَا هَاهُنَا السِّنَانُ كَمَا ذَكَرْتُ . وَقَوْلُهُ « كَأَنَّ قَبَسَ »
يَجُوزُ فِيهِ الرَّفْعُ وَالنَّصْبُ وَالْجَرُّ ، فَإِذَا رَفَعْتَ فَعَلَى الضَّمِيرِ ، يَرِيدُ أَنَّهَا قَبَسٌ
يُعْلَى بِهَا حِينَ أُشْرِعَتْ . وَالقَبَسُ : النَّارُ . وَمَنْ نَصَبَ فَلَانَهُ أَعْمَلَ كَأَنَّ مُخَفَّفَةً
عَمَلَهَا مَثْقَلَةً . يَرِيدُ : كَأَنَّ قَبَسًا يُعْلَى بِهَا ، وَيَكُونُ الْخَبْرُ يُعْلَى بِهَا . وَمَنْ
جَرَ فَقَالَ كَأَنَّ قَبَسٍ ، جَعَلَ أَنْ زَائِدَةً وَأَعْمَلَ الْكَافَ كَمَا زِيدَ فِي قَوْلِهِ : لَمَّا أَنْ
جَاءَ زَيْدٌ أُعْطِيَتْهُ ، وَفِي قَوْلِهِ : وَاللَّهِ أَنْ لَوْ جِئْتَنِي لِأَكْرَمَتِكَ ، يَرِيدُ وَاللَّهِ
لَوْ جِئْتَنِي .

١٠ - وَكَأَنَّ تَرَكَتُ مِنْ كَرِيمَةٍ مَعْشَرٍ عَلَيْهَا الْخُمُوشُ ذَاتِ حُزْنٍ تَفْجَعُ
نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ مَا حَكَاهُ مِنْ حَدِيثِ الْعَاثِرَةِ يَوْمَ الْهَيْمَمَا ،
وَاقْتَصَّه مِنْ شَأْنِ بَعْلِهَا ، لَمْ يَكُنْ بَدْعًا مِنْهُ وَلَا عَجَبًا ، بَلْ ذَلِكَ دَأْبُهُ مَعَ أُمَّثَالِهَا
قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا . وَقَوْلُهُ « وَكَأَنَّ » لُغَةٌ فِي كَأَنَّ ، وَهِيَ جَمِيعًا بِمَعْنَى كَمْ ، وَهِيَ
لِلتَّكْثِيرِ . فَيَقُولُ : وَكَمْ امْرَأَةٍ كَانَتْ كَرِيمَةً عَشِيرَتِهَا تَرَكَتُهَا وَهِيَ تَخْمِشُ وَجْهَهَا ،
وَتَفْجَعُ جَزَعًا عَلَى قِيَمِهَا مِنْ بَعْلِ أَوْ أُخٍ أَوْ ابْنٍ . وَالْمَعْنَى : كَانَ ذَلِكَ مِنِّي
كَثِيرًا . وَقَوْلُهُ « عَلَيْهَا الْخُمُوشُ » الْخُمُوشُ فِي الْوَجْهِ وَفِي سَائِرِ الْبَدَنِ مِثْلُ
الْخَدَشِ . وَمَعْنَى عَلَيْهَا رَكِبَهَا وَعَلَاهَا^(١) كَمَا يَقَالُ عَلَى فُلَانٍ دِينَ أَى
رَكِبَهُ وَعَلَاهُ .

(١) هَذَا مَا فِيهِ مِنَ التَّيْمُورِيَّةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَمَعْنَى عَلَيْهَا وَمَعْنَى عَلَاهَا » . وَالْكَلامُ مِنْ مَبْدَأِ
« كَمْ » ، وَهُوَ لِلتَّكْثِيرِ « إِلَى » فِي ضَدِّهِ « مِنْ شَرَحِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنَ الْحَمَاسِيَةِ النَّالِيَةِ سَاقِطٌ مِنْ م .

٢٤٨

وقال الأخنس بن شهاب^(١) :

١ — فَمَنْ يَكُ أَمْسَى فِي بِلَادٍ مُقَامُهُ يُسَائِلُ أَطْلَالَهَا لَا تُجَابِبُ^(٢)
يُرَوِّى « فِي بِلَادٍ مُقَامُهُ » وَالْمُرَادُ : مِنْ أَمْسَى مُقَامُهُ فِي بِلَادٍ مُسَائِلًا أَطْلَالَهَا
لِتِلْكَ الْبِلَادِ . فَمُقَامُهُ اسْمُ أَمْسَى ، وَخَبْرُهُ فِي بِلَادٍ . وَيُرَوِّى « فِي بِلَادٍ مُقَامَةٍ »
عَلَى الْإِضَافَةِ ، وَيَكُونُ اسْمُ أَمْسَى ضَمِيرَ « مَنْ » الْمُسْتَكِنِّ فِيهِ . وَالْمُقَامَةُ : الْإِقَامَةُ ،
وَالْمُرَادُ : مَنْ أَمْسَى فِي بِلَادٍ إِقَامَةٍ ، أَى بِلَادٍ مُسْتَصْلِحَةٍ لِلْإِقَامَةِ مُسْتَوَاطِنَةٍ .
وَ« يُسَائِلُ » عَلَى الرَّوَايَتَيْنِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَكَمَا يُقَالُ هُوَ بَلَدٌ مُقَامَةٍ ، يُقَالُ
فِي ضِدِّهِ هُوَ بَلَدٌ قُلْعَةٌ . وَالْبِلَادُ : جَمْعُ بَلَدٍ ، وَهُوَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ اخْتِطَّتْ
فِيهَا أَوْ لَمْ يَخْتِطَّ . يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُ الرَّاجِزِ :

✽ قَدْ تَرَكَ الْبَرْنِيُّ فَاهُ بَلَدًا ✽

أى لا أسنان فيه . وقول الآخر^(٣) :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهُمًا فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ الْبَيْتَ أَبْلَادَهَا
وَمَعْنَى الْبَيْتِ : مَنْ كَانَ الْوَقُوفُ عَلَى دِيَارِ الْأَحْبَةِ مِنْ هَمِّهِ ، فَأَمْسَى مُقَامُهُ
فِي بِلَادٍ مُسَائِلًا أَطْلَالَهَا فِيهَا لَا تُجَابِبُهُ ، فَأَمْسَى كَيْتَ وَكَيْتَ^(٤) . وَجَوَابُ
الْجِزَاءِ فِيهَا بَعْدَهُ . وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي حَذْفِ النُّونِ مِنْ يَكُ .

(١) هو الأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن غنم بن حزابة بن الحارث
ابن نعيم بن أسامة بن بكر بن معاوية بن تغلب بن وائل . وهو فارس « العاص » ، والعاص
فرسه . وانظر الاشتقاق ٢٠٣ والأمالى (٣ : ١٨٥) ، وهو شاعر جاهلى قبل الإسلام
بدهر . شرح الأنبارى للمفضليات ٤١٠ والخزانة (٣ : ١٦٩) . وقصيدة هذه المقطوعة
برقم ٤١ فى المفضليات .

(٢) هذا البيت لم يروه المفضل . (٣) هو عدى بن الرقاع . اللسان (بلد) .
(٤) الكلام بعده إلى أول شرح البيتين الأخيرين من الحماسية ٢٤٩ ساقط من م . ومن
هنا تبدأ المعارضة على نسخة (لاله لى) التى أشرنا إليها بالرمز (ل) .

٢ - فَلابنة حِطَّانَ بنِ قَيْسِ مَنَازِلُ^(١) كَمَا نَمَّقَ العُنْوَانَ فِي الرِّقِّ كَاتِبٌ
 الفاء مع ما بعده إلى صدر البيت الذي يليه جواب الجزاء ، كأنه قال :
 فلهذه المرأة منازلُ أنا وقفتُ بها ، وقضيتُ حقَّ الهوى فيها . والمعنى : مَنْ كان
 الوقوف على الديار من دينه في الهوى ومذهبه ، حتَّى صار يُسأل ما لا يُجيب ،
 فلي في الوقوف على ديار ابنة حِطَّانَ ما يزيدُ على كل مذهبٍ ، ويعقَى على كل
 عادةٍ . وقوله « كَمَا نَمَّقَ العُنْوَانَ » من صفةِ المنازل ، ويروى « العُنْيَانِ »
 و « العُلْوَانِ » . فأما العُلْوَانُ فهو فُعُولٌ من عَلَنَ الأمرُ ، أى ظهر . وأمَّا
 عُنْوَانٌ فهو فُعُولٌ أيضاً من عَنَّ له كذا ، أى عَرَضَ . وأمَّا عُنْيَانٌ فهو فُعْلَانٌ
 من عَنَّاهُ كذا يَعْنِيهِ . وفي هذا القدر من الكلام في هذا الموضع كفايةٌ إذ
 كُنَّا قد بَسَطْنَا القولَ في شرح كتاب الفصيح . وكان الواجب أن يقول كعُنْوَانٍ
 نَمَّقَهُ كَاتِبٌ ، وتشبيه آثار الديار بالكتابة مألوفٌ في طرائقهم ، لكنه طَوَّلَ
 الكلامَ تحقيقاً للتشبيه ، فصار ظاهرُهُ كأنه شَبَّه الآثارَ بتتميقِ الكاتبِ خطَّهُ
 إذا عَنَّونَ كتاباً . ومثله قول الهذلي^(٢) :

هَبَطْنَ بَطْنَ رُهَاطٍ وَاَعْتَصَبْنَ كَمَا يَسْقِي الْجُدُوعَ خِلَالَ الدُّورِ نَضَّاحُ
 ألا ترى أن المراد تشبيه الإبل وقد دخلت في السراب بجُدوع نخلٍ
 مسقية في أصولها الماء ، فجاء ظاهرُهُ كأنه شَبَّه الإبلَ بسقى النَّضَّاحِ للجُدُوعِ ؛
 لأنَّ معنى كَمَا يَسْقِي كَسْقَى ، كما أنَّ معنى كَمَا نَمَّقَ كَتَمَمَّقَ .

٣ - وَقَفْتُ بِهَا أَبِكِي وَأَشْعُرُ سِخْنَةً كَمَا اعْتَادَ مَجْمُومًا بِنَجِيهٍ صَالِبٍ^(٣)

(١) الفضليات : « لابنة حطان بن عوف » .

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٤٦) .

(٣) بعده عند التبريزي ، ولم يرو في الفضليات :

خَلِيلِي عُوْجَا مِنْ نَجَاءِ شِمْلَةٍ عَلَيْهَا فَتَى كَالسَّيْفِ أَرُوعُ شَا حِبُّ

يقول : وقفتُ بهذه الأطلال مقيماً بها رسماً من ثبتَ عهدُهُ في الهوى ،
ولم يغيّره تقاذفُ الأحبة والنوى ، ومظهرًا التلهف والتحسر في إثر ما تقادم
من أيام الوصال بالبكا ، وقد أبطنتُ جوى اعتادنى منه حمى سخنت منها
بشرتى ، وحمّت لها روحى ومهجتى ، كما يعتاد الصالبُ - وهى الحمى التى معها
صداع - محمومًا بخير . وإنما قال ذلك لأن خير محمّته ، وحمّاها موصوفة
بالشدة . ويقال فى المثل : « صالبي أشد من نافضيك » . وحكى الأصمعى أن
أعرابياً ثقلت عليه مؤن عياله لكثرتهم ، فحدثته نفسه بأنه لو نقلهم إلى خير
لنقصهم وبأوه ، وأثر فيهم بالتقليل صالبه ، وأوردهم خير ، وأنشأ يقول :

ويحكِ حمى خير استعدى هاك عيالى فاذهبى وجدى
وباكرى بصالب وورد أعانك الله على ذا الجنيد

فحمّوا بأجمعهم وساموا ، ثم تليف هو من بينهم .

وقوله « وأشعرُ سُخنة » يروى بضم السين وكسر ها . فالسُخنة كالحُمرة ،
والسُخنة كالجلسة . ومعنى أشعرُ جعل شعارى . والشعار : ما يبلى الجسد من
الشياب ، وتوسّع فيه فليل أشعر قلبى هما . ويقال شعرت المرأة ، أى نمت
معها فى شعارها .

٤ - خيلاي هوجاء النجاء شملة وذوشطب لا يجتويه المصاحب
موضع قوله « خيلاي » مع خبره نصب على الحال من قوله « وقفت
بها » ، واستغنى بالضمير فيه عن إدخال الواو العاطفة لأنه يعلق من الحال
بالأول ما يعلقه الواو . ومعنى قوله « هوجاء النجاء » ناقة فى نجائها وسرعة
مرّها هوج واضطراب . ويقال نجاء أهوج ، كما يقال عدو واله^(١) . وقد

(١) من شواهد قول تأبط شراً فى الفضيلة الأولى :

حتى نجوت ولما ينزعوا سلبى بواله من قبص الشد غيداق

تجاوزوا هذا الحد حتى قالوا غبارٌ مجنونٌ ، وزيامٌ سَفِيهِ . والشِّمْلَةُ : الخفيفة .
 وقوله « وذو شُطَبٍ » أراد به سيفاً ذا طرائق . « لا يجتويه » أى لا يكرهه
 متحمّله لجودته . وهذا الكلام إشارة إلى أن أصحابه خذلوه ولم يروا مساعدته في
 الوقوف على الدار .

٥ - وقد عشتُ دَهْرًا والغَوَاةُ صحَابتي أولئك خلصاني الذين أصحابُ

٦ - قَرِينَةٌ مَن أُسْفِي وَقُلِدَّ حَبْلُهُ وَحَاذَرَ جَرَاهُ الصَّدِيقُ الْأَقْرَبُ (١)

يذكر ما تعاطاه من البطالة أيام صباه ، فيقول : بقيت زماناً فيما مضى من
 عمري طويلاً متباعد الأطراف ، والذين أصحابهم وأوثر مع شرّتهم أهل
 الغواية ، وأرباب البطالة والخسارة ، لا أواخي غيرهم ، ولا أصلاحٍ سواهم .
 والصَّحَابَةُ مصدرٌ في الأصل [وُصِفَ بِهِ . وَالْخُلُصَانُ أَيْضاً مَصْدَرٌ كَالْكَفْرَانِ
 وَالشُّكْرَانِ فِي الْأَصْلِ (٢)] ، ولذلك صَلَحَ أَنْ يَقَعَ لِلوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ . يُقَالُ فُلَانٌ
 خَالِصَتِي وَخُلِصَانِي ، إِذَا خَلَصْتَ مَوَدَّتَهُ . قَالَ :

* وَعَاشَ صَافِيَةً لِلَّهِ خُلِصَانًا *

ويقال : هؤلاء خلصاني ، أى أخلائي . وقوله « الذين أصحابُ » أراد
 أصحابهم ، وحذف الضمير استطراداً للاسم بصلته . وقوله « قَرِينَةٌ مَن أُسْفِي »
 فالقرينة ألحقت الهاء به لأنه جعل اسماً ، فهو كالبنيّة والذبيحة . ومعنى أسفي :
 دخل في السفاء . والسفاء ممدود : السّفهُ ، والرّجُلُ سَفِيٌّ . ومعنى « قُلِدَّ حَبْلُهُ »
 خُلِيَ واختياره ، وأصله في البعير إذا أرسل في المرعى وجعل زمامه على عنقه
 ليتصرف كما يشاء ، ثم نُقِلَ إِلَى مَنْ وَعِظَ كَثِيرًا حَتَّى أَهْمِلَ أَمْرُهُ تَبَرُّمًا بِهِ .
 ويقال أيضاً : أُلْتِقَى حَبْلُهُ عَلَى غَارِبِهِ ، فِي هَذَا الْمَعْنَى . وَمَعْنَى « وَحَاذَرَ جَرَاهُ »

(١) هذا البيت لم يرد في المفضليات . (٢) التكملة من ل والتميمورية .

الصديقُ الأُقربُ » ، أى تبرأوا منه خوفاً من جرائره التى يجنيها عليهم .
وكانوا يُسمُّون مثله الخَلِيع . وعلى هذا قولُ الشَّنْفَرَى فى صفةِ نفسه :

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تِيَّاسِرُنَ لِحَمَهُ عَقِيرَتُهُ لَأَيًّا بِمَا حَنَّ أَوَّلُ

ومعنى تِيَّاسِرُنَ [لِحَمَهُ ^(١)] اِقْتَسَمَنَ « لِحَمَهُ » ، من الميسِرِ ^(٢) . وهذا من
فصيحِ الكلام . والصديقُ يوصفُ به الواحدُ والجمع . والبيتُ الثانى شرحُ
لقوله « والغواةُ صحابتي » ، ويُفيدُ من نهاياتِ الغيِّ ما لا يُستفاد من ظاهره
ومُطلَّقه .

٧ — فَادَّيْتُ عَنِّي مَا اسْتَعْرَتُ مِنَ الصَّبَا فَلِلْمَالِ عِنْدِي الْيَوْمَ رَاعٍ وَكَاسِبُ

٨ — تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بِيوتِنَا كِمِعْزَى الْحِجَازِ أُعَوِّزَتِهَا الزَّرَائِبُ

يقول : رَفَضْتُ الْآنَ مَا كُنْتُ أَقْصُرُ وَقْتِي عَلَيْهِ ، وَأَصْرِفُ هُمَى إِلَيْهِ ، من
سُلوِك طرائقِ الجُهْل ، والجريِ فى ميادينِ اللّهُو ، واستبصرتُ حتّى عَرَفْتُ من
الرَّشَادِ مَا حَمَلَنِي عَلَى رَدِّ مُسْتَعَارِ الْغَيِّ ، وَاطَّرَاحِ ^(٣) مُسْتَعَادِ الْبُطْل ، فَصِرْتُ
أَحْفَظُ مِنَ الْمَالِ مَا كُنْتُ أَضِيْعُهُ ، وَأَصْحَبُ مِنَ الْحَزْمِ مَا صِرْتُ أُخْلِفُهُ ،
وَأَجْمَعُ مِنَ الْعُدَّةِ لِلْحَوَادِثِ مَا بَقِيَتْ أُهْمِلُهُ وَأَفْرِّقُهُ . وقوله « أَدَّيْتُ عَنِّي » حَقَّقَ
بِدخولِ عَن أَنَّ الْمُؤَدَّى وَجِبَ عَلَيْهِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ أَدَّيْتُ كَذَا مِنْ دُونَ
عَنْ لِحَازِنٍ أَنْ يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَدَّى مَا أَدَّى ، وَلِحَازِنٍ يَكُونُ لغيرِهِ . وَلِأَنَّ مَعْنَى
أَدَّيْتُ عَنِّي نَحَّيْتُ عَنْ نَفْسِي . وَقَوْلُهُ « فَلِلْمَالِ عِنْدِي الْيَوْمَ رَاعٍ وَكَاسِبُ »
نَبَّهَ بِهِ عَلَى أَنَّهُ جَامِعٌ لَهُ وَحَافِظٌ . وَلَمْ يُشِرْ بِقَوْلِهِ « الْيَوْمَ » إِلَى وَقْتٍ مُعَيَّنٍ ،
لِأَنَّهُ أَرَادَ حَاضِرَ الْأَزْمَانِ وَمُؤْتَنَفَهَا . فَأَمَّا قَوْلُهُ « تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ » فَالرَّائِدَاتُ

(١) التكملة من ل .

(٢) كذا فى ل والتميمورية . وفى الأصل : « من اليسر » .

(٣) كذا فى ل والتميمورية . وفى الأصل : « واطراد » .

الختلقات ، ومنه المثل : « الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ » . والمُرَادُ أَنَّ الَّذِي يَرْتَبِطُونَهُ مِنْ الْمَالِ وَيَقْتَنُونَهُ الْخَيْلُ ، لَا الْإِبِلَ وَالغَنَمَ ، وَأَنَّهَا تَخْتَلِفُ فِيمَا بَيْنَ بَيْوتِهِمْ لِكَثْرَتِهَا ، لِأَنَّهَا غَزَّاءُونَ وَأَرْبَابُ غَارَاتٍ ، فَخِيُولُهُمْ مَرْبُوطَةٌ بِالْأَفْنِيَةِ لِمَا تَبَعَدَ عَنْهُمْ أَوْ أَنَّ الْحَاجَةَ لِقَصْدٍ أَوْ مَنَعٍ ؛ وَهِيَ فِي اخْتِلَافِهَا وَكَثْرَتِهَا وَتَرَدُّدِهَا بَيْنَ الْبَيْوتِ كَمِعْزَى الْحِجَازِ وَقَدْ ضَاقَ عَنْهَا مَحَابِسُهَا وَمَرَابِضُهَا . وَقَوْلُهُ « كَمِعْزَى الْحِجَازِ » ، فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ تَرَى ، وَأَعْوَزَتْهَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ السِّكَاةُ مِنْ قَوْلِهِ كَمِعْزَى . وَالْأَجُودُ أَنْ يُضْمَرَ مَعَهَا قَدْ لِيَقْتَرِبَ بِنَاءِ الْمَاضِي مِنَ الْحَالِ . وَالتَّقْدِيرُ تَرَاهَا مُشَابِهَةً لِمِعْزَى الْحِجَازِ وَقَدْ عَدِمَتْ مَحَابِسَهَا ، فَهِيَ تَرُودُ . وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ سَلَمَةَ بْنِ الْخُرَشُبِ :

يَسُدُّونَ أَبْوَابَ الْقِيَابِ بِضُمَرٍ إِلَى عُنُقِ مَسْتَوْتِيقَاتِ الْأَوَاصِرِ
وَالزَّرْبِ وَالزَّرِيْبَةُ وَاحِدٌ ، وَيُقَالُ أَعْوَزَهُ الدَّهْرُ : أَفْقَرَهُ . وَأَعْوَزَ الرَّجُلُ :
سَاءَتْ حَالُهُ .

٩ - فَيَغْبِقُنَ أَحْلَابًا وَيُضْبِحُنَ مِثْلَهَا فَهِنَّ مِنَ التَّغْدَاءِ قُبَّ شَوَازِبُ
يُقَالُ غَبِقْتُهُ إِذَا سَقَيْتُهُ غَبُوقًا ، وَصَبَحْتُهُ إِذَا سَقَيْتُهُ صَبُوحًا . وَالصَّبُوحُ
وَالغَبُوقُ : مَا يُشْرَبُ بِالغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، لِأَنَّهُمَا كَالْفَطُورِ وَالذَّرُورِ وَالسَّحُورِ .
فَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ أَنَّهَا تُعْدَى فِي الْقَرَّتَيْنِ^(١) ، وَيَكُونُ « أَحْلَابًا » بِمَعْنَى أَشْوَاطٍ
وَأَطْلَاقٍ . يُقَالُ أَحْلَبُ فَرَسُكَ قَرْنًا أَوْ قَرْنَيْنِ ، وَأَحْلَبْنَا أَحْلَابًا وَحَلَبَاتٍ .
وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ « فَهِنَّ مِنَ التَّغْدَاءِ قُبَّ شَوَازِبُ » وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ أَنَّهُ
جُعِلَ صَبُوحُهُنَّ وَغَبُوقُهُنَّ أَنْ أُعْدِيَتْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ لِتَضَمُّرٍ ، كَمَا
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

* تَعْلِيْقُهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِجْمَامُ^(٢) *

(١) القرتان : الغداة والعشي ، وذلك لما فيهما من البرد .
(٢) صدره : * بسواهم لحق الأياطل شرب *

وكما قال غيره^(١) :

* فَإِنَّ الْمَنْدَى رِحْلَةٌ فَرُّ كُوبٍ^(٢) *

والتندية : أن تُرعى في الورد بعد السقي شيئاً ليعرض عليها الماء ثانية .

ويجوز أن يريد أنها تسقى اللبن غدوًا وعشيًا ، كما قال :

* نَطَعِمَهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ^(٣) *

يريد باللحم اللبن ، وكما قال الآخر^(٤) :

* يُعْطَى دَوَاءً قَفِيَّ السَّكَنِ رَرُبُوبٍ^(٥) *

ويكون الأحلاب جمع حلب ، مصدر حلبت ، والمراد به المحلوب فجمعه

لاختلافها . ويكون قوله « فَهِنَّ مِنَ التَّعْدَاءِ » كلاماً مستأنفاً ، والمعنى أنها

تصنع وتضمز ، فتتفقد بكل ما يصلحها ويقويها ويعودها الجراء . والقُبُّ :

جمع أقب وقبَاء . والشواذب : الضواصر .

١٠ -- فَوَارِسُهَا مِنْ تَغَلِبِ ابْنَةِ وَاثِلٍ حَمَاتٌ كَمَا لَيْسَ فِيهِمْ أَشَائِبُ

قوله « من تغلب ابنة واثل » أخبر به أنهم لم يتكثروا بغيرهم ، فليس

فيهم خلطاء من سواهم ولا غرباء ، وإنما هم من أصل واحد . وهذا كما قال سلمة

ابن الخرشب :

وَأَمْسُوا حِلَالًا مَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ عَلَى كُلِّ مَاءٍ بَيْنَ فَيْدٍ وَسَاجِرٍ

وهو خلاف قول الآخر وهو يهجو :

(١) هو علقمة بن عبدة الفحل . المفضلية ١١٩ .

(٢) صدره : * تراد على دمن الحياض فإن تعف *

(٣) أنشده في اللسان (لحم) . وأنشد بعده :

* والخيل في إطعامها اللحم صرر *

(٤) هو سلامة بن جندل السعدي . المفضلية ٢٢ .

(٥) صدره : * ليس بأسنى ولا أفنى ولا سغل *

ولمّا أن رأيتُ بنى جُوَيْنٍ جُلُوسًا ليس بينهم جَلِيسٌ^(١)
 إذا ما قُلْتُ أَيُّهُمْ لَأَيِّ تَشَابَهَتِ المَنَاكِبُ والرُّءُوسُ
 لأنّ هذا يصف أهل بيْتِ بآنهم لا يُرَى فيهم نديم ولا مُعَاشِرٌ ،
 ولا يَغْشَى فِنَاءَهُمْ جَلِيسٌ ولا مُخَالِطٌ ، ولا يَقْصِدُهُمْ عَافٍ ولا مُجْتَدٍ ، ولا يَوْمُهُمْ
 رَاجٍ ولا مُعْتَفٍ ، إنّما ا كْتَفَى كُلُّ مَنْهُمْ بِصَاحِبِهِ ، وانفرد كلُّ ذى بَيْتٍ بِنَسِيبِهِ .
 وعلى هذا الذى فَسَّرنا يكون « من تَغْلِبَ ابْنَةَ وائِلٍ » خَبْرًا ، وَحَمَاةٌ خَبْرًا ثانيا .
 والتقدير : فوارِسُها تَغْلِبِيُّونَ حَمَاةٌ . ويجوز أن يكون من تَغْلِبَ ابْنَةَ وائِلٍ فى
 موضع الحال ، وَحَمَاةٌ الخبر ، والتقدير : فوارِسُها وهم من بنى تَغْلِبَ حَمَاةٌ .
 وَحَمَاةٌ : جمع حامٍ . وكَمَاةٌ : جمع كَمِيٍّ . وهذا البناء من الجموع لا يكون إلّا فى
 المعتلِّ . والأشائبُ : جَمْعُ أَشَابَةٍ ، وهم الذين جُمِعُوا من شىء إلى شىء ، على
 رداةٍ فيهم وهُجْنَةٍ تَشُوبُهُمْ .

١١- فَهَمْ يَضْرِبُونَ الكَبْشَ يَبْرِقُ بِيضُهُ على وَجْهِهِ من الدِّمَاءِ سَبَائِبُ
 ١٢- وَإِنْ قَصْرَتْ أَسِيفُنَا كانَ وَصْلُهَا خُطَانًا إلى أَعْدائِنَا فَنُضَارِبُ
 وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ الرُّؤْساءَ فى الحربِ بالقتل والنِّكَايةِ ، دونَ الأوساطِ
 والعَجْزَةِ والسُّقْاطِ ، فهو كقولِ الآخرِ^(٢) :

من عَهْدِ عادٍ كانَ معروفًا لنا أَسْرُ المُلُوكِ وَقَتْلُها وَقِتالُها
 وقوله « يَبْرِقُ بِيضُهُ » فى موضع الحال من يَضْرِبُونَ ، و « على وَجْهِهِ
 من الدِّمَاءِ سَبَائِبُ » فى موضع الحال أيضًا من قوله يَبْرِقُ بِيضُهُ . والسَّبَائِبُ :

(١) فى الأصل : « بنى جرّين » وأثبتنا ما فى ل والتمورية .

(٢) هو بشامة بن الغدير . الحماسية ١٣٤ .

الطَّرَقُ^(١) ، الواحدة سَبِيْبَةٌ ، وقوله « وإن قَصَرْتُ أَسْيَافُنَا » مثل قول الآخر^(٢) :

* نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا^(٣) *

وفي طريقته قول الآخر^(٤) :

إِذَا الْكِمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الطُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا

١٣ — فَلِلَّهِ قَوْمٌ مِثْلُ قَوْمِي عِصَابَةٌ إِذَا حَفَلَتْ عِنْدَ الْمُلُوكِ الْعِصَابُ

قوله « فَلِلَّهِ قَوْمٌ » تعجُّبٌ وتحضيضٌ . والكلام في مثله قد تقدّم مشروحاً^(٥) . وانتصب « عِصَابَةٌ » على أنه تمييز . ويجوز أن يكون حالاً أيضاً . وقوله « إِذَا حَفَلَتْ » أي اجتمعت . وإذا ظَرَفَ لما دَلَّ عليه قوله « لِلَّهِ قَوْمٌ مِثْلُ قَوْمِي » ، أي ناهيك بهم من قَوْمٍ في ذلك الوقت . والمعنى أنه يَظْهَرُ من عِزِّهم وفَخْرِهِم في مجالس الملوك ما يُسْتَحَقُّ به التعجُّبُ منهم .

١٤ — أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوقَيْدٍ فَحَلِيهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ

يصف عِزَّهم وكرمهم وعِظَمَ حِشْمَتِهِم في قلوب مَنْ سواهم ، وأنَّ أحداً لا يتجاسرُ على التعرُّضِ لأسبابهم ، والتبسُّطِ في أحييتهم ، فالهم وإن عزبت في سرايعها محييةٌ ، وسرورهم آمنةٌ ، وإذا كانت الأقسامُ غيرهم يُقَيِّدُ فحولها تقييدا مُقَارِبًا ، وتُحَفِّظُ مَرَاعِيهَا حِفْظًا مُلَاحِظًا ، مخافةً أن تَسْرُبَ في المَرْتَعِ ، وتَبْعَدَ عن المَجْمَعِ ، وتتبعها الإناثُ فَتَقْرُبَ من المُعِيرِ عليها ، وتمكِّنُ الطامع

(١) الطرق : جمع طرقة بالضم ، مثل غرفة وغرف ، وهي الطرائق .

(٢) هو كعب بن مالك . البيان (٣ : ٢٦) .

(٣) مجزءه : * قدما ونلاحقها إذا لم تلحق *

(٤) هو بشامة بن خزن النهشلي . الحماسية ١٤ .

(٥) انظر ما سبق في ص ٦٧٢ .

فيها ، رأيتنا لا نبالي بشيء من ذلك ، فنخلبها وذهابها حيث شاءت ، وأنى
اختلفت وتصرفت ، لأمننا عليها ، وعلمنا بأن عزنا يحميها ويذب عنها ،
ويقصر الأيدي دونها . والسارب : الذاهب في الأرض ، حتى قيل سرب الماء
وانسرب ، ومنه اشتقاق السراب .

٢٤٩

وقال المدليل بن الفرخ العجلي^(١) :

١— أَلَا يَا اسْمِي ذَاتَ الدَّمَالِيحِ وَالْعِقْدِ وَذَاتَ الثَّنَايَا الْغُرِّ وَالْفَاحِمِ الْجُعْدِ^(٢)

قوله « يا اسمي » يراد به يا هذه اسمي ، فحذف المنادي . ومعنى اسمي :
دُومِي سَالمةً . وانتصب « ذَاتَ الدَّمَالِيحِ » على أنه نداء ثان ، ويجوز أن
يكون انتصابه على إضمار فعل ، كأنه قال : أذكر ذَاتَ الدَّمَالِيحِ . وهذا يجري
تجري الكناية لما كره التنبيه على اسمها . والدماليح : جمع الدملوح ، وهي
المعضد . وقال الخليل : يقال دملجت الشيء ، إذا سوّيت صيغته ، كما يُصاغ
الدملج . وقوله « وذات الثنايا » كان وجه الكلام أن يقول : والثنايا الغرّ ،
لكنه أعاد لفظ ذات ليكون الخطاب به أفخم وأجلّ قدرًا ، ولشدة اتصال المضاف

(١) المدليل بهيئة التصغير ، بن الفرخ بفتح الفاء ، وقيدته في الخزانة (٢ : ٣٦٨)
بضمها . ولقبه « العباب » كشداد ، وكان العباب كلباً له . وهو شاعر إسلامي في الدولة
الروانية ، كان قد هجا الحجاج وهرب منه إلى قيصر ملك الروم ، فبعث إليه : لترسنن به
أو لاجهزن إليك خيلاً يكون أولها عندك وآخرها عندي . فبعث به إليه وجرى بينهما حديث
اتتهى بالغفوة عنه . الخزانة والأغانى (٢٠ : ١١ — ١٩) والاشتقاق ٢٠٨ والشعر والشعراء
٣٧٥ — ٣٧٧ .

(٢) قال أبو رياش : ليست هذه الأبيات للمدليل ، وهي قصيدة طويلة لأبي الأخيل العجلي
قالها في آخر أيام بني أمية ، ووفد على عمر بن هبيرة الفزاري فقبل له : إن أبا الأخيل العجلي
بالباب يستأذن . فقال : « إذن والله لا يأذن له غيري » . فقام من مجلسه حتى أتاه على الباب فأخذ
بيده وأقعدته معه على بساطه ثم قال : أنشدني منصفتك . فأنشده إياها ، فكساه وأعطاه
ثلاثين ألفاً . المنصفة : القصيدة ينصف فيها الشاعر عدوه . انظر ما سبق في ٤٤٠ .

بالمضاف إليه ، كأنه عدّها اسمًا واحدًا لا تحمّل بالحذفِ عليه . ويجرى هذا
المجرى قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ .
وَالَّذِينَ هُمْ ﴾ ، ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ ﴾ . وقول الشاعر^(١) :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمرُ
والعقد : القلادة ، يقال عقدتُ عقداً ، ثم يُسمّى المعقود عقداً ، فهما
كالنقض والنقض . والفاحم : الشعر الأسود الحسن^(٢) وقد فحّم فحومًا .

٢ — وذات اللثات الحُمّ والعارض الذي به أبرقتُ عمدًا بأبيض كالشاهد
اللثاتُ : مغارزُ الأسنان . والحُمّ : جمع أحمّ وحماء ، وهو الأسود من كلِّ
شيء . ويروى « الحوّ » وهو جمع أحوى وحواء . والحوّة : حُمْرةٌ تضربُ إلى
سوادٍ . والعارضُ : ما يظهرُ من الثغرِ عند النطق من الجانبين . ومعنى أبرقتُ
به : أطلعتِ البرق . والبرقُ : وميضُ السحابِ أصله . ويقال : برقَ السحابُ
برقًا وبريقًا ، وأبرق لغةً فيه ، كذلك قال الخليل . وقوله « عمدًا » مصدرٌ في
موضع الحال ، أى أبرقتُ عامدةً . ويريدُ بالأبيض رُضابَ الفم . والتشبيه
بالشاهدِ قصد به إلى العذوبة .

٣ — كأنّ ثناياها اغتبتن مدامةً ثوت حجبًا في رأسِ ذى قنّةٍ فردٍ
الاغتباق : شربُ العشي ، وخصّه بالذِّكر لأنّ القصدَ إلى أنها عند السّحر
يطيبُ نكهتها ، فإذا تغيّرتِ الأفواه وخلفت كانت هذه كأنها مغتبية خمرًا
بقيت سنين في رأسِ جبل انفراد عن الجبال ورءوسها ، بحصانته وتمنّعه . وهذا
منه إشارةٌ إلى قلعةٍ في قلّةِ جبل شاهق ، أو قصرٍ أو حصنٍ شَبّهه بجبل
هذه صِفته .

(١) هو أبو صخر الهذلي . أمالي القالي (١ : ١٤٩) .

(٢) كذا في ل والتمورية . وفي الأصل : « الشعر الأسود الأسود » ، تحريف .

٤ - لَعَمْرِي لَقَد مَرَّتْ لِي الطَّيْرُ آ نِفَاً بِمَا لَمْ يَكُنْ إِذْ مَرَّتِ الطَّيْرُ مِنْ بُدٍّ
 كَانَ زَجَارًا^(١) فَلِذَلِكَ قَالَ مَا قَالَ . وَخَبِرُ « لَعَمْرِي » مَحذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ
 لَعَمْرِي قَسَمِي . وَلَقَدْ جَوَابُ الْقَسَمِ مَعَ مَا بَعْدَهُ . وَالْقَسَمُ كَمَا يَقَعُ بِالْمُفْرَدِ يَقَعُ
 بِالْجَمَاعَةِ . وَأَنْتَ الطَّيْرَ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْجَمَاعَةَ ، فَلِذَلِكَ قَالَ مَرَّتْ . وَآ نِفَاً انْتَصَبَ عَلَى
 الظَّرْفِ ، وَالْمَعْنَى فِيمَا انْتَدِنَفَ مِنَ الْوَقْتِ ، وَإِنَّمَا عَافَ هَذِهِ الْعِيَاةَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا
 فِيمَا دَارَ بَيْنَ قَوْمِهِ مِنَ الشَّرِّ ، وَكَأَنَّهُ آمَنَ بِمَا أَوْجَبَهُ مُرُورُ الطَّيْرِ فِي حُلْمِهِ ، فَلِذَلِكَ
 قَالَ بِمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ بُدٍّ . وَمِنْ بُدٍّ مَوْضِعُهُ اسْمٌ لَمْ يَكُنْ ، وَخَبِرُهُ مَحذُوفٌ ، لِأَنَّ
 التَّقْدِيرَ بِمَا لَمْ يَكُنْ بُدٍّ مِنْ وَقُوعِهِ إِذْ مَرَّتِ الطَّيْرُ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ مَا جَاءَنِي مِنْ
 رَجُلٍ فِي اللَّفْظِ ، وَإِنْ كَانَ التَّقْدِيرَانِ مُخْتَلِفَيْنِ . وَمَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ لَا بُدَّ مِنْ
 كَذَا : لَا اتَّسَاعَ فِي الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ . وَيُقَالُ رَجُلٌ أَبَدُّ وَأَمْرَأَةٌ بَدَّاهُ ، إِذَا تَبَاعَدَا إِحْدَى
 فَخَذِيهِ عَنِ الْآخَرَى ، وَبَدَدْتُ الشَّيْءَ أَبَدَّهُ ، إِذَا جَزَّأْتَهُ أَجْزَاءً فِي الْقَسَمِ .
 وَيُقَالُ هَاتِ بُدَّتِي ، أَي نَصِيبِي ، وَمِنْهُ يَقَالُ اسْتَبَدَّ فُلَانٌ بِكَذَا إِذَا اخْتَصَّ .

٥ - ظَلَلْتُ أَسَاقِي الْهَمِّ إِخْوَتِي الْأُولَى أَبُوهُمْ أَبِي عِنْدَ الْمِزَاحِ وَفِي الْجِدِّ
 يَقَالُ : ظَلَّ يَفْعَلُ كَذَا ، إِذَا فَعَلَهُ نَهَارًا ، ثُمَّ يَتَوَسَّعُونَ فِيهِ ، وَيَجْرِي مَجْرَى
 صَارَ يَفْعَلُ كَذَا . يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ
 وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ . أَلَا تَرَى أَنَّ الدِّبْشَارَةَ بِالْأُنثَى تَتَّفِقُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ لَيْلٍ وَنَهَارٍ .
 وَقَوْلُهُ « أَسَاقِي الْهَمِّ » يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ الْغَمَّ ، كَأَنَّهُ كَانَ يُبَاثُ إِخْوَانَهُ وَأَصْفِيَاءَهُ ،
 لَمَّا كَانَ يَدُورُ عَلَيْهِ أَمْرُ عَشِيرَتِهِ مِنَ الْخِلَافِ الْمُؤَدِّي إِلَى التَّقَالِي وَالتَّحْزُبِ ،
 وَمَا كَانَ يَخَافُهُ مِنَ التَّنْفَانِي عَلَيْهِمْ عِنْدَ التَّحَارُبِ . وَالْأُولَى فِي مَعْنَى الَّذِينَ ، وَالْجَمَلَةُ
 الَّتِي بَعْدَهُ مِنْ صِلَتِهِ . وَقَوْلُهُ « أَبُوهُمْ أَبِي عِنْدَ الْمِزَاحِ وَفِي الْجِدِّ » يَجْرِي مَجْرَى
 التَّأْكِيدِ لِلْإِخْوَةِ ، وَالتَّحْقِيقِ لِلتَّشَابُكِ ، وَالْمَاهِزِجَةِ بِالنِّسْبَةِ ، وَالْمَعْنَى : عَلَى كُلِّ

(١) كَذَا فِهُمُ الرِّزْوَقُ ، وَلَيْسَ هَذَا بِلَازِمٍ .

حال ؛ إذ لا ثالثَ لها . ووَضَعَ المَزاحَ موضعَ الهَزَلِ . ومثل هذا في معنى التَّأَكِيدِ ، وإن كان لفظه لفظَ البدلِ قولهم : جاءني بنو تميمٍ صغيرُهم وكبيرُهم ، صريحُهم وهجينُهم ، وما أشبهه . ويجوز أن يريدَ بالهمِّ مصدرَ هَمَمْتُ بالشيءِ ، كأنه اجتمع مع إخوته ليوافقهم على رأى يَبْنُونَ أمرهم عليه مع الفساد^(١) الظاهر له بين ذويه وفصيلته . ويروى « المَزاح » بضم الميم فيكون اسماً ، والمَزاحُ بكسر الميم فيكون مصدرَ مازَحْتُ .

٦ - كَلَانَا يُنَادِي يَا زَارُ وبيئنا قنًا من قنًا الخَطِيّ أو من قنًا الهِنْدِ
 كَلَا اسم مفردٌ يؤكِّد به المثنى ، كما أن كَلَا اسم مفردٌ يؤكِّد به المجموع . والمراد به هنا كلُّ واحدٍ منا ، لذلك قال ينادى . والمعنى إنَّ اعتزاء كلِّ واحدٍ من طائفتينَا إلى أبٍ واحدٍ ، والشَّرُّ إذا وقع بين الأقارب كان في عقول ساداتهم أشدَّ تأثيراً ، وأبلغَ عند الاشتغال به تحذيراً ، إذ كان مُفَسِّدَةً النَّسَبِ لِنَسَبِهِ أَفْطَحَ ، وكان التَّقاطع حيث يجب التَّواصل أشنعَ ، ولأنَّ عِزَّ السَّيِّدِ بتابعيه ، وليس الأقارب منهم كالأجانب . وقواه « وَبَيْنَنَا قنًا من قنًا الخَطِيّ » الواو واو الحال ، وقد حَذَفَ المضاف وأقام المضافَ إليه مقامه . والمراد : وبيننا اختلافٌ قنًا خَطِيَّةً بِالطَّعْنِ ، أى بَلَغَ جَهْدُ البلاءِ بينهم هذا المبالغَ وانتهى إلى هذه الحالة . وقال « من قنًا الخَطِيّ » والمراد من قنًا الموضع الخَطِيّ أو المكان ، فأقام الصِّفَةَ مقامَ الموصوف^(٢) . يدلُّ على هذا أنه قال بعده « أو من قنًا الهِنْدِ » . ويجب أن يكونَ القنَا الأوَّلُ وإن كان جمعَ قنَاةٍ مُتَنَاولًا لما هو أقلُّ مما يتناولُه القنَا الثاني حتى يحصلَ معنى التبعض^(٣) بِمِنْ . وانلَطَّ : جزيرة

(١) هذا ما في ل والتيمورية . وفي الأصل : « من الفساد » .

(٢) في التنبيه : « وإن شئت قلت : أراد من قنًا الخط ، فزاد ياء النسب لغير حقيقة

الإضافة ، كقولهم في الصفة أشقر وأشقرى ، وأحمر وأحمرى » .

(٣) كذا على الصواب في ل والتيمورية . وفي الأصل : « مع التبعض » .

عُمان . ويقال في الرِّمَّاحِ هي الخَطِيئةُ ، كأنَّه اسمُ لها .
 ٧ — قُرُومٌ تَسَامَى مِنْ نِزَارٍ عَلَيْهِمْ مُضَاعَفَةٌ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ وَالسُّغْدِ (١)
 القُرُومُ فِي الْأَصْلِ : الْفُجُولُ الْمَصَابُ الْتِي أُعْفِيَتْ مِنَ الْحَمْلِ عَلَيْهَا وَتَرَكَتْ
 لِلْفِجْلَةِ . وَيُقَالُ أَقْرَمْتُ الْبَعِيرَ فَاسْتَقْرَمَ . وَعَنَى بِهَا هَاهُنَا الْأَبْطَالُ الْكِرَامُ .
 وَتَسَامَى ، أَيْ تَتَعَالَى فِي التَّبَارَى (٢) وَالتَّمَارَى . وَالْأَصْلُ فِي تَسَامَى تَتَسَامَى
 فَحُذِفَ إِحْدَى التَّائِيْنِ اسْتِثْنَاءً لِاجْتِمَاعِهِمَا . وَقَوْلُهُ « مِنْ نِزَارٍ » فِي مَوْضِعِ
 الصِّفَةِ لِقُرُومٍ ، وَالتَّقْدِيرُ قُرُومٌ نِزَارِيَّةٌ تَتَسَامَى ، وَقَوْلُهُ « عَلَيْهِمْ مُضَاعَفَةٌ » فِي
 مَوْضِعِ الْحَالِ وَالْعَامِلُ فِيهِ تَسَامَى . وَمَعْنَى الْمُضَاعَفَةِ : الَّتِي نُسِجَتْ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ .
 وَ « مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ » فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ الْمُضَاعَفَةِ ، أَرَادَ مُضَاعَفَةَ دَاوُدِيَّةً وَسُغْدِيَّةً .
 وَارْتَفَعَ مُضَاعَفَةٌ بِالظَّرْفِ فِي الْمَذْهَبَيْنِ جَمِيعًا لَوْقُوعِ الظَّرْفِ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ .
 وَمِثْلُهُ مِنْ مَسَائِلِ الْكِتَابِ : سَرَرْتُ رَجُلًا مَعَهُ صَقْرٌ صَائِدًا بِهِ غَدًا (٣)
 ٨ — إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمَلَةً ثَبَتُوا لَنَا بِمَرْهَمَةٍ تُذْرِي السَّوَاعِدَ مِنْ صُعْدِ
 ٩ — وَإِنْ نَحْنُ نَازَلْنَاهُمْ بِصَوَارِمِ رَدَّوْا فِي سَرَائِلِ الْحَدِيدِ كَمَا نَزَدِي
 أَمَّا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَقَدْ أَلَمَّ فِيهِ بِمَعْنَى قَوْلِ الْآخِرِ (٤) :

فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكْسُرَا
 وَالْمَرْهَمَةُ : السُّيُوفُ الْمُرْقُوقَةُ الْحَدَّ ، وَسَيْفٌ رَهِيْفٌ ، وَقَدْ رَهَفَ رَهَافَةً . وَمَعْنَى
 تُذْرِي تُسْقِطُ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِمَرْهَمَةٍ . وَمَعْنَى « مِنْ صُعْدِ » مِنْ أَعْلَى .
 وَهَذَا كَمَا قَالَ غَيْرُهُ :

(١) لم يفسر هو ولا النبريزي السغد ، وهو بضم السين ويقال بالصاد المضمومة : جبل من الناس بلادهم بين بخارى وسمرقند .

(٢) كذا في له والتمورية . وفي الأصل : « في التماذي » .

(٣) انظر كتاب سيديويه (١ : ٢٤١ — ٢٤٣) .

(٤) هو زفر بن الحارث السكلابي . الحماسية ٢٨ .

يُذْرِي بِإِرْعَاشِ يَمِينِ الْمُؤْتَلِي خُضْمَةَ الذُّرَاعِ هَذَا الْمُخْتَلِي

وقوله « وإن نحن نازلناهم » فالنزال يأتون به ويركبونه في المضايق حيث لا يتسع المجال للخيل ، وإذا كان كذلك فالبيت الأول من صفة الفرسان ، والثاني من نعت الرجالة . وقوله « ردوا في سراويل الحديد كما نردى » ، الرديان في الأصل عدو الحمار بين آريه ومتممكه ، ولم يقصد تفضيلاً لأحد الفريقين على الآخر إماماً لقصدِهِ إلى الإنصاف في اقتصاص ما يجرى من الأحوال ، وإما لأن الفرقتين كانتا من أصل واحد جعلهما على سواء من البلاء .

١٠ — كَفَى حَزَنًا أَلَا أزالُ أَرَى القَنَا يَمُجُّ نَجِيعًا من ذِرَاعِي ومن عَضْدِي
لَكَ أن تَرَفَعَ « أزالُ » على أن يكون أنْ مُخَفَّفَةً من الثِقِيلَةِ ، والمرادُ أَنِّي
لا أزال . ولك أن تَنْصِبَهُ على أن يكون أنْ هِيَ النَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ . ومَوْضِعُ أنْ
لا أزالَ على الوجهين جَمِيعًا رَفَعُ بِكَفَى . وحزنا انتصبَ على التَّمْيِيزِ . والمعنى :
كَفَى من حَزَنٍ أَنِّي لا أزالُ أَرَى الرِّمَاحَ تَصُبُّ دَمًا من ذِرَاعِي ومن عَضْدِي ،
أى من قومٍ بِهِم أَبْطِشٌ وَأَعْتَزُّ ، فَهَمُّ مَنِي بِمَنْزِلَةِ الذُّرَاعِ وَالْعَضْدِ . وهذا في
الاستعارة لَمَنْ يَقْوَى بِهِ الرَّجُلُ وَيَعْتَصِدُ أَبْلَغُ وَأَشْبَعُ وَإِنْ تَسَاوَتْ الطَّرِيقَتَانِ —
من قول الآخر (١) :

فإن أكَ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمُ غَلِيْلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمُ إِلَّا بَنَانِي
وقد قيل « أَخُ الرَّجُلِ عَضْدُهُ » . والمَجُّ : إِخْرَاجُ المَاءِ مِنَ الفَمِ ، وتوسَّعوا
فقالوا المَطَرُ : هُوَ مَجَاجُ السَّحَابِ . والنَّجِيعُ : دَمُ الجوفِ . ويقال تَنَجَّجَعَ
الرَّجُلُ ، إِذَا تَلَطَّخَ بِهِ .

١١ — لَعَمْرِي أَنِّي رُمْتُ الخُرُوجَ عَلَيْهِمُ بِقَيْسٍ عَلَى قَيْسٍ وَعَوْفٍ عَلَى سَعْدٍ

(١) هو قيس بن زهير . الحماسية ٤٤ ص ٢٠٣ .

١٢- وَضِيَعْتُ عَمْرًا وَالرَّبَابَ وَدَارِمًا وَعَدْوَانَ وَدَّ كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ وَدٍّ^(١)

١٣- لَكُنْتُ كَمُهْرِي فِي الَّذِي فِي سِقَائِهِ لِرَقْرَاقِ آلِ فَوْقَ رَابِيَةِ صَلْدٍ

نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى قُرْبِ الْقَرَابَةِ بَيْنَهُمْ ، وَتَأَكَّدُ الْإِلْتِحَامَ فِيهِمْ ، وَأَنَّ تَمَازِجَ الْأَنْسَابِ ، وَتَوَاشُجَ الْأَسْبَابِ ، يُوجِبَانِ أَنْ طَوَائِفَ هَؤُلَاءِ الْجَمُوعِ كَطَوَائِفِ تِلْكَ ، فَإِنْ أَخَذَ يُطَلَبُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ ، وَالنَّكَايَةُ فِيهِمْ ، اِحْتِجَاجُ أَنْ يَخْرُجَ بِقَيْسٍ عَلَى قَيْسٍ ، وَبَسْعَدٍ عَلَى سَعْدٍ ، لِأَنَّ عَوْفًا هُوَ ابْنُ سَعْدٍ . وَاحْتِجَاجُ أَنْ يُرَاجِمَ عَمْرًا وَالرَّبَابَ وَدَارِمًا وَوَدًّا ، وَأَنْ يَضَيِّعَ حُظُوظَهُمْ وَحَقُوقَهُمْ ، وَيُفِيئَتَ نَفْسَهُ وَذَوِيهِ مَأْمُولَ الْخَيْرِ مِنْ جِهَتِهِمْ ، وَالتَّكْثُرُ وَالتَّعَرُّزُ بِمَكَانِهِمْ ، وَذَلِكَ أَيْسَرُ نَتَائِجِ التَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ ، وَالتَّنَازُعِ وَالتَّقَابُذِ ، وَالتَّجَادُبِ وَالتَّجَارُبِ ؛ هَذَا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ مَجَانِبَةِ الرَّشَادِ ، وَالتَّبَاعُدِ فِي طُرُقِ الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ . وَقَوْلُهُ « كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ وَدٍّ » هُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّقَادُ وَالبُّصْرَاءُ بِصَنَعَةِ الشَّعْرِ وَتَمْيِيزِ الْبَدِيعِ فِيهِ « الْإِلْتِفَاتِ » . كَأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ وَدًّا وَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ ، وَنَفَضَ الْيَدَ مِمَّا يَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُ ، وَكَشَفَ الرَّأْسَ بِالْمُعَادَاةِ مَعَهُ ، رَقَّ لِلرَّحِمِ قَلْبُهُ ، وَضَاقَ بِالْحَالِ الْمُتَصَوِّرَةِ صَدْرُهُ ، وَالتَّفَتَّ إِلَى مَنْ بِحَضْرَتِهِ فَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ صَبْرِي عَنْ مِثْلِهِ . ثُمَّ أَخَذَ يَمَثِلُ نَفْسَهُ فِيمَا يَأْتِيهِ ، وَيَصَوِّرُ نَفْسَهُ إِنْ أَخَذَ فِيهِ ، فَقَالَ : لَعَمْرِي إِنْ صَوَّرْتِي إِذَا رَكِبْتُ هَذِهِ الْخُطَّةَ مَعَهُمْ ، وَمَثَلِي فِيمَا أَخْتَارُهُ مِنْ مُفَاسِدَةِ الْأَقْرَابِ مَعَ هَذَا التَّحَقُّقِ وَالتَّدَانِي ، وَالاسْتِنَامَةِ إِلَى آمَالٍ مُتَخَيَّلَةٍ فِي الْأَجَانِبِ ، مَثَلُ رَجُلٍ قَدْ أَعَدَّ مَاءً فِيهِ لَوْقَتِ حَاجَتِهِ ، وَهُوَ فِي مَفَازَةٍ مُتَنَائِيَةِ الْأَرْجَاءِ ، فَتَرَقَّرَ لَهُ السَّرَابُ مِنْ مَكَانٍ يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِمَشَقَّةٍ تُتَكَلَّفُ ، وَزِيَادَةٍ تَعَبٍ تُتَجَشَّمُ ، فَصَبَّ مَا قَدْ اسْتَضْحَبَهُ مِنَ الْمَاءِ ، وَتَيَقَّنَ النِّجَاةَ بِهِ ، اغْتَرَارًا بِمَا تَرَأَى لَهُ وَتَظَنَّاهُ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي هَلْ يَقْدِرُ عَلَى الْوَصُولِ إِلَيْهِ ، وَإِذَا جَاءَهُ هَلْ يَجِدُ لَهُ حَقِيقَةً أَوْ لَا .

(١) رواية التبريزي : « وعمرو بن أد كيف أصر عن أد » .

وقد ضرب الله المثل بالسراب لأعمال الكفار واغترارهم بها فقال: ﴿ كَسْرَابٍ
بِقِيَعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجدهُ شيئاً^(١) ﴾ . والرايئةُ : المسكان
المرتفع . والصلدُ : الصُّلب الذي لا يُنبتُ شيئاً . والرقراقُ : ما تَرَقَّرَقَ^(٢) فيما
يَتَخَيَّلُ للمين ولمع ، ويوصفُ به الدَّمْعُ والماء والجارية الرائقة . يدلُّ على
ذلك قوله :

* رَقَارِقَ لَا زَرْقَ العُيُونِ وَلَا رُمْدًا *

ولامرئ القيس يصف الدمع :

* أَو الدَّرُّ رَقْرَاقُهُ المُنْحَدِرُ^(٣) *

وقوله « لكنتُ كمُهْرِيقِ الذي » جواب القسم ، وبعضهم رواه :
« فكنتُ كمُهْرِيقِ » وعلى هذا يكون الجواب محذوفاً . وقد حمل الكلام
على المعنى لظهور المراد منه دون اللفظ ، والأولُ أ كَشَفُ .

١٤ — كَمُرُضِعَةٍ أَوْلَادَ أُخْرَى وَضِيَعَتُ بِنِي بَطْنِهَا هَذَا الضَّلَالُ عَنِ القَصْدِ
يجوز أن يكون المرُضِعَةُ امرأةً فَعَلَتْ ذلك فَضْرِبَ المثلُ بهذا ، ويشهدُ
لذلك قولُ الآخر^(٤) :

كَمُرُضِعَةٍ أَوْلَادَ أُخْرَى وَضِيَعَتُ بِنِيهَا فَلَمْ تَرَقَّعْ بِذَلِكَ مَرَقَعًا^(٥)

ويقال : النَّعَامُ تَفْعَلُ ذلك لسوء هدايتها ، فتترك الواحدة منها يبيضَ نفسها

(١) وردت « بحسبه » في نسخة الأصل ول ، على قراءة كسر السين . وكسر السين في
هذا المضارع لغة أهل الحجاز ، وفتحها لغة تميم . وقرأ ابن عامر وعاصم وحمة بفتح السين
حيث وقعت في المصحف ، وقرأ باقي السبعة بكسرها . تفسير أبي حيان (٢ : ٣٢٨) .

(٢) كذا في التيمورية . وفي سائر النسخ : « ترقق » وكتب إزاءها في ل « ترقرق » .

(٣) صدره : * فأسبل دمي كفض الجمان *

(٤) هو ابن جندل الطعان الكنانى ، كما في الحيوان (١ : ١٩٧) وحامسة

البحترى ١٧٠ .

(٥) في ثمار القلوب ٣١٣ : « فلم تحسن بما فعلت صنعا » .

وَتَسْوَمُ فِي الْمَرْعَى ، فَإِذَا أَرَادَتْ الْعَوْدَ إِلَيْهَا لَمْ تَهْتَدِ ، فَتَجْمُ عَلَى بَيْضِ غَيْرِهَا .
وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْوَجْهِ قَوْلُ الْآخِرِ^(١) :

فَأِنِّي وَتَرَكَى نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَدْحِي بَكْفِي زَنْدًا شَحَاخَا
كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبَسَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاخَا

وقوله « هذا الضلالُ عن القصد » يجرى مجرى قوله « كيف أضير عن
وَدَّ^(٢) » ، في أنه من باب الالتفات . ومثلها قول جرير :

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِدِي طُلُوحٍ سَقِمَتِ الْغَيْثَ أَبْتَهَا الْخِيَامُ

والشاعر لم يُقنعه التشبيه الأول ولم يكتفِ به ، لأن الثاني أدلُّ على الحال
فيما يرومُ تصويره ، وأشبهه بقصته إذا فعل فعلته . والقصد : الطريق المستقيم ،
وهو المقصود .

١٥ - فَأَوْصِيكَ يَا ابْنِي نِزَارٍ فَتَابِعَا وَصِيَّةَ مُفْضِي النَّصْحِ وَالصِّدْقِ وَالْوُدِّ

١٦ - فَلَا تَعْلَمَنَّ الْحَرْبَ فِي الْهَامِ هَامَتِي وَلَا تَرْمِيَا بِالنَّبْلِ وَيَحْكَمَا بَعْدِي^(٣)

جَعَلَ وَصَانَهُ شَامِلَةً لِقَبَائِلِ رِبِيعَةَ وَمُضَرَ ، وَهِيَ ابْنَا نِزَارِ بْنِ مَعَدٍ ، فَيَقُولُ :
أَبْذُلُ نَصْحِي لَكُمْ ، وَأَبْسُطُ وَصِيَّتِي إِيَّاكُمْ فِيمَا ، فَتَابِعُوهَا وَعَمَلُوا بِحَسَبِهَا ، فَإِنَّهَا
مَمْحُوضَةٌ لَكُمْ عَنْ قَلْبِ رَجُلٍ سَلِيمٍ الْغَيْبِ ، نَقَى الْجَنِّبِ ، صَائِبِ الرَّأْيِ ،
صَادِقِ الْوُدِّ . وَقَوْلُهُ « مُفْضِي النَّصْحِ » أَيِ وَاصِلِ نَصْحِهِ إِلَيْكُمْ ، وَصَائِرُ فِي
فَضَاءٍ وَسَعَةٍ . وَالْمَعْنَى انْكَشَافُهُ وَخُلُوصُهُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ
إِلَى بَعْضٍ ﴾ . وَقَوْلُهُ « فَلَا تَعْلَمَنَّ الْحَرْبَ فِي الْهَامِ هَامَتِي » هَذَا صَرِيحُ الْوَصِيَّةِ

(١) هو ابن هرمة . الحيوان (١ : ١٩٩) . وانظر ثمار القنوب ٣٥٣ والدميري

(٢) (٥٠٢ : ٢) والموشح ٢٣٧ .

(٣) في البيت ١١ من هذه الحماسية .

(٣) وروى : « فَلَا تَعْلَمَنَّ الْحَرْبَ » ، كما أشار التبريزي .

التي دعا إليها ، وسامهم ارتسامها وحفظها . وجعل النهى لها منته والمخاطبون هم المنهيون ، فهو كقولك : لا أريتك ها هنا ، والمراد : لا تكن ها هنا فأراك . وتحقيق قوله « فلا تعلم الحرب في الهام هامتى » : لا تتحاربوا بعدى فتعلم هامتى بين الهام الحرب بينكم ، أى عليكم بالتواصل والتعاقد ، وإياكم والتقاطع والتدابير ، فإن ذلك يؤدي إلى ضعفكم ، واجتراء الخصم عليكم ، إن لم يؤدي إلى التفتان والتهاك . وكانت العرب تقول : إن عظام الموتى تصير هاماً فتطير وتنسم أخبار الأحياء . وقوله « ولا ترميا بالنبل ويحكما بعدى » ، يقول : دعوا التفاخر والتنافر ، والتجاذب والتحارب ، فإن ذلك من آكد أسباب التتالي والتهاجر . وهم يجعلون المناضلة مثلاً للمفاخرة . على هذا قول لبيد :

فانتضلنا وابن سلمى قاعد
كعتيق الطير يبغي ويوجل

ثم قال :

فرميت القوم رشقا صائبا
ليس بالعضل ولا بالمفتعل

١٧— أما ترهبان النار في ابني أيبكا
ولا ترجوان الله في جنة الخلد

١٨— فما ترهب أثرى لوجعت ترابها
بأكثر من ابني نزار على العد

١٩— هما كنفنا الأرض اللذالوتزعزعا
تزعزع ما بين الجنوب إلى السد

ذكركم بما في صلة الرحم من الأجر ، وبما في قطيعته من الإثم ، فأخذ يرغبهم ويحذرهم ، فيقول : أما تخافون أن يحق عليكم العذاب إذا استهنتم بالوعيد الوارد في القطيعة واستعمال البغي ، وتعرضتم لسخط الله عز وجل في تجاوز مأموره ، وأما ترجون أن يحل الثواب الكريم في الصلة واستعطاف

أولى المحارم والقربة^(١)، إذا رعيتُمُ أمره، والتزمت حتمه، واستنجزتم موعوده. وإنما أخرج الخطاب بلفظ التثنية، وإن كان الوعظ متوجّها إلى جميعهم، لأنه قال « فأوصيكما يا ابني نزار ».

وقوله « فما ترُبُّ أترى » أترى والثرى يُجعلان اسمين للأرض، إلا أن أترى جعل كالعلم لها، ولذلك لم يُصرف. والثرى: الندى. وفي المثل « التقي الثريان ». وفُسِّرَ قوله « وما تحت الثرى » على ما تحت الأرض. ويُقال: ثرى ثرى، فيرادُ به الثراب الندي. وفي الاستكثار قيل: هم أكثر من الثرى. والشاعر وصف ابني نزار بالكثرة، لأن فيها العزَّ والغلبة، ثم لم يرضَ بذلك حتى قال « هُما كنفنا الأرض ». ومعنى « لو جمعت ترابها » لو أحطت علماً به وضبطته. ومعنى « بأكثر من ابني نزار على العدّ » بأكثر منهما معدودين؛ فوضع على العدّ موضع الحال. وقطع همزة ابني نزار ضرورة، كما قال الآخر^(٢):

إذا جاوز الاثنين سِرُّ فإنه [بنث وإكثار الوشاة قين]^(٣)

ويركبون هذه الضرورة في الأكثر الأعم إذا كانت الألف في اسم، وذلك أن ألفات الوصل بابها الأفعال دون الأسماء حتى يُمكن حصرها^(٤) إذا لم تكن في مصدر، فإذا كان كذلك فالاعتاد في ألفات الأسماء القطع، فعلى ذلك يُستحسن قطعها فيها، وإن كانت في الوصل للضرورة.

وقوله « هُما كنفنا الأرض » فالكنف: الجانب والناحية. ومنه تكنفه بنو فلان. والمعنى أنهم مُحَدِّقون بالأرض. وقوله « اللذا لو تزعزعا » حذف

(١) القربة، بضم وبضمتين: القرابة، ومثلها القرب والقرنى.

(٢) هو قيس بن الخطيم. ديوانه ص ٢٨. واللسان (نث).

(٣) التكملة من ل. وبدلها في التيمورية كلمة: « البيت ». وفي الديوان: « وتكثير

الحديث »، وفي اللسان: « وتكثير الوشاة ».

(٤) أى يمكن حصر ألفات الوصل في الأسماء، وهى الأسماء العشرة.

النون استبطالةً للاسم بصلته . وعلى هذا قوله :

أَبْنِي كَلَيْبٍ إِنَّ عَمِّيَ الَّذَا قَبَلًا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَ^(١)

والزَّعْرَعَةُ : التحريك ، ومنها ريحٌ زَعْرَاعٌ . وقوله « ما بين الجنوبِ إلى السَّدِّ » يريد ما بين مَهَبِّ الْجَنُوبِ إلى سَدِّ يَأْجُوجَ . ويقال سَدٌّ وَسُدٌّ لُغْتَانٌ ، وقيل السَّدُّ ما يفعله الأدميون ، والسَّدُّ بالضم ما لا صُنِعَ لِلأدمى فيه . ومُرَادُ الشَّاعِرِ أَنْ مِسَاكَ الْأَرْضِ وَجَوَانِبِهَا بِابْنِي نَزَارٍ ، فَإِنْ تَزَعْرَعَا تَزَلَزَلَتِ الْأَرْضُ . وهذا الكلامُ نِهَايَةٌ فِي بَابِهِ .

٢٠— وَإِنِّي وَإِنْ عَادَيْتُهُمْ وَجَفَوْتُهُمْ لَتَأَلَّمُ مِمَّا عَضَّ أَكْبَادَهُمْ كِبْدِي

٢١— لِأَنَّ أَبِي عِنْدَ الْحِفَاطِ أَبُوهُمْ وَخَالَهُمْ خَالِي وَجَدَّهُمْ جَدِّي

يقول : أنا وإن كنتُ متنكرًا لهم مُسْتَجْفِيًا ، وَجَافِيًا مَعَهُمْ مَعَادِيًا ، وَمُتَحَامِلًا عَلَيْهِمْ مُنَاصِبًا ، فَلِلْعَلَّاقِ الْجَامِعَةِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، وَالْأَوَاصِرِ الْعَاطِفَةِ ضَمِيرِي عَلَيْهِمْ ، وَلِأَنِّي أَرَى أَطْرَافِي مِنَ السَّبَبِ وَالنَّسَبِ تَظَارُّنِي وَتَأْتِي إِلَّا التَّحَنُّنَ لَهُمْ ، وَتَضَمَّنِي فَتَمْنَعُ مِنَ الْأَنْحِرَافِ عَنْهُمْ — يَسُوؤُنِي مَا يَسُوؤُهُمْ ، وَأَشْتَكِي لَشُكْوَاهُمْ ، وَأَتَأَلَّمُ مِمَّا يَفَالُهُمْ ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ أَخْتَارُ لَهُمْ مَا أَخْتَارُهُ لِنَفْسِي ، وَأُرِيدُ بِهِمْ مَا أُرِيدُ بِنِي لَا يَتَمَيِّزُ عَنِّي ، فَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَدْعُونِي إِلَى اسْتِصْلَاحِهِمْ ، وَالْوَصَاةِ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى مِصَالِحَتِهِمْ ، فِعْلَ الْأَمْسِ سُهْمَةً ، وَالْأَخَصَّ نُسْبَةً . وَكَيْفَ لَا أَكُونُ كَذَلِكَ ، وَإِذَا حَافِظُنَا الْحَقُوقَ ، وَرَاعَيْنَا الْوَسَائِلَ وَالْحُظُوظَ^(٢) تَنَاسَقَتِ الْأَبُوءَةُ بَيْنَنَا وَالْأُمُومَةُ ، وَتَلَاخَطَتِ الْبُنُوءَةُ وَالْأَخُوَّةُ .

(١) البيت للأخطل في ديوانه ٤٤ والخزانة (٢ : ٤٩٩ — ٥٠١) . وقد ذكر في الخزانة خلفاً شديداً في تعيين اسمي عميه .

(٢) في الأصل : « والخصوص » ، صوابه في سائر النسخ .

٢٥٠

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب^(١) :

١ - سائل بنا في قومنا وليكف من شر سماعه^(٢)

٢ - قيساً وما جمعوا لنا في جمع باق شناعه

هذه الأبيات تناسب ما قبلها وتؤدي إلى مثل مؤدّاها ، لذلك قالت « سائل بنا في قومنا » لأن ما تألمت منه كان في عشيرتها وذويها ، وكان الخطب كان عظيماً ، والشر كان مستفجلاً شديداً ، فأخذت تبعث على التسال^(٣) عنهم في قومهم ، إذ كان البلاء لم يعد لهم . ويجوز أن يريد : سائل بنا وعن حالنا فيما بين قومنا ، كأنه يدعى أن لهم شأناً في قومهم ليس لغيرهم . وقولها « وليكف من شر سماعه » توجع مما نالهم ، واستفطاع لما أجروا إليه فيما أداروا أنفسهم عليه^(٤) . وظاهر لفظ الأمر للسمع ، وهو في الحقيقة للمخاطب ، لأن المراد : واكتف إذا

(١) هي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم ، عممة النبي صلى الله عليه وسلم ، اختلفت في إسلامها . الإصابة ٦٩٥ من قسم النساء .

(٢) التبريزي : « قال أبو هلال : لما قتل البراض بن قيس عمرو بن عتبة الجعفري كانت قريش بعكاظ ، فاحتلموا نحو مكة ، وأتى هوازن قتل البراض عمرو فأتبعوهم فأدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم وجن عليهم الليل ، فكفت عنهم هوازن ، فقال خداس ابن زهير :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

وللنبي في ذلك الوقت عشرون سنة ولأبي طالب ستون سنة ، فقال البراض في ذلك :

نقمت على المرء الكلابي نغره وكنيت قديماً لا أقر نغارا

علوت بنصل السيف قلة رأسه فأسمع أهل الوادين جوارا

والإشارة بعكاظ في البيت الرابع إلى ما كان في أيام الفجار الآخر وكلها في عكاظ أو في مواضع قريبة منها . وكان مصرع عمرو في أيام الفجار الآخر . انظر العقد (٥ : ٢٥٤) ، والأغاني (١٩ : ٧٥) .

(٣) هذا ما في ل ، م والتمورية . وفي الأصل : « التسائل » .

(٤) أداروا ، بتقديم الدال ، كما في جميع الأصول . وقد سبق نحوه في ص ٤٥ .

سألت من الشرِّ بالسَّماعِ دون العِيانِ ، فهو في باب الأمر - أَعْنِي لِيَكْفِ -
 كقولهم في باب النَّهْيِ : لا أَرَيْتَكَ ها هنا ، إذ كان المراد : لا تكن ها هنا فأراك .
 فَإِنْ قِيلَ : لِمَ نَكَرَ قَوْلَهُ مِنْ شَرِّ ، والذي يُوَمِّئُ إِلَيْهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا
 مَشْهُورًا ؟ قلت : إنَّ فَائِدَةَ الْمُنْكَرِ مِثْلُ فَائِدَةِ الْمَعْرَفِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ ، أَلَا
 تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : فَلَانٌ يَلْبَسُ خَزًّا وَقَزًّا ، وَالخَزُّ وَالقَزُّ ، فَلَا يَخْتَلِفُ الْمَفْهُومُ مِنْهُمَا ؟
 وَقَوْلُهُ « قَيْسًا وَمَا جَمَعُوا لَنَا » انْتَصَبَ قَيْسًا عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : سَائِلٌ
 قَيْسًا وَالْجَيْشَ الَّذِي جَمَعُوهُ لَنَا فِي مَحْفَلِ أَخْبَارِهِ تُتَحَمَّلُ وَتُنْشَرُ عَلَى مَرِّ الْأَحْقَابِ
 وَالْأَيَّامِ ، وَشِنَاعَتُهُ تُسْتَفْظَعُ وَتُذَكَّرُ فِي الْمَشَاهِدِ وَالْأَقْوَامِ . وَالشَّنْعُ وَالشَّنَاعَةُ
 وَالشَّنَاعُ وَالشَّنُوعُ : قُبْحُ الشَّيْءِ الَّذِي يَطِيرُ خَبْرُهُ وَيَعْلُو . وَمِنْهُ شَنَعَ النَّجْمُ ، إِذَا
 ارْتَفَعَ فِي السَّمَاءِ . وَالشَّنَاعُ : النَّاقَةُ الْخَفِيْفَةُ . وَتَشَنَّعَتْ : تَشَمَّرَتْ فِي السَّيْرِ وَجَدَّتْ .
 وَإِنَّمَا قَالَتْ « وَمَا جَمَعُوا لَنَا » لِأَنَّهَا أَشَارَتْ بِمَا إِلَى الْجِنْسِ . وَيَجُوزُ أَنْ تَرِيدَ :
 وَالَّذِي جَمَعُوا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَامَاتِ وَالْجَرَائِمِ . وَإِذَا فَسَدَ ذَاتُ الْبَيْنِ مِنْ قَوْمٍ
 أَخَذُوا يَتَجَرَّمُونَ وَيَعْدُدُونَ مَا لَا يَكُونُ جِنَايَةً جِنَايَةً .

٣ - فِيهِ السَّنَوْرُ وَالْقَنَا وَالْكَبْشُ مُلْتَمِعًا قِنَاعُهُ^(١)

أشار بقوله « فِيهِ السَّنَوْرُ » إِلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَشْهُدُ مِنَ الْعَدَدِ
 وَالْعُدَّةِ . وَمَوْضِعُ « فِيهِ السَّنَوْرُ » مِنَ الْإِعْرَابِ جَرٌّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِمَجْمَعٍ . وَالْمُرَادُ
 بِالسَّنَوْرِ وَالْقَنَا وَالْكَبْشِ أَجْنَاسُهَا . وَالسَّنَوْرُ : الدَّرْعُ ، وَقِيلَ هُوَ جَمَاعَةُ الْأَسْلِحَةِ .
 وَالْكَبْشُ : الرَّئِيسُ . وَمَعْنَى « مُلْتَمِعًا قِنَاعُهُ » بَارِقًا ، أَيْ عَلَيْهِمُ الْبَيْضُ .
 وَانْتَصَبَ مُلْتَمِعًا عَلَى الْحَالِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُنْوَى الْاسْتِثْنَاءُ بِقَوْلِهِ « وَالْكَبْشُ » ،
 وَحِينَئِذٍ يُرْوَى « مُلْتَمِعٌ » بِالرَّفْعِ ، فَيَكُونُ خَيْرًا عَنْهُ ، وَهَذَا مَوْضِعُ الْجُمْلَةِ يَكُونُ

(١) م والتبريزي : « ملتبع » ، وها روايتان .

نَصَبًا عَلَى الْحَالِ ، وَقَدْ سُمِّيَتْ الْبَيْضَةُ يَلْمَعًا لِبَرِيقِهِ ^(١) ، كَمَا سُمِّيَ السَّرَابُ يَلْمَعًا .
وَفِي الْمَثَلِ السَّائِرِ « أَمْ كَذَبٌ مَنْ يَلْمَعُ » .

٤- بُعْكَازٌ يُعِيشِي النَّاضِرِينَ إِذَا هُمْ لَمَحُوا شُعَاعَهُ

٥- فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكًا قَسْرًا وَأَسْلَمَهُ رَعَاةَهُ

٦- وَمُجْدَلًا غَادَرَنَهُ بِالْقَاعِ تَنَهَسُهُ ضِبَاعُهُ

قوله « بُعْكَازٌ » الباء منه تَعَلَّقَ بقوله في مُجْمَعٍ ، ويجوز أن يتعلَّقَ بِمَلْتَمَعًا .
وشُعَاعُهُ يَرْتَفِعُ بِعِيشِي ، والضميرُ منهُ يجوز أن يعودَ إلى عُكَاظٍ لِكَوْنِ
الشُّعَاعِ به ، ويجوز أن يعودَ إلى القِنَاعِ لِأَنَّ اللِّمْعَانَ له . ويقالُ أَشَعَّتِ الشَّمْسُ ،
أى انْتَشَرَ شُعَاعُهَا . ويقالُ لَمَحَهُ بِبَصَرِهِ وَلَمَحَ الْبَصْرُ ، وَلَمَحَ الْبَرَقُ ، وَبَرَقَ
لَمَاحٌ . وقولها « فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكًا » الضميرُ يعودُ إلى المَجْمَعِ ، ويجوز أن يعودَ
إلى عُكَاظٍ . ومعنى قَتَلْنَاهُ قَسْرًا ، أى قَصْدًا ، لا اتِّفَاقًا . والقَسْرُ : القَهْرُ على
كُرْهِهِ . ويقالُ قَسَرْتُهُ واقْدَسَرْتُهُ . وقولها « وَأَسْلَمَهُ رَعَاةَهُ » ، إشارةٌ إلى لفائفِ
انضَمُّوا إليه فحذَلوه ولم يَفُوا له . والرَّعَاعُ : سَفَلَةُ النَّاسِ وَسُقَّاطُهُمْ . وقال الخليلُ :
الرَّعَاةُ : الرَّجُلُ الَّذِي لَا فَوَادَ له ، ومنه رَعَاعُ النَّاسِ . و « مُجْدَلًا » انتَصَبَ
بِفِعْلِ ما بعده تَفْسِيرُهُ ، كأنه قال : وغَادَرَنَ مُجْدَلًا غَادَرَنَهُ . والضميرُ في الفِعْلِ
لِلْخَيْلِ . والمُجْدَلُ : المصروعُ على الجَدَالَةِ ، وهى الأَرْضُ . والقَاعُ : المُسْتَوِى
من الأَرْضِ . وموضعُ « تَنَهَسُهُ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، والعاملُ فيه غَادَرَنَ .
والنَّهْسُ : أَخْذُ الشَّيْءِ بِمَقْدَمِ فَيْكٍ . وَيُرْوَى : « تَنَهَسُهُ » بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةً .
وكان الأصمعيُّ يقولُ : النَّهْسُ والنَّهْشُ سَوَاءٌ ، وهو أَخْذُ اللَّحْمِ بِالْفَمِ . وخالفه

(١) كذا في جميع النسخ ، أى لبريق البيض .

أبو زيدٍ فقال : النَّهْسُ بالسَّيْنِ أَخْذُكَ الشَّيْءَ بِمَقْدَمِ فَمِكَ . وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ « ضِبَاعُهُ » يَعُودُ إِلَى الْقَاعِ .

٢٥١

وقال عبد القيس بن خفاف^(١)

أحد بني حنظلة بن مالك ، البرجمي^(٢) :

١ - صَحَوْتُ وَزَايَلِنِي بَاطِلِي لَعَمْرُ أَيْبِكَ زِيَالًا طَوِيلًا

يقول : وَبَقَاءُ أَيْبِكَ لَقَدْ أَفَقْتُ مِنْ سُكْرِ الْبَطَالَةِ ، وَفَارَقَنِي مَا كُنْتُ أُتْعَاطَاهُ مِنَ الصَّبَا وَالْجَهَالَةِ ، فِرَاقًا مَمْتَدًّا لَا يَنْقَطِعُ بِمُعَاوَدَةٍ تَعْرِضُ دُونَهُ ، أَوْ بِمَوَاصِلَةٍ تُبْطِلُهُ وَتُزِيلُهُ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ وَصَفَ الزِّيَالَ بِالطُّولِ ؟ قُلْتَ : الطُّولُ فِي الْحَقِيقَةِ لَوَقْتُ الزِّيَالَ لَا لَهُ ، لَكِنَّهُ وَصَفَهُ بِهِ عَلَى طَرِيقِ التَّوَشُّعِ . وَهَمَّ يَسْتَعْمَلُونَ الطُّولَ وَالْعَرَضَ عَلَى ضَرْبَيْنِ : أَحَدُهُمَا فِي الْمُجَسَّمَاتِ ، وَذَلِكَ وَصَفٌ لَذَهَابِهَا فِي الْجِهَتَيْنِ . وَالثَّانِي أَنْ يَرَادَ بِهِمَا الْإِتْسَاعُ لِلشَّيْءِ ، أَوْ امْتِدَادُ الْوَقْتِ بِهِ . وَهَذَا الْوَجْهَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمُجَسَّمِ وَغَيْرِ الْمُجَسَّمِ . وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ مِنْهُ الْعَرَضُ مِنْ دُونَ الطُّولِ . عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ : نِعْمَةٌ عَرِيضَةٌ وَجَاهٌ عَرِيضٌ^(٣) . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ وَقَالَ : ﴿ فَذُودُ دُعَاءِ عَرِيضٍ ﴾ . وَرَبَّمَا جَمَعُوا

(١) شاعر جاهلي من شعراء المفضليات ، قال أبو الفرج في الأغاني (٧ : ١٤٥) ! « وأما عبد قيس بن خفاف البرجمي فإني لم أجده له خبراً أذكره إلا ما أخبرني به جعفر بن قدامة » ، فذكر قصة في أنه حمل دماء عن قومه فأساموه فيها ، وأنه أتى حاتماً الطائي ومدحه ، فحملها عنه . انظر للقصة أيضاً أمالي القالي (٣ : ٢١) ، وقد أشار إليها المرزباني في معجمه ٣٢٥ .
(٢) البرجمي : نسبة إلى البراجم ، وهم خمسة من أولاد حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم : عمرو ، وقيس ، وغالب ، وكلفة ، وظليم ، تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع في الاجتماع . والبراجم : ما ينشز من الأصابع إذا قبضت اليد .
(٣) الأبيات هي المفضلية رقم ١١٧ .

بينهما فقد قالوا : عَشْنَا زَمَانًا طَوِيلًا عَرِيضًا . والدَّهْرُ العَرِيضُ الطَوِيلُ ، يَرَادُ بِهِ السَّكَالُ وَالتَّسَاعُ ، وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ :

بِطَاحِيٍّ لَهُ نَسَبٌ مُصَنَّفِي وَأَخْلَاقٌ لَهَا عَرَضٌ وَطَوَّلُ
فَهَذَا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالمُجَسَّمَاتِ ، وَالقَصْدُ إِلَى السَّعَةِ ، لِأَنَّ الأَخْلَاقَ تُوصَفُ
بِالسَّعَةِ وَالتَّضْيِيقِ . وَقَدْ عَيَّبَ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ قَوْلَهُ :

* بِيَوْمٍ كَطَوَّلِ الدَّهْرِ فِي عَرَضٍ مِثْلِهِ ^(١) *

وَقِيلَ جَعَلَ لِلزَّمَانِ عَرَضًا مَعَ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَيْهِ ، إِذْ كَانَ بِذِكْرِ الطَّوِيلِ
قَدْ اسْتَوْفَى المَعْنَى المَقْصُودَ . وَهَذَا مِنْ قَائِلِهِ ظَلَمَ صَرِيحٌ لِأَنَّهُ سَلَكَ مِثْلَ طَرِيقَةِ
كَثِيرٍ مِنَ التَّشْبِيهِ بِالمُجَسَّمِ ، فَكَمَا قَالَ فِي الأَخْلَاقِ لَهَا عَرَضٌ وَطَوَّلٌ ، كَذَلِكَ
قَالَ فِي الزَّمَانِ لَهُ طَوَّلٌ كَذَا فِي عَرَضٍ مِثْلِهِ ، وَلَا فَضْلَ . وَقَوْلُهُ « وَزَايَبَانِي
بِاطِلِي » قَالَ سَيْبُوِيَه : يُقَالُ زَايَبْتُ بِمَعْنَى بَارَحْتُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ مَا زَالَ يَفْعَلُ
كَذَا ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ مَا بَرِحَ ، وَيُقَالُ زَالَ الشَّيْءُ مِنَ الشَّيْءِ يَزِيلُهُ زَيْلًا ، إِذَا
مَازَهُ مِنْهُ ، وَزَالَ الشَّيْءُ يَزُولُ زَوَالًا ، إِذَا فَارَقَ . وَجَوَابُ القَسَمِ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ .

٢- وَأَصْبَحْتُ لَا نَزِقًا لِلْحَاءِ وَلَا لِلْحُومِ صَدِيقِي أَكُولًا ^(٢)

٣- وَلَا سَابِقِي كَاشِحٌ نَازِحٌ بِذَحْلِ إِذَا مَا طَلَبْتُ الذُّحُولَا

أَجْرَى أَصْبَحْتُ مُجْرَى صِرْتُ . وَالنَّزِقُ : الطَّيَّاشُ الخَفِيفُ العَقْلُ . وَيُقَالُ
نَزِقَ يَنْزِقُ نَزَقًا ، وَمِنْهُ نَزَقْتُ الفَرَسَ ، إِذَا ضَرَبْتَهُ حَتَّى يَنْزِقَ . وَاللِّحَاءُ :
المُشَاتِمَةُ . يَقُولُ : اسْتَبَدَلْتُ مِنَ الخِيفَةِ وَقَارًا ؛ وَمِنَ العَجْنَةِ أَنَاةٌ وَسُكُونًا ، فَلَا
يَسْتَخْفِي النَّزِقُ لِمُلاحَاةِ الرِّجَالِ ، وَتَلَبُّ أَعْرَاضِ الأَصْدِقَاءِ بِالاغْتِيَابِ . وَيُقَالُ

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي دِيْوَانِهِ ٢٤٤ يَدْحُ بِهَا أبا المَسْتَهْلِ الطَّائِي . وَعَجْزُهُ :

* وَوَجَدِي مِنْ هَذَا وَهَذَاكَ أَطُولُ *

(٢) المَفْضَلِيَّاتُ : « لَا نَزِقًا بِاللِّحَاءِ » .

للمفتاب : هو أْكُولُ لِلْحَوْمِ النَّاسِ ، كَالسَّبْعِ الضَّارِي . ولِلنَّمَامِ : هو أَضْرَبُ
 مِنْ مَشَى بِشَفَقَةٍ ، مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَشَاءَ بَنِيمٍ ﴾ . وفي القرآن :
 ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ . وقوله « صديقي » أراد به
 الكثرة لا الواحد .

وقوله « ولا سابقى كاشحُ نازحُ » فالكاشحُ : العدوُّ الباطنُ العداوة .
 والنازحُ : البعيد الدَّارِ أو النَّسَبِ . وفي البيت يحتمل الوجهين . يقول : إذا سمعتُ
 في طلبِ إصابةِ الأوتارِ ، لم يفتني العدوُّ البعيد الدارِ ، لأنَّ المسافات لا تمنعني
 عن الطلبِ وإن شئت وثقلت .

٤- وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَاتِ عِرْضًا بَرِيئًا وَعَضْبًا صَقِيلًا

٥- وَوَقَعَ لِسَانِي كَحَدِّ السَّنَانِ وَرُمَحًا طَوِيلَ الْقَنَاطَةِ عَسُولًا^(١)

يقول : وصرتُ كما استنكفت^(٢) من مساوي الأخلاقِ ، وأخذتُ أتعطفُ
 على مكارمِها ، أعددتُ أيضاً لحوادثِ الدهرِ نفسًا نقيَّةً من الدَّنِيَّاتِ ، رافضة
 للمُنكَرَاتِ ، وسيفًا قاطعًا مصقولًا . كأنه في وقتِ مساعِدةِ الأحوالِ له وإقبالِ
 الزَّمانِ عليه ، يعلمُ أنَّ المَقْدورَ كما يُعْطَى يرتجعُ ، فيسعى فيما تسلَّمُ معه النَّفْسُ
 ويطيِّبُ به النَّشْرَ . وإنما قرَنَ بِذِكْرِ العِرْضِ المُعَدِّ أسلحتهُ ليرى اكتفاءه بها
 إذا نابتِ النائباتُ ، كما قال غيره^(٣) :

فَمَا نَأَتْ عَنَّا العَشِيرَةُ كُلُّهَا أَنْخَنَا فِالْفَنَاءِ السُّيُوفِ عَلَى الدَّهْرِ

فَمَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَتَرٍ

وقوله « ووقعَ لِسَانِي » يجوز أن يكونَ من وقعَتُ الحديدَ بالمِطْرَقَةِ ، إذا

(١) ابن جني في التنييه : « في هذا دلالة على أن القناة غير الرمح » .

(٢) في الأصل : « استنكف » والوجه ما أثبتنا من ل ، م والتميمورية .

(٣) هو يحيى بن منصور الحنفي ، في الحماسية ١٠٨ ص ٣٢٦ .

ضَرَبَتْهَا ؛ ومنه حَافِرٌ وَقِيعٌ ، إِذَا أَثَّرَتْ فِيهِ الْحِجَارَةُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ وَقَعَتْ بِهِمْ وَأَوْقَعَتْ ؛ ومنه وَقَعَاتُ الدَّهْرِ وَوَقَائِعُهُ . يَقُولُ : وَأَعَدَدْتُ لَهَا لِسَانًا مُؤَثِّرًا تَأْثِيرًا شَدِيدًا ، إِذَا اغْتَرَزَ فِي رِكَابِ الْقَوْلِ نَافِذًا حَدِيدًا ، نَفَاذَ السِّنَانِ . وَهَذَا كَمَا قَالَ :

وَلِسَانًا صَّـيْرَفِيًّا صَارِمًا كَحُصَامِ السَّيْفِ مَا مَسَّ قَطَعٌ^(١)
 وَقَدْ قِيلَ : « الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ » . وَإِذَا تَنَقَّتِ الْأَعْرَاضُ طَالَتْ الْأَلْسِنَةُ . وَكَانَتْ الشُّعْرَاءُ وَالْخَطَبَاءُ عُدَّةً لِلْقَبَائِلِ كَالرِّجَالِ وَالْأَمْوَالِ ، بَلْ كَانَ الْإِنْتِفَاعُ بِمَكَانِهِمْ ، وَالِدَّفَاعُ بِالسُّنْتِهِمْ أَمَّ وَأَكْمَلُ . وَقَوْلُهُ « وَرُمْحًا » أَيُّ وَأَعَدَدْتُ رُمْحًا ، وَجَعَلَهُ طَوِيلَ الْخَشْبَةِ لِأَنَّ مُسْتَعْمِلَهُ طَوِيلًا أَفْرَسُ . وَالْعَسُولُ : الشَّدِيدُ الْإِهْتِزَازُ ؛ وَمِنْهُ عَسَلَانُ الذُّئْبِ ، وَقَوْلُهُمْ : عَسَلَ الدَّلِيلُ فِي الطَّرِيقِ .

٦ — وَسَابِغَةٌ مِنْ جِيَادِ الدُّرُوعِ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَالِيلاً
 ٧ — كَمَثْنِ الْغَدِيرِ زَهْتُهُ الدَّبُورُ يَجْرُ الْمُدَجِّجَ مِنْهَا فُضُولاً^(٢)
 يَقُولُ : وَأَعَدَدْتُ لَهَا أَيْضًا دِرْعًا وَاسِعَةً مِنْ خَيْرِ أَجْنَاسِهَا ، يَنْبُو عَنْهَا السَّيْفُ فَلَا يَعْمَلُ فِيهَا ، لِاسْتِحْكَامِهَا وَجُودَةِ سَرْدِهَا ، إِلَّا مَا تَسْمَعُ مِنْ صَالِيهَا عِنْدَ إِصَابَتِهَا بِهِ ، صَافِيَةً كَأَنَّهَا صَفْحَةُ الْمَاءِ مِنْ غَدِيرٍ هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحُ الدَّبُورِ ، فَحَرَّ كَتَمُهُ وَاسْتِخْفَتَهُ ، فَصَارَ عَلَى ظَوَاهِرِهِ حَبَابٌ يَتَدَفَّعُ . وَإِذَا لَبِسَهَا الْمُدَجِّجُ فِي السَّلَاحِ ، الْمُسْتَعْدُّ لِلْكَفَاحِ ، فَضَلَ عَنْهُ مِنْهَا فَوَاضِلٌ يُجَرَّرُهَا . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخِرُ^(٣) :

* تُغَشِّي بَنَانَ الْمَرْءِ وَالْكَفَّ وَالْقَدَمَ^(٤) *

(١) البيت لسويد بن أبي كاهل البشكري في المفضلية ١٩٩ .
 (٢) رواية المفضليات : « زفته » بمعنى طرده ودفعته .
 (٣) هو راشد بن شهاب البشكري في المفضلية رقم ٨٦ .
 (٤) صدره : * مضاعفة جدلاء أو حطمية *

والقصدُ في هذا إلى صفةِ الدرعِ وجودِها . ولو قصدَ مدحَ لا بسببها لكان
يجعلها صدرًا أو بدنة . على أن كثيرًا لما أنشد عبد الملك قوله فيه :
على ابنِ أبي العاصي دِلاصٌ حصينةٌ أجادَ المسدِّي سردها وأذالها
قال له : قولُ الأعشى لقيس بن معديكرب أحسنُ من قولك :
وإذا تجيء كتيبةً مهومةً خرّسائه يخشى الذائدون نهالها
كنتَ المقدمَ غيرَ لا بسِ جنّةٍ بالسيفِ تضربُ معلمًا أبطالها
فقال كثيرٌ : يا أمير المؤمنين وصفتك بالحزم ، ووصف الأعشى صاحبه
بالخرق .

ولقائل أن يقول : إن المبالغة في الشعر أحسن من الاقتصاد ، والأعشى
أعطى المبالغة حقها ، فهو أعذر^(١) ، وطريقتُهُ أسلم .

٢٥٢

وقالت امرأة من بني عامر^(٢) :

١- وحرّب يضحّ القوم من نفيانها ضجيجَ الجمالِ الجلةِ الدبرِاتِ
انعطفَ قوله « وحرّب » على مجرور تقدّمه ، وليس على إضمار ربّ ،
بدلالة قولها « سيترُّ كها قومٌ » . كأنه غلب على ظنها لما رأت من أماراتِ
الشرِّ بين قومها باستعمالهم البغى ، واستيطانهم الظلم ، واستبدالهم بالتحابِّ تباعضاً
وبالتعاطف تدابراً ، وبالتناصر تخاذلاً ، وهم من جرثومة واحدة ، أنه سيحدثُ
في مؤتلفِ الأحوال منهم أحداثٌ ، وتظهر على مرور الأيام لدواعي الهلكِ آياتٌ
من كذا وكذا ، وحرّب يتشاكون من اشتغالهم ، وتناولها بالمشاركة من

(١) كذا في ل والتميمورية والتبريزي . وفي الأصل : « أغرز » ، وفي م : « أعذب » .

(٢) التبريزي : « وقال أبو ريش : هي من بني قشير » .

عِدَاهُمْ مَعَهُمْ ، وَتَجَاوَزُ الْقُرْبَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْبُعْدَاءِ فِيهِمْ . وَهَذَا الْمَعْنَى اقْتِضَاهُ قَوْلُهُ « مِنْ نَفْيَانِهَا » لِأَنَّ أَصْلَهُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيمَا يَتَطَايَرُ مِنَ الْقَطْرِ عِنْدَ سَيْلَانِ الْمَاءِ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ فِي جَوَانِبِ الْمَصَبِّ ، فَشَبَّهَ مَا يَتَدَافَعُ وَيَنْتَشِرُ مِنْ أَدَى الْحَرْبِ فِي جَوَانِبِ الْقَوْمِ بِهِ . وَالْجِلَّةُ : الْمَسَانُّ مِنَ الْإِبِلِ . وَتَعْنِي الَّتِي مَعَ السِّنِّ أَضْرَبَهَا الْكَدُّ ، وَجَهَّدَهَا الِاسْتِعْمَالُ ، وَأَزْمَنَهَا الدَّيْرُ ، فَقَالَتْ : تَضِجُ الْعَشِيرَةُ لَمَّا يُقَاسُونَهُ مِنْ هَذَا الْحَرْبِ ضَجِيجَ تِلْكَ الْإِبِلِ عِنْدَمَا تُقَاسَى مِنَ الْعَمَلِ . وَهَذَا التَّشْبِيهِ الصَّائِبُ الْمُتَنَاهِي فِي الدَّلَالَةِ عَلَى حَالَةِ الْمُشَبَّهِ . وَقَدْ قَالَ الرَّاجِزُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَصِفُ حَرْبًا :

وَأَغَشَتِ النَّاسَ الضَّجَاجَ الْأَضْجَجَا وَصَاحَ خَاشِي شَرِّهَا وَهَجَّجَا^(١)

٢ — سَيِّتُرُ كَيْهَاقَوْمٍ وَيَصَلِي بِحَرِّهَا بَنُو نِسْوَةٍ لِلشَّكْلِ مُصْطَبِرَاتِ

نَبَّهَتْ بِهَذَا إِلَى اسْتِفْحَالِ الْحَرْبِ الَّتِي تَوَعَّدَتْ بِهَا وَتَفَاقَمَ الْخَطْبِ ، فَقَالَتْ : تَضَجَّرُ بِهَا فِرْقَةٌ مِنْهُمْ فَيَنْفُضُونَ الْأَيْدِيَ مِنْهَا تَفَادِيًا مِنْ مُلَابَسَتِهَا ، وَيَعْتَزِلُونَ عَنْهَا طَلِبًا لِلسَّلَامَةِ مِنْ عُقْبَاهَا ، وَحَذَرًا مِنْ امْتِدَادِهَا إِلَى غَايَةٍ لَا تُتَمَلَّكُ فِيهَا الِاسْتِقَالَةُ مِنْهَا ؛ وَيَصْبِرُ فِيهَا أُخْرَى ، وَهِيَ الْمَنْهَمَكُونَ فِي إِيقَادِ نَارِهَا ، وَالِاصْطِلَاءُ بِحَرِّهَا ، الْمَمْعُونُونَ فِي إِثَارَةِ كَأَمْنِهَا ، وَإِذَاعَةُ وَاقْفِهَا^(٢) ، الَّذِينَ لَا يَبَالُونَ بِمَا يَفْعَلُونَهُ أَوْ يَفْعَلُ بِهِمْ ، وَقَدْ تَعَوَّدَ الشَّكْلُ أَمْبَاتِهِمْ فَلَا يَجْزَعَنَّ لِقَتْلِهِمْ ، وَالْفِ الْأَيْمَةُ نَسَائِهِمْ فَلَا يَحْزَنَنَّ لِمَوْتِهِمْ . وَمَعْنَى « لِلشَّكْلِ » أَي مِنْ أَجْلِهِ ، وَهَذِهِ اللَّامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قَدْ تَوَدَّى مَعْنَى عَلَيَّ ، فَاعْلَمْهُ .

٣ — فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهُوَ صَادِقِي بِكُمْ وَبِأَحْلَامِ لَكُمْ صَفِرَاتِ

٤ — تُعَدُّ فِيكُمْ جَزْرَ الْجَزُورِ رِمَاحُنَا وَيُمْسِكُنَّ بِالْأَكْبَادِ مُنْكَسِرَاتِ

(١) مِنْ أَرْجُوزَةِ الْعِجَاجِ فِي دِيْوَانِهِ س ١٠ .

(٢) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ . وَالِإِذَاعَةُ : الْإِفْشَاءُ وَالِإِظْهَارُ . وَيُقَالُ أَذَاعَ بِهِ ، أَي ذَهَبَ بِهِ .

قولها « فإن يك ظني صادقاً » يجرى منها مجرى التحذير والوعيد ، وفيه بعض الاستفاءة ، لأنها إذا رهبت من القطيعة وآفاتهما ، فقد رغبت في الصلة وآياتها . وقد تقدم القول في صادقاً وصادقي ، وفي حذف النون من يك في الجزم مشروحا . وقولها « وأحلام لكم صفيرات » ، أي لا خير فيها ، وقد زالت المسكة^(١) عنها . ويقال صفر الإناء وغيره صفوراً ، وإناء صفر وصفر . وقال الخليل : هو صفر صجر على الإتيان ، أي خال . وقولها « تعد فيكم جزر الجزور » جواب الجزاء من قولها ، فإن يك ظني صادقاً ، كأنها ذكرتهم حالة منكرة تقدمت لهم ، فلذلك قالت : تعد فيكم . والجزر : القمع . وقيل الجزور لأنها تقطع وتقسم . والجزرة : الشاة تذبج . ويقال . ترك بنو فلان جزر الرماح ، أي قتلوا واجتزرتهم السباع . وجعل الإعادة للرماح على الاتساع . وقوله « ويمسكن بالأكباد » يروى بفتح السين ، أي يضبطن ؛ ويروى بكسر السين : وهو ظاهر المعنى . وانهصب « منكسرات » على الحال والمراد أنهم يجرون الرمح عند الطعن ويصيبون المقاتل .

٢٥٣

وقال معبد بن علقمة^(٢) :

١ — غيبتُ عن قتلِ الحتاتِ وليتني شهدتُ حناتاً يومَ ضرجِ بالدمِ^(٣)

(١) في الأصل : « المسئلة » ، صوابه في سائر النسخ .

(٢) روى التبريزي هذه الحماسية متقدمة على هذا الموضع ، أي بعد الحماسية ٢٠٥

كما سبق التنبية في ص ٦٢٩ . ومعبد بن علقمة ، هو معبد بن أخضر المازني ، وأخضر زوج أمه فنسب إليه هو وأخوه عباد الذي ندبه عبيد الله بن زياد لقتال الخوارج ، وقد قتل أخوه عباد في حربهم تلك ، فتقدم للأخذ بأثره في جماعة من المازنيين ، فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعاً لم ينج منهم إلا عبيدة بن هلال . وفي ذلك يقول معبد بن علقمة :

سأحمي دماء الأخصريين إنه أبي الناس إلا أن يقولوا ابن أخضرا

الكامل ٥٩١ — ٥٩٢ .

(٣) انظر الآلي ٣٤٣ . والحنات هذا ، هو الحنات بن يزيد المجاشعي وقد ذكر

لحافظ في البيان (٢ : ٢٣٧) إلى أن بنى مازن — وهم رهط معبد — هم الذين ضربوه .

٢- وفي الكف مني صارم ذو حقيقة متى ما تقدم في الضريبة يقدم

٣- فيعلم حياً مالك ولقيها بأن لست عن قتل الحتات بمحرم

إنما قال هذا لأنه كان يستبعد وقوع قتله من جهته ، إذ كان منه

ذا رحم محرم . فجمع في كلامه هذا بين تلهف على فائتة ، وتمن على شرط

عقده به له ، فيقول : أخرت عن قتل هذا الرجل يوم أصيب وأطخ بالدم ،

فذهبت نفسه فيه وتغيبت ، وكنت أود وأتمنى أن أكون حاضره ، ومشاهدًا

وقته وحينه ، ومعى سيف قاطع ينفذ في الضريبة إذا عمل بحقه من المضاء

وحقيقته ، ويأتي على المضروب بحده وصرامته ، فيتيقن الجيشان ومن لف

لفهم^(١) وانضاف إليهم من أرباش تجمعوا لهم ، وقماش تكثروا بهم ، بأنى لست

عن قتل هذا الرجل بذهب ولا ممتنع حتى كأنى في حرم . وقوله « يوم

ضرج » فهو من الضرج^(٢) ، وهو الحجرة . والإضريج : ضرب من الخز أحمر .

ويقال : ضرجت الثوب ، إذا صبغته بالحجرة خاصة ، وتضرج الخد عند

الخجل . وقوله « ذو حقيقة » فالحقيقة ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه ،

وتوسعوا فليل : حاقت الرجل ، إذا جاذبته حقاً بينكما . ويقال « هو نزق

الحقاي » ، إذا جاذب في صغار الأمور . وقوله « بمحرم » يقال : أحرم

الرجل ، إذا دخل في الحرم ، أو في الشهر الحرام . وفسر قول الراعى :

* قتلوا ابن عقان الخليفة محرمًا^(٣) *

(١) لفهم ، وردت في الأصل ، ل ، م بكسر اللام ، ومعى صحيحة . يقال : جاء بنو فلان ومن لف لفهم ولفهم ، بفتح اللام وكسرها ، وفي لغة قليلة بضم اللام ، كما في اللسان ، وقد عبر عن هذه اللغة القليلة بقوله « وإن شئت رفعت » ، أى ضمنت .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في المعاجم المتداولة . وقد ضبطت في نسخة الأصل بسكون الراء ، وفي ل ، م بفتحها .

(٣) عجزه كما في جهرة أشعار العرب ١٧٦ والخزانة (١ : ٥٠٣) واللسان والمقاييس

(حرم) : * ودعا فلم أر مثله مقولا *

على أنه كان له حرمة الإمامة والبلد والشهر ، لأنه قُتِلَ رضى الله عنه في
ذى الحجة . وانتصب « فَيَعْلَمَ » على أنه جواب التمني .

- ٤— فَقَلْ لِيْ زُهَيْرٍ إِنْ شَتَمْتَ سَرَائِنَا فَلَسْنَا بِشَتَائِمِ الْمُتَشَتِّمِ (١)
٥— وَلَكِنَّا نَأْبَى الظُّلَامَ وَنَعْتَصِي بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُصَمِّمِ .

يقول : أبلغ هذا الرجل أنك إن اعتمدت على رُكوبِ السَّقه معنا ،
وتعمدت في مجاذبتنا سبَّ خيارنا ، وثلب أعراضنا ، فإننا نرهبُ بأنفسنا عن
مجاتك في هذا الميدان ، ومكايلتك بمكيال السباب . والمتشتم : المتحكك
بالشتم والمتعرض له . ويصلح أن يكون للجنس فيدخل فيه زهير وغيره ،
ويصلح أن يراد به زهير خاصة . وقوله « وَلَكِنَّا نَأْبَى الظُّلَامَ » يريد :
لانرضى بالذنبيات ، ونمتنع من التزام الظلمات ، ونُدافع عن أحسابنا بكل
سيف رقيق الحديد ، نافذ في الضريبة . والظلام والظلمة والمظلمة واحد ،
وهو ما تظالم الناس بسببها بينهم . ويروى : « الظلام » بكسر الظاء ، مصدر
ظلمته مظالمة وظلاما . وقوله « وَنَعْتَصِي » يُقال عَصَيْتُ [بالسيف (١)] ،
واعتصيتُ وعصوتُ بالعصا . ومرَّ يعتصى على العصا ، أى يتوكأ عليها . والتصميم :
المضي في الأمر . ويُقال صَمِّمَ فِي عَضَّتِهِ ، إِذَا نَيْبَ .

٦— وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا وَنَشْتِمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكْلِمْ (٢)

٧— وَإِنَّ التَّمَادِي فِي الذِي كَانَ بَيْنَنَا بِكَفَيْكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهُ أَوْ تَقَدِّمْ

أفعال مجلّة الإنسان تُنسبُ إلى جوارحهم على المجاز والسعة ، فلذلك

(١) التكملة من سائر النسخ .

(٢) نشتم ، بكسر التاء في جميع النسخ . ويقال أيضا « نشتم » بضم الناء .

نَسَبَ الْجَهْلَ إِلَى الْأَيْدِي . وَالْمَعْنَى أَنَّ مَا يُدْمُّ مِنْ أفعالِ الْقُلُوبِ لَا نَكْتَسِبُهُ بِوَجْهِهِ ، بَلْ فَمِنَا الرَّأْيُ الثَّاقِبُ ، وَالْوَقَارُ الْعَالِبُ ، وَالْأَنَاةُ وَالْحِلْمُ ، وَالسَّكِينَةُ وَالْعِلْمُ ؛ فَأَمَّا الْيَدُ فَإِذَا بَطَّشْنَا بِهَا بِطَّشْنَا جَبَّارِينَ . أَيْ نَحْمُ بِجَهْدِنَا وَمَقْدَارِ طَاقَتِنَا فَإِذَا أُحْرِجْنَا فَخَرَجْنَا عَنِ الْعَادَةِ كَانَتْ أفعالُ أَيْدِينَا أفعالَ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا رِيعَةَ تَرَدُّعُهُمْ ، وَلَا رِقَّةَ تَضْبِطُهُمْ . وَقَوْلُهُ « وَنَشْتُمُ بِالْأفعالِ » ، يَقُولُ : نَجْعَلُ جِزَاءَ الشَّتْمِ وَالْمُنْقَصَةِ وَالثَّلْبِ الْفِعْلَ لَا الْقَوْلَ ، إِذْ كَانَ الْقَوْلُ يَذْهَبُ أَدْرَاجَ الرِّيحِ ، وَالْفِعْلُ يَبْقَى أَثْرُهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ . وَقَوْلُهُ « وَإِنْ التَّادَى فِي الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِكَفَيْكَ » ، تَوَعَّدُ . يَقُولُ : أَمْرُ اللَّجَّاجِ وَالاسْتِمْرَارِ فِيمَا يَزِيدُ مَا بَيْنَنَا فَسَادًا أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ، وَمَتَمَكِّنٌ مِنْ اخْتِيَارِهِ ، فَإِنْ شئتَ فَتَقَدَّمْ فِيهِ ، وَإِنْ شئتَ فَتَأَخَّرْ عَنْهُ . وَيُقَالُ اسْتَأَخَّرَ وَاسْتَقَدَّمَ ، وَتَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

٢٥٤

وقال أمية بن أبي الصلت^(١) :

- ١ — غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُلْتُكَ يَافِعًا تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلَيْكَ وَتُنْهَلُ^(٢)
- ٢ — إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشُّكُومِ لَمْ أَبِتْ لِشُكُوكِ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلَّمُ
- ٣ — كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالذِي طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمِلُ

(١) أمية بن أبي الصلت ، وأبو الصلت هو عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف النقي ، شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام ولم يسلم . ولما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم شعره قال : آمن لسانه وكفر قلبه . وكان في الجاهلية ممن نظر في الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبدًا ، وفي الإسلام كان يمرض قريشاً بعد وقعة بدر ، ويرثى قبلى المشركين ، وتوفى سنة تسع من الهجرة . الإصابة والحزانة (١ : ١١٩ — ١٢٢) وابن سلام ٦٦ — ٦٨ والاشتقاق ١٨٤ والأغانى (٣ : ١٧٩ — ١٨٥ / ١٦ : ٦٩ — ٧٦) وابن قتيبة ٤٢٩ — ٤٣٣ .

(٢) هذه الحماسية اختلفت في قائلها . قال التبريزي . « وتروى لابن عبد الأعلى ، وقيل هي لأبي العباس الأعمى ، قال أبو هلال : أوردها أبو عبيدة في أخبار العنقة والبرة » . وأبو العباس الأعمى شاعر أموى ترجم له في الأغانى (١٥ : ٥٧) . واسمه السائب بن فروخ .

اعتدَّ عليه بما تَجَسَّمَه فيه بعد أن كان السَّبَبَ في إبدائه وإنشائه ، وبما أعدَّ له وتكفَّلَ به ، من ابتداء الطُّفولة إلى انتهاء الشَّبَاب واستكمال القُوَّة ، إذ كان جارِحَهُ ومربِّيَهُ^(١) ، والقائمُ بمُوَنِّهِ على اختلافِ سِنِيهِ^(٢) . ويقالُ غَذَوْتُكَ غَذَوًا . والغِذاءُ : الطَّعامُ والشَّرابُ . ويقالُ غلامٌ يافعٌ وَيَفَاعٌ وَيَفَعٌ ، وقد أَيْفَع . وأصلُه الارتفاعُ ، ومنه اليَّفَاعُ من الأرضِ والجَبَلِ . وقولُه «عُلْتُكَ» أي أنفقتُ عليك . يقولُ : ربَّيتُك لما وُلِدْتَ ، ومُنْتُكَ حينَ أَيْفَعْتَ ، وفي تلكِ المدة تُسقى العَلَلُ والنَّهْلُ ، وتُطعمُ الحارَّ والباردَ ، وتُكسى اللَّينَ والخَشِنَ ، كُلُّ ذلكِ مما أجمَعُه لك ، وأذنيه منك ، وبعدَ أن أقيكَ من المحاذِرِ ، وأحفظك دونَ المتآلفِ ، شفقةً عليك ، واهتمامًا بشأنِك ، فإن طرقتك ليلةً بشكَاةٍ تؤذيك ، أو عارضٍ يُّضنُّك ، سهرتُ طولَ تلكِ اللَّيلةِ لأهدأ قَلبًا ، ولا أستنهضُ لدفعِ ما أجدهُ سَكَنًا^(٣) ، ولا أستلينُ مِهَادًا ، ولا أثني لقرَّ رأسي وسادًا ، بل أتلوِّى وأضطربُ ، وأتملُّ على فراشي وأتقلبُ ، حتَّى كأني المَحْتَصُّ بما أشكاك ، والمدَّهِيُّ بما دهاك ، لا يَبِفُ مَدْمَعِي ، ولا يَوَطُّوْ مَضْجَعِي . وقولُه «تعلُّ بما أدنِي» يجوزُ أن يكونَ موضعَ تعلُّ صِفَةً لقولِه يافِعًا ، أي مَعْلُولًا ؛ ويجوزُ أن يكونَ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ ، كأنه قالُ : وأنتُ تعلُّ وتنهَلُّ بما أدنِيه . وقولُه «لم أبتُ لِشَكْوِكَ» فالشَّكْوُ والشَّكْوَى والشَّكَاةُ واحدٌ . والتَّمَلُّ القلقُ وتركُ الهدوِّ . ويروى «تعلُّ بما أجني عليك» والمعنى أجني لك . وهذا كما يقالُ : سعى فلانٌ على ذوِيه ، إذا سعى لهم في مصالحِهِم : ويقالُ جَنَى الثَّمَرَ يَجْنِي جَنِيًّا وجِنِيَّةً . قال الأخطلُ :

* دَانِي الجِنَايَةِ مُوَنِعُ الأَثْمَارِ^(٤) *

(١) الجارح : الكاسِب . (٢) في نسخة الأصل : « سنه » .

(٣) السكِن : كل ما سكنت إليه واطمأنت ، من أهل وغيره .

(٤) صدره في ديوان الأخطل ٧٧ :

* وكان ظعن الحمى حائش قرية *

٤- فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالنَّاعِيَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمَلُّ

٥- جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلْظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعَمُ الْمُتَفَضِّلُ

يقول : فَلَمَّا تَكَامَلْ مِنْكَ الشَّبَابُ ، وَتَعَلَّقَتْ بِكَ الْأَمَالُ ، وَبَلَغْتَ الْمَدَى الْمُنْتَظَرَ لِلانْتِفَاعِ بِكَ ، وَالِاسْتِظْهَارِ بِمَكَانِكَ ، وَالِاضْطِلَاعِ بِكِفَايَتِكَ ، وَصَلَحْتَ لِأَنْ تَكُونَ عُدَّةً وَعَدَدًا ، وَبَأْسًا مَخُوفًا ، وَطَمَعًا مَرَجُوعًا ، أَقْبَلْتَ تَجَازِيئِي بِإِحْسَانِي إِسَاءَةً ، وَبِمَا اسْتَلَمْتَ مِنْ جَانِبِي غِلْظَةً ، وَبِمَا تَرَفَّرَفَ عَلَيْكَ مِنْ رَحْمَتِي وَرِقَّتِي نُبُوءًا وَقَسْوَةً ، حَتَّى كَأَنَّ مَا سَأَلَ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَتِي (١) كَانَ لَكَ ، وَمَا أَسْأَلَ عَلَيْكَ مِنْ فَضْلِي وَإِفْضَالِي كَانَ مِنْكَ ؛ لَا مُرَاجَعَةَ فِي الْأَوَّلِ تَرُدُّكَ ، وَلَا مُلَاحَظَةَ لِعُقْبَابِكَ تَنِيءُ بِكَ .

وَالْجَبْهُ : مُقَابِلَةُ الْإِنْسَانِ بِمَا يَكْرَهُهُ .

٦- فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أُبُوتِي فَعَمَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمَجَاوِرُ يَفْعَلُ (٢)

٧- تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ بَرِدٌّ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلٌ

يقول : وَوَدِدْتُ أَنَّكَ إِذْ لَمْ تُنْفِنِي إِكْبَارَ الْآبَاءِ ، وَلَمْ تَرَعْ مَنِّي حَقُوقَ الْوَالِدِ وَالْإِنْسَاءِ ، سِرْتَ مَعِيَ بِسِيرَةِ الْمَجَاوِرِ لِجَارِهِ ، وَالْمُرَافِقِ لِرَفِيقِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا عُدَّ دَرَجَاتُ الْمَبَارِّ ، وَمُدَّتْ عِلَاقُ التَّحَابِّ ، وَنُؤْمِلَ ذِمُّ الْقِرَابَةِ ، وَحُرِّمَ الصَّدَاقَةُ ، أضعَفُ الْأُوَاحِي ، وَأَدْوَنُ الْمَرَاقِي . ثُمَّ أَخَذَ يُنَبِّئُهُ عَلَى سُوءِ اخْتِيَارِهِ ، وَتَمَادِي بَجَاجِهِ ، وَتَنَاهِي جَهْلِهِ وَالتَّوَانِهِ ، فَقَالَ : « تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ » أَي جَعَلَ الْخِلَافَ عَلَى ذَوِي الرِّأْيِ وَأَرْبَابِ الْعَقْلِ ، وَأَوْلَى الْحَزَامَةِ وَالْحِلْمِ ، عُدَّةً .

(١) ل والتيمورية : « نعمى » .

(٢) أنشد التبريزي بين هذا البيت وتاليه :

وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ الْمَفْعَدِ رَأْيُهُ وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

فكأنه وكَلَّ بَرَدٌ صوابهم ، واستقباحِ الْمُحَسَّنِ عندهم . فإن قيل : بماذا دخلَ هذه الأبياتُ وما يتلوها — وهو في معناها — في باب الحماسة ؟ قلت : دخلتُ فيه بالمشاكلة التي بيّنها وبين ما تقدّمها من الأبيات ، المنبئة عن المفاسدة بين العشائر ، وما يتولدُ فيها من الإحْنِ والضغائن ، المُدْسِيَةِ للتواشجِ والتناسُبِ ، المُدْسِيَةِ لهتكِ المَحَارِمِ ، المبيحةِ لسفكِ الدِّمَاءِ وقَطْعِ العِصْمِ ؛ إذ كان عُقُوقُ البَنِينَ للآباءِ ، وِتَنَاسِيِ الحَرَمِ ، فيه مثلُ ذلك . وهو ظاهرٌ بيِّنٌ .

٢٥٥

وقالت امرأة من بني هزّان^(١)

يقال لها « أمُّ ثَوَابٍ » في ابنِ لها عَقَّهَا :

- ١ — رَبَّيْتُهُ وَهُوَ مِثْلُ الفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِي جِلْدِهِ زَغَبًا
- ٢ — حَتَّى إِذَا آضَ كالفُحَّالِ شَذَبُهُ أَبَارُهُ وَنَفَى عَن مَتْنِهِ الكَرَبَا
- ٣ — أَنشَأَ يُمَزَّقُ أَثْوَابِي يُؤدِّبُنِي أَبَعَدَ شَيْبِي عِنْدِي تَبْتغِي الأَدَبَا^(٢)

يقال رَبَّيْتُهُ وَرَبَّيْتُهُ بِمَعْنَى . ومعنى البيت : كَانَ ابْنِي حِينَ وَلَدْتُهُ فِي ضَعْفِهِ وَصِغَرِهِ ، وَتَسَاقَطِ قُوَّتِهِ ، وَتَخَلُّخِ بِنْيَتِهِ ، وَرَخَاوَةِ مفاصلِهِ ، كَفَرْخِ القَطَاةِ وَلَمْ يَسْتَبْدِلْ بَعْدُ بَزْغَبِهِ شَكِيرًا ، وَلَا بِانْحِلَالِ عَقْدِهِ تَمَاسُكًا ، فَأَقْبَلْتُ أَرْبِيَهُ وَأَعْظَمُ شَيْءٌ فِيهِ بَطْنُهُ ، وَأَرْقِيهِ فِي مَدَارِجِ النِّشْءِ وَالتَّرْشِيحِ وَهُوَ لَا يَمِيزُ مَا يَنْفَعُهُ مِمَّا يَضُرُّهُ ، مَتَرَدِّدًا فِي الأَحْوَالِ الَّتِي تَجْرِي إِلَيْهِ ، وَتَتَغَيَّرُ عَلَيْهِ ، بَيْنَ صِيَانَةٍ كَامِلَةٍ ، وَشَفَقَةٍ بَارِعَةٍ ، وَحِفْظٍ مُتَّصِلٍ ، وَإِشْفَاقٍ مُطْرَدٍ . وَتَسَمِيَتُهُ البَطْنَانُ

(١) هم بنو هزّان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بالفرس بن نزار بن معد بن عدنان . الاشتقاق ١٩٤ .
(٢) أشار التبريزي إلى رواية : « أبعد ستين » .

بأمّ الطّعام ، كما قيل للجِلْدَةِ الرّقيقة المُلبّسةِ الدِّماغِ أمّ الدِّماغِ ، وكما سُمِّيَ المَجْرَّةُ أمّ النُّجومِ ، وكلُّ ذلك لما في المضاف والمضاف إليه من الانضمام والاحتواء . وقد سَمِيَ السَّنْفَرِيُّ تَابَطًا شَرًّا بأمّ عِيَالٍ ، فقال :

وأمّ عِيَالٍ قد شَهِدَتْ نَقْوَتَهُمْ إِذَا أَطْعَمْتَهُمْ أَوْ نَحَتَتْ وَأَقَلَّتْ

لِمَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ أَمْرٍ أَصْحَابَهُ وَيَتَكَفَّلُ بِهِ لَهُمْ وَيُدَبِّرُهُ . وقولها « حتى إذا آضَ كالفُحَّالِ » حتى وُضِعَ لِلغَايَةِ ، وَأُضِيفَ إِلَى إِذَا وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْجُمْلَةِ الَّتِي انشَرَخَ إِذَا بِهَا . والمعنى إلى هذا الوقت . وموضع « كالفُحَّالِ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ^(١) . يقول : لم أزلُ أَجْرِي مَعَهُ فِي تَرْبِيَّتِهِ وَتَفْقِيدِهِ ، إِلَى أَنْ اسْتَكْمَلَ شَبَابُهُ ، وَبَرَعَ نَبَاتُهُ ، وَامْتَدَّ قَوَامُهُ ، فَصَارَ كَفُحْلِ النَّخْلِ وَقَدْ قَطَعَ مُتَعَهِّدُهُ مِنْهُ شَذَبَهُ ^(٢) ، وَأَلْقَى عَنْ ظَهْرِهِ كَرَبَهُ ، لِيَكْمُلَ طَوْلُهُ ، وَيَتِمَّ غِرَاسُهُ . وَالكَرَبُ : أَصُولُ الْأَعْدَاقِ تُتْرَكُ كَالْأَوْتَادِ لِيُرْتَقَى بِهَا فِي النَّخْلِ . وَالْفُحَّالُ : فَحْلُ النَّخْلِ خَاصَّةً ، وَلَا يُقَالُ لِغَيْرِ فَحْلِهَا فُحَّالٌ . وَالْأَبَّارُ وَالْمُؤَبَّرُ : الْمَلْمُوحُ لِلنَّخْلِ . وَالْفُحَّالُ لَا يُؤَبَّرُ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ يُؤَبَّرُ بِهِ النَّخْلُ أَضَافَ الْأَبَّارَ إِلَى ضَمِيرِهِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ لِأَدْنَى تَعَلُّقٍ بَيْنَهُمَا . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ ﴾ . وَمَعْنَى آضَ ، قَالَ الْخَلِيلُ : الْأَيْضُ صَيْرُورَةُ الشَّيْءِ شَيْئًا غَيْرَهُ وَتَحْوِيلُهُ عَنْ حَالِهِ . وَقَوْلُهُ « أَنْشَأُ يُمَزَّقُ أَتَوَابِي » هُوَ جَوَابُ قَوْلِهِ حَتَّى إِذَا آضَ كالفُحَّالِ ، وَهُوَ الْعَامِلُ فِي إِذَا ، أَعْنِي أَنْشَأُ . وَيُقَالُ أَنْشَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، وَنَشَأَ فُلَانٌ حَدِيثًا ، ثُمَّ يُقَالُ : أَنْشَأَ يَفْعَلُ كَذَا وَيَقُولُ كَذَا . يَقُولُ : لَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَبْلَغَ ابْتَدَأَ يَضْرِبُنِي وَيُخَرِّقُ ثِيَابِي ، مُرْشِدًا

(١) هذا مذهب لبعض النحاة . وبعضهم يراه خبراً لآض ، إذ يعدون « آض » في الأفعال العشرة الملحقمة بصار في العمل ، وهو مذهب ابن مالك . همع الهوامع (١ : ١١٢) .

(٢) الشذب ، بالتحريك : قشر الشجر وقطعه .

ومؤدباً . ثم قالت وكأنها أقبلت على إنسانٍ غيره بحضرتها تخاطبه منكرةً
ومتعجبةً : أبعد المشيب يطلبُ تأديبي . وهذا الكلام منها كالإشارة إلى المثل
المضروب السائر في الأمم : « من العناء رياضة الهرم » ، وهو مع ذلك يجري
مجرى الالتفات .

٤ - إني لأبصرُ في ترجيلِ لمتي وخَطَّ لِحيتي في خدِّه عَجَبًا

٥ - قالت له عرسُه يوماً لتسميني مهلاً فإنَّ لنا في أمنا أرباً

٦ - ولو رأيتني في نارٍ مسعرةٍ ثم استطاعت لزادت فوقها خطباً

. قولها « إني لأبصرُ » ، يقال أبصرتُ الشيء وبصرتُ به . والبصرُ :

العينُ ونفاذُ القلبِ . وحكي أن معاوية قال لابن عباسٍ وقد كُفَّ بصرُه :

ما لكم يا بني هاشمٍ تُصابون بأبصاركم إذا أسدنتم ؟ فقال : كما تصابون ببصائرهم

عند ، !! والترجيل : غسل الشعر ومشطه . وعَجَبًا مفعولُ أبصرُ . ويقال أمرُ

عَجَبٌ وعجيبٌ ومُجَابٌ ، إذا تجاوزَ حدَّ العجب . والاستعجاب : شدة التعجب .

تقول : أرى بعد ما شاهدته من طفولته وضعف حراره وتنقل الأحوال به

وقتها بعد وقت ، ونشأ بعد نشء ، عَجَبًا في لمتي ولحيتي المختطَّة^(١) . أي أتعجب

كيف تحولت عن تلك الحالة إلى ما أجده عليه الساعة . ثم قالت حاكية عن

زوجته ما كانت تنفوه به سُمنةً ورياءً ، وتقيمُ به سوقها حيلةً ونفاقاً ، إظهاراً

لخلاف ما ينطوي عليه قلبها ، ويشتمل عليه ضميرها : كُفَّ عن إيذاء أمنا

فإننا لا نستغنى عنها ، ولا تتمشى أمورنا إلا بها وبجياتها . ومعنى مهلاً رفقاً

لا تعجل . وأصل المهل والمهل السكينة والوقار ، ومنه الإمهال في الدين .

والأرب : الحاجة . ثم صرحت بما عمفتُه من سوء نيته فيها ، وحرصها على

(١) في الأصل : المختططة ، صوابه في م ، ل والتيمورية .

الزيادة في مساءتها ، فقالت : تَكَلَّفْتُ ذلك المقال منها مَلَقًا منها ومجاملة ، ولو
وجدتني في نارٍ مُحْرِقَةٍ ثم قَدَرْتُ لَزادَت في وَقودِها وإِضرارِها . ويقال : سَعَّرْتُ
النارَ والشرَّ وأسَعَّرْتُهُما ، وإِنَّه لِمِسْعَرُ حَرْبٍ .

٢٥٦

وقال ابن السلمي^(١) :

١ - لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ سَلَعٍ لِلآئِمِّ لِنَفْسِي وَلَكِنْ مَا يَرُدُّ التَّلَوُّمُ
سَلَعٌ : موضعٌ أضاف اليَوْمَ إليه تعريفاً . وَحُكِيَ السَّلَعُ : شَقٌّ فِي الْجَبَلِ ،
ومنه قيل : تَسَلَّعَ رِجْلُهُ ، إِذَا تَشَقَّقَتْ . وَكَانَ قَوْلُهُمْ : هَادٍ مِسْلَعٌ^(٢) مِنْ هَذَا ،
أَي يَشُقُّ أَجْوَاذَ الْفَلَاحِ شَقًّا . وَاللَّامُ مِنْ « لَعَمْرُكَ » لَامُ الْإِبْتِدَاءِ ، وَخَبَرُ الْمَبْتَدَأِ
مَحذُوفٌ . وَلَا يَجِيءُ « عَمْرُو » فِي الْقَسَمِ إِلَّا مَفْتُوحَ الْعَيْنِ ، وَإِنْ كَانَ الضَّمُّ لُغَةً
فِيهِ ، وَمَعْنَاهُ الْبَقَاءُ . وَالتَّلَوُّمُ : تَكْلُفُ اللَّوْمِ ، فَهُوَ كَالْتَدَمِّ . يَقُولُ : وَبِقَائِكَ إِنِّي
فِي هَذَا الْيَوْمِ لَعَاتِبٌ عَلَى نَفْسِي وَمُقَرَّعٌ لَهَا ، وَلَكِنْ مَاذَا يُغْنِي التَّعْتَبُ وَالْأَمْرُ
فَائِتٌ . وَقَوْلُهُ « مَا يَرُدُّ » يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ مَا يَرْجِعُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى
مَا يَنْفَعُ . وَيُقَالُ : هَذَا أَرَدْتُ عَلَيْكَ ، أَي أَنْفَعُ . وَمَوْضِعُ « مَا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
مَفْعُولًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأً .

٣ - أَمْكَنْتُ مِنْ نَفْسِي عَدُوِّي ضَلَّةً أَلْهَنِي عَلَى مَا فَاتَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ
قوله « أَمْكَنْتُ » لفظه الاستفهام ، ومعناه التقرير والتوبيخ . وهذا

(١) شاعر إسلامي كان إبراهيم بن عربي والي اليمامة من قبل عبد الملك قد قبض عليه
وحمله إلى المدينة مأسورا ، فلما صر بسلم ، وهو موضع قرب المدينة ، قال هذه الأبيات . معجم
البلدان (سلم) . وابن السلمي ، كذا ورد في جميع النسخ ، ويعززه ما في معجم البلدان .
وعند التبريزي : « ابن السلمي » . والسلمي : نسبة إلى سلمان ، وهم حي من مراد ، كما
في الأنساب ٣٠٢ ب .

(٢) هو في قول سعدى الجهنية ترثي أخاها أسعد :

سباق عادية ورأس سرية ومقاتل بطل وهاد مسلم

الكلام هو صريح لوومه لنفسه ، فيجوز أن يكون حذف قبله لفظة قائل ، كأنه قال : إني لأئمُّ لنفسي وقائلُ أُمكنتُ . ويجوز أن يكون استأنف عدل نفسه من بعد أيضا . وقوله « ضلّة » مصدر في موضع الحال ، ويجوز أن يكون مفعولا له ، أي فعلت ذلك ضالّا أو لإضلالِي . وأصل الضلال الذهاب عن المقصد . ويقال ضللتُ مكاني ، بكسر اللام وفتحها ، إذا لم تهتد إليه ، وأضلتُ بعيرِي ، إذا شرّدَ فذهبَ عنك . وقوله « ألّهني على ما فات » تحسّرٌ وتأشّفٌ ، وهو كلامٌ مستقلٌّ بنفسه . وقوله « لو كنتُ أعلمُ » تندّمٌ على ما قصر فيه من النظر والفحص ، والكشف عن عُقبِي الأمرِ . وأعلمُ مفعوله محذوف ، وهو بمعنى أعرف ، فيكتفي بمفعول واحد ، كأنه أراد : لو كنتُ أعلمُ مَغيبَه (١) . وجواب لو محذوفٌ ، أي لو علمتُ ما تندمّتُ ولا شقيتُ ، وهذه اللفظة هجيري كلٌّ متوان في الشيء حتى يفوته أو يُكابِدَ المكروه فيه . والبيت على ثلاثة فصولٍ ، كلُّ فصلٍ منها ينفردُ بمبناه ولا يفتقر إلى سواه : فالأولُ قوله « أُمكنتُ من نفسي عدوِي ضلّةً » كأنه يستنكر ما اتفق منه ضلّالاً ، فأخذ يستفهم تقرّيباً وعتاباً . والثاني « ألّهني على ما فات » ، وقد تقدم القول في إعراب « ألّهني » (٢) . والثالثُ قوله « لو كنتُ أعلمُ » أي لو علمتُ لتحرزمت .

٣- لو أن صدور الأمرِ يبدون للفتى كاعقابه لم تُلفه يتنمّ دم

هذا معذرة فيما سها عنه ومسألة عمّا بلي به [فتحزّن له (٣)] . وقوله « لو أن صدور الأمرِ » ، هو حذف المضاف ، والمراد : لو أن مؤدّيات صدور الأمرِ ومسبباته تظهر للفتى كما تظهر له عند أعجازه ، لم تره نادماً على فائتٍ ،

(١) ل والتمورية : « مغيبه » ، أي عاقبه . وما في سائر النسخ أقوم .

(٢) انظر ما سبق في الحماسية ٤ ص ٤٤ .

(٣) التكملة من م ، ل ، وفي التيمورية : « فتحزّن له » .

ولا جازعًا إثر هالك . وفي طريقته قول ابن الرقيّات :

في مُتَبِيلِ الأَمْرِ تَشْبِيهُهُ وَمُدْبِرُهُ كَأَنَّمَا فِيهِ بِاللَّيْلِ المَصَابِيحُ
٤- لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ فِجَاجٌ عَرِيضَةٌ وَلَيْلٌ سُخَامِي الجِنَاحِينَ أَذْهَمُ
٥- إِذِ الأَرْضُ لَمْ تَجْهَلْ عَلَى فُرُوجِهَا وَإِذْ لِيَ عَن دَارِ الهَوَانِ مُرَاغِمٌ^(١)

هذا تذكرة لموارد مخلصه من الأمر الذي لُزَّ به ، والبلاء الذي استأسر له ،
وتحسُّرٌ في عدوله عن مدارج الحزم فيه ، وانتهاز الفرصة في الممكن منه ،
اغترارًا بما لم يَجُز السُّكُونُ إليه ، وانتظارًا لما لم يصلح الاعتماد عليه ، حتى
يَتَمَكَّنَ طالبه من مراده فيه ، وأنسدت الطرقات بينه وبين ما يرومه من بُعد
عنه ، واحتراز منه ؛ فقال متهافتًا : لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ لِي سُبُلٌ وَاسِعَةٌ يَمَكِّنُنِي
سَلُوكُهَا ، لا مُدَافِعَ دُونِهَا ولا مَمَانِعَ ، وَلَيْلٌ أَسْوَدُ الطَّرْفَيْنِ مَظْلَمٌ ، يَسْتُرُنِي إِذَا
رَكِبْتُهُ ، وَيُسَاعِدُنِي عَلَى مَجَانِبَةٍ مَا أَحْذَرُهُ ، لا مُجَادِبَ عَنْهُ ولا مُفَارِعَ . وكان
من قوله « لَقَدْ كَانَتْ فِجَاجٌ » هو كان التامة المستغنية عن الخبر . وقوله
« وَلَيْلٌ سُخَامِيٌّ » فالسُّخَامُ : الأَسْوَدُ ، كأنه يريد سِرَارَ الشَّهْرِ ؛ ومنه سَخِمَ اللهُ
وَجْهَهُ ، أَيْ سَوَّدَهُ . والسُّخَامِيُّ المنسوبُ ، في معناه ، ومثله الدَّوَّارِيُّ والدَّوَّارُ
من قوله :

* والدَّهْرُ بِالأِنْسَانِ دَوَّارِيٌّ^(٢) *

ويجوز أن يريد بالسُّخَامِيِّ الجِنَاحِينَ ، اللَّيْنِ وَقِلَّةَ الأَفَاتِ فِي جَوَانِبِهِ ؛ فَإِنَّ
السُّخَامَ الرَّيْشُ اللَّيْنُ تَحْتَ الجِنَاحِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ أَذْهَمُ قَدْ دَلَّ عَلَى الظُّلْمَةِ .
وقوله « إِذِ الأَرْضُ » إِذْ لَمَّا مَضَى ، وَقَدْ شُرِّحَ بِالجَمَلَةِ الَّتِي أَضْيَفَ إِلَيْهَا

(١) ابن جني : « قوافي هذه القطعة كلها مجردة غير مؤسسة ، إلا مراغم هذه ، فقد
ساند لإذن . وقد استقصيت هذا في كتاب العرب في تفسير قوافي أبي الحسن » .
(٢) للعجاج في ديوانه ٦٦ واللسان والمقاييس (دور) .

ومعنى « لم تجهل على فروجها »^(١) ، أى ثغورها ومواضع الخفاة منها كانت على معالم لا مجاهل ، فأدرى كيف آتيتها ، وأنفذ في قطعها والخروج منها ، لا أنهيب ولا أتحير . ويقال جهل فلان على ، إذا شق عليك ، قال الشاعر^(٢) :

جَهلاً عَلَى وَجِبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

وقوله « وإذ لي عن دار الهوان مرغم » الأصل في المراغمة الهجران ، يقال فلان يرغم أهله أياماً ثم يرجع . وفي القرآن : ﴿ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا ﴾ ، أى متسماً لهجرته .

٦- فَلَوْ شِيتُ إِذْ بِالْأَمْرِ يُسْرُ لَقَلَّصْتُ بِرَحْلِي فَتَلَاءِ الذَّرَاعِينَ عَيْهِمْ

٧- عَلَيْهَا دَلِيلٌ بِالْبِلَادِ نَهَارُهُ وَبِاللَّيْلِ لَا يُخْطِي لَهَا الْقَصْدَ مَنْسِمٌ^(٣)

يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ إِنَّمَا أَنِي مِنْ تَقْصِيرِهِ وَتَهَاوُنِهِ فِيمَا وَجِبَ مِنْ جِدِّهِ وَتَشْمِيرِهِ ، فيقول : لو أردت حين كان الخطب أيسر ، وأسباب المنع أقصر ، لخفت بي وشمرت في الانتقال عن دار المذلة والهوان ، ناقة في ذراعيها فتل . والقتل هو تباعد المرفقين عن الزور ، لثلا بصير حازاً ولا ناكثاً ولا ضاغطاً . والعَيْهِمُ والعَيْهَمَةُ : الناقة الماضية ، وكذلك العيهامة ؛ وقيل هي الطويلة العنق ، الضخمة الرأس ، وذلك محمود في صفاتها . وقوله « عليها دليل بالبلاد » فإنه يعنى به نفسه . وبالبلاد أراد به في البلاد ، كما يقال فلان بالبصرة وفي البصرة . ويجوز أن يكون أجرى قواه « دليل » مجرى عارف وعالم ، فلذلك أتى بالباء . وقوله « وبالليل لا يخطي لها القصد منسِمٌ » ، أى لبصره لا يخطي

(١) يرى التبريزي أن هذا التعبير من باب القلب ، وينظر له بقوله تعالى : « فعصيت عليهم الأنبياء » ، أى هم عموا عنها .

(٢) هو قعنب بن أم صاحب ، من حماسية ستأني في باب الهجاء .

(٣) التبريزي : « دليل بالفلاة » .

مَنْسِمٌ بِعَيْرِهِ فَيَزِيغُ عَنِ الْقَصْدِ . وهذا وإن جعله من صفة البعير فالمراد به أنه [هادٍ^(١)] خَرِيْتُ . والدليل أصله فاعلُ الدلالة ، فهو كالدال ، وقد توسع فيه . والبلدُ : الأرضُ وإن لم تُختط .

٢٥٧

وقال آخر :

- ١ - أَعَدَدْتُ بِيضَاءَ لَلْحُرُوبِ وَمَصْـُوقُولَ الْغِرَارَيْنِ يَفْصِمُ الْحَلَقَا
 - ٢ - وَفَارِجًا نَبْعَةً وَمِلءَ جَفِيرٍ مِنْ نِصَالٍ تَخَالُهَا وَرِقًا^(٢) .
 - ٣ - وَأَرْيَحِيًّا عَضْبًا وَذَا خُمَلٍ مُخْلَوْلِقِ الْمَتْنِ سَابِحًا تَنَقًّا^(٣)
 - ٤ - يَمَلَأُ عَيْنَيْكَ بِالْفِنَاءِ وَيُرِي ضِيكَ عِقَابًا إِنْ شِئْتَ أَوْ نَزَقًا
- تبيح في هذه الأبيات بهيمته في جمع آلته ليوم حاجته ، فأخذ يذكّر الشيء بعد الشيء من عُدته وعتاده ، على ما يسره له مرّة الأيام في جدّ وجهاده ، فقال : هيأت لملاقاة الأبطال ومناوشة الرجال درعًا لم يشنها صدادًا ، ولم يعينها في السردِ خَلٌّ ، وسيفًا مسنونَ الحديدِ ، مصقول الصفتين ، يقطع البيض ويفصل الحلق . والفصمُ : الكسر بلا بينونة ، والقضمُ : الكسر مع بينونة . وقوله « وفارجًا » أي وأعددت فارجًا ، وهو القوس المتباعدة^(٤) الوتر عن الكبد ، وكذلك الفرُجُ . وقوله « نبعه » أي هي قضيبٌ وليست بشقّة .

(١) التكملة من ل ، م والتمورية .

(٢) كذا وردت ورقا بكسر الراء في جميع النسخ . وقد قيدها الإمام المرزوقي في الشرح بمعنى الفضة . لكن التبريزي رواها « ورقا » بفتح الراء . وفسرها بقوله : « والورق يريدون ورق الحواء ، وهو يشبه النصال المشاقص ، وهي العراض التي في وسط كل فصل منها غير » . والحواء ، كرمان : نبت يشبه لون الذئب ، كما في اللسان .

(٣) التبريزي : « سابقا تنقا » .

(٤) كذا في م ، ل . وفي الأصل والتمورية : « المتباعد » ، والقوس يذكر ويؤث .

وَالنَّبْعُ أَجْوَدُ شَجَرٍ يُتَّخَذُ مِنْهُ الْقَسِيُّ الْعَرَبِيَّةُ ، وَجَعَلَهُ صِفَةً لِأَنَّهُ ضَمَّنَهُ مَعْنَى الصِّفَاتِ . وَعَلَى هَذَا أَسْمَاءُ الْأَجْناسِ ، كَقَوْلِكَ هَذَا خَاتِمٌ حَدِيدٌ ، مَتَى وَصَفْتَ بِهَا تَضَمَّنَ مَعْنَى فِعْلٍ . وَقَوْلُهُ « وَمِلاءٌ جَفِيرٌ » الْمِلاءُ : الْقَدْرُ الَّذِي يُمَلَأُ بِهِ الظَّرْفُ ، وَالْمِلاءُ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ . وَالْجَفِيرُ : كِنَانَةُ النَّبْلِ إِذَا كَانَتْ وَاسِعَةً مِنْ خَشَبٍ ، وَالْجَفْرُ فِي الْبِئْرِ مِنْهُ . وَقَوْلُهُ « مِنْ نِصَالٍ » أَرَادَ بِهَا نِبَالًا رُكِّبَتْ فِيهَا نِصَالٌ بِيضٌ تَتَلَاأُ فَتُحَسَّبُ فِضَّةً (١) .

وَقَوْلُهُ « وَأَرِيحِيًّا عَضْبًا » يَعْنِي رَجُلًا يَرْتَاحُ لِلنَّفَازِ فِي الْأُمُورِ الصَّحَابِ وَالْمَضَاءِ وَيَهْتَزُّ ، وَالْمُرَادُ بِهِ نَفْسُهُ (٢) . وَالْعَضْبُ : الْقَاطِعُ . وَقَدْ مَرَّتِ الْقَوْلُ فِي تَصْرِفِهِ (٣) . وَقَوْلُهُ « وَذَا خُصَلٌ » يَعْنِي بِهِ فَرَسًا لَهُ خُصَلٌ مِنَ الشَّعْرِ . مُخْلَوِّقٌ الْمَتْنُ ، أَيْ مَصْنُوعًا أَمْسَ الْمَتْنُ شَدِيدَ الْمَلَأَسَةِ ، لِأَنَّ « مُفْعَوِعًا » مِنْ أُنْبِيَةِ الْمَبَالِغَةِ . عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ اعْشَوْشَبَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَعْشَوْشِبَةٌ . وَالتَّثْقُ : الْمَمْتَلِيُّ نَشَاطًا . وَقَوْلُهُ « يَمَلَأُ عَيْنِيكَ بِالْفِئَاءِ » ، فِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخِرِ (٤) :

يَزِينُ الْبَيْتَ سَرْبُوطًا وَيَشْفِي قَرَمَ الرَّكْبِ

وَالْعِقَابُ : جَمْعُ الْعَقَبِ ، وَهُوَ الْجُرَى بَعْدَ الْجَرَى . وَقَالَ الْخَلِيلُ : إِذَا كَانَ لِلْفَرَسِ جَمَامٌ بَعْدَ انْقِطَاعِ الْجُرَى قِيلَ : لَهُ عِقَابٌ . وَالنَّزَقُ : الْخِلْفَةُ وَالْعَجَلَةُ . وَيُقَالُ

(١) انظر الحاشية الأولى لهذه الحماسية .

(٢) كذا فهم المرزوقي ، وهو معنى بعيد . والأوفق ما ذكره التبريزي نقلا عن أبي العلاء المعري ، قال : يجوز أن يكون صفة السيف بأريحي لأنه يهتز فكأنه يرتاح للضرب . وقد جاء في شعر صخر الغي ما يدل على أنهم نسبوا السيوف إلى « أريح » وذلك قوله :

وصارم أخلصت خشيبته أبيض مهو في متنه ربد
فلوت عنه سيوف أريح إذ باء بكفي ولم أكد أجد

قوله باء بكفي ، صارت كفي له مباءة أي مأوى . ولم أكد أجد لغزته . وخشيبته : طبيعته وهو رقيق . وأريح : قرية بالشام .

(٣) انظر ما سبق في ص ٦٠ ، ١٤٢ .

(٤) هو عقبة بن سابق الجرمي ، كما في الخيل لأبي عبيدة ١٦٠ .

نَزَفْتُ الْفَرَسَ ، إِذَا ضَرَبْتَهُ حَتَّى يَنْزِقُ . وَمَعْنَى « يَمْلَأُ عَيْنِكَ » ، أَيْ يَشْغَلُهُمَا مَحَاسِنُهَا ^(١) حَتَّى لَا تَتَسَّعَ لَهَا .

٢٥٨

وَقَالَ قَتَادَةُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْحَنْفِيُّ ^(٢) :

١- بَكَرْتُ عَلَىَّ مِنَ السَّفَاهِ تَلُومُنِي سَفَهًا تُعْجِزُ بَعْلَهَا وَتَلُومُ

البيت على كلامين ، وذلك أن المصراع الأول إخبارٌ عن زوجته بسوء عشرتها ^(٣) ، وتوجيهها العتب عليه في غير كنفه ؛ والمصراع الثاني رُجوعٌ منه عليها فيما أنكرت ، وردُّ للعتب إليها لما تجرمت . وقال « تَلُومُنِي » في الصدر وفي العجز « تُعْجِزُ بَعْلَهَا » وهما واحدٌ ، على عاداتهم في تصرّيفهم الكلام عند الأمان من الالتباس ، فيقول : ابتكرت علىَّ تَلُومُنِي وتَنَسُّبُنِي إلى العجز ، من السَّفَاهِ ، أي مما تصوّرتَه سَفَاهًا من أحوالي . ثم أخذ يُجَبِّهها وَيُسَفِّهُ قولها وفعلها فقال : سَفَهًا تُعْجِزُ بَعْلَهَا ^(٤) ، أي تعجيزها لي وتقرّيعها إياي لسفهاها ، وجعلها بموارد الأمور ومصادرها . والسَّفَهُ والسَّفَاهُ والسَّفَاهَةُ : الخِفةُ والاضطراب . ويقال : تَسَفَّهت الرِّيحُ الفُصُونَ ، إِذَا حَرَّ كَتَبَهَا . والبُكُورُ ، أصله الابتداء ، ولذلك قيل لأوّل النهار بُكُورَةٌ . وتَلُومُنِي في موضع الحال ، والعامِلُ فيه بَكَرْتُ . وانتصَبَ سَفَهًا عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ وَقَدْ قُدِّمَ . والبَعْلُ ، أصله النِّكاحُ ، ولذلك

(١) الوجه : « محاسنها » ، لأن النعت السابق كله لمذكور .

(٢) قتادة بن مسleme الحنفي ، شاعر جاهلي ، هو الذي أجاز الحارث بن ظالم المري حين قتل خالد بن جعفر بن كلاب ، وخرج مستجيرًا بالقبائل محتما بها وفي ذلك يقول الحارث بن ظالم :

قتادة الخير نالتني حديثه وكان قدما إلى الخيرات طلاعا

انظر الأغاني (١٠ : ٢٤ - ٢٦) .

(٣) في الأصل : « بعشيرته » ، صوابه في ل ، م .

(٤) ابن جنى : « أراد تعجزني فوضع الظاهر موضع ضمير المتكلم » .

قيل للمرأة بَعْلَةٌ أَيْضًا ، وقد ابْتَعَلَتْ وَتَبَعَلَتْ ، أى أطاعت زوجها .

٢ - لما رأتني قد رُزيتُ فَوَارِسِي وَبَدَتْ بِجَسْمِي نَهْكَةً وَكُلُّومُ
جوابُ لما تقدّم ، وهو بكرتُ عليّ . كأنّ هذا الشاعر لاقى أعداءهُ
ومُنابذِيهِ ، بأصحابِهِ ومعاونِيهِ ، فكانت الدَّبْرَةُ عَلَيْهِ وَعَالِيهِمْ ، فَجُرِحَ هُوَ وَقُتِلَ
أَوْلَاكُ ، فَعَدَّتْ امْرَأَتُهُ تِلْكَ الْفَعْلَةَ مِنْهُ وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَفَهًا وَذَنْبًا يَسْتَحِقُّ لَهَا
اللَّومُ ، فَطَفِقَتْ بِاِكْرَةِ عَلَيْهِ تُعَجِّزُهُ وَتُوْنِبُّهُ . والنَّهْكَةُ : التأثير ، يقال بانَتْ
عليه نَهْكَةُ الْعِلَّةِ وَالْمَصِيبَةِ . ومعنى رُزيتُ : أُصِبتُ بِهِمْ . وتقدّمُ القولُ في
مجيء الفوارسِ جَمْعًا لصفات المذَكَرِ يُغْنِي عن إعادته (١) .

٣ - ما كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَصَابَ بِنَكْبَةٍ دَهْرٌ وَحَيٌّ بِاسِئْلُونَ صَمِيمٌ
قوله « من أصاب » نَكْرَةٌ تُفِيدُ الْكَثْرَةَ ، والمُرَادُ أَوَّلَ إِنْسَانٍ أَصَابَهُ
بِنَكْبَةٍ دَهْرٌ . وهذا على عاداتهم في نسبة الحوادث إلى الدهر ، كما قال
بعضُهُمْ (٢) :

يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعَلْتَنَا بَسْرَاتِنَا وَوَقَرْتَ فِي الْعَظْمِ
فأما تنكيرُهُ للدَّهْرِ فقد حُكِيَ عن أبي زيدٍ وأبي عبيدةَ ويونسَ أنَّ الدهرَ
والزَّمانَ والزَّمنَ والحَيْنَ ، يقعُ على محدودٍ وغير محدودٍ ، وعلى عُمرِ الدُّنْيَا من
أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ . وقال الخليلُ : الأَبْدُ الدَّهْرُ الْمَمْدُودُ ، وَيُجْعَلُ اسْمًا لِلنَّازِلَةِ .
ويقال : دَهْرٌ مِنَ الدَّهْرِ ، لِبَعْضِهِ ، كما يقال حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ . وقد اشتق منه
فَقِيلَ : إِنَّهَا لَدَاهِرَةُ الطُّولِ ، أى طَوِيلَةٌ جَدًّا . والشاعرُ أرادُ بما قاله التَّجَدُّدَ
لِلشَّامِتِ وَالنَّسْلِيَّ مِنَ الْمُصَابِ ، وَأَنْ يُظْهَرَ لِمَنْ أَلْقَى السَّمْعَ جَهْلَ امْرَأَتِهِ وَعُدُولَهَا

(١) انظر ما سبق في الحماسية ٣ ص ٣٩ .

(٢) هو الأعشى . ملحقات ديوانه ٢٥٨ واللسان (وقر) والمقاييس (دهر) .

عن الصواب . وقوله « وَحَيٌّ بِاسِلُونِ صَمِيمٌ » ، فالبُسُولُ : عُبُوسَةُ الشَّجَاعَةِ والغَضَبُ . ويقال بَسُلٌ وَاسْتَبَسَلٌ . وَالصَّمِيمُ : خَالِصَةُ الشَّيْءِ وَمَا بِهِ قَوَامُهُ ؛ وَمِنْهُ قَيْلٌ صَمِيمٌ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ . وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ : هُوَ مِنْ صَمِيمٍ قَوْمِهِ ، أَيْ مِنْ مَخْضِ أَصْلِهِمْ . وَيُوصَفُ بِالصَّمِيمِ الْوَاحِدُ وَالْجَمِيعُ ^(١) .

٤ - قَاتَلْتُهُمْ حَتَّى تَكَافَأَ جَمْعُهُمْ وَالخَيْلُ فِي سَبَلِ الدِّمَاءِ تَعُومُ
معنى تكافأ جمعهم : انكفؤوا فهزموا . وهذا من الكفاء : قلبك الشيء لوجهه . ومنه كفاتُ الإناء ، إذا قلبته . ويجوز أن يكون من الكفاء : النَّظِيرِ وَالْمِثْلِ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى تَكَافَوْا فِي مُدَافَعَتِي وَمُقَاوَمَتِي ، أَيْ تَسَاوَوْا حَتَّى لَمْ يَفْضُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الْآخَرِ [فِي ذَلِكَ ^(٢)] . وَعَلَى هَذَا مَا رُوِيَ فِي الْخَبَرِ : « الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ » . وَالسَّبَلُ : مَا سَالَ مِنَ الْمَطَرِ وَالِدَّمِ ، وَمِنْهُ أُسْبَلَ السُّتْرُ وَالْإِزَارُ ، إِذَا أَرَخَاهُمَا . وَمَعْنَى تَعُومُ : تَسْبَحُ ؛ وَيُسَمَّى الْفَرَسُ عَوَامًا ، لَسَبْحِهَا فِي الْجَرَى . وَعَلَى التَّشْبِيهِ قَالُوا : النُّجُومُ تَعُومُ فِي الْفَلَكَ . وَمَرَادُ الشَّاعِرِ اقْتِصَاصُ الْحَالِ ، وَأَنَّهُ قَدْ أَدَّى مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَجَاهِدَةِ ، فَلَا تَبِعَةَ عَلَيْهِ .

٥ - إِذْ تَتَّقِي بِسَرَاةٍ آلِ مُقَاعِسٍ حَذَرَ الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ تَمِيمٌ ^(٣)
قوله « إِذْ تَتَّقِي » ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ تَعُومُ . وَالِاتَّقَاءُ : أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَحْذُورِكَ شَيْئًا يَقِيمُكَ . وَالسَّرَاةُ : جَمْعُ سَرِيٍّ ^(٤) ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ سَرَا يَسْرُو ، وَلَمْ يَجِءْ فِي الْمَعْتَلِّ فَعَلَةٌ فِي الْجَمْعِ إِلَّا هَذَا ؛ لِأَنَّ هَذَا الْبِنَاءَ يَخْتَصُّ بِالصَّحِيحِ ،

(١) كذا في الأصل والتبريزي . وفي سائر النسخ : « والجمع » .

(٢) لم ترد في الأصل ، وإثباتها من سائر النسخ .

(٣) التبريزي : « حَذَرَ الْأَسِنَّةِ » .

(٤) قالوا : جاء على غير قياس ولا يعرف غيره أن يجمع فعيل على فعلة ، والقياس سראה

بالضم مثل قضاة . ويقول سيويوه : إنه اسم للجمع ، وليس جمعا .

نحو فَسَقَةٍ وَكَتَبَةٍ ، فهو بإزاء فُعَلَةٍ من المعتلِّ نحو قُضَاةٍ وَرُمَاةٍ . وانتصبَ « حَذَرَ الْأَسِنَّةِ » على أنه مفعولٌ له ، وتميمٌ يرتفعُ بفعلهم ، وهو تَتَّقِي ، والتقدير : إذ تَتَّقِي وحين تَتَّقِي بِسَرَاةٍ هُوَلاءِ الفوم تميمٌ حَذَرًا من الْأَسِنَّةِ والشُّيُوفِ .

٦ - لم أَلْقَ قَبْلَهُمْ فَوَارِسَ مِثْلَهُمْ أَحْمَى وَهَنَّ هَوَازِمٌ وَهَمَزِيمٌ
يجوز أن يكون عَنَى بالفوارس أصحابه الذين فُجِعَ بهم ، قَبِينَ أَنَّهُمْ لم يُؤْتُوا فيما مُنُوا به من ضَفَفٍ^(١) وَفَشَلٍ ، ولا من تقصير وكَسَلٍ ، بل حَامُوا عن أَحْسَابِهِمْ جَهْدَهُمْ ، ودَافَعُوا عن أَعْرَاضِهِمْ طَاقَتَهُمْ ، حتَّى لم يُبَقُّوا غَايَةً يَتَمَلَّقُ بِهَا حُسْنُ الْحَافِظَةِ إِلَّا أَشْرَفُوا عَلَيْهَا ، ورَامُوا بِجَهْدِ الْمَارِسَةِ تَجَاوُزَهَا . ويكونُ في وصفِ أَصْحَابِهِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ على الحَدِّ الذي عَالِيهِ في وصفِ نَفْسِهِ بقوله « قَاتَلْتُهُمْ حَتَّى تَكَافَأَ جَمْعُهُمْ » وبقوله « يَمَمْتُ كِبَشَهُمْ بَطْعَنَةً فَيَصِلُ » . وَإِنَّمَا تَكَلَّفَ كُلَّ ذَلِكَ لِيُقِيمَ عُذْرَ نَفْسِهِ وَعُذْرَهُمْ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِمْ ، وَلِيُرِيَ أَنَّ مَا لَزِمَهُ وَإِيَابُهُمْ قَدْ أُدِّيَ بِتَمَامِهِ ، وَإِنْ حَالَ مَحْتَمُومُ الْقَدَرِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّجَاحِ . ويجوز أن يكون المراد بهم فُرْسَانَ الْأَعْدَاءِ ، ويكونُ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِمْ على عَادَتِهِمْ في اِرْتِفَاعِ مِنَ الْخِصْمِ عند اقتصاص الأحوال ، ونُسَبَتِهِ فِيمَا تَجَاوَزُوهُ إِلَى الْغَنَاءِ وَالِاسْتِقْلَالِ ، وَكَمَالِ الشَّدَّةِ وَالِاضْطِلَاعِ ، لِيَكُونَ صُورَتُهُ غَالِبًا وَمَغْلُوبًا أَحْسَنَ ، وَالِاعْتِدَادُ بِمَجَارَاتِهِ وَمَجَادِبَتِهِ أَوْفَرَ وَأَبْلَغَ . فَأَمَّا قَوْلُهُ « أَحْمَى » فالمراد به أَحْمَى مِنْهُمْ ، فَحَذَفَ . وَهَذَا الْحَذْفُ من أَفْعَلَ الذي يَتِمُّ بِمِنْ يَجُوزُ إِذَا وَقَعَ خَبْرًا لِاصِفَةٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ . أَي لَمْ أَلْقَ فُرْسَانًا مِثْلَهُمْ قَبْلَهُمْ هُمُ أَحْمَى مِنْهُمْ هَازِمِينَ وَمَهْزُومِينَ . وَقَوْلُهُ « وَهَنَّ هَوَازِمٌ » الواو واو الحال ، والضمير منه لِفِرْقِ

(١) هذا ما انفرد به نسخة الأصل . والضعف ، بالتحريك : الضعف ، كما في القاموس ،

وفي سائر النسخ : « ضعف » .

الْخَيْلِ وَطَوَائِفِهَا ، وَلِهَذَا قَالَ هَوَازِمٌ ، لَمَّا كَانَ فَوَاعِلَ يَخْتِصُّ بِجَمْعِ الْمُؤَنَّثِ
إِلَّا فِي الْأَحْرَفِ الْمَعْدُودَةِ عِنْدَ الْكَلَامِ فِي فَوَارِسٍ ^(١) . وَمِثْلُ هَوَازِمٍ قَوْلُهُمْ
الْخَوَارِجُ — لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْفِرْقُ — وَمَا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو عَلِيٍّ النَّحْوِيُّ الْفَارِسِيُّ
رَحِمَهُ اللَّهُ ، لِلْقُطَامِيِّ :

فَوَارِسٌ بِالرَّمَاكِ كَأَنَّ فِيهَا شَوَاطِينَ يَنْتَزِعْنَ بِهَا انْتِزَاعًا
قَالَ : وَجَاءَ فِي شِعْرِهِ أَيْضًا :

* مَا يَنَامُ سَوَافِرُهُ ^(٢) *

نَمَّ قَالَ : لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ سَوَافِرٌ جَمْعُ سَافِرٍ الَّذِي هُوَ الْمَصْدَرُ ، كَمَا
قَالَ الْآخَرُ :

* فَقَدْ رَأَى الرَّاهُونَ غَيْرَ الْبُطْلِ *

فَجَمَعَ بَاطِلًا عَلَى الْبُطْلِ ، وَالْبَاطِلُ مَصْدَرٌ ، تَقُولُ قَدْ قَلْتَ بَاطِلًا كَمَا تَقُولُ
قَدْ قَلْتَ حَقًّا . فَأَمَّا قَوْلُهُ « وَهُوَ هَزِيمٌ » فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، وَالْمُرَادُ بِهِ
الْكَثْرَةُ لِأَنَّ الْوَاحِدَ ، كَأَنَّهُ قَالَ وَهُنَّ مِنْ بَيْنِ هَازِمَةٍ وَمَهْزُومَةٍ .

٧ — لَمَّا التَّقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا وَالْخَيْلُ فِي رَهَجِ الْغُبَارِ أُزُومٌ ^(٣)

٨ — فِي النَّقْعِ سَاهِمَةٌ الْوُجُوهُ عَوَابِسٌ وَبَيْنَ مَنْ دَعَسَ الرَّمَاكِ كَلُومٌ ^(٤)

٩ — يَمَّمْتُ كَبْشَهُمْ بِطَعْنَةٍ فَيَصِلُ فَهَوَى لِحْرِّ الْوَجْهِ وَهُوَ ذَمِيمٌ ^(٥)

لَمَّا هَذِهِ عَلِمَ لِلظَّرْفِ ، وَهُوَ لَوْ قَوَّعَ الشَّيْءَ لَوْ قَوَّعَ غَيْرَهُ ، وَجَوَابُهُ يُجَىءُ مِنْ بَعْدُ ،

(١) انظر ما سبق في الحماسية ٣ ص ٣٩ .

(٢) البيت بتمامه كما في ديوان القطامي ٢٢ :

تعارض براق المتون موقعا رضيض الحصى ليست تنام سوافره

(٣) م والتبريزي : « في نقع العجاج أزوم » .

(٤) م : « والقوم ساهمة الوجوه » .

(٥) التبريزي : « ذميم » بالذال المهملة .

وهو قوله « يَمَّتْ كِبَشَهُمْ » . فيقول : لَمَّا تَوَاقَفَ الْفِتْنَانِ فِي مَصَافِهِمْ ،
 وَاشْتَجَرَتِ الرِّمَاحُ بِالطَّعْنِ بَيْنَهُمْ ، وَالدَّوَابُّ عَوَاضُ عَلَى جُلْمِهَا فِي الْقَتَامِ السَّاطِعِ ،
 مَتَغَيِّرَةُ الْأَلْوَانِ لِاشْتِدَادِ الشَّرِّ اللَّازِمِ ، كَوَالِحِ الْوُجُوهِ لِمَا يَقَعُ بِهَا مِنَ الطَّعْنِ
 الدَّرَاكِ ، وَالدَّفْعِ بِالرِّمَاحِ ، قَصَدَتْ رُئُوسَهُمْ بِطَعْنَةِ رَجُلٍ يَقْضِي الْأَمْرَ ، وَيَفْصِلُ
 الْعُمَرَ ، فَسَقَطَ لُوجُهُهُ وَهُوَ مَذْمُومٌ لِعُتُوِّهِ وَبَغْيِهِ . وَقَوْلُهُ « أَرْوَمٌ » جَمْعُ أَرْوِمٍ ،
 وَالْأَرْوَمُ : الْإِمْسَاكُ وَالْعَضُّ ، وَكُنِيَ بِهِ عَنِ الْحِمِيَّةِ فَقِيلَ : « نَعِمَ الدَّوَاءُ الْأَرْوَمُ » .
 وَقَوْلُهُ « فِي النَّقْعِ » الْأَجُودُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرٌ نَقَعَ الشَّرُّ وَالصَّوْتُ وَالْمَوْتُ ،
 إِذَا كَثُرَ وَارْتَفَعَ ، وَأَنْ يُعْدَلَ بِهِ عَنِ الْغُبَارِ ، لِأَنَّهُ قَالَ : فِي رَهَجِ الْغُبَارِ . وَمَعْنَى
 رَهَجِ الْغُبَارِ : مَا أَثِيرَ مِنَ الْغُبَارِ . وَقَوْلُهُ « سَاهِمَةُ الْوُجُوهِ » الشَّهُومُ : تَغْيِيرُ اللَّوْنِ
 مَعَ هُزَالٍ وَيُبُوسٍ . وَالدَّعْسُ : الطَّعْنُ وَشِدَّةُ الْوُطْءِ . وَيُقَالُ طَرِيقٌ مِدْعَاسٌ ،
 أَيْ مُذَلَّلٌ ؛ وَرَجُلٌ مِدْعَسٌ : شَدِيدُ الطَّعْنِ .

وقوله « فَهَوَى لِحُرِّ الْوَجْهِ » فَالْحُرُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَعْتَقَهُ ، وَقَالَ الْخَلِيلُ :

حُرُّ الْوَجْهِ : مَا بَدَأَ مِنَ الْوَجْنَةِ . وَحُرَّةُ الذَّفَرِيِّ : مَوْضِعٌ بِجَبَالِ الْقُرُطِ (١) .

١٠ - وَمَعَى أَسْوَدٌ مِنْ حَنِيفَةَ فِي الْوَعْيِ لِلْبَيْضِ فَوْقَ رِءُوسِهِمْ تَسْوِيمٌ

١١ - قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ كَانَتْهُمْ فِي الْبَيْضِ وَالْحَلِاقِ الدَّلَاصِ نُجُومٌ

١٢ - فَلَنْ بَقِيَتْ لِأَرْحَلَنْ بَعَزُورَةً نَحْوَ الْغَنَائِمِ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمٌ

قَوْلُهُ « مِنْ حَنِيفَةَ » فِي مَوْضِعِ الصَّلَاةِ لِأَسْوَدٍ ، وَفِي الْوَعْيِ ظَرْفٌ لِمَا دَلَّ

عَلَيْهِ قَوْلُهُ أَسْوَدٌ ، وَتَقْدِيرُهُ مَعِيَ رِجَالٌ يُشَابِهُونَ الْأَسْوَدَ شَجَاعَةً وَإِقْدَامًا فِي الْحَرْبِ
 حَنْفِيُونَ . وَالْوَعْيُ أَصْلُهُ الْجَلْبَةُ وَالصَّوْتُ ، ثُمَّ صَارَ كَالِاسْمِ لِلْحَرْبِ . وَقَوْلُهُ :

(١) هذا أحد قولين ، والآخر أنها صفة ، يقال هي حرة الذفري ، أي حسنة الذفري

أسيلتها ، والذفري : العظم الشاخص خلف الأذن .

« للبييض فوق رؤوسهم تسويم » ، فالتسويم : العلامة والتأثير ، ومنه قولهم :
الخليل المُسوّمَةُ ؛ وكلّ ذلك من السّيا : العلامة ، ويقال السّيميا . ومعناه أنّهم
لِطول لبسهم للبيض ، ودوام مُمارستهم للحرب ، قد انحسر الشّعْرُ عن جوانب
رؤوسهم . ويشبه هذا المصراع قول الآخر (١) :

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطَعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ

وقول أبي تمام الطائي :

عَبُوسٌ كَسَا أَبْطَالَهُ كُذْلٌ قَوْنَسٍ يُرَى الْمَرْءُ مِنْهُ وَهُوَ أَفْرَعُ أَنْزَعُ (٢)

وقوله « قومٌ إذا لبسوا الحديد » ارتفع قومٌ على أنه بدلٌ من قوله أسودٌ .
ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال : هم قومٌ . وإنما يصفهم بأنهم
مشاهيرٌ بحسن البلاء ، متميّزون عن الفرسان إذا حضروا الوقعات ، بعلاماتهم
ومعارضهم التي عرفوا بها وفيها ، فلا يخفى آياتهم إذا تدججوا ، ولا يلتبس
أحوالهم متى تطعموا ، بل كأنهم النجوم في المناظر والقلوب . وجعل الحديد
كناية عن أنواع الأسلحة . والدّلاصُ : اللّينة الملساء ، يقال درعٌ دِلاصٌ
ودليصٌ ، ودروعٌ دُلُصٌ . وقال الخليل : ربّما جاء دِلاصٌ في صفة الجمع .

وقوله « فائِن بَقِيَتْ لِأَرْحَلَنَّ بَغَزْوَةٍ » اللام من لئن موطئةٌ للقسم ،
ولأرحلنَّ جوابه (٣) . وقوله « نحو الغنائم » ظرفٌ لِأَرْحَلَنَّ . ورواه بعضهم :

(١) هو أبو قيس بن أبي الأسلت الأنصاري . المفضلية ٧٥ .

(٢) أي إن بيض الحديد يخفى شعر الفرسان ، فمن كان منهم طويل الشعر بدا كأنه أنزع
منحسر الشعر . وفي نسخة الأصل : « يرى الموت » ، وفي الديوان ١٩١ : « ترى الموت » ،
وكلاهما محرف عما أثبتنا من سائر النسخ .

(٣) ابن جني : « لأرحلنَّ إنما هو جواب حلف محذوف ، أي أقسم لأرحلن . واللام
في لئن زائدة وموطئة اللام الجواب ، وليست بواجبة . ألا ترى إلى قول الله سبحانه : ولئن
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . وصار القسم وجوابه عوضا عن جواب الشرط ،
أي إن أبق أرحل » .

«تَحْوِي الغنائم» ، ويكونُ صفةً لَغَزْوَةٍ ، أى حاويةً للغنائم . وقوله « أو يموتَ كَرِيمٌ » أو بَدَلٌ من إِيلا ، ويموتَ ينتصبُ بأن مُضمرةً ، كأنه قال إِيلا أن يموتَ كَرِيمٌ . وَيَعْنِي بالكريم نَفْسَهُ . وفي طريقته قولُ لبيد :

* أو يَرْتَبِطُ بَعْضَ النُّفُوسِ جَمَامُهَا ^(١) *

٢٥٩

وقال رجلٌ من بني يَشْكُر ^(٢) :

- ١ - أَلَا أَبْلِغُ بِي ذُهْلٍ رَسُولًا وَخُصَّ إِلَى سَرَاةِ بَنِي النَّطَّاحِ ^(٣)
- ٢ - بَأَنَا قَدْ قَتَلْنَا بِالْمُشَنَّى عُبَيْدَةَ مِنْكُمْ وَأَبَا الْجُلَّاحِ
- ٣ - فَإِنْ تَرَضَوْا فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا وَإِنْ تَأَبَوْا فَأَطْرَافُ الرَّمَّاحِ
- ٤ - مَقْوَمَةٌ وَيِيضُ مُرْهَفَاتُ تُتْرُ جَمَاجِمًا وَبَنَانُ رَاحِ

قوله « رَسُولًا » أراد رسالةً . وقوله « وَخُصَّ إِلَى سَرَاةِ بَنِي النَّطَّاحِ » أى تَوَصَّلَ إِلَى أَنْ تَخُصَّهُمْ بِأَدَائِهَا . وَالسَّرَاةُ تَقَدَّمُ الْقَوْلُ فِيهِ ^(٤) .

وقوله « بَأَنَا قَدْ قَتَلْنَا » الباءُ زائدةٌ للتأكيـد ، وموضعُ بَأَنَا نَصْبٌ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ رَسُولًا . وَمِثْلُهُ أَغْلِمُ بِكَذَا ، يَرِيدُ أَبْلِغُ خِيَارَ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ وَأَمَائِلِهِمْ أَنَا قَتَلْنَا بَدَلِ الْوَاحِدِ الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ مِنَّا اثْنَيْنِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ رَضَيْتُمْ فَرِضَانًا مَعَ رِضَاكُمْ ، وَإِنْ أَيْبَيْتُمْ وَتَسَخَّطْتُمْ حَاكِمَنَا كُمْ إِلَى ظُبَى السُّيُوفِ وَقَدْ أُرْهِفْتُ ، وَإِلَى أَسِنَّةِ

(١) صدره : * تراك أمكنة إذا لم أرضها *

(٢) زاد التبريزي : « فيما كان بينهم وبين ذهل »

(٣) م : « وخص بها » ، أى بالرسالة . وأشار التبريزي إلى رواية : « وخص به » ،

أى بالقول . ورواية التبريزي : « بنى البطاح » بالباء المضمومة ، وفسره بقوله : « البطاح مالك بن عامر بن ذهل بن ثعلبة » .

(٤) فى البيت ٥ من الحماسية ٢٥٨ ص ٧٦٧ .

الرِّمَّاحُ وَقَدْ قَوْمَتْ . وَهَذَا الْكَلَامُ اعْتِلَاءٌ وَاقْتِدَارٌ ، وَتَوْعُّدٌ وَاسْتِكْبَارٌ . وَالْفَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « فَأَطْرَافُ » بِمَا بَعْدَهَا جَوَابُ الْجُزَاءِ ، وَارْتَفَعَ أَطْرَافُ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَخَبْرُهُ مَحذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَأَطْرَافُ الرِّمَّاحِ وَبَيْضُ السِّيُوفِ بَيْنَنَا . وَتُتْرَفُ فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لِلْبَيْضِ ، وَمَعْنَاهُ تُسْقِطُ . وَالْمُرَهَفَاتُ : الْمُرَقَّاتُ الْحَدَّ . وَالرَّاحُ : جَمْعُ رَاحَةٍ .

٢٦٠

وَقَالَ جُرَيْبَةُ بْنُ الْأَشِيمِ الْفَقْعَسِيُّ^(١) :

١ - فِدَى لِفَوَارِسِي الْمُعَلِّمِي ن تَحْتَ الْعَجَّاجَةِ خَالِي وَعَمِّ

(١) هُوَ جُرَيْبَةُ بْنُ الْأَشِيمِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ وَهْبِ بْنِ دِنَارِ بْنِ فُقْعَسِ بْنِ طَرِيفِ الْأَسَدِيِّ ثُمَّ الْفَقْعَسِيِّ . قَالَ الْأَمْدِيُّ : كَانَ أَحَدَ شَيْطَانِ بْنِ أَسَدٍ وَشَعْرَائِمَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، ثُمَّ أَسْلَمَ فَقَالَ :

بَدَلْتُ دِينَنَا بَعْدَ دِينِ قَدِ قَدِمْتُ كُنْتُ مِنَ الدِّينِ كَأَنِّي فِي حِلْمِ
يَأْقِمُ الدِّينَ أَقْنَا نَسْتَقِمُ فَإِنْ أَصَادَفَ مَأْمَأً فَلَمْ أَلَمْ

الإصابة ١٢٨٠ والمؤتلف ٧٧ . وَأَخُوهُ مَطِيرُ بْنُ الْأَشِيمِ . وَرَوَى التَّبْرِيذِيُّ مِنْ سَبَبِ الشَّعْرِ وَنَسَبِهِ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ بَجِيرِ الْعَجَلِيَّ كَانَ قَدْ غَزَا بَنِي فُقْعَسٍ وَرَثَيْسَهُمْ أَهْبَانَ بْنَ عَرْفُطَةَ ، فَلَمَّا بَصُرَ بَنُو فُقْعَسٍ بِالْحَيْلِ قَالُوا : هَذِهِ عَيْرٌ عَلَيْهَا عَمْرٌ . فَأَبْتَدَرَتْهَا خَيْلُهُمْ ، فَلَحِقَ بِهِمْ حُرَيْبَةُ بْنُ الْأَشِيمِ وَيَكْنَى أَبُو سَعْدٍ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ رَجَعُوا وَقَاتَلُوا الْقَوْمَ فَقَتَلَ أَهْبَانَ ، قَتَلَهُ الْحَصَفُ بْنُ مَعْبُدِ الْعَجَلِيَّ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ هَذِهِ الْحَمَاسِيَّةُ . فَتَزَعَمُ هَذِهِ الرَّوَايَةُ أَنَّ أَبَا تَمَّامٍ أَخْطَأَ فِي نَسَبِ الشَّعْرِ إِلَى جُرَيْبَةَ ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلْحَصَفِ ، وَلَيْسَ لِحُرَيْبَةَ عِلَاقَةٌ بِهَذَا الْأَسْرِ لِأَنَّهُ حَضَرَ الْوَقْعَةَ وَفَرَّ مِنْهَا وَقَالَ :

قَالُوا أَبُو سَعْدٍ أَلَمْ تَعْرِفَهُمْ ثَكَلْتُ جُرَيْبَةَ أُمَّهُ مِنْ يَهِرَفِ
وَاللَّهِ مَا مَنُوا عَلَيَّ وَإِنَّمَا مَنَّتْ عَلَيَّ شُرَافٌ إِذْ تَنَحَّرَفِ

شُرَافٌ : اسْمُ فَرَسِهِ . وَذَكَرَ التَّبْرِيذِيُّ رِوَايَةَ أُخْرَى تَنْسِبُ الشَّعْرَ إِلَى سَبْرَةَ بْنِ عَمْرٍو ، وَهُوَ فُقْعَسِي تَقَدَّمَتْ لَهُ الْحَمَاسِيَّةُ رَقْمَ ٦٠ . يَقُولُهُ مَنَاقِضَةُ لِشَاعِرٍ عَجَلِيٍّ قَالَ شَعْرًا فِي حَرْبِ شَتْمَتَا بَنِي فُقْعَسٍ عَلَيَّ بَنِي عَجَلٍ . ثُمَّ ذَكَرَ رِوَايَةَ ثَالِثَةً عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيِّ ، تُوَيْدُ أَنَّ الشَّعْرَ لِحُرَيْبَةَ . قَالَ : كَانَ مِنْ قِصَّةِ هَذَا الشَّعْرِ أَنَّ سَلْهَبًا وَأَبَا سَلْهَبَ ، مِنْ بَنِي ضَبِيْعَةَ بْنِ عَجَلٍ ، سَارَا فِي جَمْعٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ بَطْلِبَانَ ، وَخَرَجَتْ بَنُو فُقْعَسٍ فِي غَزَى لَهُمْ أَيْضًا يَطْلُبُونَ الْغَنَائِمَ ، فَالْتَقَى الْجَمْعَانُ وَلَا يَرِيدُ مِنْهُمْ وَاحِدٌ صَاحِبَهُ . فَلَمَّا التَّقَوْا صَاحِبَ بَنِي فُقْعَسٍ : نَزَالَ نَزَالَ ! فَلَمْ يَنْزَلُوا وَقَاتَلُوا عَلَيَّ الْحَيْلِ ، فَشَدَّ فَرْوَةَ بْنِ مَرْثَدِ الْفَقْعَسِيِّ عَلَيَّ أَبِي سَلْهَبِ الْعَجَلِيِّ فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَكَلَاهُمَا قَتَلَ صَاحِبَهُ ، وَهَزَمَتْهُمُ بَنُو فُقْعَسٍ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ جُرَيْبَةُ .

٢- هُم كَشَفُوا عَيْبَةَ الْعَائِبِينَ مِنْ الْعَارِ أَوْجُهُمْ كَالْحَمَمِ (١)
 حَمْدَهُمْ لَمَا ظَهَرَ مِنْ وَقَائِهِمْ وَبِلَأْسِهِمْ ، فَقَدَّاهُمْ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ . وَالْمُعَلِّمُ : الَّذِي
 شَهَرَ نَفْسَهُ فِي الْحَرْبِ بِعَلَامَةٍ لِكَيْ إِذَا أُبْلِغَ عُرِفَ بِهَا (٢) . وَالْعَجَّاجُ : الْغُبَّارُ ،
 وَكَذَلِكَ الْعَجَّاجَةُ . وَيُقَالُ لِفَتَى عَجَّاجَتِهِ عَلَى بَنِي فُلَانٍ ، إِذَا أَعَارَ عَلَيْهِمْ . وَقَوْلُهُ
 « خَالِي » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ ، لِأَنَّهُ خَبِرَ الْمَبْتَدَأَ . وَقَوْلُهُ « هُم كَشَفُوا عَيْبَةَ الْعَائِبِينَ »
 الْعَيْبَةُ : شِبْهُ الْخَرِيطةِ مِنَ الْأَدَمِ . وَهَذَا مَثَلٌ ، أَيْ أَظْهَرُوا مِنْ عَيْبٍ مَنْ كَانَ
 يَطْلُبُ عَيْبَهُمْ مَا كَانَ خَافِيًا ، وَكَذَّبُوهُمْ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِقُونَهُ وَيَتَنَفَّقُونَ بِهِ ،
 فَكَأَنَّهُمْ كَشَفُوا عِيَابَهُمُ الْمَنْطُويَةَ عَلَى عِيَابِهِمْ ، فَاسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ بِمَا غَشِيَهَا مِنْ
 الْعَارِ حَتَّى صَارَتْ كَالْحَمَمِ . وَيُقَالُ : « فُلَانٌ عَيْبَةُ عُيُوبٍ ، وَمِذْنَبٌ ذُنُوبٌ » . وَيُقَالُ :
 عَابَ الْمَتَاعُ وَغَيْرُهُ ، إِذَا صَارَ ذَا عَيْبٍ ؛ وَعَيْبَتُهُ أَنَا ، أَيْ جَعَلْتُ فِيهِ عَيْبًا . وَعَلَى
 هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ . وَالْحَمَمُ : الْفَحْمُ . وَيُقَالُ جَارِيَةٌ
 حَمَمَةٌ ، أَيْ سُودَاءُ .

٣- إِذَا الْخَلِيلُ صَاحَتْ صِيَاحَ النَّسُورِ حَزَزْنَا شَرَّاسِيْفَهَا بِالْجُذْمِ
 يَقُولُ : إِذَا ضَجَّتِ الْخَلِيلُ مِنَ الطَّعْنِ الْوَاقِعِ عَلَى نُجُورِهَا ، وَهَمَّتْ بِالْأَزْوَارِ
 أَكَرْهَنَاهَا عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّقَدُّمِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ خِدَاشِ بْنِ زُهَيْرٍ :
 يَصِيحُونَ مِثْلَ صِيَاحِ النَّسُورِ مِنْ أَسَلٍ وَارِدٍ صَادِرٍ

(١) نبه التبريزي على هذه الرواية ، وروايتها في الصواب : « غيبة الغائبين » . ثم قال :
 « ومن روى غيبة الغائبين أراد : من قتل منهم في عار تسود منه وجوههم أدرك هؤلاء القوم
 ثأرهم ففسلوا ذلك العار عنهم ، فكأنهم بذلك حفظوا عهد من غاب عنهم . قال أبو هلال :
 والوجه الأول - أي عيبة الغائبين - أجود ، لقوله كشفوا ولم يقل حفظوا » .
 (٢) كذا وردت العبارة في جميع النسخ . ولها وجه في العربية يخرج على حذف المنصوب
 بكي ، فيكون تقدير الكلام : لكي يعرف ، إذا أبلغ عرف بها . قال صاحب التصريح في
 الكلام على (كي) : « فإن ادعوا - أي الكوفيون - أن حذف المنصوب وبقاء ناصبه
 قد ثبت في صحيح البخاري في تفسير : وجوه يومئذ ناضرة : كما فيعود ، أي كما يسجد .
 قلنا : إن ثبت حذف يسجد فهو غريب لا يقاس عليه » . فالحذف هنا على مذهب ضعيف .

ومعنى حَزَزْنَا قَطَعْنَا . والشَّرَاسِيفُ : مَقَاطُ الأَضْلَاعِ : والجِذَمُ : السَّيَاطُ .
وقوله « صَاحَتِ صِيَاحَ النَّسُورِ » ، يريدُ صَاحَتِ صِيَاحًا يُشْبِهُ صِيَاحَ النَّسُورِ ^(١) .
وإذا ظَرَفَ لِقَوْلِهِ حَزَزْنَا .

٤ - إذا الدَّهْرُ عَضَّتْكَ أَنْيَابُهُ لَدَى الشَّرِّ فَأَزِمْ بِهِ مَا أَزَمَ
هذا مَثَلٌ ، والذي أشار إليه بالأنياب نُوبُ الدَّهْرِ وحوادِثُهُ . وقوله
« فَأَزِمْ بِهِ » أى اعَضَضْ بِهِ ، والمعنى صَابِرُهُ . والتوسُّعُ فى الأَزْمِ والعَضُّ على
طريقة ^(٢) ، يقال : هذا عَضِيضٌ وأنا عَضِيضُهُ ، أى نَتَشَاكِسُ فى الأمرِ ^(٣) . وإن
لِعِضَاضِ عَيْشٍ ، أى صَبُورٍ على شِدَّتِهِ . و « مَا أَزَمَ » ما مع الفعل فى تقدير
المصدر ، واسمُ الزَّمانِ محذوفٌ معه ، فهو فى موضع الظَّرْفِ ^(٤) . والمعنى : اعضَضْ
به مُدَّةَ عَضِّهِ بك . ورواهُ بعضهم : « فَأَزِمْ لَهُ مَا رَزَمَ » ، والمعنى : اثبُتْ لَهُ
ما ثبُتَ لَكَ . وإنما قال « فَأَزِمْ بِهِ » طلباً للمطابقةِ والموافقَةِ ^(٥) . على هذا قوله
تعالى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ ، والثانى ليس باعتداء ، بل هو
جزاؤه . وجوابُ إذا قوله « فَأَزِمْ بِهِ » وهو العامل فيه .

٥ - ولا تُلَفَ فى شَرِّهِ هَائِبًا كَأَنَّكَ فىهِ مُسِرُّ السَّقَمِ
فى شَرِّهِ ، أى فى شَرِّ الدَّهْرِ . يقول : لا تُوجَدَنَّ فىما تُدْفَعُ إليه وتُمْتَحَنُ
به من نوائبِ الدَّهْرِ خائفاً متهيِّباً مستشعِراً لليأس من النَّجَاحِ ، وانقلابِ الأمرِ

(١) التبريزى : « صياح النسور ، أى أصواتاً قصيرة ... وقال أبو هلال : يقول لإنها قد
عودت ترك الصهيل فى الغزو ، فإذا صاحت صياح النسور لأمر يعرض لها - وهو صوت واحد
ضربناها بالسياط ، لتذكر العادة » .

(٢) العضيض فسر فى اللسان بأنه القرن ، وفى القاموس بأنه القرن .

(٣) أى على طريقة واحدة .

(٤) هو ما يعبر عنه الإعرابيون بقولهم : ما مصدرية ظرفية .

(٥) هو ما يسميه البلاغيون المشاكلة .

إلى الخير والصلاح ، فتكون بمنزلة مَنْ به داءٌ عُضالٌ لَزِمَهُ ، فأعياه مُداواتُهُ حتى
يئسَ من إقلاعه وذهابه ، فجعل يَكْتُمُهُ ويُخْفِي أثره ، وهو خائفٌ مما يتعقبه .
ورواه بعضهم : « مُشِرُّ السَّكَمِ » ، أى مُظهِرُهُ . وهذا كما رُوِيَ بِدَيْتِ
امْرِئِ الْقَيْسِ :

* لَوْ يُشِرُّونَ مَقْتَلِي (١) *

وَأُنشِدَ فِيهِ :

* وَحَتَّى أُشِرَّتْ بِالْأَكْفِ الْمَصَاحِفِ (٢) *

ومعناه تَقَمُّ لَمَّا تَقَامِيهِ ، وتُخَافُ نُزُولَ أَمثَالِهِ ، فتَنخِزِلُ وتَنقَطِعُ ، فِعْلٌ
الْوَصْبِ الْمَرِيضِ إِذَا اشْتَكَى مِمَّا بِهِ .

٦- عَرَضْنَا نَزَالَ فَلَمْ يَنْزِلُوا وَكَانَتْ نَزَالَ عَلَيْهِمْ أَطَمٌ

يقول : عَرَضْنَا عَلَيْهِمُ الْمُنَازَلَةَ فَقَلْنَا نَزَالَ ، لَمَّا ضَاقَ مَجَالُ الْخَيْلِ عَنِ
الطَّرَادِ ، فَتَكَرَّهُوا وَلَمْ يَنْشَطُوا لَهُ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْعَرَضَةُ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ
وَأَغْلَبَ لَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَلْفَاظِ التَّدَاعَى وَالتَّجَادِبِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي لَفْظَةِ
نَزَالَ وَبِنَائِهِ وَتَأْنِيثِهِ وَحَقِيقَتِهِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ (٣) . وَمَعْنَى « أَطَمٌ » يَقَالُ طَمَّ
الْبَحْرُ ، إِذَا غَلَبَ سَائِرَ الْبُحُورِ . وَالطَّامَّةُ : الْخَصْلَةُ الَّتِي تَطُمُّ عَلَى مَا سِوَاهَا .
وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ ، يَرَادُ بِهِ الْقِيَامَةُ .

٧- وَقَدْ شَبَّهُوا الْعَيْرَ أَفْرَاسَنَا فَقَدْ وَجَدُوا مَيْرَهَا ذَا بَشَمِ (٤)

(١) وَالرَّوَايَةُ الْمَعْرُوفَةُ « لَوْ يَسْرُونَ » بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ . وَهُوَ بِتَامِهِ :

تَجَاوَزَتْ أَحْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعَشَرًا عَلَى حِرَاصَا لَوْ يَسْرُونَ مَقْتَلِي

(٢) لَكَعْبِ بْنِ جَعِيلٍ ، أَوْ الْحَصِينِ بْنِ الْحَمَامِ الْمَرِي ، يَذْكَرُ يَوْمَ صَفِينِ . وَصَدْرُهُ :

* فَا بَرَحُوا حَتَّى رَأَى اللَّهُ صَبْرَهُمْ *

(٣) انظُرْ مَا سَبَقَ فِي الْحَمَاسِيَةِ ٩ ص ٦٢ - ٦٣ .

(٤) يَرُودُ أَيْضًا : « ذَا شِمِ » . قَالَ أَبُو رِيَّاسٍ : الشِّمُّ الْبَرْدُ ، وَمَعْنَاهُ صَادَفُوا الْمَوْتَ : =

العير : الإبل عليها الميرة وغيرها . وقال بعضهم : هو من قولهم : عار الشيء : ذهب ، يعير ، وهي جماعات السفر ، ووزنه فَعْل ، جمع عائر ، كعائذ وعوذ ، إلا أن العين كسرت لتدل على الياء^(١) . والمير : مصدر مارهم يميروهم ، إذا نقل إليهم الميرة . والمعنى : لجهلهم بخصمهم ، وثقتهم بأنفسهم ، وتمكن البغي من اختيارهم ونظرهم ، عدونا غنيمة تفتنم ، وإبلأ بأحمالها تساق وتقتسم ، فقد استو بلوا عاقبة غنيمتهم ، وذاقوا وخامة ميرتهم . والبشم : الثقل ، يقال بشمت من الطعام ، وبغرت من الماء .

٢٦١

وقال آخر^(٢) :

- ١- أتاني عن أبي أنسٍ وعييدٌ فسألَ لَغَيْظَةَ الضَّحَّاكِ جِسْمِي^(٣)
٢- ولم أعصِ الأميرَ ولم أُرَبِّهُ ولم أسبقُ أبا أنسٍ بِرِغْمٍ^(٤)

هذه الأبيات إنما ختم بها الباب وإن لم تكن منه على عادته ، في إتباع المعنى بضده كثيرًا . والأغلب في الظن بقائلها أن يكون قصد بها الهزء والتلح . وفي طريقتها قول الآخر^(٥) :

= والموت بارد ، والسم بارد . ومنه قول خدش بن زهير :

بين الأملح والطرفاء تشدخهم زرق الأسنة في أطرافها شيم

(١) هذا تصريف نادر لكلمة « العير » .

(٢) في معجم البلدان (٣ : ٤٧٤) « قال الأسدي » . النبريزي : « وقال شقيق

ابن سليك الأسدي » وهو شاعر إسلامي ، يقول هذا الشعر معتذراً إلى الضحاك . وهو أبو أنس الضحاك بن قيس بن خالد الشيباني الفهري . شهد صفين مع معاوية ، وغلب على دمشق ، ودعا إلى بيعة ابن الزبير ، ثم دعا إلى نفسه . وقتل بمرج راهط سنة ٦٥ . الإصابة ٤١٦٤ . وتهذيب التهذيب .

(٣) النبريزي : « تغيض الضحاك » صوابه « تغيظ » ، كما في معجم البلدان .

(٤) النبريزي : « الأمير هو الضحاك بن قيس الفهري صاحب المرج » .

(٥) هو أبو دلالة ، كما في عيون الأخبار (١ : ١٦٤) والأغاني (٩ : ١١٩ - ١٢٠) .

إِنِّي أَعُوذُ بِرُوحِ أَنْ يُقَرَّبَنِي إِلَى الْقِتَالِ فَيَخْزِي بِي بَنُو أَسَدٍ (١)
 إِنَّ الْمُهَلَّبَ حُبَّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ وَلَمْ أَرِثْ نَجْدَةً فِي الْحَرْبِ عَنْ أَحَدٍ (٢)
 إِنَّ الدُّنُوَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ تَعَلَّمَهُ مِمَّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
 ولبعضهم :

بَاتَتْ تُسَخِّفُنِي هِنْدٌ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ (٣)
 يَا هِنْدُ لَا وَالَّذِي حَبَّجَ الْحَبِيبُ لُهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهْ أَدَبٍ (٤)
 لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَعِيهِمْ إِذَا دَعَتَهُمْ إِلَى أَهْوَالِهَا وَثَبُّوا (٥)
 وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَرْضَى فَعَالَهُمْ مَا الْقَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلْبُ
 وأبلغ منه قول الآخر :

اثنانِ مِنَّا يَغْلِبَانِ وَاحِدًا إِذَا تَعَاوَنَا وَكَانَ رَاقِدًا

فأما قوله « فسلَّ لغميظة الضحَّاك » فالضحَّاك اسم أبي أنسٍ . ومعنى سلَّ : ذابَ ، كجسَم من به السَّلالُ ، وهو داء معروف . وقال « غميظة » لأنه أراد المرَّة الواحدة ، وهذه الهاء تدخل في المصادر على اختلافها لهذا المعنى ، كالضربة والخزجة والإلمامة والاستخراجة . وقوله « ولم أربُّه » يروى بفتح الهمزة

(١) روح هذا ، هو روح بن حاتم المهلبي ، وكان أبو دلامة قد شهد معه الحرب فقال له روح : تقدم وقاتل . الأغاني : « إلى البراز » .
 (٢) وكذا في الأغاني وشرح التبريزي . وفي م ، ل والتميمورية وعيون الأخبار : « ورثكم » .

(٣) الأبيات في عيون الأخبار (١ : ١٦٤) والعقد (١ : ١٦٦) ، وفي ل والتميمورية وعيون الأخبار والعقد : « تشجعتي » . وأشير في هامش ل إلى رواية « تسخفني » ولم تنص المعاجم على « التسخيف » فإن صحت كانت بمعنى النسبة إلى السخف وهو الضعف .

(٤) في العيون : « لا والذي حجت الأنصار كعبته » . وفي العقد : « لا والذي منع الأبصار رؤيته » . وفي العيون : « من له أرب » أي من له عقل . وفي حواشي ل : « أرب بالراء محتمل أيضاً ، أي عقل » .

(٥) العيون : « إلى حوابها » ، العقد : « إلى نيرانها » .

وَضَمَّهَا ؛ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّهُ يُقَالُ رَابَهُ الدَّهْرُ إِذَا قَصَدَهُ بَرِيْبُهُ وَحَوَادِثُهُ ؛ وَأَرَابَهُ :
أَتَاءَ بَرِيْبَةٍ . وَالْوَعْمُ : التَّرَةُ وَالذَّخْلُ .

٣- وَلَكِنُّ البُعُوثَ جَرَّتْ عَلَيْنَا فَصِرْنَا بَيْنَ تَطْوِيحٍ وَغُرْمٍ (١)

٤- وَخَافَتْ مِنْ جِبَالِ السُّغْدِ نَفْسِي وَخَافَتْ مِنْ جِبَالِ خَوَارَزْمٍ (٢)

قَوْلُهُ « وَلَكِنُّ البُعُوثَ جَرَّتْ عَلَيْنَا » يُقَالُ ضُرِبَ البَعْثُ عَلَى الجُنْدِ ،
وَأَجْرِي البَعْثُ عَلَيْهِمْ ، أَيْ بُعِثُوا إِلَى العَدُوِّ . وَجَمَعَهُ فَقَالَ البُعُوثُ ، لِاخْتِلَافِهِ
وَتَكَرُّرِهِ . وَهَذَا كَمَا يُجْمَعُ الضَّرْبُ عَلَى الضُّرُوبِ وَالْفَنُّ عَلَى الفُنُونِ . وَالتَّطْوِيحُ :
التَّبْعِيدُ فِي الأَرْضِ ، وَالحَمْلُ عَلَى رُكُوبِ المِهَالِكِ . وَيُقَالُ طَوَّحُوا وَطُيِّحُوا جَمِيعًا .

٥- وَقَارَعْتُ البُعُوثَ وَقَارَعُونِي فَفَازَ بِضَجْعَةٍ فِي الحَيِّ سَهْمِي (٣)

٦- فَأَعْطَيْتُ الجَمَالَهَ مُسْتَمِيمًا خَفِيفَ الحَاذِ مِنْ فِتْيَانِ جَرَمٍ

قَوْلُهُ « قَارَعْتُ البُعُوثَ » يَرِيدُ بِهِ سَاهَمْتُهُمْ ، وَالقُرْعَةُ الأَسْمُ . وَيُقَالُ :
هُوَ قَرِيْبِي أَيْ مُقَارِعِي ، كَمَا يُقَالُ هُوَ خَصِيْمِي . وَقَوْلُهُ « البُعُوثَ » أَرَادَ أَصْحَابَ
البُعُوثِ ، فَحَذَفَ المِضَافَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَمَّى المَبْعُوثِ بَعَثًا ثُمَّ جَمَعَهُ ، وَهَذَا
عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الوَصْفِ بِأَسْمِ الحَدَثِ . وَقَوْلُهُ « فَازَ بِضَجْعَةٍ فِي الحَيِّ سَهْمِي »
أَيْ خَرَجَ (٤) قَدْحِي بِاضْطِجَاعِي وَرَاحَتِي . وَيُقَالُ رَجُلٌ ضَجُجِيٌّ بِضَمِّ الضَّادِ

(١) التبريزي : « جنت علينا » ويبدو أنه تحريف في النسخة ، لأنه ذكر في التفسير :

« ضرب البعث على الجند ، وأجرى البعث عليهم » .

(٢) التبريزي : « وىروى خواءرزم » .

(٣) التبريزي وياقوت : « وقارعتنى » .

(٤) فى الأصل : « ضرج » ، صوابه فى سائر النسخ .

وكسرها ، وضُجَعَةٌ ، للعاجز اللازم مَنزِلُهُ ، ومنه قيل للنُّجُومِ الثَّوَابِتِ : الضَّوَّاجِعُ . وقوله « أُعْطِيتُ الجِمالَةَ » ، يريدُ أُعْطِيتُ الرِّشْوَةَ لِنَائِبِ عَنِّي من بنى جَرِّمٍ ، خفيفِ الحالِ فقيرٌ ، رَضِيَ بِالْمُوتِ وَعَمَّرَ صُ بِنَفْسِهِ لَهُ ، لِأَسْعَدَ بِالرَّاحَةِ وَالسَّلَامَةِ ، وَيَشْقَى هُوَ بِالتَّعَبِ وَالتَّهْلُكَةِ^(١) . ويقال : فلانٌ خفيفُ الحاذِ ، أى الحالِ والمُؤُونَةِ ؛ وهما بِجَاذٍ واحدٍ ، أى بِحَالٍ واحدٍ .

تمَّ بابُ الحماسة ، بِحمدِ اللهِ الَّذِي هُوَ وَلِيُّ الحَمْدِ^(٢)

(١) ذكر التبريزى أنه عني بالمستमित حطان بن خفاف بن زهير بن عبد الله بن رمح ابن مرعرة بن نهار .

(٢) في نسخة ل : « تم باب الحماسة بِحمدِ اللهِ وحسن توفيقه في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

باب المراثي

فهذا ما رواه الناس .

وقد حكى أبو العباس في الكامل^(١) : أن خراشاً كان في القِدِّ مأسوراً ، وأن أسيرَهُ نَزَلَ به ضَيْفٌ فقام يَحْتَشِدُ له ، فنظر^(٢) ذلك الضيفُ إلى خراشٍ وكان مُلقًى وراء البيت ، فسألهُ عن حالهِ ونَسَبِهِ فشرحَ له قِصَّتَهُ وانقَسَبَ ، ففَقَطَعَ إيسارَهُ وخَلَّاهُ ، فلما رجعَ ربُّ البيت قال : أسيرى أسيرى !! وأراد السَّعْيَ في أثرِهِ ، فوترَ قوسَهُ وحَلَفَ أنه إن تَبِعَهُ رماه .
وقد ذَكَرَ أن مُلقًى الرِّداءِ كان مُجتازاً بعُرْوَةٍ ، فرآه بادي العورةِ مصروعاً ، ففَعَلَ ذلك به^(٣) . فهذا قِصَّتُهُ على الاختلاف فيه .

وقوله « حَمِدْتُ إلهي » رُوي : « حَمِدْتُ الإله » ، وَقَالَ ما يقع في الاستعمال الإلهُ معرفاً باللام^(٤) ، وقد أتى به على أصلهِ ، إذ كانت العادة جرتُ باستعمال لفظة الله بدلَهُ ، حتى جَرَى مجرى الألقاب في أن يكون مقدِّماً وسائر الصِّفاتِ تَبِعَهُ . ومعنى اللفظة : الذي تَحِقُّ له العبادةُ . والحمدُ يَجْرِي مجرى الشكر ، إلا أنه يُستعمل في مُسَدِّدِ الإحسانِ ، وفي مَنْ رُضِيَتْ أفعاله وإن لم يكن منه إحسان ، فيقال : حَمِدْتُ فلاناً على اصطناعِهِ لي ، وحَمَدْتُهُ على بَراعَتِهِ وفضلِهِ ؛ والشكر لا يُستعمل إلا فيمن يكون منه إسداء معروفٍ وأخذُ بإحسان . والمعنى

(١) الكامل ٣٣٧ لبسك .

(٢) في الأصل : « فنزل » ، صوابه في سائر النسخ وشرح التبريزي .

(٣) كان العرب كذلك يفعلون ، يمر الرجل بالقتيل فيأق عليه ثوبه يستره به . انظر

الفضلية ٦٧ وقول متمم بن نويرة في البيت الثاني منها :

لقد كفن المنهال تحت رداءه فتي غير مبطن العشيات أروعا

(٤) ومن هذا القليل قول أمية بن أبي الصلت :

له ما رأت عين البصير وفوقه سماء الإله فوق سبع سمائيا

سيبويه (٢ : ٥٩) والحزانة (١ : ١١٨) . وقد سبق أيضاً قول عمرو بن كلثوم

في الحماسة ١٦٠ :

معاذ الإله أن تنوح نساؤنا على هالك أو أن نضج من القتل

أشكرُ اللهَ بعد ما اتَّفَقَ مِنْ قَتْلِ عُرْوَةَ ، على تَخْلِصِ خِرَاشِ ، و بعضُ الشرِّ
أخفُّ من الآخر . كأنه تصوَّرَ قتلَهُما جميعاً لو اتَّفَقَ ، فرأى قتلَ أحدهما أهون .
وهذا الكلام ، أعني « و بعض الشرِّ أهونُ من بعض » رَمَى به سَرَمَى الأمثال .
فإن قال قائلٌ : ليس في الشرِّ هَيِّنٌ ، وأفعلُ هذا يُستعملُ في مُشترِكينِ في صفةٍ
زاد أحدهما على الآخر ؛ لا تقولُ : زِيدْ أَفْصَلُ من عمرو ، إلا وقد اشترَكَ
في الفضلِ ، فكيف جاز أن يقولَ : و بعض الشرِّ أهونُ من بعض ، ولا هَيِّنَ
في الشرِّ ؟ قلتُ : إن للشرِّ مراتبَ ودرجاتٍ ، فإذا جئتَ إلى أحاديها ، وقد
تصوَّرتَ جملها ، ورُتِبَ الأحادِ فيها ، وجدتَ كلَّ نوعٍ منها بمُضامَّتِهِ للغير له
حالٌ في الخِفَّةِ أو الثَّقَلِ ، وإذا كان كذلك فلا يمتنعُ أن يُوصَفَ شيءٌ منه بأنه
أهونُ من غيره . ولا يُشَبَّه هذا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ
مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ ؛ لأنَّك إذا تصوَّرتَ حالَ أهلِ الجنَّةِ مع أهلِ النَّارِ
لم تجدِ ثمَّ مراتبَ متقاربةً يترقَّى الواصفُ في درجتها ، ويتصوَّرُ اشتراكهم
فيها ، إذ لم يكن ثمَّ مشاركةً البتَّةَ بوجهٍ من الوجوه . فالجامع بين الآية وبين
هذا وأشباهه خارجٌ عن الطَّرِيقَةِ . والصَّوابُ أن يقالَ في الآية : إنَّ المعنى :
أصحابُ الجنَّةِ يومئذٍ أحسنُ حالاً وأعظمُ شأنًا ، وأعلى درجةً ومكانًا ، وخيرٌ
مستقرًّا وأفضلُ مَقِيلًا ، من أن يُشَبَّهَ بشيءٍ ، أو يُحدِّدَ بوصفٍ ، فحذفَ منه
ما حذفَ . وعلى هذا يُحمَلُ قولُ المسلمين : اللهُ أكبرُ ، وما روى عن النبيِّ صلى
الله عليه وسلم أنه لما سمِعَ الكُفَّارَ يقولون : أعلُّ هُبَل ! قال : « اللهُ أعلُّ وأَجَلُّ ! » .

٢ - فوالله ما أنسى قَتِيلًا رُزِيَّتَهُ بجانبِ قَوْسِي ما مَشَيْتِ عَلَى الأَرْضِ (١)

(١) قوسى ضبطت في الأصول والتبريزى وكذا في أصل ديوان الهذليين (٢ : ١٥٨) بضم القاف ، وضبطت في القاموس وشرحه وكذا في معجم البلدان عند إنشاد هذه الآيات بفتح القاف ، قال ياقوت : « يجوز أن يكون فعلى من القوس بالضم وهو معبد الراهب ، أو من القوس وهو الزمان الصعب ، أو من الأقوس وهو الرجل المشرف . قيل : بلد بالسراة » .

تَعَلَّقَ الباءُ من قولِهِ « بجانِبِ » بقتيلاً ، كأنَّهُ قالَ : ما أنسى قتيلاً بجانِبِ قُوسِي رُزَيْتِهِ . وموضع رُزَيْتِهِ وبجانِبِ قُوسِي جميعاً صِفةٌ للقتيل ؛ وقد دَخَلَهُ بعضُ الاختصاصِ بذكرها . وقولُهُ « ما مَشَيْتُ » مامع الفعل في تقدير مصدرٍ حُذِفَ اسمُ الزَّمانِ معه ، كأنَّهُ قالَ : مُدَّةَ مَشْيِي على الأرض . وفي الكلام نَبِيَّةُ الشَّرْطِ والجزاء ، كأنَّهُ قالَ : لا أنسى قتيلاً رُزَيْتِهِ إنْ مَشَيْتُ على الأرض ، ومعناه إنْ بَقِيَتْ حَيًّا ، فلذلك وقع الماضي فيه في موضع المستقبل ، لأنَّ « ما مَشَيْتُ على الأرض » في موضع ما أمشي على الأرض ، وإنْ أَمْشِي على الأرض . فأَمَّا تَذَكُّرُهُ له أبداً فالوجه أن يكون عامًّا فيما يتعلق بالمتوفى وبمن يرثيه ، كأنَّهُ لا يَنْسَى أخلاقَهُ وطيبَ العيشِ معه ، ولا الامتناعَ بمكانه وشدةَ الفاقةِ إلى حياته ، فلا يَنْسَى ما يلزمه في قضاءِ ذِمَّامه وطلبِ دمه ، ومكافأةِ أعدائه وقَاتِلِيهِ ، إلى غير ذلك . يشهد لهذا الذي قلناه ما يحىء كثيراً في هذا الباب من قولهم « هَوَّنَ وَجَدِي أني لم أفعلْ كذا » و « يذكُرُنِي مِن فلانِ كذا » ، وما يجري هذا الجرى ، ويجوز أن يكون قالَ : لا أنساهُ ، تعظيماً للمصيبة به ، وتفظيماً للحالِ المعترضةِ فيه ، وعلى عادة قولِ النَّاسِ عند النازلةِ الهائلةِ ، والنائبةِ السَّكارِبةِ : لا يُنْسِينِي هذا شيءٌ ، وهو نَصَبَ عَمِيْنِي إلى أن أموتَ ، وللمعنى : لا يُرَى أعظم منه .

٣ - على أنها تعفو الكلوم وإنما نوكل بالأدنى وإن جلا ما يمضي مثله قول الأحوص :

إنَّ القَديمَ وإن جَلَّتْ رُزَيْتُهُ يَنْضُو فَيَنْسَى وَيَبقى الحادِثُ الأَنْفُ
وقوله « على أنها تعفو الكلوم » يجري مجرى الاعتذار منه والاستدراك على نفسه فيما أطلقه من قوله : لا أنسى قتيلاً رُزَيْتَهُ مُدَّةَ حَيَاتِي . يكشف هذا أن موضع « على أنها تعفو الكلوم » من الإعراب نصبٌ على الحال ، والعامل فيه

ما أنسى قتيلاً . وهذا كما تقول : ما أترك حقَّ فلانٍ على ظلعٍ بي ، كأنَّ التقدير
أودَّيه ظالماً ، فعلى المثال الذي ذكرنا يحىء ما أنسى قتيلاً رزئتُه على عفاء الكلوم ،
أى أذكره عافياً كمنى كسائر الكلوم . ويعنى بالكلم : الحزنة عند ابتداء الفجعة .
وإنما قال هذا لأنَّ الإنسان بكونه مُهدِفاً للأحداث ، غرضاً للمصائب والأرزاء ،
موزع الحال بين ما يتجدد له أو يبلى ، مُقسِّم الصبر في أثناء ذلك على ما يحدثُ
أو يتوَلَّى ، فلذلك قال « نُوكِّلُ بالأدنى وإنَّ جَلَّ ما يمضى » فهذا بيان كون
الكلام اعتذاراً . وقوله « على أنها » الضمير للقصة ، وخبر أنَّ الجملة بعدها ،
ولو قال : على أنه لجاز وكان الضمير للشأن والأمر . والمراد : على أنَّ القصة
إذا اقتضت ، والصورة إذا تحققت ، أنَّ الجروح تعفو ، وإنما الجزعُ للأقرب
منها فالأقرب يتسلط فيعلو . وهذا كما سئل بعضهم : ما أشدُّ الأذواء ؟ فقال :
ما يحضرك ، وإن برَّح بك ما غاب ! ويقال عفا الشيء ، إذا درَس عفاءً
وعفواً ، وتَعَفَّى أيضاً ، وعفته الرِّيح ، وعفا الشيء : كثر عفواً وعفوته . قال
أبو زيد : يقال عفوتُ صوف الشاة ، إذا أخذته ، وعفوته إذا وفرته ، فهو من
الأضداد . وأبلغ مما قاله قول الآخر (١) :

فلم تُنسيني أوفى المصيبات بَعْدَهُ ولكنَّ نكء القرح بالقرح أوجعُ
ع - ولم أدرِ مَنْ ألقى عليه رداءهُ ولكنَّهُ قد سئل عن ماجدٍ مخضٍ (٢)

ويجوز أن يكون « من » بمعنى الذى فيكون فى موضع المفعول ، « وألقى
عليه رداءهُ » صلته ، ويجوز أن يكون [مَنْ (٣)] استفهاماً مبتدأً وألقى عليه
رداءه فى موضع الخبر ، ويكون الجملة فى موضع المفعول لـ « لم أدرِ » . وتحقيق

(١) هو مسعود أخوذى الرمة يرثى ابن عمه أوفى بن دهم . انظر تحقيق هذا مذهباً فى
حواشى البيان (٢ : ١٩٢) .

(٢) كذا رواية الأصل والديوان . لكن فى سائر النسخ والتبريزى : « على أنه

قد سل (٣) التكملة مما عدا الأصل .

« .

الكلام : لم أدر ما يقتضى هذا السؤال ، لأنّ الذى خفيّ عليه ذات الملقى واسمه لا فعله . وموضع « على أنه » نصبٌ فى موضع الحال ، كأنّه قال : أدريه مسلولاً من ماجدٍ محضٍ . ويروى : « سوى أنه قد سئل » ويكون موضع سوى من الإعراب نصباً على أنه استثناء خارجٌ ، ألا ترى أنه يقاين أن يجعل مكانه لكن ، والتقدير : لا أعرف اسمه ونسبه ، إلا أنه ولدٌ كريمٍ بما ظهر من فعله . والمستثنى قد انقطع عن الأول ، ألا ترى أنه قد عرفه بدلالته وإن لم يعرف نفسه وذاته . ومعنى البيت : ولا أعلم الذى اهتدى لهذه المكرمة فى بابِ ابني خراش ، واكنه كريم الأصل شريفُ الفرع ، مؤثّرٌ لفعل الصنّيعَةِ كيف اتفقت ، لا يُراعى وجوبها ولا زكائها . وأصل المجدِ الكثرة ، يُقال أجدتُ الدابة العلفَ ، إذا كثرت له . وأراد بالحض صفاء النسب .

٥ — ولم يك مثلوج الفؤادٍ مهَّبَجًا أضاع الشَّبَابَ فى الرِّبِيلَةِ والخَفْضِ

قوله « ولم يك » حذف النون من يَكُنْ لكثرة الاستعمال لهذه اللفظة ، ومضارعة النون لحروف المدِّ واللين ، وقد مَضَى مثله . وقوله « مثلوج الفؤادِ » أى بارد الفؤاد غير ذكى ولا حديدٍ . والمهَّبَجُ : المتورّم ، يقال هَبَّجَهُ بالعصا فهَبَّجَ وتَهَبَّجَ ، إذا ضربهُ بها فاتفخ وتورّم . والرِّبِيلَةُ ، أصلها الرُّطوبَةُ والسَّمْنُ . يقال : رجلٌ رَبْلٌ ، وبئرٌ ذاتُ رَبَالَةٍ ، إذا كانت ناجمة الماء فى الماشية تَسْمَنُ عليه . والرَّبْلُ : ما تَقَطَّرَ من الورق فى آخر الصَّيفِ بِبَرْدِ اللَّيْلِ . يقال : هُمُ يترَبَّلون . والرِّبَالُ من أسماء الأسد إذا لم يهْمَزْ ، يجوز أن يكون فيعلاً من هذا ، لتربُّله وعظمه . والخَفْضُ : الدَّعَةُ وتركُ السَّفَرِ . رمعى البيت : أنه رجَعَ إلى صفة عروة فقال : كان ذكىّ الفؤادِ شهماً ، نافذاً فى الأمور ، حىّ القلب ، لا آفةَ به فيتورّم جِلْدُه أو يتغيّر لونه ، ولم يكن ممن ضيّع شبابه فى التودّع

وصلاح البدن ، حتى كان يترك السفر واكتساب الأحدث بما يمتن فيه
الأنفس ، ويتعرض من أجله للتلف .

٦- ولكنّه قد نازعته مجاوِعٌ على أنه ذو مرّة صادق النهض^(١)

لكن الخففة استدراك بعد نفي ، والمشددة وإن كان للتحقيق فيه معناه .

فلما نفي عنه ما قدمه في البيت الذي قبله^(٢) ، استدرك على نفسه إثبات ما يتضمّن

هذا البيت له . ويروى « ولكنّه قد لوحتّه مخامصٌ » ، ومعنى لوحتّه غيرته ،

والمخامص : جمع مخمصة ، وهي خلاء البطن من الطعام جوعاً . وفي الحديث :

« تغدو الطيرُ خماً وتروحُ بطاناً » . والمجاوع مثل المخامص . والحصل التي

تحمل النفوس على الصبر على الجوع والخماسة مخامصٌ ومجاوعٌ . فيقول :

كما انتفى عنه تلك الأوصافُ الذميمة جاذبته في مساعيه ومتصرفاته لمباغيه

الشريفة ومطالبه مجاوِعٌ أو مخامصٌ ، يريد خصالاً تجوِّع فيها النفس وتُفطمُ

فيها عن لذيذ الطعم ؛ وهو ذو قوّة ، إذا نهض في الأمور صدق فيها . ولم يكذب

فعل من يأتي الشيء تعذيراً أو ريباً . وقوله « صادق النهض » جعل الصدق

للنهض وإن كان الفعلان له ولذلك كان نكرةً تقديره : ذومرّة صادق نهضته ،

وأصل النهوض البراح من الأرض ، ومنه الناهض : الفرخ الذي وفرّ جناحاه

فنهض للطيران .

(١) الديوان : « قد نازعته مخامص » .

(٢) كذا في الأصل . وفي سائر النسخ : « الذي يليه » ، أي الذي يليه هذا ، فالعنى

يستقيم بكل منهما .

٢٦٣

وقال عبدة بن الطبيب^(١) :

١ — عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

حيّاه بقوله : « عليك سلام الله ورحمته » وهكذا تحية الموتى ، بتقديم عليك ، والمعنى : عليك من الله السلامة ! وسلامته وقد مات ، في توفر الرحمة عليه ، لذلك قال « ما شاء أن يترحما » ، فاستدام له التحية بقوله : ما شاء أن يترحم ؛ لأن الترحم من الله دائم ، لاتصال رحمته في خلقه ، فكانه قال : توفرت عليك الرحمة ما شاء أن يترحم . وقوله « ما شاء » ما مع الفعل في تقدير مصدر ، وهو في موضع الظرف ، والمصادر يُحذف معها أسماء الزمان كثيراً ، فالتقدير : مدة مشيئته للرحمة . والسلام من أسماء الله تعالى ، مصدر في الأصل ، والمراد به ذو السلامة . وليس في أسمائه تعالى ما هو مصدر إلا هذا ، وقولهم إله ، والباقي كُله صفات . وقوله « قيس ابن عاصم » هو على لغة من لا يُنوّن في غير النداء^(٢) ، ومن ينوّن يقول قَيْسُ فَيُنِيهِ عَلَى الضَّمِّ .

(١) التبريزي : « عبدة واحدة العبد ، وهو نبت ، وهو من بني عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم » . وعبدة هذا بسكون الباء ، وأما علقمة بن عبدة الفحل فبفتحها . والطبيب اسمه يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد نهم بن جشم . وعبدة شاعر مقل مجيد ، وهو مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، وشهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان في جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا الفرس بالمدائن . وكان عبدة أسود ، وهو من لصوص الرباب . انظر الإصابة والأغانى (١٨ : ١٦٣ — ١٦٤) واللائى ٦٩ — ٧٠ والشعر والشعراء ٧٠٥ .

(٢) أى لا ينون الأعلام الموصوفة بالأبناء المضافة إلى الأعلام ، وهى اللغة الغالبة . وفى غير الغالب أن ينون ، فيقول في غير النداء : رحم الله قيساً ابن عاصم . والمعروف عند النحويين أن التنوين إنما يكون فى الضرورة لا فى الاختيار ، وذلك كقول الراجز :
جارية من قيس بن ثعلبه تزوجت شيخاً غليظ الرقبه
انظر هم الهوامع (١ : ١٧٦) والتصريح (٢ : ١٧٠) .

٢ - تَحِيَّةٌ مِنْ غَادِرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى إِذَا زَارَ عَنْ شَحَطِ بِلَادِكَ سَلَمًا^(١)

انتَصَبَ « تَحِيَّةٌ » عَلَى الْمَصْدَرِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَحْيِيكَ تَحِيَّةً مِنْ غَادِرْتَهُ . وَ « مِنْ غَادِرْتَهُ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْ مَعْرِفَةٌ فِي مَوْضِعِ الَّذِي وَغَادِرْتَهُ مِنْ صِلْتِهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَكِيرَةً فِي مَوْضِعِ إِنْسَانٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَحِيَّةُ إِنْسَانٍ هَكَذَا ، فَيَكُونُ غَادِرْتَهُ صِفَةً لَهُ . وَانْتَصَبَ « غَرَضَ الرَّدَى » عَلَى الْحَالِ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ النَّكِيرَةِ وَإِنْ كَانَ مُضَافًا إِلَى مَا فِيهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ ، لِأَنَّ غَرَضَ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الصَّنْءِ ، كَأَنَّهُ قَالَ غَادِرْتَهُ مِنْصُوبًا لِلرَّدَى وَهَدَفًا لَهُ . وَقَوْلُهُ « إِذَا زَارَ عَنْ شَحَطِ بِلَادِكَ سَلَمًا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الصَّنْءِ لَغَرَضِ الرَّدَى أَوْ حَالًا لَهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ إِذَا جَعَلْتَ مَنْ مَعْرِفَةً ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْبَدَلِ مِنْ غَادِرْتَهُ إِذَا جَعَلْتَهُ صِلَةً . وَقَوْلُهُ « عَنْ شَحَطِ » أَرَادَ بَعْدَ شَحَطِ أَيْ بَعْدِ . يُقَالُ : شَحَطَ يَشْحَطُ شَحْطًا وَشَحُوطًا . وَكَأَنَّهُ أَشَارَ بِهِ إِلَى بَعْدِ الْمَزَارِ وَالْعَهْدِ جَمِيعًا . وَقَوْلُهُ « سَلَمًا » جَوَابُ إِذَا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَحْيِيكَ تَحِيَّةً الرَّجُلِ الَّذِي غَادِرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى ، أَوْ تَحِيَّةً إِنْسَانٍ هَكَذَا ، عَلَى التَّقْدِيرِ . أَيْ تَرَكْتَهُ مُهْدِفًا لِلْمَهَالِكِ وَالْمَعَاظِبِ ، وَبِمَدْرَجَةِ الْآفَاتِ وَالنَّوَائِبِ ، أَشَدَّ مَا كَانَ حَاجَةً إِلَيْكَ ، لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُلْتَجَأً ، وَلَا مُسْتَعْتَدًا وَلَا مُعْتَمَدًا ، وَإِذَا أَرَادَ قَضَاءَ

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : غرض الردى بالعين معجمة ، أي هدف الردى صباح مساء . وهذه صفة لجميع الناس ، وليس فيه تخصيص لأحد . والجيد عرض الردى ، بالعين غير معجمة ، من قولهم : فلان بعرض الأمر ، أي بحيث يناله ولا يخطئه . وإذا كان كذلك عاش عيشة نكدة لتوقعه له ، لأنه بصدده . أي جعله هذا الميث معرضاً للأعداء ينالونه كيف يريدون . وقال النمرى : يروى بالعين وبالعين ، فقال أبو محمد الأعرابي : هذا موضع المثل :
أعيتك حمر الوحش أن تصطادها فعبأت رححك للحجار الآهل

ذكر نبذاً من الحروف ، وأعرض عن تفسير قوله إذا زاد عن شحط بلادك سلماً . ومعنى ذلك أن قيس بن عاصم كان كثير الإفضال على عبدة بن الطبيب فآلى عبدة ألا يخرج في سفر إلا بدأ بتوديعه ، وإذا قدم منه بدأ بزيارته والتسليم عليه ، فكان ذلك دأبه في حياته ، وفي زيارة قبره بعد وفاته .

حَقِّكَ ، أو زيارَتَكَ للتسلى بك ، فقطع المسافةَ بينه وبينك لم يَرَزَأْكَ شيئاً إلاّ تسليماً عليك . وهذا الكلام تصرّيح باليأس منه ، وإظهارٌ للحاجة إليه .

٣- فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكٌ واحِدٍ ولكنَّهُ بُنيانُ قومٍ تَهْدَمًا^(١)

يجوز أن يروى « هُلْكٌ » بالنصب والرفع ، فإذا نصبتَ كان هُلْكُهُ في موضع البدل من قيسٍ وهُلْكٌ ينتصب على أنه خبر كان ، كأنه قال : فما كان هُلْكٌ قيسٍ هلك واحد من الناس ، بل مات بموته خلقٌ كثير ، وتقرّضَ بينيتيه وعزّه بنيانٌ رفيع . وإذا رفعتَهُ كان هلكه في موضع المبتدأ ، وهُلْكٌ واحدٍ في موضع الخبر ، والجملة في موضع النصب على أنه خبرٌ كان . ويشبه هذا البيت قولُ امرئ القيس :

فلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً ولكنّها نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفَسًا
إذا رَوِيَتْ « تُسَاقِطُ » بضمّ التاء^(٢) . ومثلُهُمَا وإن كان أَعْمَضَ قولُ
الهذليّ^(٣) :

مُطَاطَاةٌ لم يُنْبِطُوهَا وَإِنِّهَا ليرِضَى بِهَا فُرَّاطُهَا أُمَّ واحِدٍ
لأنّ المعنى أنّ الفرّاط لما حَفَرُوا القبرَ رَضُوا بأن يضعوا فيه واحِدًا ، فإذا هم
يدفنون بدفنيه خلقًا كثيرًا .

وصلحَ قوله « ولكنَّهُ بُنيانُ قومٍ تَهْدَمًا » في مقابلةِ « فما كان قيسٌ هُلْكُهُ » لمعناهُ الموافق له ، وذلك أنّ البُنيانَ وتَهْدَمُهُ لم يكن إلاّ لموت أربابه .

(١) قال أبو عمرو بن العلاء : هذا البيت أرثي بيت قيل . وقال ابن الأعرابي : هو قائم بنفسه ، ماله نظير في الجاهلية ولا الإسلام .

(٢) الرواية الأخرى : « تَسَاقِطُ » ، أى تتساقط .

(٣) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ١٢٣) .

٢٦٤

وقال هشامُ أخو ذى الرِّمَّة^(١) :

١ — تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغِيْلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفَنُ الْعَيْنِ مَلَانَ مُتْرَعُ
 هِشَامُ هَذَا فُجِّعَ بِأَخِيهِ أَوْفَى ، وَأَتَى عَلَيْهِ زَمَانٌ مَقَاسِيًا لآلَامِ الْفَجِيْعَةِ بِهِ ،
 ثُمَّ أُصِيبَ بَعْدَهُ بَغِيْلَانَ — وَهُوَ ذُو الرِّمَّةِ — فَيَقُولُ : تَسَلَيْتُ عَنْ الرِّزِيَّةِ
 بِأَوْفَى أَخِي ، بَعْدَ أَنْ أُصِيبْتُ بِغِيْلَانَ عَقِيْبَهُ ، وَجَفَنُ عَيْنِي مَمْلُوءٌ دَمْعًا ، عَزَاءً .
 وَانْتَصَبَ « عَزَاءً » عَلَى الْمَصْدَرِ ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ مَوْضِعُ التَّعَزَّى ، وَالْفِعْلُ مِنَ
 الْعَزَاءِ عَزَى^(٢) وَعَزَى جَمِيعًا ، أَيْ صَبَرَ . وَيُقَالُ : هُوَ حَسَنُ الْعِرْزَةِ ،
 أَيْ الْعَزَاءِ ، وَبِنَاءِ تَعَزَّى بِنَاءِ تَكَلَّفٍ . وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ « وَجَفَنُ الْعَيْنِ » وَوَاوُ
 الْجَمَالِ ، وَالْعَامِلُ فِي مَوْضِعِ الْجُمْلَةِ تَعَزَّيْتُ . وَفَائِدَةُ اقْتِرَانِ هَذِهِ الْجَمَالِ بِمَا قَبْلَهُ هُوَ
 أَنْ يَتَبَيَّنَ بِهِ ضَعْفُ الْعَزَاءِ الْمَشَارِإِلَيْهِ ؛ لِأَنَّ الْعَزَاءَ الْمُتَكَلَّفَ إِذَا صَحِبَهُ الْبُكَاءُ لَمْ
 يَكُنْ عَزَاءً فِي الْحَقِيْقَةِ ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْجُمْلَةُ الَّتِي هِيَ « وَجَفَنُ الْعَيْنِ مَلَانَ »
 فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِعَزَاءٍ ، لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ رَأَيْتُ رَجُلًا وَمَعَهُ غُلَامُهُ ، مَعْنَاهُ رَجُلًا
 بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، فَكَذَلِكَ يَكُونُ الْمَرَادُ عَزَاءً بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَهِيَ أَنْ يَصْحَبَهُ الْبُكَاءُ .
 وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِي مَوْضِعِ قَوْلِهِ « وَجَفَنُ الْعَيْنِ » عَزَاءً إِذَا جَعَلْتَهُ حَالًا ؛
 لِأَنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَى الْفِعْلِ ، وَعَزَاءً مَعْمُولُهُ ، وَالْمَصْدَرُ وَقَدْ تَبِعَ الْفِعْلَ مَعْمُولًا لَهُ

(١) التبريزى : « وقال هشام بن عقبة العدوى أخو ذى الرمة يرثى أوفى بن دهم ،
 وذا الرمة غيلان . وقال أبو هلال : كان لذى الرمة ثلاثة إخوة : أوفى ، وهشام ، وجرفاس ،
 وكانوا يقولون الشعر ، فغلب ذو الرمة على شعرهم » . وفى الشعراء ١٠٥١٠ أن إخوته أوفى
 وهشام ومسعود ، فات أوفى ثم مات بعده ذو الرمة ، فقال مسعود هذا الشعر فى رثائهما . وفى
 الأغاني (١٦ : ١٠٧) أن هذا الشعر لمسعود أحمى ذى الرمة يرثى به أخاه ذا الرمة وابن عمه
 أوفى بن دهم .

(٢) رسمت فى ل والتيمورية « عزا » بالألف . والذى فى المعاجم المتداولة « عزى »
 كفجرح فقط .

يؤكِّدُه لا يعملُ في غيره عمله ، ولا فعلَ معه . وقوله « مُتَرَعٌ » أراد الامتلاء
وزيادةً ، وهو الانصباب . يقال أترعتُ الإناءَ ، إذا ملأتهُ مَلَأً يَضِيقُ عَمَّا
يحويه حتى يَنْصَبَ منه . ويقال ترعَ الإناءُ وأُترِعَ بما فيه . والمتَرَعُ : المُسْرَعُ
إلى الشرِّ المُقْتَحَمِ فيه ، منه . وجعل الامتلاء للجفن لأنه مُمْسِكُ الدَّمعِ ، وأصل
الجفن الحبس ، لذلك قيل لقرباب السيف : جَفْنٌ .

٢- نَعَى الرَّكْبُ أَوْ فِي حِينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءُوا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا

٣- نَعَوْا بِاسِقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلَفُونَهُ تَكَادُ الْجِبَالُ الضَّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ

أَتَبَعَ مَا تَقَدَّمَ بِاقتِصَاصِ نَعَى الرَّكْبَانِ لِأَوْفَى ، كأنه أراد أن يذكر ابتداء
المُصَابِ بِهِ لِيَتَبَيَّنَ كَيْفَ تَوَفَّرَ الْجَزَعُ عَلَيْهِ ، وكيف انصرف ما انصرفَ منه إلى
ما تَعَقَّبَهُ مِنَ الْمُصَابِ الثَّانِي ، فيقول : ذَكَرَ الرَّكْبَانُ مَوْتَ أَوْفَى عِنْدَ إِيَابِهِمْ ،
وَلَعَمْرِي لَقَدْ ذَكَرُوا شَرًّا عَظِيمًا ، وَأَوْجَعُوا قَلْبًا سَلِيمًا . وقوله « نَعَوْا بِاسِقِ
الْأَفْعَالِ » أعاد ذِكْرَ النَّعْيِ تَفْظِيمًا لِلشَّانِ . ويقالُ نَعَى نَعِيًّا وَنَعِيًّا وَنَعِيَانًا ،
أَي خَبَّرَ بِالْمَوْتِ . وَقَوْلُهُمْ : نَعَاءُ فَلَانًا ، لَفْظَةٌ يُشْهَرُونَ بِهَا مَوْتَ الرَّئِيسِ . وَمَعْنَى
« بِاسِقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلَفُونَهُ » أَنَّهُمْ ذَكَرُوا مَوْتَ رَجُلٍ عَلَى الشَّانِ ، شَرِيفِ
الْأَفْعَالِ ، رَفِيعِ الْحِكْمَةِ ، هُمْ بِأَجْمَعِهِمْ لَا يَقُومُونَ مَقَامَهُ فِيمَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ فِي الْحَيِّ
مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّحَمُّلِ عَنْهُمْ ، وَبَسْطِ الْخَيْرِ فِيهِمْ ، وَالبُسُوقِ فِي الْأَفْعَالِ ،
وهو فِي الْأَصْلِ الطَّوْلُ وَالاسْتِكْمَالُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ
غَايَتَهَا ، فَكُلُّ فِعْلٍ يَقَعُ مِنْ غَيْرِهِ إِذَا قِيسَ إِلَى مَا يَأْتِيهِ يَتَضَعُ دُونَهُ ، وَيَنْحَطُّ
عَنْ رَتْبَتِهِ ، فَلَا يَعْلُو عُلوَّهُ ، وَلَا يَكْمُلُ كَمَالَهُ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ : فَلَانٌ رَفِيعِ
الْفَعَالِ عَلَى الْمَقَالِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْبُسُوقِ امْتِدَادَ الصِّتِّ بِهَا ، وَصُعُودَهَا
فِي دَرَجِ تَقَبُّلِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهَا إِلَى السَّمَاءِ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : قَوْلُكَ هَذَا يَرْتَقِي
إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى . وَهَذَا الشُّعْرُ إِسْلَامِيٌّ ، فَلَا يَمْتَنَعُ أَنْ يُشِيرَ فِيهِ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ . وقوله « تَكَادُ الْجِبَالُ الضَّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعٌ » مُنْقَطِعٌ مِمَّا قَبْلَهُ وَيَجْرِي مَجْرَى الِاتِّفَاتِ ، لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ « نَعَوْا بِأَسِقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلُفُونَهُ » كَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ : تَكَادُ الْجِبَالُ الضَّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعٌ ، وَيَكُونُ الضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ مِنْهُ يَرْجِعُ إِلَى النَّعْيِ ، وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ نَعَوْا . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : مَنْ حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ خَيْرًا لَهُ ، أَيْ كَانَ الْحَمْدُ خَيْرًا لَهُ . وَالْمُرَادُ بِالضَّمِّ الصِّلَابُ كَأَنَّهُ لَا خُرُوقَ فِي أَثْنَائِهَا وَلَا تَخَلُّلَ .

٤- خَوَى الْمَسْجِدَ الْمَعْمُورَ بَعْدَ ابْنِ دَلْهَمٍ وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمِهِ قَدْ تَضَعَضُوا
ابن دلهم كان السبب في عمارة المسجد الذي أشار إليه ، فلما مضى لسبيله صار المسجد خالياً إذ كان هو المرأعي والمتفقّد لصلاح أمره . وأوفى - يعني الذي يرثيه - كان قوام أمر عشيرته به ، وانتظام شئونهم بمكانه ، فلما نزل عرشه وأصيبوا به اضطربت أحوالهم ، واتضعت رتباتهم ، فصاروا بعده كالمسجد المعمر بعد ابن دلهم . أراد أن يشبه تضعض القوم بموت أوفى ، بخراب المسجد بموت ابن دلهم فلم يأت بلفظ التشبيه إذ كان معناه من الكلام مفهوماً . والضَّعْضَعَةُ : الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ .

٥- فَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ
الْقَرْحُ وَالْقَرْحُ لُغْتَانِ فِي عَضِّ السِّلَاحِ وَمَا يَجْرَحُ فِي الْجَسَدِ . وَيُقَالُ إِنَّهُ لَقَرْحٌ قَرِيحٌ ، وَقَرْحَ قَلْبِهِ مِنَ الْحَزَنِ . وَنَبَهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ الْجَزَعَ بِأَوْفَى لَمْ يُزَلْهُ مَا تَعَقَّبَهُ مِنَ الْمَصَائِبِ ، وَلَكِنَّهُ زَادَهُ اشْتِدَادًا ، ثُمَّ شَبَّهَهُ بِالْقَرْحِ وَهُوَ الْجَرْحُ ، وَقَدْ جَلَبَ وَيَبِسَ ، إِذَا نَكِيَ وَقَرْحَ ثَانِيًا ، أَيْ أَذْيَى وَقَشِرَتْ جُلْبَتُهُ كَمَا أَنَّ الْقَرْحَ إِذَا فَعِلَ بِهِ ذَلِكَ كَانَ إِجَاعُهُ أَشَدَّ وَأَبْلَغَ ، فَالْهَلَعُ بِمَوْتِ أَوْفَى وَقَدْ أُمِدَّ بِمُصَابٍ آخَرَ يَكُونُ أَتَمًّا وَأَكْمَلَ . وَقَوْلُهُ « أَوْجَعُ » مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ أَشَدَّ إِجَاعًا .

فإن قيل : كيف صلح ذلك ، وأفعلُ الذي للمبالغة والتفضيل يتبع ما أفعله وكذلك أفعلُ به ، وفعل التعجب يجب أن يكون من الثلاثي لا غيرُ : فَعَلَ وفَعِلَ وفَعِلَ ، وأَوْجَعَنِي ليس منهما ؟ قلتَ : ذلك سائغٌ على مذهب سيبويه ، إذ كان عنده أن فعل التعجب يكون من الثلاثي وما كان على أفعل خاصة ، على ذلك حُكي قولهم : ما أعطاه للمال ، وما آتاه للخير ، وإنما هما من الإيتاء والإعطاء ، لا من الأتي والعطاء ، وكذلك قولهم : ما أسداه للمعروف ، وذلك لكثرة وجوه الشبه بين فَعَلَ وأفَعَلَ ، ألا ترى أنهما يتفقان في معنى ، وأنه يُقالُ في مفعولهما مفعولٌ ، وفي فاعلهما فاعلٌ ، وأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يقع في مطاوعة الآخر ، إلى غير هذا من الشبه . وكان أبو العباس المبرد^(١) يقول : ذلك جائزٌ على حذف الزوائد ، يعني بناء التعجب من أفعل . ويشبهه بقول الشاعر^(٢) :

* يَكشِفُ عن جِمامِهِ دَلْوُ الدَّالِ^(٣) *

وقوله : * وَمَهْمِ هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجَا^(٤) *

ويقول الله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ ﴾ . يُجوزُ مثلَ هذا في كلِّ ما كان أصله ثلاثيًا على أيِّ بناءٍ حصل . وكان يتبع مذهب الأخفش في ذلك ، فاعلمه^(٥) .

(١) تتفق نسخ الأصول على ضبطه بهذا الضبط حينما ورد .

(٢) هو العجاج . ملحقات ديوانه ٨٦ واللسان (دلا) .

(٣) رواية الديوان وسائر النسخ : « عن جماته » . والجمات : جمع جمّة ، وهي المكان الذي يجتمع فيه ماء البئر ، والجمام ، بكسر الجيم هي كذلك جمع جمّة . والشاهد فيه استعمال الدالي بمعنى المدلى . وقد رسم في الأصل « الدالي » ، وهو تحريف . إذ أن أرجوزة العجاج هذه مقيدة بالسكون غير مطلقة بحركة .

(٤) وهذا الشطر أيضا للعجاج في ديوانه ٩ واللسان (هالك) .

(٥) كلمة « فاعلمه » انفردت بها نسخة الأصل .

٢٦٥

وقال متمم بن نويرة يرثي مالكا أخاه^(١) :

- ١ - لَقَدْ لَأَمَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدُّمُوعِ السَّوَافِكِ
 ٢ - فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنِ اللَّوَى فَالدَّوَانِكِ
 ٣ - فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فِدَعْنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

يقول : استسرف رفيقي بكائي عند القبور ، واستنظع سيلان الدموع من عيني فقال موبخاً : أمن أجل قبر لك بين اللوى والدوانك تبكي عند كل قبر تراه ؟ فأجبتته بأن الحزن يبيح الحزن فتركني ، فكل قبر أنتهي إليه يذكرني قبر مالك ، إذ ليس لي في قبر مالك إلا مثل مالي في القبور كلها .

(١) روى التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن هذا الشعر ليس لمتمم بن نويرة ، بل هو لابن جندل الطعان الفراسي ، من بني كنانة ، يرثي أخاه مالكا . وأول الأبيات :

ثي الحزن أرمام غشينا بمنشد	ورملة قرى عن يمين الشناكب
فأسعدت أبكى مالكا وكأنه	بجثوته بيني وبين الشوابك
ولا صاحي لم يبك والناس ضاحك	سلى وبك شجوه غير ضاحك
وقال أتبكي كل رمس رأيت	لرمس مقيم بالملا والدوانك
فقلت له إن الشجا يبعث البكا	فدعني فهذا كله قبر مالك
ألم تره فينا يقسم ماله	وتأوى إليه مرملات الضرائك
فأخر آيات ماخ مطيبة	ورحل علافي على متن حارك
فلما استوى كالبدر بين شعوبه	وأمت بهاديهما فجأج المهالك
بعيني قطاي تأوب مرقبا	فبات به كأنه عين فارك
أطفنا به نستحفظ الله نفسه	تقول له مصاحباً غير هالك

ومتمم بن نويرة ، وأخوه مالك ، شاعران صحابييان من بني ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وقد قتل «مالك» في حرب الردة ، قتله خالد بن الوليد في ظروف مبهمه اختلف الرواة فيها ، فبعضهم يقول إنه قتلته مرتدا ، وبعضهم يقول إنه أخطأ في قتله . واستتبع ذلك اختلافهم في تزوج خالد لامرأة مالك ، أو تسريه لها ثم ردها على أخيه متمم . وقد حقق ذلك الأستاذ الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر في مقال نشره بالمقتطف أغسطس سنة ١٩٤٥ وبالمهدي النبوي شعبان سنة ١٣٦٤ . وانظر الإصابة ٧٦٩٠ ، ٧٧١١ والشعراء ٢٩٦ - ٢٩٩ والأغانى (١٤ : ٦٣ - ٦٩) . وقد ساق التبريزي أيضا خبر مقتله مفصلا .

يُرِيدُ أَنْ أَسْبَابَ الْحُزْنَ وَمَهَيِّجَاتِهِ تَتَشَابَهُ ، فَكُلُّ مِنْهَا يُقَوْمُ مَقَامَ الْآخِرِ وَلَا سِيَّمًا وَقَدْ تَوَافَقَتْ فِي الْجِنْسِيَّةِ . وَقَوْلُهُ « لَتَذْرَافِ الدُّمُوعِ السَّوَافِكِ » أَى مِنْ أَجْلِهِ ، بَعْدَ قَوْلِهِ « عَلَى الْبُكَاءِ » ، فِيهِ مِنَ الْفَائِدَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ التَّنْبِيهُ عَلَى إِجَابَةِ الدُّمُوعِ لَهُ ، وَانصِبَابِهَا بِحَسَبِ مَرَادِهِ ، حَتَّى لَا جُحُودَ مِنَ الْحِجَاجِ ^(١) فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، وَلَا تَوَقُّفَ مِنَ السَّيْلَانِ فِي حَالٍ مِنَ الْحَالَاتِ ، وَلَيْسَ كُلُّ بَاكِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ . فَكَأَنَّهُ لَامَهُ عَلَى الْبُكَاءِ مِنْ أَجْلِ مَا اسْتَنْكَرَهُ مِنْ إِجَابَةِ الدُّمُوعِ السَّائِلَةِ لَهُ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ بِالضَّرَرِ عَلَيْهِ أَعْوَدَ ، وَإِلَى بَطْلَانِ الْعَيْنِ بِمَكَانِهِ أَدْعَى . وَقَالَ « السَّوَافِكِ » وَالسَّقَّكُ صَبُّ الدَّمِ وَالِدَمْعِ ، فَوَصَفَ الدَّمُوعَ بِهَا لِأَنَّهَا جَمْعُ سَافِكَةٍ ، وَالْمَرَادُ ذَوَاتُ السَّقَّكِ . وَالسَّقَّكُ أَيْضًا : نَثْرُ الْكَلَامِ . وَيُقَالُ : رَجُلٌ سَقَّكٌ لِلدَّمَاءِ ، وَسَقَّكٌ بِالْكَلامِ ، أَى يُثِيرُ الْكَلَامَ وَيَصُبُّ الدَّمَاءَ .

وَقَوْلُهُ « بَيْنَ اللَّوَى فَالِدَّوَانِكِ ^(٢) » اِكْتَفَى بَيْنَ اللَّوَى ، وَهُوَ مُسْتَرْقٌ الرَّمْلُ لَوْقُوهُ عَلَى أَمَا كُنْ مُخْتَلِفَةً ، وَلَمَّا اِكْتَفَى بِهِ جَازَ أَنْ يَتَرْتَبَ عَلَيْهِ فَالِدَّوَانِكِ . وَلَوْ رُوي « وَالدَّوَانِكِ » كَانَ جَائِزًا ، إِلَّا أَنَّ اللَّوَى حَيْثُ لَا يُتَصَوَّرُ شُمُولُهُ لِبِقَاعِ كَمَا يُتَصَوَّرُ فِي أَسْمَاءِ الْجَمُوعِ شُمُولُهَا لِلْكَثِيرِ ، نَحْوِ الْقَوْمِ وَالرَّهْطِ وَالْعَشِيرَةِ . وَالشَّجَا : الْحُزْنُ . يُقَالُ شَجَاهُ يَشْجُوهُ شَجْوًا ، فَشَجِي يَشْجِي شَجًا . وَمَعْنَى يَبْعَثُ يَهَيِّجُ وَيُثِيرُ . عَلَى هَذَا قَوْلُكَ بَعَثْتَهُ مِنْ مَنَامِهِ ، وَالْبَعْثُ فِي الْجُنْدِ . وَقَوْلُهُ « فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرِ مَالِكِ » أَشَارَ بِهَذَا إِلَى الْجِنْسِ كَمَا هُوَ ، كَأَنَّهُ أَرَادَ جِنْسَ الْقُبُورِ ؛ يَدُلُّ عَلَيْهِ إِتْبَاعُهُ إِيَّاهُ بِمَا يُفِيدُ الْعُمُومَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ كُلُّهُ . وَيُقَالُ

(١) حجاج العين بكسر الحاء ، هو العظم المستدير حولها .

(٢) رواه التبريزي : « بين اللوى فالدكادك » . وقال : « وذكر بعضهم أن اللوى ها هنا يقع على أَمَا كُنْ مُخْتَلِفَةً . ولأجل ذلك جاز أن يترتب عليه فالدكادك . وإذا روى : فالدوانك ، لا يتصور وقوع اللوى على أَمَا كُنْ مُخْتَلِفَةً ، والدوانك علم لموضع » .

ذَرَفَتْ عَيْنُهُ ذَرْفًا وَذَرْفَانًا وَذَرْفِيًّا . فَمَا قَوْلُهُ « تَذْرَاف » فهو من باب ما تَكَثَّرَ فِيهِ الْمَصْدَرُ مِنْ فَعَلْتُ وَتَلَحُّقِهِ الزَّوَائِدَ وَتَبْنِيهِ بِنَاءِ آخِرٍ عَلَى غَيْرِ مَا يَجِبُ لِلْفِعْلِ ، قَصْدًا إِلَى الْمِبَالِغَةِ وَالتَّكْثِيرِ . وَقَوْلُهُ « الدَّوَانِكُ » عَلَمٌ لِمَوْضِعٍ . [وَدَانِكَ^(١)] فِيمَا أَظْنَتْهُ مُهْمَلٌ .

ومالك بن نويرة قتل في الردة أيام أبي بكر رضي الله عنه .

٢٦٦

وقال أبو عطاء السندی^(٢) :

- ١ - أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجْدُ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا جَمُودٌ
٢ - عَشِيَّةً قَامَ النَّائِحَاتُ وَشَقَّتْ جِيُوبٌ بِأَيْدِي مَاتَمٍ وَخُدُودٌ

افتتح كلامه بالألا ، ثم أخذ يعظم أمر الفجيعة ، ويبين موقعها من النفوس ، وشدة تأثيرها في القلوب ، واشتراك الناس كافة في الجزع لها ، والهلع عليها ، فقال : إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَدَسَّخْ بِدَمْعِهَا الْجَارِي عَلَى هَذَا الْمَرْتِي يَوْمَ وَاسِطٍ ، جَمُودٌ الْحِجَابِ عَلَى الْمَصَائِبِ^(٣) ، شديدة البخل بما في شئونها من الذخائر . والجُود : ضدُّ الذُّوب ، واستعماله في الدَّمْعِ مجاز .

(١) ليست في نسخة الأصل ، وهي في سائر النسخ .

(٢) هو أبو عطاء أفلح بن يسار السندی ، مولى بني أسد ، شاعر من مخضرمي الدولتين وكان فيه عجمة . وكان من شيعة بني أمية ، توفي عقب أيام المنصور . الأغاني (١٦ : ٧٨ - ٨٤) والمرزباني ٤٨٠ ، واللائي^٢ ٦٠٢ - ٦٠٣ والعيني (١ : ٥٦٠ - ٥٦١) والحزانية (٤ : ١٧٠) . والشمر ٧٤٢ - ٧٤٦ . وهذه المرثية يقولها في مقتل يزيد بن عمر بن هبيرة ، قتله المنصور بواسطة سنة ١٣٢ . الطبري (٩ : ١٤٦) وابن خلكان (٢ : ٣٦٩) واللائي^٢ ٦٠٢ . وذكر التبريزي أنه قتله غدراً بعد أن آمنه ، فلما حمل رأسه إليه قال للحرسى : أترى إلى طينة رأسه ! ما أعظمها ! فقال الحرسى : طينة إيمانه أعظم من طينة رأسه ! !

(٣) سبق مثل هذا التعبير في الصفحة السابقة س ٤ .

وقوله « عشية قام النائحات » بدل من قوله « يوم واسط » ، وأسماء الزمان تُضاف إلى الأفعال ، وهو توقيتٌ وتحديدٌ ، إلا أن فيه بياناً لتفطيع الشأن . وعلى هذا ضبطهم لمدى الأوقات في ترتيب الفوائد ، والتنبيه على ما يتقدم من الأحداث أو يتأخر . ومعنى قيام النائحات ، تهيوؤها للنوح . وعلى هذا قولهم : قامت السيوف ، وقوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ . وأصلُ التَّنَاوُحُ : التقابلُ ، يقال في الجبلين المتقابلين : هما يتناوحيان . وقوله « شُققتُ جُيُوبٌ بأيدي مَأْتَمٍ وَخُدُودٌ » ، فالمَأْتَمُ : النساء يجتمعن في الخير والشر ، وأصله من الأْتَم ، وهو التقاء المسلكين ، ومنه أيضا الأتوم في صفة النساء . وهذا الكلام وإن كان اقتصاص حالٍ ففيه دلالةٌ على تَمَكُّنِ الجزعِ بالمُصابِ من كافةِ الناس ، وتناهيهم فيما يُستدلُّ به على شِدَّةِ تأثيره فيهم .

٣ — فَإِنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرُبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَوُفُودُ

٤ — فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَعَهِّدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدٌ

الرواية المختارة : « ورُبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَوُفُودُ » ، بالواو ، وذلك أن الشَّرْطَ في قوله « فَإِنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ » جوابه فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ ، ويصيرُ : « ورُبَّمَا أَقَامَ » بيان الحالِ فيما تقدَّم من رِياسَتِهِ وَقَتَ تَوَفَّرَ النَّاسُ عَلَى قَصْدِهِ وزيارته . والمعنى : إن مُتَّ وصرت مهجور الساحة مرفوض الخدمة — ورُبَّمَا كانت الوفود فيما مضى من حياتك تزدهم على بابك ، وتتلاقى في فنائك — فَإِنَّكَ السَّاعَةَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَنْ يَتَعَهَّدُكَ ، ويرى قضاء حَقِّكَ ، وإقامة الرِّسْمِ في واجبك ، ثم قال مستدركا على نفسه : بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ فَقَدْ بَعُدَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ . ويعني بالوفودِ طُلَّابَ الحاجاتِ والمؤدِّينَ لواجباتِ الشُّكْرِ ، إذ كان في حياته المقصودَ والمشارَ إليه ، والمُصْطَنِعَ لطوائفِ الناسِ بما يتفرَّق من إحسانه فيهم .

وقوله « على مُتَعَهِّدٍ » يريدُ مُتَتَبِعَ العهود بالحفظ لها ، ومنعها من الضياع والدُّورس . وكما يُقالُ : تَعَهَّدْتُ الشَّيْءَ إِذَا تَأَمَّلْتُهُ هل بَقِيَ على ما عَهَدْتُهُ ، يُقالُ : تَفَقَّدْتُ الشَّيْءَ إِذَا تَأَمَّلْتُهُ هل لِحِقْمُهُ فُقُودٌ أَمْ لا . وإِذَا رَوَيْتَ « فَرَبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودٌ » ، وَجَعَلْتَهُ جِزَاءً لِلشَّرْطِ ، يَصِيرُ « فَإِنَّكَ لَمْ تَتَّبِعْ » اسْتِثْنَاءُ كَلَامٍ ، وَيَكُونُ الْفَاءُ رَابِطَةً لِحِقْمَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ ، وَالْمَعْنَى : إِنْ هُجِرَ فَنَاوُكُ السَّاعَةِ لِمَوْتِكَ فَرَبَّمَا كَانَ مَأْلَمًا لِلْوُفُودِ أَيَّامَ حَيَاتِكَ . وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخِرِ :

فَقَدْ كَانَ يَخْشَاكَ الْكَمِيُّ وَيَتَّقِي أَذَاكَ وَيَرْجُو نَفْعَكَ الْمُتَضَمُّعُ

فَإِنْ قِيلَ : الشَّرْطُ وَالْجِزَاءُ لَا يَصِحَّانِ إِلَّا فِيمَا كَانَ مُسْتَقْبَلًا ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ : إِنْ خَرَجْتَ أَمْسَ أُعْطِيْتُكَ فِيهِ دِرْهَمًا ؛ لِأَنَّ الْوَقْتَ وَقَدْ انقَضَى لَا يَصِحُّ تَعْلِيقُ الشَّرْطِ وَالْجِزَاءِ بِهِ ، وَإِنَّمَا يُعَلَّقَانِ أَوَّلًا بِمَا يُسْتَأْنَفُ مِنَ الزَّمَانِ ، حَتَّى يَصِحَّ مِنَ الْفَاعِلِ إِيقَاعُ فِعْلِهِ بِهِ وَاسْتِحْقَاقُهُ الْجِزَاءَ عَلَيْهِ . قُلْتُ : إِنْ الْأَمْرُ فِي الشَّرْطِ عَلَى مَا ذَكَرْتَ إِلَّا فِي لَفْظِ كَانَ ، لِأَنَّهُمْ جَوَّزُوا أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ : إِنْ كُنْتَ خَرَجْتَ أَمْسَ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا أُعْطِيْتُكَ الْيَوْمَ كَذَا ، وَالْمَعْنَى إِنْ ثَبَّتَ فِي عِلْمِي وَقَوْعُ الْخُرُوجِ مِنْكَ أَمْسَ . وَجَوَّزُوا هَذَا فِي لَفْظَةِ كَانَ لِقَوْنِهِ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْأَحْدَاثِ ، فَأَمَّا الْجِزَاءُ فَلَا يَجُوزُ فِيهِ مِثْلُ هَذَا لَا بِلَفْظَةِ كَانَ وَلَا بغيرِهِ . وَيَمْتَنِعُ أَنْ يُقَالَ : إِنْ تَجَمَّنِي الْيَوْمَ أُعْطِيْتُكَ أَمْسَ ، عَلَى أَنْ تَكُونَ الْعَطِيَّةُ سَلْفًا فِي جِزَائِهِ عَلَى فِعْلِهِ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ جَازَ أَنْ تَقُولَ عَلَى هَذَا « فَرَبَّمَا أَقَامَ » وَأَقَامَ بِنَاءٍ مَاضٍ ؟ قُلْتُ : إِنْ الْجَوَابُ فِي قَوْلِهِ « فَرَبَّمَا » لَيْسَ بِالْفِعْلِ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِجُمْلَةٍ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَنَنَاوُكُ رَبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودٌ فِيمَا مَضَى . وَالْفَاءُ فِي جَوَابِ الْجِزَاءِ إِنَّمَا تُجَلِّبُ إِذَا كَانَ الْجِزَاءُ غَيْرَ مُوَافِقٍ لِلشَّرْطِ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً وَخَبَرًا ، لَا فِعْلًا وَفَاعِلًا ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ

سَلِمَ اللَّفْظُ وَصَارَ الْمَعْنَى : إِنْ أَمْسَى فِنَاؤُكَ مَهْجُورًا السَّاعَةَ فَرُبَّمَا كَانَ مَأْلُوفًا
 مِنْ قَبْلِ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : هَذَا بِذَلِكَ ، أَيْ عِوَضٌ مِنْ ذَلِكَ . فَأَمَّا وَقُوعُ الْمَاضِي
 بَعْدَ إِنْ فَلَا يُنْقَلُ بِكَوْنِهِ شَرْطًا إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ ، وَهَذَا كَمَا يَنْقَلُ « لَمْ » بِنَاءِ
 الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى الْمَاضِي . وَهَذَا ظَاهِرٌ .

٢٦٧

وقال آخر :

١ - لو كان حوض حمارٍ ما شربت به إلا بإذن حمارٍ آخر الأبد^(١)
 حَمَارٌ اسْمُ أَخِيهِ ، وَكَانَ فِي حَيَاتِهِ يَتَعَزَّزُ بِهِ فَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِيمَا
 يَفْعَلُهُ ، وَلَا يَطْمَعُ إِنْسَانٌ فِي اهْتِضَامِ جَانِبِهِ وَقَصْدِهِ فِيمَا يَخْتَصُّهُ ، فَلَمَّا أُصِيبَ بِهِ
 اسْتُلِينَ جَانِبُهُ ، وَاسْتُبِيحَ حَرِيمُهُ ، حَتَّى إِنَّهُ جَبَى مَاءً فِي حَوْضٍ لَيْسَتْ لِبَلِّهِ
 مِنْهُ ، فَجَاءَ مِنْ زَاوَاهُ فِيهِ وَاسْتَبَدَّ بِهِ دُونَهُ ، فَقَالَ مَتْلَهْفًا : لَوْ كَانَ هَذَا الْحَوْضُ
 حَوْضَ حَمَارٍ أَخِي مَا جَسَّرْتَ عَلَى شُرْبِ مَائِهِ ، وَلَا عَلَى امْتِهَانِهِ فِيهِ ، بَلْ كُنْتُ
 تَسْتَأْذِنُهُ ثُمَّ تُقَدِّمُ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « آخِرَ الْأَبَدِ » يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ « مَا شَرِبْتُ بِهِ » .
 فَأَمَّا تَكَرُّرُهُ لَفْظَةَ حَمَارٍ فَهِيَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْأَعْلَامِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا ، وَفِي أَسْمَاءِ
 الْأَجْنَاسِ ، وَيَكُونُ الْقَصْدُ إِلَى التَّعْظِيمِ فِي التَّكَرُّيرِ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

(١) أنشد ياقوت هذه الحماسية في رسم (حوض حمار) ، وقال : « قيل حمار اسم رجل
 ضعيف ، وكانوا يتمثلون بضعفه . وقيل بل أراد الحمار بنفسه . يقول : لو كان حوض حمار
 حمار ما شربت منه إلا بإذن الحمار ، لضعفك وذلك وقتك ، ولكان الحمار أعز منك ،
 ولسكنك وجدت حوض حمار رجل أهلك الدهر قومه ونظراءه فطمعت فيه ، فليس ما فعلته
 دليلا على عزك ، ولكنه دليل على ضعفك . كأنه يحرض قومه بذلك » .

﴿رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتِهِ﴾^(١) . وقول الشاعر^(٢) :
 لا أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ نَفَّصَ المَوْتَ ذَا الغِنَى والفَقِيرَا
 وقد قيل إنَّ حَمَارًا المذكور اسم رَجُلٍ كان يُضْرَبُ به المَثَلُ في الذَّلِّ ،
 فلذلك ذكره . ولا يجوزُ أن يُرادَ به واحدٌ من الحُمُرِ ، لأنَّه لو كان كذلك
 لوجبَ أن يقولَ في الثاني إلا بإذن الحمار ؛ لأنَّ النَّكِرَةَ إذا أُعيدَ ذِكْرُهَا
 يجبُ تعريفُها بالألف واللام إشارةً إليه على هذا كُتِبَ في أواخر الكُتُبِ وقد
 قَدِّمَ في أوائلها : سَلامٌ عَلَيْكَ : والسَلامُ عَلَيْكَ .

٢- لَكِنَّهُ حَوْضٌ مِنْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ رَيْبُ الزَّمَانِ فَأَمْسَى بِيضَةَ البَلَدِ
 هذا الكلام فيه تنبيهٌ إلى شِدَّةِ فاقته إلى من يذُبُّ عنه ، وتأكيدُ جزعه
 لما فاتته من الصَّيَانَةِ بِإِخْوَتِهِ ، فيقول : لَكِنَّهُ حَوْضٌ رَجُلٍ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَهُ
 وبين من كان يَعْتَرِضُ بِهِ ، وَيُدْفَعُ الظُّلْمَ والمُضْيِمَةَ عَنْ نَفْسِهِ بِمَكَانِهِ ، فَأَمْسَى
 لا ناصرَ له ، ولا دافعَ دونه ، كَبَيْضَةِ البَلَدِ . وقد قيل في بَيْضَةِ البَلَدِ : إنه أراد
 بَيْضَ النَّعَامِ ، لأنها سَيِّئَةُ الهِدَايَةِ ، فَتَضَعُ بَيْضَهَا في مَوْضِعٍ ، ثم تتركه ضالًّا
 عنه فَتَضَيِّعُ ، وربما تذهبُ وتَحْضُنُ بَيْضَ غَيْرِهَا تظُنُّ أنها بَيْضُهَا . وقد ضُرِبَ
 المَثَلُ بِهَا فَقِيلَ :

كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبِسَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحَهَا^(٣)

وقد قيل : إنَّ بَيْضَةَ البَلَدِ هي الكِجَاءَةُ البَيْضَاءُ تَنْشَقُّ عَنْهَا الأَرْضُ - وهي

(١) قرأ ابن كثير وحفص «رسالته» بالتوحيد، وبقاى السبعة «رسالاته» على الجمع .
 تفسير أبي حيان (٤ : ٢١٧) .

(٢) هو عدى بن زيد العبادى ، أو ابنه سوادة ، الخزانة (١ : ١٨٣) وكتاب
 سيبويه (١ : ٣٠) .

(٣) البيت لإبراهيم بن هرمة . الحيوان (١ : ١٩٩) . وانظر ثمار القلوب ٣٥٣ ،
 والدميرى (٢ : ٥٠٢) والموشح ٢٣٧ .

الْفَقْع - فَتَطَوُّهُ الْمَاشِيَّةُ ، وَتَنْقُرُهُ الْعَافِيَةُ^(١) ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : « أَذَلُّ مِنْ فَقْعِ بَقَاعٍ » . وَكَأْضَرْبِ الْمَثَلِ بِيَيْضَةِ الْبَلَدِ فِي الذَّلِّ ضَرْبِ الْمَثَلِ بِهَا فِي الْعِزِّ أَيْضًا . وَقَدْ مَضَى ذِكْرُهَا . وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ لِأَخْتِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدِّ^(٢) تَرْتِي أَخَاهَا ، وَكَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَاتِلَهُ :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرِو غَيْرَ قَاتِلِهِ بِكَيْفِيَّتِهِ مَا أَقَامَ الرُّوحُ فِي جَسَدِي
لَكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بِيَيْضَةَ الْبَلَدِ
وَالْمُرَادُ إِذَا مُدِحَ أَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهَا ، وَلَا أُخْتَ مَعَهَا ، فَالذَّمَامَةُ تُطِيفُ بِهَا
إِشْفَاقًا عَلَيْهَا . وَمَا يُحْتَجُّ بِهِ فِي الذَّمِّ قَوْلُ الْآخِرِ :

إِنَّ أَبَا نَضْلَةَ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ ضَلَّ أَبَاهُ فَهُوَ بِيَيْضَةَ الْبَلَدِ
وَبِيَيْضَةَ الْإِسْلَامِ : جَمَاعَتُهُمْ . وَيُقَالُ : تَفَرَّسَى بِيَيْضَةَ الْأَرْضِ عَنْ بَنِي فُلَانٍ ،
إِذَا تَنَاسَلُوا وَكَثُرُوا . وَبِيَيْضَةَ الْخَدْرِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ^(٣) .

٣ - لَوْ كَانَ يُشْكِي إِلَى الْأَمْوَاتِ مَا قَبِيَ الْأَحْيَاءُ بَعْدَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْكَمَدِ

٤ - ثُمَّ اشْتَكَيْتُ لِأَشْكَانِي وَسَاكِنِهِ قَبْرُهُ بِسِنِّجَارٍ أَوْ قَبْرُهُ عَلَى قَهْدِ

قَهْدُهُ إِلَى بَيَانِ بَرِّ أَخِيهِ بِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، فَقَالَ : لَوْ جَرَّتِ الْعَادَةُ بِتَشْكَافِ
الْأَحْيَاءِ الشَّكْرَى إِلَى الْأَمْوَاتِ ، وَإِنْهَايَا مَا يَقَاسُونَهُ مِنَ الْجَزَعِ فِيهِمْ ، وَمِنْ
الْمَوَاتِ بِفَقْدِهِمْ وَبَعْدَهُمْ^(٤) ، ثُمَّ كَانَ يَنْفَعُ ذَلِكَ أَوْ يُثْمِرُ إِصْغَاءً وَإِجَابَةً ،

(١) العافية : طلاب الرزق من الإنس والدواب والطيور . انظر ص ٨٢٣ س ٢ .
(٢) كذا على الصواب في ل والتمورية . وفي الأصل : « عمرو بن معد يكرب »
وفي م : « عمرو بن ود » كلاهما محرف . وكان مقتل عمرو بن عبد ود في غزوة الخندق ،
قتله على عليه السلام ، وقتل كذلك ابنة حنبل بن عمرو . السيرة ٦٩٩ - ٧٠٠ جوتنجن .
وود بفتح الواو : صنم لهم ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم .
(٣) انظر ما سبق في الحماسية ١٦٧ ص ٥٠٥ .
(٤) كذا ورد ضبطها في جميع النسخ .

وجريتُ أنا على عاداتهم في مُبَاثَّةِ أَخِي ، والإِفاضةِ في الشُّكْرِ إليه ، لأرضائي وأزال شكواي .

وقوله « أشكاني » يقال شَكَوْتُهُ فأشكاني ، كما يقال طَلَبْتُ منه كذا فأطابني ، وَعَتَبْتُ عليه فأعتبني . وقوله « وسا كُنْه قَبْرٌ بِسِنْجَارٍ أَوْ قَبْرٌ عَلَى قَهْدٍ » ، قَدَّمَ المعطوفَ وهو سا كُنْه على المعطوفِ عليه ، وهو قَبْرٌ بِسِنْجَارٍ . ومثله قوله :

﴿ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ ﴾^(١)

وإنما يَحْسُنُ هذا إذا كان العاملُ مُقَدِّمًا ، وهو في الفعل والفاعل أكثرُ منه في المفعول ، فأما الجُرورُ فلا يجوز ذلك فيه ، لا يجوز أن تقولَ مَرَرْتُ وَعَمْرُو بْنُ زَيْدٍ إِذْ كَانَ فِيهِ تَقَدُّمُ المعطوفِ على المعطوفِ عليه وعلى العاملِ فيه . والكَمْدُ : حُزْنٌ وَهُمْ لَا يُسْتَطَاعُ إِمْضَاؤُهُ ، وقال الدُّرَيْدِيُّ : هُوَ مَرَّضُ الْقَلْبِ مِنَ الْحُزَنِ . يقال كَمِدَ يَكْمِدُ كَمْدًا ، ورأيتُه كَامِدَ الْوَجْهِ وَكَمِدَ الْوَجْهَ ، إِذَا بَانَ بِهِ أَثْرُ الْكَمْدِ ؛ وَأَكْمَدَهُ الْحُزْنَ إِكْدًا .

٢٦٨

وقال رجلٌ من خثعم^(٢) :

١ - نَهْلَ الزَّمَانِ وَعَلَّ غَيْرَ مُصَرَّرٍ مِنْ آلِ عَتَّابٍ وَآلِ الْأَسْوَدِ

(١) البيت لا يعرف قائله ، وقيل : هو للأحوص . الحزاة (١ : ١٩٢) وصدوره :

* أَلَا يَا نَخْلَةَ مِنْ ذَاتِ عَرَقٍ *

(٢) ابن جني في المهجع ٣٩ : وخثعم اسم قبيلة غير مصروف . وهو في الأصل اسم بعير . والخثعمة : تلطخ الجسد بالدم . ويقال : إغما سميت بذلك لأنهم نحروا بعيراً فتلطخوا بدمه وتحالفوا . نخثعم على هذا في الأصل ماض كدحرج ، نقل فسميت القبيلة به . ويجوز أن يكون مصدرأ حذف منه الماء عند النقل ، وأصله خثعمة . وخثعم هو أفتل بن أعمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن

٢— من كُلِّ فَيَاضِ الْيَدَيْنِ إِذَا غَدَتِ نَكَبَاءُ تُتْلَوِي بِالْكَنِيفِ الْمُوَصَدِ
النَّهْلُ : الشُّرْبُ الْأَوَّلُ . وَالْعَلَلُ : الشُّرْبُ الثَّانِي . وَالتَّصْرِيدُ : تَقْلِيلُ
الشُّرْبِ ؛ يُقَالُ إِنَاءٌ مَصْرَدٌ ، إِذَا كَانَ مَا يَحْوِيهِ دُونَ الرَّيِّ ، وَيُقَالُ صَرَدَ عَطَاءُهُ
إِذَا نَزَرَهُ . وَقَصَدَ الشَّاعِرُ إِلَى بَيَانِ تَأْثِيرِ الزَّمَانِ فِي الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ،
وَوَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، وَأَنَّهُ اسْتَوْفَى مِنْهُمْ مَا أَرَادَ دَفْعَةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَثَانِيَةً بَعْدَ أُولَى ،
غَيْرَ مُقَالٍ وَلَا مُطْفَفٍ .

وقوله « من كل فياض اليمين » بدل من قوله « من آل عتاب » ، وقد
أعاد العامل فيه ، وهذا يكثر في المجرور . على هذا قول الله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ الْأَتْرَى أَنَّهُ أَعَادَ اللَّامَ كَمَا
أَعَادَ هَذَا الشَّاعِرُ مِنْ . وَهَذَا التَّكْرِيرُ تَأْكِيدٌ لِلإِبْدَالِ ، وَتَنْبِيهٌُ عَلَى أَنَّ الثَّانِيَّ
مِنَ الْأَوَّلِ . وَالْفَيَاضُ : الْكَثِيرُ السَّيْلَانُ ، وَهُوَ بِنَاءُ الْمُبَالَغَةِ . وَالنَّكَبَاءُ : رِيحٌ
تَنَكَّبَتْ عَنِ مَهَابِّ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ . وَإِذَا كَثُرَتِ النَّكَبَاوَاتُ وَاشْتَدَّتْ هُبُوبُهَا
شَمِلَ الْقَحْطُ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمِنْكَابٌ عَنِ الْحَقِّ ، أَيْ كَثِيرُ الْعُدُولِ عَنْهُ ، وَالْأَنْكَبُ
الْبَعِيرُ كَأَنَّهُ يَمْشِي فِي شِقِّ ، وَمَعْنَى تُتْلَوِي : تَذْهَبُ بِهِ . وَالْكَنِيفُ : الْحَظِيرَةُ مِنْ
الشَّجَرِ ؛ وَالْمُوَصَدُ : الَّذِي جُعِلَ لَهُ إِصَادٌ إِحْكَامًا لَهُ ، وَالْإِصَادُ : عَتَبَةُ الْبَابِ ،
وَالْجَمِيعُ الْأُصْدُ . وَفُسِّرَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴾ أَيْ مُطَبَّقَةٌ .
وَيُهْمَزُ وَلَا يَهْمَزُ . وَقِيلَ : الْوَصِيدُ الْفِنَاءُ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الزَّمَانَ أَحْلَحَ عَلَيْهِمْ ، وَتَنَاوَلَ
مِنْهُمْ الْأَفْضَلَ فَالْأَفْضَلَ تَنَاوَلًا لَا تَقْلِيلَ فِيهِ وَلَا تَعْدِيرَ ، فَذَهَبَ مِنْهُمْ بِكُلِّ رَجُلٍ

== قحطان . نهاية الأرب (٢ : ٣١١ وما قبلها) . على أن البيت الرابع من هذه الحماسية نسبة
ياقوت في رسم (البقيع) إلى عمرو بن النعمان البياضي ، في أبيات أخرى قالها يرثي قومه ،
وكانوا قد دخلوا حديقة من حدائقهم في بعض حروبهم ، وأغلقوا بابها عليهم ثم اقتتلوا ، فلم يفتح
الباب حتى قتل بعضهم بعضا . ونسب الجاحظ هذا البيت الرابع أيضا إلى حارثة بن بدر ، في
البيان (٣ : ٢١٩ ، ٣٣٦) . والبياضي : نسبة إلى بياضة بن عامر بن زريق بن عبد بن حارثة
ابن مالك بن غصب بن جشم بن الحزرج . نهاية الأرب (٢ : ٣١١) .

سَخِيٍّ وَاسِعِ الْمَعْرُوفِ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَأَسْنَتَ النَّاسِ . وَقَوْلُ الْجَلْعَدِيِّ :

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلُ^(١)

ليس مما قاله في شيء ، وإنما يريد مرَّ عليهم دهرٌ مديدٌ وزمانٌ طويلٌ ،

فَشَرِبَ النَّاسُ بَعْدَهُمْ وَأَكَلُوا وَنَسُوا أَوْلَئِكَ . وهذا مثل .

٣- فاليوم أضحو للمنون وسيقةً من راح عجلٍ وآخر مُغتدٍ

٤- خلت الديار فسدت غير مدافعٍ ومن الشقاء تفردي بالسودد^(٢)

قوله « فاليوم » أشار به إلى الزمان الحاضر المتصل بما بعده ، غير محصور

بنهاية ، ولا مضبوطٍ بذكر غاية ، وهذا كما يقال : فلان بالأمس كان يفعل

كذا وهو اليوم رئيسٌ ببلدٍ . فذكرُ الأمسِ واليومِ لاتصالِ الوقتين ، وتقريب

المدى بين الماضي منهما والحاضر . والوسيقةُ : الطريدةُ . ونَبَّهَ بهذا الكلامِ على

أنَّ الدهرَ بعدُ جارٍ على عادتهِ المستأنفةِ معهم في الأخذِ منهم ، والذهابِ بهم .

وقوله « من راح عجلٍ وآخر مُغتدٍ » بيانٌ لذهابِ الواحدِ منهم في إثر

الآخر . والعجلِ : المستعجلِ . ويقال عجلٌ بكسر الجيم وعجلٌ ، ومثله

العجلان .

وقوله « خلت الديار فسدت غير مدافعٍ » يُروى « غير مسوددٍ^(٣) » .

(١) وكذا جاءت نسبته في أمالي المرتضى (١ : ٦٦) واللسان (١٣ : ٢٢) .

ونسبه الجاحظ في الحيوان (٥ : ٢٨) إلى دهان النهري .

(٢) كذا في التيمورية ، وهو ما يقتضيه التفسير من بعده . وفي سائر النسخ : « مسود » .

(٣) مسود ، كذا وردت في جميع النسخ بالتنوين في هذا التفسير وفي متن الأصل ، ل ، م .

وهو جارٍ على مذهب من لا يعترف بالتصريح إلا في أول بيت من القصيدة . والحق أن التصريح جائز في كل بيت . قال ابن رشيق في العمدة (١ : ١١٥) : « وقد كثر استعمالهم هذا

حتى صرعوا في غير موضع تصريح ، وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة » .

ومعنى « خَلَّتِ الدِّيَارَ » مات الرؤساء الذين لكل واحد منهم بيتٌ ودارٌ يُنسَبُ إليه ، وَيَتَّبَجَّحُ بِهِ . وإذا رَوِيَتْ « غير مُدَافِعٍ » يكون حالاً ، كأنه سادهم ولا مُنازِعَ له ولا مُتَأَبِّئِي عليه . وإذا رَوِيَتْ « غيرَ مُسَوِّدٍ » جاز أن يكون غير مفعولاً من سُدْتُ ، فيكون مثل قول الآخر :

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمَ بَرَكَهَ فَأَرَاهُ لَمْ يُغَادِرْ غَيْرَ فَلٌ

فيكون المعنى : سُدْتُ مَنْ لَا يَصْلِحُ أَنْ يُنسَبَ إِلَى السِّيَادَةِ فِي حَالٍ ؛ لِأَنَّ مَنْ اسْتُصْلِحَ لَهَا ، أَوْ ذُكِرَ فِي عِدَادِ الرُّؤَسَاءِ إِذَا عُدُّوا ، مَاتُوا وَبَادُوا . وَجَاز أَنْ يَكُونَ حَالاً ، وَيَكُونَ الْمَعْنَى سُدْتُ قَبْلَ أَوَانِ سِيَادَتِي ، أَيْ سُدْتُ وَلَمْ أُسَوِّدْ بَعْدُ . وَقَوْلُهُ « وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّوَدِّ » ، يُوَكِّدُ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا فِي غَيْرِ مُسَوِّدٍ ، وَإِنَّمَا شَقِيَ بِرُؤْسِهِ لِأَنَّهُ فَجِعَ بِرُؤْسَاءِ عَشِيرَتِهِ ، وَفِي ذَلِكَ ضَعْفُهُ وَتَرَاجُعُ رِيَاستِهِ .

٢٦٩

وقال محمد بن بشير الخارجي^(١) :

- ١- نِمَ الْفَتَى فَجَعَتْ بِهِ إِخْوَانَهُ يَوْمَ الْبَقِيْعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
- ٢- سَهَلُ الْفِنَاءِ إِذَا حَلَمْتَ بِبَابِهِ طَلَقُ الْيَدَيْنِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ

(١) هو أبو سليمان محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل الخارجي ، نسبة إلى بني خارجة ابن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر . شاعر فصيح من شعراء الدولة الأموية ، وكان منقطعا إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشي ، وإلى يزيد بن الحسين وابنه الحسن . وقد رثى أبا عبيدة بقصيدة رائية في الأغاني . وكان يبدو في أكثر زمانه ، يقيم في بوادي المهينة فلا يكاد يحضر مع الناس . الأغاني (١٤ : ١٤٢ - ١٥٥) والخزانة (٤ : ٣٧) . قال التبريزي : « في لسغة : يسير الخارجي ، وفيها : يسير فعيل من اليسر ، وبشير هو الوجه » .

٣ - وإذ رأيت شقيقه وصديقه لم تدّر أيهما ذؤو الأرحام^(١)

المحمود: الذي يطلبه نعم بالاختصاص من بين جنسه محذوف، كأنه قال نعم الفتى فتى فجمعت به إخوانه. والضمير من قوله « به » عائداً إلى المحذوف، والجملة من الفعل والفاعل قد خصصته حتى صار كالمعرفة. ومثله قوله تعالى: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ كأنه قال: نعم العبد أيوب. والحذف في مثل هذا المكان يصلح إذا كان المحمود مشهور الشان، معلوماً أمره من القرائن في الكلام. وارتفع « حوادث » بفعلها وفعلها فجمعت، وذكر الإخوان تنبيهاً على من آخاه من الأجانب والقرائب جميعاً.

وقوله « سهلُ الفناء » ارتفع على أنه خبر مبتدأ مضمرة، وجعل فناءه للزوار والمجتدين والعفاة سهلاً، وذلك مثل لكثرة إحسانه إليهم، وحسن توفيره عليهم. ومعنى « مؤدب الخدام » تنبيهه على اقتدائهم بمولاهم في تفقد الوراد وإكرامهم، والمبالغة في التخفيف لهم والسعي في مصالحهم.

وقوله « وإذا رأيت شقيقه وصديقه » فالشقيق إشارة إلى إخوان الولاد^(٢) ومن جرى مجراه، ممن شاركه في نسبه حتى كأنه شق منه. والصديق إشارة إلى إخوان المودة ومن ضرب بسهم في الانصباب إليه، والاعتزاز إلى جنبته والاعتماد عليه. ثم قال « لم تدّر أيهما ذؤو الأرحام »، تنبيهاً على تساويهما في المحل عنده، وشمول حسن التفقد لهم، حتى ترى كلاً منهم يدلُّ بمثل إدلال صاحبه، لا تمايز ولا تباين. وفي طريقته قوله:

فما زال بي إكرامهم واقفائهم وإطافهم حتى حسبتهم أهلي^(٣)

(١) التبريزي: « صديقه وشقيقه ».

(٢) هكذا وردت فيما عدا الأصل. وفي الأصل: « الولادة » وهما بمعنى واحد.

(٣) البيت لبكير بن الأخنس، كما سبق في حواشي ص ٣٠٣، وهو من أبيات الحماسة.

وأشار بقوله: « شقيقه وصديقه » إلى الجنسين ، وفائدتهما الكثرة لا الوحدة . ألا ترى أنه قال : لم تدر أيهما ذؤو الأرحام ، أى أى الجنسين .

٢٧٠

وقال أيضا :

١ - طَلَبْتُ فَلَمْ أُدْرِكْ بوجهي وليتي قَعَدْتُ فلم أَبْغِ النَّدَى بَعْدَ سَائِبِ
قوله « بوجهي » تَعَلَّقَ الباء منه بَطَلَبْتُ ، والمعنى ببَدَلِ وجهي ، كأنه
تَوَلَّى الطَّلَبَ بنفسه ، وابتَدَلَ وَجْهَهُ وَجَاهَهُ فيه ، فلم يُدْرِكِ المطلوب . ومفعول
« طَلَبْتُ » محذوف دلَّ عليه قوله « فلم أَبْغِ النَّدَى » والتقدير : طلبتُ بعد
سَائِبِ النَّدَى ببَدَلِ وجهي فلم أَنَلَهُ ، وليتي قَعَدْتُ فلم أَبْغِهِ ، ولا يمتنع أن يتعلَّقَ
الباء من قوله بوجهي بأدرك ، وهو المختار عند أصحابنا البصريين ، ويكون
التقدير : طلبتُ النَّدَى فلم أُدْرِكْهُ ببَدَلِ وجهي . وقوله « بعد سائب » يجوز أن
يكون العامل فيه طلبتُ وكلُّ واحدٍ من الأفعال المجتمعة ، وهى : طلبتُ
وأدركتُ وقَعَدْتُ ولم أَبْغِ . والمعنى : بعد موت سائب .

٢ - ولو لَجَأَ العَافِي إلى رَحْلِ سَائِبِ ثَوَى غَيْرَ قَالٍ أو غَدَا غَيْرَ خَائِبِ
ألمَّ في هذا البيت بقول الآخر^(١) :

حتى يكونَ عزيزًا من نفوسِهِمُ أو أن يبينَ جميعًا وهو مُخْتَارُ
لأن معنى « من نفوسِهِم » مقيمًا فيهم ، وكالواحد منهم . يقول : ولو التجأ
العُفَاةُ هارِبِينَ من الزَّمانِ ، ونَكَدَ الحَدَثَانِ ، إلى فناء هذا المرثى ، أقاموا
مُكَرَّمِينَ معظَمِينَ ، لا يَجْتَوُونَهُ ولا يُبْغِضُونَهُ ما داموا مقيمين ، وإذا أرادوا

(١) هو يزيد بن حمان السكوني ، من الحماسية ٩٣ ص ٣٠١ .

الانصراف عنه اغتمدوا غير محرومين ولا يأسين . وانتصب « غير » على الحال وأشار بالعاقي إلى الجنس ؛ ويقال عفاؤه واعتفاه ، إذا طلب معروفه ، فأعفاؤه أي أعطاه . ومنه عافية السباع والطير .

٣ - أقول وما يدري أناس غدوا به إلى اللحد ماذا أدرجوا في السبائب

موضع « ماذا أدرجوا » نصب على أنه مفعول لأقول ، ويجوز أن يكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد وأدرجوا في موضع الخبر ، ويجوز أن يكون ما وحده اسماً وذا خبره بمنزلة الذي وأدرجوا من تمامه . والمعنى : أقول مثلهنفاً فعل من أعياه الأمر فالتحف باليأس ، وتعلل بكلمة الحسرة بعد الفوات : أي رجل أدرج في الكمن والغادون به إلى اللحد لا يعلمون . وهذا تفضيح للشأن ، وتعظيم لحادث الرزء ، وقوله « أناس » أشار به إلى الجماعة والطائفة ، والألف فيه زائدة بدلالة قولهم أنس وأناسي وإنس . وإذا كان كذلك فقوله ناس منه أيضاً ، والألف زائدة ، وفاء الفعل محذوفة . ومن ذهب إلى أن لفظة الناس ليست من أناس في شيء ، وأن الألف فيه منقلبة عن حرف أصلي فقد أخطأ . والسبائب : جمع سببية ، وهي الثوب الأبيض ، العائم وغيرها . وكذلك السب . قال الشاعر (١) :

* يحجون سب الزبرقان المزغفرا (٢) *

٤ - وكل أمرئ يوم سائر كب كارهاً على النعش أعناق العدى والأقارب
العدى : الغرباء ، وانتصب كارهاً على الحال من سائر كب ، وموضع على

(١) هو الخبل السعدى . إصلاح المنطق ٤١١ واللسان (سب ، حجج) . وأنشد

البيت في البيان (٣ : ٩٧) بدون نسبة .

(٢) صدره : * وأشهد من عوف حلولا كثيرة *

النَّعْشِ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ مِمَّا فِي قَوْلِهِ كَارِهًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِكَارِهِ ،
كَأَنَّهُ قَالَ : يَرْكَبُ كَارِهًا حَاصِلًا عَلَى النَّعْشِ أَعْنَاقَ الْعِدَى يَوْمًا مَا . وَقَالَ الْخَلِيلُ :
قَوْمٌ عِدَى : بُعْدٌ عَنكَ وَغُرْبَاءُ . وَيُقَالُ قَوْمٌ أَعْدَاءُ أَيْضًا بِهَذَا الْمَعْنَى . وَالْعِدَى :
الْبُعْدُ نَفْسُهُ .

٢٧١

وقال دريد بن الصمة^(١) :

١ — نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطِ بَنِي السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمِ شُهْدَى^(٢)

٢ — فقلت لهم ظننوا بألني مدجج سرائهم في الفارسي المسرد

يقال نَصَحْتُهُ وَنَصَحْتُ لَهُ ، نَصَحًا وَنَصِيحَةً وَنَصَاحَةً وَنَصَاحِيَّةً ، وَهُوَ

نَاصِحُ الْجَيْبِ ، أَيْ نَاصِحُ الصَّدْرِ . وَقَوْلُهُ « وَالْقَوْمِ شُهْدَى » فَائِدَتُهُ أَنَّهُمْ

(١) دريد بن الصمة بن الحارث بن بكر ، من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن
من نخذ منهم يقال لهم بنو غزية . ودريد تحمير أورد على الترخيم . والأرد : الذي كبر حتى
سقطت أسنانه فصار يعض على دردره . والصمة : الشجاع ، وهو لقب لأبيه ، واسمه معاوية .
ودريد شاعر شجاع فارس من ذوى الرأى فى الجاهلية . وشهد يوم حنين مع هوازن وهو
شيخ كبير . وقال :

ياليتنى فيها جذع أأخب فيها وأضع

وقتل دريد يومئذ فيمن قتل من المشركين . المعربين ٢١ — ٢٢ والاشتقاق ١٧٧ —

١٧٨ والأغانى (٩ : ٢ — ١٩) واللاكى ٣٩ — ٤٠ والمؤتلف ١١٤ والحزانة (٤ : ٤٤٢ —

٤٤٧/٣ : ٤٦١ — ٤٦٢) والسيرة ٨٤١ — ٨٤٢ جوتنجن والشعراء ٧٢٥ —

٧٢٩ .

(٢) أبيات هذه الحماسية ، هى من الأصبعية رقم ٢٨ (طبع المعارف) ، وكان من

خبر الشعر مارواه التبريزى أن عبد الله — وهو اسم آخر لعارض وهو أخو دريد ، كان يسمى
عارضاً ، وعبد الله ، وخالداً ، وكان يكنى أبا أوفى ، وأبا ذفافة ، وأبا فرعان — كان عبد الله هذا
أسود إخوته ، فغزا بنى جشم وبني نصر ابني معاوية بن بكر بن هوازن ، وغنم مالا عظيماً ،
بمنعرج اللوى ، فمنعه دريد عن اللبث وقال : إن غطفان ليست بغافلة عنا ! خلف أنه لا يريم
حتى يقسم ، فلحقت بهم عبس وفزارة وأشجع ، وأوقعوا بعبد الله وأصحابه ، وقتل عبد الله ،
وجعل دريد يذب عنه وهو جريح . وهو قوله : « لَحِثْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَا حَ تَنُوشُهُ » .

كانوا له حاضرين ومضطربين من كلامه وأشارته وبذله النصيح لهم ، إلى ما كان أدى إليه مراسلتهم في ذلك وهم غائبون ، إذ كان يبين لهم منه ما كان يبين وقت الحضور .

وقوله « ظنُّوا بالنيِّ مُدَجِّجٍ » يجوز أن يكون معناه : ظنُّوا كلَّ ظنِّ قبيحٍ بهم إذا غرَّوكم في أرضكم وعقر دياركم^(١) . ويجوز أن يكون معنى ظنُّوا أيقنوا ، لأن الظنَّ يستعمل في معنى اليقين . على ذلك قولُ الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ .

وقوله « سرَّاتهم » ، بمعنى به رؤسائهم وخيارهم ، وقد مضى القول في بناءه^(٢) . والفارسيُّ المُسرَّد ، يعنى به الدُّروع . والسَّرْد : تتابع الشيء ، كأنه أراد في الدُّروع تتابع الحقائق في النَّسج . لذلك قيل في الأثْمُرِ الحُرْم : ثلاثة سَرْدٌ ، وواحدُ فَرْدٌ . وقال الخليل : السَّرْدُ : اسمٌ جامعٌ للدُّروع وما أشبهها من عمل الحلق ، لأنه يُسَرَّدُ فَيُنْتَقَبُ طَرَفًا كُلِّ حَلْقَةٍ بِالسِّمَارِ ، وفي القرآن : ﴿ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ ، أى اجعل المسامير على قدر خروق الحلق ، لا يغلظ المسامير فيتمخرق ، أو يدق فيقتاق . ومعنى البيتين : بذلت نصحي لهؤلاء القوم بلساني وقولي فيما صلح فيه التخاطب ، وبإشارتي وتعريضي ، وهم لى حاضرُونَ يَسْمَعُونَ وَيَعُونَ ، وقلت لهم : إن الأعداء لكم مترصدون ، وإليكم قاصدون ، وعددهم وعددهم تامَّة ، فوسَّعوا مجالَ الظنِّ السَّيِّئِ بهم إذا تمكَّنوا منكم ، أو أيقنوا بقصدِهم ، على الطريقتين اللَّتين بيَّنا .

٣— فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأنى غير مُهتدٍ

(١) اتفقت النسخ على ضبط « عقر » بالفتح ، وهو يقال بالضم والفتح ، الضم لغة المجاز ، والفتح لغة نجد . وعقر الدار : أصلها أو وسطها .

(٢) انظر البيت ٥ من الحماسية ٢٥٨ ص ٧٦٧ .

لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرْفِ ، وَهُوَ لَوْ قَوَّعَ الشَّيْءَ لَوْ قَوَّعَ غَيْرِهِ ، فَيَقُولُ : لَمَّا أَصْرُوا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَاطَّرَحُوا نَضْحِي وَمَشُورَتِي عَلَيْهِمْ ، تَبِعْتُ رَأْيَهُمْ وَلَمْ أَنْفَرِدْ عَنْهُمْ^(١) وَأَنَا أَرَى جَهْلَهُمْ ، وَأَتَصَوَّرُ عَاقِبَةَ لَجَاجِهِمْ ، وَأَنَّى ضَالٌّ عَنِ الطَّرِيقِ عَادِلٌ عَنِ الصَّوَابِ فِي اتِّبَاعِي لَهُمْ ، لَكِنِّي لَمْ أَسْتَضِلِّحْ لِنَفْسِي الْخُرُوجَ مِنْهُمْ ، وَالتَّبَاعِدَ عَنْهُمْ . وَقَوْلُهُ « كُنْتُ مِنْهُمْ » مِنْ هَذِهِ تَفْيِيدُ تَبْيِينِ الْوِفَاقِ وَتَرْكِ الْخِلَافِ ، وَأَنَّ الشَّائِنِينَ وَاحِدٌ لَا تَمَازٍ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَايُنَ . وَهُمْ يَقُولُونَ فِي النَّفْيِ أَيْضًا : لَسْتُ مِنْكَ ، أَيْ انْقَطَعَ مَا بَيْنَنَا ، فَلَا خِلَاطَ وَلَا اشْتِرَاكَ . عَلَى هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٢) :

* فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي^(٣) *

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ : أَنْتَ مِنِّي فَرَسَخَانُ ، قَالَ^(٤) شَيْخُنَا أَبُو عَلِيٍّ [الْفَارِسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٥)] هَذَا كَلَامُ الدَّلِيلِ مَعَ الْمُسْتَدِلِّ ، وَالْمَعْنَى : أَنْتَ فِي هِدَايَتِي مَدَى الْفَرَسَخَيْنِ . وَإِلَى غَايَتِهِمَا ، وَقَدْ خَالَفَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ حُصَيْنُ^(٦) بْنُ الْمُنْذِرِ فَقَالَ :

أَمْرُهُنَّكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَأَصْبَحْتَ مَسْلُوبَ الْإِمَارَةِ نَادِمًا
فَمَا أَنَا بِالْبَاكِ عَلَيْكَ صَبَابَةً وَمَا أَنَا بِالِدَّاعِي لِتَرْجِعَ سَالِمًا
٤ — أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ فَلَمْ يَسْتَبْدِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
قَوْلُهُ « أَمْرِي » يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الْمَأْمُورَ بِهِ ، وَيَكُونُ الْأَصْلُ : أَمْرُهُمْ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي سَائِرِ النُّسخِ : « وَلَمْ أَنْفَرِدْ عَنْهُمْ » .

(٢) هُوَ النَّابِئَةُ الذِّبْيَانِي . دِيوَانُهُ ص ٧٩ .

(٣) صَدْرُهُ : * إِذَا حَاوَلْتُ فِي أَسَدٍ فَجْرًا * .

(٤) كَذَا سَقَطَتْ فَأَنَّ الْجَوَابَ فِي جَمِيعِ النُّسخِ ، عَلَى مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ : « وَأَمَّا الَّذِينَ

اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » .

(٥) هَذِهِ التَّكْهِيلَةُ لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ ، وَإِثْبَاتُهَا مِنْ سَائِرِ النُّسخِ .

(٦) كَذَا وَرَدَ فِي النُّسخِ بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ ، وَصَوَابُهُ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ ، انْظُرِ الْمُؤْتَلَفَ ٨٨

وَالْحِزَانَةَ (٢ : ٨٩ — ٩٠) وَالطَّبْرِيَّ (٦ : ١٨) وَتَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ .

بأمرى ، فحذف الجارَّ ووصل الفعلُ بنفسه . ويجوز أن يكون مصدرَ أمرتُ ، وجاء به لتأكيد الفعل . وقوله « بمنعرج اللوى » تحديداً وتوقيتاً ، وبيان أن ذلك كان من همّه حتى اختار له الموضع الذى كان أوفقَ عنده ، والوقت الذى كان أعودَ عليهم فيما أمرهم به . واللوى : مُسترفُّ الرَّمْل . ومنعرج : منعطف . وقوله « فلم يستبينوا الرشد » أى لم يتبينوه فى الحال حتى جاء الوقتُ المقدَّر له . وذِكْرُ الغدِّ يكثرُ فيما يتراخى من عواقب الأمور إذا أحيلَ عليه البيانُ والظهور فيه . والمعنى : فى المُستأنفِ من الوقتِ . وهذا زاد عليه « ضحى » لأنه من النهار أضوا ، فكأنَّ المعنى : لم يبن لهم ما دعوتهم إليه إلا فى الوقت الذى لا لبسَ فيه ولا اعتراضَ شكِّ . ومثله قولُ المُعلِّس :

عَصَانِي فَلَمْ يَلْتَقِ الرَّشَادَ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ عَنْ أَمْرِ الْغَوِيِّ عَوَاقِبُهُ
 ٥ - وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزِيَّةٌ أَرَشِدُ (١)
 يُقَالُ رَشِدَ يَرَشِدُ رَشْدًا وَرَشَادًا ، وَرَشَدَ يَرَشُدُ ؛ فَلَكَ أَنْ تَضُمَّ الشَّيْنَ
 مِنْ تَرَشَّدَ وَأَنْ تَفْتَحَهَا . وَقَوْلُهُ « هَلْ أَنَا » هُوَ فِي مَذْهَبِ النَّفْيِ وَإِنْ كَانَ اسْتِفْهَامًا
 وَلِذَلِكَ تَبِعَهُ إِلَّا ، كَأَنَّهُ قَالَ : مَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ فِي حَالَتِي الْغَيِّ وَالرَّشَادِ ،
 فَإِنْ عَدَلُوا عَنِ الصَّوَابِ عَدَلْتُ مَعَهُمْ ، وَإِنْ اقْتَحَمُوهُ اقْتَحَمْتُ بِهِمْ . وَغَزِيَّةٌ
 هُوَ رَهْطُهُ . فَإِنْ قِيلَ : إِنَّهُ كَرَّرَ مَعْنَى وَاحِدًا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَرَّتَيْنِ ، لِأَنَّ
 قَوْلَهُ « إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ » قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ « كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ
 وَأَنْتَى غَيْرُ مُهْتَدٍ » . قُلْتَ : فِي الْأَوَّلِ اقْتَصَصَ الْحَالَ الَّتِي دَارَ عَلَيْهَا مَعَهُمْ ، وَفِي الْأَمْرِ
 بَقِيَّةً ، وَلِلنُّصْحِ تَوَجُّهٌ ، وَأَنَّهُ اجْتَهَدَ فِي رَدِّهِمْ إِلَى مَا هُوَ أَرْدُّ عَلَيْهِمْ وَأَنْفَعُ لَهُمْ ،
 فَلَمَّا عَصَوْهُ فِي ذَلِكَ أَمْسَكَ عَنْهُمْ جَارِيًا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَسْلُكُونَهُ وَإِنْ عَلِمَ

(١) غزية ، بفتح الغين . ابن دريد فى الاشتقاق ١٧٧ : « ومن قبائل بنى جشم بنو غزية -

والغزية فعيلة من الغزو . والغزى : الجماعة من القوم يفترون » .

الخطأ فيه . وقوله « وهل أنا إلا من غزوية » بيان لما دُفِعُوا إليه بعد تبين الرِّشَاد لهم ، وابتلوا به من مقاساة سوء العاقبة لسوء اختيارهم ، فقال : وما أنا إلا شريك لهم فيما أئمر لهم جهلهم وغوايتهم كما كنتُ شريكاً لهم لو رَشِدُوا فيما كان يُشمر لهم رشادهم . فهو في الأول ذكر اتباعه لهم بعد النصح ناظراً من وراء رأيه ما يدفعون إليه ويمتحنون به ، وفي الثاني ذكر انغماسهم معهم فيما أعقب لهم اختيارهم ، وأنه شقي بمثل ما شقوا به في عُقبى جهلهم أو بأشد منه ، وإذا كان كذلك اختلف الحالتان والاتباعان . ثم أخذ يبين محنته ، فقال :

٦— تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرَدْتَ الْخَيْلُ فَارِسًا فَقُلْتُ أَعْبَدُ اللَّهَ ذَلِكُمْ الرَّدِي

٧— فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَّاحُ تَنُوشُهُ كَوَقْعِ الصِّيَاصِي فِي النَّسِيحِ الْمَمْدَدِ

يعنى بالخيال الفرسان . يقول : نادى بعضهم بعضاً : أسقطت الخيل فارساً ! فقلت : أعبد الله ذلكم الساقط المالك ، وإنما دعاه إلى هذا القول أمران : أحدهما سوء ظن الشقيق ؛ والثاني أنه علم إقدامه في الحرب ، وابتذاله النفس وتعرضه للحتف ، فدعاه الشفقة والإشفاق إلى قصده لوقايته بنفسه ، فلحقه الرماح تتناولوه وتقع فيه وقع الصياصي ، وهى خشبة الحائك فى نسجه الممدود إذا أراد تمييز طاقات السدى بعضها من بعض ، وكأنه سميت بذلك تشبيهاً بصيصية الديك وهما مخلبان فى ساقه ، وبصيصية الثور ، وهو قرنه . وقوله « أعبد الله » ، وقد سماه معبداً أيضاً ، وهم يفعلون كثيراً فى الأعلام مثل ذلك . ألا ترى حالهم فى سليمان ، وأنهم يسمونه مرةً سليماً ومرةً سلاًماً^(١)

(١) دو مماثل لما صنعه فى عصرنا هذا من تغيير بعض الأسماء للتدليل ونحوه . ومن شواهد قول الأسود بن يعفر :

ودعا بمحكمة أمين سكها من نسج داود أبى سلام =

وقول الآخر^(١) :

* صَبَوْتُ أَبَا ذَيْبٍ وَأَنْتَ كَبِيرٌ^(٢) *

يعني أبا ذؤيب . وقوله : « تَنَوَّسُهُ » من النَّوْشِ . وَالظَّبْيَةُ تَنْوُشُ الْأَرَكَ وَتَنْقَاشُهُ ، أَيْ تَتَنَاوَلُهُ ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَأَنْتَ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ .
٨- وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبَوْرِ رِيْعَتْ فَأَقْبَلْتُ إِلَى جِلْدٍ مِنْ مَسَكٍ سَقَبٍ مُقَدَّدٍ^(٣)
بَيْنَ مَاذَا أَدْرَكَ مِنْ أُخِيهِ لَمَّا أَرَادَ وَقَايَتَهُ وَالذَّبَّ عَنْهُ فَقَالَ : كُنْتُ كِنَاقَةَ لَهَا وَلِدٌ فَأَفْزَعَتْ فِيهِ لَمَّا تَبَاعَدَتْ عَنْهُ فِي مَرَعَاهَا ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ ، فَإِذَا هُوَ بِجِلْدٍ مُقَطَّعٍ ، وَشَلْوٍ مُبَدَّدٍ . كَأَنَّهُ انْتَهَى إِلَى أُخِيهِ ، وَقَدْ فَرَّغَ مِنْ قَتْلِهِ وَمُزَّقِ كُلِّ مُزَّقٍ . وَالْبَوُّ ، أَصْلُهُ جِلْدٌ فَصِيلٌ يُحْشَى تَبْنًا لَتَدِرَّ عَلَيْهِ ، فَاسْتَعَارَهُ لِلْوَلَدِ . وَكَذَلِكَ الْجِلْدُ هُوَ مَا جُلِدَ مِنَ الْمَسْلُوحِ وَالْإِسِّ غَيْرِهِ لِتَشْمَهُ أُمِّ الْمَسْلُوحِ فَتَدِرَّ عَلَيْهِ . وَالْمَسَكُ : الْجِلْدُ ، لِأَنَّهُ يُمَسِكُ مَا وِرَاءَهُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ . وَالسَّقْبُ : الذَّكْرُ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ ؛ وَنَاقَةٌ مِسْقَابٌ ، إِذَا وُلِدَتْ الذَّكْرَانُ كَثِيرًا .

٩- فطاعنتُ عنه الخيلُ حتى تبددتُ وحتى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ
١٠- قِتَالِ امْرِئِي آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخْتَلِدٍ

يقول : دافعتُ الخيلَ - يعني الفُرمسانَ - عنه حتى انكشفوا ، وإلى أن جُرِحَتْ فَسَالَ الدَّمُ عَلَيَّ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنِّي دِفَاعَ رَجُلٍ جَعَلَ نَفْسَهُ إِسْوَةَ أُخِيهِ ، وَاخْتَبَرَ لَهَا مِثْلَ مَا سِيقَ إِلَيْهِ ، عَالِمًا بِأَنَّ الْمَرْءَ لَا يَبْقَى ، بَلْ مَالُهُ إِلَى الْفَنَاءِ ، وَأَنَّ اسْتِقْتَالَه لِيَلْحَقَ بِأَخِيهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَبْقَى بَعْدَهُ فَيَشْقَى بِالْجُزَعِ لَهُ وَفِيهِ .

= وَكَمَا قَالُوا فِيهِ « سَلَامٌ » قَالُوا فِيهِ أَيْضًا « سَلِيمٌ » . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ فِي دِيْوَانِهِ ٦٤ :
وَكُلُّ صَمَوْتٍ نَشَلَةٌ تَبْعِيَّةٌ وَنَسِجٌ سَلِيمٌ كُلُّ قِضَاءٍ ذَائِلٌ

(١) هُوَ أَبُو ذَوْيْبِ الْهَذَلِيِّ . دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ (١ : ١٣٧) .

(٢) صَدْرُهُ : * دِيَارِ التِّي قَالَتْ غَدَاةً لَقِيَتْهَا *

(٣) انْفَرَدَتْ نَسْخَةُ الْأَصْلِ بِرَوَايَةٍ : « فَكُنْتُ كَذَاتِ » .

ويقال : هو يَأْتَسِي بِفُلَانٍ ، أى رَضِيَ لِنَفْسِهِ مَا رَضِيَ ذَاكَ لِنَفْسِهِ . وَالْمُوَاسَاةُ
وَالْتَأَسَى وَالِاتِّسَاءُ وَاحِدٌ . وَقَوْلُهُ : « حَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدٌ » ، فِيهِ
إِقْوَاءٌ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يُهَوِّنُونَ الْأَمْرَ فِي الْإِقْوَاءِ وَلَا يَعُدُّونَهُ عَيْبًا قَبِيحًا .
وَحِكْيَى عَنِ الْأَخْفَشِ أَنَّهُ قَالَ : مَا أَنْشَدْتَنِي الْعَرَبُ قَصِيدَةً سَلِمَتْ مِنَ الْإِقْوَاءِ
طَالَتْ أَوْ قَصُرَتْ . وَيُرْوَى : « وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ لَوْنُ أَسْوَدٍ » ، وَالضَّعْفُ
فِيهِ ظَاهِرٌ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ حَالِكٌ وَهُوَ الشَّدِيدُ السَّوَادُ ، ثُمَّ قَالَ لَوْنُ أَسْوَدٍ .
وَفِي إِضَافَةِ لَوْنٍ إِلَى أَسْوَدٍ مَا لَا يُرْتَضَى . وَأَجْوَدُ مِنْ هَذَا أَنْ يُرْوَى : « حَالِكُ
اللَّوْنِ أَسْوَدِي » وَهُوَ يَرِيدُ أَسْوَدِيٌّ ، كَمَا قِيلَ فِي الْأَحْمَرِ الْأَحْمَرِيُّ ، وَفِي الدَّوَّارِ
دَوَّارِيٌّ ، ثُمَّ خُفِّتْ يَاءُ النِّسْبَةِ بِحَذْفِ أَحَدِهِمَا ، وَهُوَ الْأَوَّلُ ، وَجَعَلَ الثَّانِي صِلَةً .

١١ — فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

قَوْلُهُ « خَلَى مَكَانَهُ » أَيْ مَضَى لِسَبِيلِهِ . وَالْوَقَافُ : الْجَبَانُ الْمَتَوَقِّفُ فِيمَا
يَعِينُ لَهُ عَجْزًا وَضَعْفَ قَلْبٍ . وَيُقَالُ : وَقَافَةٌ أَيْضًا ، وَالْهَاءُ لِلْمَبَالِغَةِ . وَالطَّائِشُ :
الْخَفِيفُ ، وَمِنْهُ الطَّيَّاشُ . وَيُقَالُ : هُوَ طَائِشُ السَّهْمِ ، إِذَا عَدَلَ سَهْمُهُ عَنِ
الْهَدَفِ وَلَمْ يَقْصِدْ قَصْدَهُ ؛ ثُمَّ يُقَالُ : هُوَ طَائِشُ الْيَدِ ، إِذَا كَانَ فِيمَا يَقُولُ لَهُ مِنَ
الْأَعْمَالِ كَذَلِكَ . يَقُولُ : إِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ تَوَقَّى وَخَلَى مَا كَانَ يَسُدُّهُ بِنَفْسِهِ
وَعَنَائِهِ مِنْ أَمْرِ الْعَشِيرَةِ وَسِيَاسَتِهِمْ ، فَلَقَدْ كَانَ مَقْدَامًا صَائِبَ الرَّأْيِ ، حَلِيمًا فِيمَا
يَأْتِيهِ ، لَا يَطِيشُ زَهْوًا ، وَلَا يُؤَثِّرُ عَلَى الصَّوَابِ شَيْئًا .

١٢ — كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ مِنَ الْآفَاتِ طَلَّاعٌ أَنْجِدُ

الْكَمِيشُ وَالْكَمِيشُ : الْخَفِيفُ السَّرِيعُ الْحَرَكَةِ . يُقَالُ : انْكَمِشْ فِي
حَاجَتِكَ ، أَيْ تَخَفَّفْ وَأَسْرِعْ . وَأَضَافَ الْكَمِيشَ إِلَى الْإِزَارِ عَلَى الْمَجَازِ كَمَا
يُقَالُ : عَفِيفُ الْحُجْرَةِ ، وَنَقِيُّ الْجَيْبِ . وَقَوْلُهُ « خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ » يَصْفُهُ

بالتشمر . وقد قيل : هو عارى الظنوب ، في هذا المعنى . قال :

* عَارِي الظنَابِيْب مُمْتَدِّ نَوَاشِرُهُ ^(١) *

وقد يُرادُ بهذا قِلَّةُ اللَّحْمِ وَالْهَزَالِ . وقوله « بعيدٌ من الآفاتِ » يريدُ أنه لا داءَ به ولا غائلةً ، فهو سليمُ الأعضاء متينُ القوى . ومعنى « طَلَّاعٌ أَنْجِدُ » أنه يتصعدُ في دَرَجِ السَّمَوِّ . ويقالُ طَلَّاعٌ أَنْجِدَةٌ أَيضًا ، قال :

* طَلَّاعٌ أَنْجِدَةٌ فِي كَشْحِهِ هَضَمٌ ^(٢) *

فَأَنْجِدَةٌ جَمْعُ نِجَادٍ ، وَنِجَادٌ جَمْعُ نَجِدٍ . فأما أَنْجِدٌ ، فالأصلُ أن يكون لأدنى العدد وقد استعير للكثير ، لأنه كَفَاسٌ وَأَفْلُسٌ . وهم كما يضعون بناء القليل للكثير والكثير للقليل في أصلِ الوَضْعِ ، يَسْتَعِيرُونَ بِنَاءِ القليل للكثير وإن كان بناء الكثير قد استعمل أيضا . يكشف هذا أيضا أنهم يقولون : رَسَنٌ وَأَرْسَانٌ ، فوضعوه للكثير وإن كان في الأصل للقليل ؛ وقالوا دِرْهَمٌ وَدَرَاهِمٌ فوضعوه للقليل . وقال الله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ يريدُ أهلَ الجنة . فَوَضَعَ الْغُرُفَاتِ مَوْضِعَ الْغُرْفِ عَلَى الاستعارة .

١٣ - قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ مِنْ اليَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ

يريدُ بقوله « قليلٌ » نفيَ أنواعِ التشكِّي كُلِّهَا عنه . على هذا قوله تعالى : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، وقولهم : قَلَّ رَجُلٌ يَقُولُ ذَاكَ ، وَأَقَلُّ رَجُلٌ يَقُولُ ذَاكَ . والمعنى : أنه لا يتألمُ للنَّوَابِغِ تَنْزُلُ بِسَاحَتِهِ ، وَالْمِصَائِبِ تَتَجَدَّدُ عَلَيْهِ

(١) البيت لتأبط شراً في القصيدة الأولى من المفضليات . وعجزه :

* مدلاج أدهم واهى الماء غساق *

(٢) البيت لزياد بن منقذ ، وهو المعروف بالراز العدوى . وصدرة في اللسان (نجد) :

* يغدو أمامهم في كل مرابأة *

من أبيات أولها :

كم فيهم من فتى حلوشمائله جم الرماد إذا ما أخذ البرم

في ذويه وعشيرته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس في غده ، فهو نقي الأفعال من العيوب ، طيب الأخبار في أفواه الناس ، صبور على العزاء .

١٤ — ترَاهُ حَمِيصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُقَدَّدِ
مثلُ المصراعِ الأوَّلِ قولُ الآخرِ (١) :

* يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُوسٍ (٢) *

يَصِفُهُ بِقِلَّةِ الطُّغْمِ مَعَ اتِّسَاعِ الْحَالِ ، وَطَاعَةِ الزَّادِ ، فَيَقُولُ : تَرَى بَطْنَهُ مَنْطَوِيًّا وَالزَّادُ مُعَدُّ ، لِأَنَّهُ يُؤَثِّرُ بِهِ غَيْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَلِأَنَّهُ لَا نَهْمَةَ تَمَّ وَلَا حِرْصَ عَلَى عِمَارَةِ الْبَدَنِ ، وَلَا عَلَى اسْتِسْرَاءِ الثِّيَابِ ، فَهُوَ يَعْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُعَرِّقِ ، إِذْ كَانَ يَبْتَدِلُ نَفْسَهُ فِيمَا كَانَ يَكْسِبُهُ فَخْرًا وَعُلُوًّا (٣) . وَيُقَالُ : عَتَدَ فَهُوَ عَتِيدٌ عَتَادًا ، وَأَعْتَدْتُهُ أَنَا . وَمِنْهُ سُمِّيَ الْعَتِيدَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الطَّيْبُ ، وَالْعَتَدُ بَفَتْحِ التَّاءِ وَكسرها : الْفَرَسُ الْمُعَدُّ لِلْمِهْمَاتِ مِنَ الطَّلَبِ وَالْهَرَبِ وَغَيْرِهَا ، الَّذِي كُرِيَ وَالْأُنْثَى فِيهِ سَوَاءٌ .

١٥ — وَإِنْ مَسَّهُ الْإِقْوَاهُ وَالْجَهْدُ زَادَهُ سَمَاحًا وَإِتْلَافًا لِمَا كَانَ فِي الْيَدِ

يقول : وإن اتفق عليه إيسارٌ ونفادُ زاد ، وجهدٌ من نكد الزمان وإعوازٌ زاده سخاءٌ وإتلافاً للمال ، جزيًا على عادته التي ألفها ، لا يهضمه ضرٌّ ، ولا يلفته فقر . ويقال : أقوى الرجلُ ، إذا نفذ زاده . ويقال : زاد الشيءُ ضدَّ نقص ، وزدته أنا فازداد . وفي طريقته قولُ الآخر :

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِيكَ قَلْبًا يَأْبَى عَلَى الشُّغْلِ أَنْ يَضِيقًا

(١) هو تأبط شرًا ، من الحماسية ٢٧٣ .

(٢) عجزه : * وندى السكين شهم مدل *

(٣) يكسبه ، ضبط في جميع النسخ بفتح الياء ، يقال أ كسبه مالا ، وكسبه أيضًا .

١٦ - صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ اْبْعِدْ

يجوز أن يكون صبا الأول من الصبا واللّهو، وصبا الثاني من الصباء بمعنى الفتاء، فيكون المعنى: تعاطى اللّهو والصبا ما دام صديقا، فلما اكتهل وظهر في رأسه الشيب فاشتعل نحي الباطل عن نفسه زهدا فيه، ورجوعا إلى الحق، ورغبة فيما يكسبه الأحدثوة الجميلة من أبواب الصلاح والجِدِّ. ويجوز أن يكون المعنى: تعاطى الصبا ما تعاطاه إلى أن علاه الشيب، فيسقط التجنيس من البيت، وهو يحسن به. وما صبا في موضع الظرف على الوجهين جميعا، أى مُدَّة الأمرين. وحتى للغاية. وقوله « ابعِد » من بَعَدَ يَبْعُدُ، إذا هَلَكَ. ولو أراد البعد لقال ابعُدْ، بضم العين. وجرى أبو نواس في هذه الطريقة لما قال:

قَدْ عَذَّبَ الْحُبُّ هَذَا الْقَلْبَ مَا صَلَحَا فَلَا تَعُدَّنَّ ذَنْبًا أَنْ يُقَالَ صَحَا

١٧ - وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

أَنِّي في موضع الفاعل لطيب، وليس القصد إلى أنه لم يقل له كذبت قط، وإنما المراد أني لم أجفه بأدون ألفاظ الجفاء. على ذلك قول الله تعالى في الوصاة بالوالدين وتنزيهما عن قبائح القول والفعل: ﴿وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ فأف الأصل في صيانتهم عن الخنا وفحش القول، والنهر الأصل في ترك إيذائهم بالفعل والزجر. فيقول: سلاني طاعتي له واحتشامي منه مُدَّة حَيَاتِهِ، وإعظامي إياه في القول عند مخاطبته، والفعل وقت مجالسته ولدى معاملته. وأشار إلى القول بقوله « لم أقول له كذبت » وإلى الفعل بقوله « ولم أبخل بما ملكت يدي ». والمعنى لم أبخل بملك يدي عليه، فحذف عليه كما يحذف المفعول إذا دل عليه الكلام.

٢٧٢

وقال أيضا :

١ — تقولُ ألا تبكي أخاك وقد أرى مكانَ البكا لـكنْ بُدِيتُ على الصبرِ

٢ — فقلتُ أعبد الله أبـيكي أم الذي لهُ الجـدثُ الأعلى قـتيلَ أبي بكرٍ^(١)

يقول : اجتمعتُ على المصائب والرزايا فاقسمتني ، فإذا دُعيتُ إلى البكاء على أخي ، أرى البكاء يحقُّ له لفاقتي إلى حياته ، وتكامل فضله في نفسه ، لكنني وجدْتُ صبورًا إذ كانت عليه بُنييتي ، وإذ صار ديدني ودأبي . وقوله « مكانَ البكا » بيانُ استحقاق أخيه البكاء عليه . وقد قصرَ البكاء ، وللشاعر أن يقصرَ الممدود باتفاق من المذهبين . وفي طريقته قول الآخر^(٢) :

ولو شيتُ أن أبـيكي بُكًا لبـكـيـتـه عليك ولكن ساحة الصبرِ أوسع^(٣)

وقوله « فقلتُ أعبد الله أبـيكي » ، كشفَ به [عن^(٤)] توالي الرزايا ، وأنَّ جلده متوزعٌ فيها ، فكانَّه قال : إلى من أصرِف البكا ، ومن أخصُّ به أعبد الله أم المدفون في القبرِ الأعلى قـتيلَ أبي بكر بن كلاب . وقوله « الأعلى » يريد الأشرف ، ويجوز أن يُر يدَ الأعلى في مكانه وموضعه . والجـدثُ : القبر ، وكذلك الجـدَف ، وجمعه الأجداث . وفي القرآن : ﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ . وانتصبَ عبد الله بأبـيكي ، وقـتيلَ على البدل من الذي .

(١) في الأغاني (٩ : ٧) : « وكان لدريد إخوة ، وهم عبد الله الذي قتلته غطفان ، وعبد يعقوب قتلته بنو مرة ، وقيس قتلته بنو أبي بكر بن كلاب ، وخالد قتلته بنو الحارث بن كعب » .

(٢) هو إسحاق بن حسان الحريمي . معاهد التنصيص (١ : ٨٤) .

(٣) يروي : « أن أبـيكي دما » . (٤) هذه من م ، ل والتمورية .

٣- وَعَبْدُ يَغُوثَ تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ وَعَزَّ الْمَصَابُ جَثُوَ قَبْرِ عَلَى قَبْرِ

نَبَّهَ بِقَوْلِهِ « تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ » عَلَى أَنَّهُ تَرِكَ بِالْعَرَاءِ ، وَعَوَافِي الطَّيْرِ تَأْكُلُهُ ، فَلَمْ يُدْفَنَ ، وَإِنَّمَا قَالَ تَحْجُلُ إِشَارَةً إِلَى امْتِلَاءِ حَوَاصِلِهَا وَثِقَلِهَا ، فَهِيَ تَحْجُلُ حَوْلَهُ ^(١) وَلَا تَطِيرُ . وَالْحَجْلُ : مَشَى الْمُقَيَّدُ ، وَتَوَثَّبَ الْإِنْسَانُ عَلَى إِحْدَى رِجْلَيْهِ وَقَدْ رَفَعَ الْأُخْرَى . وَنَزَوَانَ الْغُرَابِ حَجَلُهُ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَلْهُفٌ وَتَحْزُنٌ . وَقَوْلُهُ « وَعَبْدُ يَغُوثَ » وَإِنْ اسْتَأْنَفَ الْكَلَامَ بِهِ فَهُوَ فِي الْمَعْنَى مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَيُّهُمْ أَبْكَى وَقَدْ كَثُرُوا . وَقَوْلُهُ « وَعَزَّ الْمَصَابُ » يُرَوَى الْمَصَابُ بِالرَّفْعِ وَيُرَادُ بِالْمَصَابِ الْمَصِيبَةُ ، وَيَرْتَفِعُ « جَثُوٌ » عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْهُ ، وَيَكُونُ مَفْعُولٌ عَزَّ مَحْذُوفًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَعَزَّ الشَّاعِرَ الْمَصِيبَةُ جَثُوَ قَبْرِ عَلَى قَبْرِ . وَإِذَا رَوَيْتَ « وَعَزَّ الْمَصَابُ » بِالنَّصْبِ ، يَكُونُ الْمَصَابُ الشَّاعِرُ ، وَجَثُوَ قَبْرِ هُوَ الْفَاعِلُ ، وَالْمَعْنَى غَلَبَهُ تَوَالِي الْمَصَابِ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « جَثُوَ قَبْرِ عَلَى قَبْرِ » أَيْ حَصُولَ الْوَاحِدِ فِي إِثْرِ الْوَاحِدِ . وَيُقَالُ : جَثَا لِرُكْبَتِهِ ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ^(٢) ﴾ ، أَيْ لِأَزْمِينِ لِرُكْبَتِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْقِيَامَ . وَاسْتِعْمَالُ الْجَثُوِّ مَجَازٌ هُنَا ؛ لِأَنَّ الْقَبْرَ لَا يَجْثُو . وَالْجَثْوَةُ مِنَ التُّرَابِ وَغَيْرِهِ : مَا جُمِعَ ، وَبِهِ سُمِّيَ الْقَبْرُ جَثْوَةً . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « حَثُوَ قَبْرِ عَلَى قَبْرِ » ، فَجَعَلَ الْحَثُوَ لِلْقَبْرِ ، وَإِنَّمَا يُحْتَمَى عَلَيْهِ ^(٣) ، كَمَا قَالَ :

(١) هذا ما في التيمورية وفي سائر النسخ « حولها » .

(٢) وردت الآية بهذه القراءة في جميع النسخ ، وهي قراءة جمهور القراء ما عدا حمزة والكسائي . وكذلك يقرءون « عتياً » و « صلياً » كلها عندهم بضم أوائلها . وأما حمزة والكسائي فيقرآن بكسر أوائلها . تفسير أبي حيان (٦ : ٢٠٨) .

(٣) كذا فهم المرزوقي ، أما ابن جنى فقد قال في التنبيه : « حثو قبر على قبر ، أي حثو قبر عقيب حثو قبر . فعلى هذا صفة لحثو ، كقولك ولد له عشرون ولداً رأساً على رأس ، أي تابعاً وتالياً » .

* وما مِن قَلِي يُحْتَى عَلَيْهِ مِنَ التُّرْبِ *^(١)

وروى بعضهم « وعزّي » والمعنى سلى المصاب ، أى نفسه ، من البكاء والتحزن ، توالى الأرزاء عليه ؛ فإنه تمرّن بها ، فصار يصبر عليها . ويكون فى هذا ملماً بمعنى قول الآخر^(١) :

قَدَّ جَعَلَتْ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى قَدِّ الصِّدِّيقِ تَنَامُ
٤ — أَبِي الْقَتْلِ إِلَّا آلَ صِمَّةَ إِنَّهُمْ أَبَوَا غَيْرَهُ وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ

يقول : لم يرض القتل إلا آل صمّة لأنهم الكرام ، والدّهر يأبى فى الاختيار أن يكون حظه من غيرهم ، كما أن آل صمّة لم يرضوا من أحداث الزّمان فيهم إلا بالقتل ، إذ كان ذلك عندهم أحسن الميئات وأكرمها . وقوله « أبى القتل إلا آل صمّة » يشبهه قول الآخر^(٢) :

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَمُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ
وقوله « إنهم أبوا غيره » يشبهه قول الآخر^(٣) :

* وما مات منّا ميتٌ حتفَ أنفه^(٤) *

وقوله « والقدر يجرى إلى القدر » ، يريد كما قدروا للقتل قدر القتل لهم ، لأنهم بما اجتمع فيهم من الخصال الشريفة التى يختارها الدّهر لنوابه ، كأنهم خلّفوا للدّهر ولتأثيره الذى هو القتل ، لأن القتل لما كان أشرف أسباب الحتف عندهم فأحبّوه ومالوا إليه ، صاروا لذلك كأن القتل خلق لهم .

(١) هو عبد الصمد بن العذل ، أو الحسين بن مطير ، كما سبق فى حواشى الحماسية

٧٧ ص ٢٧٣ .

(٢) هو طرفة بن العبد ، فى معلقته .

(٣) هو السموأل ، كما سبق فى الحماسية ١٥ .

(٤) مجزه : * ولا طل منا حيث كان قتيل *^(٤)

٥ - فإمّا تَرَيْنَا لا تَزَالُ دِمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ
 ٦ - فَإِنَّا لِلَّحْمِ السَّيْفِ غَيْرِ نَكِيرَةٍ وَنُلْحِمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بِذِي نُكْرٍ
 جواب إمّا أوّل البيت الذى يليه ، وهو فإننا . والفاء من فإننا رابطة
 ما بعدها بما قبلها ، ولا تَزَالُ دِمَاؤُنَا إلى آخر البيت فى موضع المفعول لتَرَيْنَا ،
 وَلَدَى وَاتِرٍ لفظه واحدٌ والمراد به الكثرة . وآخِرَ الدَّهْرِ : ظرفٌ ، والعاملُ فيه
 « لا تَزَالُ دِمَاؤُنَا » لأنّ المعنى إمّا تَرَيْنَا لا تَزَالُ دِمَاؤُنَا أَبَدَ الدَّهْرِ لَدَى وَاتِرِينَ
 يَسْعُونَ بِهَا . ولا يجوز أن يكون العاملُ فيه يَسْعَى بِهَا ، لأنّ فيه إيهامًا أنهم
 لا يَنَالُونَ الوترَ من الواترين سريعًا ، ولكنهم يَسْعُونَ بِدِمَائِهِمْ أَبَدَ الدَّهْرِ .
 وهذا الكلامُ كالأعتذار من كثرة القتلِ فيهم ، فيقول : إن اتَّصَلَ القتلُ فينا حتّى
 نَرَى دِمَاءَنَا أَبَدَ الدَّهْرِ لَدَى وَاتِرِينَ ، فَإِنَّا لِحَبْنًا لِلْقَتْلِ طَعْمُ السَّيْفِ حَقًّا غَيْرَ ذِي
 إنكارٍ ولا امتراءٍ ، وكما تَتَطَعَّمُ مِنَّا فَإِنَّا نَطْعِمُهَا أَيضًا مِنْ غَيْرِنَا ، فنَجْعَلُ أعداءَنَا
 حُمةً لَهَا غَيْرَ ذِي شَكٍّ وَلَا مِرِيَةٍ . وقوله « غَيْرِ نَكِيرَةٍ » انتصب على المصدر
 وأكثُرُ ما يُستعمل نَكِيرٌ بغير الهاء فالتَّكْرُ والنَّكِيرُ ، كالعُذْرِ والعَذِيرِ
 والعُذْرَى . ومثلُ هذا المصدرِ يُؤكِّدُ به الكلامُ الذى قبله ، ويجرى مجرى حَقًّا
 وما أشبهه . ويجوز أن يكون الهاء من التَّكْبِيرِ للمبالغة^(١) . وقوله « وَنُلْحِمُهُ
 حِينًا » فالحينُ اسمٌ للزمانِ المتَّصِلِ ، فكأنّه قال : وَنُلْحِمُهُ فيما يَتَّصِلُ مِنْ
 الأوقاتِ . وليس يُريدُ حِينًا مِنَ الأحيانِ . وإن رُوِيَ « غَيْرِ نَكِيرِهِ » على أن
 يكون الضميرُ منه يَعُودُ إلى السَّيْفِ كأنّه قال : غَيْرِ مَنْكُورِهِ ، فيَجْعَلُهُ حَالًا
 لِلَّحْمِ ، فليس بجيّدٍ ؛ لأنّ القصدَ إلى تأكيد الكلامِ بهذا المصدرِ ؛ فكما أن

(١) زاد ابن جنى رأياً آخر انفرد به ، وهو قوله : « يجوز أن يكون غير هذا ، وهو أن يريد به النكرة التي هي ضد المعرفة ، ثم أشبع كسرة الكاف فأنشأ عنها ياء ، مثلها في الصياريف والمطافيل . »

في آخر البيت قوله « وليس بذى نُكْرٍ » تأكيده لما قبله ، كذلك يجب أن يكون غير نَكِيرَةٍ هكذا ، ليقابل الصَّدْرُ والعَجْزُ على حَدِّ واحدٍ من التَّأْكِيدِ وحصول هاء التَّأْنِيثِ في نَكِيرَةٍ لا يجب أن يُنْكَرَ ، كما لا يُنْكَرُ في قولهم نَكْرَةٌ ومَعْرِفَةٌ ، وكما لا يُنْكَرُ الألف في آخر ذِكْرِي وَعُذْرِي .

٧ — يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتْرِينِ فَيُشْتَقَى بِنَا إِنْ أُصِبْنَا أَوْ نُغَيَّرُ عَلَى وَتْرِ نَبَّهَ بقوله « فَيُشْتَقَى بِنَا » أَنَّهُمُ الثَّارُ الْمُنِيمُ ، فَإِذَا أُصِيبَتْ دِمَاؤُهُمْ كَانَ فِيهَا لِلْأَعْدَاءِ الشِّفَاءُ . وَانْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي عَلَيْنَا . وَقَوْلُهُ « أَوْ نُغَيَّرُ عَلَى وَتْرِ » ، يَرِيدُ عَلَى وَتْرِ لَنَا عِنْدَهُمْ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : أَوْ نُغَيَّرُ عَلَى وَتْرِينِ لَنَا . وَقَدْ سَلَكَ الْأَعْيَشَى هَذِهِ الطَّرِيقَةَ ، فَلَمْ يُؤَفِّ الْقِسْمَةَ حَقَّهَا كَمَا فَعَلَ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ قَالَ :

فَأُطْعِمْتَ وَتَرَكَ مِنْ دَارِمٍ وَوَتَرَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يُقِيمْ

والمعنى أَرْجَحْتَ الْوَتْرَ الَّذِي كَانَ لَكَ عِنْدَهُمْ مِنْ دَارِمٍ ، عَلَى عَادَتِكَ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ مِنْ قَبْلُ فِي إِدْرَاكِ الثَّارِ سَرِيعًا ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ « وَوَتَرَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يُقِيمْ » إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يُمِهِلُ وَلَا يُهْمِلُ فَوَتَرُهُ لَا يَتَلَوَّمُ عِنْدَ الْأَعْدَاءِ .

٨ — قَسَمْنَا بِذَلِكَ الدَّهْرِ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ

أشار بقوله « ذاك » إلى ما تقدّم ذكره من تردّده في مجاذبة الأعداء طالبينَ صرّةً ، ومطلوبينَ أخرى . وانتصب « شَطْرَيْنِ » على المصدر ، كأنه قال : قَسَمْنَا الدَّهْرَ قَسْمَيْنِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا عَلَى مَعْنَى قَسَمْنَاهُ مُخْتَلَفًا ؛ فَوْقَ الْأَسْمِ مَوْقِعَ الصِّفَةِ لِمَا تَضَمَّنَ مَعْنَاهُ ، كَمَا تَقُولُ : طَرَحْتُ مِتَاعِي بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ ، كَأَنَّكَ قَلْتَ مَتَفَرِّقًا . وَالْمُرَادُ : جَعَلْنَا أَوْقَاتَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَعْدَائِنَا مَقْسُومَةً قَسْمَيْنِ ، فَتَرَاهَا لَا يَنْقُضِي شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا وَنَحْنُ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ

الحدّين . إِمَّا أَنْ تَكُونَ لَنَا الْكَرَّةُ عَلَيْهِمْ فَئُدَالٍ مِنْهُمْ . وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ
الْجَوْلَةُ عَلَيْنَا فَيُنَالَ مِنَّا .

٢٧٣

وقال تَأَبَّطَ شَرًّا^(١) :

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَخَلَفِ الْأَحْمَرِ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ^(٢) .

١- إِنْ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لِقَتِيلٍ لَّا دَمُهُ مَا يُطَلُّ
يجوز أن يكون ذكر الشعب الموصوف لأن قبر ذلك القتييل كان فيه ،
ويجوز أن يكون ذكره لأنه قُتِلَ عنده ، وهو في اللغة ما انفرج بين جبليين
ونحوهما . والسَّلْعُ بفتح السين وكسرِها : شَقٌّ فِي الْجَبَلِ ، وَمِنْهُ سَلَعَتْ رَأْسَهُ ،
أى شققته . وقولهم هَادٍ مِسْلَعٌ^(٣) ، أَيْ يَشُقُّ أَجْوَازَ الْفَلَاةِ . وقوله « دَمُهُ
مَا يُطَلُّ » من صفة القتييل ، والمعنى أَنِّي فِي طَلَبِ ثَارِهِ ، فَدَمُهُ لَا يَذْهَبُ هَدْرًا .
وَالطَّلُّ : مَطْلُ الدَّمِ وَالذِّيَّةِ وَإِبْطَالُهُمَا . وقال :

* أَزْهَيْرُ لَيْسَ أَبُوكَ بِالْمَطْلُولِ *

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١١ ص ٧٤ .

(٢) وعبارة التبريزي مطابقة لهذه ، وزاد : « وقيل : قال ابن أخت تأبط شراً . قال

الزمري : ومما يدل على أنها لخلف الأحمر قوله فيها :

* جَلِ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ *

فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا . قال أبو محمد الأعرابي : هذا موضع المثل : ليس
بمشك فادرجي . ليس هذا كما ذكره ، بل الأعرابي قد يتغلغل إلى أدق من هذا لفظاً ومعنى .
وليس من هذه الجهة عرف أن الشعر مصنوع ، لسكن من الوجه الذي ذكره لنا أبو الندى .
قال : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلماً ، وهو بالمدينة ، وأين تأبط شراً
من سلع . وإنما قتل في بلاد هنديل ورمى به في غار يقال له رخمان . وفيه تقول أخته تربيته :

نعم الفتى غادرتم برخان بثابت بن جابر بن حيان

* مِنْ يَقْتُلُ الْقَرْنَ وَيُرْوِي النَّدْمَانَ * .

والقصيدة في العقد (٣ : ٢٩٨ - ٣٠٠) طبع لجنة التأليف ، بزيادة بعض أبيات وخلاف
في الرواية . (٣) انظر ما سبق في حواشي حماسية ابن السلمي ص ٧٥٩ .

٢ - خَلَفَ الْعِبَاءَ عَلَيَّ وَوَلَّى أَنَا بِالْعِبَاءِ لَهُ مُسْتَقِيلٌ^(١)

أراد بالعباء طلب دمه والنيل من عدوه . وقوله « أنا بالعباء له مستقيل » تحقيق للوعد بإدراك الثأر ، وإظهار اقتدار على النكاية في الأعداء . وقوله « له » أى من أجل المرنى ، وإنما سُمِّيَ الثَّقَلُ عَيْبًا لَأَنَّهُ مِنْ عِبَاتِ الْمَتَاعِ أَعْبُوهُ عَيْبًا ، ثُمَّ يُسَمَّى الْمَتَاعُ عَيْبًا ، فَهُوَ كَالنَّقْضِ وَالنَّقْضُ . وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَتَّى تَسَمَّحُوا بِهِ فِيمَا يَدْخُلُ مِنَ الثَّقَلِ عَلَى الْقَلْبِ وَلَا يُحْمَلُ عَلَى الظُّهْرِ .

٣ - وَوَرَاءَ الثَّأْرِ مَنِّي ابْنُ أُخْتٍ مَصِيعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ

أعطى فيما اجتمع من الوصف الترتيب حقه ، وذلك لأنه اجتمع مفرد وجملة في صفة « ابن أخت » فقدم المفرد على الجملة ، وهذا وجه الكلام وحقه ؛ لأن الجملة إنما وُصِفَ بِهَا لَوُقُوعِهَا مَوْقِعَ الْمَفْرُودِ ، فَإِذَا صَاحَبَهَا مَفْرُودٌ كَانَ الْأُولَى تَقْدِيمَهُ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَعُقْدَتُهُ ارْتَفَعَ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَمَا تُحَلُّ خَبْرُهُ . وَالْمَصِيعُ الشَّدِيدُ الْمَقَاتِلَةُ الثَّابِتُ فِيهَا . وَيَعْنِي بَوْرَاءَ هَاهُنَا الْخَلْفَ ، وَإِنْ كَانَ يَصْلُحُ لِلْقَدَامِ . وَفِي هَذَا الْكَلَامِ ضَرْبٌ مِنَ الْوَعِيدِ ، كَأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى قَوْلِ الْقَائِلِ : اللَّهُ مِنْ وِرَائِكَ . وَيُرِيدُ : وَفِي طَلَبِ الثَّأْرِ مِنْ جِهَتِي ابْنُ أُخْتٍ هَذِهِ صِفَتُهُ ، وَيَعْنِي بِهِ نَفْسَهُ . وَيَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى قَوْلُ الشَّنْفَرِيِّ :

هَمَّتْ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وَأَسَدَاتِ وَشَمَّرَ مَنِّي فَارِطٌ مَتَمَّهُلٌ

والفارط المتمهل هو الشنفرى . وقوله « عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ » يجوز أن يريد ما يعقده برأيه أو يحكمه لا ينقض . ويجوز أن يريد به قوته وجلادته ، وتكون العقدة راجعة إلى استحكام خلقه وصبره في الشدائد .

(١) في العقد : « قذف العباء » .

٤ — مُطْرِقٌ يَرْشَحُ مَوْتًا كَمَا أَطَّ رَقَ أَفْعَى يَنْفِثُ السَّمَّ صِلٌ^(١)

شَبَّهَ نَفْسَهُ فِي إِطْرَاقِهِ وَسُكُونِهِ ، مُنْتَظِرًا لِفُرْصَةٍ يَنْتَهِزُهَا فِي إِدْرَاكِ ثَارِهِ بِالْحَيَّةِ ، وَأَنَّهُ فِي إِسْكَانِهِ يَرْشَحُ بِالْمَوْتِ لِعَدُوِّهِ كَمَا أَنَّ الْحَيَّةَ إِذَا أَطْرَقَ نَفْثَ بِالسَّمِّ . وَالرَّشْحُ كَالعَرَقِ ، وَالنَّفْثُ ، كَالقَذْفِ . وَالصَّلُّ مِنْ صِفَةِ الْأَفْعَى ، وَيُوصَفُ بِهِ الدَاهِيَةُ وَكُلُّ خَبِيثٍ ، يُقَالُ : هُوَ صِلٌ إِصْلَالٍ ، كَمَا يُقَالُ دَاهِيَةٌ دَوَاهٍ . وَأَسْمَاءُ الْحَيَّاتِ وَصِفَاتُهَا تُسْتَعَارُ فِي الدَّوَاهِي كَثِيرًا . وَالْأَفْعَى مُؤَنَّثَةٌ ، وَذَكَرُهَا الْأَفْعُوَانُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْأَفْعَى حَيَّةٌ قَصِيرَةٌ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ . وَيُنَوَّنُ فَيُقَالُ أَفْعَى ، وَبَعْضُ طَبِّئٍ يُقَلِّبُ أَلْفَهُ وَآوًا فَيَقُولُ أَفْعَوْ^(٢) ، وَبَعْضُ قَيْسٍ يُقَلِّبُهَا يَاءً فَيَقُولُ أَفْعَى . وَمِنْهُ تَفْعَى فُلَانٌ ، إِذَا سَاءَ خُلُقُهُ . وَقَالَ سِيدُوِيَّةٌ : صَرَفُهُ أَكْثَرُ وَأَجُودٌ . وَيُصْلِحُ لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى ، وَالْأَفْعُوَانُ الذِّكْرُ لِأَخِيَرِ .

٥ — خَبْرٌ مَا نَابَنَا مُصْمَعِلٌ جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ^(٣)

٦ — بَزَنِي الدَّهْرُ وَكَانَ غَشُومًا بَابِي جَارُهُ مَا يَدِلُّ^(٤)

يَعْنِي بِالْخَبْرِ نَعْيَ الْمَتَوَفَّى ؛ وَقَدْ اسْتَعْظَمَهُ وَجَعَلَهُ دَاهِيَةً مُنْكَرَةً حَتَّى عَلَا شَأْنُهُ وَجَلَّ عَنْ أَنْ يُضَبَّطَ بِوَصْفِهِ ، أَوْ يُحَدَّ بِنَعْتِهِ ، فَلِذَلِكَ قَالَ « جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ » . وَيُقَالُ دَاهِيَةٌ مُصْمَعِلَةٌ ، إِذَا اشْتَدَّتْ . وَالْأَجَلُ تَأْنِيثُهُ الْجَلِيُّ ، وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْإِضَافَةِ النَّائِبَةِ عَنْ مِثْلِ قَوْلِهِمْ : هُوَ أَجَلٌ

(١) التبريزي والعقد « يرشح سما » .

(٢) هكذا ضبطت في ل هي و « أفعى » التالية بسكون آخرها . وكذلك وردت « أفعو » ساكنة الواو في اللسان (فعا) في حديث ابن عباس : « لا بأس بقتله الأفعو ، ولا بأس بقتل الحدو » ، ثم قال : « ومنهم من يقلب الألف ياء في الوقف ، وبعضهم يشدد الواو والياء » .

(٣) مصمئل ، وردت بدم التنوين في الأصل ، وبالتنوين في سائر النسخ . وانظر

ما سبق في حواشي ٨٠٧ .

(٤) هكذا ضبطت في ل . وكتب فوق الكلمة « معاً » ، لنقرأ بالقراءتين .

من كذا ، ومعناه الجليل . وقوله « بَزَنِي الدَّهْرُ » ، أي غَلَبَنِي واستَبَنِي .
 وقوله « بَأبِيَّ » الباء دخلت للتأكيد زائدة ، كأنه قال : بَزَنِي الدَّهْرُ أَبِيَّ .
 ومثله قول الآخر^(١) :

* سُودُ الْحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالسُّورِ^(٢) *

ويجوز أن يكون عَدَى بَزَنِي بالباء لَمَّا كان معناه فَجَعَنِي ، ويكون من
 باب ما عُدَى بالمعنى دون اللفظ ، كقوله :

إِذَا تَغَنَّى الْحَمَامُ الْوُرُقُ هَيَّجَنِي وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارِ^(٣)
 وقوله « جَارُهُ مَا يُدَلُّ » من صفة الأبي . والأبي : المتصعب المتصعب .
 والغشم : الظلم والقهر . وقوله « وَكَانَ غَشُومًا » يعنى به الدهر ، وهو اعتراض
 بين الفاعل والمفعول ، ومثله يتأكد به الكلام . وقوله « يَدَلُّ » يُرَوَى بفتح
 الياء ، ويُدَلُّ على ما لم يُسَمَّ فاعله ، والمعنى ظاهر . وصفه بأنه كان عزيز الجار
 محمي الفناء ، وأنه كان له عُدَّة على الدهر ، وسلاحًا معه فاستلبه منه .

٧ - شَامِسٌ فِي الْقُرْحِ حَتَّى إِذَا مَا ذَكَتِ الشُّعْرَى فَبَرْدٌ وَظِلُّ

٨ - يَابِسُ الْجُنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُوسٍ وَنَدِيُّ الْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ

وصفه بأنه كان يُنتفع به في كُلِّ حالٍ وزمان ، وأنه كان غيائًا للناس في
 حَالَتِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، فكانَ الشَّمْسَ عندَ البَرْدِ ، وَالظَّلَّ عندَ الحَرِّ . يقال :
 ذَكَتِ النَّارُ تَذُّوًا ، وَأَذَكَيْتَهَا ، وَكَذَلِكَ أَذَكَيْتُ الحَرْبَ . وَنَوَى الشُّعْرَى

(١) هو الراعي النخري ، أو القتال السلابي . انظر حواشي صفحة ٣٨٣ .

(٢) صدرد : * هن الحرائر لربات أميرة *

(٣) أي ذكرني أم عمار . والبيت للناخبة الذيباني في معلقته برواية أبي زيد القرشي

في جهرة أشعار العرب ص ٥٣ .

بشدّة الحرّ يجيء . ويقال للشمس ذُكَاءٌ من ذلك . وقد جاء مثل هذا في
النسب ، يقول ابن الرُّقَيَّات :

سُخْنَةٌ فِي الشِّتَاءِ بَارِدَةٌ الصَّيْفِ هِلَالٌ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ

والمعنى أنّها للضّجيع في الصّيف هكذا ، وفي الشتاء هكذا . وقد أتى الأعشى
بهذين المعنيين في بيتين ، وابن الرُّقَيَّات أتى بهما مع ثالثٍ لهما في بيت واحد .
وبيتُ الأعشى :

وَتَبْرُدُ بَرْدَ رِدَاءِ الْعَرُوسِ بِالصَّيْفِ رَقْرَقَتْ فِيهِ الْعَبِيرَا^(١)
وَتَسَخُنُ لِيْلَةً لَا يَسْتَطِيعُ مَعُ أَنْ يَنْبِيحَ الْكَلْبُ إِلَّا هَرِيرَا^(٢)
وأما قوله « يابسُ الجنين من غير بُوسٍ » يريد^(٣) أنه يُؤثِّرُ بالزّاد غيره
على نفسه . وعادتهم التمدُّحُ بالهزال ، فهو كقول الآخر^(٤) :

تَرَاهُ خَمِيصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُقَدَّدِ

وقوله « نديُّ الكفين » ، أراد أنه سخّيٌّ . ويقال : هو يتندى على
أصحابه ، أي يتسخى . والشَّهْمُ : الذِّكْيُ الحديدي ، ومنه قيل للقنفذ الشَّهْمُ .
والمَدْلُ هو الواثق بنفسه وبآلاته وعُدّته .

٩ - ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ حَلَّ الْحَزْمِ حَيْثُ يَحُلُّ
١٠ - غَيْثٌ مَزْنٍ غَايِرٌ حِينَ يُجْدِي وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْتُ أَبْلُ

وصّفه بأنه مستعملٌ للحزم وأخذ به ، ظاعنًا كان أو مقيا . وأشار بقوله

(١) انفردت نسخة الأصل برواية : « عبيرا » .

(٢) اتفقت النسخ على ضبط « ينبح » بكسر الباء ، وها لغتان ، يقال بكسر

الباء وضمها .

(٣) كذا جاء جواب « أما » بدون الفاء ، وانظر ما سبق في حواشي صفحة ٨١٤ .

(٤) دريد بن الصمة . الحماسية ٢٧١ .

« ظاعنٌ » إلى غزواته ، وأسفاره وغاراته ؛ وبقوله « حَلَّ الحَزْمُ حَيْثُ يُحَلُّ » إلى شِدَّةِ حذره في إقامته ، ودوام اتقائه من الأعداء حتى لا ينسأهم ولا يغفل عنهم . وقوله « غَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حِينَ يُجْدِي » وصفه بأن منافعه عامَّةٌ للخلق . والمزنة : السحابة البيضاء . والغامر : الشاملُ جدواه وعطيَّته . وقوله « وإذا يسطو فليثُ أبلٌ » ، الأبلُ : الفاجر المصمُّ الماضي على وجهه ، لا يُبالى ما لقي . والمراد أنه في الإحسانِ بالغٌ أقصى الغايات ، وعند السطوة على الأعداء كالليث الكثير الإفساد ، الشديد النكاية . والسطوُ : البسطُ على الإنسان تقهره من فوق . ويقال : سطا عليه وسطا به . وقال الخليل : سُمِّيَ الفرسُ ساطياً لأنه يسطو على سائر الخيل ، فيقوم على رجليه ويرفع يديه .

١١ — مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ أَحْوَى رِفْلٌ وَإِذَا يَغْزُو فِسِمَعٌ أَزْلٌ

١٢ — وَلَهُ طَعْمَانٍ أَرَى وَشَرَى وَكَلَّا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ

مفعول « مُسْبِلٌ » محذوفٌ . وصفه بأنه في الحيِّ - والحالُ سلامةٌ - يُسْبِلُ إزاره خِيَلًا وكِبْرًا ، ويتبختر ذاهبًا في الترفَةِ إلى أرفع الدَّرَجَةِ^(١) ، وأنه إذا غَزَا فهو كالسَّمْعِ ، وهو الولدُ بين الذئب والضبع ، وهو أخبث السباع وأعداها . والزَّلَلُ : خِفَّةُ العَجْزِ ، وذلك خِلقته^(٢) .

وقوله « وَلَهُ طَعْمَانٍ أَرَى وَشَرَى » يريدُ به أنه للموَالِينِ كالأرَى - ويراد به العَسَلُ وإن كان في الأصلِ عملَ النَّحْلِ - وللمُعَادِينِ كالشَّرَى ، وهو الحنظلُ .

(١) التبريزي : « والوجه الآخر في مسبل أن يكون عاملاً في أحوى ، ويراد به مسبلاً شعراً أحوى ، أى أسود ؛ لأنهم كانوا يوفرون لمهم . ويصفون الشاب بحسن اللمة ويدل على توفيرهم الشعور أنهم كانوا إذا أسروا الفارس من المذكورين جزوا ناصيته ليفتخروا بذلك » .

(٢) التبريزي : « والأزل : الأرسح ، وهو المسوح العجز . وهم يصفون الرجل بذلك ويكرهونه للمرأة » .

ثم قال : وَكَلَّا الطَّعْمِينَ قَدْ ذَاقَ كُلُّهُ ، أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّعْمِينَ قَدْ ذَاقَهُ
 كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ قَبِيلِي الْأَعْدَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَمَفْعُولُ ذَاقَ مَحذُوفٌ إِذَا جَعَلْتَ كَلَّا
 مَبْتَدَأً ، كَأَنَّهُ قَالَ : قَدْ ذَاقَهُ كُلُّهُ . وَالْأَجُودُ أَنْ تَجْعَلَ كَلَّا مَفْعُولَ ذَاقَ وَلَا
 تَجْعَلَهُ مَبْتَدَأً . وَمِثْلُهُ : زَيْدًا ضَرَبْتُ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُخْتَارُ عَلَيَّ : زَيْدٌ ضَرَبْتُ .
 وَكَلَّا اسْمٌ مُوَحَّدٌ يُؤَكِّدُ بِهِ الْمَثْنَى ، كَمَا أَنَّ كَلَّا اسْمٌ مُوَحَّدٌ يُؤَكِّدُ بِهِ الْجَمْعُ .
 وَهُوَ مَقْصُورٌ كَمَعَى ، وَأَنَّهُ مَنقَلَبَةٌ عَنْ وَاوٍ ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا الْبَصْرِيِّينَ ،
 وَالْكَوْفِيِّينَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ اسْمٌ مَثْنَى .

١٣ - يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَحِيدًا وَلَا يَصُحُّ جُبُّهُ إِلَّا الْيَمَانِيُّ الْأَفْلَّ
 هَذَا كَقَوْلِ الْآخِرِ (١) :

يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمِيسِي بِغَيْرِهَا جَجِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ
 وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ لَا يَتَكَبَّرُ بِالْأَصْحَابِ إِذَا هُمْ بِاقْتِحَامِ أَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَهَوْلٍ شَدِيدٍ ،
 بَلْ يَتَفَرَّدُ فِيهِ مَسْتَصْحَبًا سَيْفَهُ الْأَفْلَّ ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَثُرَ قَوْلُهُ بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ .
 وَانْتَصَبَ « وَحِيدًا » عَلَى الْحَالِ . وَقَوْلُهُ « وَلَا يَصُحُّ جُبُّهُ » انْعَظَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ صِفَةٌ
 لِلْوَحِيدِ (٢) وَتَأْكِيدٌ لِلْوَحْدَةِ (٣) .

١٤ - وَفُتُوًّا هَجَرُوا أَسْرَوْا لِيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا انْجَابَ حَلُّوا

(١) هو تأبط شرا . الحماسية ١٣ ص ٩٥ .

(٢) أي صفة معنوية لا نحوية ، على أن الوجه أن تكون الجملة حالية مؤكدة معطوفة

على الحال قبلها .

(٣) كذا وردت هذه اللفظة بفتح الواو في جميع النسخ ، وهو رد على من أنكر صحة

هذا الضبط . ويؤيد صحته ما ورد في اللسان (٤ : ٤٦٢) : « وحكى سيديويه الوحدة في معنى

التوحد » ، وقد ضبطت بفتح الواو .

١٥ - كُلُّ ماضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسْنَا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ^(١)

فتو: جمع فتى ، ولام فتى ياء بدلالة قولهم فتیان ، لكنّه بناءٌ على مصدره وهو الفتوة ، وهذا المصدرُ إنّما جاء على هذا عَوْضاً مِنْ حَمَلِ بَنَاتِ الْوَاوِ عَلَى الْيَاءِ كَثِيراً ، فَكَأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَحْمِلُوا مَا هُوَ مِنَ الْيَاءِ عَلَى الْوَاوِ أَيْضاً ، وَهُوَ شَاذٌ^(٢) .
ومعنى هَجَرُوا : ساروا في الهاجرة . ويقال : جُبْتُ الظَّلامَ وَاجْتَبْتُهُ فَانْجَابَ . وَجُبْتُ الْمَفَاذَةَ : قَطَعْتُهَا . يريدُ أَنَّهُمْ وَصَلُوا السَّيْرَ بِالسَّرِيِّ ، فَلَمَّا انْكَشَفَ الظَّلامُ نَزَلُوا . وقد اشتمل هذا الكلامُ على جوابِ رَبِّ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ حَلُّوا - وهو جوابُ إِذَا انْجَابَ - صارَ جَوَاباً لِرَبِّ أَيْضاً . ويقال : سَرَى وَأَسْرَى بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وقوله « كل ماضٍ قد تردى بفاضٍ » يريدُ أن كلَّ واحدٍ من هؤلاء الفتيان نافذٌ في الأعمال والغزوات ، وقد تقلد سيفاً نافذاً في الضربات ، وإذا انتزع من غمده لمع التماع البرق . ويقال : ارتدى بسيفه وتردى واعتطف به ، ويسمى السيفُ الرِّدَاءَ وَالْعِطَافَ .

١٦ - فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا تَمَلُّوا رُعْتَهُمْ فَاشْمَعَلُوا^(٣)

قوله « رُعْتَهُمْ » جوابٌ لَمَّا ، ومعنى اشْمَعَلُوا جَدُّوا فِي الْمِضِيِّ . ويقال رجلٌ

(١) روى بعده التبريزى :

فَادْرَكْنَا النَّارَ مِنْهُمْ وَلَمَّا يَنْبِجُ مِلْحَتَيْنِ إِلَّا الْأَقْلُ

(٢) أما ابن جنى فيرى أن واوه قد تكون أصلية فلا شذوذ ، قال في التنبية : « فتو طريف التصريف ، وذلك أن لاه ياء بدلالة قوله سبحانه : ودخل معه السجن فتیان . وفعول إذا كان مكسراً ولامه واو قلبت إلى الياء ، وذلك نحو عصى ودلى وحق . فأما أن تكون ياء ثم تقلب في التفسير واوا فقلب الفضية وتفض الطريقة . غير أن هذا متخرج على مذهب أبي الحسن الأخفش ، وذلك أنه يذهب إلى أن لام فتى يصلح أن يكون واواً وأن يكون ياءً ، ولا قاطع عليه في فتية ولا فتیان ، لأن له أن يقول إنه كصيبة وصبيان .

(٣) رواية التبريزى : « فلما هموا » .

مُسْمَعِلٌ ، أى جادٌ خفيف . والمعنى أنهم ساروا يومهم وليلتهم ، وكلُّ يرجعُ من نفسه وسلاحه إلى ما يُرتضى ويُعتدُّ به ، ثم نزلوا وهوَّموا ، وناموا نومَةً خفيفةً مثل حَسْوِ الطَّيرِ ماء التَّمَد ، تَمَشَّتْ فى يَقَظَتِهِمْ بقدر ديبها فى عُروَقِهِمْ ، ومزاوتها لخفوتهم وسكونهم ، فلما صاروا منها كالشكارى أنبتهم وبعثتهم للارتحال ، فحفوا وأطاعوا . ودلَّ بهذا الكلام على أن المرثى كان رئيسهم ومدبرهم ، على زيادة غنائه وذكائه ، وشهامته ومضائه ، وأنه لما بعثهم جدوا وخفوا غير متوقفين فى أمره ، ولا معتلين على رأيه .

١٧ - فَلَيْنَ فَلَتَ هُذَيْلٌ شَبَاهُ لَبِأَ كَانَ هُذَيْلًا يَفْلُ

١٨ - وَبِمَا أَبْرَكَهُمْ فى مُنَاخٍ جَمَعَجٍ يَنْقَبُ فِيهِ الأَظْلُ^(١)

يقول : إن كان هذيلٌ قد تمكنت منه فكسرت حده وأتعت جدّه ، فهو بما كان يؤثر من قبل فى هذيل فيطأ حريمها ، ويكثر قتيلاها . والعرب تقول : هذا بذاك ، أى هو عوض منه . واللام من قوله « لئن » موطنة لقسم مضمير ، والتي فى قوله « لبأ » جواب ذلك القسم . والشبابة حدُّ الشىء . ويقال : أشبى الرجل ، إذا أتى بأولادٍ نجباء يصيرُ له بهم حدُّ حديدٍ كسبنا الأسنّة . ويقال أيضاً : أشبى الرجل ، أى وجدت له شبابة . حكاه أبو عمرو . ويجوز أن يكون « شبوة » وهو اسم العقب ، من الشبأ ، لا برتها .

وقوله « وبما أبركهم » معطوفٌ على لبأ كان . والجمعج : مُنَاخُ سَوء ،

(١) التبريزى : « وبما أبركها » يرجوع الضمير إلى القبيلة . وقد روى التبريزى بعده

يبتأ آخر ، هو :

وَبِمَا صَبَّحَهَا فى ذَرَاهَا مِنْهُ بَعْدَ القَتْلِ نَهْبٌ وَشَلٌّ

الذرى ، بالفتح : الكنف والناحية . والشل : الطرد .

وهو الأرض الغليظة . والأَظْلُ : باطنُ خُفِّ البعير . ومعنى ^(١) يَنْتَبُ أَي يَمْحَى .
والمُراد : وبما كان ينالُ منهم ويحملهم فيه على المراكب الصَّعبة ، ويُنزلهم له
بالمنازل الحزنة ، التي تؤثر في أنفسهم وأموالهم . وهم يجعلون مثلَ هذا الكلام
كنايةً عن التأثير القبيح . ويشبهه قول الآخر ^(١) :

مَنْ يَذُقِ الحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مُرًّا وَتُبْرِكُهُ بِجَعِجَاعٍ ^(٢)
وقول الآخر ^(٣) :

لقد حَمَلَتْ قَيْسَ بنَ عَيْلَانَ حَرْبُنَا عَلَى يَابِسِ السَّيِّئِ مُحَمَّدِ بنِ الظَّهِيرِ
وقول الآخر ^(٤) :

وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى حَزَنِ نَهْلَا نَ شِلَالًا وَدُحَى الأَنْسَاءِ
١٩ - صَلَيْتُ مِنِّي هُدَيْلٌ بِخَرْقٍ لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا
٢٠ - يُنْهَلُ الصَّعْدَةَ حَتَّى إِذَا مَا نَهَلَتْ كَانَ لَهَا مِنْهُ عَلٌّ ^(٥)

يقول : ابْتَلَيْتُ هُدَيْلٌ من جهتي برَجُلٍ كريمٍ يتخرقُ في العُرفِ مع
الأولياء ، وبالثَّنْكَرِ مع الأعداء ، لا يفتُر عن النِّكَايةِ فيهم ، وعن الإغارة عليهم
ما دام لهم ثباتٌ وكان للجزءاء عليهم حَمَلٌ . وقولُه « حَتَّى يَمَلُّوا » يريدُ حَتَّى
يَمَلُّوه ، وليس المراد قعودهم عن مكافأته ، ومقارَكتهم لهيَجِه ، وإنما يريدُ أَنَّهُ
لَا يَكْفُ عن الإيقاع بهم ، وَلَا يُمَسِّكُ عن التأثير فيهم ، حَتَّى يَبْشَمُوا الشَّرَّ ^(٦)
وَحَتَّى لَا تَبْقَى فِيهِمْ قُوَّةٌ وَلَا نُهُوضٌ فَيُرَاصِدُوا أَوْ يَنَافِكُوا .

(١) في الأصل : « ومنه » ، صوابه في سائر النسخ .

(٢) هو أبو قيس بن الأسلت . المفضلية ٧٥ .

(٣) هو الأخطل . ديوانه ١٢٩ واللسان (سيس) . وقد سبق في ص ٤١٣ .

(٤) هو الحارث بن حلزة اليشكري ، في معلقته .

(٥) روى التبريزي بعده البيهقي ٢٣ ، ٢٤ ثم ٢١ ، ٢٢ .

(٦) انظر ما سبق من التحقيق في الحاشية ٣ من الصفحة ٦٤١ .

وقوله « يُنْهَلُ الصَّعْدَةَ » يريد الإبانة عن الحال التي أشار إليها من دوام الحرب ، وبَسَطِ القتل ، فيقول : يُرَوِّى الرَّمْحَ من دماهم بالسَّقِيَةِ الأولى ، فإذا ما رَوِيَتْ^(١) لم يُرْضِهِ ذلك حَتَّى يُعَقِّبَهُ بِمِثْلِهِ من السَّقِيَةِ الثانية . والمعنى اتِّصَالُ الوَقَعَاتِ ، وامتدادُ البلاء منه في صَبِّ الغارات . والصَّعْدَةُ : القَنَاةُ تَنْبِتُ مستويةً ، وجمعها صَعْدَاتٌ بفتح العين ، لأنها اسم . ثمَّ قِيلَ في المرأة المستوية القامة ، والأْتَانِ الطَّوِيلَةِ : صَعْدَةٌ ، وهى وصفٌ لهما ، ويُجمع حينئذٍ على صَعْدَاتٍ بسكون العين ، لكونها صفةً .

وقوله « صَلَيْتُ مَنِيَّ هَذَا بِلُجْرَقٍ » ، مثل قوله من قَبْلُ : « وَوَرَاءِ النَّارِ مَنِيَّ ابْنِ أُخْتٍ » في أَنَّ الحِرْقَ هو هُوَ لا غَيْرُهُ^(٢) . ويُقالُ صَلَيْتُ بِكَذَا أى ابْتَلَيْتُ بِهِ وَمُنَيْتُ ، وأصلُهُ من صِلَاءِ النَّارِ ، يُقالُ صَلَيْتُ أَصْلَى صِلَاءً ، وَاصْطَلَيْتُ أَصْطَلَى اصْطِلَاءً .

٢١ - تَضْحَكَ الضَّبْعُ لِقَتْلِ هَذَا بِلُجْرَقٍ وَتَرَى الذَّبَّ لَهَا يَسْتَهْلُ
٢٢ - وَعِتَاقُ الطَّيْرِ تَهْفُو بِطَانًا تَتَخَطَّاهُمْ فَمَا تَسْتَقِلُّ^(٣)

استعار الضحك للضبوع ، والاستهلال للذئب . وأصل التهلل والاستهلال في الفرح والصباح ، والمراد رَغْدُ العيش لهما ، واتِّصَالُ طُعْمِهِمَا بِاتِّصَالِ قَتْلِهِ في هذيل . وليس قول من قال معنى تَضْحَكَ : تَحْيِضُ ، بشىء . وقوله « وَعِتَاقُ الطَّيْرِ تَهْفُو بِطَانًا » مثل قول الآخر^(٤) فيما تقدم :

* وَعَبْدٌ يَفُوتُ تَحْجُلُ الطَّيْرِ حَوْلَهُ^(٥) *

(١) أى الرماح المفهومة من الرمح .

(٢) هذا في سائر النسخ . وفي الأصل : « لا غير » .

(٣) التبريزى : « تقدوا بطاناً » ، ثم فيه على رواية : « تهفو » .

(٤) هو دريد بن الصمة ، في الحماسة ٢٧٢ .

(٥) عجزه : * وعز المصاب حشو قبر على قبر *

ويعنى بالعِتاق آكلة اللّحمان وعافية الجيف منها . وقوله « تهفو بطاناً »
 أى إنها قد زوّرت^(١) ، وامتلات حواصلها فتقلت ، فإذا طارت تخطّتهم فى الطّيران
 فلا ترتفع فى الجوّ ، بل تُسفّ لثقلها . وبطان : جمع بطين . وتهفو : تطير ؛
 يقال : هفت الصّوفة فى الهواء ، أى ارتفعت . قال الخليل : ويقال لرفارف
 الفسّاط إذا تحرّكت : تهفوبها الرّيح . ثم توسّع فيه ، فيقال : هفا الظلم ،
 وهفا قلب فلان فى إثر كذا .

٢٣ - حَلَّتِ الْخُمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا وَبَلَايَ مَا أَلَمَّتْ تَحِلُّ^(٢)

٢٤ - فَاسْتَقْنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي خَلُّ

هذا على عادتهم فى تحريم الخمر وما يجرى مجراها فى ولوع النّفس به والميل
 إليه إذا قتل لهم قتيل ، حتّى يدركوا نأرة ، أو حزبهم أمرٌ عظيم يحتاجون
 فيه إلى مناهضة ومزاولة . وربما كانوا يجرّمون على أنفسهم تنظيف البدن
 والأخذ من الشّعروما شاكله ، وذلك على حسب ميل الطّباع وإيثار فطم النّفس
 عن الشّئ الذى لا مترك له عندها . والقصد فى جميعه حبس النّفس عن المطلوب
 وتذكيرها بالمفقود ، لئلا تناساه أو تتشاغل عنه^(٣) . فيقول : أدركت النّار
 فحلت الخمر بعد أن كانت محرّمة بالنّذر على ، وبجهد ألفت حلّالاً ، إشارة
 منه إلى ما قاساه فى طلب دمه . ومعنى بلاي : بعد جهد وبجهد . على
 ذلك قوله :

* فَلَايَا بِلَايَ مَا حَمَلْنَا غُلَامَنَا^(٤) *

(١) أبو زيد : زور الطائر تزويراً ، إذا ارتفعت حوصلته .

(٢) سبق التنبيه على أن التبريزى روى هذا البيت وتاليه بين البيتين ٢٠ ، ٢١ .

(٣) كذا فى الأصل . وفى سائر النسخ : « لئلا يتناساه أو يتشاغل عنه » .

(٤) لامهى القيس فى ديوانه ٨٤ . وعجزه :

* على ظهر محبوبك السراة محنب *

وفي هذه الطريقة لاسرى القيس :

حَلَّتْ لِيِ الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ
وقول الآخر^(١) :

فِيَا لَيْلَ إِنْ الْغِسْلَ مَا دُمْتُ أُيِّمًا عَلَى حَرَامٍ لَا يَمْسِنِي الْغِسْلُ
وقوله « ما أَلَمَّتْ » يجوز أن يكون ما صِلَةً ، ويجوز أن يكون مع الفعل
بعده في تقدير المصدر . يريدُ : وَبِلَأْيِ أَلَمَّتْ حَلَالًا . والإيِّامُ أصلُه في الزَّيَارَةِ
الخفيفة ، وتُوسَّع فيه فَأَجْرِي مجرى حَصَلْتُ عندي . وقوله :

فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنْ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي نَخْلٌ

أظهر التشفي بما ناله من الأعداء حتى دَعَا مَنْ خَاطَبَهُ إلى ما كان يتشوقه
مِنْ سَقِيهِ له ، كما أظهر التوجع لفقدته مَنْ أُصِيبَ به بقوله « إِنْ جِسْمِي بَعْدَ
خَالِي نَخْلٌ » . والنخلُ : المهزول . وقوله « يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو » جَعَلَ سَوَادَ - وقد
رَخَّهُ عن سَوَادَةَ - بمنزلة ما جاء تَامًا ولم يُحْدَفْ منه شيء ، فجعل سواد وابن
بمنزلة شيء واحد ، وبنَاهُ على الفتح . فالفتحة في ابن للإعراب ، والفتحة
في سواد للبناء . ولك أن ترويه : « يَا سَوَادُ بْنَ عَمْرٍو » والضمة فيه ضمة المنادى
المفرد ، فيكون كقولك : يَا زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو وَيَا زَيْدُ بْنَ عَمْرٍو ، فاعلمه .

(١) هو عبد الرحمن بن دارة . إصلاح المنطق ٦ - ٧ واللسان (غسل) .

٢٧٤

وقال سويد المراند الحارثي^(١) :

١ — لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ نَعِيُّ سُوَيْدٍ أَنْ فَارِسَكُمْ هَوَى^(٢)

٢ — أَجَلَ صَادِقًا وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى

يُرْوَى : « أَنْ صَاحِبِكُمْ هَوَى » ، ومعنى صاحبكم رئيسكم ، كما أن معنى فارِسكم أفرسكم ، ولهذا أقسم وعظّم الحال في نعيّ النَّاعِي حَتَّى جَعَلَهُ يُنَادِي بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ فِعْلَ النَّادِبِ الْمُتَحَسَّرِ ، ثم صَدَّقَهُ فِي ثَنَائِهِ وَخَبَرَهُ فَقَالَ : أَجَلَ صَادِقًا أَيْ قُلْتَ صَادِقًا . وَأَجَلَ هُوَ لِمُتَحَقِّقِ الْإِخْبَارِ ، كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ : إِنْ صَاحِبِكُمْ أَوْ فَارِسَكُمْ هَوَى ، قَالَ : أَجَلَ أَنْتَ مُصَدِّقٌ ، ثم زاده ثناء فقال : وَإِنَّ الْقَائِلَ الْفَاعِلَ الَّذِي إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى . وَقَوْلُهُ « أَنْ » صَاحِبِكُمْ ، أَرَادَ بِأَنْ صَاحِبِكُمْ ، فَحَذَفَ الْبَاءَ وَوَصَلَ الْفِعْلَ . وَانْتَصَبَ « صَادِقًا » عَلَى الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ مَادَلٌ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنْ مَعْنَى قُلْتَ . وَ« الْقَائِلُ الْفَاعِلُ » عَطَفَهُ عَلَى صَاحِبِكُمْ ، وَيَجُوزُ أَنْ تَرْفَعَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَهُوَ الْقَائِلُ الْفَاعِلُ ؛ وَالنَّصْبُ أَحْسَنُ

(١) كذا في الأصل ، وفي سائر النسخ : « سويد الحارثي » فقط . التبريزي : « وقال سويد المراند الحارثي . أبو هلال : ويقال سويد المراند . سويد تصغير أسود على الترخيم . والمراند : جمع مرند ، وهو في الأصل مصدر رندت المتاع بعضه فوق بعض ، أي نضدته » . وقد سبق في الحماسية ١٦ عن البرقي ذكر « سويد بن صميع المرندي ، من بني الحارث » . فهذا قول ثالث في تسميته . انظر البيان (٢ : ١٨٦) وحواشيه . والأبيات رواها المبرد في الكامل ٧٢٧ ليبسك منسوبة إلى أعرابي .

(٢) كذا في سائر النسخ والتبريزي . وفي الأصل : « ان صاحبكم » ، وسيأتي أنها رواية أخرى . ويبدو أن صواب رواية البيت هو ما رواه المبرد في الكامل : « نعي حي » فيكون اسم المرثي حيا ، إذ أن سويدا اسم الشاعر ، وأن مطابقة اسمه لاسم المرثي على رواية المرزوق والتبريزي أمر بعيد الاحتمال .

وأجود ، ومعنى أنبَطَ الماء في الثرى : وَصَلَ القَوْلَ بالفعلِ الجالبِ للخير ،
 وَقَرَّبَ العَنَاءَ من العَنَاءِ اللاحقِ في الأمرِ ، وهو بعد ذلك مَثَلٌ لِتَحْقِيقِ قَوْلِهِ ،
 وَصِلَةَ النَّجَازِ بوعْدِهِ . ومعنى أنبَطَ الماء : أخرجهُ . ويقال نَبَطَ أيضا . فإن
 قيل : هل يجوز أن يكون التصديق منه للنَّاعِي في قوله « هَوَى » لا غَيْرَ لِأَنَّهُ
 هو الخَبَرُ ، ويكون هذا كما قال دريد^(١) : « أَعْبُدُ اللهَ ذَلِكُمُ الرَّدِي » جوابا
 لقوله « أَرَدتِ الخيلُ فارسًا » ؟ قلتَ : لا يجوز ذلك ، بدلالة قوله « والقائلُ
 الفاعلُ الذي » ، لِأَنَّ هذا العطف لا يكون إِلَّا على « صاحبكم » ، فكأنه
 صدَّقَهُ في الأمرين جميعًا ، وزادَهُ مِنْ بَعْدُ ما زاده^(٢) . وكذلك قول دريد ،
 لا يمتنع أن يُمَدَّتِ الفروسية له مع الإرداء أيضًا في استثباته إيَّاهم لَمَّا قالوا :
 أَرَدتِ الخيلُ فارسًا .

٣ — فَنِي قَبْلُ لَمْ تُعْنِسِ السِّنُّ وَجْهَهُ سِوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى^(٣)

وصفه بأنه مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ ، لم يَمَسَّهُ أوائلُ السَّكْبَرِ ، وَأَنَّ السِّنَّ لَمْ تَنْقُصْ
 رَوْنِقَ شَبَابِهِ ، ولم تُرَنَّقْ ماءَ بشرته ، فهو طَلَقَ الوَجْهَ غَيْرُ عَابِسٍ . والعُبُوسُ :
 ظُهورُ الغُضبِ في الوَجْهِ . ويقال منه : يَوْمٌ عُبُوسٌ ، أي شديد . وقوله « سِوَى
 خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ » اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ ، وَيَعْنِي أَنَّهُ ظَهَرَ مِنَ الشَّيْبِ فِي رَأْسِهِ شُعْلَةٌ ،

(١) انظر البيت ٦ من الحماسية ٢٧١ .

(٢) هذا ما في سائر النسخ . وفي الأصل : « وزاد من بعد ما زاد » .

(٣) في جميع النسخ : « لم تعيس » بالباء ، وصوابه بالنون ، كما في رواية التبريزي واللسان

(عنس) وكامل المبرد . ونبه صاحب اللسان أن رواية المبرد « تعنسن » . وقال : « قاله

الأزهري : وهو أجود » ، أي أجود من رواية تعنسن . وأنشد في اللسان نظيره

لأبي ضب الهذلي :

فني قبل لم يعنس الشيب رأسه سوي خيط في النور أشرقن في الدهي

ورواية عجزه عند المبرد : « سوي وضع في الرأس » .

فهو كالبرق يلمع في سواد الليل . والخُلْسَةُ : بياض في سواد ، وقد أخلَسَ رأسه ، وشَعَرَ خَليْس ، ومنه قيل للمولود بين الأسود والبيضاء ، والأبيض والسوداء : خِلاسيٌّ .

٤- أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانَ جَاءَهَا يُقْمَقِعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى

٥- وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَرِثِيهِ فَآسَى وَأَدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى

قوله « أشارت له الحرب العوان » ، كأنه لم يصبر إلى أن دُعِيَ ، ولكن حين اهتمت الحربُ جاءها ، فكان الحربُ أشارت إليه . والعوان : الحرب التي قوتل فيها مرّة بعد أخرى ، تشبيهاً بالعوان من النساء ، وهي النصف . والفعل منه عَوَّنت وعانت . وقوله « يُقْمَقِعُ بِالْأَقْرَابِ » يجوز أن يكون المعنى جاءها ولخواصره قعقة ، أي صوت ، لشدة عذوه وحرصه . وقد يُسْمَعُ من جوفِ العادي العجلِ وصدره النَّهيمُ والصَّوتُ الشَّدِيدُ ، إذا استُعْجِلَ^(١) في الإدراك . ويجوز أن يكون القمقة التي ذكَّرها من السِّلاح الذي كان عليه . وقوله « أَوَّلَ مَنْ أَتَى » يجوز أن يكون مَنْ نكرةً ، كأنه قال : أول فارسٍ طَلَعَ ، فيكون أتي صفةً له ؛ ويجوز أن يكون معرفةً وأتى صلةً له ، كأنه قال : أَوَّلَ الْآتِينَ ، ويكون « مَنْ » مُوحِّدَ اللَّفْظِ مَجْمُوعِ الْمَعْنَى . وانتَصَبَ أَوَّلَ على الحال في الوجهين جميعاً ، والعامل فيه جاءها أو يُقْمَقِعُ . وقوله « وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَرِثِيهِ » يُحَقِّقُ ما قلناه من أنه لم ينتظر الاستغاثة ، ولكن لما طلعت له أمارات امتحانٍ واثية آسأه بنفسه ، وأعداه على محنته ، فكان كالجاني وإن لم يكن منه جنايةٌ ، بذلَّ اجتهادٍ وسُرعةً إنجاز . فالبيت الأول كما قال الآخر^(٢) :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَّافَاتٍ وَوُحْدَانَا

(١) هذا ضبط ل ، م ، وضبط في الأصل بالبناء للفاعل .

(٢) هو قريظ بن أنيف ، أو أبو الغول الطهوي . الحماسية الأولى ص ٢٧ .

والبيت الثاني كقول الآخر^(١) :

وَأِنِّي لَا أزالُ أَخا حروبٍ إِذا لم أَجِنِ كَنتُ مِجَنِّ بَجانٍ

وقوله « آداه » أصله أعداه ، والألف الثانية همزة أبدلت من العين في الأصل ، والمعنى أعانه . ويجوز أن يكون من الأداة ، أى جعل له أداة الحرب وعُدتها . وأنشد الأصمعيُّ قولَ الأسود بن يعفر :

ما بَعَدَ زَيدٍ في فَتاةٍ فُرِّقوا قَتَلاً وَسَبِيًّا بَعَدَ حُسنِ تَآدٍ^(٢)

وقال : معناه بعد أخذ الدهر أدواته .

٢٧٥

وقال رجل من بني نصر بن قعين^(٣) :

١ — أَبِليغُ قبائلِ جَعفَرٍ إن جِئتَها ما إن أَحاولُ جَعفَرَ بنِ كِلابٍ^(٤)

(١) هو سوار بن المضرب السعدي . الحماسية ١٨ ص ١٣٢ .

(٢) جاء في شرح المفصلة ٤٤ : « كان المنذر بن ماء السماء خطب ابن امرأة تدعى أم كهف ، من بني زيد بن مالك بن حنظلة ، فأبوا أن يزوجه إياها ، فقزاهم وأجلاهم من بلادهم وقتلهم » .

(٣) بنو نصر بن قعين ، بطن من بني أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر . المعارف ٣٠ . وقعين ، يجوز أن يكون تصغير أقعن ، من القعن ، وهو قصر في الأنف فاحش . وهذا الرجل هو ربيعة — بضم الراء وفتح الباء وتشديد الياء المكسورة — بن عبيدة بن سعد بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين . قال أبو محمد الأعرابي : ليس في العرب ربيعة غيره . وهو أبو ذؤاب الأسدي . وكان ولده ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي يوم خو ، وأسرت بنو يربوع في ذلك اليوم ذؤابا ، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، فأتى ربيعة الربيع وافتدى ولده ذؤابا بشيء معلوم يؤديه في سوق عكاظ ، فلما دخات الأشهر الحرم وافي ربيعة بالإبل الموسم وتحلف الربيع بن عتيبة لشغل عرض له فلم يواف بالأسير ، فقدر ربيعة أن الربيع علم بأنه قاتل أبيه فقتله ، فرثاه بهذه الأبيات وسارت عنه وبلغت يربوعا ، فعلموا أن ذؤابا قاتل عتيبة فأقادوه به . انظر الحيوان (٣ : ٢٤٦) ، وشرح التبريزي للحماسة ، وأمالى القالي (٢ : ٧٢ — ٧٣) والمؤتلف ١٢٥ .

(٤) قال التبريزي : « قبائل جعفر ، يعني جعفر بن ثعلبة بن يربوع ، رهط عتيبة » .

ورواية الأمالى : « قبائل جعفر مخصوصة » .

٢ - أَنَّ الْهُوَادَةَ وَالْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا خَلَقَ كَسَحَقِ الْيُمْنَةِ الْمُنْجَابِ

قوله « ما إن أحاول جعفر بن كلاب » يجرى مجرى الصفة في شرح الاسم الذي أراده وإزالة اللبس عنه . والهوادة : الحرمة والذمام والصلح . والموادة : الموادعة . وتهودت إلى فلان تهوودًا ، أى توسلت إليه بوسيلة ؛ من قولهم : بيننا هوادة ؛ ومنه هوّد الرجل إذا مشى مشيًا ساكنًا . فيقول : أبلغ هؤلاء القوم إن زرتهم أن أسباب الصلح والمودة ، والذمام والحرمة ، قد خلقت بيني وبينهم ، وتغيرت عما عهدت ، فهي تزداد على مرّ الأيام دروسًا وهمودًا كخلق البرود المنشق ، تزيده الأيام بلى وانسحاقًا ، فلا تماسك فيها ، ولا رجاء لصلاحها وعودها إلى ما كانت . والثوب السحق وُصف بالمصدر ، كأن البلى سحقه . واليمنة : ضرب من برود اليمين . والمنجاب : المنشق . وهذا الكلام وعيد ، ويشتمل على أن الطمع من رجوع الأمر إلى ما كان زائلًا ، وأن الفساد في ذات بينهم متظاهر ، لا يقبل إصلاحًا ، ولا يلتقى مزاولوه فلاحًا . وقوله « أن الهوادة » في موضع نصب على أنه مفعول ثانٍ لأبلغ .

٣ - أَذْوَابُ إِيَّيْ لَمْ أَهْبِكَ وَلَمْ أَقْمُ لِلْبَيْعِ عِنْدَ تَحْضُرِ الْأَجْلَابِ (١)

يُروى « لم أهبك » من الهبة ، أى لم أسمح بدمك كما يتواهب الناس الشيء بينهم ، وحكى ابن الأعرابي : وهبني الله فداءك . ومنه قولهم : هبه كذا ، أى احسبه . ويروى : « لم أهيك » ، أى لم أتغافل عن طلب دمك استهانةً بك . وقوله « ولم أقم للبيع عند تحضر الأجلاب » ، يريد : إني لم أجد الدية ، فكنت بائعًا لدمك كما يباع الجلب من الأموال ، إذا سيقت

(١) انفردت نسخة الأصل برواية « لم أهيك » . وفي المؤلف :

أذواب إني لم أهبك ولم أهب بمكاذ حيث تجمع الأجلاب

إلى الحضرة . ولم يُرد بقوله « لم أقم » القيام الذي هو ضد الجلوس ، إنما المراد لم أترشح ولم أتهدأ . على ذلك قوله عز وجل : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ .

٤ - إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّتْ عُرُوشَهُمْ بِعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ (١)

٥ - بِأَشَدِّهِمْ كَلْبًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعَزَّهُمْ فَقَدًا عَلَى الْأَصْحَابِ (٢)

الثَّلُّ : الهدم ؛ ويقال ثلَّ عرش فلان ، إذا تضعفت حاله واتضع عزه . قال الأصمعي : وربما قيل : ثلَّ عرشه ، وإذا أريد به القتل فليس إلا بضم العين . قال ذو الرمة :

* وَقَدْ ثَلَّ عُرْشِيهِ الْحَسَامُ الْمَذَكَّرُ (٣) *

والعُرْشان : لمتان مستطيلتان من جانبي العنق ، وفيهما الأخدعان . وقوله « إِنْ يَقْتُلُوكَ » وقد كانوا قتلوه ، يريد إِنْ تَبَجَّحُوا بِقَتْلِكَ وصاروا يفرحون به ، فقد أثمرت في عزهم ، وهدمت أساس مجدهم بما نلت من رئيسهم عتيبة ابن الحارث . وقوله « بِأَشَدِّهِمْ كَلْبًا » جعله بدلًا من قوله بعتيبة ، وقد أعاد حرف الجر فيه ، وقد مضى مثله (٤) ، وذكرنا الشاهد فيه من قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُسْتُكْبِرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ أُسْتُضِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ ومعنى أشدَّهم كلبًا أشدَّهم تأثيرًا ونكابةً في الأعداء . ومن كلام الحسن : « إِنْ الدُّنْيَا

(١) الأمل : « فقد هتكت بيوتهم » .

(٢) انفردت نسخة الأصل والتبريزي بهذه الرواية . وفي المؤلف وسائر النسخ :

« على أعدائه » . وفي الأمل :

بأحبهم فقدا إلى أعدائهم وأشدَّهم فقدا على الأصحاب

وقال القالي : ويروى :

بأشدَّهم أوقا على أعدائهم وأجلهم رزءاً على الأصحاب

(٣) صدره في ديوان ذي الرمة ١٣٦ واللسان والمجمل والمقاييس (عرش) :

* وعبد يفوت تحجل الطير حوله *

(٤) انظر البيت الثاني من الحماسية ٢٦٨ .

لما فُتحت على أهلها كلبوا عليها أشدَّ الكلبِ ، أي أحْرَصُوا أشدَّ الحرص .
ويقال : دهرٌ كلبٌ ، أي مُلِحٌّ على أهله بما يسوؤهم . وقولهم كلبٌ كلبٌ :
يأكل لحوم النَّاسِ فيأخذُه منه شبه جنون . وقوله « وأعزَّهم فقدًا على الأصحاب »
يريدُ وأشدَّهم ، ومنه استعزَّ اللحمُ ، إذا صلَّبَ ؛ ويعزُّ على أن أرى كذا .
وانتصبَ « فقدًا » و « كلبًا » جميعًا على التَّمييز . ويقال : عزَّ على كذا ،
أي حقَّ واشتدَّ . ويقولون : أتحبني ؟ فيقال : لعزَّ ما ، أي لحقَّ ما .

٢٧٦

وقال الحرث بن زيد الخيل (١) :

- ١- ألا بكر النَّاعِي بأوسِ بنِ خالدٍ أَخِي الشَّوَّةِ الغَبْرَاءِ والزَّمَنِ المَحَلِّ (٢)
٢- فَإِن تَقْتُلُوا بِالغَدْرِ أَوْسًا فَإِنِّي تَرَكْتُ أبا سُفْيَانَ مُلتَزِمَ الرَّحْلِ (٣)

(١) في جميع النسخ : « الحرث بن زيد الخيل » ، وإنما هو « الحرث » بالتصغير كما في التبريزي والأغاني (١٦ : ٥٦) والإصابة ١٦٧٣ والشعر والشعراء ٢٤٤ . وفي الإصابة والشعر والشعراء أنه كان لزيد الخيل ولدان : مكنف وحرث ، أسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدا قتال الردة مع خالد بن الوليد . ومما يؤكد تصحيح اسمه ما أنشده ابن حجر له :

أنا حرث وابن زيد الخيل ولست بالنكس ولا الزميل
وأنشده الواقدي في الردة أشعاراً منها :

ألا أبلغ بني أسد رسولا وهذا الحى من غطفان قبلي
بأن طليجة الكذاب أمسى عدو الله حاد عن السبيل

وقد قتله عبيد الله بن الحر الجعفرى مبارزة في حرب كانت بينهما من قبل مصعب بن الزبير .
وأبيات الحماسية هذه في الأغاني والشعر والشعراء .

(٢) قال أبو رياش : كان سبب هذه الأبيات أن عمر بن الخطاب بعث رجلا يكنى أباسفيان ليس بالهاشمي ولا الأموي — إلى البادية يستقرهم ، فمن لم يقرأ شيئا — أى شيئا من القرآن — ضربه ، فاتهم إلى بني نهبان ، فاستقرأ أوس بن خالد بن عمرو ، ابن عم لزيد الخيل ، فلم يقرأ شيئا فضربه فمات من ضربته ، فقامت ابنته وأم أوس تندبانه ، فأقبل حرث بن زيد الخيل حتى دخل على أبي سفيان فقتله وأصحابه وقال هذه الأبيات . وزاد أبو الفرج في روايته عن أبي عمرو ، أنه هرب إلى الشام . وذكر أبو الفرج أيضا أنه أوس بن خالد بن زيد .

(٣) الأغاني : « فإن يقتلوا أوسا عزيزا » .

أبو سفيان مُصدِّقٌ وردَ حَيِّهِمْ لاستيفاءِ الصَّدَقةِ عليهم ، فاتَّهَمَ أوسَ بنَ خالدٍ بأنه سَتَرَ بعضَ مالِهِ طمعاً فيما يلزمه من الصَّدَقةِ فيه ، واقتطاعاً من الواجبِ عليه ، فأخذَهُ أبو سفيانَ يضربُهُ ، وارْتَقَى ما بينهما إلى أن أدَّى إلى قَتْلِهِ ، فصاحتِ أمُّ أوسٍ فأغاثها قائلُ هذه الأبيات ، ورعىَ أبا سفيانٍ بسهمٍ نَفَذَ فيه فقتله .

وقوله « بَكَرَ النَّاعِي » ، يجوزُ أن يكونَ معناه ابتداءً ينعاهُ لأنَّ البُكورَ أصلُهُ ذلك ، ولذلك قيلَ في أوَّلِ النَّهارِ : بُكرةٌ . ويجوزُ أن يكونَ بمعنى جاء بُكرةً . فيقول : ابتكرَ المُخبرُ بقتلِ أوسِ بنِ خالدٍ ملجأَ الضُّعفاءِ ، وثِمَالِ الأيتامِ ، في الشَّتوةِ الغبراءِ ، القليلةِ الأمطارِ ، الشديدةِ الإحمالِ . والمَحَلُّ : يُبْسُ الأرضِ . ويقالُ زَمَنُ ما حِلٌّ ومَحَلٌّ ، وقد أمَحَلَ النَّاسُ إذا أسنَتُوا . وقوله « فإنِ يقتلوا بالغَدْرِ أوسًا » يريدُ أنَّ أبا سفيانَ هذا كان انطوى على غِلِّ لأوسٍ ، وعداوةٍ كامنةٍ له ، فتوصَّلَ بما ادعى من خيانتِهِ في مالِ الصَّدَقةِ إلى ضربِهِ وقتلِهِ ، لذلك قال : « إن تَقْتلوا بالغَدْرِ » . وقوله « فإنِّي تركتُ أبا سفيانَ ملتزمَ الرَّحْلِ » ، يريدُ : إنِّي اتَّارتُ من أبي سفيانَ وجعلتُهُ ملتزمًا لرحلِهِ لا حَرَكَ به ، أي قتلتهُ بدلًا من صاحِبِهِ .

٣ — فلا تجزعي يا أمَّ أوسٍ فإنه تُصِيبُ المنايا كُلَّ حَافٍ وذِي نَعْلٍ^(١)

أخذَ بعدَ اقتصاصِ الحالِ يُسَلِّي أمَّ أوسٍ عن ابنها ، ويطيِّبُ قلبها ، ويعرِّفها أن الموتَ طريقٌ يُسَلِّكُهُ النَّاسُ على اختلافِ طبقاتِهِمْ ، وأنَّهُ لا مَحِيدَ عنه ولا مَعْدِلٍ . وحَسُنَ ذلكَ منه لأنَّهُ كان قد أدركَ الثَّارَ لها ، وشفَى نفسَها من داءِ مصيبتها ، فأقبلَ يَبْرُدُ^(٢) غليلها بوعظِهِ ، زيادةً في الاهتمامِ لها والتوفُّرِ عليها .

(١) فيما عدا الأصل : « تصيب المنايا » . وفي الأغانى : « يلاقى المنايا » .

(٢) هذا ضبط جميع النسخ . يقال برد الطعام وبرده ، بالتضعيف ، وأبرده .

وكان يجب أن يقول: كل ذى حنى وذى نعلٍ، أو كلّ حافٍ وناعلٍ، لكنّه لما وجد اسم الفاعل يَنوبُ مَنابَ ذى كذا، لم يُبالِ أن يكون أحدهما بذى. وهذا يُبين ما يسلكه أصحابنا البصريّون في مثل قولهم: طالقٌ وحائضٌ، أنّه على طريق النسبة وفي معنى ذاتِ طلاقٍ وذاتِ حيضٍ، ويؤكد صحّته.

٤- قتلنا بقتلنا من القومِ عَصَبَةً كِرَامًا ولمْ نأكلْ بهم حَشَفَ النَّخْلِ^(١)

٥- ولولا الأسيّ ما عِشْتُ في النَّاسِ بَعْدَهُ ولكن إذا ما شئتُ جاوِني مِثْلِي^(٢)

في هذا الكلام دِلالةٌ على استفحالِ الشَّرِّ بينهم حتى قُتِلَ من الجانبين عِدَّةٌ، لذلك قال: قتلنا بدل قتلنا من القومِ عَصَبَةً يرجعون إلى كَرِيمٍ. والعَصَبَةُ: العِشْرَةُ من الرِّجالِ، وقيل ما بين العشرة إلى الأربعين، وكذلك العِصَابَةُ من النَّاسِ والطَّيْرِ والخِليلِ. وهذا تنبيهٌ على أن الثَّارَ الذي أدركه منهم كان مُنِيمًا، والاشْتِفاءُ من دائه به كان مُجِيبًا. وقوله « ولمْ نأكلْ بهم حَشَفَ النَّخْلِ » يريدُ: لمْ نَشْتِغِلْ عن طلبِ دمهم بالأكلِ. وذِكْرُ الحَشَفِ إزارًا بذلك الطَّعامِ لو صُرِفَتِ النَّفوسُ إليه مع تَضايِقِ الوقتِ في طلبِ الدَّمِ. ويجوز أن يريدَ: لمْ نَأخِذْ دِيَتَهُمْ. وجَعَلَ التَّمْرَ حَشَفًا كما قال غيره^(٣):

ولا تأخذوا منهم إفالًا وأبكرًا وأترك في بيتٍ بصعدةٍ مُظْلِمِ

والإفالُ والأبكرُ لا تُؤخَذانِ في الدِّيةِ^(٤)، ولكن حَقَّرَ أمرَها. وقوله:

« ولولا الأسيّ ما عِشْتُ في النَّاسِ بعده » يريدُ لولا التَّصَبُّرَ والتَّأَسِّيَ والاقْتِداءَ

بهم في المصائبِ، لَقِيتُ نفسِي ولمْ أعِشْ بَعْدَهُ - يعني بعد أوسٍ - في النَّاسِ،

(١) الأغانى، « أصبنا به من خيرة القوم سبعة » و « ولمْ نأكلْ به ».

(٢) في الشعراء: « في الناس ساعة » و « ساعدني مثلي ».

(٣) هو كبشة أخت عمرو بن معد يكرب. الحماسية ٥٢ ص ٢١٧.

(٤) في الأصل: « لا تؤخذ إلا في الدية »، صوابه في سائر النسخ.

ولكن متى شئت وجدتُ لِنَفْسِي نِظَائِرَ مَنْ فَقَدُوا أَعِزَّتَهُمْ . وَيُشْبِهْ هَذَا قَوْلُ الْخِنْسَاءِ :
 لَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
 وَقَوْلُهُ « مَا عَشْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَهُ » جَوَابُ لَوْلَا ، وَنَابَتْ عَنْ خَيْرِ الْمَبْتَدَأِ
 وَهُوَ الْأَسَى ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَوْلَا الْأَسَى مَانَعَهُ لِي مَا عَشْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَهُ . وَقَدْ
 تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي لَوْلَا ، وَفِيمَا يَقَعُ فِيهِ (١) .

٢٧٧

وقال البراء بن ربي الفقعسي (٢) :

١ — أَبَعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى الْحَيَاةِ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ أَجْزَعُ
 قَوْلُهُ « أَبَعَدَ » لَفْظُهُ لَفْظُ الْأَسْتِفْهَامِ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى التَّوَجُّعِ . وَالْأَسْتِفْهَامُ
 يَطْلُبُ الْفِعْلَ . فَيَقُولُ : أَرْجَى الْحَيَاةِ أَمْ أَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ بَعْدَ إِخْوَانِي الَّذِينَ
 انْقَرَضُوا وَذَهَبَ الْوَاحِدُ فِي إِثْرِ الْوَاحِدِ فَدَرَجُوا . وَالْمَعْنَى : مَاذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 مَنِّي : أَيَحْسُنُ الطَّمَعُ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُمْ ، أَمْ الْجَزَعُ مِنَ الْمَوْتِ عَقِيبَ الْفَجَعِ بِهِمْ .
 وَأَمْ هَذِهِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَوْ بَدَلَهَا ، لِأَنَّهَا الْمَنْقُطَةُ . أَلَا تَرَى أَنَّ الَّتِي تَكُونُ
 عَدِيلَةَ الْأَلْفِ فِي الْعَطْفِ مِنْ شَرْطِهَا أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ يَسْأَلُ عَنْهُمَا
 الْمُسْتَفْهَمُ قَدْ وَقَعَ عِنْدَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَدْرِي أَيُّهُمَا هُوَ . يَقُولُ الْقَائِلُ : أَرَأَيْتَ زَيْدًا
 أَمْ عَمْرًا ، وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنْ أَحَدَهُمَا رَأَاهُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَدْرِي أَيُّهُمَا هُوَ . وَالَّذِي
 فِي الْبَيْتِ لَيْسَ كَذَلِكَ فَتَأَمَّلْهُ .

(١) انظر ما سبق في ص ٤٦٦ في الحماسية ١٥٧ .

(٢) التبريزي : « وقال أبو حبال البراء بن ربي الفقعسي . البراء في اسم رجل يجوز
 أن يكون مأخوذاً من قولهم : أنا براء منك ، أي برىء ، أو من قولهم لآخر ليلة من الشهر
 ليلة البراء ... والربي : ما نتج في أيام الربيع ، ويكنى به عن ولد الرجل في شبابه ... قال
 أبو هلال : أبو حبال هكذا روينا في الأصل ، وهو تصحيف ، وإنما هو أبو الحناك بالنون
 والكاف » . وقد ذكره صاحب المؤتلف ٨٦ وصاحب القاموس في (حنك) .

٢ - نَمَاتِيَّةٌ كَانُوا ذُوَابَةَ قَوْمِهِمْ بِرِيمٍ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ (١)

٣ - أَوْلِيكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزِيَّتُهُمْ وَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعٌ

ذكر أن إخوانه كانوا ثمانية ، وأنهم كانوا رؤساء قومهم ، وأنه بعزهم ومكانهم من قبيلتهم كان يدفع عن نفسه ما يشاء ، ويقبل لها ما يشاء . وفي قوله « كنت أعطى ما أشاء » حذف ، ولو أتى على حده لكان : كنت أعطى ما أشاء إعطاءه وأمنع ما أشاء منعه . والمفاعيل تحذف كثيراً لأن القرائن تدل عليها . وإنما قال « ذوابة قومهم » ولم يقل ذوائب قومهم ، لأنه عدّهم شيئاً واحداً ، لتناصرتهم واتفاق أهوائهم . والذوابة : اسم في الأصل ، وقد وُصِفَ به ، وكما قيل هو ذوابة قوميه ، وهم ذوائب قوميه ، قالوا في الضد منه : هو ذنابة قوميه ، وهم ذنائب قوميه . وقوله « أولئك إخوان الصفاء » نبت به على زوال الخلاف وسقوط البراء من بينهم ، وعلى خلوص نيّة كل واحد منهم مع صاحبه ، حتى كان ما يجمعهم تصافياً بلا كدر ، وتوافقاً بلا حسد ، وأنهم كانوا في التعاون والتظاهر كالكف الواحدة ، فكل واحد منهم كالإصبع من تلك الكف ، فلما تحرّموا ومات الواحد بعد الواحد ، صارت الكف تتراجع بنقصان أصابعها حتى صارت لا تغني في البطش بها ، ولا تعمل عند القبض والبسط عملها .

٤ - لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَاجِبٍ مُفَجَّعٌ

٥ - وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَائِرِي فَقِيدَانُهُ لِمَمْتَعٌ

أقسم بأنه مُفَجَّعٌ بمن تعزّ جياته ويكرّم مقامه ، حتى يرى لنفسه تدللاً

واجباً عليه ، وتمكّنا مكيّنا منه ؛ ومتمتع بمن لا رغبة له في العيش معه ، فليس في بقائه نفع له ، ولا في ذهابه ضررٌ عليه ، وكان الواجب أن يقول : ليس نافعى حياته أو وجدانه ، حتّى يكونَ في مُقابلةِ قوله « ولا ضائرى تقدانه » ؛ إلاّ أنّه لما ضقَ نطاقُ البيتِ عنه لم يُبالِ بالاختصارِ على نافعى ، إذ كان المرادُ بها مفهوماً ، وإذ كان ضميرُهُ في ليس يقومُ مقامَ حياته لو أتى به . وسمّى من اشتدّت فاقته إلى حياته خليلاً لاختصاصِ مكانه من قلبه ، وعلى عادتهم في تسمية المعتمد عليه خليلاً ، حتّى سمّوا الفرسَ والسيفَ خليلاً . قال يعنى الفرسَ :
 وأتقى بهاديه إنَّ للخليلِ وصولٌ^(١)

وقال الآخر في السيف :

* - اسدّ كفى خليلاًها^(٢) *

وسمّى القبيلَ الثّانى مَوْلى إشارةً إلى أبناء عمّه الذين لا غناءَ عندهم ، ولا انتفاعَ له بمكانهم .

٢٧٨

وقال مطيع بن إياس ، في يحيى بن زياد^(٣) :

١- يا أهلِ بكوا لِقَلْبِي القَرِحَ وللدُّمُوعِ السَّواكِبِ السُّفْحَ

(١) البيت لأبي الأبيض العيسى ، سبق في الحماسية ١٥٧ . وصدّره :

* أقيه بنفسى في الحروب وأتقى *

(٢) سبق في ص ٤٦٩ : « ماشد » بالشين المعجمة . والبيت بتمامه :

ولانى كما قالت نوار إن اجتلت على رجل ماشد كفى خليلاً

(٣) مطيع بن إياس بن أبى سامة اللبثى الكنانى ، من مخضرمى الدولتين ، كان ظريفاً خليعاً ستهما بالزندقة ، ولد ونشأ بالكوفة . وأخباره مسهبة في الأغاني (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) . وأمالي المرتضى (١ : ٩٨) ، ولسان الميزان (٦ : ٥١ - ٥٢) . وكان يحيى بن زياد الحارثى صديقاً له هو وحماد الراوية ، وحماد مجرد ، وعمارة بن حمزة ، وآخرون ، كلهم ظريف متهم بالزندقة . انظر الحيوان (٤ : ٤٤٧ - ٤٤٨) . وكان المنصور يعجب بهذه الحماسية .
 لأغاني (١٢ : ٨٢) .

٢- راحوا بيحيي ولو تطاوعني الأ أقدار لم تبتكرو ولم ترح^(١)

لم يرض بتجرده لتلقى الأمر الذي دهمه ، وبتفرده في الجزع للخطب الملم به حتى طلب من ذويه وعشيرته إسعاده في البكاء لما نابته فأقرح قلبه ، وأسأل دمه . وإنما فعل ذلك لأنه يعدد التعاون فيه والتشارك ، أدل على تجليل الفجيرة له ؛ والائتساء والتساوي ، أجلب للتخفيف مما به . ألا ترى أن الله تعالى يقول في أصحاب النار : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ ، فأياهم من أن يكون اشتراكهم في العذاب يسليهم أو يرجع بضرب من النفع عليهم ، على العادة في دار الدنيا . وقوله « قلبى القرح » يقال : أقرحه ألم فقرح وهو قرح قريح . وقيل في القرح هو البثر إذا ترمى إلى فساد . وقوله « السواكب » جمع ساكبة ، ووُصف الشموع به على معنى ذات سُكوب ، كما قيل عيش ناصب ، أى ذو نصب على النسبة . والسفح : جمع سفوح ، والسكب والسفح يراد بهما الصب ، إلا أن السفح أبلغ من السكب ، لذلك ارتقى من السواكب إليه . وحكى الخليل أن أهل المدينة يقولون : اسكب على يدي . ويقال رجل سفاح للدماء ، ولم يُقل سكاب ، لأن السكب لا يبلغ حد السفح .

وقوله « راحوا بيحيي ولو تطاوعني الأقدار » ، يقول منبهاً على مساس الفاقة إلى بقائه ، وغلبة اليأس من الاعتياض منه : راحوا ولو أطاعنى القدر ما فجعنا بفراقه ، فكان لا يبتكر لا غادياً ولا راحاً . ومن روى بالقاء « لم تبتكرو » جعل الفعل منسوباً إلى الأقدار يريد : لم تبتكرو الأقدار ولم ترح به وأنا راض .

(١) ل : « لم يتبكر ولم يرح » بالياء ، وهذه هي الرواية التي تتلاءم مع مفهوم التفسير فيما بعد .

وإنما قال « بَكَوا » لأنَّ فَعَلَ يفيد التكثير من الفاعلين . وتكرير الفعل من واحدٍ حالاً بعد حال .

٣ - يا خَيْرَ من يَحْسُنُ البكاءَ لَهُ الـ يَوْمَ وَمَن كان أَمْسٍ للمِدْحِ

٤ - قد ظَفِرَ الحُزْنَ بالشُّرورِ وقد أُدِيلَ مَكْرُوهُنا مِنَ الفَرَحِ

إنما ناداهُ لقوله « قد ظَفِرَ الحُزْنَ بالشُّرورِ » ، كأنَّه يريدُ إعلامَه تأثيرَ المُصابِ فيهم ، وأنَّهم قد استبدلوا بعدَه بالشُّرورِ حُزناً دائماً ، وبالفَرَحِ مَكْرُوهاً راتباً . و « مَنْ » نَكِرَةٌ . وقوله « يَحْسُنُ البكاءَ لَهُ اليَوْمَ » صفةٌ له ، فيقول : يا خَيْرَ إنسانٍ كان المَدْحُ فيما مَضَى من الزَّمانِ أوَّلَى به ، والبكاءُ عليه في الحالِ والاستقبالِ أحقُّ لَهُ ، قد تَأَدَّى حالُنا بِعَدِّكَ إلى أنْ أَبَدَلنا القَدْرُ بالفَرَحِ تَرَحُّماً مُتَّصِلاً ، وبالمحبوبِ مَكْرُوهاً لازماً .

ومعنى ظَفِرَ الحُزْنَ بالشُّرورِ وأدِيلَ مَكْرُوهُنا ، أنَّ الغَلَبَ لهما حتى لا ثباتَ للشُّرورِ والفَرَحِ معهما ، ولا انتِياشَ منهما^(١) . يبيِّن ذلك أنه قال « وقد أُدِيلَ مَكْرُوهُنا » أي جُعِلَ له على الفَرَحِ دَوَلَةٌ . وقوله « مِنَ الفَرَحِ » يريدُ من المَفْرُوحِ به ، وهو المحبوبُ ؛ لأنَّه كما طابَقَ الحُزْنَ بالشُّرورِ في النَصَدِ ، طابَقَ المَكْرُوهَ بالمحبوبِ في العَجْزِ . وهذا كما يقال : لا يسرُّني بهذا الأمرِ فَرَحٌ ومَفْرُوحٌ به ومُفَرِّحٌ . والوصفُ بالمصدرِ ووضعُه موضعَ الفاعلِ والمفعولِ مشهورٌ . وقد خَرَجَ في هذا الكلامِ جوابُ سائِلٍ يقولُ : ما الفرقُ بين الشُّرورِ والفَرَحِ ؟ وكيف أتى بهما وهما بمعنى واحدٍ ؟

(١) الانتِياشُ : الاستنقاذُ ، يقال انتاشه ، أي استنقذه واستدركه وأخذَه من مَهواته .

٢٧٩

وقال مطيعٌ أيضاً^(١) :

١- قلتُ لِحَنَانَةٍ دَلُوحٍ تَسُحُّ من وابلٍ سَحُوحِ

٢- أُمِّي الضَّرِيحِ الَّذِي أُتَمِّي ثُمَّ اسْتَهَلِّي عَلَى الضَّرِيحِ

٣- ليس من العَدْلِ أَنْ تَسْحِي عَلَى فَيِّ لَيْسَ بِالشَّحِيحِ^(٢)

أراد أن يدعو للقبر بالسُّقْمَا فجعل بدل الدعاء سؤالاً وتمنياً ، لأنَّ طريقة الجميع واحدة فقال : قلتُ لسحابةٍ فيها رعدٌ ، فكأنَّها كانت تَحْنُ برعدها إلى شيءٍ كحنين الناقة إلى وطنها أو ولدها . دَلُوحٌ ، أى ثَقِيْلَةٌ . يقال : مَرَّ البعيرُ يَدْلُحُ بِجَمَلِهِ ، أى يمشى متثاقلاً . والسَّحَابَةُ تَدْلُحُ من كثرة ماؤها . تَسْحُ أَي تَصُبُّ . وابلٌ : مطرٌ ضخْمُ القطرِ . سَحُوحٌ : كثير الانصبابِ شديدُهُ . إن قيل : كيف جعل السَّحَّ مرَّةً للحَنَانَةَ ومِرَّةً للوابِلِ ، والوابِلُ يكون مصبوباً لا صاباً ، وما فائدة من في قوله « من وابلٍ سَحُوحِ » فإن المراد به الكثرة ، وهم يجعلون ، إذا تضدوا إلى المبالغة ، الفِعْلَ الواقعَ بالشيء له . ألا ترى أنهم يقولون : مَوْتُ مَائِتٍ ، وشِعْرٌ شاعِرٌ . وهذا كما قالوا : سَيْلٌ مُفَعَّمٌ ، والسَيْلُ

(١) كذا نسبه أبو تمام . وفي الأغانى (١٣ : ٧٩) أن الشعر لحماذ مجرد يرثى الأسود ابن خلف ، وكان يعاشره ولا يكادان يفترقان . ومما يجدر ذكره هنا أن حماد مجرد كان معاصراً لمطيع بن إلياس وصديقاً مواصلاً له . وقد روى أبو الفرج بعد البيت الأول :

جاءت علينا ، لها رباب بواكف هاظل نصوح

وبعد الثانى ، وهو مما يؤيد نسبه إلى حماد مجرد فى رثائه للأسود :

على صدى « أسود » الموارى فى اللحد والترب والصفيح

فاسقيه ربا وأوطنيه ثم اغتدى بعده وروحي

اغدى بسقيه فأصبحيه ثم اغبقيه مع الصبوح

وكلمة الصبوح ، هى فى الأصل « الكسوح » .

(٢) فى الأغانى : « على اخزى » .

لا يُملاً إنما يُملاً به الشيء . وإذا كان كذلك فالسَّحُّ من العَنَانَةِ حَقِيقَةٌ ،
والسَّحُّ من الواهب مجاز ، والمرادُ به ما ذكرنا . على أنه لا يمتنع أن يكون سَحَّ
من باب فَعَلْتُهُ ففَعَلَ ؛ فقد حَكَى الخليلُ : سَحَّ المَطْرُ والدَّمْعُ ، وقال : هو
شَدَّةُ انصبابِهِما . ويقال من السَّحِّ : فَرَسَ مِسْحٌ ، أى يَصُبُّ العَدُو . وأرضٌ
سَحَّاحٌ^(١) ، أى تسيل من مَطَرٍ يسير .

وقوله « أُنحى الضَّرِيحُ الذى أُسْمِيَ » يريدُ الذى أُنصِبُ عليه وأُيَدِّئُهُ بذكر
اسمِ صاحِبِهِ ، إذ لم يكن للضَّرِيحِ اسمٌ يَمَيِّزُهُ به عن القُبورِ ، فكانَ بيانَ الكلامِ :
أُسْمِيَ صاحِبِهِ ، فحذفتَ المضافَ وهو صاحِبُهُ ، ثم أقامَ المضافَ إليه مقامَهُ ، فجاء
أُسْمِيَهُ ، ثم حذفتَ المفعولَ من الصلة لطولها فبقى أُسْمِيَ . ومعنى استَهَلَّ : صُنِّي .
ويقال هَلَّ السحابُ بالمَطَرِ واستَهَلَّ وانهلَّ المَطْرُ انهلالاً . والأهاليلُ : الأمطارُ
الشديدةُ الانصبابِ^(٢) . ويجوز أن يكونَ لما وصفَ السحابةَ بالحنانةِ لرَعَدِها
كُنِيَ عن المطرِ بالاستهلالِ ، لأنَّهُ كالحنينِ ، وهو رفعُ الصوتِ بالتلبيةِ وغيرها ،
فيكونُ الحنينُ والاستهلالُ للرَّعدِ والمطرِ كالسؤالِ والجوابِ . فأما قوله « على
الضريحِ » فتكراره تنبيهٌ على عِظَمِ شأنِهِ وفِظَاعَةِ الفَجَعِ بِهِ . والتفخيمُ بالتكريرِ
يحصُلُ كثيراً . والضريحُ : القبرُ بلا لَحْدٍ ، وهو فَعِيلٌ بمعنى مفعول ، لأنه يقال
ضَرَحَ حِوَالَهُ ضَرِيحاً . وقال الذُّرَيْدِيُّ : سُمِّيَ ضَرِيحاً لأنه انضرحَ عن جِالِي القبرِ^(٣) ،
أى اندفعَ فصارَ في سَطِّهِ . وقوله :

ليس من العدل أن تَشِحِّيَ على فتى ليس بالشَّحيحِ

يريد : ليس من الإنصافِ البُخْلُ بمائك وصوبِكِ على فتى كان لا يَبْخُلُ

(١) لم ترد هذه الكلمة في المعجم المتداول .

(٢) قيل لا واحد للأهاليل ، وقيل واحدها هلال والجمع سماعي .

(٣) الجالان : الجانبان ، يقال جال وجول وجيل ، وهو الجانب والناحية .

بماله ، وما يُجندى منه في جاهه وحاله . وهذا ظاهر . وفي طريقته قول أبي تمام :
وكيف احتمالي للغيوثِ صنيعاً بإسقامها قَبْرًا وفي لَحْدِهِ البَحْرُ

٢٨٠

وقال الأشجعُ السلمي^(١) :

١- مَضَى ابنُ سَعِيدٍ حينَ لم يَبْقَ مَشْرِقٌ ولا مَغْرِبٌ إلا لَهُ فِيهِ مَادِحٌ^(٢)

يقول : فَجِعَ الناسُ بِابنِ سَعِيدٍ حينَ كَمَلَ وَبَرَعَ وَشَمِلَ نَفْعُهُ فَعَمَّ حَتَّى
لم يَبْقَ بُقْعَةٌ منِ جِوَانِبِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ إلا وَتَرَى فِيهَا شَاكِرًا لِنِعْمِهِ ، حَامِدًا
لِفَعَالِهِ ، مَادِحًا لِفِرطِ إِحْسَانِهِ . وَإِنَّمَا يَعْظُمُ الرِّزْمُ بِاسْتِكْمَالِ فِضَائِلِ المَرثِيِّ ،
وشمولِ فِواضِلِهِ .

٢- وما كَنتُ أُدرِي ما فِواضِلُ كَفِّهِ على الناسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفاحُ
قوله « ما فِواضِلُ كَفِّهِ » استفهامٌ ، وموضعُ الجُملةِ مِنَ الإِعْرَابِ أَنَّهُ
مَفْعُولٌ أُدرِي وَقَدْ عُلِّقَ عَنهُ ، والمعنى : ما أُدرِي ما يَقْتَضِي هَذَا السُّؤالُ .
والفِواضِلُ : جَمْعُ فاضِلَةٍ ، وَهُوَ اسْمٌ لِمَا يَفْضُلُ مِنَ نَدَى كَفِّهِ فَيَتجاوَزُها إلى

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي ، من ولد الشريد بن مطرود السلمي ، وكان يكنى أبا
الوليد ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، نشأ بالبصرة وقال الشعر وأجاد وعد في الفحول ،
وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود ، فلما نجم أشجع وأجاد
افتخرت به قيس . ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاه مدحه فأعجب به ووصله
إلى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضاً فأثرى وحسنت حاله . الشعراء ٨٥٧ - ٨٦١ ، والأغاني
(١٧ : ٣٠ - ٥١) وتاريخ بغداد (٤٥ : ٧) ومعاهد التنصيص (١٣٣ : ٢) والموشح ٢٩٥
وقال التبريزي : « قال أبو هلال : كان البجترى يقول : إنه يخلى . ومعنى الإخلاء أن يأتي
بألفاظ حسنة ليس تحتها كبير معنى » .

(٢) الأبيات رواها القالي في أماليه (١١٨ : ٢) والحصري في زهر الآداب (٣ :
٢٠٩) وروي صاحب العقد (٢٨٧ : ٣) بعض أبيات هذه الحماسية منسوبة إلى
منصور النمرى .

الناس . ويجوز أن يكون فاضلةً مصدرًا بمعنى فضلٍ أو إفضالٍ ، فيكون كالعافية والقائم من قولهم قم قائمًا ، والبالية من قولهم ما أباليه بالية^(١) ، ثم لاختلافه جمعه . والمصدرُ تجمع إذا اختلفت ؛ على ذلك قولهم العلوم والعقول وما أشبههما . وإذا جعل كذلك يكون قد عدى فواضِل وهو جمع مكسَّرٌ إلى قوله على الناس . وحصل من هذا الكلام أن قوله « على الناس » يتعلقُ بفواضل على وجهين : أحدهما أن يكون فواضل جمع فاضلة ، وهو اسم للفاعل ، والثاني أن يكون فواضل جمع فاضلة ، وهو مصدرٌ ، وتعدى مثله ليس بكثير .

وقوله « حتى غَيَّبَتْهُ الصَّفَاحُ » معناه إلى أن غَيَّبَتْهُ الصَّفَاحُ . والصفائح : أحجار عراضٌ سُفِّفَ بها قبره . يقول : لم أتبين مقادير إحسانه عند الناس ، ومبالغ أيديه لديهم ، وفنون بره بهم ، وانصباب مننه إليهم ، لاختلاف مواقعها ، وخفاء كثير منها على حسب قُصُودِه في الإفضال ، ولتباين مواضع الصنيفة في التفصيل والإجمال ، إلى أن خَلَى مكانه فظهِرت الفاقةُ على متحملي نِعَمِه ، وتظاهرَ الحمد والثناء من الكافة على اختلاف منازلهم وتباعُدِ مظانهم ، فحينئذ بان لي كثرتها وتوفرها .

٣ - فأصْبَحَ في لَحْدٍ من الأَرْضِ مَيِّتًا وكانت به حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَّاصِحُ^(٢)

قوله « في لَحْدٍ » موضعه نصبٌ على أن يكون خبر أصبح ، وانتصبَ « مَيِّتًا » على الحال ، وكذلك قوله « حَيًّا » انتصبَ على الحال . ولا يجوز أن يكون « لَحْدٍ » في موضع الحال ومَيِّتًا خبر أصبح ، لأنَّ مَيِّتًا من الصِّدْرِ في مقابلة حَيًّا من العَجْزِ ، ولا يكون ذلك إلا حالاً ، فكذلك يجب أن يكون

(١) المعروف « البالة » مخفف البالية .

(٢) الأمالي : « وكانت له حيا » .

مَيِّتًا ، وَإِلَّا اخْتَلَفَا وَفَسَدَ الْمَعْنَى . يقول : أصبحَ وهو مَيِّتٌ يَتَسَعُّ لَهُ لَحْدٌ مِنْ
الْأَرْضِ ، وَكَانَتْ الصَّخَاصِيحُ تَضِيقُ عَنْهُ وَهُوَ خَيٌّ . فيجوز أن تكون تَضِيقُ
عَنْ جُيُوشِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَخَيُّونَ بِحَيَاتِهِ ، وَيَسْطُونُ عَلَى الدَّهْرِ بَعْرَتَهُ ؛ وَيَجُوزُ
أَنْ يُرِيدَ بِالضِّيقِ مَا كَانَ يَبْتُ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَيَتَشِيرُ مَنْ جَدَّوَاهُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ
وَيَشْمَلُهُمْ مِنَ الْمَنَافِعِ بِمَكَانِهِ وَجَاهِهِ ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ أَنَّهَا لَوْ جُسِّمَتْ لَكَانَتْ
الصَّخَاصِيحُ تَضِيقُ عَنْهُ . وَالصَّحْصَحُ وَالصَّحْصَحَانُ : الْأَرْضُونَ الْمَسْتَوِيَّةُ الْوَاسِعَةُ .
وفي طريقته للبحثى :

كَانُوا ثَلَاثَةَ أَبْحُرٍ أَفْضَى بِهَا وَلَعُ الْمُنُونِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْبُرٍ

٤- سَأَبْتُ كَيْفَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَفِضْ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحُ^(١)

ضَمِنَ لَهُ دَوَامَ الْبُكَاءِ مَا دَامَتِ الدُّمُوعُ تُجِيبُهُ وَتُسَاعِدُهُ ، فَإِنْ عَجَزَتْ
وَنَقَصَتْ عَنِ الْمُرَادِ ، وَانْقَطَعَتْ أَوَانُ الْحَاجَةِ ، فَكَافِيهِ مِنْهُ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ
جَوَانِحُهُ ، وَيَتَضَمَّنُهُ صَدْرُهُ وَفُؤَادُهُ . وَقَوْلُهُ « مَا فَاضَتْ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ ،
أَيُّ مُدَّةٍ فَيَضُهَا . وَقَوْلُهُ « حَسْبُكَ » مُبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ « مَا تُجِنُّ » . وَقَدْ يَتِمُّ
حَسْبُكَ بِنَفْسِهِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى خَبَرٍ ، فَيُقَالُ حَسْبُكَ ، وَخَيْئُذٍ^(٢) يَتَضَمَّنُ مَعْنَى
الْأَمْرِ ، كَأَنَّهُ يَرَادُ بِهِ الْكَتْفُ ، وَلِذَلِكَ يَسْتَقِلُّ الْكَلَامُ بِهِ . وَيُقَالُ : غَاضَ الْمَاءُ
وَعِضَّتْهُ . وَالجَوَامِحُ : الضُّلُوعُ ، سَمَّيَتْ بِذَلِكَ لِانْحِنَائِهَا . وَالجُنُوحُ : الْمَيْلُ .

٥- وَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَزَاعُ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ^(٣)

قَوْلُهُ « مَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ » تَبَرُّؤٌ مِنَ الْجَزَعِ عَلَى الرُّزْءِ ، أَيُّ لَسْتُ لَهُ بِصَاحِبٍ

(١) هذا البيت لم يروه القالي . وفي زهر الآداب : « ما تكن الجوانح » .

(٢) هذا ما في سائر النسخ . وفي الأصل : « وخيئذ » .

(٣) زهر الآداب : « بعد ما مات » .

وإنَّ جَلَّ الفادِحُ ، كما أنِّي لستُ بسُرُورٍ به وإنَّ عَظُمَ بفارِحٍ . والمعنى : أنَّ
 المفايا والعطايا تساوت أقدارها عندى بعندك ، لأنَّك كنتَ المرجوَّ عندى ،
 والمخوفَ عليه لدى ، فلما فاتنى القدرُ بك أمِنْتُ من الجَزَعِ لحادثِ شرٍّ ،
 ويئسْتُ من الفرحِ لنائبِ خيرٍ . ولو قال بَدَلَ جازِعٍ وفارِحٍ : جَزِعَ
 وفرِحَ ، كان أفصحَ وأكثرَ ، لأنَّ فَعَلَ إذا كان غيرَ ممتدِّ فالأجود والأقيسُ
 فى مصدره ^(١) فَعَلَ ، وفى اسمِ الفاعلِ فَعِلٌ ، وإذا كان متعدِّياً فبأبه فاعِلٌ .
 وقد قيل فى المريضِ مَرِضٌ ، وفى السَّليمِ سَالِمٌ ، لأنَّ البابين يتداخلان . وقوله
 « ولا بسرورٍ » أى ولا بذى سُرورٍ فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

٦- كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَاخِ ^(٢)

٧- لَئِنْ حَسَنْتَ فِيكَ الْمَرَاثِي وَذِكْرُهَا لَقَدْ حَسَنْتَ مِنْ قَبْلِ فِيكَ الْمَدَائِحِ

قوله « كَأَنَّ » مخفف كَأَنَّ ، واسمه مُضْمَرٌ ، أراد كَأَنَّ الأمرُ أو الشَّانُ
 لَمْ يَمُتْ حَتَّى سِوَاكَ . والخَطْبُ إذا وَتَعَ مستغرباً كان تأثيره أشدَّ ، ونَكْوَهُ
 أوجع ، منه إذا أَلِفَ وَقُوَعَهُ ، وَتُمَرَّنَ بِتَكْرُرِهِ . فيقول : إنَّ المُصِيبَةَ عَظُمَ تَأْثِيرُهَا
 فى النُّفُوسِ فَكَأَنَّ مَوْتَكَ بِدَعُ فَعَلَاتِ الدَّهْرِ ، وَكَأَنَّ النَّيَاحَةَ لَمْ تَقُمْ عَلَى مَنْ
 سِوَاكَ ، إذ كانت طوائفُ النَّاسِ على تباينهم وتباعُدِ أقطارهم ، واختلافِ همهم
 وأوطارهم ، تَشَارَكُوا فى الجَزَعِ لَكَ ، وتَشَابَهُوا فى استعظامِ الأمرِ والخَطْبِ
 بِكَ ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا مَفْقُوداً ، ولا قامتِ النَّوَاخِ فِيهِمْ عِنْدَ بَكَائِهِمْ هَالِكاً .
 وقوله « لَئِنْ حَسَنْتَ فِيكَ الْمَرَاثِي وَذِكْرُهَا » ، مثله قولُ الآخرِ ^(٣) :

(١) فى جميع النسخ : « فى مصدرهما » .

(٢) رواية زهير الأدايب : « كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سِوَاهُ وَلَمْ يَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْهِ » .

(٣) هو مطيع بن إلياس . البيت الثالث من الحماسية ٢٧٨ ص ٨٥٣ .

ياخيرَ مَنْ يحسُنُ البكاءَ له الـ يَوْمَ وَمَنْ كانَ أمسٍ للمدحِ
وقد تقدّم القولُ في لامِ لَيْنٍ واليمينِ المضمرةِ في الكلامِ^(١) . والجواب لقد
حَسُنْتَ ، وقوله حَسُنْتَ في موضعِ تَحَسُّنُ ، لأنَّ حرفَ الشَّرْطِ نَقَلَ الْمُضَىَّ إلى
الاستقبالِ ، وجوابُ الشَّرْطِ بالنفاءِ ها هنا وقد حُذِفَ كأنَّه قال : إنَّ يحسن
الرِّثاءَ لك وفيك ، الآنَ وفي مستقبلِ الزَّمانِ ، فَلَمَّ دَأْخُ فَيَا مَضَىَّ كانتِ حَسَنَةً فيك .

٢٨١

وقال يحيى بن زياد^(٢) :

١ — نَعَى ناعِيًا عَمْرٍو بَلِيلٍ فَأَسْمَعَا فَرَاعًا فُوَادًا لَا يَزَالُ مُرُوعًا^(٣)
يقول : خَبَرَ النَّاعِيانِ بِمَوْتِ عَمْرٍو لَيْلًا ، فَأَبْلَغَا الخَبْرَ وهو فَطِيعٌ مُنْكَرٌ ،
وَفَزَعَا قَلْبًا لَا يَزَالُ مُفْرَعًا . وإنما قال بليلٍ لأنَّهما لم يَصْبِرَا إلى مجئِ النهارِ
استعظامًا لِلخَطْبِ ؛ لأنَّ اللَّيْلَ لَمَّا كانَ أخْفَى لِلوَيْلِ صارَ سَعَى النَّاعِيَيْنِ فِيهِ أدلَّ
على استفحالِ الرُّزْءِ . وقوله « أَسْمَعَا » حَذَفَ مَفْعُولِيهِ لأنَّ المرادَ أَسْمَعَا النَّاسَ
نَعِيَّهُ ، وهو بَتَجْرُدِهِ من المفعولِ يُسْتَعْمَلُ في المكروهِ كثيرًا ، ولأنَّه إذا أُطْلِقَ

(١) منها البيت ١٧ من الحماسية ٢٧٣ .

(٢) هو أبو الفضل يحيى بن زياد الحارثي ، قال التبريزي : « وهو خال أبي العباس
السفاح » . وهو خطأ ، والصواب أن أباه زيادا هو خال أبي السفاح . قال المرزباني في معجمه
٤٩٧ : « يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان — وهو عمرو — بن الديان — هو يزيد —
ابن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب . وزياد بن عبيد الله
خال أبي العباس السفاح ، وقلده المدينة في خلافته . ويحيى يكنى أبا الفضل » . وأشهد المرزباني
البيت الأول والثالث من هذه المرثية .

وكان يحيى معاصراً لمطبيع بن إلياس ، وقد سبق ذكره في الحماسية ٢٧٨ التي يرثيه بها
مطبيع بن إلياس . وقد سجل مطبيع أن يحيى كان خطيباً أديباً ، وذلك في مرثية له في الأمالي
(٢٧٠ : ١) :

ما الذي غال أن تحير جواباً أيها المصقع الخطيب الأديب
(٣) المرزباني : « كان قدما مروعا » .

مُبَهَّمًا فالإطلاق في مثل هذا المكان أبلغ ، وإنما قال « مُرَوَّعًا » إيدانًا بأن ذلك الرُّوع ثبت في القلب حتى لا إفاقة منه . ويجوز أن يريد أنه مرزأ في الكرام ، فهو الدهر قَلِقٌ لا يسكن ، وحذِرٌ لا يأمن .

٢- وما دَنَسَ الثَّوْبُ الَّذِي زَوَّدَكَهُ وَإِنْ خَانَهُ رَبُّ الْبِلَى فَتَقَطَّعَا
الدَّنَسُ : لَطَخُ الدِّسَخِ وَنَحْوِهِ حَتَّى فِي الْأَخْلَاقِ . يُقَالُ : هُوَ دَنَسُ الْمَرْوَةِ ،
وَقَدْ دَنَسَ عِرْضُهُ . وَنَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ زَادَ الْمُتَوَفَّى مِنَ الدُّنْيَا كَفَّنَهُ ،
وَأَنَّ مَا كَفَّنَ فِيهِ الْمُتَوَفَّى بَقِيَ طَاهِرًا لَطَهَارَةِ نَفْسِهِ وَعُنْصُرِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ
بِقَاوِهِ جَدِيدًا لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ الْبِلَى ، وَلَا تَسْبِقُ إِلَيْهِ الْخُلُوقَةُ ، وَأَنَّ تَأْثِيرَ رَبِّ
الدَّهْرِ فِيهِ بِالتَّقْطِيعِ خِيَانَةٌ مِنْهُ . وَكُلُّ هَذَا تَعْظِيمٌ لِلْمَرْثَى ، وَأَنَّ حَالَهُ بِخِلَافِ
أَحْوَالِ غَيْرِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا . وَمَعْنَى « خَانَهُ رَبُّ الْبِلَى » أَي نَزَلَ الْبِلَى ، قَالَ
أَبُو عُبَيْدَةَ : يُقَالُ رَابَّ عَلَيْهِ الدَّهْرُ ، أَي نَزَلَ (١) .

٣- دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا آتَتْ تَرِيدُكَ لَمْ نَسْتَطِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا
يجوز أن يريد بالأيام نوائب الأيام وأحداثها فحذف المضاف وأقام المضاف
إليه مقامه ، ويجوز أن يريد بالأيام أنفس الأحداث ، فسماها أيامًا كما تسمى
الوقعات بها ، وكما قال الله عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ .
ومعنى « حتى إذا آتت تريدك » وضع تريدك نصبًا على الحال ، أي مُرِيدَةً
لك . وفائدة حتى العناية ، كأنه قال : دافعنا الأيام بك وبمكانك إلى وقت
مجئها مُرِيدَةً لَكَ ، فحينئذ لم نقدر على دفاعها . وقوله « لم نستطع » أراد نستطع
فحذف منه تخفيفًا لكثرة في الكلام . يقال استطاع يستطيع ، بمعنى استطاع

(١) هذا نص لغوى نادر .

يسْتَطِيعُ ؛ وقد حكي أَسْطَاعَ بفتح الهمزة يُسْطِيعُ بضم الياء ، وليس هذا من الأول لأن هذا في معنى أَطَاعَ .

٤ — مَضَى فَمَضَتْ عَنِّي بِهِ كُلُّ لَذَّةٍ تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ فَاَنْقَطَعَا مَعَا

يقول : مَضَى عَمْرُو لسبيله فانقطعت عني لذات الدنيا ، وفارقتني بفراقه ، فانقطعا مجتمعين ومصطحبين . وموضع « تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ » جَرٌُّ على أن يكون صفةً للذَّةِ ، أى كُلُّ لَذَّةٍ تَبْرُدُ لها عيناى لها وتُسَرُّ نفسى بحصولها . وقوله « مَعَا » فى موضع الحال . وقوله تَقَرُّ بِهَا عيناى ، قيل هو من القَرَارِ ، وقيل هو من القُرِّ : البرد . وهذا أقرب لأنه يقال فى ضده : سَخِنَتْ عينه ، وهو سُخْنَةُ العَيْنِ (١) .

٥ — مَضَى صَاحِبِي وَاسْتَقْبَلَ الدَّهْرُ صِرْعَتِي وَلَا بُدَّ أَنْ أَلْقَى حِمَامِي فَأَصْرَعَا
هذا فى طريقة قوله :

فَفَبَرْتُ بَعْدَهُمْ بَعِيشٍ نَاصِبٍ وَإِخَالُ أُنَى لِاحِقٍ مُسْتَتَبِعٍ (٢)
ومعنى « استقبل الدهر صرعتى » توطينٌ للنفس على أنها بمدرجة الدهر ، فهو ينتظر إيقاعه بها وكأن قد . ومعنى استقبل الدهر صرعتى ، أى إماتتى ، كما يقال « لِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ » (٣) . ومعنى « لا بد » : لا محالة ، وهو من البَدَدِ : الاتساع والتفريج . كأنه تضايق الأمر فيه فلا اتساع معه ، ويقال : لا بد من أن يكون كذا ، ولا بد أن يكون كذا ، و « أن » يُحذف حرف الجرِّ معه كثيرا .

(١) السخنة ، بالضم : مصدر ، كالسخونة .

(٢) البيت لأبى ذؤيب الهذلى فى ديوان الهذليين (١ : ٢) والفضليات (٢ : ٢٢١)

وجهرة أشعار العرب ١٢٨ ، والحزانة (١ : ٢٠٢) وشواهد الغنى ٩٢ .

(٣) من قول أبى ذؤيب الهذلى ، قبل البيت السابق :

سبقوا هوى وأعنقوا لهوهم فتخرموا ولكل جنب مصرع

٢٨٢

وقال ابن المقفع^(١) يَرْتِي يحيى بن زياد^(٢) :

١ — رُزْنَا أبا عمرو ولا حَيَّ مِثْلَهُ فَلَهِ رَبُّ الحَادِثَاتِ بَمَنْ وَقَعَ^(٣)

يقول : أُصِبْنَا بأبي عمرو ، وهو مَقْوَدُ النَّظِيرِ ، معدومُ الشَّبِيهِ . فموضع « ولا حَيَّ مِثْلَهُ » نَصْبٌ على الحال ، والعامل فيه رُزِينَا . ثُمَّ قال على وجه التعجُّب : لله رَبُّ الدهرِ بأَيِّ رجلٍ وَقَعَ . فقوله « بَمَنْ وَقَعَ » منقطع مما قبله وإن كان فاعلُ وَقَعَ الضميرَ العائدُ إلى الرَّيبِ المستكنِّ ، لأنَّ قوله « لله رَبُّ الحَادِثَاتِ » كلامٌ مستقلٌّ بنفسه فيما يُفيد من إكبار الشَّانِ وتفضيع الحال . وإضافةُ الشَّيءِ إلى الله عزَّ وجلَّ تَفخِيمٌ وتعظيمٌ ، على ذلك قولهم : بَيْتُ الله — وإن كانَ المساجدُ لله^(٤) — ولله دَرُّهُ . وقوله « بَمَنْ وَقَعَ » مستقلٌّ بنفسه أيضاً وفيه استعجاب من أن يكون الدهرُ يَعْرِضُ لمثله أو يَهْمُّ به مَعَ فخامة أمرِهِ ، وجلالةِ نفسه . ولو قال : وبمَنْ وَقَعَ ، فزادواواً ، لكان أ كَشَفَ في المعنى

(١) هو عبد الله بن المقفع ، من أشهر كتاب العربية ، فارسي الأصل ، ولد بجوسيا في العراق ، وأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ، وولى كتابة الديوان للمنصور العباسي . واتهم بالزندقة فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبى . المقفع : لقب أبيه واسمه داذويه ، وكان الحجاج قد ولاه خراج فارس فأخذ الأموال فعذبته فتفقت يده . وقال ابن مكي : الصواب المقفع بكسر الفاء ، لأنه كان يعمل القفاح : جمع قفحة بالفتح ، وهو شيء يعمل من الخوص شبيه بالزنبيل لاعروه له . أخبار الحكماء للقفطي ١٤٨ وابن خلكان (١ : ١٤٩ — ١٥١) في أثناء ترجمة الحسين بن منصور الحلاج ، والفهرست ١١٨ وخزانة الأدب (٣ : ٥٥٩) وأمالى المرتضى (١ : ٩٣) .

(٢) التبريزي : « وقيل يرتي ابن أبي العوجاء عبد الكريم » .

(٣) مثله ، جاءت روايتها بالنصب في جميع النسخ ، وكذا التبريزي ، على أن تكون صفة لحي ، والخبر مقدر . وقال السيوطي في همع الهوامع (١ : ١٤٦) : « حذف خبر هذا الباب — يعني باب لا — غالب في لغة الحجاز ملتزم في لغة تميم وطبيء ، فلم يلفظوا به أصلاً » . (٤) أى خصصت الكعبة باسم « بيت الله » تشريفا لها وإن كان كل مسجد لله . وفي القرآن الكريم « وأن المساجد لله » . وفي نص التبريزي : « وإن كانت المساجد كلها لله » .

المراد به^(١) . ولا يمتنع أن يكون بمن وقع في موضع الحال ، كأنه قال : لله ريبُ الحادثات واقِعًا بمن وقع ، ومؤثراً موجِعًا ، ويكون حالاً للريب ، والدامل فيه ما دلَّ عليه لله ريبُ الحادثات .

٢ - فإن تَكُ قد فارقَتْنَا وتركَتْنَا ذَوِي خَلَّةٍ ما في انسِدادِ لها طَمَعٌ

٣ - فقد جَرَّ نَفْعًا فَقَدْنَا لَكَ إِنَّنَّا أَمِنَّا على كلِّ الرِّزَايا مِنَ الجَزَعِ

حذف النون من تَكُ قد تقدَّم القولُ فيه . والمعنى إن فارقَتْنَا والوهى بك لا يُرَقِعُ ، والخَلَّةُ بك لا تُسَدُّ ، وحديثُ النَّفسِ بالطَّمَعِ فيك لا يَخْطُرُ بالقلبِ ولا يَجُولُ في الفِكرِ ، فقد جَلَبَ إلينا فَقَدُكَ نَفْعًا ، وهو أَمِنْنَا من تسلُّطِ الجَزَعِ علينا الرزِيئةِ مستأنفةً ، أو نَكْبَةٍ معترِضةً ، إذ كان خَوْفُنَا عليك ، وحذرُنَا فيك . وقوله « ما في انسدادِ لها طمع » في موضع الجرِّ ، لأنه صفةُ خَلَّةٍ . يريدُ ما لنا طَمَعٌ في انسدادِ من أجلها وبعْدَها يحصلُ . وجوابُ إن تَكُ ، الفاء مع ما بعدها من قوله « فقد جَرَّ نَفْعًا » ، وإنما جَلَبَ الفاءَ لمخالفةِ الجزاءِ للشَّرْطِ بكونه مبتدأ وخبرًا ، والمبتدأ محذوف كأنه قال : والأمر والشان قد جررَ قَدْنَا لك نَفْعًا . وقوله « إِنَّنَّا أَمِنَّا » إذا كسرتَ الهمزة من إن يكون على الاستئناف ، ويكون جملة الكلام تفسيرًا للنَّفْعِ المستَجَدِّ له ، وإذا رويت « أَنَّنَّا » بفتح الهمزة يكون بمعنى لأنَّنَّا أَمِنَّا ، فيكون الكلام بيانًا لعلَّةِ حصولِ النَّفْعِ . ويجوز أن يكون موضع أَنَّنَّا نصبًا على البدل من نَفْعًا .

وقوله « على كلِّ الرزايا » ، على تعلُّقِ بقوله أَمِنَّا ، يقال هو آمِنٌ على كذا ، وقد أَمِنْتُ على مالى عند فلانٍ من امتداد الأيدي إليه ، أى لا تمتدُّ ، كذلك أَمِنَّا على كلِّ الرزايا من الجَزَعِ ، أى لا نَجْزَعُ . وأنى بلفظة العموم فيه ،

(١) هذا ما في الأصل ، وفي سائر النسخ : « المراد منه » .

وهو كَلٌّ ؛ إيداناً بتساوي الخطوب عنده ، وانحطاطها عن درجة المصاب به وفيه ، حتى لا جَزَع يتجددُ بعده لحادثٍ يحدثُ . ولا يجوز أن يتعلق قوله « علي كَلِّ الرزايا » بقوله : من الجزع ، لأنه لو كان كذلك لكان في صلته ، والصلة لا تتقدم على الموصول .

٢٨٣

وقال بعض بني أسد :

- ١ — بَكَّى على قَتْلِ العِدَانِ فَإِنَّهُمْ طالت إقامتهم ببطنِ بَرَامِ^(١)
 - ٢ — كانوا على الأعداء نارَ مُحَرَّقٍ ولقومهم حرماً من الأحرام
- يخاطب امرأة والنساء كُلهنَّ عندهُ تلك المرأة ، فيقول : أ كثرى البكاء على المقتولين بهذا المكان — وقيل العِدَانُ^(٢) ساحل من سواحل البحر — والمدفونين ببطنِ بَرَامِ ، فقد طالت إقامتهم . والمراد أن اليأس منهم قد حصل وقوى ، وأن غيبتهم اتصَلت فرُفعت الأطماعُ من عودهم والاجتماع معهم . ثم أخذ يصفهم فقال : كانوا على المنايذين والجناليفين كمنار هذا الملك ، لا تُبقي ولا تذر — ومحرَّق هو عمرو بن هند ، وكان نذرَ أن يُحرق مائةَ نفس ، ففعل ، فضربَ المثلُ بناره — وكانوا لقومهم حرماً من الأحرام ، لا مخافةَ فيهم ولا هزيمة . يريدُ أن قومهم يأمنون نزولَ النوائب بهم في فنائهم ، فكانوا كمن

(١) العِدَان ، بالكسر في جميع النسخ ، ماعدام والتبريزي ، فهي فيهما بالفتح ، وقد أنشد ياقوت هذه الحماسية في (عِدَان) بعد أن قال : « عِدَان النهر بالفتح : ضيفته » . والعِدَان بالفتح هي عند التبريزي قبيلة من قبائل أسد . قال : « العِدَان من بني أسد ثم من بني نصر ابن قعين ، وأصل العِدَان في اللغة يساحل من السواحل . وبرام وخزام ببلاد بني عامر » . وقال ابن منظور في اللسان (عدن) : « والعِدَان قبيلة من أسد » . ثم أنشد هذا البيت .

(٢) اتفقَت النسخ على ضبطها هنا بكسر العين .

حَصَلَ فِي الْحَرَمِ ، وَأَنْ أَعْدَاءَهُمْ كَانُوا يَحْتَرِقُونَ بِنِكَائِهِمْ فِيهِمْ ، فَكَانُوا عَلَيْهِمْ
كَنَارَ هَذَا الْمَلِكِ .

وقوله « مُحَرَّقٌ » وإن كان صفةً في الأصل ، فصار بالاشتجار في رجلٍ
واحدٍ كَالْعَلَمِ لَهُ . وعلى هذا جاء في قوله :

* عَلَيْهِنَّ فِتْيَانٌ كَسَاهُمُ مُحَرَّقٌ ^(١) *

وقوله :

* إِلَيْكَ ابْنُ مَاءِ الْمَزْنِ وَابْنُ مُحَرَّقٍ ^(٢) *

وقوله « حَرَمًا مِنَ الْأَحْرَامِ » نَكْرَةٌ لِاخْتِلَافِ الْأَحْرَامِ . وَهِيَ حَرَمُ اللَّهِ
اللَّهُ تَعَالَى بِمَكَّةَ وَالشَّامِ ، وَحَرَمُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ .

٣ - لَا تَهْلِكِي جَزَعًا فَإِنَِّّي وَائِقٌ بِرِمَاحِنَا وَعَوَاقِبِ الْأَيَّامِ

هذا الكلام تسليةٌ لها وإن كان أمرًا بالبكاء ، وإيدانٌ أنه سيُدرَكُ الثَّأْرُ ،
فهو ينتظر عُقْبَ الْأَيَّامِ وَاتِّهَازَ الْفُرْصِ . وَنَبَّهَ بِقَوْلِهِ « وَائِقٌ بِرِمَاحِنَا » عَلَى
الْفَنَاءِ عِنْدَهُمْ ، وَأَنَّ الْعَنَاءَةَ مَتَوَفِّرَةٌ مِنْ جِهَتِهِمْ . وَاتْتَصَبَ « جَزَعًا » عَلَى أَنَّهُ
مَصْدَرٌ لِعَلَّةٍ ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ يُرِيدُ جَازِعَةً ، وَهَذَا الْجَزَعُ
الَّذِي نَهَاها عَنْهُ لَيْسَ يُرِيدُ بِهِ الْحُزْنَ لَفَقْدِهِ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْحُزْنَ لِسَلَامَةِ
الْوَاتِرِ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ لَا غَيْرُ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : فَإِنَِّّي وَائِقٌ بِرِمَاحِنَا . وَقَوْلُهُ
« عَوَاقِبِ الْأَيَّامِ » يُشِيرُ فِيهِ إِلَى تَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَاخْتِلَافِ الْحَدَثَانِ ، وَأَنَّ الدَّهْرَ

(١) لِلْحَصِينِ بْنِ الْحَمَامِ . الْحَمَاسِيَّةُ ١٣٣ ص ٣٨٩ . وَعَجْزُهُ :

* وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمًا *

(٢) ابْنُ مَاءِ الْمَنْذَرِ ، عَنِي بِهِ النُّعْمَانُ بْنُ الْمَنْذَرِ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ . وَنَحْوُهُ مَا وَرَدَ فِي شُرُوحِ

سَقَطِ الزُّنْدِ ١٣٩٨ مِنْ قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ أَنَيْسٍ يَخَاطِبُ النُّعْمَانَ :

إِلَيْكَ ابْنُ مَاءِ الْمَزْنِ أَقْبَلْتُ بَعْدَمَا مَضَى لِي سَبْعٌ مِنْ دَخُولِي عَلَى أَهْلِي

كما يُعطى يَرْتَجِع ، وكما يولّى يَنْتَزِع ، فَغَيْرُهُ لا تُؤْمَن ، وأحْدائُهُ على حالةٍ واحدة لا تَقِفُ^(١) .

٢٨٤

وقال آخر :

١- نَعَى لى أبا المِقْدَامِ فَاسْوَدَّ مَنْظَرِي مِنْ الأَرْضِ واستَكَّتْ على المَسامِعُ
٢- وأقْبَلَ ماء العَيْنِ مِنْ كُلِّ زَفْرَةٍ إِذا وَرَدَتْ لَمْ تَسْتَطِعْهَا الأَضالِعُ
يقول : خَبَّرَ الناعِي بِموت أَبِي المِقْدَامِ فديِرَ بِي ، وأصبَحَتِ الدنِيا مُظْلَمَةً في عيني ، وأورَثَ خبْرُهُ صَمَمًا في أُذُنِي ، فلا الأذُنُ تَأذُنُ للكلامِ على ما كانت تعملُ ، ولا العينُ تُدْرِكُ المرئِيَّاتِ إدراكها مِنْ قَبْلِ ، كُلُّ ذلكِ لتأثيرِ نَعْيِهِ في الحواسِّ التي هي طُرُقُ العلومِ وتَبَيُّنِ المشاهِداتِ . وبعد ذلكِ أقْبَلَ الدَّمْعُ يَسِيلُ في إِثْرِ زَفْرَاتِ اتصَلَتْ وتعاقَبَتْ ، وكلِّ واحدةٍ مِنْها لامْتِلاءِ الصدرِ بها كادَتِ الضلوعُ تستقيمُ لورودِها . والزَّفْرَةُ : أن يَتَرَدَّدَ النَّفْسُ في الصدرِ ثم يَمْتَلئُ مِنْهُ وَيَزْفِرُ بِهِ ، أَيْ يَرْمِي . وقد أوما أبو تمامٍ إلى هذا المعنى وإن لم يصرِّحْ بتصريحه في قوله :

وما للدارِ إِلا كُلُّ سَمَحٍ بأدْمِعِهِ وأضْلِعِهِ سَخِي^(٢)

فأما أبو عُبادةٍ ففي قوله :

ووراءهم صُعْداءُ أنفاسٍ إِذا ذُكِرَ الفراقُ أُقْمِنَ عَوْجَ الأَضْلَعِ^(٣)

قد بالغَ في الإبانةِ كُلِّ المبالغةِ . وقوله « استكَّتْ على المَسامِعُ » فالمَسامِعُ :

(١) روى التبريزي بعد البيت الأخير من هذه الحماسية :

عاداتُ طَيِّ في بني أسدٍ لَهُم رِيُّ القَنَا وخضابُ كُلِّ حُسامِ

(٢) البحتري ص ١٠٠ .

(٣) ديوانه ص ٢٤٣ .

جمع المِسمَع بكسر الميم ، وهو الأذن . والمِسمَع ، بفتح الميم : موضع السَّماع .
وقوله « استكَّت » من قولهم بئر سَكوكُ ، إذا كانت ضيقة الخرق . فإذا أريد
الصَّممُ وقيل استكَّت أذنه فحقيقته ضاقَ صمًاخُها ، وهو الخرق الباطنُ المُفضى
إلى الرأس .

٢٨٥

وقال آخر :

١ - قد كان قبلك أقوامٌ فُجِعتُ بهم خَلَى لنا هُلُكُهُم سَمْعًا وأَبْصَارًا^(١)
٢ - أنت الذي لم تَدَعِ سَمْعًا ولا بَصْرًا إِلَّا شَفَا فَأَمَرَ العيشُ إصرارًا
قوله « فُجِعتُ بهم » الجملة في موضع الصفة لقوله أقوامٌ . وَخَلَى لنا هُلُكُهُم ،
في موضع خبر كان . والمعنى : قد فُجِعتُ فيما مضى من الزمان بأقوامٍ جَزِعتُ لهم
بل هَلِعتُ ، وأقمتُ الرِّسمَ في البكاء عليهم بل أسرفتُ ، فبقي الفجعُ بهلاكهم
لى ولن تَبِعَنى وافتدى بى ، السَّمعَ والبصرَ بعدهم ، فزَجِينا الوقتَ مستمتعِين بما
سَلِمَ من حواسِنَا ، وعائِشِين مع الناس في باقى عُمرِنَا ؛ فلما أُصِبتُ بك استنفدتُ
قوانا ، واستنزَلتُنَا عن ذخائرِ صبرِنَا ، فبَطَلت طرائقَ العُلومِ مِننا ، وتناهت في
العَجْزِ عِنا حوامِلُنَا ، إِلَّا شَفَا ، فطالت شِقْوَتُنَا ، وأمرَ عَيْشُنَا . والشَّفَا : الباقي
من الشيء القليل . ويقال : ما بَقِيَ من النهار إِلَّا شَفَا ، أى مقدارٌ ما بين الليل
والنهار حين غرَبت الشمس .

وقوله « لم يدع » بالياء ، هو أفيسُ الروايتين ؛ لأن الصلّة جاءت على
حدّها مع الموصول . وإذا رويته بالتاء فعلى الخطاب ، وساغ لأن الخطاب

(١) التبريزى : « لنا فهدم » .

والذي مرجعُهُما إلى شيء واحد ، وقد مضى مثله ^(١) ، فاعلمه . وقال المازني :
لولا كثرة مجيئه لرددته . ومثله :

* أنا الذي سمّيتُ أُمِّي حَيْدَرَه ^(٢) *

وقال سمعاً وأبصاراً لأنَّ السمعَ اسمُ الجنس ، فهو كالجمع .

٢٨٦

وقال نهشل بن حري ^(٣) :

١ - بِنَفْسِي خَلِيلَايَ اللَّذَانِ تَبَرَّضَا دُمُوعِي حَتَّى أَسْرَعَ الْحُزْنَ فِي عَقْلِي ^(٤)

تعلق الباء من « بنفسي » بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه جَلِيَّةُ الحال ، وقريفة الكلام ، كأنه قال : أفدى بنفسي من أخاله . ومعنى « تبرّضا » أفنيا دموعي شيئاً فشيئاً ، وقليلًا قليلًا ؛ لأنَّ التبرُّضَ التبغُّ والتطُّبُّ من هاهنا وهاهنا . وماء برّضٍ ، أي قليل . وبرّضَ لي من ماله برّضاً ، إذا أعطاك القليل . قال :

(١) انظر ما سبق في ص ١١٥ ، ٤٠٧ .

(٢) لعلي بن أبي طالب ، كما سبق في حواشي الموضوعين السابقين .

(٣) اقتضرت نسخ المرزوقي على هذه النسبة . ونص التبريزي : « وقال الشمردل بن شريك ، أو نهشل بن حري » . والنسبة إلى الشمردل هي الصواب ، فقد روى أبو الفرج في الأغاني أنه كان له أخ يدعى قدامة جاءه نعيه في يوم ، ثم تلاه نعي أخيه وائل بعده بثلاثة أيام فرثاهما بالقصيدة التي منها البيت الأول من هذه الحماسية . انظر الأغاني (١٢ : ١١٢ - ١١٣) .
وأما نهشل الذي تنسب إليه هذه المراثية خطأ فهو نهشل بن حري — كلفظ المنسوب إلى الحر بالفتح — بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم . شاعر شريف مخضرم بقي إلى أيام معاوية ، وكان مع علي في حروبه ، وقتل أخوه مالك بصفين وهو يومئذ رئيس بني حنظلة ، فرثاه نهشل بمراث كثيرة . وجده ضمرة بن ضمرة كان اسمه شقة بن ضمرة ، فسماه النعمان ضمرة باسم أبيه ، لإعجاب به ، بعد أن قال فيه المثل السائر : تسمع بالمعيدي لأن تراه ! ابن سلام ١٣٠ والاشتقاق ١٥٠ والأغاني (٨ : ١٥٣ - ١١/١٥٤ : ١٣٤) والحزانة (١ : ١٤٧ - ١٥٢) والإصابة والنهر والشعراء ٦١٩ - ٦٢١ ووقعة صفين ٢٩٩ - ٣٠٢ .

(٤) صدره في الأغاني : * سبيل خليلي اللذين تبرضا *

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَطِلَّابَ سَأَمَى لِكَالْمَتَبَرِّضِ التَّمَدِّ الظَّنُونَا^(١)
 والمعنى فذيتُ بنفسى صديقيّ اللذين نَضَبَ في البكاء لها دموعي ، وتأدى
 إلى الحزن^(٢) إلى أن عمِل في عقلي فأزاله ، فدَمَعِي وصَبْرِي مستنفدان لتأثير
 الفجِيعَة بهما . وجعل الفعل في تبرُّضا للخليلين ، وحقُّ الكلام تبرُّض الحزن
 لها والبكاء عليهما دموعي ، إلى أن أسرعا في عقلي فصاروا إليها .

٢- ولولا الأسي ماعشتُ في الناسِ بعدهُ ولكن إذا ما شيتُ أسعدني مثلي^(٣)
 قوله « ماعشتُ في الناس » أي مع الناس ومختلطاً بهم ، فوضعُ في الناس
 نَضَبٌ على الحال ، والكلام جواب لولا ، وخبر المبتدأ الذي هو الأسي محذوفٌ
 استغني عنه بجواب لولا ، والمعنى لولا أن لي بالناسِ إُسوةً في مصائبهم ، فأورثني
 ذاك تماسكاً وصبراً ، لقتلتُ نفسي فلم أعش ساعةً من عمري ، ولكن متى
 شئتُ وجدتُ لنفسي أقراناً إن دعوتهم أجابوني ، وإن استسعدتهم أسعدوني .
 والإسعادُ ، قال الخليل : يُستعمل [في المساعدة^(٤)] على البكاء خاصةً ، ومثله :
 ولولا كثرةُ الباكينِ حَوَّلِي على إخوانهم لقتلتُ نفسي^(٥)

٢٨٧

وقال أيضاً^(٦) :

١- أغرُّ كصباحِ الدُّجْنَةِ يَتَّقِي قَدَى الزَّادِ حَتَّى يُسْتَفَادَ أَطْيَابُهُ^(٧)

(١) أنشده في المقاميس (برض) واللسان (تمَد) بدون نسبة .

(٢) فيما عدا نسخة الأصل : « وتأدى الحزن » .

(٣) التبريزي : « في الناس ساعة » .

(٤) هذه من سائر النسخ ، وهي ساقطة من نسخة الأصل .

(٥) البيت للخنساء . ديوانها ص ٥٠ .

(٦) زاد التبريزي : « والمرثي مالك بن حري أخو نهشل ، ويكنى أبا ماجد ، قتل بصفين

مع علي ، وكان شجاعاً » . وانظر بعض مرثياته في وقعة صفين ٢٩٩ - ٣٠٢ .

(٧) التبريزي : « حتى تستفاد » .

الدُّجْنَةُ : الظلمة ؛ وليلةٌ مِدْجَانٌ . والدَّجْنُ : إلباس النِّيمِ ؛ ويقال : هو يومٌ دَجِنٍ . وأراد بقوله « أَعْرُ » إنه كريمٌ نَقِيٌّ العِرْضُ أبيضُ الطَّلعةِ ، فكأنه في تَلالُؤِهِ ونُورِ وجهه وتهلُّه مصباحُ الظَّلامِ . ومعنى « يَتَّقِي الزَّادَ » أنه يزهد في خبائث الزَّادِ وما يشين أخذَهُ وتَطَعُمَهُ ، إلى أن يستفيد الطَّيِّباتِ منه . ويُشيرُ بقَدَى الزَّادِ إلى ما يُفِيءُ عليه غَدْرٌ أو غُلُولٌ ، أو مَخَانَةٌ^(١) أو ابتدالٌ . ويُشيرُ بالطَّيِّبِ إلى ما كان من حِلِّهِ ووجهه ، لا عارَ في اكتسابه ، ولا بذلةَ في احتجانه^(٢) . وبعضُ الناسِ^(٣) رَوَى : « قَدَى الزَّادِ » ، والقَدَى : الرائحةُ الطَّيِّبةُ ، يقالُ قَدِرٌ قَدِيَّةٌ ، إذا كانت طَيِّبةَ الرائحةِ . كأنَّ المراد عنده : لا يتشَمُّ الزَّادَ ورائحتهِ حتى يتيقنه طَيِّباً . والأوَّلُ الأصحُّ والأجودُ ، وذلكُ أنه أراد بالقَدَى الخبيثَ ، وقد طابَقَ الطَّيِّبَ به ، كما قال الآخرُ^(٤) :

* وما كان زادي بالخبيث كما زعم^(٥) *

وذكر القَدَى مستبعدٌ ها هنا ، ولا فائدةُ في إبقائه له ، ويغلبُ في ظَنِّي أنه تصحيفٌ .

٢ - وهَوَّانٌ وَجَدِيٌّ عَنِ خَلِيلِي أَنَّنِي إِذَا شِيتُ لَأَقِيْتُ امْرَأَتَ صَاحِبِهِ

(١) أى ما يكسبه بهذه الطرق الخبيثة . والمخانة : الحياة . وفي الأصل : « مخافة » ، صوابه في ل . وهذه العبارة ساقطة من م . وفي ل : « غدرا أو غلولا أو مخانة أو ابتدالا » بالنصب ، وله وجهه .

(٢) كذا على الصواب في ل ، م والتمورية . والاحتجان : الجمع والاكتساب . وفي نسخة الأصل : « في احتجابه » ، وليس بصواب وإن كان موافقا للجمع .

(٣) هو ابن جني في التنبيه . وقال : « لام القدا واو ، وهو رائحة الطعام . يدللك على ذلك ما حكاه أبو زيد قداوة الطعام » .

(٤) هو راشد بن شهاب البشكري . الفضلية ٨٦ .

(٥) صدره : * ولكن أبناء أتنني عن امرئ * *

٣- أَخٌ مَّاجِدٌ لَمْ يُخْزِنِي يَوْمَ مَشْهَدٍ كَمَا سَيْفٌ عَمْرٍو لَمْ تَخُنْهُ مَضَارِبُهُ

يقول : خَفَّفَ وَجْدِي بِخَلِيلِي لَمَّا أَصِيبْتُ بِهِ ائْتَسَأَى بِغَيْرِي مِنَ النَّاسِ ، لِأَنِّي مَتَى شئتُ لَاقِيتُ مَنِ امْتَحِنَ بِمِثْلِ مِحْنَتِي . ثم قال « أَخٌ مَّاجِدٌ » ، أَي خَلِيلِي وَصَاحِبِي أَخٌ مَّاجِدٌ ، لَمْ يُهِنِّي يَوْمَ حَقْلِي وَلَمْ يَخْذُلْنِي عِنْدَ احْتِشَادِي وَجَمْعٍ ، وَلَا جَلَبَ عَلَيَّ فِي مَشْهَدِي مِنَ الْمَشَاهِدِ مَا اسْتَحْيِي مَفِيهِ أَوْ أَخْزَمِي لَهُ ، بَلْ كَانَ لِي عِنْدَ مَا أَدْعُوهُ لَهُ مُجِيبًا ، وَفِي الشَّدَائِدِ عَوْنًا وَظَهِيرًا ، لَا يَفْتَعِبُ عَنِّي وَلَا يَفْتُرُ مَعِي ، كَصَمْمَصَامَةٍ عَمْرٍو^(١) ، لَهُ نَفَازٌ حَيْثُ أَعْمَلَهُ ، وَمَضَاةٌ عِنْدَ مَا يَهْزُهُ ، لَا يَخُونُ وَلَا يَرْتَدُّ ، فَكَذَلِكَ كَانَ صَاحِبِي . وَارْتَفَعَ قَوْلُهُ أَخٌ مَّاجِدٌ عَلَيَّ أَنَّهُ خَبِرْتُ مَبْتَدَأَ مَضْمَرٍ . وَقَوْلُهُ « كَمَا سَيْفٌ عَمْرٍو » لَوْ رُوِيَ « كَمَا سَيْفٌ عَمْرٍو » لَجَازٌ ، تَجَعَلُ مَا صِلَةٌ وَيَنْجِرُ السَّيْفُ بِالْكَافِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :

كَمَا الْعَظْمَ الْكَسِيرَ يُهَاضُ حَتَّى يَبْتَ وَإِنَّمَا بَدَأَ انْصِدَاعًا^(٢)

تَجَرُّ الْعَظْمَ بِالْكَافِ ، وَإِنْ رَفَعْتَهُ كَانَ مَبْتَدَأً ، وَكَذَلِكَ إِذَا رَفَعْتَ سَيْفٌ ، وَيَكُونُ مَا مِنْ قَوْلِهِ مَا الْكَافَّةُ ، وَيَكُونُ مِثْلُ مَا مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾^(٣) . وَالضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ « لَمْ يَخُنْهُ » يَرْجِعُ إِلَى عَمْرٍو ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى السَّيْفِ أَيْضًا .

(١) التبريزي : « وكان سيف عمرو لا ينبو ، فاستوهبه عمر بن الخطاب فوهبه له ، فقيل لعمر إنه غيره وإنه ضن بالصمصامة ، فذكر عمر ذلك فغضب عمرو بن معديكرب وقال : إنما أعطيتك السيف لا الساعد ! » . وفي اللسان (صمم) أنه أهداه لسعيد بن العاص .

(٢) البيت للقطامي في ديوانه ص ٣٧ من قصيدة يمدح بها زفر بن الحارث .

(٣) الآية الثالثة من سورة الحجر . و « ربما » قال أبو حيان : « لم تقع في القرآن إلا في هذه السورة على كثرة وقوعها في لسان العرب » . وقال : « وقرأ عاصم ونافع : ربما ، بتخفيف الباء ، وباقي السبعة بتشديدها ، وعن أبي عمرو الوجهان . وقرأ طلحة بن مصرف وزيد بن علي : ربما بزيادة تاء » . وقد جاءت « ربما » في الأصل ول ، م بتشديد الباء .

٢٨٨

وقال أسود بن زمعة^(١) :

- ١ - أتبكي أن يضل لها بعيرٌ ويعنمها من النورم الشهودُ
٢ - فلا تبكي على بكرٍ ولكن على بدرٍ تقاصرت الجودُ
٣ - ألا قد سادَ بمدهم رجالُ ولولا يومٌ بدرٍ لم يسودوا

كان السبب في قول الأسود هذا الشعر أن قريشاً كانت حرمت البكاء على أنفسهم لقتلى بدر ، لئلا يشمت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهم ، وكان الأسود قد فجع بابنه زمعة ، إذ كان من قتلى ذلك اليوم ، فاقتدى بالناس في ترك البكاء عليه ، فاتفق أن كانت له مشربة^(٢) فتنزهه ومضى إليها فسمع بكاء امرأة فقال لأصحابه^(٣) : انظروا فإن [كان^(٤)] البكاء قد حلل ،

(١) كذا على الصواب في سائر النسخ . وفي الأصل : « سويد » ، تحريف . التبريزي « وقال الأسود بن زمعة بن المطلب بن نوفل يرثى ابنه زمعة بن الأسود وقتل يوم بدر مع قريش مشركا . وفي نسخة : المطلب بن أسد بن عبد الغزي » . على أن الصواب أنه الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد الغزي ، وهو الذي قال فيه الرسول صلوات الله عليه : « اللهم أعم بصره وأثكله ولده » . السيرة ٢٧٢ . والصواب في ابن زمعة : « أبو زمعة » وزمعة ولده .

(٢) المشربة : أرض لينة لا يزال فيها نبت أخضر ريان . وهي بفتح الراء وضمها كما في القاموس . وقد ضبطت في ل بضم الراء :

(٣) السيرة ٤٦١ - ٤٦٢ : « إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحل النجيب ، هل بكت قريش على قتلها لعل أبكي على أبي حكيمه - يعني زمعة - فإن جوفى قد احترق . قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته . فذاك حين يقول الأسود : « وأشد هذه الحماسية ، وزاد فيها بين الثاني والثالث :

على بدر سراة بني هضيم ونخزوم زهظ أبي الوليد
وبكى إن بكيت على عقيل وبكى حارثا أسد الأسود
وبكيتهم ولا تستعني جميعاً وما لأبي حكيمه من نديد

(٤) التكملة من ل ، م .

حَتَّى نَبْكِي نَحْنُ أَيْضًا زَمَعَةً ، فَرُجِعَ إِلَيْهِ وَقِيلَ : إِنَّهُ بَكَاهُ امْرَأَةٌ ضَلَّ لَهَا بَعِيرٌ .
فَقَالَ هَذَا الشُّعْرَ مُنْكَرًا لِبَكَائِهَا وَمُسْتَعْظِمًا .

وقوله « أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ » لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار .
وقوله أَنْ يَضِلَّ : أَرَادَ مِنْ أَنْ يَضِلَّ ، وَهِيَ يَحْدِفُونَ حَرْفَ الْجَرِّ مِنْ أَنْ كَثِيرًا .
وَالشُّهُودُ : امْتِنَاعُ النَّوْمِ ؛ وَرَجُلٌ مُسَهَّدٌ ، إِذَا كَانَ قَلِيلَ النَّوْمِ . وَلَمْ يَرْضَ بِأَنْ
أَنْكَرَ الْبَكَاءَ عَلَيْهَا ، وَتَرَكَ النَّوْمَ لِفَقْدَانِ بَعِيرِهَا ، حَتَّى نَهَاها فَقَالَ :

فَلَا تَبْكِي عَلَيَّ بِكَرٍّ وَلَكِنْ عَلَيَّ بَدْرٍ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ

يُرِيدُ أَنْ الَّذِي يَجِبُ الْبَكَاءَ لَهُ مَا جَرَى عَلَى رُؤْسَاءِ قَرِيشٍ وَأَرْبَابِ الْجُدُودِ
فِيهِمْ بَدْرٌ ، وَأَنَّ الْحَيْفَ الْعَظِيمَ وَالخُسْرَانَ الْمُبِينِ وَالغَبْنَ الشَّدِيدَ فِي ذَلِكَ ، لَا فِي
ضَلَالِ بَكْرٍ . وَبَدْرٌ : اسْمُ بَيْتٍ اتَّفَقَتِ الْوَقْعَةُ عِنْدَهَا . وَقَوْلُهُ « تَقَاصَرَتِ
الْجُدُودُ » مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ ، وَهُوَ تَفَاعُلٌ مِنَ الْقُصُورِ وَالْعَجْزِ ، لَا الْقِصْرِ الَّذِي
هُوَ ضِدُّ الطُّولِ ، كَأَنَّهَا تَبَارَتْ فِي الْقُصُورِ ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ قَصَرْتُ
كَذَا عَلَى كَذَا ، إِذَا حَبَسْتَهُ عَلَيْهِ وَمَنَعْتَهُ مِنَ الذَّهَابِ عَنْهُ حَتَّى صَارَ كَالعَاجِزِ
عَنْ غَيْرِهِ . وَيُقَالُ أَيْضًا قَصَرْتُهُ عَلَى كَذَا ، إِذَا رَدَدْتَهُ دُونَ مَا أَرَادَ . وَمِنْهُ
الْقَصْرُ فِي الصَّلَاةِ . وَيُقَالُ تَقَاصَرْتُ إِلَى فُلَانٍ نَفْسُهُ ذُلًّا . وَقَصَرَ السَّهْمُ عَنْ
عَنِ الْهَدَفِ فَهُوَ قَاصِرٌ . وَلَا يَمْتَنَعُ — وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ هُوَ الْوَجْهُ — أَنْ يُجْعَلَ
مِنَ الْقِصْرِ ، وَيَكُونُ ضِدًّا تَطَاوَلَتْ ، وَيَكُونُ عَلَى مَوْضِعًا مَوْضِعَ الْبَاءِ ، كَمَا يُقَالُ :
هَمَّ عَلَى مَاءٍ كَذَا وَهَمَّ بِمَاءٍ كَذَا .

وقوله « أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ » يَرِيدُ أَنْ أَهْلَ السِّيَادَةِ انْقَرَضُوا
وَبَادُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَعَادَتْ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بِأَهْلٍ ^(١) . وَمِثْلُ

(١) التبريزي في تفسير هذا البيت : « يعرض بأبي سفيان بن حرب ، لأنه رأس قريشاً

لما قتلت أشرافهم » .

هذا وإن كان أغمض منه قول الآخر :

* وَالْحَقُّنَا الْمَوَالِيَّ بِالصَّمِيمِ *
*

٢٨٩

وقال الأسدی

وخبره في منادمته معروف^(١) :

١ - خَلِيلِي هُبَّا طَالَ مَا قَدَّ رَقَدْتُمَا أَجِدَّ كَمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَا كَمَا

قوله « طال ما » يجوز أن يكون ما الكافة وقد رُكِبَ مع طال تركيباً واحداً حتى صاراً معاً كالشيء الواحد . ويجوز أن يكون ما منفصلاً من طال ، ويكون مع الفعل الذي بعده في تقدير المصدر ، كأنه قال : طال رقودُ كَمَا . فإذا كُتِبَ المُرَكَّبُ مع ما يجب أن يُوصَلَ أحدهما بالآخر ، وإذا كُتِبَ الثاني يُفصلُ بين طال وبين ما . و« أَجِدَّ كَمَا » انتصب على المصدر ، ذكره سيبويه في باب ما ينتصب من المصادر توكيداً لما قبله^(٢) . قال : ومثله في الاستفهام :

(١) التبريزي : « وذكروا أن رجلين من بني أسد خرجا إلى أصبهان ، فأخيا دهقاناً بها في موضع يقال له راوند ، فأت أحدهما وغبر الآخر والدهقان ينادمان قبره ، بشربان كأسين ويصبان على قبره كأساً . فأت الدهقان فكان الأسدی ينادم قبريهما ويترنم بهذا الشعر ، وكان يشرب قدحا ويصب على قبريهما قدحين » . وروى أبو الفرج روايات في نسبة هذه الأبيات إلى قس بن ساعدة ، أو عيسى بن قدامة الأسدی ، أو الحزین بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة ، أو أحد الكوفيين الذين وجههم الحجاج إلى الديلم ، وكل هذه الروايات تشترك في حديث الخمر والنادمة ، إلا الرواية الأولى التي تمثل قسا وقد ابنتي مسجداً بين قبر أخويه يعبد فيه الله . الأغاني (١٤ : ٤٠ - ٤٢) . ونسب الشعر في معجم البلدان (رواند) ومعجم ما استعجم (خزاق) إلى الأسدی ، وحكى القصة التي رواها التبريزي ثم قال ياقوت : وقال بعضهم : إن هذا الشعر لنفس بن ساعدة في خليلين له كانا وماتا . وقال آخرون : هذا الشعر لنصر بن غالب يرثي به أوس بن خالد وأنس بن خالد . وقد سبق ذكر أوس بن خالد في الحماسية ٢٧٦ . وانظر الخزانة (١ : ٢٦١ - ٢٦٨) .

(٢) كتاب سيبويه (١ : ١٨٩ - ١٩٠) .

أَجِدَكَ لَا تَفْعَلْ كَذَا ، كَأَنَّهُ قَالَ أَجِدًا . غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُضَافًا ، فَهُوَ يَجْرِي فِي التَّأْكِيدِ مَجْرَى حَقًّا ، وَفِي الْإِضَافَةِ : جَهْدَكَ ، وَمَعَاذَ اللَّهِ ، وَالْمَعْنَى : أَتَجْعَلَانِ فِعْلَكُمَا جِدًّا . وَقَوْلُهُ « لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكُمَا » كَأَنَّهُ لَمَّا اتَّصَلَ رِقَادُهُمَا وَدَلَّ عَلَى حَالِيهِمَا فِي امْتِدَادِهِ قَوْلُهُ هُبًّا ، وَقَوْلُهُ طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا ، جَعَلَ النَّفْيَ بَلَا ، لِيَدُلَّ عَلَى اتِّصَالِهِ فِي الْاسْتِقْبَالِ ، وَأَنَّ سَوَالَهُ عَمَّا يَجِيءُ لَا عَمَّا هُوَ فِيهِ . وَلَوْ جُعِلَ بَدَلًا « لَا » مَا ، كَانَ لِلْحَالِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : يَا خَلِيلِيَّ انْتَبِهِي فَقَدْ امْتَدَّ رِقَادُكَ . وَأَتَجِدَانِ جِدًّا كَأَنَّهُ كَرَاكُمَا بَعْدُ لَا مُنْتَهَى لَهُ وَلَا انْقِضَاءَ ، بَلْ يَتَّصِلُ وَيَدُومُ . وَقَوْلُهُ « طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا » يُكْتَفَى بِهِ إِذَا كَانَ الْمُتَقَدِّمُ مِنَ الْكَلَامِ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا قَدْ اسْتُطِيلَ . وَعَلَى ذَلِكَ عَزَّ مَا ، وَشَدَّ مَا .

٢ - أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَأْوَدٍ كُلَّهَا وَلَا بِخِزَاقٍ مِنْ صَدِيقٍ سِوَاكَ^(١)
قَوْلُهُ « أَلَمْ » هُوَ لَمْ أُدْخِلَ عَلَيْهِ أَلْفَ الْاسْتِفْهَامِ ، وَالْاسْتِفْهَامُ كَالنَّفْيِ فِي أَنَّهُ غَيْرُ مُوجِبٍ ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إِجْبَابٌ ، لِذَلِكَ قُرِّرَ بِالْمِمْ فِيمَا كَانَ وَاجِبًا وَاقِعًا ، لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالتَّشْبِيهِ فِي التَّقْرِيرِ ، وَتَأْكِيدِ الْمُقَرَّرِ عَلَى الْمُخَاطَبِ ، مِثْلَ مَا يَتَضَمَّنُهُ الْقَسَمُ لَوْ أُتِيَ بِهِ بَدَلَهُ ؛ لِذَلِكَ عَقَّبَهُ بِمَا يُعَقَّبُ بِهِ الْقَسَمُ ، وَهُوَ مَا النَّافِيَةُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ^(٢) فِي قَوْلِ الْقَائِلِ : اللَّهُ يَعْلَمُ ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ ؛ أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ يُسْتَعْمَلُ اسْتِعْمَالَ الْإِيمَانِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لِقَاتَيْنِ مَنِيَّةً
مَا بَعْدَهَا خَوْفٌ عَلَيَّ وَلَا شَدَمٌ
فَقَوْلُهُ « وَلَقَدْ عَلِمْتُ » جَارٍ مَجْرَى الْيَمِينِ فِيمَا ذَكَرْتُ مِنَ التَّأْكِيدِ ، لَوْلَا

(١) فِي رِوَايَةِ أَبِي الْفَرَجِ :

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي بِسَمْعَانَ مَفْرَدٍ وَمَالِي فِيهِ مِنْ حَبِيبِ سِوَاكَ

وَأَنشُدُهُ يَاقُوتَ فِي رِسْمِ (سَمْعَانَ) بِرِوَايَةِ أَبِي تَمَامٍ مَعَ تَغْيِيرِ « رِوَاوَدَ » إِلَى « سَمْعَانَ » وَذَكَرَ أَنَّ سَمْعَانَ جَبَلَ فِي دِيَارِ بَنِي تَمِيمٍ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ « سَمْعَانَ » اسْمُ رَجُلٍ نَسَبَ إِلَيْهِ عِدَّةُ أُدَيْرَةٍ .

(٢) انظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ١٨٨ - ١٨٩ .

ذلك لما عُقِبَ بما يكون جوابَ اليمين . وقوله « ألم تعلمَا » أصله تعلمان ،
 ودخلت ألم للتقرير . وقوله « مالي براوند » في موضع المفعول لتعلمان ، لأن تعلم
 هاهنا في موضع تعريف ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ
 فِي السَّبْتِ ﴾ ، وكذلك : لقد علمت لتأتين ، أصله لتأتين ودخلت علمت
 ليؤكد بها ، لأنك أخرجت الكلام بها من أن يكون على سبيل التظني
 أو من خبرٍ نُخبر فيكون إحالةً عليه . واللام من « لتأتين » له الصدر ، فيمنع
 علمت من العمل ، وإذا كان كذلك كان موضع لتأتين نصباً على أنه مفعول
 علمت ، وعلمت بمعنى عرفت . وقوله « من صديق » في موضع الرفع على أن
 يكون اسم ما . وفائدة من الاستغراق ، و «سواك» في موضع غير ، وهو صفة
 لصديق . والكلام هو استبطاء في استمرار رقادها عنه ، وغفلتها مما هو بسبيله ،
 وباطنه تلهف وتوجع .

٣ - أقيم على قبريكما لست بارحاً طوأل الليالي أو يجيب صداكما^(١)

٤ - أصب على قبريكما من مدامة فإن لم تدوقاها أبل شراكما^(٢)

يقول : أصل مقامي على قبريكما باتصال الليالي ودوامها ، ولا أبرح إلا أن
 يجيئني صداكما . وقوله « لست بارحاً » في موضع الحال ، كأنه أراد : أقيم ملازماً
 أبداً . وطوأل انتصب على الظرف ، والعامل فيه يجوز أن يكون بارحاً ، ويجوز
 أن يكون أقيم . فأما قوله « أو يجيب » فأو بدل من إلى ، والفعل بعده انتصب
 بأن مضمرة . والعرب تقول : عظام الموتى تصير أصداءً وهاما ، لذلك قال :
 أو يجيب صداكما .

(١) في رواية بالأغاني : « مقيم على قبريكما » .

(٢) في رواية بالأغاني : « فلا تدوقا أرو منها » .

وقوله « أَصْبُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا مِنْ مُدَامَةٍ » مِنْ أَفَادِ التَّبْعِيضِ ، وَمَوْضِعٌ مِنْ مُدَامَةٍ نَصَبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ أَصْبُ ، وَالْمَعْنَى أُجْرِيكُمَا فِي الْمُنَادِمَةِ وَالشَّرْبِ نَجْرًا كَمَا وَأَتَمَّا حَيَّانَ ، فَإِذَا عَادَتِ التَّوْبَةُ إِلَيْكُمَا أَصْبُ مَا نَابَكُمَا مِنَ الْمُدَامَةِ عَلَى قَبْرَيْكُمَا ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَبُلَّ رَيْقَكُمَا رَطَّبَ قَبْرَيْكُمَا . وَقَوْلُهُ « أُبْلُ » يَجُوزُ أَنْ تَبْنِيَهُ عَلَى الْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَالْكَسْرِ ، لِأَنَّكَ تَدْغِمُ وَإِنْ كَانَ مُعْرَبًا ، فَيَلْتَقِي بِنَقْلِ الْحَرَكَةِ عَنِ الْعَيْنِ إِلَى الْفَاءِ سَاكِنًا ، ثُمَّ يُبْنَى عَلَى الْكَسْرِ لِأَنَّهُ أَصْلٌ فِي التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ ، أَوْ عَلَى الْفَتْحِ لِحَقَّتِهِ ، أَوْ عَلَى الضَّمِّ لِلِاتِّبَاعِ . وَلَا خِلَافَ فِي إِدْغَامِ الْمُعْرَبِ مِنْ كُلِّ الْعَرَبِ ، فَأَمَّا الْمَبْنِيُّ فَبَعْضُهُ يُظْهِرُ التَّضْعِيفَ فِيهِ فَيَقُولُ : ارْدُدْ ، وَبَعْضُهُ يَقُولُ رُدَّ فَيُدْغِمُ وَإِنْ كَانَ مَبْنِيًّا ، إِلَّا أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِدْغَامِ لِلْمُعْرَبِ ، ثُمَّ حِجِلَ الْمَبْنِيُّ عَلَيْهِ فَاعْلَمَهُ .

٥ - وَأَبْكِيكُمَا حَتَّى الْمَمَاتِ وَمَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوَلَةٍ إِنْ بَكَ كَمَا (١)
 قَوْلُهُ « وَمَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوَلَةٍ » يَجْرِي مَجْرَى الْاِلْتِفَاتِ . وَقَوْلُهُ « إِنْ بَكَ كَمَا » إِذَا فَتَحَتْ الْهَمْزَةُ يَكُونُ مَوْضِعُهُ مِنَ الْإِعْرَابِ الرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ يَرُدُّ ، لِأَنَّ أَنْ مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ الْمَصْدَرِ ، وَإِنْ رَوَيْتَ إِنْ بَكَسَرِ الْهَمْزَةُ كَانَ شَرْطًا وَجَوَابُهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا تَقَدَّمَ ، وَفَاعِلٌ يَرُدُّ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَبْكِيكُمَا مِنْ مَصْدَرِهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَمَا الَّذِي يَرُدُّ الْبِكَاءَ عَلَى ذِي عَوَلَةٍ إِنْ بَكَ كَمَا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : « مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ ، وَمَنْ صَدَّقَ كَانَ خَيْرًا لَهُ » يَرِيدُونَ كَأَنَّ الْكُذْبَ شَرًّا لَهُ وَالصِّدْقَ خَيْرًا لَهُ . وَالْمَعْنَى : أَبْكِيكُمَا مَا اتَّصَلَ عَمْرَى . ثُمَّ قَالَ كَالْمَلْتَمِثِ إِلَيْهِمَا عَلَى طَرِيقِ الْيَأْسِ : وَمَا يُغْنِي الْبِكَاءَ عَنِ الْمُعْوَلِ إِنْ بَكَ كَمَا . فَقَوْلُهُ « مَا » اسْتَفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ لِلْإِنْكَارِ . وَالْعَوِيلُ : صَوْتُ الصَّادِرِ ، وَمِنْهُ الْعَوَلَةُ ، وَقَدْ أَعْوَلَتِ الْمَرْأَةُ .

(١) فِي رِوَايَةِ الْأَغَانِي : « سَأَبْكِيكُمَا طَوَّلَ الْحَيَاةَ » .

٢٩٠

وقال عبدُ الملكِ بنُ عبدِ الرَّحيمِ الحارثي^(١) :

١ - إِنِّي لِأَرْبَابِ الْقُبُورِ لَغَابِطٌ لُسْكُنِي سَعِيدٍ بَيْنَ أَهْلِ الْمَقَابِرِ

٢ - وَإِنِّي لَمَفْجُوعٌ بِهِ إِذْ تَكَاثَرَتْ عُدَاتِي وَلَمْ أَهْتَفْ سِوَاهُ بِنَاصِرِ

قوله « سُكُنِي » أن تُسْكِنَ إنساناً منزلاً بلا كِراء ، والمنزل سَكَنٌ وَمَسْكَنٌ ؛ وهو مصدر كعُذْرِي وبُشْرِي . ومعنى البيت : إِنِّي أَغْبِطُ الموتى لحصول سعيدٍ فيما بينهم ، فإنَّ الجمال الذي كان للأحياء بمقامه فيهم كأنَّه انتقلَ إلى الأموات عنهم ؛ وإِنِّي لمتبَيِّنٌ تأثيرَ الفَجْعِ به ، وشِدَّةَ فاقتي إليه ، إذا تَرَاحَمَ الأعداء وتبالَغُوا في قَصْدِي ، ولا يكون لي من أَسْتَنْصِرُهُ عليهم غيره . وقوله « سِوَاهُ » في موضع النَّصْبِ على أَنَّهُ استثناءٌ مقدَّمٌ . ويقالُ هَتَفَ هَتْفًا وهَتَفًا . والهَتْفُ : الصَّوتُ الشَّدِيدُ ، وقوسٌ هَتْفِي ، والجمامُ تَهْتِفُ . وهَتَفَ به وصاح به ، إذا دَعَاهُ .

٣ - فَكُنْتُ كَمَغْلُوبٍ عَلَى نَصْلِ سَيْفِهِ وَقَدْ حَزَّ فِيهِ نَصْلُ حَرَّانِ ثَائِرِ

النَّصْلُ : اسمُ حديدَةِ السَّيْفِ ، لذلك صَلَحَ إِضَافَتُهُ إِلَى سَيْفِهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ اسْتِعْمَالَ السَّيْفِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : وَقَدْ حَزَّ فِيهِ نَصْلُ حَرَّانِ . يقولُ : كَانَ عُدَّتِي عَلَى الدَّهْرِ وَسِلَاحِي عَلَى أَعْدَائِي ، فَلَمَّا قَدَّمْتُهُ وَالْأَعْدَاءُ بِالْمِرْصَادِ لِي ، صِرْتُ كَمَنْ غَلِبَ عَلَى سَيْفِهِ وَسَيْفُ عَدُوِّهِ قَدْ خَرَجَ عَلَيْهِ كَطَالِبٍ ثَائِرٍ وَكَبْدُهُ حَرَّيٌّ ، لِشِدَّةِ عِدَاوَتِهِ وَاسْتِحْكَامِ غِيظِهِ يَعْمَلُ فِيهِ ، وَيَنْفُذُ فِي الضَّرْبَةِ مِنْهُ ،

(١) التبريزي : « يكنى أبا الوليد ، وهو شامي كلامي شاعر » . وكلمة « كلامي » محرفة ، صوابها « كلاعي » بفتح الكاف . قال السمعي في الأنساب (١٤٨٢) : « هذه النسبة إلى قبيلة يقال لها كلاع نزلت الشام ، وأكثرهم نزل حمص » .

والمراد : كنتُ كمن غلبَ على عُدته أشدَّ ما كان حاجةً إليها ، وحين تمكَّن العدوُّ وهو تامُّ الآلة ، مَكِينُ القويِّ في المنازلة .

٤ — أُنِينَاهُ زُوَارًا فَأُمَجَّدَنَا قِرَى مِنْ البَيْثِ والِدَاءِ الدَّخِيلِ المِخَاسِرِ
٥ — وَأُبْنَا بَزْرِعٍ قَد نَمَّا فِي صَدُورِنَا مِنْ الوَجْدِ يُسْقَى بِالدُّمُوعِ البَوَادِرِ

يقول : جئنَاهُ زائرِينَ فوسَّعَ قِرَانَا مِنْ الحُزْنِ والِدَاءِ المِتمَكِّنِ مِنَ القلبِ ، المِخَاسِرِ لَهُ . والمِخَاسِرُ مأخوذٌ مِنَ الخَمَرِ ، وهو ما واراكَ مِنَ الشَّجَرِ وغيرِهِ . وإذا كان كذلك فهو أبلغ من قوله الدَّخِيلِ ، لأنه يُفِيدُ فِي الموصُوفِ فائدةً أَكْثَرَ مِنَ الدُّخُولِ ، إذ كان المرادُ بِهِ دَيْبَهُ فِي أَثْنَاءِ القلبِ وَأَطْباقِهِ ، وَذَهَابَهُ فِي أَجْزَائِهِ وَأَضْعافِهِ ، وليس فِي الدَّخِيلِ هَذَا المعنى . ويقالُ أُعْجِدْتُ الدَّابَّةَ العَلْفَ ، إذا أَكْثَرَتْ لَهُ .

وقوله « وَأُبْنَا بَزْرِعٍ قَد نَمَّا فِي صَدُورِنَا » نَبَّهَ بِهَذَا الكَلامِ عَلَى أَنَّ حُزْنَتهُ يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الأَيَّامِ ، فهو كالزَّرْعِ النامِي ، وَأَنَّ سُقْيَاهُ الدُّمُوعِ . ومعنى البَوَادِرِ المُسْتَبِقَةُ لِكثْرَتِهَا وَغَلَبَتِهَا . وَأَصْلُ الزَّرْعِ الإنباتِ . وَالزَّرْعَةُ : البَذْرُ . لذلك قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ . وازدريج ، إذا زَرَعَ أو أَمَرَ بِهِ لِنَفْسِهِ خَاصَّةً . ويقالُ : زُرِعَ لَهْلانٌ بَعْدَ شَقَاءٍ ، إذا أَصَابَ مَلاَءَ بَعْدَ الحَاجَةِ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ قال « أُعْجِدْنَا قِرَى » والميِّتُ لا يَعْمَلُ شَيْئاً ؟ قلتُ : لَمَّا جَعَلَهُ سَمُورًا أَقامَ لَهُ قِرَى لَزائِرِهِ عَلَى عَادَتِهِ وهو حَيٌّ . وهذا المعنى مِنْ كَلامِهِ أَبيْنُ وَأَظْهَرَ مِنْ كَلامِ عَبدَةَ بْنِ الطَّيِّبِ لَمَّا قالُ :
* إِذَا زَارَ عَنِ شَحْطِ بِلادِكَ سَلَمًا ^(١) *

(١) مِنَ الحَاسِيَةِ ٢٦٣ . وَصِدْرِهِ ؛

* تَحِيَّةٌ مِنْ غَايِرَتِهِ غَيْرُ الرَّدِيِّ *

٦ — ولما حضرنا لا ققسام ترائه أصبنا عظياتِ اللّهي والمآثرِ

٧ — وأسمعنا بالصمتِ رجعَ جوابه فأبلغُ به من ناطقٍ لم يُحاورِ

اللّهي : أفضلُ العطايا وأجزؤها ، والواحدة لُهيّةٌ ولُهوّةٌ ؛ ومنه اللّهوّةُ التي تُلقي في الرّحى . يقول : لما اجتمعنا لنقتسم تريكته فيما بيننا لم نجد له إلا ما كسبه عطاياه من المآثر الكريمة . فأضاف عظيات إلى اللّهي والمآثر جميعاً ، وهي جمع مأثرة ، وهي ما يُؤثر من المحامد والمعالى ويُذكَر . ويجوز أن يُريد بالعظيات المفاخر التي ادّخرها له اللّهي ، ويكون اللّهي حينئذ الأموال الكثيرة . ويجوز أن يكون المراد بالمآثر الأعلاق الثمينة ، والنّفائس الكريمة ، التي فرّقتها في حياته ، وآثر غيره بها . وقوله « وأسمعنا بالصمتِ رجعَ جوابه » أي مرجوع جوابه ، كما قال غيره^(١) : « اسأل الأرض ، أين من شقّ أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؛ فإن لم تجيبك حواراً أجابتك اعتباراً » ؛ وكما قال الآخر^(٢) :

* وَعظتكَ أجداتٌ صمتٌ^(٣) *

ومثله :

وكانت في حياتك لي عِظَاتٌ فَأَنْتَ اليَوْمَ أوعظُ منك حَيًّا^(٤)

(١) هو الفضل بن عيسى بن أبان . الحيوان (١ : ٣٥) . وانظر البيان (١ : ٨١) وعيون الأخبار (٢ : ١٨٢) .

(٢) هو أبو العتاهية . ديوانه ٥٢ .

(٣) معجزة : * ونعتك أزمنة خفت *

(٤) البيت من مشهور شعر أبي العتاهية ، في رثاء صديقه علي بن ثابت . انظر البيان (١ : ٤٠٧ — ٤٠٨) والأغاني (٣ : ١٤٢) . وذكر الجاحظ أن أبا العتاهية أخذ هذا المعنى من قول أحد الخطباء حين قام على سرير الإسكندر وهو ميت : « الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس » . انظر أيضاً البيان (١ : ٨١) لنسبة هذا القول الأخير .

٢٩١

وقالت امرأة من بني شيبان^(١) :

١ — وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذلك الرُمحُ يكلفُ بالكريم

٢ — بعينِ أبغِ قاسمنا المنايا فكان قسيمها خير القسيم

انتصب « ماجداً » على معنى أنه مفعول مُقدم ، ومنكم في موضع الصفة له .
وموضع ماجداً منكم قتلنا الجملة موضع المفعول لقوله قالوا . وقوله « كذلك الرُمحُ »
جوابٌ لهذا الابتداء ، كأنه قال : فأجيبوا : الرُمحُ يكلفُ بالكريم كذلك ،
فأشير بذلك إلى الخبر الذي اقتضوه . والكاف من كذلك كاف الخطاب لاموضع
له من الإعراب . وتلخيص الكلام : الرُمحُ يكلفُ بالكرام كلفاً مثل ذلك
الكلف . والعامل في كذلك يكلفُ . والمعنى : تنادوا : قتلنا ماجداً منكم ؛
فأجيبوا : الرُمحُ يعشقُ الكرامَ ويُولعُ بهمٍ مثل ذلك . وأكثر ما يجيء الجواب
في إثر السؤال من واحدٍ في القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ لَمِنَ الْمَلَكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ
الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ . وقد ألمَّ في هذا البيت بقول طرفة :

أرى الموتَ يفتنمُ الكرامَ ويصطفى عقيمةً مالِ الفاحشِ المتشددِ

وقوله « بعينِ أبغِ قاسمنا المنايا » مثله قول الآخر :

* وقاسمني دهرى بنى بشطره *

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي : « هذا الشعر لبنت فروة بن مسعود ، ترثي فروة
وقيسا ابني مسعود بن عاصم بن عمر بن أبي ربيعة ، وقتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أبغ يوم
قتل المنذر ، وكان الذي قتل المنذر شمر بن عمرو الحنفي وكان مع الحارث بن أبي شمر الغساني .
وهو المنذر بن امرئ القيس ، وأمه ماء السماء النمرية » . وقال ياقوت في (أبغ) : « وقالت
ابنة فروة بن مسعود ترثي أباهما ، وكان قد قتل بعين أبغ : واد وراء الأنبار على طريق الفرات
إلى الشام وكانت منازل إياد بن نزار . وكان عندها في الجاهلية يوم بين ملوك الشام الغساسنة ،
وملوك الحيرة اللخمين ، وفيها قتل المنذر اللخمي » .

كَأَنَّهُ كَانَ لِلْمَنَايَا نَصِيبٌ فِيهِمْ فَقَاسَمْتَهُمْ عَلَى نَصِيبِهَا فَوَقَعَ إِلَيْهَا خَيْرُ
النَّصِيبَيْنِ . والمعنى : اخْتَارَتْ مِنْهُمْ الْأَمْثَلَ فَالْأَمْثَلُ ، وَغَادَرَتْ الْفَلَاحَ مِنْهُمْ
وَالْمُسْتَزْدَلَ . وَقَوْلُهُ قَسِيمٌ يَكُونُ فِي مَعْنَى مَقْسُومٍ ، وَقَدْ يَكُونُ الْقَسِيمُ الْمُقَاسِمُ ،
وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ . وَلَكِ أَنْ تَرَوِي « قَاسَمْنَا الْمَنَايَا » بِسُكُونِ الْمِيمِ ، وَيَكُونُ
الْمَنَايَا فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ ، وَلَكِ أَنْ تَفْتَحَ الْمِيمَ وَتَجْعَلَ الْمَنَايَا فَاعِلَةً ؛ وَالْمَعْنَى فِيهِمَا
مُقْتَابَرٌ . وَكَانَتْ الْوَقْمَةُ بَعَيْنِ أَبَاغٍ ، فَلِذَلِكَ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ ، وَقَاسَمَ يَقْتَضِي
مَفْعُولًا آخَرَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : قَاسَمْنَا الْمَنَايَا النَّاسَ أَوِ الْأَصْحَابَ . وَقَوْلُهُ « قَسِيمُهَا » .
كَقَوْلِكَ نَصِيبُهَا . وَخَيْرُ الْقَسِيمِ كَقَوْلِكَ خَيْرُ الْأَنْصِبَاءِ . وَأَنْشُدْ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ
فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ :

إِذَا مَا الْمَنَايَا قَاسَمَتْ بِابْنِ مِسْحَلٍ أَخَا وَاحِدٍ لَمْ يَرْضَ نِصْفًا قَسِيمُهَا
فَأَبَّ بِلَا قَسَمٍ وَأَبَّتْ بِقَسَمِهَا إِلَى قَسَمِهِ لَاقَتْ قَسِيمًا يَضِيمُهَا

كَأَنَّهُ كَانَ لِلْمَنَايَا نَصِيبٌ فِي أَخِيهِ ، فَقَاسَمْتُهُ وَأَخَذَتْ نَصِيبَهُ إِلَى نَصِيبِهَا ،
وَأَبَّ هُوَ بِلَا نَصِيبٍ . ثُمَّ دَعَا عَلَى الْمَنِيَّةِ^(١) فَقَالَ : قَيَّضَ اللَّهُ لَهَا قَسِيمًا يَظْلِمُهَا
كَأَنَّ ظَلَمْتَنِي .

٢٩٢

وَقَالَ عَتِيُّ بْنُ مَالِكٍ^(٢) :

١ - أَعْدَاءُ مَنْ لِلْيَعْمَلَاتِ عَلَى الْوَجَى وَأَضْيَافِ أَيْلٍ يَتُّوْا لِنُزُولِ
٢ - أَعْدَاءُ مَا لِلْعَيْشِ بَعْدَكَ لَدَّةٌ وَلَا لَخَلِيلٍ لِبَهْجَةِ بَخَلِيلِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْمَوْتِ » ، وَالصَّوَابُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : « عَتِيُّ بْنُ مَالِكِ الْعَقِيلِيُّ » ، وَلَمْ أَعْثُرْ لَهُ عَلَى تَرْجُومَةٍ .

٣ - أَعْدَاءُ مَا وَجَدِي عَلَيْكَ بَهَيْنٍ وَلَا الصَّبْرُ إِنْ أُعْطِيَتْهُ بِجَمِيلٍ

ناداه مُسَائِلًا له على طريق التوجع^(١) : مَنْ خَلَفْتَ بَعْدَكَ لِلوُرَادِ ، وَعَلَى مَنْ اعْتَمَدْتَ فِي تَفْقُدِ الْأَضْيَافِ . وَالْيَعْمَلَاتُ : التُّنُوقُ السَّرَاعُ . وَالوَجَى هُوَ الْخَفَى . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْيَعْمَلَةُ لَا يُوصَفُ بِهَا إِلَّا التُّنُوقُ . وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : يَقَالُ لِلْجَمَلِ يَعْمَلٌ ، اسْمٌ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ ، كَمَا يَقَالُ يَعْمَلَةٌ ، وَأَنْشُد :

إِذَا لَا أزالُ عَلَى أَقْتَادِ نَاجِيَةٍ صَهْبَاءَ يَعْمَلَةٍ أَوْ يَعْمَلٍ جَمَلٍ

أَرَادَ أَوْ جَمَلٍ يَعْمَلٌ . وَمَوْضِعُ « عَلَى الْوَجَى » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، كَأَنَّ فِنَاءَهُ وَدَارَهُ كَانَ مَأْلَفًا لِلْعِنَاةِ وَجَمْعًا لِلأَضْيَافِ ، فَإِذَا أَرَادُوا مَنْ يُؤْوِيهِمْ لَمْ يُؤْوِرُوا تَطَلُّبًا عَلَى قَصْدِهِ ، وَلَمْ يَجِدُوا تَطَلُّقًا وَتَوْفُرًا إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ عَلَى طَرِيقِ التَّحَشُّرِ : مَنْ يُؤْوِي الأَضْيَافَ وَقَدْ بَهَرَمَ السَّحَى وَأَتَعَبَهُم الطَّلَبَ غَيْرُكَ ، وَمَنْ يُنْزِلُ السَّفَرَ وَقَدْ أَكَلَهُمُ التَّعَبُ وَأَمْلَهُمُ الدَّأْبُ حَتَّى حَفِيَتْ رِوَاحُهُمْ ، وَحَتَّى يَبْتَئُوا نَزُولًا ، مَيِّلًا إِلَى نَيْلِ رَاحَتِهِمْ . وَيَقَالُ بَيْتَ الأَمْرِ ، إِذَا دَبَّرَهُ بِاللَّيْلِ . وَكُلُّ رَأْيٍ أَجَلَّتَهُ بَلِيلٌ فَهُوَ مُبَيَّتٌ . وَمَا بَشِيوتٌ ، إِذَا بَاتَ لَيْلَةً فِي الإِنَاءِ . وَبَيْتُ القَوْمِ ، إِذَا أَوْقَعَتْ بِهِمْ لَيْلًا . وَيَقَالُ لِلْهَمِّ : هُوَ بَشِيوتٌ ، وَالصَّقِيعُ بَشِيوتٌ . وَقَوْلُهُ « أَعْدَاءُ مَا لِلْعَيْشِ بِعَدِّكَ لَدَّةٌ » يَصِفُهُ فِيهِ بِأَنَّهُ كَانَ بِبَلِيغِ لُطْفِهِ وَجَمِيلِ خُلُقِهِ ، وَسَهْوَلَةِ جَانِبِهِ وَرَحَابَةِ جَنَابِهِ ، يَطِيبُ العَيْشَ مَعَهُ عَلَى مَا يَعْتَرِضُ فِيهِ مِنْ مَسَاءَةٍ أَوْ مَسَرَّةٍ ، إِذْ كَانَ يَتَحَمَّلُ الأَعْبَاءَ عَمَّنْ يَجَاوِرُهُ^(٢) ، وَيُخَفِّفُ ظَهَرَ مَنْ يَنْصَبُ إِلَيْهِ ، أَوْ يَتَسَبَّبُ بِقَرَابَةِ لَدَيْهِ ، أَوْ يَتَوَكَّلُ لِمُخَالَاتِهِ عَلَيْهِ ، فَكَانَ لِنَيْدِ الحَيَاةِ يُوَجِّدُ عِنْدَهُ ، وَصَفَى البَقَاءَ يَحْصُلُ مَعَهُ . وَقَوْلُهُ « وَلَا لَخَلِيلٍ بِهَجَّةٍ بِخَلِيلٍ » يَعْنِي أَنَّ النَّاسَ وَقَدْ رَأَوْا مَالَ أَمْرِكَ إِلَى الفَنَاءِ ، وَانْقِطَاعِ الشُّرُورِ عَنْهُمْ

(١) فِي الأَصْلِ : « عَلَى ظَهْرِ التَّوَجُّعِ » ، صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخِ .

(٢) فِي الأَصْلِ : « يَتَحَاوِرُهُ » ، صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخِ .

بعد النماء ، صار لا يتهبج بعضهم ببعض ، فلا يسكن الصديق إلى صديقه ، ولا القريب مع قريبه ، لغلبة اليأس من الخير ، وارتفاع الطمع من الفرج .
 وقوله « أعداء ما وجدى عليك بهين » كرر مُنَادَاتَهُ دِلَالَةً منه على لزوم التوجع ، وتنبهها على حصول العناء والاشتكاء بعد التودع . ثم قال : ليس جزعى عليك بخفيف ، ولا وجدى عليك بطفيف ، ولا صبرى لوحصل بحميل ، لأن الصبر على فقدك منكر ، وهون الوجد وخفته مُستفطع ، فليس لنا إلا الاستمرار فيما نحن بسبيله من اللهب والحسرة ، والاستسلام للشقاء والهلكة .

٢٩٣

وقال أيضاً :

١ - كَأَنِّي وَالْعَدَاءُ لَمْ نَسْرِ لَيْلَةً وَلَمْ نُزَجِ أَنْصَاءَ لَهْنٍ ذَمِيلُ
 ٢ - وَلَمْ نُلْقِ رَحْلَيْنَا بِبِيدَاءِ بَلْقَعٍ وَلَمْ نَزِمِ جَوْزَ اللَّبْلِ حَيْثُ يَمِيلُ
 أدخل الألف واللام في هذه المقطوعة على العداء لأنه صفة في الأصل ، فهو كالحسن والعباس وما أشبههما ، فإذا أتيت به ولا ألف ولا م فيه فلأنك جعلته علماً ، فصار معرفةً بالعلمية ، وإذا أدخلت الألف واللام عليه فإنك راعيت حاله وهو صفة ثم جعلتها نفس المسمى وأدخلت الألف واللام عليه .
 فعلى الأول لا يُفيد الاسم [في ^(١)] المسمى شيئاً أكثر من تمييزه عن غيره ، وعلى الثاني أفاد معنى الوصفية فيه مع التمييز ، فصار كالصفات الغالبة الجارية تجرى الألقاب في التخصيص .

وقوله « كَأَنِّي وَالْعَدَاءُ لَمْ نَسْرِ لَيْلَةً » يريد أن الشيء إذا انقطع فيكأنه لم

(١) هذه من ل ، م والتمورية .

يكن ، والمعنى أني وقد فقدته فكأنني وإياه لم نصلح في قطع مسافة ، ولم نشترك في سوق أنضاء من الإبل لتحمل كلفة ، أو صبر على مشقة . ونبته بهذا الكلام على تبدله - كان - فيما يكسبه الأحدثة الجميلة ، وإن تكلف فيه الأثقال العظيمة . والذميل : إسرع السير . والأنضاء : جمع النضو . وقال الدردي : يقال : ذملت الناقة ذميلاً وذملنا ، وهو ضرب من السير أعلى من العنق ، وناقة ذمول . والإزجاء : السوق .

وقوله « ولم نلق رحليننا » لو قال رحالنا لكونهما اثنين من اثنين ، فجرى مثل قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ كان أدخل في الاستعمال ، لكنه أتى به على الأصل . والبئداء : المفازة . والبتقع : القفر الخالي . والمعنى على ما تقدم في البيت الذي قبله ، من الصبر على الشدائد .

وقوله « ولم نرَمِ جَوَزَ الليل حيث يميل » أراد حيث يميل الليل . وحيث هذا ظرف زمان . يريد فكأننا لم نرَمِ بأنفسنا جَوَزَ الليل وقت ميله . يشير إلى جنوحه وإشرافه على تهوُّره ، لأن ميله على ذلك يكون . ومما جاء فيه وهو للزمان دون المكان عند أبي الحسن الأخفش قوله :

للفتى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ (١)

لأن المعنى : للفتى عقل يعيش به مدة سعيه وحياته ، ونهوضه بساقه في أمره . ويجوز أن يكون حيث ظرفاً لمكان ، ويكون المعنى : إننا نعتسف الطريق فحيث مال الليل ملنا معه . ويجوز أن يكون فاعل يميل مادلاً عاياه « ولم نرَمِ » من المصدر ، ويكون المعنى حيث يميل الرَّمَى ويذهب فيه .

٢٩٤

وقال أبو الحجناء^(١) :

- ١ - أَضْحَتْ جِيَادُ ابْنِ قَعْقَاعٍ مُقَسَّمَةً فِي الْأَقْرَبِينَ بَلَا مَنْ وَلَا ثَمَنٍ
 ٢ - وَرَثَتُهُمْ فَتَسَلُّوا عِنْدَكَ إِذْ وَرِثُوا وَمَا وَرِثَتُكَ غَيْرَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ^(٢)
 القَعْقَاعُ وَالقَعْقَعَانِيُّ : الذي إذا مَشَى سُمِعَ لمفصله تَقَفُّعٌ . وأراد بالأقربين
 وَرِثَتُهُ ، وبالجياد خيله . فيقول : أَضْحَتْ خيله مُفْرَقَةً فِي وَرِثَتِهِ ، وهم لا يَعْتَدُونَ
 له بها ولا يبتاعونها ، فتكون له المِنَّةُ أو الثَّمَنُ . ثم قال : وَرِثَتُهُمْ فَتَسَلُّوا اشْتِغَالًا
 بِالْإِرْثِ ، وتسلياً عنك بالمال ، وأنا باقٍ على ما كنتُ عليه من التَّحَزُّنِ والاهْتِمَامِ
 لا إرْثَ لي غيرُهما . وهذا كلامٌ متأسِّفٌ ومستنكِرٌ من أقاربه ما يراهم عليه من
 نِسْيَانِهِ والشُّرُورِ بما فازوا به من ماله . وَالسَّلْوُ : طيب النفس عن الشيء . وفي
 تَسَلَّى مِنَ التَّكَلُّفِ ما ليس في سَلَاةٍ .

٢٩٥

وقال آخر :

- ١ - لَنِعْمَ الْفَتَى أَضْحَى بِأَكْنَفِ حَائِلٍ غَدَاةَ الْوَعَى أَكَلَّ الرُّدَيْنِيَّةَ الشُّمْرِ
 ٢ - لَعَمْرِي لَقَدْ أُرْدَيْتَ غَيْرَ مُزَلِّجٍ وَلَا مُغْلِقٍ بَابَ السَّمَاةِ بِالْعُذْرِ
 ٣ - سَابِكِيكَ لَمْ تُسْتَنْقِيَا فَيَضَعْبِرَةَ وَلَا طَالِبًا بِالصَّبْرِ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ

(١) هو أبو الحجناء نصيب الأصغر ، مولى المهدي ، أقطعه المهدي ضيعة بالسواد ، وعمر
 بعده ، ومدح الرشيد والفضل بن يحيى . وكان شبيبة بن الوليد العبسي وأخوه ثمامة يبرانه ،
 وكانا من وجوه قواد المهدي ، فلما مات شبيبة دخل نصيب على ثمامة وهو يفرق خيل شبيبة
 على الناس ، فأمر له بفرس ، فأبى أن يقبله وبكى ثم قال :

يا شبيبة الخير إما كنت لي شجناً آليت بعدك لا أبكي على شجن
 ثم البيتين اللذين أنشدهما أبو تمام هنا ، فجعل ثمامة ومن هو عنده حاضر من أهله وإخوانه
 يبكون . الأغاني (٢٠ : ٢٨) .
 (٢) الأغاني : « فتمزوا عنك » .

المحمود محذوف ، كأنه قال : نِعِمَ الْفَتَى فَتَى أَضْحَى . وانتَصَبَ « أَكَلَ » على أنه خبر أضْحَى ، وبأَ كِنَافِ حَائِلٍ ظَرْفُ مَكَانٍ . وغدَاةَ الْوَعَى ظَرْفُ زَمَانٍ ، وَتَعَلَّقَا جَمِيعًا بِأَضْحَى . ويجوز أن يُجْعَلَ بِأَ كِنَافِ حَائِلِ الْخَبَرِ ، وَيُنْتَصَبُ أَكَلَ عَلَى الْحَالِ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَنْتَصِبَ غَدَاةٌ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ بِأَ كِنَافِ حَائِلٍ مِنَ الْفِعْلِ الْمَضْمَرِ . ويجوز أن يكون الْعَامِلُ فِيهِ أَكَلَ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَصْدَرٍ فَلَا يَعْمَلُ مَا فِي صَلْتِهِ فِيمَا قَبْلَهُ . وَالْأَكْلُ : الطُّغْمُ ، وَإِضَافَتُهُ إِلَى الرَّؤْيِيَّةِ لَمْ تُفْعَدْ فِيهِ اخْتِصَاصًا . أَلَا تَرَى أَنَّ فَائِدَتَهُ وَهُوَ مُضَافٌ مُثَلٌّ فَائِدَتَهُ لَوْ نُؤِنَ فَقِيلَ أَكَلًا لِلرَّؤْيِيَّةِ . وَمِثْلُهُ قَيْدُ الْأَوَابِدِ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : مَحْمُودٌ فِي الْفَتَيَانِ فَتَى حَصَلَ بِجَانِبِ هَذَا الْوَادِي غَدَاةَ الْحَرْبِ طُعْمًا لِلرَّؤْيِيَّةِ السُّمْرِ . وَأَصْلُ الْوَعَى الْجَلْبَةُ وَالصَّوْتُ . وَاللَّامُ مِنْ « لَنِعْمَ » جَوَابُ قَسْمٍ مَضْمَرٍ .

وقوله « لَعَمْرِي لَقَدْ أُرْدِيَتْ غَيْرَ مُزَلِّجٍ » أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَخَاطِبُهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَخْبِرُ عَنْهُ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي افْتِنَانِهِمْ فِي الْكَلَامِ ، وَكَأَنَّ الْخَطَابَ أَدَلُّ عَلَى التَّحَشُّرِ وَالتَّوَجُّعِ مِنَ الْإِخْبَارِ ، وَلِذَلِكَ عَدَلَ إِلَيْهِ . وَاللَّامُ فِي لَعَمْرِي لَامُ الْإِبْتِدَاءِ . وَخَبَرُ الْمَبْتَدَأِ مَحذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَعَمْرِي قَسَمِي . وَاللَّامُ مِنْ لَقَدْ جَوَابُ الْيَمِينِ ، وَالْمَعْنَى : وَبِقَائِي لَقَدْ أَهْلِكْتَ غَيْرَ ضَعِيفٍ وَلَا جَبَانَ وَقْتَ الْمُدَافَعَةِ وَالْمَانَعَةِ فُتُضَيِّعَ مَحْفُوظًا ، وَلَا مَتَشَدِّدًا عَلَى تَرَاحُمِ الْمُجْتَبِدِينَ وَالسُّؤَالَ ، بِإِقَامَةِ الْمَعَاذِيرِ وَالْعِلَالِ ، فَتُفْلِقَ لِلْسَّاحَةِ بَابًا مَفْتُوحًا .

وقوله « سَابِكِيكَ لَا مُسْتَبْقِيَا فَيَضَ عَبْرَةَ » يَرِيدُ أَنْ مُبْكَاءُهُ يَتَّصِلُ إِلَى أَنْ يَسْتَنْفِدَ مَوَادَّ دَمْعِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَطْلُبُ بِتَكْلَافِ الصَّبْرِ مَا يَتَعَقَّبُهُ مِنَ التَّسْلِي . فَقَوْلُهُ « بِالصَّبْرِ » أَرَادَ بِتَكْلَافِ الصَّبْرِ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَصَبَّرَ فِيمَا يَدُهُمْ مُدَّةً ، وَتَمَاسَكَ بِهِ بُرْهَةً ، أَدَّاهُ مَرُورُ الْأَوْقَاتِ إِلَى أَنْ يَتَسَلَّى ؛ فَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ هُوَ التَّسْلِي ، فَإِذَا تَسَلَّى عَادَ طَمَعُهُ فِيمَا يُرْجَى ،

وَحَدْرُهُ مِمَّا يُحْشَى ، إِلَى مَا كَانَ أَوْ أَشَدَّ ، وَذَلِكَ حَالٌ مِّنْ لَّا هَمَّ لَهُ .

٢٩٦

وَقَالَ خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ ^(١) :

- ١- أُعَاتِبُ نَفْسِي إِنْ تَبَسَّمتُ خَالِيًا وَقَدْ يَضْحَكُ الْمَوْتُورُ وَهُوَ حَزِينُ
انْتَصَبَ خَالِيًا عَلَى الْحَالِ مِنْ أُعَاتِبُ . وَأَنْ تَبَسَّمتُ بفتح الهمزة معناه
لأن تبسمت ، ومن أجل تبسّمتي . ولك أن تكسر الهمزة من إن فيكون شرطياً ،
ويكون جوابه ما دلّ عليه أُعَاتِبُ نفسي . والمعنى : إذا خلوتُ بنفسى أبسطُ
العُتْبَ عليها لما يتفقُ منها في المَلَأُ من مُتَابَعَةِ النَّاسِ عَلَى تَصْرُفِهِمْ فِي الْمُوَاسَّاتِ
والمُضَاحَكَةِ ، وَطَلَبِ مَوَافَقَتِهِمْ عِنْدَ الْمَفَاكِهِ وَالْمِحَادِثَةِ . هَذَا وَلَيْسَ ذَلِكَ لِدَاعِيَةِ
سُرُورٍ ، وَلَا لِبَاعِثَةِ ابْتِهَاجٍ وَحُبُورٍ . ثُمَّ قَالَ « وَقَدْ يَضْحَكُ الْمَوْتُورُ وَهُوَ حَزِينُ »
يُرِيدُ أَنَّ الْمَوْتُورَ وَإِنْ تَنَاهَى حَزَنُهُ ، وَاشْتَدَّ قَلْقَهُ وَبَثُّهُ ، فَقَدْ يَضْحَكُ قَطْعًا
لشِمَاتِهِ شَامِتٍ ، وَتَجَلُّدًا مَعَ عَدُوِّ مَكَافِحٍ ، أَوْ جَرِيًا عَلَى عَادَةٍ ، أَوْ اسْتِمْرَارًا فِي
إِقَامَةِ مَوَافَقَةٍ ، وَلَا يُعَدُّ ذَلِكَ مِنْهُ إِخْلَالًا بِوَجِبِ الْهَلَعِ ، وَلَا إِغْفَالًا لِلْوَازِمِ الْجَزَعِ ،
وَالضَّحْكَ أُبْلَغُ مِنَ التَّبَسُّمِ ، فَكَذَلِكَ أَنَا وَإِنْ تَبَسَّمتُ لَضَرْبٍ مِنْ تِلْكَ
الضُّرُوبِ ، فَطَلَبُ الْوِتْرِ وَالْقِيَامِ بِسُنَّةِ الْحَزَنِ نَضْبُ عَيْنِي ، وَأَهْمُّ الْأُمُورِ إِلَيَّ .
- ٢- وَبِالْدَيْرِ أَشْجَانِي وَكَمْ مِنْ شَجٍ لَهُ دُوَيْنَ الْمُصَلَّى بِالْبَقِيعِ شُجُونُ
٣- رَبِّي حَوْلَهَا أَمْثَالُهَا إِنْ أُتَيْتَهَا قَرِينِكَ أَشْجَانًا وَهَنَّ سَكُونُ
٤- كَذَا الْهَجْرُ أَنَا لَمْ يَضِحْ لَكَ أَمْرُنَا وَلَمْ يَأْتِنَا عَمَّا لَدَيْكَ يَقِينُ

(١) كان يقال له « الأقطع » ، لأنه قطعت يده في سرقة فاستعاض عنها بأصابع من جلود ،

وكان من معاصري جرير والفرزدق . وفيه يقول الفرزدق :

هو اللص وابن اللص لاص مثله لقب جدار أو لطر الدراهم

وقد عده الجاحظ من شعراء المولدين المطبوعين . البيان (١ : ٥٠) والشعر والشعراء

الأشجان : جمع الشَّجَن ، وهو الحزن ، في أدنى المدد ، والشَّجون جمعه الكثير . وقوله « رُبِّي حولها أمثالها » موضعه رفع على أنه بدل من قوله شُجون . ويعنى بها القبور المسنَّمة . وحولها أمثالها صفة للرُّبِّي . وما أشار إليه من المائلة يعنى في الصُّورة والغناء جميعا ، وقد ألمَّ في هذا بقول الآخر^(١) :

فقلت له إنَّ الشَّجَا يبعث الشَّجَا فَدَعْنِي فَمَازَا كَلَّهُ قَبْرُ مَالِكِ

وإنَّما يريد أن قبور أحبته بالدير وقبور أحبته من يأتسى بهم من المفجوعين ببيع الفرقد ، لأنَّ أولئك ماتوا حتف أنفهم وفي أما كنهم ، فدفنوا في مقابرهم ، وأصحابُ الشَّاعر قُتِلوا وتغرَّبوا فدُفِنوا ثمَّ . والكلامُ توجُّعٌ وتلَّهف . وقوله « دُوِّنَ المصَلَّى » تحديداً للمقبرة ، وتقريباً لها من المصلى ، لذلك قال دُوِّنَ فصغر دُون . وعلى ذلك تصغيرهم لقبيلٍ وبُعَيْدٍ وفُويق . وقوله « إن أتيتهَا قريبنك أشجانا » مثل قول الآخر^(٢) :

أتيناهُ زُورًا فأججَدنا قِرَى من البثِّ والدَّاءِ الدَّخِيلِ الحامِسِ

وأضاف إليه معنى البيت الآخر بقوله « وهنَّ سكون » وهو « وأسمعنا بالصَّمتِ رجع جوابه^(٣) » . وقوله « كذا المهجر » يجوز أن يُشير بذا إلى ماقدَّمه ، ويجوز أن يكون وضع حرف الإشارة والمشارُ إليه يجيء من بعدُ على طريق التفسير له ، والترجمة عنه . والمراد : ما بيننا من استعجاب الأخبار ، وذهاب الالتقاء والاجتماع ، على اتصال التَّراور إذا فَعِلَ ، أشبهُ شيءٌ بالمهجران ؛ وذلك ما لم يدخل بيننا في شيء من الأوقات والأحوال . وهذا تحسُّرٌ آخر جديد ، وتلَّهف شديد .

(١) هو متمم بن نويرة . الحماسية ٢٦٥ ص ٧٩٧ .

(٢) هو عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي . الحماسية ٢٩٠ ص ٨٨١ .

(٣) صدر البيت ٧ من الحماسية ٢٩٠ . وعجزه :

* فأبلغ به من ناطق لم يحاور *

٢٩٧

وقال عبد الله بن ثعلبة الحنفي^(١) :

- ١- لكل أناسٍ مقبرٌ بفنائهم فهم ينقصون والقبورُ تزيد
- ٢- وما إن زال رَسْمُ دارٍ قد أخلقت وبيتٌ لِميتٍ بالفناء جديد^(٢)
- ٣- هم جيرةُ الأحياءِ أمّا جوارهم فدانٍ وأمّا الملتقى فبِعيد^(٣)

يقول على وجه التحزّن والتفجع والتوجع : تساوت أحوالُ الناس في مقاساة البلاء ، ومعاناة الشقاء ، لا تفاضل فيما بينهم ولا تمايز ، يرون مصارعهم بأفئدتهم ، وجنود الموت والفناء متسلطةً على طوائفهم ، تخترم الواحد بعد الواحد منهم بلا حياءٍ ولا رقيةٍ ، ولا استبقاء ولا رعة ، وقد رضوا بحكمه وأخذوه ، واختياره وقسه ، فعسفه عندهم رفق ، وبطشه رحمةً وعدل ، يرون فرقَ أحبائهم^(٤) على مرور الأيام إلى تراجع وتناقص ، ومصير مصانِعهم ومساكنهم قريبًا إلى البلى والتعطّل ، ويجدون عددَ الأموات إلى تزايدٍ وتكاثُر ، ومقابرهم إلى عمارةٍ وتوافر . هذا وقد التزموا ما يجرى عليهم التزامًا ، لا سُخْطَ فيهم ولا إنكار ، ولا كرهةً ولا ملال ؛ فلا المجاورةُ بين الفريقين تنقطع ، ولا المهاجرة ترتفع ، ولا الأحوالُ تبدّل ، ولا العادةُ في جميعها تتغيّر ؛

(١) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣ : ٢٩٠) في الطبقة السادسة من أهل البصرة ، وكان ماصراً لسفيان بن عيينة . وروى له ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ٣٩٥) وكذا ابن الجوزي قوله : « تضحك ولعل أ كفانك قد خرجت من عند القصار !! » . وروى له ابن الجوزي هذه الأبيات في صفوة الصفوة .

(٢) صفة الصفوة : « دار حى قد اُخربت » .

(٣) صفة الصفوة : « هم جيرة الأموات » .

(٤) هذا ما فى ل ، م . وفى الأصل « أحبائهم » . وفى التيمورية : « أحبائهم » .

ففي كل قبيلةٍ حدوثٌ مصيبةٌ ، ونزولٌ بليةٌ ؛ وفي كل مجموعةٍ تأثيرٌ فجيعةٌ ، ونكايَةٌ منيَّةٌ . فبماذا نستمسك ونعتصم من الفناء ، وعلى ماذا نعول ونعتمد في الرِّخاء ، وكيف رضينا بتدانٍ يُبطله فناء ، وتجاوزٍ يُبني على تدابُرٍ ، وأنى يستقيم البناء والتشييد ، لمن ملكهُ الفمادُ والنشيت ، ومتى يحصل السُّلُو لمن هو مُرتَهَنٌ بتجديد الفُقود .

٢٩٨

وقال آخر :

١ - لا يُبْعِدِ اللهُ إِخْوَانًا لَنَا ذَهَبُوا أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبْدُ

٢ - نُمِدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يَوُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ

معنى لا يُبْعِدِ اللهُ لا يهلك اللهُ . يقال بَعَدَ الرَّجُلُ إِذَا هَلَكَ . فإن قيل : كيف قال لا يُبْعِدِ اللهُ وقد عقبه بقوله أفناهم حدثان الدهر والأبد ، وهل الهلاك إلا الفناء ؟ قلت : هذه اللفظة جرت العادة في استعمالها عند المصائب ، وليس فيه طابٌ ولا سؤال ، وإنما هو تنبيهٌ على شدة الحاجة إلى المفقود ، وتناهي الجزع في الفجع به . ألا ترى أن الآخر^(١) قال :

يقولون لا تبعد وهم يدفنونني وأين مكان البعد إلا مكانيا

وأشار بقوله « حدثان الدهر » إلى النوائب والنكبات ، وبقوله الأبد إلى نفس الدهر ؛ لأن من سلم من الآفات أذاهُ مرور الأيام والليالي إلى الفناء والهَرَم . أما سمعت قول القائل :

وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاهٌ^(٢)

(١) هو مالك بن الربيع . جمهرة أشعار العرب ١٤٤ والحزانة (١ : ٣١٩) .

(٢) نسبه المبرد في الكامل ١٢٥ لبعض شعراء الجاهلية . وقبلة كما في الكامل وشروح

سقط الزند ٣٠٨ :

كانت قناتي لا تلين لغاصر فألانها الإصباح والإمساء

والأموات على اختلافهم لا يخرجون من هذين الحكمين . وقوله « نُمِدُّهُمْ
كلَّ يَوْمٍ من بقيتينا » مثل قوله :

* فهم يَنْقُصُونَ والقبور تزيد^(١) *

إلا أنه زاد على ما قاله ، حين قال : « ولا يؤوب إلينا منهم أحد » .
ويجوز أن يُريد بقوله « من بقيتينا » من خيارنا . يقال : فلان من بقية قومه ،
أى من خيارهم . ويكون مثل قوله :

* أرى الدهرَ يَعْتَامُ الكرامَ وَيَصْطَفِي^(٢) *

٢٩٩

وقال الغطمش الضبي^(٣) :

- ١ - إلى الله أشكوا إلى الناس أني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب
٢ - أخلاء لو غير الحمام أصابكم عتبت ولكن ما على الموت معتب^(٤)

صَرَفَ شِكْوَاهُ عَنِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَأْسًا مِنْ مَعُونَتِهِمْ ،
وَإِشْكَاءٍ يَحْضُلُ مِنْ جَهْتِهِمْ ، وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَجْرَى الْمَقَادِيرَ بِمَا يَتَأَلَّمُ
مِنْهُ ، مِنْ بَقَاءِ الْأَرْضِ وَفَنَاءِ الْأَصْدِقَاءِ . ثُمَّ قَالَ « أَخِلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحَمَامِ أَصَابَكُمْ » ،
كَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الذَّاهِبِينَ مَعْتَذِرًا إِلَيْهِمْ مِنْ اسْتِسْلَامِهِ لِلْحَكْمِ الْجَارِي عَلَيْهِمْ ،

(١) عجز البيت الأول من الحماسية السابقة .

(٢) لطرفة بن العبد في معلقته . وعجزه :

* عقيلة مال الفاحش المتشدد *

(٣) ابن جنى في المبهج : « الغطمشة : أخذ الشيء قهراً . قالوا : ومنه اشتق الغطمش

في اسم رجل ، فهو على هذا اسم مرتجل . وقالوا : الغطمش : الرجل الكليل البصر ، فهو
على هذا منقول من الصفة » .

(٤) كذا في سائر النسخ والتبريزي ، وهو ما يناسب التفسير التالي . ورسم في الأصل :

« أخلاى » .

ومن تجزئ قواه عن نصرتهم فيما أصابهم فقال : لو كان القاصد ليكم غير الموت لتسخطت الحال ولم يكن مني بها رضا ، ولكن ما على الموت طريق للعتب ، ولا فيه لي رجاء لإعتاب ، ورُجوعٌ باعتذار . وقوله « أخلاء » يُروى « أخلاي » على قصر الممدود . والأجود أن يُترك مدته على حالها^(١) ، وتُحذف الياء من آخره في النداء ، لأن الكسرة تدلُّ عليه . وقد ألم بقوله :

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مِنْ يَجْزَعُ^(٢)

٣٠٠

وقال أرطاة بن سهية^(٣) :

١- هَلْ أَنْتَ ابْنُ لَيْلَى إِنْ نَظَرْتُكَ رَائِحٌ مَعَ الرَّكْبِ أَوْ غَادِ غَدَاةٍ غَدِ مَعِي
٢- وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ لَيْلَى فَلَمْ يَكُنْ وَقُوفِي عَلَيْهِ غَيْرَ مَبْكِي وَتَجْزَعِ
٣- عَنِ الذَّهْرِ فَاصْفَحْ إِنَّهُ غَيْرُ مُعْتَبٍ وَفِي غَيْرِ مَنْ قَدِ وَاوَرَتْ الْأَرْضُ قَاطِعِ

خاطب المرثي متلهفاً على مفارقتة ، ومتحسراً في إثر الفاتت منه ، فقال : هل ترؤخ مع رُكبان الإبل إن انتظرناك ، وهل تغدو غداة غدٍ معي إن أقمت لك . وهذا تحزُّنٌ وإظهارُ يأسٍ ، وبيانُ انقطاع ما بينهما من التألف والاجتماع ، والتعاون والاصطحاب . ومن روى « غداً تئذٍ » فالمرادُ غداة إذ الأمرُ كذا ،

(١) هذا ما في التيمورية . وفي الأصل : « على حالته » وفي سائر النسخ : « على حاله » .

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين (١ : ١) ، وهو مطلع المفضلية ١٢٦ .

(٣) سبقَت ترجمته في الحاشية ١٣٥ ص ٣٩٧ . وروى التبريزي من سبب الشعر أنه

كان مات له ابن ، فأقام على قبره حولا يأتيه كل غداة فيقول : يا عمر ، إن أقمت لي المساء فهل أنت رائحٌ معي ؟ ويأتيه عند المساء فيقول مثل ذلك ثم ينصرف . فلما كان رأس الحول تمثل بقول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كما لا فقد اعتذر

فحذف الجملة التي أضيف إذ إليها لينشرح بها ، لكون المراد مفهوما ، ثم أتى بالتعويض عوضاً من الجملة المحذوفة ليستقل إذ به .

وقوله :

وقفت على قبر ابن ليلى فلم يكن وقوفي عليه غير منكى ومجزع

مثل ما تقدم من قول الآخر^(١) :

رُبِّي حَوْلَهَا أَمْنَالُهَا إِنْ أَتَيْتَهَا قَرَيْنَكَ أَشْجَانًا^(٢)

وقول الآخر^(٣) :

أَتَيْتَاهُ زَوْارًا فَأَتَجَمَّدْنَا قِرَى مِنْ الْبَثِّ وَالِدَاءِ الدَّخِيلِ الْمُخَامِرِ

وقوله « عن الدهر فاصفح » رجع إلى نفسه وأقبل يُشيرُ عليها بالرِّضَا

بالمقدور ، وترك التكلف للعتب على الدهر في ارتجاع الموهوب ، إذ كان ذلك

لا يؤدِّي إلى زجرٍ وارعواء ، ولا إلى تلافٍ^(٤) من جهته أو إعتاب . وقوله

« وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع » تصويرٌ لليأس من المدفون ، وأنه

لا طمع في إيايه إذ لم يكن حاله كغيبية الغائبين .

وكلُّ ما فيه من غريب وتصريف قد مرَّ القولُ فيه .

٣٠١

وقال آخرٌ في أخ له مات بعد أخ :

١ - كَأَنِّي وَصَيْفِيًّا خَلِيلِي لَمْ نَقُلْ لِمَوْقِدِ نَارِ آخِرِ اللَّيْلِ أَوْقِدِ^(٥)

٢ - فَلَوْ أَنَّهَا إِحْدَى يَدَيَّ رَزَيْتُهَا وَلَكِنْ يَدِي بَانَتْ عَلَى إِثْرِهَا يَدِي

(١) هو خلف بن خليفة ، في الحماسية ٢٩٦ .

(٢) تمامه : « وهن سكون » .

(٣) هو عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي . في الحماسية ٢٩٠ .

(٤) التلافي : التدارك . وفي نسخة الأصل : « ائتلاف » .

(٥) هنا تنتهي نسخة دار السكتب المصرية التي رخصنا إليها بالرمز « م » .

٣ - فَأَقْسَمْتُ لَا آسَى عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ قَدِي الْآنَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى هَالِكٍ قَدِي
يقول : لَمَّا انقطع ما بيني وبين أخي صَيْفِيَّ بِالْمَوْتِ صِرْتُ كَأَنَّ لَمْ يَجْمَعْنِي
وإِيَّاهُ أُخُوَّةٌ وَوِصَالٌ ، وَلَا وِلَادَةٌ وَلِبَانٌ ، فَلَمْ نَتَرَاغِدْ عَلَى ابْتِنَاءِ مَكْرُمَةٍ ، وَإِيقَادِ
نَارٍ لَطَارِقٍ لَيْلٍ ، وَطَالِبِ قَرِيٍّ وَضِيَاغَةِ ، وَلَمْ نَتَعَاوَنْ عَلَى إِقَامَةِ مَرْوَةٍ وَإِسْدَاءِ
عَارِفَةٍ . ثُمَّ قَالَ « فَلَوْ أَنَّهَا إِحْدَى يَدَيَّ رُزِيَّتَهَا » . وَمَوْضِعُ إِحْدَى مُبْتَدَأٌ وَرُزِيَّتَهَا
فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ . وَالشَّاعِرُ إِنَّمَا يَرِيدُ بَيَانَ تَوَالِي الْمَصَائِبِ عِنْدَهُ وَعَلَيْهِ ، وَتَفَاقُمِ
الْخَطْبِ لَدَيْهِ فَقَالَ : لَوْ أُصِيبْتُ بِإِحْدَى يَدَيَّ لَكَانَ فِي الْبَاقِيَةِ بَعْضُ الْاجْتِزَاءِ
وَالِاسْتِغْنَاءِ ، وَلَكِنْ تَبِعَتِ الْأُولَى الثَّانِيَةَ ، فَأَدَى فَقَدُوهَا إِلَى انْقِطَاعِ الْحَيَاةِ ،
وَإِفْتِقَادِ الْعُدَّةِ فِي الْآلَاتِ . وَحُذِفَ جَوَابُ لَوْ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ ، فَهُوَ كَمَا تَقُولُ :
لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنْتَ شَابٌّ ، وَلَوْ رَأَيْتَ زَيْدًا وَفِي يَدِهِ السَّيْفُ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى لِرَأَيْتَ
الْأَمْرَ بِخِلَافِهِ . وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ « فَلَوْ أَنَّهَا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْقِصَّةِ ، وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ لِلْمَصِيبَةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَلَوْ أَنَّ الْقِصَّةَ وَالشَّانَ إِحْدَى يَدَيَّ رُزِيَّتَهَا .

وقوله « فَأَقْسَمْتُ لَا آسَى عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ » مَعْنَاهُ حَلَفْتُ لَا أَتَحَزَّنُ لِعُتْمَةٍ فِي
هَالِكٍ بَعْدَ هَذَا تَتَجَدَّدُ ، لِأَنَّ حَذْرِي كَانَ عَلَيْهِمَا ، وَخَوْفِي كَانَ مِنْ فَقْدِهِمَا ، كَمَا
كَانَ رَجَائِي فِيهِمَا ، وَطَمَعِي مُعَلِّقًا بِحَيَاتِهِمَا .

وقوله « قَدِي الْآنَ » مَعْنَاهُ حَسْبِي . وَقَدْ تَزَادَ النُّونُ عَلَيْهِ لِيَسْلَمَ السُّكُونُ فِي
فِي دَالِهِ ، إِذْ كَانَ مَبْنِيًّا عَلَيْهِ ، فَيُقَالُ قَدْنِي ، وَإِنْ جَعَلْتَ قَدْ غَيْرَ مُضَافٍ فِي
الْمَوْضِعِينَ جَازٍ . وَيَجُوزُ تَحْرِيكُ الدَّالِ فِي الْأَوَّلِ لِانْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ ، وَفِي الثَّانِي
لِأَنَّ كُلَّ سَاكِنٍ وَقَعَ رَوِيًّا يَجُوزُ إِطْلَاقُهُ بِالْكَسْرِ . قَالَ حُجَّةٌ فِي زِيَادَةِ
النُّونِ وَحُذْفِهِ :

* قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبِينَ قَدِي ^(١) *

(١) الرجز لمحيد الأرقط . الحزانة (١ : ٤٥٣) .

فَأَتَى بِالْجُهَيْنِ جَمِيعًا . وقوله « الآن » موضعه نصب على الظرف ، ولا يجيء إلا بالألف واللام ومبنيًا معه . « وَمِنْ وَجَدٍ » موضعه رفع على أنه خبر المبتدأ الذي هو قَدِي . وكرّر قدي على طريق التأكيد ، والثاني مبتدأ مثل الأول وخبره مضمرة وهو مثل ما ظهر وصار خبر الأول . ومعنى الآن أنه اسم للزمان الحاضر . وقال بعضهم : هو الزمان الذي هو آخر ما مضى وأول ما يأتي من الأزمنة ، وإنما بُني لأنها وقعت في أول أحوالها بالألف واللام . وحكم الأسماء أن تكون شائعة منسكورة في الجنس ثم يدخل عليها ما يعرفها من إضافة وألف ولام ، فخالف الآن سائر أخواتها بوقوعه معرفة في أول الأحوال ، ثم لزم مع ذلك موضعًا واحدًا ، لأن لزومها في هذه الحالة لموضعه قد أحتمه بشبه الحروف ، إذ كان حكم الحروف لزومها لمواضعها في أوليتها لا يزول عنها ، فبُني لذلك ، واختيرت الفتحة لخفتها .

٣٠٢

وقال آخر :

١- هَوَى ابْنِي مِنْ عَلَى شَرَفٍ يَهْوُلُ عِقَابَهُ صَعْدًا وَهَيْبَةً

٢- هَوَى مِنْ رَأْسِ مَرْقَبَةٍ فزَلْتُ رِجْلَهُ وَهَيْبَةً

يقول : سقط ابني من أعلى جبل يَهْوُلُ الارتقاء إليه والصعود فيه عِقَابَهُ ، لسُمُوِّهِ وارتفاعه . أي إذا همت العقب بالطيران إلى قلته تداخاها منه هَوْلٌ وهَيْبَةٌ . وهذا تهويل ونفطيع للسان . وأعاد قوله « هَوَى » تحشُّرًا وتوجُّعًا . والمرقبة هو المجرسة . والعلى هو الأعلى . ويقال صَعِدَ يَصْعَدُ صُعُودًا وَصَعْدًا وَصَعْدًا (١) .

(١) ل : « وصعداء » ولم تعرف المعجم إلا الصعود ، والصعد بضمين ، ذكرت الأخيرة في اللسان .

وهَوَى مصدره الهَوِيُّ والهَوِيُّ بالفتح والضم ، وقد تقدّم القول فيه^(١) . والأهوية : البئر ، وما بين أعلى الجبل إلى مستقرّ بطن الوادي . وقيل الهاوية : كلُّ مَهْوَاةٍ لا يُدرِك قعرها . وقوله « يَهُولُ عُقَابُهُ صَعْدَهُ » في موضع الصفة للشرف . ومعنى زَلَّتْ رِجْلُهُ ، أى انخلت وبانت منه .

٣ - فلا أم فتبكيه ولا أخت فتفتقه

لم يجعل فتبكيه ولا فتفتقه جواباً للنفي ، لأنّ الجواب يكون منصوباً ، لكنّه عطف على ما قبله ، وهو عطف جملة على جملة . ومثله في القرآن : ﴿ ولا يُؤذِنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ، لأنّ المعنى لا يُؤذِنُ لَهُمْ ولا يعتذرون . وكذلك هذا ، معناه لا أم له فلا تبكيه ، إلّا أنّ الجملة المعطوفة مما في القرآن موافقة للجملة المعطوف عليها ؛ لأنّ كلّ واحدةٍ منهما متركبةٌ من فعل وفاعل ، والتي عطف عليها هي من ابتداءٍ وخبر . والجملة الخبرية إذا اختلفت مثل هذا الاختلاف يسوغ عطف بعضها على بعض ، ألا ترى أنّ الله تعالى يقول : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ ، فعطف أنتم صامتون وهو ابتداءٌ وخبرٌ ، على ما قبله وهو فعل وفاعل ، لأنّ المعنى لا يَخْتَلِفُ ، بل يصير كأنّه قال : أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ صَمْتُمْ . وقد جاء على العكس من هذا ، لأنّ الشاعر يقول :

* أُمُوفٍ بِأُدْرَاعِ ابْنِ طَيْبَةَ أَمْ تُذَمُّ ^(٢) *

فعطف تُذَمُّ ، وهو من فعل وفاعل بأم على مُوف وهو ابتداءٌ وخبر ، لأنّ المعنى أأنت مُوف محمود أم غادرٌ مذموم . والكلام في لا أخت فتفتقه على

(١) انظر ما سبق في الحماسية ١٢ ص ٩١ .

(٢) في الأصل : « بأدراع ام » ، تحريف ، صوابه في سائر النسخ . وفي ل : « ظبية » صوابه في نسخة الأصل والتمويرية والفضليات (٢ : ١٠٩) ، وهذا عجز بيت لراشد بن شهاب البشكري . وصدرة :

* أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد *

ذلك ، كأنه قال لا أُخْتُ له فلا تفتقدُه . وقال الخليل : تفتقدت أمر كذا :
تعهدته ، وافتقدته : لم أره هلاكاً وغيبَةً .

٤- هَوَى عن صَخْرَةٍ صَلْدٍ فَفَتَّتْ تَحْتَهَا كَبِدُهُ^(١)

٥- أَلَامٌ عَلَى تَبَكِّيهِ وَالْمُسَّهُ فَلَا أَجِدُهُ

٦- وَكَيْفَ يُلَامُ مُحْزُونَ كَبِيرٌ فَاتَهُ وَوَلَدُهُ

أعاد قوله « هَوَى » استفظاءً وتحشراً . وَعَدَى هَوَى هَاهُنَا بَعْنُ لِأَنَّهُ
أَجْرَاهُ مَجْرَى زَلٍّ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَالصَّلْدُ : مَا لَا يُنْبِتُ شَيْئاً مِنَ الْحِجَارَةِ وَمِنَ
الْأَرْضِيْنَ . وَمِنْهُ أَصْلَدَ الزَّيْتُ ، إِذَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ النَّارُ وَلَمْ يَكُنْ وَرِيّاً . وَمَعْنَى قَوْلِهِ
« فَتَّتْ تَحْتَهَا كَبِدُهُ » تَقَطَّعَتْ كَبِدُهُ لَمَّا حَصَلَ عَلَى الْأَرْضِ . وَيُشِيرُ بِالصَّخْرَةِ
إِلَى الْمَرْقَبَةِ .

وقوله :

أَلَامٌ عَلَى تَبَكِّيهِ وَالْمُسَّهُ فَلَا أَجِدُهُ

معناه أن الناس يستسرفون اتصال بكائي عليه ، ودوام التحشُرِ في إثره ،
والحاجة إليه تدعوني إلى طلبه فلا أظفر به ، فعند كل طلبٍ يحْضُلُ يَأْسٌ ،
ويتعقب ذلك اليأس مَنِيٌّ بكاءً وتحزُّنٌ . وقوله « أَلْمُسَّهُ » بمعنى أَلْتَمَسَهُ .
وَاللَّمْسُ وَالْمَسُّ يَتَقَارَبَانِ فِي مَعْنَى الطَّلَبِ وَالِالْتِمَاسِ . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى :
﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا ﴾ ، وَأَنَّ مُسْتَرْقَةَ
السَّمْعِ لَمْ يَأْمَسُوا السَّمَاءَ وَلَا طَلَبُوا ذَلِكَ مِنْهَا ، وَإِنَّمَا تَرَاقَوْا لِلسَّمْعِ لِيَسْتَرْقُوا السَّمْعَ

(١) التبريزي : « ففرت تحتها » . والتفريث . التفتيت . قال التبريزي : « وقال
أبو العلاء : إذا روى ففرت تحتها كبده ، فهو من قولهم أفرزته أي أزعجته ... كأنه يريد أن
كبده زالت من موضعها . وبعض الناس ينشد : ففتت . ومنهم من يقول : ففرت ، يريد فريت
من تفرى الأديم ، ويحمله على لغة طي ، يقولون : المرأة دعت ، أي دعيت » .

لا غير . وإذا كان كذلك فعنى لمس التمس وطلب . وكذلك قول الشاعر^(١) :
 مَسِسْنَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا وَكُنَّا إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعِ
 معنى مَسِسْنَا مِنْهُ طَلَبْنَا وَفَتَشْنَا وَنَظَرْنَا ، وليس هو من الْمَسِّ بِالْيَدِ فِي شَيْءٍ .
 وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ الْمُسَّهُ أَطْلَبُهُ أَنَّهُ عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ فَلَا أَجْدَهُ ؛ وَهَذَا ظَاهِرٌ .
 وقوله :

وكيف يُلام محزون كبير فاته ولده

يريد : كيف يُلام على البكاء والتوجع محزون قد مسه الكبر ، ومن كان
 أعدّه لحياته وممانه ، واعتدّه للنيابة عنه في عياله ومماشيه ، قد فاته حتى لا طمع
 في إياب له ، ولا في مغوثة من جهته وإن استغاث به .

٣٠٣

وقال آخر :

١- إِذَا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْبُكَاءَ أَجَابَ الْبُكَاءَ طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ

٢- فَإِنْ يَنْقَطِعُ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

يقول : إِذَا مَيَّلتُ الرَّأْيَ بَيْنَ حَمْلِ النَّفْسِ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ فِي الْجَزَعِ ،
 وَالذَّهَابِ فِي الْهَلَعِ ، وَبَيْنَ ضَبْطِهِ وَإِمْسَاكِهِ وَالْأَخْذِ بِالصَّبْرِ فِيهِ ، ثُمَّ اسْتَدْعَيْتُ
 الصَّبْرَ مِنْ جَانِبِ الْبُكَاءِ مِنْ جَانِبٍ ، وَوَجَدْتُ الْبُكَاءَ يَسْتَجِيبُ سَرِيعًا مِنْ غَيْرِ
 تَبَاطُؤٍ وَاسْتِكْرَاهٍ ، وَوَجَدْتُ الصَّبْرَ يَخْذُلُ وَيَتَأَخَّرُ ، فَلَا يَكُونُ مِنْهُ دَنُوءٌ
 وَلَا مَسَاعِدَةٌ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَلْهُفٌ وَتَوْجَعٌ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمُرْتِيِّ فَقَالَ : إِنْ كَانَ
 الْأَمَلُ فِيكَ مَنْقَطِعًا ، وَالرَّجَاءُ مِنْ إِيَابِكَ مُتَأَخِّرًا مُسْتَبْعَدًا ، فَإِنَّ الْحُزْنَ يَبْقَى

(١) هو يزيد بن الحكم . الحماسية ٥٨ ص ٢٣٢ .

عليك ويتصل باتصال الأبد ، لا يفتر ولا يتغير . وقوله « طَوْعًا » مصدر في موضع الحال ، أراد : أجاب طائعاً غير مُجْبَر .

٣٠٤

وقال النابغة يرثي أخاه من أمه (١) :

١ — لا يَهْنِي النَّاسَ مَا يَرَعُونَ مِنْ كَلَالٍ وما يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ مَالٍ

٢ — بعد ابنِ عاتكةِ الثَّوِي عَلَى أَبِي أَمْسَى بِبِلْدَةِ لَاعِمٍّ وَلَا خَالٍ (٢)

دعاه الضَّجْرُ مَيّتٍ مِنْ أُصِيبَ بِهِ إِلَى أَنْ دَعَا عَلَى النَّاسِ كَافَّةً بِأَنْ لَا يَهْنَهُمُ اللَّهُ مَا يَرَعُونَهُ مِنْ حَمِيٍّ ، وَمَا يَحُوزُونَهُ مِنْ مَالٍ وَلَهْيٍ ، وَيَسُوقُونَ مِنْ أَهْلِ وَوَلَدٍ ، وَيَجْمَعُونَهُ مِنْ عَتَادٍ وَذَخِيرَةٍ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِمَاتِهِ مِنْ قَوْمٍ حَصَلَتْ عَلَيْهِ حِينَ فُجِعَ بِأَخِيهِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ عَامًّا يَخْتَصُّ (٣) بِمَنْ مَنِيَّ بِعَدَاوَتِهِ ، وَابْتَلَى بِشِمَاتِهِ . فَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ : إِنَّهُ كَانَ رَجُلًا وَاحِدًا . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ اعْتَمَدَ فِي النَّاسِ كَافَّةً أَنَّهُمْ نَظَرُوا بَعِيْنَ الحَاسِدِينَ إِلَيْهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، لِحَسَنِ تَوْفَرِهِ ، وَكُلِّ بَرَاعَتِهِ . وَهَذَا شَأْنٌ مِنْ أَعْجَبَ بِشَيْءٍ أُوتِيَهُ ، فَلَمَّا فَقَدَهُ ظَنَّهُمْ شَبِهَتْهُمُ بِهِ ، وَأَدْرَكُوا رُادًا لَهُمْ فِي فَقْدِهِ ، لِاخْتِصَاصِ فِيهِ وَلَا تَبَاطُئٍ ، فَعَمَّهُمْ بِالذُّعَاءِ عَلَيْهِمْ .

(١) ل : « ورزى أخاه من أمه » التبريزي : « يرثي أخاه من أمه . وأما عاتكة بنت أنيس الأشجعي » . والأبيات ليست في ديوانه المطبوع في خمسة دواوين ، بل في طبع بيروت ١٣٤٧ ص ٩١ . وأنشدها ثعلب في المجالس ١٣٨ (ياقوت في معجم البلدان (أبوي) . واسم أخيه هذا « حمار » كما في ديوان النابغة .

(٢) روى التبريزي : « على أمر » . وقال : « ويرزى الثوي على أبي » . وهو موضع فيه قبره . وذو أمر : موضع بعينه « قل ياقوت : « أمر : موضع بالشام » . وقل في أبوي أيضا : « اسم موضع أو جبل بالشام » . ورواية ياقوت وثلاب : « أضحي ببليدة » (٣) هذا ما في ل والتميمورية . وفي الأصل : « عاما تعريضا » .

وقوله « بعد ابن عاتكة » نسبة إلى أمه تنبيهاً على أن الجامع بينهما كانت الأمومة . وقوله « الشاوي على أبوي » يدلُّ على أن قبره كان به . وقوله « ببلدة لا عم ولا خال » نُبِّه به على تباينه عن بلاده وأقاربه ، وأنه مات في غربة .

٣- سهلُ الخليقةِ مشاءً بأقدحِهِ إلى ذواتِ الذرى حمالُ أثقالِ
٤- حسبُ الخليلين نأى الأرضِ بينهما هذا عليها وهذا تحتهَا بالِ (١)

وصفه بأنه كان سهلَ الجانبِ حسنَ الخلقِ ، جميلَ التعطفِ أو ان القحطِ والجذبِ على الفقراءِ والمساكينِ ، ضرورياً بقداحه على الإبلِ السَّمانِ ذواتِ الأسنمةِ الكبيرةِ ، إذا حضر الأيسار ، لشدةِ الزَّمانِ ؛ وأنه كان يدخلُ تحتِ الأعباءِ الثقيلةِ فيحملها على جاهه وماله لذويه ، والعفاةِ الراجينِ له .

وقوله « حسبُ الخليلين نأى الأرضِ بينهما » ، يعنى بالخليلين نفسه والمفقودَ ، فيقول : حسبنا من البعدِ وإن كان التَّداني بالجوارِ حاصلًا أن صاحبي تحتَ التُّرابِ يبلى ، وأنى على ظهرها أمشى وأحيا . وقوله « هذا عليها وهذا تحتها » أشار إلى كلِّ واحدٍ منهما بما يُشارُ به إلى الحاضرِ ، تنبيهاً على التَّجاورِ والتَّداني في الدِّيارِ ، وأنَّ البعدَ إنما كان في تَعَدُّرِ الوِصالِ ، وسقوطِ التَّزاورِ والالتقاءِ .

٣٠٥

وقال مويك المزمومُ يرثي امرأته :

١- أمُرُّرُ على الجَدَثِ الذي حَلَّتْ به أمُّ المَلاءِ فخيِّها لو تسمع
٢- أنى حَلَّتْ وكُنْتِ جِدَّ فَرُوقَةٍ بَلَدًا يَمُرُّ به الشُّجاعُ فيفزعُ

(١) ثعلب في المجالس : « أخذ الناس كلهم هذا المعنى من النابغة . يعنى حسب الخليلين » .

٣ -- صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لَا يِلَاطُكَ الْمَكَانُ الْبَلْقَعُ
يَخَاطِبُ نَفْسَهُ وَيَبْعَثُهَا عَلَى زِيَارَةِ الْمَفْقُودَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهَا ، قَضَاءً لِحَقِّهَا ،
وَتَجْدِيداً لِلْعَهْدِ بِهَا ، فَقَالَ : أَمْرُزُ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي دُفِنْتَ فِيهِ ، وَسَلِّمْ عَلَيْهَا إِنْ كَانَتْ
تَسْمَعُ . وَهَذَا تَوَجُّعٌ وَتَلَهُفٌ . وَيُرْوَى « خَيْبُهَا هَلْ تَسْمَعُ » ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ لَوْ هُنَا
وَبَيْنَ هَلْ ، أَنَّ « لَوْ » فَائِدَتُهُ الشَّرْطُ هَاهُنَا ، وَالْكَلَامُ بِهِ كَلَامٌ مَنْ غَلَبَ
الْقَنُوطُ عَلَيْهِ مِنْ إِدْرَاكِهَا تَحِيَّةً مَنْ زَارَهَا ؛ وَ « هَلْ » مِنْ حَيْثُ كَانَ لِلِاسْتِفْهَامِ
يَصِيرُ الْكَلَامُ بِهِ كَأَنَّهُ كَلَامٌ رَاجِعٌ أَوْ طَامِعٌ فِي سَمَاعِهَا . وَيَكُونُ الْمَعْنَى : حَيْبُهَا
وَانظُرْ هَلْ تَسْمَعُ .

وقوله « أَنَّى حَلَلْتِ » معنى أَنَّى كَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ . وَفَرْقٌ بِنَاءِ الْمُبَالَغَةِ ،
وَازْدَادَ تَنَاهِيًّا بِدُخُولِ هَاءِ الْمُبَالَغَةِ عَلَيْهِ . فَيَقُولُ مَخَاطِبًا لَهَا : كَيْفَ تَأْتِي مِنْكَ
الْإِسْتِيْطَانُ وَالنُّزُولُ فِي قَفْرِ إِذَا مَرَّ بِهِ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الْقَلْبِ تَدَاخُلُهُ رُغْبٌ ،
وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ قَلْقٌ وَذُعْرٌ ، وَعَهْدِي بِكَ وَكُنْتِ أضعفَ النَّاسِ قَلْبًا وَأشدَّهُمْ مِنْ
ذِكْرِ الْمَحَاذِرِ اسْتِيْحَاشًا . وَقَوْلُهُ « كُنْتِ جِدًّا فَرُوقَةً » ، كَقَوْلِكَ كُنْتِ فَرُوقَةً
جِدًّا لَا هَزْلًا ، وَحَقًّا لَا بَاطِلًا . وَالبَدَلُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ اخْتِطُّ أَوْ لَمْ يَخْتِطُّ .

وقوله « صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ » فَالصَّلَاةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى الرَّحْمَةِ ، كَأَنَّهُ يَسُّ مِنْهَا
فَأَقْبَلَ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهَا ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ فِي شَبَابِكَ وَقَرَبِ مِيلَادِكَ ، وَكَالِكَ فِي خِصَالِ
أَمْثَالِكَ ، لَمْ يَلِيقْ بِكَ فِقْدَانٌ ، وَلَا كَانَ لَوْ قَتَّ مَجِيءُ الْمَوْتِ بِطَلْبِكَ مَنِّي أَنْتِظَارٌ ،
ثُمَّ كُنْتِ مِنَ التُّرْفَةِ وَالنِّعْمَةِ ، وَمُسَاعَدَةِ الْقَدَرِ لَكَ ، بِحَيْثُ لَا يُوَافِقُكَ الْإِنْتِقَالُ
إِلَى الْقَفْرِ ، وَالتَّوَحُّشِ عَنِ الْأَهْلِ .

وهذه الأبيات غايةً فيما يُحَدِّثُ بِهِ الْمَفْجُوعُ نَفْسَهُ .

٤ -- فَلَقَدْ تَرَكَتِ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً لَمْ تَدْرِ مَا جَزَعُ عَلَيْكَ فَجَزَعُ

٥ - فَقَدَتْ شَمَائِلَ مِنْ لَزَامِكِ حُلُوءَةً فَتَبَيْتُ تُسَهِّرُ أَهْلَهَا وَتَفْجَعُ^(١)

٦ - فَإِذَا سَمِعْتَ أُنَيْنَهَا فِي لَيْلِهَا طَفِقْتَ عَلَيْكَ شُؤُونَ عَيْنِي تَدْمَعُ^(٢)

قوله « لم تدر ما جزع عليك فتجزع » لم يجعل « فتجزع » جواباً ولا عطفاً على ما قبله ، وليس اللفظ على واحدٍ منهما ولا المعنى ، وإنما قوله « فتجزع » منويٌّ به الاستئناف ، كأنه أراد أنها من صغرها لا تعرف المصيبة ولا الجزع لها ، وهي على حالها لا تجزع ، لأن ما تأتية من الضجر والبكاء ، وتتركه من النوم والقرار ، فعل الجازعين ، وغاية الفاقدين . وفي كتاب الله عز وجل قوله : ﴿ إِن تَبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ^(٣) ﴾ ، لك أن ترفع فيغفر على نية الابتداء ، كأنه قال : فهو يغفر لمن يشاء . ومثل هذا كثيرٌ في القرآن والشعر . على ذلك قوله :

فما هو إلا أن أراها فجأةً فأبهت حتى ما أكاد أجيب^(٤)

يرفع « أبهت » على الابتداء والاستئناف .

وقوله « فقدت شمائل » ، يريد الأخلاق والشكل^(٥) وجميل المخالطة .

وقال الخليل : الشمال : خليفة الرجل وطبيعته ، وجمعه شمائل . وأنشد :

هم قومي وقد أنكرت منهم شمائل بدلوها من شمالي^(٦)

(١) ل والتمورية : « تسهر أهلها » ، بالدال .

(٢) التبريزي : « وإذا سمعت » .

(٣) قراءة الرفع هذه هي قراءة ابن عامر وعاصم ويزيد ويعقوب وسهل ، وقرأ باقي السبعة بالجزم عطفاً على الجواب ، وقرأ ابن عباس والأعرج وأبو حيوة بالانصب على إضمار أن ، فينسبك منها مع بعدها مصدر مرفوع مطوف على مصدر متوهم من يحاسبكم ، تقديره يكن محاسبة ففجرة وتعذيب . وقراءة رابعة ، قرأ الجيني وخلاد وطلحة بن مصرف « يغفر » بالجزم ولا فاء قبله ، ويروى أنها كذلك في مصحف عبد الله . تفسير أبي حيان (١ : ٣٦٠ - ٣٦١) .

(٤) البيت لعروة بن حزام العذري ، ويروى أيضاً لسكثير عزة . المنزلة (٣ : ٦١٨)

وحاسة ابن الشجري ١٥٣ .

(٥) الشكل ، بالكسر : الدل .

(٦) البيت للبيد في ديوانه ١٢٨ واللسان (شمل) .

فَيَقُولُ : كَانَتْ عَمَاتُكَ مِنْكَ تَوْفُورًا وَمَدَارَاتًا وَحُسْنَ خَلْقٍ ، وَابْنَ عَطْفٍ
وَكَرَمٍ مَخَالِطَةٍ ، وَابْنَانًا فِي بَجَالَةٍ ، فَلَمَّا انْقَطَعَ عَنْهَا جَمِيعُ ذَلِكَ بِالْفِرَاقِ بَاتَتْ
لَا تَنَامُ وَلَا تُنِيمُ ، بَلْ تَفْجَعُ وَتَوَجَّعُ ، وَمَهْمَا أُدْرِكْتُ شَكَاوَاهَا وَبَكَاءَهَا
أَقْبَلْتُ مَفَاصِلُ رَأْسِي تَسْمَحُ بِالذَّمْعِ فَأَبْكِي عَلَيْكَ وَلَهَا . وَمَعْنَى « طَفِقَتْ عَلَيْكَ
شُؤْنُ عَيْنِي » كَقَوْلِكَ : أَقْبَلْتُ تَفْعَلُ كَذَا ، وَجَعَلْتُ تَقُولُ كَذَا .

٣٠٦

وَقَالَ حَفْصُ بْنُ الْأَحْنَفِ الْكِنَانِيُّ ^(١) :

١ - لَا يَبْعَدَنَّ رِبِيعَةَ بْنَ مُكَدَّمٍ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبٍ ^(٢)

٢ - نَفَرَتْ قَلُوصِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيَتْ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبٍ

قَوْلُهُ « لَا يَبْعَدَنَّ » لَفْظُهُ لَفْظُ الدُّعَاءِ ، وَالْكَلَامُ فِيهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ . وَكَأَنَّ
قِيلَ : « بَعْدًا لَهُ وَسُحْقًا لَمْ يُقَلَّ مِنْ بَعْدِ بَعْدًا إِذَا هَلَكَ بَعْدًا لَهُ ، وَكَانَ اسْتِعْمَالُ
هَذَا فِي الدُّعَاءِ أَقْرَبَ فَلَمْ يَجِئْ . وَمَعْنَى « وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبٍ » أَنَّهُ دَعَا

(١) التيمورية : « بن الأحنف » . قال التبريزي : « ويروى لحسان » . وقال أيضاً :
« ويروى : الأحنف ، وهو الصحيح . . . وقال أبو العلاء : حفص مأخوذ من قولهم لزييل من
جلود : الحفص ، وقد قيل إن ولد الأسد يسمى حفصاً . وحفص بن الأحنف يختلف في لفظه ،
فيقال الأحنف ، من حنفت الرجل ، وهو أن تقبل إحدى الرجلين على الأخرى ، وقيل الحنفت
أن يمشي الإنسان على ظاهر قدميه . . . ويروى : الأحنف ، بالخاء والنون ، وهو أن يكون
أحد جانبي الجسم مخالفاً للآخر . ومن روى الأحنف فهو من الحنفت ، أي الميل والظلم » .
(٢) كان من خبر هذا الشعر أن نيشة بن حبيب خرج في فرسان من بني سليم ، فلقوا
ربيعة بن مكدم ، فظل يقاتلهم حتى حمل عليه نيشة فضاعه ، فاستمر يقاتلهم وهو ما أمرت به فدعص
طعنته ، فلما وجد الموت أتاك على رحمة ، وأقبل المسلمون وهم يحجمون عنه يخالونه حياً وهو
قد فارق الحياة ، فرمى أحدهم فرسه فندم عنها ميتاً ، ودفن على رأس ثنية غزاله فكان لا يمر به
أحد من العرب إلا عقر عليه دابة أو بعيراً ، حتى مر به كرز بن خالد وهو شيخ كبير ، فقال :
لا أعقر ناقتي ولسكن أرتيه مكان ذلك ، ويقال بل عمرو بن شقيق الفهري ، ويقال حفص
بن الأحنف العاصمي .

له بالشُّقيا . والغوادى هى السَّحابات التى تنشأ غُدْوَةً . والذَّنوب : الدُّلُوبُ . با فيه من الماء ، قال :

* له ذَنُوبٌ وَاِنَّا ذَنُوبٌ ^(١) *

وربَّما جُعِلَ الذَّنُوبَ الحِطُّ والنَّصيبُ ، كما قال :

* وَحُقَّ لَشَّاسٍ مِّنْ نَّدَاكَ ذَنُوبٌ ^(٢) *

وفى القرآن : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾ . وفى

البيت الذى نحن فيه يحتمل الوجهين .

وقوله « نَفَرْتُ قَلْوَصِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ » فإنه كان اجتاز بقبر ربيعة وقد نُضِدَ عليه حجارةٌ سُودٌ ، فنَفَرْتُ قَلْوَصُهُ ، فأخَذَ يَقْتَصُّ ما كان اتَّفَقَ وَيُنْكِرُهُ . وقوله « بُنِيتُ عَلَى طَلْقِ اليَدَيْنِ » من صفة الحجارة . ومعنى طلق اليدين أنه سَخِيٌّ بَدَّالٌ يُطْلِقُ يَدَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ . وَالْوَهُوبُ : الكثير الهبات .

٣ - لا تَنْفِرِي يَا نَاقَ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرَّابٌ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوبٍ ^(٣)

٤ - لولا السَّفَّارُ وَبَعْدُ خَرَقٍ مَهْمَةٍ لَتَرَكْتُمَا تَحْجُبُو عَلَى العُرْقُوبِ ^(٤)

جَعَلَ نِفَارَ نَاقَتِهِ كَأَنَّهُ كَانَ مِنَ المَدْفُونِ ، فَهَا هِيَ عَنِ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَخَذَ يَصْفُهُ بِالْكَرْمِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالْبِقْدُمِ فِي الشَّرْبِ وَالْبَطَّالَةِ . وَالْمِسْعَرُ : الذى كأنه آلهٌ فى إيقاد نار الحرب .

وقوله « لولا السَّفَّار » كانت ^(٥) العادة فى العرب أن الواحد منهم إذا اجتازَ

(١) فى اللسان (ذنب) :

لها ذنوب ولم ذنوب فإن أيتم فلنا القلب

(٢) لعلمة بن عبدة فى المفضليات (٢ : ١٩٦) . وصدرة :

* وفى كل حى قد خبطت بنعمة *

(٣) التبريزى : « شريب خمر » ، وفى الأصل كتب تحت « شراب » : « شريب »

لمشارة إلى أنها رواية أخرى .

(٤) فى الأصل : « لتركتها تكبو » ، صوابه فى ل والتيمورية والتبريزى .

(٥) بعده سقط فى التيمورية ينتهى قبيل الحماسية ٣٢٣ ، وسننبه على نهايته بعد .

بقبرِ كريمٍ كان مأوى للأضياف ، ومقيماً لقراهم ، ينحَر راحلته ويَطعمها الناسَ إذا أعوزَ الزَّادُ ولم يتَّسع ، يفعل ذلك نيابةً عنه ، إلا أن يمنع مانعٌ من بُعدِ السَّفَرِ وتناهي المشقة وما يجري تجراه ، فقال هذا الشاعرُ معتذراً من إبقائه على راحلته ، لما خفَّ الزَّادُ الذي كان معه ، وعجز عن الصَّحْبِ على بُعدِ المسافة وطولِ المشقة ومساس الحاجة . ومعنى « لتركتهما تجبو على العُرُقوب » أي لعرَّ قَبْتُها . والحبو : ما يفعله الصبيُّ من الزحف قبل القيام ، ويفعله البعيرُ وهو يريد المشى . ومنه الحابي من السَّهام ، وهو الذي يسقط ثم يزحف إلى الهدف . ويقال : حبا للخمسين ، أي لم يبلغها وقد دنا منها ؛ وهو من فصيح الكلام . والخرق : المكان الواسع تتخرق فيه الرياح . والمهمة : الأملسُ الواسعُ .

٣٠٧

وقال آخر :

- ١- أَجَارِي مَا أزدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ عَلَيْكَ وَلَا تزدَادُ إِلَّا تَنَائِيًا^(١)
 - ٢- أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسٌ مَيَّتٍ فَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
- الصَّبَابَةُ : الوجد والحبة ، والفعل منه صَبَيْتُ بكسر الباء أَصَبْتُ . ورجُلٌ صَبٌّ ، وامرأةٌ صَبَّةٌ . وقوله « أجاري » ، ليس بندبة^(٢) ، لأنَّ المندوبَ لا يكون إِلَّا بيا ووا ، لكنَّه على العادة والرَّسم ناداه ورخَّمه . يقول : لا أزداد على مرور الأيام وتصرف الأوقات إِلَّا شوقاً إليك ، وولوعاً بك ، وقوَّة أسفٍ عليك ، إذ لم يكن حالي حال المتحسِّر في إثرِ فانتِ ، والرافع طمعه من لقاء مائت ، فيعتبه الفوات يأساً ، ويورثه ما يشاهده من حال الفناء تناسياً أو تسلُّياً ؛ وأنت

(١) ل والتبريزي : « عليك وما تزداد » .

(٢) في الأصل : « ليس بندبه » وأثبتنا ما في ل والتبريزي .

لا تزداد إلا تناهياً في الانقطاع ، وتنائياً في الهجرة والإعراض . فقوله « تنائياً » لم يرد تباعد الأجرام وتراخي المزار ؛ لأن تجاور الديار وتصاقبها كان باقياً على ما كان في الأصل .

وقوله « أجارى لو نفس فدت نفس ميّت » ، يريد : لو كان السبيل إلى التفادي بين الأحياء والأموات مسلوفاً ، وقبول الأبدال عند الاستعراض والدعاء مجاباً إليه مألوفاً ، لكنت السابق إليه ، والجاعل في فدائك النفس والمال ، وأنا مغتبط بذلك ومغتم له ، لكن لا مانع لما طيب ، ولا معديل عما ختم .

٣- وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَ حَقْبَةَ فَحَالٍ قَضَاءِ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا

٤- أَلَا لِيَمُتَ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

قوله « أَنْ أَمْلَأَ » يقال مُلِيتُ فلاناً فَتَمَلَيْتُهُ ، أى جُعِلَ لى أن أعيش معه ملاءة فيبقى لى ممتعاً به . والمَلَوَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، من هذا (١) . يقول : كنت أرجو أن أمتع بحياتك حقبة — وقال الخليل : الحِقْبَةُ زَمَانٌ مِنَ الدَّهْرِ لَا وَقْتَ لَهُ ، والجَمِيعُ الْأَحْقَابُ وَالْحِقْبُ وَالْحَقْبُ مِثْلُهُ — فحجز بينى وبين مرادى القدر الذى لا يملك معه إلا الاستسلام له .

وقوله : « أَلَا لِيَمُتَ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ » مثل قول الآخر :

* فَأَلِيْمَتِ لَا أَسَى عَلَى إِيرِ هَالِكٍ (٢) *

وقول الآخر (٣) :

* أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرَّزَايَا مِنَ الْجُزَعِ (٤) *

(١) أصرح من قول ابن جنى فى التنبيه : « ولام أملاك واو ، وهو من الملون ، وهما الليل والنهار » . (٢) البيت الثالث من الحماسية ٣٠١ . ومجزه :

* قدى الآن من وجد على هالك قدى *

(٣) هو عبد الله بن المقفع . الحماسية ٢٨٢ .

(٤) صدره : * فقد جر نفعاً فقدنا لك أننا *

٣٠٨

وقالت فاطمة بنت الأحجم الخراعية^(١) :

١ — يا عَيْنِ بَكِّيَ عِنْدَ كُلِّ صَبَاحٍ جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجِرَاحِ
قوله « بَكِّي » يجوز أن يريد به أ كثرى البكاء ، ويجوز أن يريد
كررى البكاء ، لأن تضييف العين إذا لم يكن للتعدية مثل كَرَّمَ — لأنه
كأ كَرَّمَ لا فرق بينهما — يكون للتكثير أو التكرير ، وذلك كقولك ضَرَّبَ
وَقَتَّلَ . وإنما قال « عِنْدَ كُلِّ صَبَاحٍ » لأنه يريد اجْعَلِي مَبْدَأَ نَهَارِكِ لذلك ،
أو لأنه يريد كانَ وقتَ نكايته في الأعداء ، وشن الغارات على المنايذين ،
فاجعلي بإزاء فعله حينئذٍ البكاء عليه السَّاعَةَ . وقوله « جُودِي بِأَرْبَعَةٍ » أراد
بالأربعة قبائل الرّأس . والدَّمْعُ يخرجُ من الشوْثُونِ . فأراد : جودي بدمعك
كله ، ولا تدخري منه شيئاً . وقوله « يا عَيْنِ » حذف الياء لوقوعها موقعَ
ما يُحذف في النداء وهو التَّمَرِينِ ، ولأن الكسرة تدلّ عليه . وبابُ النداء
بابُ حذفٍ وإيجاز .

٢ — قَد كُنْتَ لِي جَبَلًا أَلُوذُ بِظِلِّهِ فَتَرَ كُنْتِي أَضْحَى بِأَجْرَدَ صَاحٍ
أقبل يخاطب المرثى على عاداتهم في الانتقال عن الإخبار إلى الخطاب ،
وعن الخطاب إلى الإخبار ، تَفْمُنًا وَاقْتِدَارًا . فيقول : كُنْتَ لِي جَبَلًا عَزِيًّا ، أَوِي
إِلَيْكَ فِي الشَّدَائِدِ ، وَأَعُوِّلُ عَلَى حَسَنِ دِفَاعِكَ فِي النَّوَائِبِ ، وَأَسْتَكِينُ بِظِلِّكَ ،

(١) كان والدها الأحجم — ابن ذندنة — ويقال « الأحجم » أيضاً — أحد سادات
العرب . وزوجته هي خالدة بنت هاشم بن عبد مناف . وقال السكري : الشعر لليلى بنت يزيد
ابن الصعق ، ترثي ابنها قيس بن زياد بن أبي سفيان بن عوف بن كعب ، وقال الأخفش :
لأنه لامرأة من كندة ترثي زوجها الجراح . انظر أمالي القالي (٢ : ١ — ٢) والتنبيه
ص ٨٧ . وقد ذكر القالي أن عائشة رضى الله عنها تمثلت بهذه الأبيات بعد وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم .

وَأَتَحَصَّنَ بِتَمَنُّعِكَ ، فَعَادَرْتَنِي بَارِزاً لِلآفَاتِ ، وَمَعْرِضاً لِلْحَوَادِثِ وَالنِّكَايَاتِ ^(١) ،
لَا مَعْقِلَ لِي مِمَّا يَدْعَمُ ، وَلَا مَلَاذَ عِنْدَ مَا يَهْجُمُ . وَالضَّاحِي : الْبَارِزُ لِلشَّمْسِ ؛
وَالفِعْلُ مِنْهُ ضَحِيَ يَضْحِي ؛ وَقَدْ أَتَى بِهِمَا فِي الْبَيْتِ . وَالْأَجْرَدُ : الْأَمَّاسُ .
يَضْرِبُ ^(٢) ذَلِكَ مِثْلًا لِكَوْنِهِ مُعْوَرًا لَا وَاقِيَ لَهُ وَلَا سَاتِرَ ، وَلَا مُحَامِي
وَلَا مَدَافِعَ .

٣- قَد كُنْتُ ذَاتَ حَمِيَّةٍ مَا عِشْتُ لِي أَمْشِي الْبَرَازَ وَكُنْتَ أَنْتَ جَنَاحِي

٤- فَالْيَوْمَ أَخْضَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَقِي مِنْهُ وَأَدْفَعُ ظَالِمِي بِالرَّاحِ

قوله « قَد كُنْتُ ذَاتَ حَمِيَّةٍ » يَقَالُ حَمِيَّةٌ مِنَ الشَّيْءِ أَحْمَى حَمِيَّةً ، أَيْ

أَنْفَتُ وَغَضِبْتُ . وَرَجُلٌ حَمِيٌّ الْأَنْفُ : لَا يَحْتَمِلُ الضَّمِيمَ ، وَحَمَى أَنْفَهُ مِنْ كِذَابِ .

وَالْمَعْنَى : كُنْتُ فِي حَيَاتِكَ أَنْفٌ مِمَّا أَسَامُ مِنَ الضَّمِيمِ فَاتَسَخَّطُهُ ، وَتَتَّسَعُ الْمَقْدَرَةُ

لِدَفْعِهِ وَالْإِبَاءُ مِنْهُ ، وَالْآنَ صَارَ بَدَلَ ذَلِكَ السُّخْطِ الرَّضَا ، وَبِإِزَاءِ ذَلِكَ الْإِنْتِقَامِ

الاسْتِسْلَامِ . وَ« مَا عِشْتُ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ ، أَرَادَ مُدَّةَ عَيْشِكَ لِي . وَقَوْلُهُ

« أَمْشِي الْبَرَازَ » الْبَرَازُ : الْمَكَانُ الْقَضَاءُ مِنَ الْأَرْضِ . وَإِذَا خَرَجَ إِنْسَانٌ إِلَى

ذَلِكَ الْمَوْضِعِ قِيلَ بَرَّزَ . وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ : بَرَّزَ عَلَى أَقْرَانِهِ ، أَيْ صَارَ فِي الْبَرَازِ

ظُهُورًا عَلَيْهِمْ وَاقْتِدَارًا . وَكَمَا تَصَرَّفُوا فِي هَذَا عَلَى مَا تَرَى تَصَرَّفُوا فِي الظَّاهِرَةِ ،

وَهِيَ الضَّاحِيَةُ الْعَالِيَةُ ، فَقِيلَ : ظَهَرَ فَلَانٌ عَلَى فَلَانٍ ، أَيْ عَلَاهُ ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ

عَلَيْهِ ^(٣) ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ . وَأَصْلُهُ أَمْشِي فِي الْبَرَازِ ،

فَحَذَفَ الْجَارَ وَوَصَلَ الْفِعْلُ فَعَمِلَ . وَالْمَعْنَى : كُنْتُ لَا أَسْتُرُ وَلَا أَكْتُمُ ^(٤) تَهْتِيبًا

وَتَخَوُّفًا مِنْ شَيْءٍ . وَقَوْلُهُ « وَكُنْتَ أَنْتَ جَنَاحِي » فَالْجَنَاحُ مِنَ الطَّائِرِ وَالْإِنْسَانِ :

(١) ل : « والنكبات » .

(٢) ل : « وضرب » .

(٣) كذا في ل . وفي الأصل : « وأظهره ما فيه عليه » .

(٤) ل : « ولا أكتمن » .

يداهُ . والمعنى : كنتُ أطيّر بقوَّتِكَ ، وأنهضُ في الأمور بصَوْلَتِكَ ، وأبْطِشُ بالأعداء بيدك وأيدِكَ .

وقوله « فاليومَ أخضعُ للذليل » ، أراد باليوم متَّصِلَ وقتهِ من الحال والاستقبال ، والمعنى : صرتُ من طلب السَّلَامَةِ على الدهرِ وأهلهِ بحيثُ يَطْمَعُ فيَّ الذليلُ ، ويستلِينُ جانبي المَهِينِ ، فأَتَتْني ذَا الشُّوكَةِ وَمَنْ لا شوكَةَ له ، وأحذَرُ مَنْ يُحْشَى كَيْدُهُ وَمَنْ لا كَيْدَ له . وقوله « وأدفعُ ظالمِي بالراح » يريد أدفعُهُ بِالَّذِينَ ما أجدُ السَّبِيلَ إليه ، لا خشونةً لي في قولي^(١) ولا مزاحمةً في رُكْنِي ، ولا اعتراضَ شديدًا منِّي في اهتضامِهِ لي ، ولا محاجةً قويَّةً على جدِّالِهِ إِيَّاي ، ففعلَ مَنْ لا حَدَّ له ولا حديدَةَ ، ولا عُدَدَ ولا عَتِيدَةَ ، ولا حِجِي ولا حِمِيَّةَ .

٥ - وإذا دَعَتُ قُمْرِيَّةٌ شَجْنَا لها يومًا على فَنَنِ دَعَوْتُ صَباحي^(٢)
٦ - وأغضُّ من بَصْرِي وأعلمُ أَنَّهُ قَدْ بَانَ حَدُّ فَوَارِسِي ورماحي

قوله « وإذا دَعَتُ قُمْرِيَّةٌ شَجْنَا » كلامٌ أُخْرِجَ على ما في اعتقادهم من بُكاء الحمام ، فيقول : إذا ناحت حمامةٌ على غُصْنٍ وهي تدعو حُزْنَها ليهتاجَ بكائها ويمتدُّ صوتها ، فإني أشجِي لصوتها وأجاوبُها داعيًّا صَباحي ، أي قائلاً :
وا صباحاه !

وقوله « وأغضُّ من بَصْرِي » غَضُّ الطَّرْفِ مِنَ فَعْلِ الذَّلِيلِ المنخزل ، كما

(١) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « لاخشونة في قوله » .

(٢) ورد هذا البيت عند التبريزي متأخراً عن تاليه ، وهو الأوفق . وقال البكري في التنبيه على الأمالي ص ٨٧ : وأخبرني غير واحد عن أبي العلاء المعري - رحمه الله - أنه كان يرد هذه الرواية ويقول لأنها تصحيف ، وكان ينشده : * وإذا دعت قمرية شجبا لها * بكسر الجيم وبالياء بعدها ، يعني فرخها الهالك ، وهو الهديل . والشجب : الهلاك ، والشجب : الهالك . وأخلق بهذا القول أن يكون صحيحا ، والحق أحق أن يتبع .

أن طموحه فعلُ العزيز الناظرِ من فوق . فيقول : إني عارفٌ بمقدارى بَعْدَكَ ، ومتيقنٌ نكوصى وسقوطَ حشمتى بذهابِك ، وَكَلَّةٌ^(١) حَدَى وحدٌ أصحابى لفقدانك ، فأغمض عيني في كثيرٍ مما يجرى علىّ وألابسُه ، مخافةً أن أرى ما هو أكبرُ منه . وقوله « وأعلمُ أنه » الضمير ضمير الأمر والشأن . يريدُ : وأعلمُ أنَّ الأمرَ انقلاطُ فرسانى ، وتفلُّ أسنَّةِ رماحى . وهذا مثلُ لسقوطِ القوى واستعلاءِ العِدَى ، وذهابِ العُدَّةِ وتراجعِ العِدَّةِ . ولا يمتنع أن يريدَ بحدِّ فوارسى نفسَ المفقودِ ، جعله لفرسانه حدًّا إذ كان مقدامهم ومِدْرَهَمهم ، ولمواجهِ سناناً إذ كانت تعملُ بقوتته ، وتنفذُ بصرامته .

٣٠٩

وقال آخر^(٢) :

١- إخوتى لا تبعدوا أبداً وبلى والله قد بعُدوا

٢- لو تملتُّهم عَشِيرَتُهُمْ لاقتنأء العِزُّ أو ولد^(٣)

٣- هان من بعض الرزِيئةِ أو هان من بعض الذى أجدُّ

٤- كلُّ ما حَى وإن أمرُوا وَاَرِدُوا الخَوْضِ الذى وَرَدُوا^(٤)

لك أن تروى « إخوتى » و « إخوتنا » . فمن روى « إخوتى » فإنه يسكن الياء وأصله الحركة ، لكونه علامة الضمير متطرفاً على حرفٍ واحدٍ

(١) الكلة بالكسر : مصدر كل السيف ونحوه كلا وكلة وكلاة وكولة وكولوا ، إذا لم يقطع .

(٢) كذا ورد في ل . وعند التبريزى : « وقالت أيضا » ، أى فاطمة بنت الأحجم . وقد ذكرها ابن جنى صريحة في التنبية : « وقالت فاطمة بنت الأحجم الخزاعية » .

(٣) هذه رواية ل وأشير في هامشها إلى أنها في نسخة « أو ولدوا » ، وبهذه الرواية الأخيرة وردت في نسخة الأصل والتبريزى . ومقتضى عبارة الشرح أولوية رواية ل .

فوجب تقويته بالتحريك كما كان سبيل أختيه الكافِ والماء لو وقعا موقعه ، لكنهم آثروا الفتحة لخفتها . ويدل على أن الأصل الفتحة أنه لو كان ما قبله ساكناً كان لا يجيء إلا مفتوحاً ، وذلك قولك رَحَايَ وَعَصَايَ ، إلا أنه لما كان باب النداء باب حذف وإيجاز ، لكثرة استعمالهم له ، سَكَنُوا الياء . ومن قال « إخوتنا » فرَّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ، فانقلبت الياء ألفاً . على ذلك قولهم باديةٌ وباداةٌ ، وناصيةٌ وناصاةٌ ، وقولك بأباها وأنت تريد بأبيها . وقوله « لا تَبَعِدُوا » قد تقدّم القول فيه ^(١) . فأما استدراكه لقوله « وَبَلَى وَاللَّهِ قَدْ بَعِدُوا » فإنه تنبيه منه على أن لا تَبَعِدُوا وإن كان لفظه لفظ الدُّعاء فهو جارٍ على غير أصله ، وأنه إنما هو تحشُّرٌ وتوجُّع .

وقوله « لَوْ تَمَلَّكْتُمْ عَشِيرَتَهُمْ » ، يريد : لو بَقُوا معهم ملاوةً من الدهر مُتَّعِينَ بهم ، ومقتنين العزَّ بمكانهم أو أولادهم بَقُوا معهم فترَبَّوا في حُجُورهم ، وتادَّبوا بسياستهم ، واحتَبَّوا بأردية السيادة في أفئدتهم ومحافلهم — هانَ بعضُ الرزيئة . ولك أن تروى « أو ولدوا » على أن يكون فعلاً وواو الضمير بعد حرف الروى تَجَعَّلَ وصلاً ، ويكون المعنى : لو أعقبوا وخلفوا أولاداً يَرِثُونَ مجدهم ويُحْيُونَ أسماءهم ، وَيَعْمُرُونَ مَعَالِي آبَائِهِمْ بهم . وجواب لو أوّل البيت الذي يليه ، وهو « هان من بعض الرزيئة » . ومعناه : لو قُضِيَ الأمرُ على ذلك تخفَّ بعضُ ما على النَّاسِ لهم ومن أجلهم ، أو خفَّ بعضُ الذي أجده أنا من الاكْتئاب والاهتمام بقوتهم . وقوله « من بعض الرزيئة » ، الأخفش يميز زيادة « من » في الواجب ، فعلى طريقته يكون المعنى هان بعضُ الرزيئة . وسيبويه يمتنع من زيادة من إلا فيما ليس بواجبٍ ، كالاستفهام والنفي . فعلى طريقته يكون المعنى : كان ابتداء المهوونِ بعضَ الرزيئة أو من بعض الرزيئة .

(١) انظر الحماسية ٢٩٨ ص ٨٩٢ ، و ٣٠٦ ص ٩٠٥ .

وقوله « كلُّ ما حَيَّ » ما زائدة ، ويجوز أن يريد بالحيِّ القبيلة . ومعنى
 أَمِرُوا كَثُرُوا ، يقال أَمِرَ الشَّيْءُ وَأَمَرَهُ اللهُ لَهُ ^(١) . ويجوز أن يريد بالحيِّ ضدَّ
 الميت ، ويكون الضمير من أَمِرُوا عائداً إلى لفظ كلِّ . فيقول : كل قبيلة وإن
 تناسلوا وتكاثروا فمآلُ أمرهم إلى مثل ما آل إليه أمرُ إخوتي ، وموردُهم من
 الذَّهاب والفناء مثلُ موردِهم ، إذ كان الموتُ لا معدلَ عنه ، ولا منجى لأحدٍ
 منه . وجواب الشرط في قوله وإن أَمِرُوا دلَّ عليه قوله « وَاَرِدُوا الحَوْضَ الَّذِي
 وَرَدُوا » ، والضمير العائد من الصلَّة إلى الموصول محذوف ، كأنه قال : الذي
 وردوه ، لأنَّهم استطالوا الاسم بصِلته .

٣١٠

وقالت امرأةٌ أخرى ^(٢) :

١ - طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً مِنْ هَلَاكِ فَهَلَكَ ^(٣)

٢ - لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّهَ أَيُّ شَيْءٍ قَتَلَكُ

النَّجَاةُ وَالنَّجْوَةُ : ما ارتفع من الأرض حتى لا يصل إليه السَّيْلُ

ولا يبلغه . قال :

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بَعْقَوْتِهِ وَالسَّتِكِنْ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاخِ ^(٤)

فجعلها هاهنا مثلاً لما كان يطلبه من وجه الخلاص من الآفات . وكان هذا

(١) كلمة « له » ليست في ل .

(٢) التبريزي : « ويروى أنها لأم تأبطشراً ، ويقال لأم السليك بن السليكة » . ورجح
 التبريزي أن الشعر لأم السليك بن السليكة بنحبر طويل ساقه في شرحه . وفي العقد (٣ : ٢٦١) :

« خرج أعرابي هاربا من الطاعون فينما هو سائر إذ لدغته حية فمات ، فقال أبوه يرثيه » .

(٣) هذا وزن نادر من أوزان الشعر . قال التبريزي : « من مشطور المديد والقافية
 متراكب . قال أبو العلاء : هذا الوزن لم يذكره الخليل ولا سعيد بن مسعدة . وذكره الزجاج
 وجعله سابعا للرمل . وقد يحتمل أن يكون مشطوراً للمديد » .

(٤) لأوس بن حجر في ديوانه ص ٤ لبسك ، أو عبيد بن الأبرص . اللسان (قرح) .

المرثى كان استشعر خوفاً من الموت فأخذ ينقل في البلاد والبقاع ويتطلب موضعاً يبعده من الآفات ، فبقي يتردد في ذلك ويتحير ، فإذا الهلاك قد فاجأه من حيث لا يحتسب ولا يرتقب . وإنما نكر من هلاك لأنه جعل كل نوع منه هلاكاً ، ولم يدّر ماذا يصيبه .

وقوله « ليت شعري » موضع شعري نصب في معنى علمي . ويقال شعرت شعرة كما يقال فطنت فطنة ، إلا أنه لا يستعمل مع ليت إلا وقد حذف الهاء منه . وقوله « أي شيء قتلك » الجملة كما هي في موضع نصب ، لأنها نابت عن مفعوليه . وخبر ليت مضمّر لا نجدّه إلا كذلك ، فهو يشبه خبر المبتدأ بعد لولا إذا قلت لولا زيد نخرجت ، لأن نخرجت جواب لولا . وخبر المبتدأ محذوف لا يحىء إلا على ذلك . واستغناء ليت بمفعول شعري عن خبره ، كاستغناء المبتدأ بعد لولا بجوابه عن خبره . و « ضلّة » ، انتصب على المصدر ، والعامل فيه فعل مضمّر . وهذا الضلال يجوز أن يكون لنفسه فيما استبهم عليها من حال المتوفى ، كأنه ضلّ عن العلم ضلّة ، ويجوز أن يكون للمتوفى نفسه ، كأنه عدّ غيبته وخفاء أمره ضلالاً له ، والمعنى : تمنيت أني أعلم أي شيء أهلكك ، وهذا الضلال عن معرفة حالك ، وذهابي عن العلم به . هذا على الأول ، وعلى الثاني يكون المعنى : ما الذي قتلك حتى ضللت هذا الضلال .

فإن قيل : خبر ليت كيف يحىء في التقدير وإن لم يظهر في الاستعمال ؟ قلت : تقديره ليت شعري واقع أي شيء قتلك ، أي ليتني علمت أو وقع علمي بما يقتضيه هذا السؤال ، لأن الذي تمناه هو ما كان جوابه لانفس السؤال .

٣ - أمر يض لم تعد أم عدو ختلك^(١)

(١) بعده عند التبريزي :

أم تولى بك ما غال في الدهر السلك

السلك ، كسر د : فرخ القطا ، وقيل فرخ المجل .

- ٤ - كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حِينَ تَلْقَى أَجْلَكَ
 ٥ - وَالْمَنَايَا رَصَدٌ لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ^(١)
 ٦ - أَيُّ شَيْءٍ حَسَنٍ لِفَتَى لَمْ يَكُ لَكَ

قوله «أمريض لم تعد» هو إعلام منها بأنه تغيب فحفي أمره فيما أصابه حتى لم يبين له أثر ، ولا لمرضه نبأ . وهو يجري مجرى البيان لقولها «أى شيء قتلك» . فتقول : أمريض كنت في غربته ووطن وحشة ، فمت حثف أنفك لا يعودك مُشْفِق ، ولا يتفقدك ممرض ، أو اغتالكَ عدو فتوصل إلى الغيلة في بابك بإعمال الختل والحيلة . ويروى : «أورصيد ختلك» ، والمعنى : أو خدعك عن حياتك من كان بالمرصاد لك من أعدائك . وقال الخليل : الختل : تخادع عن غفلة .

وقوله :

كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حِينَ تَلْقَى أَجْلَكَ

تريد الإخبار عن استواء أسباب الموت في الأخذ والظفر ، إذا دنا الأجل . وأن كل سبب ينوب مناب الآخر إذا انتهت المدة .

وقوله :

وَالْمَنَايَا رَصَدٌ لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ

تريد به أن البقاع والتحوّل^(٢) فيها لا يبغي ؛ لأن حكم الله تعالى يبعث وينقب عن المطلوب حيث كان ، فالموت رصد للفتى حيث استطرق وأنى توجهه .

(١) روى التبريزي هذا البيت وبعده البيت السادس ثم الخامس .

(٢) كذا بالحاء المهملة في جميع النسخ . يقال حال الرجل وتحول من موضع إلى موضع ،

أى انتقل .

وبعضهم يرويه : « والمنايا رُصِّدَ » كأنه جمع الرّاصد لكون المنايا جمعا . والأوّل أفصح وأجود .

وقوله :

أى شيء حسنٍ لفتى لم يكُ لكُ
يصفه ببراعته وتكاملٍ محاسنه ، واستتمام آلات الرّياسة فيه ، فكأنه لا يُستحسن من الفتيان شيءٌ خلقا ولا خلُقا إلا وقد كان حصل له ، واجتمع فيه . وقد تقدم القول فى حذف النون من لم يك .

٧ - سأعزى النفس إذ لم تجب من سألكُ

٨ - إن أمرا فادحا عن جواى شغلكُ

٩ - طالما قد نلت فى غير كدّ أملاك^(١)

قوله « سأعزى النفس » أى سأصبرها ، إذ كنت مع السائلين - وإن اختلفوا - على حدّ واحدٍ فى ترك مجاوبتهم ، فعصمت ولم تخص . وهذا التعزى الذى أشار إليه ليس لتسلّ عن المفقود ، ولا ليتناس منه ، ولكنّه^(٢) طيبُ النفس بتشارك الناس فى إمساكه عن إجابتهم .

وقوله : « إن أمرا فادحا » اكتسب أمرٌ وهو نكرةٌ من التّعنت الذى تبعه بعض الاختصاص ، فلذلك صلح الابتداء به حتى دخل إن عليه . ألا ترى

(١) روى التبريزى هذا البيت بعد البيت الرابع ، ثم روى بعدها الثامن فالسابع ، ثم يبتين لم يروها المرزوقى ، وها :

ليت قلبى ساعةً صبره عنك ملكُ

ليت نفسى قدّمتُ للهنأيا بدلكُ

(٢) بعدها فى الأصل كلمة « مهما » ، وهى مقحمة .

أنَّ فائدته مع إبهامه كاملة في المراد ، والمعنى : إنَّ عظيمًا من الأمور صرَّفَكَ عن رَسْمِكَ ودأْبِكَ في مِبَاسَطَتِي ومُبَائَتِي . ولأنَّ الكلامَ قد يُحْمَلُ على المعنى فيما يُستفاد منه ، فكأنَّه قال : ما صرَّفَكَ وشغَلَكَ عن جوابي إلَّا أمرٌ عظيم فادح ؛ إذ كانت العادة قَدَمْتُ منك في حُسْنِ التوفُّر^(١) على والإقبال ، لتوجُّه خطابي نحوكَ .

وقوله :

طلما قد نلت في غيرِ كَدِّ أملكِ

إيدانُ بأنَّه نال من الدُّنيا كثيرًا من إرادته وأمانيه ، حينَ هبَّت أرواحُه ، وساعدته أيامُه وحالاتُه ، وأنَّه طالما كان يتحصَّلُ له المَبَاغِي بلا كَدِّ لإقبال الدُّنيا عليه ، ويتسهَّلُ له المَطَالبُ لاقتِرانِ المناجحِ بما لديه أو إليه ، وفي ذلك بعضُ التَّسَلِّيِّ للجازعينِ به ، والمتوجِّعينِ لفنائه .

وقد تقدم القول في لفظةِ طالما وبينت معناه وهجاءه في الكتاب^(٢) .

٣١١

وقال العجيرُ السلولي^(٣) :

١ — ترَكْنَا أبا الأضيافِ في لَيْلَةِ الصَّبَا بِمِرٍّ وَمِرْدَى كُلِّ خَضَمٍ يُجَادِلُهُ^(٤)

(١) في الأصل : « التوفير » ، والوجه ما في سائر النسخ .

(٢) انظر الحماسية ٢٨٩ ص ٨٧٥ .

(٣) العجير لقب له ، واسمه عمير بن عبد الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول ، وبنو سلول هم بنو صرة بن صعصعة غلبت عليهم أهمهم فسموا بها . والعجير شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية . الأغاني (١١ : ١٤٦ — ١٥٣) والخزانة (٢ : ٣٩٩) ، والمؤتلف ١٦٦ . وكان يكنى أبا الفرزدق باسم ولد له . المؤتلف ومعجم المرزباني ٢٣٢ . كما كان يكنى أبا الفيل فيما قال البغدادي . وقد ذكر المرزباني حفيده عمرو بن الفرزدق بن العجير في الشعراء .

(٤) تلتبس بعض أبيات قصيدة هذه الحماسية بأبيات الشمردل بن شريك ، التي رواها

أبو الفرج في الأغاني (١٢ : ١١٣ — ١١٤) .

يُروى «تركنا أبا الحُجْماء» وهو فيما أظنّه كُنْية المَرثَى . وجعله أبا الأضياف لتوفّره عليهم ، ولأنّ داره كانت مشواهم . وهم يقولون : فلانٌ أبو مشواى ، وفي المرأة : أمُّ مشواى ، لَمَنْ قَرَّاهم . وأشار بليلة الصَّبَا^(١) إلى ليلة بعينها^(٢) اتَّفَقَ فيها على هذا الرّجل بمرّ ، وهو موضعٌ ، اجتمعُ الخصوم حوله^(٣) . والمِرْدَى : صخرةٌ يُكسّرُ بها النّوى ؛ هذا أصله ، ثم يقال فلانٌ مِرْدَى الخصوم ، أى يُرمون به فيكسرهم . وقوله «كلّ خصمٍ» أراد بالخصم الكثرة ، كأنّه حضّره من كلّ قبيلٍ من مُخالفيه مِرْدَى لهم يجادلُه عنهم ويجاذبه . وقوله «بمرّ» منته من الصّرف لأنّه جعله مؤنثاً معرفة ، ولو ذكّره لصرفه . والواو من قوله «ومردى كلّ خصمٍ» واو الحال^(٤) . والصَّبَا : ريحٌ تستقبل القبلة ؛ والفعل منه صَبَا يصبو . وأضاف الليلة إلى الصَّبَا تعريفاً وتخصيماً ، كأنّه كان للصَّبَا شأنٌ في تلك الليلة .

٢ - تركنا فتى قد أيقن الجوعُ أنّه إذا ما ثوى في أرْحَلِ القومِ قاتلُهُ

== وانظر بعض أبيات العجير في معجم البلدان (مر) وأما القالى (١ : ٢٧٥) . وذكروا أن العجير كان له ابن عم يدعى «جابر بن زيد» ، وكان كريماً مفضالاً ، قال فيه العجير :
إن ابن عمى لابن زيد وإنه لبلال أيدى جلة الشول بالدم
فكان إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتى بجزور كوماء فيطعن في لبتها عند بيته ، فيبيتون في شواء وقدير . وكان الناس يقولون له : مالك لا تكثر إبلك ؟ ! فيقول : إن العجير لم تدعها تكثر ! ! ثم سافر ابن زيد فمات بمكان يقال له «مر» ، فرثاه العجير بهذا الشعر . الأغاني ومعجم البلدان .

- (١) رواية أبي الفرج : «في كل شتوة» ، ورواية ياقوت : «في ليلة الدجى» .
- (٢) الحق أنها ليست ليلة بعينها ، وأن الإطعام عند هبوب الصبا هو غاية الكرم ، وذلك لما يصاحبها من الجذب . وكان ليبد في الجاهلية قد آلى ألا تهب صبا إلا أطمع . الأغاني (١٤ : ٩٤) . وانظر (مطاعم الريح) في بلوغ الأرب (١ : ٩١ - ٩٢) .
- (٣) كذا يرى المرزوقى . والحق أن «مر» موضع مات فيه ودفن .
- (٤) وبذا تكون جملة «يجادله» خبراً لكلمة «مردى» ، وهذا تفسير ضعيف . والأوفق فيما نرى ، أن تكون كلمة «مردى» معطوفة على «أبا الأضياف» و «يجادله» في موضع الصفة لخصم . فيكون قد نعته بالكرم وقوة العارضة .

يقول : تركنا فى ذلك المكان فتنى كان ربيعاً للفقراء ، ومألفاً للأضياف .
 وإذا اشتدَّ الزمان وأسنت الناسُ تيقن الجذبُ والقحطُ أنه لا يُقارُّه ، بل يَقْتلهُ
 بما يُفيضه على الناس من إحسانه ، ويشملهم من تَفَقُّدهِ وبرِّه . وقوله
 « قد أُيقنَ الجوع » إلى آخر البيت ، من صفة الفتى ، وفى طريقته قول الآخر^(١) :
 يُقاتِلُ جُوعَهُمْ بِمَكَلَّاتٍ مِنْ الفُرْنِيِّ يَرَعِبُهَا الجَمِيلُ^(٢)
 وقوله « إذا ما ثوى » ظرفٌ لقاتله .

٣ - فَتَى قَدْ قَدَّ السَّيْفِ لَامْتِضَائِلٌ وَلَا رَهْلٌ لِبَاتِهِ وَأَبَاجِلُهُ

معنى « قَدْ قَدَّ السَّيْفِ » أنه فى مضائه ونفاذه كالسيف . والقَدَّ : القطع
 طَوَّلاً . ويقال : هو حَسَنُ القَدِّ ، أى التقطيع ؛ وهو على قَدِّه ، أى على قَدْرِه .
 وهو يقتدُّ الأمورَ بالسيف ، إذا دَبَّرَها بالسيف . ومعنى لَامْتِضَائِلٌ : لا مُتَخَاشِعٌ .
 والضُّوْلةُ : الدَّقَّةُ ، يقال : هو ضئيل الجسم . والرَّهْلُ : المُسْتَرخِي اللحم^(٣) من
 السَّمْنِ . يقال : فَرَسٌ رَهْلٌ الصدر . واللَّبَّاتُ : جمع اللَّبَّةِ ، وهو الصدر ؛
 وجمعه على ما حَوَّلَهُ ، أو جعل كلَّ قطعةٍ لَبَّةً . والأباجِلُ : جمع أَبْجَلٍ ، وهو
 عرقٌ فى الساق . والمعنى أنه ليس بكثير اللحم على الصدر غليظِ الساق . وهم
 يتمدَّحون بالهزال ويذمُّون السَّمْنَ . ويُرْوَى « وبأدله » ، وهو ما بين العنق
 والترقوة . ومعنى البيت : أنه فى قَدِّ السيف ومضائه ، لا يَشِينُهُ تخاضعٌ ، ولا هو
 سمينٌ مُسْتَرخِي اللحم على الصدر ولا على ما حَوَّلَهُ . ولا متضائل ، ارتفع متضائل

(١) هو أبو خراش الهذلى . ديوان الهذليين (٢ : ١٤١) واللسان (جمل) . وانظر
 إصلاح المنطق ٣٠٠ .

(٢) هذا تنظير المرزوقى ، أما التبريزى فقد نظر له بقول القائل :

هم المظعمون سديف السنأ م والقاتلو الليلة الباردة

(٣) فى نسخة الأصل : « المسترخى من اللحم » ، وأثبتنا ما فى سائر النسخ .

على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : لاهو متضائل . ولبآته ارتفع بفعله ،
وفعله رَهْلٌ .

٤ - إِذَا جَدَّ عِنْدَ الْجِدِّ أَرْضَاكَ جِدُّهُ وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَهْلَاكَ بَاطِلُهُ

٥ - يَسْرُوكَ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ^(١)

يصفه بأنه كان مُسْتَصْلِحًا لِلْهَزْلِ وَالْجِدِّ ، فَإِنْ جَدَّ حَسُنَ جِدُّهُ وَتَنَاهَى
الرِّضَا بِهِ وَالِاسْتِعْسَانُ لَهُ ، وَإِنْ هَزَلَ أَلْهَى هَزْلُهُ عَلَى اقْتِصَادٍ فِيهِ وَاسْتِطَابَةٌ لَهُ ،
لأنه أخذ من مكارم الأخلاق بأوفر النصيب ، فهو ينخرط في كل سلك ،
ويدخل في كل شأن وأمر .

وقوله « يسرك مظلومًا » انتصب مظلومًا على الحال . يقول : إن اهتضمت
انتقم لك من ظالمك ، وإن اهتضمت أنت غيرك لم يبعد عن نصرتك . وهذا
على طريقتهم في قولهم : « انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا^(٢) » . وقوله « وكل الذي
حملته فهو حامله » يصفه برحابة الصدر والأخذ في كل ما بدعى إليه بالصبر ، وأنه
يتحمل الأعباء الثقيلة عن ذويه والمنتهبين إليه ، لا يضجر بما يحل بفنائه ،
ولا يتسخط أمرًا يقترح عليه ، أو يستنهض إليه .

(١) روى التبريزى : بعده :

إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذُورًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِيلَ مَرَاجِلَهُ

العذور : السبيء الخلق ، كأنه يحتاج إلى أن يعتذر لسوء ما يفعل ، ومعناه أنه يسىء خلقه على
خدمه وأصحابه ، لأنه يريد أن يجعل قري الأضياف .

(٢) حديث حسن ، رواه الدارمى وابن عساكر . الجامع الصغير رقم ٢٧٣٩ .

٣١٢

وقال أبو الحجناء^(١) :

١ - أَعَاذِلَ مَنْ يُرْزَأُ كَحَجْنَاءٍ لَا يَزَلُ كَثِيبًا وَيَزْهَدُ بَعْدَهُ فِي الْعَوَاقِبِ
يقول : يا عاذلة ، مَنْ يُصَبُّ بِمِثْلِ مَنْ أُصِيبَتْ بِهِ يَتَّصِلُ اِكْتِثَابُهُ ، وَيَدُمُّ زُهْدُهُ
فِي عَوَاقِبِ أَطْهَارِ النِّسَاءِ وَمُبَاشَرَتِهِنَّ^(٢) عِلْمًا بِأَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ الْوَلَدِ لَا يُعْتَاضُ مِنْهُ .
وَحَجْنَاءُ : ابْنُهُ . كَأَنَّ عَاذِلَةً آذَتْهُ بِتَكَرُّرِ الْوَصَاةِ عَلَيْهِ وَإِدَامَةِ الْوَعْظِ لَهُ ، وَأَنَّ
مَا يَأْتِيهِ مِنَ التَّفَجُّعِ مُسْتَسْرَفٌ وَمُسْتَقْبَحٌ ، لخروجه^(٣) عن العادات ، فأقبل
يُجِيبُهَا وَيَذْكَرُ عُذْرَهُ لَهَا . وقد صرح غيره^(٤) بهذا المعنى فقال :

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
٢ - حَيْبِيًّا إِلَى الْفَتِيَّانِ مُحِبَّةً مِثْلَهُ إِذَا شَانَ أَصْحَابَ الرَّحَالِ الْحَقَائِبُ
انتصب حَيْبِيًّا عَلَى الْحَالِ لِلضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ « بَعْدَهُ » . وَصَحْبَةٌ ارْتَفَعَتْ عَلَى أَنَّهُ
قَامَ مَقَامَ فَاعِلٍ حَيْبِيًّا . وَيُرْوَى « حَيْبِيًّا إِلَى الْفَتِيَّانِ » فَيَكُونُ خَيْرًا مَقْدَمًا ،
وَالْمَبْتَدَأُ صَحْبَةٌ مِثْلَهُ . وَجَوَابُ إِذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ صَدْرُ الْبَيْتِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِذَا بَخِلَ
أَصْحَابُ الرَّحَالِ بِالزَّادِ فَشَانَهُمْ اِمْتَلَاءُ حَقَائِبِهِمْ وَقَلَّةُ اِنْفَاقِهِمْ مِنْهَا ، فَبِذَلِكَ الْوَقْتِ

(١) التبريزي : « أبو الحجناء مولى بني أسد » . وأبو الحجناء هذا غير أبي الحجناء

نصيب الذي تقدمت ترجمته في الحماسية ٢٩٤ . فتلك الحجناء ابنة نصيب ، وفيها يقول :

لقد أصبحت حجناء تبكي لوالد بدرة عين قل عنه غناؤها

والحجناء في هذه الحماسية اسم رجل هو ولد الشاعر ، وهي تسمية نادرة .

(٢) وقد تابع التبريزي المرزوقي في هذا الفهم متأثرين بالشاهد الذي سيأتي في نهاية

تفسير هذا البيت . والأوفق أن يكون المراد عواقب الأيام والدهر .

(٣) في نسخة الأصل : « بخروجه » .

(٤) هو الربيع بن زياد ، اللسان (قوى) وشروح سقط الزند ١١٤٦ . والبيت في

العمدة (١ : ٩٤) بدون نسبة .

يَسْتَحِبُّ الْفَتِيَانَ صَحْبَةَ مِثْلِ أَبِي حَجْنَاءَ ، لِحُسْنِ تَوْفَرِهِ ، وَرَحَابَةِ صَدْرِهِ ، وَكِرْمِ صَحَابَتِهِ ، وَجَمِيلِ تَفَقُّدِهِ لِأَصْحَابِهِ . وَإِنَّمَا قَالَ « صَحْبَةُ مِثْلِهِ » وَلَمْ يَقُلْ صَحْبَتُهُ ، إِجْلَالًا لَهُ ، وَصِيَانَةً لِاسْمِهِ ، لَا إِثْبَاتًا لِنَظِيرِهِ لَهُ ^(١) . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ : مِثْلُ فُلَانٍ لَا يُوَازِي ، وَمِثْلُكَ لَا يَفْعَلُ كَذَا . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

٣ - نِظَامُ أَنْاسٍ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَهُمْ وَيَصْدَعُ عَنْهُمْ عَادِيَاتِ النَّوَائِبِ ^(٢) .
يريد أن داره كان مجعاً لأناسٍ هو ينظم شملهم ، ويؤلف جمعهم ، فإن حَزَبَهُمْ مِنَ النَّوَائِبِ عَادِيَاتُهَا فَرَّقَهَا عَنْهُمْ ، وَإِنْ حَلَّ بِفِنَائِهِمْ مِنْ أَثْقَالِ الزَّمَانِ مَا يَبْهُظُهُمْ ^(٣) آسَاهُمْ وَتَحَمَّلَ عَنْهُمْ . وَقَوْلُهُ « عَادِيَاتٍ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَدَاءِ الظُّلْمِ ؛ يُقَالُ عَادَا يَعْدُو عُدُوءًا ^(٤) وَعَدَاءٌ وَعُدُوانًا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَدُوِّ ، يَرِيدُ مَسْرَعَاتِ النَّوَائِبِ وَصَادِمَاتِهَا . وَمَعْنَى يَصْدَعُ يُفَرِّقُ ، وَمِنْهُ تَصَدَّعَتْ الْأَرْضُ بِفُلَانٍ ، إِذَا تَغَيَّبَ فَارًّا .

٤ - وَجَرَّبْتُ مَا جَرَّبْتُ مِنْهُ فَسَرَّنِي وَلَا يَكْشِفُ الْفَتِيَانَ غَيْرُ الْعَجَارِبِ .
يريد أن ينبئه على أن ما وصفه به لا عن تقليدٍ أو شكٍّ والتباسٍ ، وَلَا عَنْ تَحْمِينٍ أَوْ حَدْسٍ وَقِيَاسٍ ، بَلْ عَنْ تَجْرِبٍ وَاسْتِكْشَافٍ عَلَى مَرَّةِ الْأَيَّامِ .
فَيَقُولُ : لَمْ أَرْضَ مِنْهُ بَعْفُو أَعْمَالِهِ وَمَا يُخْتَارُهُ فِي مَقَاصِدِهِ ، بَلْ أَخَذْتُ أَسْتَدْرِجُهُ وَأَتَعَرَّفُ غَوْرَ ^(٥) مَقَالِهِ وَفَعَالِهِ بِالسَّبْرِ وَالنَّظَرِ ، فَلَمْ أَرَ إِلَّا مَا سَرَّ وَأَنَسَ ، وَزَادَ فِي الْعِلْمِ بِهِ فَأَبْهَجَ . وَقَوْلُهُ « وَلَا يَكْشِفُ الْفَتِيَانَ غَيْرُ الْعَجَارِبِ » ، يُشَبِّهُ الْإِلْتِفَاتِ ،

(١) هذا ما في ل . وفي نسخة الأصل : « لا إثبات للنظير له » .

(٢) هذه رواية الأصل . وفي ل : « يجمع بيننا » . وكتب فوقها : « بينهم » . ورواية

التبريزي « بينهم » .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي نسخة الأصل : « يتحفظهم » .

(٤) وعدوا أيضا ، بفتح العين وسكون الدال .

(٥) هذا ما في ل . وفي نسخة الأصل « غمر » .

كانه أقبلَ بعد ما خَبَّر، على إنسانٍ فقال: إنَّ الفتيانَ تتشابهُ ظواهرُ أمورهم، ولم يخبرك عنهم مثلُ مجرَّب . ولهذا قيل في المثل السائر:

تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ وما يُدْرِيكَ ما الدَّخْلُ^(١)

٥ - بَعِيدُ الرِّضَا لا يَبْتَغِي وُدَّ مُدْبِرٍ ولا يَتَصَدَّى لِلضَّغِينِ الْمُغاضِبِ

قوله « بعيد الرضا » يريد أنه ليس بسرّيع الفئحة إذا سَخِطَ، لكنه يَعْرُكُ أذى مُجاذِبِهِ ومجاوِرِهِ بِجَنَبِهِ، ويصبر ما أمكن، فإذا أَظْهَرَ النَكِيرَ^(٢)، وتلقَى ما يزاوِلُهُ بِالضَّجَرِ الشَّدِيدِ، لم يُرْضِهِ أدنى المَعاذِيرِ فَعَلَ مَنْ لا حِمِيَّةَ لَهُ ولا عَزِيمَةَ. وقوله « لا يبتغي وُدَّ مُدْبِرٍ » وَصَفَهُ بِأَنَّهُ آخِذٌ بِالضَّرْمِ إِذَا أُحْوِجَ إِلَيْهِ، غيرُ راعِبٍ في الزَّاهِدِ فِيهِ. وهذا كما يقال: فلانٌ وَصَّالٌ صَرُومٌ.

وقوله « ولا يتصدى للضغين المغاضب » معنى يتصدى أن ينظر إليه نظراً غير محتفلٍ به، وكالمُعْرِضِ عَنَّهُ، حتى يخرجه ذلك إلى ما يطلبه. يريد أنه لا يتعرّض لعدوّه والمضطّمن عليه، بل يتركه ينطوى على ما في صدره من غِلٍّ وعداوة، ولا يُخرجه^(٣) إلى مبادرةٍ ومكاشفةٍ، بل يجري على المداجاة معه، منتظراً ما يكون منه، ومحاذراً ما يُتَقَى من جهته. وهذا كما قال الآخر^(٤):

* أَفْرٌ مِنَ الشَّرِّ فِي رِخْوَةٍ^(٥) *

(١) البيت لعشمة بنت مطرود البجليّة، كما في أمثال الميداني (١: ١٢٣). وقد ضمنته ابنة الحس شعراً لها في البيان (١: ٢٢٠) واللسان (١٨: ١٧٩ - ١٨٠).

(٢) النكير: الإنكار، وفي الأصل: «النكير»، وأثبتنا ما في سائر النسخ. انظر للفظ «النكير» ما مضى في الحماسية ٢٧٢ ص ٨٢٥.

(٣) ل: «يخرجه» بالخاء المهملة.

(٤) هو أبو ثمامة بن عارم. الحماسية ١٨٧ ص ٥٧٩.

(٥) سبق برواية: «رخوة». وعجزه:

* فسكيف الفرار إذا ما اقترب *

وقد ألمّ بقول الآخر^(١) :

إذا حاربت حارب من تُعادي وزاد سِلاحُه منك اقترابا
٦- وكنتُ إذا ما خفتُ أمراً جَنَيْتُهُ يُخَفِّضُ جَأشِي ضَبْتُكَ المِتراعِبُ^(٢)

يصفه بحسن المدافعة عن متسبب إليه ، ومبالغة التصرة لمن أوى إلى جنبته ، فيقول : إذا خفتُ جريرة ارتكبتها ثم لذتُ بفنائك ، واعتمدتُ تعصبتك ، سَكَنَ من جأشي وأزال قلقي قَبْضُكَ الواسع ، ودَفَعَكَ الحَمامِي ، وذَبُّكَ المِبارِعُ^(٣) . وقوله « المِتراعِبُ » يُروى بالعين معجمة وبالعين ، فإذا روى بالعين معجمة فهو من الرغابة . ويقال : وادِ رَغِيبٌ ، وحوْضٌ رَغِيبٌ ، أي واسع ؛ ورجلٌ رَغِيبٌ البطنِ ، أي أكول . ومن رَوَى بالعين غير معجمة فهو من قولهم سَمِلَ راعِبٌ : يملأ الوادي . ومنه حِسِيٌّ مِتراعِبٌ ، أي واسعٌ لا يملأه شيء . ومعنى يُخَفِّضُ جَأشِي يسكُنُ نفسِي . ويقال : هو رابط الجأش ، أي قوِيُّ النفس ؛ وخافِضُ الجأشِ ، أي ساكنه . والخَفِضُ : ضدُّ الرَفْعِ . والتخفِيزُ : مدُّك رأسَ البعير إلى الأرض . والضَّبْتُ : القَبْضُ الشَّدِيدُ ، ومنه يقال : ناقةٌ ضَبُوثٌ ، أي سميئة لا يُشَكُّ في سِمَنِها ، كأنه فعول في معنى مفعولة ، أي حيث ضَبَّتْ منها باليد مَلَأَتِ الكَفَّ الحَمَّاءَ .

٣١٣

وقال آخر :

١ - إذا ما أمرؤُ أئني بالاء مِيتٍ فلا يُبْعِدُ اللهُ الوليدَ بنَ أدَهَمَا

(١) هو ربيعة بن مقروم . الحماسية ١٧٧ ص ٥٤٣ .

(٢) أشار التبريزي إلى رواية : « ضبتك المِتراعِبُ » . والضبن ، بالكسر : الكنف

والناحية .

(٣) ل : « البالغ » .

٢ - فما كان مفراحًا إذا الخير مسَّهُ ولا كان منانًا إذا هو أنعمًا (١)

٣ - لعمرك ما وارى الترابُ فعاله ولكنما وارى ثيابًا وأعظمًا

الآلاء : النعم ، واحدها إلى . ويعنى بها صنائعه ومنته عند الناس . فيقول : إذا ذكركم منعم عليه إحسان المنعم عليه ، وأيديه لديه ، فشكرتم تجاوز الشكر إلى الثناء فأفرط ، فلا أبعد الله هذا الرجل . وهذا الكلام وإن كان دعاء في موضعه الذى استعمل فيه أبلغ من كل ثناء ، وأزيد من كل تقرىظ وإطراء . ولذلك اقتصر عليه ولم يخلط به غيره .

وقوله « فما كان مفراحًا إذا الخير مسَّهُ » يصفه بأنه لا يُطغيه الغنى فيكسبه كبرًا وبأوا ، بل يزداد تواضعًا فيما يناله ، وتوددًا إلى الناس على اتساع حاله ، حتى يُشركهم في خيره . وقوله « ولا كان منانًا إذا هو أنعمًا » يصفه بأنه لا يُكدر نعمة عند غيره بالمن والأذى ، بل يتناساها حتى يكون في صورة من لم يسد ولم يصطنع .

وقوله « لعمرك ما وارى الترابُ فعاله » يريد أن مكارمه لم تمت بموته ، ولم تدفن في قبره ، بل هى منشورة في الناس لا تُنسى ، ومأثورة لا تُلغى ، فهى على مر الأيام تزداد جدّة ، وعند الناس طراءة ، لأنها تُذكر وتُتلى ، ولأن ما سُرّ فيه من الشعر والمدائح تُقرأ وتُروى . وقوله « ولكنما وارى ثيابًا وأعظمًا » الفعل للتراب ، وهذه إشارة إلى الكفن ونفس المتوفى ، وفيه من إظهار التوجع ما كفى وأغنى .

(١) روى التبريزى بين هذا البيت وتاليه :

ونادى المنادى أول الليل باسمه إذا أبحر الليل البخيل المذمما

أبحره : ألزمه بته فلم يبرز لضيف أو طارق لبل .

٣١٤

وقال أبو الشَّعْبِ العَبْسِيُّ (١)

في خالد بن عبد الله (٢) ، وهو أسيرٌ في يدَي يوسف بن عُمر :

١ — ألا إن خير النَّاسِ حَيًّا وهَالِكًا أسيرٌ ثَقِيفٌ عِنْدَهُمْ في السَّلَاسِلِ (٣)
 قوله « حَيًّا وهَالِكًا » يجوز أن ينتصب على الحال والعامل فيه ما دلَّ عليه
 خير الناس ، ويكون الكلام ثناء على الخبر عنه بخير النَّاسِ ، ويجوز أن ينتصب
 على التمييز ، وحينئذ يكون تفصيلاً للنَّاسِ ، كأنه قال : إن خير الناس من الأحياء
 والأموات أسيرٌ ثَقِيفٌ . وقوله « عندهم » يجوز أن يكون في موضع الحال ،
 ومعناه حاضرًا لهم وقريبًا منهم ، ويكون العامل فيه ما دلَّ عليه أسيرٌ ثَقِيفٌ ،
 ويكون فائدة الكلام أنه كان يجوز أن يكون أسيرًا لهم ولم يكن عندهم ، فأفاد
 أنه أسيرٌهم وحاصلٌ بمحضرتهم . وكذلك قوله « في السَّلَاسِلِ » يجوز أن يكون
 في موضع الحال ويكون العامل فيه ما عمل في الظرف ، فيكون تقديره بمحضرتهم
 مقيدًا ، ويجوز أن يكون العامل في عندهم ما دلَّ عليه قوله في السَّلَاسِلِ من الفعل .

(١) أبو الشَّعْبِ العَبْسِيُّ : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، واسمه عكرشة ، كما سيأتي
 في الحماسية ٣٦٣ التي يرثي بها ابنه شغبًا ، وكما في أمالي القالي (٢ : ٨٨) .
 (٢) هو خالد بن عبد الله القسري ، كان والياً على العراق وما يليه من الأهواز وفارس
 والجزبال ، وأخوه أسد بن عبد الله كان أيضاً والياً على خراسان ، وكان بدء ولايتهما سنة ١٠٦
 وعزلاً سنة ١٢٠ . وهذه الحماسية ليست من مرثي الأموات ولكنها تمجيد من أبي الشَّعْبِ
 خالد وتنويه به ، فهي من مرثي الأحياء . يقال : رثيت لرجي رثياً ومرثاة ، أي توجهت له
 ورثقت . وكان من خبر خالد أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما ولي الخلافة — وأمه
 أم الحجاج ابنة محمد بن يوسف الثقفي ، كما في التنبيه والإشراف — دفع بخالد إلى يوسف
 ابن عمر عامله على العراق ، فحمله إلى الكوفة وعذبه حتى قتله ، وذلك في سنة ١٢٦ .
 تاريخ الطبري .

(٣) رواية الجاحظ في البيان (٣ : ٢٣٦) :

ألا إن خير الناس قد تعلمونه أسير ثَقِيفٌ مَوْثِقًا في السَّلَاسِلِ

٢ - لَعَمْرِي لَقَدْ عَمَّرْتُمْ السَّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَاةَ الْمُتَثَاقِلِ (١)

هذا الكلام تفضيحٌ للأمر الذي ركبوه ، وإعلامٌ منه بأنهم أتوا قبيحا من الأمر منكرًا ، عمَّ وبأله الناسَ وظهر تأثيره فيهم . فهذا فائدة اليمينِ وجوابها . وقوله « عَمَّرْتُمْ » أى أدمتم سَجْنَه وأطلمت حبسه ، كأنهم جعلوا خالداً للسجنِ عُمرَه . والعُمُرُ : السُّنُونُ والحِينُ ، ومنه قوله تعالى ﴿ لَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا (٢) ﴾ . وقوله « وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَاةَ الْمُتَثَاقِلِ » يجوز أن يكون وطاة مصدرًا من أوطأتموه وإن لم يكن من لفظه ، وهذا كما يُجْعَلُ العطاء موضعَ الإِعْطاءِ ، والجابية موضع الإجابة . والمفعول الثانى محذوف ، كأنه قال : أوطأتموه السَّجْنَ أو الأَرْضَ إِيطاءً المُتَثَاقِلِ ، أى أثقلتُموه . ويجوز أن يريد : أوطأتموه فوطئَ وطاة المتثاقلِ ، أى يَفْعَلُ فَعَلَ المُتَثَاقِلِ وإن لم يكن معه تثاقُلٌ ، هو يَطَأُ عَقِبَه .

٣١٥

وقال مُهْلَهْلٌ (٣) :

١ - نُبِيتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدَتْ وَأَسْتَبَّ بِعَدْلِكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسُ

(١) فى ل : « لئن عمرتم » وكتب فوقها : « خ : لقد » ، أى هى كذلك فى نسخة . ورواية البيان : « لئن أعمرتم » . ورواية التبريزى تطابق رواية ل والبيان . وروى بعده التبريزى : لقد كان يبنى المكرمات لقومه ويعطى اللهى فى كل خيرٍ وباطلٍ فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معرُوفه فى القبائلِ

ورواها الجاحظ ، لكن روى الأول على هذا الوجه :

لقد كان نهاضا بكل ملهة ومُعطى اللهى عمراً كثيراً النوافلِ

(٢) العمر ، بضمين : لغة فى العمر بضمه واحدة . وبالأخيرة انفراد الأعمش . تفسير أبى

حيان (٥ : ١٣٣) .

(٣) اسمه عدى بن ربيعة ، وقالوا : سُمى مهلهلا لأنه أول من أرق الشعر وهمله . وهو

أخو كليب بن وائل الذى هاجت بمقتله حرب بكر وتغاب ، وهو كذلك خال امرئ القيس =

٢- وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْبَسُوا

كان كليب وائل لا تُوقد مع ناره للضيّان ناراً في أحماه ، وفيما يقرب من منازل وأوطانه ، بل يتفرّد بذلك لا مبارى له ولا مشارك ؛ وكان إذا حضر مجلسه الناس لا يجسر أحد أن يجاذب غيره أو يفاخره أو يسابه ، إعظاماً لقدره وإجلالاً لشأنه وأمره ، فيقول على وجه التحسّر : خبّرت أن نيران الضيافة بعدك أوقدت لسقوط احتشامك ، وأن أهل المجلس تنازعوا الكلام بعدك وتجادبوه ، حتّى صار بعضهم يسب البعض ويصك في وجهه الكلام القبيح ، لا رقيّة تردعهم ، ولا حشمة تدفعهم .

وقوله « وتكلّموا في أمر كل عظيمه » ، يريد أن الكلام منهم فيما يدهمهم من النوب^(١) نهبي ، لأنهم صاروا سُدّي لا يبين التابع من المتبوع فيها ، ولا الرئيس من المرئوس ، حتّى صار تدير العظيمة بينهم فوضى فوضى ، يتناهبون إدارة الكلام في دفعها ، ويتجادبون إجابة الرأى في رفعها ، ولو كنت حاضرهم ما جسرُوا أن يتقدّموا بين يديك بارتجال خطاب ، أو رجّع جواب . ويقال :

== وجد عمرو بن كلثوم . الأغاني (٤ : ١٣٩ - ١٥١) والخزانة (١ : ٣٠٠ - ٣٠٤) والرزباني ٢٤٨ واللائي ٢٦ - ٢٧ ، ١١١ - ١١٢ والشعراء ٢٥٦ - ٢٥٩ . وكان من خبر مقتل كليب أن كليباً بلغ من بغيه أنه كان يحمى من المرعى مدى صوت كلب فيختص به ، حتّى قالت العرب « أعز من كليب وائل » . وكان قد تزوج جلييلة بنت مرة ، وأخوها جساس بن مرة كان له خالة تسمى « البسوس » جاورتها ولها ناقة يقال لها « سراب » فرزت إبل كليب بسراب وهي معقولة بفناء البسوس ، فلما رأت الإبل نازعت عقالها وتبعته لإبل كليب ، فلما رآها رمى ضرعها فنقرت حتى بركت بفناء صاحبها فبرزت صارخة تصيح : وا ذلاه ! فلما سمع جساس صوتها سكنها وقال : والله ليقتلن غداً جمل عظيم أعظم عقراً من ناقتك ! فر جساس بكليب وهو على غدير الدنائب منفرداً فقتله . انظر الخزانة والعقد في (أيام العرب) والأغاني .

(١) النوب ، كذا وردت مهموزة في الأصل ، فيكون من همز المعتل . وفي اللسان :

« والنائب : النازلة ، وهي النوايب والنوب ، الأخيرة نادرة » .

كَلَّمْتُهُ فَمَا نَبَسَ ، أَى لَمْ يَتَكَلَّمْ بِحَرْفٍ ، وَمَا سَمِعْتُ لِقَوْلِ نَبَسَةٍ وَلَا زَجْمَةٍ .
 وَقَوْلُهُ « اسْتَبَّ » يَقْتَضِي اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا ، وَإِنَّمَا تَمَّ بِالْمَجْلِسِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَهْلُ
 الْمَجْلِسِ ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَأَقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَسَلِّ
 الْقُرْبَىٰ ^(١) ﴾ ، وَقَوْلِ الْعَرَبِ : بَنُو فُلَانٍ يَطْوُهُمُ الطَّرِيقَ .

٣١٦

وقال آخر :

- ١- لَقَدَّمَاتٍ بِالْبَيْضَاءِ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى فَتَى كَانَ زَيْنًا لِمَوَاكِبِ وَالشَّرْبِ
 - ٢- تَظَلُّ بَنَاتُ الْعَمِّ وَالْخَالِ حَوْلَهُ صَوَادِي لَا يَرَوْنَ بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
 - ٣- يَهْلِنَ عَلَيْهِ بِالْأَكْفِ مِنَ الثَّرَى وَمَا مِنْ قَلِيٍّ يُحْتَى عَلَيْهِ مِنَ التُّرْبِ
- الْحِمَى : اسْمٌ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ الْمَاءُ وَالْكَلَاءُ وَقَدْ دُفِعَ عَنْهُ النَّاسُ ^(٢) .
 وَيُقَالُ : أَحْمَيْتُ الْمَكَانَ ، إِذَا جَعَلْتَهُ حِمَىً . وَقَوْلُهُ « بِالْبَيْضَاءِ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى »
 تَوَقَّيْتُ لِلْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الْحَادِثَةُ ، وَذَلِكَ إِعْظَامُ نَخْطِهَا ، وَتَنْفِطِيعُ لِسَانِهَا .
 وَقَوْلُهُ « كَانَ زَيْنًا لِمَوَاكِبِ وَالشَّرْبِ » يَصِفُهُ بِالرِّيَّاسَةِ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَزِينُ
 الْمَوَاكِبَ خَلْفَهُ مِنْ حَيْثُ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ وَالتَّقْدِيمَ وَالِاتِّبَاعَ ؛ لَمْ يَرِثْ ذَلِكَ
 فِيهِمْ عَن كَلَالَةٍ ^(٣) ، فَهُوَ كَمَا قَالَ الْأَعَشَى :

(١) هذه قراءة ابن كثير والكسائي وخلف ، وذلك بنقل حركة الهمزة إلى السين ثم حذفها في أمر الخطاب إذا تقدمه واو أو فاء ، وسائر القراء بإثبات الهمزة في ذلك . فإن لم يتقدمه ذلك فالشكل متفقون على النقل نحو سل بنى إسرائيل ، وإن كان لغائب فالشكل بالهمزة نحو وليسألوا ما أنفقوا ، إلا حمزة وقفاً . تفسير أبي حيان (٣ : ٢٣٦) وإتحاف فضلاء البشر ١٨٩ .

(٢) عينه ياقوت في رسم (البيضاء) بأنه حمى الربذة ، قال : « والبيضاء : موضع بقرب حمى الربذة » ، وذلك حيث أنشد هذه الحماسية .
 (٣) الكلاله : كل ما لم يكن من النسب لحا .

* كُلُّ سَيْرَضَى بَانَ مُبْلَقَى لَهُ تَبَعًا (١) *

وقوله « والشرب » يريد أن من نادمه واختلط بأهل مجلسه زانه ذلك ولم يشنه ، لما سلم له من الاعتلاء والفضل ، والسابقة في الرياسة والطول .

وقوله « تظلُّ بنات العمِّ والخال حولَه صوادى » أراد أن غليلهنَّ وحمى أ كبادهنَّ لا يزول بالبارد العذب من الماء ، إذ لم يكن ذلك عن عيش ، ولكن كان لما احتاج في صدورهنَّ من بوارح التوجع ، ولواذع الغموم والتفجع ، حتى كويت أ كبادهنَّ بمواسمها ، واحتترقت أحشاؤهنَّ من لفح نواثرها .

وقوله « يهَلنَّ عليه بالأ كفف من الثرى » يريد أن النوايح لما هلنَّ التراب عليه لم يفعلن ذلك عن بُغض وإهانة ، ولكن إظهاراً لما أفضى إليه أحوالهنَّ من السقوط في التراب والاتزاق به ، ولما شملهنَّ من الصغار والابتدال بموته . ويقال : هلتُ الترابَ وغيره أهيله هَيْلاً . وفي الحديث : « أتَكِيلون أم تَهِيلون ؟ قالوا : نهيل . قال : فكِيلوا ولا تَهِيلوا (٢) » . وحمؤته أحشوه حمواً . والصوادى : العطاش ، والفعل منه صدى يصدى صدى .

٣١٧

وقالت جارية

ماتت أمها فأضرت بها رأبها (٣) :

١ - ولو يأتى رسولى أم سعدى
أتى أمى ومن يعنيه حاجى

- (١) كذا ورد نصه في جميع النسخ . واظر ما سبق من بيان الرواية فيه ص ١٢١ .
(٢) نصه في اللسان (هيل) : « وفي الحديث : أن قوما شكوا إليه سرعة فناء طعامهم ، فقالوا : أتكيلون أم تهيلون ؟ فقالوا : نهيل . فقال : كيلوا ولا تهيلوا ؛ فإن البركة في السكيل . وذكر قبله : « الجوهري : هلت اللقيق في الجراب : صيبته من غير كيل » .
(٣) الرابة : امرأة الأب . التبريزى : « فأضرت بها امرأة أبيها » .

٢ - وَلَكِنْ قَدَأْتِي مَنْ بَيْنَ وُدِّي وَبَيْنَ فَوَادِهِ غَلَقُ الرَّتَّاجِ

٣ - وَمَنْ لَمْ يُؤْذِهِ أَلْمٌ بِرَأْسِي وَمَا الرَّثْمَانُ إِلَّا بِالنَّتَّاجِ

كانها لما ناكدها رأيتها، ولجّت في إهانتها والإضرار بها، راسلت أباهما
تطلعه على ما تقاسى منها، وتستمدّ التعصّب لها رجاء أن يزجرها، فلم تر من
عطفه عليها ما يرضيها، ولا من إنكاره فيها ما يردعها، فلما استمرت الحال
بها على طريقة واحدة اقتضتّها شاكية فقالت: لو وردت رسالتى على والدتى
ومن يهّمه أمرى لاقتضتّها الشفقة الاعتناء بشأني، وعطفتها الأمومة على
ما أفرحني من حاجي، ولكن قد وردت على من صرف وده عني، وحيل
بينه وبين الحنو على، فانسدت طرُق الأمل فيه، وأغلقت أبواب الخير من
جهته، فلا اهتزاز لمأربة، ولا انبعاث لدفع مضرّة، ولا توجع اشكوى تظهر،
ولا ترحم لبلى تذكر. وما ذلك إلا لأن علائق الوداد تستحكم بالنّجاج،
ومعاقد الإشفاق تتوثق بالولاد، فهذا انفصلت الأبوة عن الأمومة، وضعفت
الأسباب إلا عن الرّضاع والحضانة.

وقوله « وما الرّثمان إلا بالنّجاج » فيه بعض ما في المثل السائر، وهو « ابنك
من دمي عقبيك ». يريد من قمت عنه وقد ولدته. وفي المثل الآخر: « ابنك
ابن بوحك^(١) » أي الناشئ في باحة دارك. والباحة: عرصة الدار، وجمعها
بُوح. والرّثمان: العطف، يقال رثمته أرأمه رأماً ورثماناً، ثم يسعَى الولد رأماً،
وهو المرهوم. قال أبو ذؤيب:

كعوذِ العطفِ أخزى لها بمصدرِ الماءِ رأماً رذياً^(٢)

(١) الميداني: « يقال البوح النفس، فإن صح هذا فيجوز كسر الكافين وفتحهما. ويقال البوح الذكر، فعلى هذا لا يجوز الكسر. »
(٢) ديوان الهذليين (١: ٦٦).

٣١٨

وقالت أم الصريح الكندية :

- ١- هَوَتْ أُمَّهُمْ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ صُرِّعُوا بِجَيْشَانٍ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمًا^(١)
- ٢- أَبَوَا أَنْ يَفِرُّوا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ وَلَمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سَلْمًا^(٢)
- ٣- وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرَّوْا لَكَانُوا أَعِزَّةً وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا^(٣)
- قوله « هَوَتْ أُمَّهُمْ » أي هلكت . والمهواة والهواة والهاوية والأهوية والهؤلاء على فعالة بمعنى ، وهو ما بين أعلى الجبل أو البئر إلى المستقر . وفي القرآن : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ ، قيل هي اسم الجحيم ، أي هي مأواهم كما تُؤوى الأمُّ الولد ، وقيل هي من هَوَتْ أُمَّهُمْ ، وهذه اللفظة تُستعمل عند الداهية يُشرف عليها الإنسان أو يقع فيها ، وفيها معنى التعجب والاستفهام . على ذلك قوله : هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَايَا وَمَاذَا يُوَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يُؤُوبُ^(٤)
- وعلى الأوّل قول الآخر^(٥) :

* كُنْتَ كَمَنْ نَهَوَى بِهِ الْهَآوِيَةَ^(٦) *

وقيل : هَوَتْ أُمَّهُمْ ، معناه أمُّ رؤوسهم هاوية في الهوة أو في النار .
وتلخيص البيت : هَوَتْ أُمَّهُمْ أي شيء تصرّم بهم من أسباب المجد يوم صُرِّعُوا

(١) جيشان : مخلاف باليمن . وقد أشد هذه الأبيات ياقوت في رسمه

(٢) ياقوت : « في صدورهم » .

(٣) التبريزي : « فلو أنهم » .

(٤) البيت لكعب بن سعد الغنوي في اللسان (هوا) وأمالى الغالى (٢ : ١٥٠) ،

والخزاعة (٤ : ٣٧٣ - ٣٧٥) .

(٥) هو عمرو بن ملقط الطائي . اللسان (هوا) .

(٦) صدره : * يا عمرو لو نالتك أرماحنا *

بجيشان ، وهو علم البقعة^(١) اتفقت الوقعة بهم فيها . وماذا إن شئت جعلت ما اسماً مبتدأً وذا خبره ، وإن شئت جعلت ما مع ذا اسماً واحداً ويكون مبتدأً وتصرّم في موضع خبره . وهذا الكلام مخرجه على الاستفطاع والتعجب .

وقوله « أبوا أن يفرّوا » يصف ثباتهم في وجه البلاء ، وصبرهم على الطعان والوقاع . والواو من قوله « والقنا في نحورهم » واو الحال ، أى امتنعوا من الإحجام والنكوص فلم يطلبوا وجه المهزّب ، ولا سلكوا طرق المخلص ، مع الإمكان والتمكّن ، وتمهد المأذرة عند الناس فيما يأتونه والتنصّل ، ومع العلم باستظهار الأعداء عليهم ، وقعود العجز عن الوفاء بهم .

ثم قال « ولو أنهم فرّوا لكانوا أعزّة » أى لو تأخروا وكفوا لما لحقهم ذلّ فيه ولا غضاضة ، ولا تسلط على عزهم نقيصة وحقارة ، ولكن وجدوا الصبر على الموت ، والاستقتال بعد اللقاء أكرم فى الأحداث ، وأنفى للعار والمذمة .

٣١٩

وقال الحسين بن مطير^(٢) :

- ١ - أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَبْرِهِ سَقَتِكَ الْغَوَادِي سَرَبَعًا ثُمَّ سَرَبَعًا^(٣)
- ٢ - فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتِ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتِ لِلسَّاحَةِ مَضْجَعًا^(٤)

(١) ل : « علم لبقعة » .

(٢) هو الحسين بن مطير بن مكل ، مولى لبني أسد بن خزيمه ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وهو من مخضرمي الدولتين ، شاعر مقدم فى القصيد والرجز فصيح ، قد مدح بنى أمية وبنى العباس ، وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية . الأغاني (١٤ : ١١٠ - ١١٤) والحزاة (٢ : ٤٨٥ - ٤٨٨) . وعند ابن النديم ٢٣٠ أن شعره نحو مائة ورقة . والأبيات فى الأغاني والحزاة والقالى (١ : ٢٧٥) .

(٣) الأغاني والحزاة : « أَلِمَّا بمعن ثم قولاً لقبه » .

(٤) الأغاني والحزاة : « كنت أول حفرة » .

يخاطب صاحِبَيْن له ، يسألها زيارة قبرِ معن وإبلاغه عنه أنه مقيمٌ على ما هو
 دأبه ووُكده من طلب الشُّقيا له ، فواصلَ اللهُ ذلك لك من السُّحْب التي تنشأ
 غُدوةً ، ربيعاً^(١) بعد ربيع . والمعنى : دامت النَّضارة والطَّراوة . وإنما خصَّ
 الغوادى لأنَّ المرادَ حصوله له غداةَ كلِّ يوم . وقوله « مَرَبَعًا » يجوز أن
 يكون ظرفاً ، ويكون أن يكون مفعولاً ، ويكون المربع والربيع المطرَ نفسه .
 قال الخليل : وقد يسمَّى الوسميُّ ربيعاً . ويكون المعنى : سَقَّتْكَ مطراً الغوادى
 بعد مطر . ويجوز أن يكون مصدرًا من قولهم رُبِعَت الأرضُ ، إذا أصابها
 الرِّبيع ، فكأنه قال : رَبَعَتْكَ الغوادى مَرَبَعًا بعد مَرَبَعٍ ، أى سَقَّتْكَ
 الغرادى سقيًا بعد سقى .

وقوله :

* فيا قبر معن أنت أولُ حفرةٍ *

يحمل وجهين : أحدهما أن يكون مثل قول الآخر^(٢) :

كَانَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النُّوَامِحُ
 ويكون الكلام تفضيلاً للحال ، وتنبيهاً على أن ما وقع لم تجرِ العادةُ بمثله ،
 فهو مُستبدِعٌ لِعِظَمِ موقعه في النفوس ، حتى كأنه لم يُرَ قبرٌ قبله دُفِن فيه كريم .
 والآخر أن يكون المعنى : أنت أولُ حفرةٍ استُحْدِثَتْ لِتُوَارَى فيها السَّماحةُ
 والسَّخاءُ والمروءة ، فتصيرُ مضجعاً لها ، ويكون المعنى أن السَّماحة ماتت بموتِ
 معنٍ ودفنتُ بدفنه ، وأنت أولُ حُطَّةٍ اخْتُطَّتْ لِلسَّماحةِ نَفْسِهَا . وقوله « مضجعاً »
 انتصبَ على الحال .

(١) ل : « وريعا » .

(٢) هو أشجع السلمي . الحماضية ٢٨٠ ص ٨٥٩ .

٣- ويا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَاَرَيْتَ جُودَهُ وقد كان منه البرُّ والبَحْرُ مُتْرَعًا
٤- بَلَى قَدِ وَسِعَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيَّتٌ ولو كان حَيًّا ضِغْتِ حَتَّى تَصَدَّعَا
كَرَّرَ مَنَادَةَ الْقَبْرِ تَوْجَعًا وَتَحْسُرًا ، ثم أخذ يتعجَّب ويقول مُنْكَرًا :
كَيْفَ سَتَرْتَ جُودَهُ ، وقد كان مِثْلًا للبرِّ والبحر معًا . وفي طريقته
قولُ الآخر (١) :

نَجْبًا لِأَرْبَعِ أَذْرُوعٍ فِي خَمْسَةٍ فِي جُوفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرٌ
فإن قيل : لم قال مُتْرَعًا فَوَحَّدَ والإخبار عن البرِّ والبحر جميعاً ؟ قلت :
يجوز أن يكون إنما وَحَّدَ لِأَنَّهُ نَوَى التَّقْدِيمَ والتَّأخِيرَ ، كأنه قال : وقد كان منه
البرُّ مُتْرَعًا والبحر ، أَى والبحر أيضاً مُتْرَعٌ ، فيرتفع البحرُ بالابتداء ، واكتفى
بالإخبار عن الأول إذ كان المعطوف كالمعطوف عليه . ومثله :

* فَإِنِّي وَقِيَّارًا لَغَرِيبٍ (٢) *

يريد : إني لغريبٌ بها وقياراً أيضاً غريب ، وهو اسم فرسه . ويجوز أن
يكون لما علم أن المعطوف حكمه حكم المعطوف عليه اكتفى بالإخبار عن
أحدهما ، ثِقَةً بأنَّ الثَّانِي عُلِمَ أَنَّهُ فِي حَكْمِهِ . ومثله :

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئًا وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي (٣)

وقوله :

(١) هو عبد الله بن أيوب التيمي . الحماسية ٣٢٧ .

(٢) لضابي بن الحارث البرجمي . الخزانة (٤ : ٣٢٣) والإنيصاف ٦٥ وسيبويه (١) :

(٣٨) ونوادر أبي زيد ٢٠ والكامل ١٨١ ليسك والشعراء ٣١١ . وصدرة :

* فمن يك أمسى بالمدينة رحله *

(٣) البيت لابن أحر ، وقيل للأزرق بن طرفة بن العمرد الفراسي ، كما في اللسان

(جول) . ويروى : « ومن جول الطوي » ، كما في شرح التبريزي واللسان والمقاييس

(جول) ، ورواية المرزوقي هنا هي الصحيحة ، قال ابن بري : لأن الشاعر كان بينه وبين

خصمه حكومة في بئر ، فقال خصمه إنه لص ابن لص ، فقال هذا الشعر . وبعد البيت :

دعاني لصا في لصوص وما دعا بها والدي فيما مضى رجلا

* بَلِيَّ قَدْ وَسَعَتْ الْجُودَ وَالْجُودَ مِيت *

بلى جوابُ استفهامٍ مقرونٍ بِنفى نحو قولك أَلَمْ ، أليس ، وما أشبههما .
وهذا الشاعر لما قال متعجباً من مخاطبة القبر ومُنكرًا : كيف وارىتَ جودَه على
كثرتِه ووفورِه ، وشمولِه لأقطار البرِّ والبحر ، صار بما اعتبر وشاهد من الحال كأنَّ
القبرَ قال له : ألم أَسَعُهُ ، ألم أوارِه ، ألم أتضمَّنَه على ما به ؟ فقال مصدِّقًا له ،
ومتلهفًا : بلى قد وسعته واشتملتَ عليه وهو ميت ، ولو كان حيًّا لَضِقَّتْ عنه
حتى تنقطع وتنشق^(١) ، والصَّدع : الشَّقُّ في الشيء الصُّلب . وصدعتُ الفلاةَ
والنهرَ : قَطَعْتُهما .

٥- فَنِي عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كما كان بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
٦- وَلِما مَضَى مَعْنُ مَضَى الْجُودُ فَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنِينُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا^(٢)

قوله « فَنِي عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ » موضعه نصبٌ على المدح والاختصاص ،
والعامل فيه فعلٌ مضمرٌ ، كأنه قال : أذْ كُرُّ فَنِي هَذَا صِفْتُهُ . ويجوز أن يكون
موضعه رفعًا على الاستئناف ، ويكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو فَنِي ،
أَوْ مَنْ أَوْبُنُهُ فَنِي ، وقوله « عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ » يجوز أن يكون أراد
مَنْ اسْتَفْنَى بِهِ وَبِمَعْرُوفِهِ مِنَ الْمُتَّصِلِينَ بِهِ ، وَالْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، وَالرَّاجِعِينَ لَهُ . ويجوز
أن يكون أراد من عاش من وقوفه وحبائسه بعده ، ويجوز أن يريد أنه علمَ
النَّاسَ الْجُودَ وَالْكَرَمَ ، فَمِنْ مُقْتَدٍ بِهِ آخِذٍ أَخَذَهُ ، وَمُسْتَنٍّ بِسُنَّتِهِ سَلَكَ مَسْلَكَهُ ،
فما يفعله هؤلاء صار كأنه هو الفاعل له . ثمَّ شَبَّهَهُ بِالغَيْثِ بِصُوبٍ فَيُجِئِي الْعِبَادَ ثُمَّ

(١) ل : « وتنشق » .

(٢) وكذا رواية التبريزي . وفي أمالي القالي (١ : ٢٧٥) : « وانقضى » . وروى

موضعه في الأغاني والحزانة :

أبي ذُكَيْرٍ مَعْنُ أَنْ تَمُوتَ فَعَالَهُ وَإِنْ كَانَ قَد لَاقَى حَامًا وَمَصْرَعًا

يعيشُ النَّاسُ فِي آثَارِهِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ وَمُضِيِّهِ . وَقَوْلُهُ « كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ »
ارْتَفَعَ مَجْرَاهُ بِكَانَ ، وَكَانَ الْحُكْمُ أَنْ يَلِيَهُ فَلَمْ يَسْغُ لِأَنَّ الضَّمِيرَ فِيهِ يَرْجِعُ إِلَى
السَّيْلِ وَقَدْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَالإِضْمَارُ قَبْلَ الذِّكْرِ أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ لَا يَجُوزُ ، فَامْتَنَعَ
رُدُّهُ إِلَى رَتْبَتِهِ مِنْ وَلِيِّ الْعَامِلِ لَهُ ، لِشَيْءٍ يَرْجِعُ إِلَى الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِهِ لَا لِشَيْءٍ
يَرْجِعُ إِلَيْهِ . وَتَلْخِيصُ الْكَلَامِ : كَمَا كَانَ يَجْرِي السَّيْلُ مَرْتَعًا بَعْدَهُ .

وَقَوْلُهُ « وَلَمَّا مَضَى مَعْنَى » لَمَّا يَجِيءُ لَوْقُوعِ الشَّيْءِ لَوْقُوعَ غَيْرِهِ ، وَهُوَ عَلَمٌ
لِلظَّرْفِ . فَيَقُولُ : حِينَ مَضَى مَعْنَى لِسَبِيلِهِ وَانْقَطَعَتْ حَيَاتُهُ ، فَقَدْ الْجُودُ وَانْمَحَتْ
آثَارُهُ ، فَأَصْبَحَتْ الْمَكَارِمُ ذَلِيلَةً إِذْ مَاتَ مِنْ يَرُبُّهَا وَيَعْمُرُهَا ، كَمَنْ جُدِعَ أَنْفُهُ
مُثَلَّةً وَعَقْرِبَةً ، وَإِرْغَامًا وَإِهَانَةً . وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ : « مَنِ أَنْفَى وَإِنْ كَانَ أَجْدَعَ » .
وَالْعَرَبِيُّنَ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَنْفِ وَالْأَرْضِ ، وَأَوَائِلُ الشَّيْءِ ، وَأَشْرَافُ الْقَوْمِ
وَسَادَتُهُمْ . وَكَأَمْ ضُرِبَ الْمَثَلُ بِجُدْعِ الْأَنْفِ فِي الْإِذْلَالِ ، ضُرِبَ بِصَلْمِ الْأُذُنِ فِيهِ
لِذَلِكَ . قَالَ :

﴿ فَمَشُوا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمُصَلِّمِ ^(١) ﴾

٣٢٠

وقال آخر :

١ - مَاذَا أَجَالَ وَتِيرَةً بِنِ سِمَاكِ مِنْ دَمْعٍ بَاكِيَةٍ عَلَيْهِ وَبَاكِ ^(٢)

٢ - ذَهَبَ الَّذِي كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِهِ حَدَقُ الْعُنَاةِ وَأَنْفُسُ الْهَلَاكِ

(١) لكبشة أخت عمرو بن معديكرب في الحماسية ٥٢ ص ٢١٨ . وصدرة :

* فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَّأْرُوا وَاتَدَيْتُمْ *

(٢) التبريزي : « قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ يَرُوى : وَتِيرَةً بِالْثَاءِ وَيَرُوى : وَتِيرَةً »

وَيَرُوى وَبِيرَةً وَمَزِيرَةً ، وَيَرُوى : أَحَالَ ، وَأَجَالَ ، وَأَسَالَ . فَأَجَالَ مِنْ جَوْلَانِ الدَّمْعِ ،

وَأَحَالَ بِالْحَاءِ : صَبَّ . وَرَوَايَةُ الْقَالِي (١ : ٢٧٦) : « مَاذَا أَحَالَ وَتِيرَةً » .

يقول على وجه التعجب وإكبار الأمر : أي دمع أراقه وتيرة بن سمالك من عين باكية عليه وبالك . يريد أن المصيبة به أثرت في جماهير الناس وطوائف الخلق ، وأهمهم لم يملكوا فيما دهمهم إلا البكاء إطفاءً لنار الوجد ، وإراحةً من تعب القلب^(١) ، وماذا يُغني العويل ، وهو الراحة المطلوبة من البكاء إذا حقت الحقيقة ، إلا زيادة في اللوعة وإنجاد المصيبة . وقد تقدم القول في ماذا ، وشرحنا أمره^(٢)

وقوله : « ذهب الذي كانت معلقة به . » يريد أنه كان يفك الأسراء ، ويُنعش الفقراء ، حتى كأن من ابتلي بأسرٍ ، أُرْمِيَ بفقر ، فإنه لم يُعد لفكهِ ولم يُرجَ لجره غيره ، فأعينهم كانت ممتدة إليه ، وآمالهم كانت معلقة به ، وإذا قد مضى لسبيله ، وانتقل إلى جوارٍ من هرٍ أحقَّ به ، فقد استبدلوا بالطمع خيبةً ، ومن التعزز ذلةً ، وبقوا في ملكةٍ يحجزهم لا انفكك لهم منها ، ولا ارتياش^(٣) من سقطاتها .

٣٢١

وقال أشجع بن عمرو السلمي^(٤) :

١ - أنعى فتى الجودِ إلى الجودِ ما مثلُ من أنعى بوجودِ

(١) ل : « القلوب » .

(٢) انظر ما سبق في الحماسية ٢٧٠ ص ٨١١ و ٣١٨ ص ٩٣٤ .

(٣) كذا وردت في النسختين . يقال ارتياش : حسنت حاله . والوجه « انتياش » .

والانتياش الاستنقاذ والاستدراك .

(٤) زاد التبريزي : « في محمد بن منصور بن زياد » . ونسبة الشعر إلى أشجع هي

كذلك في الشعر والشعراء ٨٥٩ وقد رواها ابن قتيبة سبعة أبيات . لكن الجاحظ في البيان

(٣ : ١٢٣) بتحقيقنا قد نسبه إلى أبي الشيبان . وترجمة أشجع مضت في الحماسية ٢٨٠

٢ - أَنَعَى فَتَى مَصَّ الثَّرَى بَعْدَهُ بِقِيَّةِ الْمَاءِ مِنَ الْمُدِّ (١)

قوله « أنعى فتى الجود » إنما أضافه إلى الجود إيداناً بأن الجود كان يمتلكه فهو فتاه . أو يريد أن الجود كان يتبجح بكون هذا الرجل من أسرته وأصحابه ، لأنه كان يتفتى في الجود ؛ وهذا كما يقال : فلان فتى الحرب ، وكما قيل : « لا فتى إلا على في الوغى » . فيقول : إنه الآن وقد مضى لسبيله فأنى أنعاه إليه ، لنتشارك في فقدته والجزع عليه . ثم قال : « ما مثل من أنعى بموجود » ، وهذا يشبه الانتفات ، كأنه أقبل على إنسان فقال : أذكر موت من كان معدوم النظير ، قليل الشبيه ، فلا الجود يجد من يخلقه ويعلى ذكره ، ويقوم بأوده فيقيمهُ فيقال هو فتى الجود ، ولا نحن نعتاض منه من يجمع شملنا ، ويجبر كسرنا ، ويسد مفارقنا إذا أضر الزمان بنا .

وقوله « أنعى فتى مَصَّ الثرى بعده » ، يريد : تغيرت الأرض عما كانت عليه ، فبيست أشجارها واغبرت ساحاتها (٢) بموت هذا المرنى ، فالدنيا مُدبرة ، والأقطار مُقشعرة ، والبؤس للبتيس مُعانيق ، والخير بتوابعه من الندى والتطوُّل والخضب والترطب مُفارق .

(١) أنشد بعده التبريزي ، وكذا أنشد ابن جنى البيت الأول من البيتين التاليين :

وانلَمَّ المجدُ بهِ ثُلْمَةً جانِبُها ليس بمسودودِ
فالآن تُخشى عَثَرَاتُ الندى وصَوْلَةُ البُخْلِ على الجودِ

(٢) كذا في ل . وفي الأصل : « ساحتها » .

٣٢٢

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي^(١) :

١ — رَمَى الحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارٍ سَمَدْنٍ لَهُ سُودَا^(٢)

٢ — فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ الشُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البِيضَ سُودَا^(٣)

السُّود : الغفلة عن الشيء ، وذهاب القلب عنه . ويقال للمأخوذ عن الشيء :

أترك سُمودك . وفي القرآن : ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ ، أي ساهون لاهون . وقوله

« رَمَى الحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارٍ » فيه ما يجري مجرى القلب ، لأنه

لو قال رمى المقدار نسوة آل حربٍ بمقدارٍ ، لكان أقرب في المعتاد ، وأجرى

على طريق الدّين . فيقول : جرّ المقاديرُ على نسوة آل حربٍ نوبةً من نواب

الدهرِ أثرتُ في عقولهنَّ ، حتى غفلن عن أسباب الدّين والدُّنيا كلّها ، وحتى

(١) هو عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة ، يفتنى نسبه إلى أسد بن خزيمعة ، والزبير هذا بفتح الزاي وكسر الموحدة . وهو شاعر كوفي المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصب لهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة آتى به أسيراً فن عليه ووصله ، فدحه وأكثر من مدحه وانقطع إليه ، ولم يزل معه حتى قتل مصعب ، وعمى هو بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك . الأغاني (١٣ : ٣١ — ٤٧) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٠٨ — ١١٠) والخزاعة (١ : ٢٤٥ — ٢٤٦) . ولم يذكره الصفدي في نكت الهميان .

(٢) نسبت الأبيات في زهر الآداب (٢ : ٧) إلى ابن الزبير أيضاً . وفي عيون الأخبار (٣ : ٦٧) إلى فضالة بن شريك ، وفي أمالي القالي (٣ : ١١٥) إلى السكيت بن معروف . وانظر اللسان (سمد) والأضداد لابن الأنباري ٣٦ . ورواية ثعلب : « آل صخر » . وفي اللسان : « بأضر قد سمدن » . وفي عيون الأخبار : « بفادحة سمدن » .

(٣) روى بعدها التبريزي :

فإنك لو رأيت بكاء هنيئاً ورملة إذ تصكّان الخدودا

سمعت بكاء باكية وبالك أبان الدهرُ واحداً اللقيدا

شَيْبَتَهُنَّ وَلَفَحَتَ وَجُوهَهُنَّ^(١) ، فَرَدَّتِ السُّودَ مِنْ شَعُورِهِنَّ بَيْضًا ، وَالْبَيْضَ مِنْ وَجُوهَهُنَّ سُودًا .

وهذا كما حُكِيَ عن العُريَانِ بنِ الهَيْثِمِ^(٢) ، لما سَأَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : « اَبْيَضٌ مِنِّي مَا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يَسُودَ ، وَاسْوَدَّ مِنِّي مَا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يَبْيُضَّ » فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ . ثُمَّ قَالَ :

وَكُنْتُ شَبَابِي أَبْيَضَ اللَّوْنِ زَاهِرًا فَصَرْتُ بُعَيْدَ الشَّيْبِ أَسْوَدَ حَالِكًا

٣٢٣

وَقَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ^(٣) وَمَاتَتْ امْرَأَتُهُ :

- ١- حَنِينٌ وَيَأْسٌ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ مَقِيلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ مُخْتَلِفَانِ
 - ٢- غَدَتُ وَالثَّرَى أَوْلَى بِهَا مِنْ وَلِيِّهَا إِلَى مَنْزِلِ نَاءِ لِعَيْنِكَ دَانَ
 - ٣- فَلَا وَجَدَ حَتَّى تَنْزِفَ الْعَيْنُ مَاءَهَا وَتَعْتَرِفَ الْأَحْشَاءُ لِلْخَفَقَانِ
- هَذَا الْكَلَامُ شَكْرٌ مِنْ حَالِهِ فِيمَنْ أُصِيبَ بِهِ ، فَيَقُولُ : الْيَأْسُ حَاصِلٌ مِنْهَا إِذْ كَانَ غَائِبُ الْمَوْتِ لَا إِيَابَ لَهُ ، وَالشَّقْوَ إِلَيْهَا غَالِبٌ حَتَّى كَأَنِّي مَا فَقَدْتُهَا ؛

(١) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي سَقَطُ التَّيْمُورِيَّةِ الَّتِي بَدَأَ فِي ص ٩٠٦ .

(٢) وَكَذَلِكَ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٣٢١) . وَفِي الْبَيَانِ (١ : ٣٩٩ / ٢ : ٦٩)

أَنَّهُ « الْهَيْثِمُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْعُرْيَانِ » .

(٣) مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ ، الْمَقْبُوبُ صَرِيحُ الْغَوَانِي ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، مَوْلِدُهُ وَمَنْشُؤُهُ بِالْكَوْفَةِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَشَاعَ الْبَدِيعَ فِي شِعْرِهِ ، وَتَبِعَهُ فِي ذَلِكَ أَبُو تَمَّامٍ . وَكَانَ مُسْلِمٌ مَدَامًا جَلَّ مَدَامِحَهُ فِي يَزِيدِ بْنِ مَزِيدٍ ، وَدَاوُدَ بْنِ يَزِيدٍ ، وَالْبَرَاءَةَ ، وَصَافَا لِلشَّرَابِ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الرِّوَاةِ يَقْرَنُهُ بِأَبِي نَوَاسٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى . قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : وَلى بَرِيدٌ جَرَجَانَ فِي خِلَافَةِ الْمَأْمُونِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ . الشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٨٠٨ — ٨١٩ وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ (٢ : ١٠ — ١٥) وَتَارِيخُ بَغْدَادَ (١٣ : ٩٦ — ٩٨) وَمُلْحَقُ الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنَ الْأَغَانِي الْمَطْبُوعِ مَعَ دِيْوَانِهِ فِي لَيْدِنِ ١٨٧٥ .

فيا عجباً كيف اجتمع مع اليأس رجاء مع اختلاف مقرّهما في القلب ، ومع تنافيهما عند التحصيل والكشف ، وهل يكون الإنسان فيما اعتيدَ وعُرِف من أحوال الأزمان مُبتلى بأسباب الخيبة من الشيء ، ومتردداً معها بين علائق الطمع فيه . والمقيلُ : الموضع من قلت . وفي القرآن : ﴿ أصحابُ الجنةِ يومئذٍ خيرٌ مستقرّاً وأحسنُ مقيلاً ﴾ .

وقوله « غَدَتُ والثرى أولى بها من وليّها » تحشّر ، فيقول : ابتكرتُ وهى فى مَلَكة التراب دون مَلَكة وليّها ، فالثرى صار أولى بها ، والانتقالُ من بين الأحياء إلى الأموات أحقُّ وأوجبُ فى أمرها . وقوله « إلى منزلٍ ناء لعينك دانٍ » مثلُ قول الآخر^(١) :

... أَمَا جِي—وَأَرْهَمُ فِدَانٍ وَأَمَا الْمَلْتَقَى فَبَعِيدُ^(٢)

وقد ألمّ فى قوله « غَدَتُ والثرى أولى بها » بقول الآخر^(٣) :

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْكَ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لَا يَلَأْمُكَ الْمَكَانُ الْبَلْقَعُ

وقوله « فلا وجدَ حتى تنزفَ العينُ ماءها » يريد به : لا وجد يُعقّدُ به

إذا ذُكِرَ الملع على مثله حتى تستنفدَ العينُ دمعها ، لاتصال البكاء بها ، وحتى

تستمرّ الأحشاء فى خفقان القلب فبذلّ له وتصبرَ عليه ، حتى يصير عادةً وسجيةً .

ويقال : عَرَفَ فلانٌ لكذا واعترفَ له ، إذا صَبَرَ فيه واعتاده . على ذلك قوله :

* على عارفاتٍ للقاء عوايس^(٤) *

ويقال نَزَفَتُ البئرَ وأنزَفْتُها جميعاً . قال العجاج :

(١) هو عبد الله بن ثعلبة الحنفي ، فى الحماسية ٢٩٧ ص ١٩١ .

(٢) أوله : « هم جيرة الأحياء » .

(٣) هو مويلىك الزموم ، فى الحماسية ٣٠٥ ص ٩٠٣ .

(٤) للنابعة فى ديوانه ٥ . وعجزه :

* بهن كلوم بين دام وجالب *

* وَأَنْزَفُ الْعَبْرَةَ مِنْ لَاقِي الْعَبْرِ *

وفي المثل « أَجَبْنُ مِنَ الْمَنْزُوفِ ضَرْطًا » .

وقوله « لَا وَجْدَ » خبره محذوف ، كأنه قال : لا وجد حاصلٌ أو موجود .
والخفقانُ في القلبِ والجناحِ : الاضطراب ، ومنه خَفَقُ البُنُودِ والأعلام ، حتى
سُمِّي الأعلامُ خوافِقَ . قال :

لقد تركتُ عفراءَ قلبي كأنَّه جَنَاحُ عُقَابٍ دَائِمُ الْخَفْقَانِ^(١)

٣٢٤

وقال مُسْلِمٌ أَيضًا^(٢) :

١- قَبْرٌ بِحُلُوانِ اسْتَسْرَّ ضَرِيحُهُ خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ

٢- نَفِضَتْ بِكَ الْأَحْلَاسُ نَفِضَ إِقَامَةٍ وَاسْتَرْجَعَتْ نِزَاعَهَا الْأَمْصَارُ

قوله « استسرَّ » بمعنى أسرَّ ، ومثله استعجب بمعنى عجب . وأكثر ما ترى
استسرَّ يكون في معنى استخفى وتوارى . على ذلك قولهم في آخر الشهر استسرَّ
القمرُ ليلةً أو ليلتين ، فهو من السَّرَّار ، وهو آخرُ يومٍ في الشهر . والخطرُ :
ارتفاع المكانةِ والحالِ في الشرفِ ، ثم يقال في الشريفِ : هو عظيم الخطر .
والضريحُ ، أصله القبرُ يُشَقُّ وسطُهُ ولا يُلحَد . وارتفع « قبر » بالابتداء لأنه
بصفته وهو بحلوانِ قَرُبَ من المعارف ؛ واستترَّ في موضع الخبر . والمعنى : قبر
بهذا المكان اشتملَ جوفهُ على عظيمٍ من العظامِ ، رفيع المكانةِ جليل الخطرِ ،
يتقاصر عنه كلُّ عظيمٍ جليل . وقوله « خطرًا » أراد ذا خطر ، فحذف المضاف ،

(١) البيت لعروة بن حزام في ديوانه مخطوطة الشنقيطين ، وأمالى القالي (٣ : ١٦٢) .

(٢) يقولها في رثاء يزيد بن يزيد . ديوان مسلم ٢٣٨ والبيان (٣ : ١٤١ ، ٢٦٠) .

وأمالى القالي (١ : ٢٧٦) .

وكذلك الأخطار ، أراد ذَوُّو الأخطار . وقوله « تقاصرُ » يجوز أن يكون من القصور : العجز ، أى تعجزُ أن تبلغ محله الأخطار . ويجوز أن يكون ضدَّ تطاول فيكون من القصر .

وقوله « نُفِضت بك الأَحْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ » يريد أن العُفَاة فَعَدُوا عن الاجتداء بعد موتك يَأْسًا من يُطْمَع فيه ، أو يُرْجَى خيره ، فنَفَضُوا أَحْلَاسَ رَوَاحِلِهِمْ نَفْضَ مَنْ يقيم في بلاده ويطرح الترحال . وقوله « استرجعتُ نَزَاعَهَا الأَمْصَارُ » معناه أن مَنْ كان على بابه انصرفوا إلى أوطانهم نافضين أيديهم مَنْ يَتَعَطَّفُ عليهم ، أو يصطنعهم وينظر لهم ، فكأنهم كانوا ودائع الأَمْصَارِ عنده مُدَّةً مُقَامِهِمْ ببابه فارتجعتهم . والنزاع : جمع نازع ، وهو البعيد والغريب جميعا ، وكذلك النزيع والجميع النزاع . ويجوز أن يكون من نَزَعْتُ إليه نِزَاعًا ، أى حَنَنْتُ . فيقول : المقيمُ في موضعه رَفَضَ التَّرحَالَ ، والمسافر عاد إلى مَقَرِّهِ يَأْسًا من كَسْبِ المَالِ .

٣- فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مَرْزَنَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ
٤- سَلَكَتْ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعَلَى حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ حَارُوا

يقول : اذهب لوجهك والآؤك منشورة ، وصنائعك محمودة مشكورة ، وآثارك كأثار السحب وقد أغاثت الناس بمطارها ، فإذا أقلعت ترى أهل السهل والوعى يثنون عليها . والغوادي : السحابات التي تنشأ غدوةً ، وكأنه أراد أقطاعًا منها ، وأضافها إلى المرزنة لأنها منها تجمعت فكلمات مرزنة . ويجوز أن يكون المراد بالغوادي أمطارًا تصوب غدوةً ، وأضافها إلى المرزنة .

وقوله « سَلَكَتْ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعَلَى » يريد أنك هادي العرب ودليلهم في اكتساب المعالي وابتغاء المكارم ، فأنت قائدهم وهم يطؤون عقبك ،

وَيَقْتَدُونَ بِكَ ، حَتَّى إِذَا فَقَدُوا إِرْشَادَكَ تَحَيَّرُوا فَلَمْ يَهْتَدُوا ، وَضَلُّوا فَلَمْ يَرْشُدُوا .
 وَمَعْنَى « سَبَقَ الرَّدَى بِكَ » كَأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَشَبَّهُونَ بِهِ وَيَلْزَمُونَهُ حَافِظِينَ بِقَاءَهُ
 فِجَاءَ الرَّدَى يَطْلُبُهُ وَيَخْتَارُهُ ، فَانْتَهَزَ الْفُرْصَةَ فِي السَّبْقِ بِهِ وَاجْتَذَابَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ،
 وَالْفُوزُ بِهِ مِنْ دُونِهِمْ . وَمَفْعُولُ سَبَقَ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ سَبَقَهُمُ الرَّدَى ^(١) بِكَ .

٣٢٥

وَقَالَ حَنْشٌ ^(٢) فِي يَعْقُوبَ بْنِ دَاوُدَ :

١ - يَعْقُوبُ لَا تَبْعُدْ وَجُنِّبْتَ الرَّدَى فَلَنْبَكِينَ زَمَانَكَ الرَّطْبَ الثَّرَى

٢ - وَلَئِنْ تَعَهَّدَكَ الْبَلَاءُ بِنَفْسِهِ فَلَقِيَّتُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لَيُنْتَلَى

لَمْ يَرْضَ بِالْجُرِيِّ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي قَوْلِهِمْ عِنْدَ الْمَصَابِ : لَا تَبْعُدْ ، حَتَّى زَادَ
 عَلَيْهِ « وَجُنِّبْتَ الرَّدَى » لِيَكُونَ الْكَلَامُ أَدْلَّ عَلَى التَّوَجُّعِ ، وَأَوْفَى بِالتَّنْبِيهِ عَلَى
 حَاجَةِ النَّاسِ إِلَى بَقَاءِ التَّوْفَى . وَقَوْلُهُ « فَلَنْبَكِينَ زَمَانَكَ الرَّطْبَ الثَّرَى » يُشِيرُ
 فِيهِ إِلَى إِحْسَانِهِ الضَّافِي ، وَمَعْرُوفِهِ الْوَاسِعِ الْوَافِي ، وَأَنَّهُ كَانَ لِلنَّاسِ كَالْحَيَا يُحْيِي
 الْأَرْضَ وَسُكَّانَهَا ، فَكَانَ ثَرَى الْأَرْضِ بِهِ رَطْبًا ، وَزَمَانُهُ خِصْبًا . وَفِيهِ
 إِمَامٌ بِقَوْلِهِ :

(١) هُنَا تَنْتَهَى النُّسخَةُ التِّيمُورِيَّةُ . وَتَسْتَمِرُّ الْمَقَابِلَةُ بَيْنَ نَسَخَتَيْنِ : الْأَصْلُ ، ل .

(٢) وَكَذَا فِي ل . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « أَبُو حَنْشٍ الْمَلَالِيُّ » ، وَهُوَ الصَّوَابُ . قَالَ

التَّبْرِيزِيُّ : « قَالَ أَبُو هَالَالٍ : قَالَ دَعْبَلُ : اسْمُهُ خَضِيرُ بْنُ قَيْسِ النَّمِيرِيِّ . بَصْرِيُّ ، كَانَ يَحْفَظُ
 الْقُرْآنَ ، وَعَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ ، وَصَحِبَ يَعْقُوبَ وَزَيْرَ الْمَهْدِيِّ ، فَلَمَّا حَبَسَهُ الْمَهْدِيُّ وَنَالَ مِنْهُ مَا نَالَ
 قَالَ . . . » . وَذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ ٢٣١ عِنْدَ ذِكْرِ دَوَاوِينَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ :
 « أَبُو حَنْشٍ النَّمِيرِيُّ ثَلَاثُونَ وَرَقَةً » . وَكَانَ كَمَا ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ فِي الْأَغَانِي (١٨ : ٧٤) عَلَى
 صَلَاةِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ ، قَالَ لَهُ يَوْمًا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ : قُلْ أَيْبَاتًا قَافِيَّتَهَا عَلَى هَاءٍ مِنْ . فَقَالَ أَيْبَاتًا مِنْهَا :

أَبْلَغُ حَضِيرًا عَنِ أَبِي حَنْشٍ عَائِرَةٌ نَحْوُهُ أَوْجِهَهَا

وَرَدَّتْ حَضِيرًا فِي الْأَغَانِي بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ . وَمَا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ أَنَّ الْأَيْبَاتَ لَيْسَتْ رِثَاءً فِي مِيتٍ ، بَلْ
 هِيَ رِثَاءٌ لِحَى ، كَمَا سَبَقَ نَظِيرُهُ فِي الْحَمَاسِيَّةِ ٣١٤ ص ٩٢٧ .

* اذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُرُونَةَ ^(١) *

وقوله « ولئن تَهَدَّكَ البلاءُ بنفسه » أفاد قوله « بنفسه » إكبارَ الأمرِ وتفطيعَ الشَّانِ في موته وفقدانه ، كأنَّ البلاءَ لم يرضَ في الذَّهابِ به بأن يعتمدَ على نائبيه ورسوله ، بل جاءه بنفسه . وقوله « إنَّ الكَرِيمَ لِيَبْتَلِيَ » تَسْلِيَةٌ ^(٢) . ومعنى « تَهَدَّكَ » أي نَظَرَ هل أنتَ على ما عَهَدَكَ ليرى فيك رأيه . وفي الكلام إمامٌ بقول الآخر ^(٣) :

أرى الموتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المْتَشَدِّدِ
ويعنى بالبلاء الموتَ ، وقد يكون في غير هذا الموضع النعمة والاختبار .
ومنه قوله تعالى : ﴿ لِيَبْتَلِيَ اللهُ ﴾ ، أي يَمْتَحِنُ . وقوله « لئن » اللام موطئة
للقسم ، وهو مضمَر وجوابه « إنَّ الكَرِيمَ لِيَبْتَلِيَ » .

٣ - وأرى رجالاً يَنْهَسُونَكَ بَعْدَمَا أَغْنَيْتَهُمْ مِنْ فَاةٍ كُلِّ الغِنَى
٤ - لو أنَّ خَيْرَكَ كانَ شَرًّا كُلهُ عِنْدَ الَّذِينَ عَدَوْا عَلَيْكَ لَمَّا عَدَا
معنى ينهسونك يفتابونك ، وأصل النهس في العظم إذا عُرِقَ ما عليه من
اللحم . وانتصب « كُلِّ الغِنَى » على المصدر ، ووضع الغنى موضع الإغناء على
عادتهم في وضع الاسم موضع المصدر . والمعنى : أرى من أحسنتَ إليه وأنعشتَه ،
وبعد الفاقة أغنيتَه ، يتنقَّصك ويفتابك ، سوءَ محافظَةٍ منهم ، ولدناءةِ أصلهم
ولؤمِ عرقهم .

ثم قال : لو أنَّ خَيْرَكَ عندهم كانَ شَرًّا لَمَّا جاوزَ فعلهم بك ، ومكافأهم
لك ، ما نراه . ومعنى « عَدَوْا عَلَيْكَ » ظلموك . ومعنى « لَمَّا جاوزَ »

(١) من الحماسية ٣٢٤ لمسلم بن الوليد . والنص هناك : « فاذهب » . وعجزه :

* أئني عليها السهل والأوعار *

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « يسليه » .

(٣) هو طرفة بن العبد ، في معاقته .

ويقال عدا عليه عَدُوا وَعُدُوا وَعَدَاءٌ وَعِدْوَانَا . وارتفع « كُله » على التوكيد للمضمر في كان ، ويجوز أن يكون اسم كان . وفي قوله « لَمَا عدا » ضمير للشر ، ومفعوله محذوف ، كأنه قال : لَمَا جاوز الشرُّ ، أى جزاء الشرِّ ، ما يأتونه في نقيصتك والوضع منك . والكلام تحسُّرٌ وتَشَكُّبٌ من متحملي صنائع المفقود ، وذمٌّ للدَّهرِ وأهله .

٣٣٦

وقالت صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ^(١) :

١ — كُنَّا كَفُصْنَيْنِ فِي جُرْثُومَةٍ سَمَقًا حِينَمَا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ^(٢)

٢ — حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا فَطَابَ فَيْئَاهُمَا وَاسْتَنْظَرَ الثَّمَرُ^(٣)

قوله « سمقا » أى طالا فى كمال . والجُرْثُومَةُ : الأصل . فيقول : كنا كَفُصْنَيْنِ خَرَجَا مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ فَنَمِيَا وَطَالَا ، وَاسْتَكْمَلَا زَمَانًا ، وَبَقِيَا يَزْدَادَانِ عَلَى أَحْسَنِ مَا تَزْدَادُ لَهُ الْأَشْجَارُ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَا ، وَآتَتْ أَغْصَانُهُمَا وَبَرَاعًا ، وَكَثُرَ وَرْقُهُمَا ، وَاسْتَطْبَبَ ظِلُّهُمَا ، وَصَارَا يُنْتَظَرُ ثَمْرُهُمَا ، وَقَفَّ الْأَمْرُ بِهِمَا دُونَ الْعَايَةِ الْمَرْجُوعَةِ فِيهِمَا ، وَدُعِيَ أَحَدُهُمَا مَقْدَمًا عَلَى الْآخَرِ لِلْمَحْتَمِمْ لِهَئِهِمَا . وَالْفَرْعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : مَا تَفَرَّعَ مِنْهُ فِي أَعْلَاهُ . وَالْفِيءُ مِنَ الظِّلِّ : مَا فَاءَ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ . وَمَعْنَى اسْتَنْظَرَ انْتَظَرَ . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : « وَاسْتَنْظَرَ الثَّمَرُ » ، أَيْ وَجَدَ نَاضِرًا غَضًّا . وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ .

(١) هى إحدى الأعرابيات . وذكر ابن عبد ربه فى العقد (٣ : ٢٧٧) أن الأبيات رثاء لزوجها ، وذلك فى باب (من رثت زوجها) ، وابن قتيبة فى عيون الأخبار (٣ : ٦٧) أنها رثاء لأختها .

(٢) العقد : « بسقا » ، عيون الأخبار : « سموا حيناً على خير ما ينمى » ، التبريزى : « ما يسمو » .

(٣) العقد وعيون الأخبار : « وطاب قواها » .

٣ - أَخْنَى عَلَى وَاحِدٍ رَيْبُ الزَّمَانِ وَمَا يُبْقَى الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَمَا يَذُرُّ^(١)

٤ - كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ^(٢)

قوله « أخنى » جواب إذا من قوله « حتى إذا قيل قد طالت فروعهما » ، وقوله « وما يبقى الزمان » اعتراض حصل بين ما قبله وما بعده من القصة ، مؤكِّد له . فيقول : لما بلغ الأمر بنا ذلك المبلغ أناخ حدثان الدهر على أحدهما فأتلفه وأفسده ، والزمان هذا دأبه ، لا يسلم عليه شيء ، بل يرتجع كما يعطى ، ويستلب كما يهب .

ثم قال : « كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ » ، وهذا تشبيه ثان ، كأنها في الأول - وهو كُنَّا كَغُضُنِينَ - شَبَّهَتْ نَفْسَهَا وَصَاحِبَهَا بِغُضُنِينَ ، وَفِي الثَّانِي شَبَّهَتْ الْعَشِيرَةَ كُلَّهَا وَالْمَتَوَفَّى فِيهَا ، بِنَجُومِ لَيْلٍ أَحَدَقَتْ بِقَمَرٍ اسْتِضَاءَ ظِلَامِ اللَّيْلِ بِنُورِهِ فَسَقَطَ ذَلِكَ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِهَا فَعَادَ اللَّيْلُ كَمَا كَانَ .

وهذا الكلام فيه تفضيل للمتوفى على ذويه كلهم ، فإنهم كانوا يستكشفون ظلمة حوادث الدهر من جهته ومكانه . فلما فارقهم عاد الشرُّ جذعاً^(٣) ، والضياء حنديسا .

(١) انفراد ابن قتيبة برواية « على واحد » و « لا يبقى » و « لا يذر » .
(٢) ابن قتيبة : « وسطنا قر . . . من بيننا » . وقال : ومن هذا أخذ الطائي - يعني أبا تمام - قوله :

كأن بني نهات يوم وفاته
نجوم سماه خر من بينها البدر
انظر ديوان أبي تمام ٣٦٩ .

(٣) عاد جذعا ، أى جديدا كما بدأ ، وأصل الجذع من الدواب والأنعام الصغير السن قبل أن يثني بسنة ، وهو أول ما يستطيع ركوبه والانفراج به .

٣٢٧

وقال التيمي^(١) في منصور بن زياد^(٢) :

١ - لَهْفَى عَلَيْكَ لِلْهَفَةِ مِنْ خَائِفٍ يَبْنِي جِوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ
« لَهْفَى » مبتدأ ، وهو لَهْفٌ مضاف إلى ضمير النَّفْسِ ، ففرّ من الكسرة
وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفاً . ولوروى لَهْفَى عَلَيْكَ ، لجاز ، ويكون
جارياً على أصله . و « عليك » في موضع الخبر . واللام من لَهْفَةٍ متعلقٌ بما دلَّ
عليه لَهْفَى . فيقول : لى عليك حسرةٌ شديدةٌ من أجل حسرة رجلٍ نابه من
حوادث الدهر ما اختشى له فطلب جوارك ، والاستعاذة بفنائك ، وقت لا مجير له
ثم لا يجِدُكَ . وقوله « حينَ ليس مجير » ظرفٌ ليَبْنِي ، ويَبْنِي في موضع الصِّفَةِ
لخائف . وخبر ليس محذوف ، كأنه قال : حينَ ليس مجيرٌ في الدنيا ، أو ينعشه ،
أو ما أشبه ذلك . وأضاف حينَ إلى ليس فبناءه لأن المضاف إليه غير متمكّن ،
فاكتسب البناء من جهته ، فالفتحة في حينَ فتحة بناء . ولا يمتنع أن يكون فتحة
إعراب ، كأنه أجرى حينَ على سلامته ولم يعتدّ بالإضافة فيه .

٢ - أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِّيَارُ قُبُورُ
٣ - عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ هَلَاكُهُ فَالْنَّاسُ فِيهِ كَلِمَتُهُمْ مَأْجُورُ

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : هو عبد الله بن أيوب ، ويكنى أبا محمد ، عربي من أهل اليمامة ، فصيح كلامي . وقال الفضل بن سهل لأبي سهل الخطاب الأزدي : من أشعر من بقى ؟ قال : مسلم . قال : لا ، بل التيمي . ومن مشهور قوله :

لعمرك ما الأشراف في كل بلدة وإن عظموا للفضل إلا صنائع
ترى عطاء الناس للفضل خشعاً إذا ما بدا والفضل لله خاشع
تواضع لما زاده الله رفعة وكل رفيع عنده متواضع

(٢) منصور بن زياد : أحد وجوه الدولة العباسية ، وكان ابنه محمد بن منصور كاتباً

للبرامكة ، الشعراء ٨٣٠ .

يقول : فارقت الأحياء وفي كل فرقة من فرقهم غمٌ شامل ، وزفرةٌ متصلة ،
فاختلطت بالأموات ، فالأنس الذى كان فى الأحياء انتقل بانتقالك إلى الأموات ،
فديارُ الأحياء ذاتٌ وحشةٌ ونفور ، فهى كالتقبورِ لما حصل فيها من الفجع بك ،
وفارقتها من نسيم الرّوح والراحةِ بفراقك . وقبورُ الأموات ذواتُ أنسٍ وقرارٍ
بمجاورتها لقبرك ، ولما يغدو ويروح إليها من زوّارك .

وقوله « عمت فواضله فعمّ هلاكه » يريد أن إحسانه عمّ الخلق ، وصنائه
شميتهم ، فبحسب ذلك عمتهم الفجيرةُ به ، فالناسُ كلهم مُصابون مأجورون ،
قد استوت أقدامهم وتناسبت أحوالهم فيما نالهم من الحسرةِ فيك ، وأضرّ بهم
من الخللِ الواقعِ فى عيشهم بك .

٤ - يُبْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا لَأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرٌ
٥ - رَدَّتْ صِنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورٌ

يقول : عرّف الناسُ على اختلافهم وتباينِ أوطانهم ، فضلكَ وفواضلكَ ،
فاتفقت ألسنتهم فى الثناء عليك والحمد لك ، فمن لم تُسدِ إليه خيراً منك ،
ولم تُشركه فى النعمةِ عندك ، صار مقتدياً بغيره فى إطرائك ومدحك ، وتقرّ يظك
وتزكيتك ، لأنك عندهم كلهم جديرٌ بذلك ، لا لكفاةٍ على إحسانك ،
ولا لشكرٍ وجبَ عليهم فى تحمّل أفضالك .

وقوله « رَدَّتْ صِنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ » ، يقول : تذاكرَ الناسُ بعوارفك
لديهم ، ونشروا محامدك فيهم ، فكأنك حتى لم يُوارِك قبر ، ولم يفز بك موت .
ويقال أنشر الله الموتى ونشرهم جميعاً . وأنشَرَ أفصح . وقوله « من نشرها »
أى من نشر الناس لها ، فأضيف المصدر إلى المفعول .

٦ - فَالنَّاسُ مَا مَمَّهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرٌ

٧ - عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةِ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرٌ

أصل الماتم النساء يجتمعن في الخير والشر ، وجعله ها هنا المصيبة نفسها .
والرّنين : الصّوت . والرّنة الفعلة منه . وانتصب « عَجَبًا » على المصدر ، والعامل
فيه فعلٌ مضمر ، كأنه قال : عَجِبْتُ عَجَبًا . وإِنَّمَا قال أربَع أَذْرُعٍ ، لأنّ الذراع
مؤنثة ، وفي خمسة لأنّه أراد الأشبار . والشبر مذكّر . ويشبه هذا قوله :
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِيقَتْ حَتَّى تَصَدَّعًا^(١)
والجبل الأشم : الطويل الرأس . ويقال عزُّ أشمٌ ، يراد به الارتفاع .

٣٢٨

وقال نهار بن توسعة^(٢) يرثي أخاه :

١ - عِتْبَانُ قَدْ كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبٌ حَتَّى رُزِيْتُكَ وَالْجُدُودُ تَضَعُضَعُ

٢ - قَدْ كُنْتُ أَشْوَسَ فِي الْمَقَامَةِ سَادِرًا فَنَظَرْتُ قَصْدِي وَاسْتَقَامَ الْأَخْدَعُ

يقول : يا عِتْبَانُ ، كنتُ رجلاً كان لي ملاذُّ ألود به ، وجانبٌ أستنم إليه ،
وأعزّز بعزّه ، إلى أن فقدتُك ، والجُدود تنحطّ بعد الارتفاع ، وتعوجُّ عقيب
الاستواء . فقوله « والجُدود تضعضع » اعتراضٌ ، لأنّ قوله « كنتُ أشْوَسَ »
متّصل بما قبله . والشّوس هو النّظر في اعتراضٍ كنظر الغضبّان والكاره للشّيء

(١) للحسين بن مطير ، في الحماسية ٣١٩ .

(٢) نهار بن توسعة بن تميم بن عرّفة بن عمرو بن حنم بن عدي بن الحارث بن تميم الله
ابن ثعلبة ، أحد شعراء بكر بن وائل هو وأبوه توسعة . وهو شاعر أموي . قال التبريزي :
« وكان أشعر بكري بخراسان » . وهو القائل ليزيد بن المهلب :

كانت خراسان أرضاً إذ يزيد بها وكل باب من الخيرات مفتوح
فاستبدلت « قتباً » جعداً أنامله كأنما وجهه بالحل منضوح

يعنى قتيبة بن مسلم . المؤتلف ١٩٣ .

المعرض عنه . والمقامة : المجلس . والسادر : الذهاب عن الشيء ترفعاً عنه . ويقال
 أنى فلان أمره سادراً ، إذا جاءه من غير جهته . والسدر : ظلمة تغشى العين ،
 وكان السادر منه . وقوله « فنظرت قصدي » أراد نظرت حيث أقصد ، ومكان
 قصدي . وإعرابه يجوز أن يكون نصبا على الظرف ، وقد حذف اسم المكان معه ،
 ويجوز أن يكون مصدرأ ، كأنه قال : فنظرت أقصد قصدي ، أى قاصداً قصدي
 فدل المصدر على اللفظ بالفعل ، والواقع موقع الحال هو الفعل . ومعنى البيت : قد
 كنت بما في نفسي من الكبر والتعالي على الناس أنظر إلى أهل المجلس نظراً
 المعترض عليهم ، المعرض عنهم المستهين بهم ، المأخوذ عن قصدي فيهم عجباً
 واستغناء ، فلما فقدت تلك الخزانة عني ، واستقام عني من الصور العارض
 له ، كما اعتدل نظري فزال عنه الشؤس الذي كان فيه .

ويستحسن لأوس بن حجر قوله :

* تشاوس يزيد إنني من تأمل^(١) *

٣ - وفقدت إخواني الذين بدشهم قد كنت أعطى ما أشاء وأمنع^(٢)
 خاطب عتيان فيما تقى . وشكا بثه إليه ، على عادة الناس في إظهار
 التلطف عند مخاطبة المفقود ، والجري في مباتته على عادتهم منعه في حياته . وفي
 الثاني أخبر عن نفسه بأنه مرزأ في إخوانه . كأن المصائب كانت متوافية إليه ،
 ملحة في تكرير الفجائع عليه ، وإخوانه تفانوا واحداً بعد واحد ، وتداولوا في
 التتابع سندا بعد سند ، فقال : ورزئت إخواني الذين كنت أعطى ما أشاء

(١) لم يرو في ديوان أوس بن حجر . وأشهد في مجالس ثعلب ١٥٥ والإيضاح ٣٤٤ .
 ورواية ثعلب : « تشاوس قليلا » وابن الأنباري : « تشاوس رويداً » . وصدده فيهما :
 * يقلب عينيه كما لأخاه *

(٢) سبق نظيره في الحماسية ٢٧٧ في قول البراء بن ربيعي :
 ثمانية كانوا ذؤابة قومهم بهم كنت أعطى ما أشاء وأمنع

إعطائه ، وأمنع ما أشاء منعه ، مدة عيشهم ، وزمن بقائهم . ويقال : عشت عيشًا ومعاشا . والمعيش والمعيشة والمعاش : اسم ما يعاش به . ويقال هو عايشٌ أى حاله حسنة .

٤ - فلمن أقولُ إذا تلمُّ مِلمةٌ أرني برأيك أم إلى من أفزعُ

٥ - فليأتينَّ عليك يومٌ مرَّةً يبكي عليك مقيمًا لا تسمعُ^(١)

قوله « فلمن أقولُ إذا تلمُّ مِلمةٌ » كلامٌ من سلبه القدر إخوانه ، وقصَّ جناحه فأعياه طيرانه^(٢) ، فمتى طرقه حادثٌ ، أو ألمٌ بساحته من الدهر نائبٌ لم يكن له من يرجعُ إليه مستشيرًا ، أو يقتبس من نور رأيه مستضيئًا ، ولا وجد من يستدفع به البلاء أو يستعديه على مهتمِّه ، فيصرفُ بقوته عن نفسه العداة فيبقى أسير الغير ، وقيد الفكر^(٣) . ومعنى « أرني برأيك » أرشدني برأيك ، واهدني بنظرك . وقد حذف المفعول الثاني لقوله أرني ، والمراد أرني الصواب أو وجه الأمر برأيك . ويقال : رأيتُ الشيء بعيني رؤيةً ورأيا ، ورأيتُه بقلبي رأيا لا غير . فأما قولُ زهير :

فقال أميرى ما ترى رأى ما ترى أنختله عن نفسه أم نصوله^(٤)

فالمراد به ما ترى رأى أى الأمرين ترى . فما ترى سؤالٌ عن جملة الرأى ورأى ما ترى سؤالٌ على طريق التفصيل ، وقد بينه بقوله أنختله أم نصوله . وقوله « إلى من أفزع » يقال فزعت إلى فلان أفزع ، إذا التجأت إليه ؛ وهو

(١) أخذه من قول متم بن نويرة في البيت ٤٥ من المفضلية ٩ .

(٢) في نسخة الأصل : « فأعيا طيرانه » ، وأثبتنا ما في ل .

(٣) كذا في النسختين . والوقيد : المغشى عليه ، والذي يضرب حتى يشرف على الموت .

وقد ، فهو موقوذ ووقيد .

(٤) رواية الديوان ١٣٢ : « ما ترى رأى ما ترى » . وفي شرحه : « أميره :

الذى يؤامره . ما ترى رأى ما ترى في الصيد ، أى قد رأينا كذا وكذا فما ترى فيه » .

لنا مَفْرَع ، أى نَفْرَعُ إليه . وفى ضده يقال : هو لنا مَفْرَعَةٌ ، أى نَفْرَع منه .
ويستوى فيه الواحد والتثنية والجمع ، والمذكر والمؤنث .

وقوله « فليأتينَّ عليك يومٌ مرّةً » خطابٌ لنفسه . وقد ألمَّ بقول الآخر^(١) :
* وإِخَالُ أَيْ لِأَحِقِّ مُسْتَتَمِعٍ^(٢) *

يريد أن أجله قد قَرُبَ ولا بقاءَ للروح على ما يمارسه ويزاوله . وأشار بقوله
« يومٌ » إلى وقت النازلة . ويقال فعل كذا مرًّا ومرَّين كما تقول مرّة ومرتين ،
و« مقنعا » انتصب على الحال من قوله « يُبكي عليك » ومعناه مُسَجِّى مستور
الوجه . ولا تسمع فى موضع الصفة لقوله مقنعا ، أى مقنعا غير سامع عوالة الباركي .
و « ليأتينَّ » جواب يمين مضمرة ، ويُبكي عليك فى موضع الصفة ليومٌ ،
أى يومٌ يُبكي عليك فيه ، أو يُبكاكُ عليك إن قدرته تقدير المفعول به . ومثله :
﴿ وَأَنْتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ ، وقد مرَّ القول فيه^(٣) .

٣٢٩

وقال يزيد بن عمرو الطائي^(٤) :

١ — أَصَابَ الْغَلِيلُ عَبْرَتِي فَأَسَالَهَا وَعَادَ احْتِمَامٌ لَيْلَتِي فَأَطَالَهَا

٢ — أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي كَأَنَّ رِجَالَهُمْ نَخِيلٌ أَتَاهَا حَاضِدٌ فَأَمَالَهَا^(٥)

الغليل : حرارة الجوف ، يقال به غلّة . والاحتام : القلق والانزعاج ،
يقال أحمنى الأمرُ إحماما . والعاضد : قاطع النخل ، والذى يُقَطَع به يقال له

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٢) ، والفضليات (٢ : ٢٢١) .

(٢) صدره : * فغبرت بعدهم بعيش ناصب *

(٣) انظر ما مضى فى ص ٣٣ .

(٤) لم أعتزله على ترجمة .

(٥) التبريزى : « من رأى قوما » . وقال : « قال أبو العلاء : إذا رويت : أتاهما

عاصف فأمالها ، فهى من عصف الريح » .

المُعَضد . فيقول : تناهى حُمى جوفى وغلّة كبدى ، فأسلتُ دمي إطفاءً لناثرتها ،
وعاد قلقُ ليلتي ، وطار النومُ عني فبئال له ليلتي . وقوله « احتمام ليلتي » أضاف
الاحتمامَ إلى ليلته لكونه فيها ، ولا اجتماع الوسوس عليه ، لتفرُّده عما يشتغل
به . ويروى : « احتمامي ليلتي » ، ويكون ليلتي في موضع الظرف ، يريد احتمامي
في ليلتي . وإنما قال احتمامُ ليلتي لما كان تقدّم من مصائبه في عشيرته .

وقوله « ألا من رأى قومي » لفظه استفهام ، والمعنى معنى التوجع . وقد
يأتون به على الخطاب هل رأيت قومي ؟ كأن هذه الرؤية مستنكرة فهو
يستثبت . وقوله « كأن رجالهم نخيلٌ » شبههم وقد صرّعوا بنخيلٍ معسودة .
وهذا التشبيه ورد مثله في القرآن ، في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
خَاوِيَةٍ ﴾ . وجملة المعنى كأنه يُنكر أن يكون قومه بهذه الصفة ، فقال مستثبتاً
على طريق التحشّر : من رأى قومي مُقتلين مُصرّعين كأن فرسانهم نخيلٌ
فصداها عاضدٌ فأمالها . وفائدة أمالها ، على فصاحتها في هذا الوضع ، تصويرُ حالة
الرجال حين تُركوا بالعرء كيف تُركوا .

٣ — أدفنُ قتلاها وآسو جراحها وأعلمُ أن لا زينغَ عما مُني لها

٤ — وقائلةٍ من أمها طالَ ليلهُ يزيدُ بن عمرو أمها واهتدى لها

وصف حالته وما مُني به في ذويه وعشيرته ، وكيف تولى من المقتولين
دفنهم ، ومن المجروحين أسوهم ، لأنه إذا احتاج إلى تولى ذلك منهم كان أشقى
له وأعود بالكمد عليه . وقوله « وأعلمُ أن لا زينغَ عما مُني لها » رضاً منه
بمحتوم القضاء ، وإظهاراً للتصبر في البلاء ، وتحشّر على ما فاتته من القوم في حالتها
الشدة والرخاء . ومُنَى لها ، يعني قدر لها ، وأصله مُنَى ، فأخرجه على لغته ،
لأنهم يفرّون من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ، فتنقلب الياء ألفاً . والزينغُ :

الميل والانحراف . وقوله « أن لا زَيْغَ » أن فيه مخففة من الثقيلة . أراد أنه لا زَيْغَ .
والضمير في أنه للأسر والشأن ، ولا زَيْغَ في موضع خبر أن .

وقوله « وقائلةٍ مَنْ أُمَّهَا » من في موضع المبتدأ ، وطال ليله في موضع الخبر ،
كأنه قال : الذي أُمَّهَا طال ليله . ويزيد بن عمرو مبتدأ آخر وأُمَّهَا في موضع
الخبر ، وهو استئناف كلامٍ منقطع عما قبله . ويعني يزيد بن عمرو نفسه .

وروى الأثرم هذه الأبيات عن أبي عُبَيْدَةَ النَّابِغَةَ الدُّبَيَّانِيَّ ، وأثبتها في
ديوانه وقد غيرَ أبياتَه ترتيباً ونظماً ، وقال : إنما هو زياد بن عمرو ؛ لأنَّ اسم النابغة
زياد^(١) ، وزعم أنه قالها في وقعة طَيْيِّ يوم « شَرَّافٍ^(٢) » ، غزاهم حصن بن خذيفة
ومعه النابغة ، فالتقوا بِشَرَّافٍ . والناسيون كالكلبيِّ والشَّيبانيِّ واليربوعيِّ
والأصمعيِّ ، ذكروا أنَّ النابغة هو زياد بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع
ابن غَيْظِ بن مُرَّة . وأبو تمامٍ نسبها إلى يزيد بن عمرو الطائي . وفي ألفاظ
هذه الأبياتِ على ما رواه أبو تمامٍ شاهدٌ صدقٍ على أنه ليزيد لا للنابغة . والله أعلم .
ومعنى البيت : رَبِّ امْرَأَةٍ قَالَتْ متوجِّعةً متحسرةً : من تصدَّ هؤلاء
المقتولين ، ووفَّق في الاهتداء فقد أُطيلَ ليله ، لأنه يردُّ منهم على ما يجرح القلب
ويُطيلُ السَّهْرَ . ثم قال يزيد بن عمرو : أنا الشقيُّ الذي أُمَّهَا واهتدى لها ،
مجيئاً للقائلة . وفائدة اهتدى أنَّ الموضع الذي قُتلوا فيه كان كالملتبس عليهم ،
فصار هو الطالب له ، والمهتدي إليه ، والمنبئ عليه . وانجرت « وقائلةٍ » بإضمار
رَبِّ ، وجوابه مَنْ أُمَّهَا ، والجملة في موضع المفعول لقائلة . وقد تعرَّضتِ قائلة من
صفةٍ لها ، وأكثر ما يجيء الجرور برُبِّ يجيء موصوفاً .

(١) انظر الحيوان (٥ : ٥٥٥) حيث أنشد الجاحظ البيت منسوباً إلى النابغة برواية :
قائلة من أُمَّهَا واهتدى لها زياد بن عمرو وأُمَّهَا واهتدى لها
(٢) يقال بالبناء على الكسر كقطام ، وبالإعراب مع التنوين وعدمه . معجم ما استعجم .

٣٣٠

وقال قَسَامُ بن رَوَاحَةَ السَّنْبَسِي^(١) :

١ - لَبِئْسَ نَصِيبُ الْقَوْمِ مِنْ أَخْوِيهِمْ طِرَادُ الْحَوَاشِي وَاسْتِرَاقُ النَّوَاضِحِ

٢ - وَمَا زَالَ مِنْ قَتْلَى رَزَاحٍ بَعَالِجٍ دَمٌ نَاقِعٌ أَوْ جَاسِدٌ غَيْرُ مَاصِحٍ

أخويهم يريد صاحبهم . والعرب تقول : ياخا بكر ، يريد^(٢) واحداً من بنى بكر . والحواشي : صغار الإبل ورذالها . والنواضح : التي يُسْتَقَى عليها الماء ، واحدها ناضحة . وسميت بذلك لأنه جُعِلَ الفعلُ لها كأنها هي التي تنضح الزراعات والنخيل . وهم يسمون الأكار النضاح . على ذلك قول الهذلي^(٣) :

هَبَطْنَ بطنَ رُهَاطٍ وَاعْتَصَبْنَ كَمَا يَسْقِي الْجَذْوَعَ خِلَالَ الدَّوْرِ نَضَّاحُ

فيقول : مذمومٌ في أنصباء القومِ مِنْ صَاحِبِينَ لَهُمْ يُقْتَلَانِ طَرْدُ الإِبِلِ وَسَوْفُهَا ، وسرقة البُعران التي يُسْتَقَى عليها . وإنما جعل الطرائد حواشي الإبل ونواضحها إزراء بها ، كما قالت كُبَيْشَةُ أخت عمرو بن معد يكرب :

* وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا^(٤) *

يعني في الدية . وهذا تعريضٌ بمن وجب عليه أن يهّمه طلب دم صاحبهم

(١) التبريزي وابن جني : « قسامة » بالناء . وقد ورد برواية الرزوقي في المئوثة ٢٢٧ ، والمرزباني ٣٤٠ حيث روي أبيات هذه الحماسية ، أي « قسام » . لكن البغدادي في الخزانة : (٤ : ٨٨) قال : وهو في بعض نسخ الحماسة قسام بن رواحة ، وفي بعض آخر منها قسامة بزيادة الهاء . ثم نقل نسبه من جمهرة الأنساب : قسامة الشاعر بن رواحة بن جل بن حق ابن ربيعة بن عبد رضا بن ود بن ود بن معن بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن القوث بن طي . قال البغدادي : « ولم أر في نسبه لاسنبسا ولا عنبسا » . وهو شاعر جاهلي .

(٢) كذا في النسختين ، أي يريد القائل .

(٣) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ٤٦) .

(٤) من الحماسية ٥٢ ص ٢١٧ . وعجزه :

* وَأَتْرَكَ فِي بَيْتِ بَصْعَدَةَ مَظْلَمٌ *

فاقتصروا من الأعداء على الغارة عليهم ، وسرقة الإبل منهم . وفيه هُزُوٌ أيضاً ،
وَبَعَثُ عَلَى طَلَبِ الدَّمِ .

وقوله «وما زالَ مِنْ قَتْلَى رِزَاحٍ بِعَاجِلِ دَمٍ نَاقِعٍ» فالنَّاقِعُ : الثَّابِتُ ، ومصدره
النُّقُوعُ . والمَاصِحُ ، قال الخليل : هو الرَّاسِخُ في الثَّرَى ، وهو هَاهُنَا الدَّلِيلُ ،
والدَّارِسُ . يقال مَصَحَتِ الدَّارُ إِذَا دَرَسَتْ ، وَمَصَحَ الظُّلُّ ، إِذَا قَصُرَ .
قال الأعشى :

* إِذَا الْآلُ مَصَّحَ (١) *

وهذا الكلام تذكيرٌ بدماء قتلاهم . ورملُ عالجٍ : موضعٌ معروف . ورزاح :
قبيلة . فيقول : ولا يزال من مقتولِي هذه القبيلة بهذا المكان دمٌ ثابت ، أو يابسٌ
غير زائل . والمعنى أن دماءهم بحالها ما لم يثاروا بهم ؛ لأنَّ غَسَلَ تلك الدماء إنما
يكون بما يُصَبُّ من دماء أعدائهم .

٣ — دَعَا الطَّيْرَ حَتَّى أَقْبَلَتْ مِنْ ضَرِيَّةٍ دَوَاعِي دَمٍ مُهْرَاقُهُ غَيْرُ بَارِحٍ (٢)
لم يَرْضَ بما ذكره في البيت المتقدم من التذكير بدماء المقتولين حتى بسطَ
القولَ فيه وجنَّحه بأن قال : دعا دواعي دماءهم طيورَ الأماكنِ النَّائِيَةِ والجبالِ
المُطَلَّةِ ، حتى أَقْبَلَتْ مِنْ ضَرِيَّةٍ — وهو اسم بلادٍ تشتمل على جبالٍ — عَوَافِي سَبَاعِهَا
وطيورِها تَسْتَدِلُّ بِهَا ، فوَقَعَتْ عَلَيْهَا تَأْكُلُ مِنْ جِيْفِهَا . ويجوز أن يريد بالدواعي
الرِّيَاحَ الذَّاهِبَةَ فِي الأَقْطَارِ . وقوله «مُهْرَاقُهُ غَيْرُ بَارِحٍ» أي هو مصبوبٌ موضعه لم
يَحُلْ ولم يَزُلْ . وأعاد المعنى تَفْظِيحاً ، ويجوز أن يريد بقوله «مُهْرَاقُهُ» الموضع
المصبوب فيه الدَّمُ ، كَأَنَّهُ يَسْتَشْهَدُ بِهِ فَقَالَ : هو غير بارح . وقال مُهْرَاقُهُ والأصل

(١) البيت بتمامه في ديوان الأعشى ١٦١ :

ولقد أجدم حبلِي عامداً
بفِرْنَاةٍ إِذَا الْآلُ مَصَّحَ

(٢) في المؤتلف : «غير نازح» .

مُهْرَاقٌ فِيهِ . وَإِنَّمَا قَانَا هَذَا لِيَكُونَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ « دَمٌ نَاقِعٌ أَوْ جَاسِدٌ غَيْرُ مَاصِحٍ » فَضْلٌ . وَالكَلامُ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا يُطَرِّى الْمَصِيبَةَ وَيَهَيِّجُ الْفَجِيعَةَ ، وَيَصَوِّرُ مَصْرَعَ الْقَوْمِ بِمَا يَأْتِيهِ مِنْ عَوَافِي الطَّيْرِ . وَفِيهِ بَعْثٌ شَدِيدٌ وَحَضٌّ بَلِيغٌ عَلَى طَلَبِ الدَّمِ .

٤ - عَسَى طَيِّبٌ مِنْ طَيِّبٍ بَعْدَ هَذِهِ سَتُطْفِي غَلَّاتِ الْكُلَى وَالْجَوَانِحِ

عسى لفظة وُضِعَتْ لِلتَّرْجِي وَالتَّامِيلِ ، إِلَّا أَنَّهَا تَوْذِنُ بِأَنَّ الْفِعْلَ مُسْتَقْبَلٌ مَطْمُوغٌ فِيهِ ، فَيَجِبُ أَنْ يُسْتَأْنَى لَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَفْعَالِ الْمَقَارِبَةِ . وَبِهَذَا يَبِينُ عَنْ لَفْظَةِ « كَادَ » لِأَنَّ كَادَ لِمُشَارَفَةِ الْفِعْلِ فَهُوَ يَلِي الْفِعْلَ بِنَفْسِهِ تَقُولُ كَادَ زَيْدٌ يَفْعَلُ كَذَا ، وَعَسَى يَحْوُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفِعْلِ أَنْ ، يَدُلُّكَ عَلَى هَذَا أَنَّهُ قَالَ « سَتُطْفِي غَلَّاتِ الْكُلَى وَالْجَوَانِحِ » . لَمَّا كَانَ مِنْ شَرَطِ عَسَى أَنْ يَجِيءَ بَعْدَهُ أَنْ إِذْنًا بِالِاسْتِقْبَالِ جَعَلَ هَذَا بَدَلَ أَنْ السَّيْنِ ، لِأَنَّهُ أَشْهَرُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْاسْتِقْبَالِ ، وَإِنَّمَا قَالَ « عَسَى طَيِّبٌ مِنْ طَيِّبٍ » لِأَنَّ الْجِذَابَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ وَالْقِتَالَ ، كَانَ بَيْنَ بَطْنَيْنِ مِنْهُمَا . وَقَوْلُهُ « بَعْدَ هَذِهِ » أَشَارَ إِلَى الْحَالَةِ الْحَاضِرَةِ ، الْجَامِعَةِ لِكُلِّ مَا ذَكَرَهُ . وَالْجَوَانِحُ : جَمْعُ جَانِحَةٍ ، وَهِيَ الضُّلُوعُ الْقِصَارُ . وَالْمَعْنَى : الْمَطْمُوغُ فِيهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الدَّمِ أَنْ يَطْلُبُوا الثَّأْرَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَإِنْ كَانُوا أَخْرَوْهُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، فَتَسْكُنَ نَفُوسٌ وَتَبْرُدَ قُلُوبٌ . وَقَدْ آلَمَ بِهَذَا الْكَلَامُ كُلَّ الْإِيْلَامِ ، لِمَا خَتَمَ بِهِ كَلَامَهُ الْمُتَقَدِّمُ .

وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ ، وَهُوَ فِي طَرِيقَتِهِ :

وإني لَرَاجِيكُمْ عَلَى بَطْءِ سَعِيكُمْ كَمَا فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءً

٣٣١

وقال سليمان بن قتة العدوي^(١) :

١ — عَمَزْتُ عَلَى آيَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ أَرَهَا أَمْثَالَهَا يَوْمَ حُلَّتِ

٢ — فَلَا يُبْعَدُ اللَّهُ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْهُمْ بَرَغِي تَخَلَّتِ

الآلُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا الْبَصْرِيِّينَ وَالْأَهْلُ وَاحِدٌ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَصْغِيرُ
الآلِ أَهْيَلٌ ، كَمَا أَنَّ تَصْغِيرَ الْأَهْلِ أَهْيَلٌ . وَأَخْبَرْنَا الْفَرَّاءَ عَنِ الْكَسَائِيِّ أَنَّهُ
قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا فَصِيحًا يَقُولُ : أَهْلٌ وَأَهْيَلٌ ، وَآلٌ وَأُوَيْلٌ ، قَالَ
أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ : فَقَدْ صَارَ أَصْلَابِينَ لِمَعْنِيَيْنِ ، لَا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ . وَحَكَى
أَبُو عَمْرٍو الزَّاهِدُ عَنِ ثَعْلَبٍ أَنَّ الْأَهْلَ الْقَرَابَةَ ، كَانَ لَهَا تَابِعٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ ، وَالْآلُ :
الْقَرَابَةُ بِتَابِعِهَا . قَالَ : وَلِهَذَا أَجُودُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْضَلُهَا :
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ . وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ التَّوْقِيفُ . رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : « قَوْلُوا
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ » .

وقوله « فلم أرها أمثالها يوم حلت » ، يريد أنها قد ظهر عليها من آثار
الفتح والمصيبة ما صارت له وحشاً ، فحلها في ظهور الجزع عليها ليست كحالها في
الشُّرُورِ أَيَّامَ حَلِّهَا . فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ الْآخِرِ :

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ فَقْدِهِمْ فَتَهَلَّتْ دُمُوعِي فَأَيُّ الْجَسَارِعِينَ أَلُومُ

(١) ذكره ابن قتيبة في مقدمة الشعراء ٦ باسم « سليمان بن قتة التيمي المحدث » . وفي
حواشي بعض أصوله : « ابن قتة هذا عدوي ، وهو أول من رثى أهل البيت » . وذكره
الطبري في تاريخه (٨ : ٢٤٨) باسم « سليمان بن قتة مولى بني تميم بن مرة » وذكر أنه كان
صديقاً لأسد بن عبد الله القسري الذي توفي سنة ١٢٠ . وروى له أبو الفرج شعراً في (١٧ :
١٦٥) . وذكر التبريزي أن البرقي روى هذه المفضوعة لأبي رمح الخزاعي .
(٣١ — حساسة — ثان)

أُستعبرَ يَبِكِي من الهُونِ والبِلَى أمَ آخرُ يَبِكِي شَجْوَهُ وَيَهيمُ
وقد سلك محمد بن وهيب مثل هذا في مديحة في المأمون أولها :
طَلَلَانَ طال عليهما الأمدُ دَرَسَا فلا عَلمٌ ولا نَضَدٌ^(١)
لَبَسَا البِلَى فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الأَحَبَّةِ مِثْلَ ما أُجِدُ
وصلك أبو تمام هذا المسلك فزاد عليهم كلهم ، لأنه قال :

قد أقسمَ الرَّبْعُ أن البَيْنَ فَاصِحُهُ أن لم تَحُلَّ به عَفْرَاهُ عن عُفْرِ
وقوله « فلا يُبعد الله الديارَ وأهلها » فيه دلالة على أنه جعل الدار وحالتها
كالفقودين وأحوالهم ، إذ كانت لفظة لا تَبَعُدُ ولا يُبَعِدُ الله يستعمل في
الفائت . وقوله « وإن أصبحت منهم برغمي تخلت » تحشره على أهل الدار
والدار جميعاً .

٣- ألا إن قتلى الطف من آل هاشم أذلت رقاب المسلمين فذلت
٤- وكانوا غيائاً ثم أضحووا رزيةً ألا عظمت تلك الرزايا وجلت

قتلى الطف^(٢) : الحسين ومن معه من ذويه عليه السلام . وقوله « أذلت
رقاب المسلمين فذلت » كأنها لما أذلت ، بأن بُغِيَ لِعِتْرَةِ رسول الله صلى الله
عليه وسلم وولديه عليه السلام الغوائل ، واستجِلَّ منهم المحارم ، ونيلَ منهم
ما كان محظوراً من غيرهم من المسلمين ، فكيف منهم ، وقهروا على حقوقهم
واستبيحت دماؤهم وحرمهم - التزمت رقابهم ذلك الذل فأقرت به وخضعت ،
ولبسته لبسة من كان ذلك نصيبه من مواليه ، فصاروا كالراضين [به^(٣)] وإن
لم يكن ذلك رضا . وقوله « وكانوا غيائاً » يريد أنهم كانوا للمسلمين غوثاً

(١) من أبيات في الأغاني (١٧ : ١٤٧ - ١٤٨) .

(٢) الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية .

(٣) هذه من ل .

عندما ينزل بهم فلا يرجون لهم ديناً ودنياً غيرهم ، فامسا نيل منهم ما نيل صاروا رزيئة لهم كلهم ، لأنه بحسب رجائهم كان فيهم ، وعلى مقدار مكاتبتهم من قلوبهم صار نوازل الغم تنكبي فيهم ، وفواقير الرزء تكسر ظهورهم .

وقوله « ألا عظمت تلك الرزايا وجلت التفات ، كأنه أقبل مكبراً ومستفطعاً على من حوله فقال : ما أعظم هذه الرزايا وما أجلها ، لقد بلغت مبلغاً شنيعاً ، وافترت عن البلايا افتزاراً قبيحاً ، فيالها ما أنكأها وأقرحها .

٣٣٢

وقالت قتيلة بنت النضر بن الحارث^(١)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل أباه صبراً^(٢) :

١ — يا راكباً إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موق^(٣)

الأثيل : موضع كان فيه قبر النضر ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم تأذى به فقتله صبراً ، وكان من جملة أذاه أنه كان يقرأ الكتب في أخبار العجم على

(١) كذا في الإصابة ٨٨٤ من قسم النساء ومعجم البلدان (الأثيل) وحامسة البحري ٤٣٤ والعمدة (١ : ٣٠) . قال البحري : « وكانت حازمة ذات رأى وجمال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يتزوجها حتى كان من أبيها ما كان » . وذكر ابن إسحاق في السيرة ٣٥٩ وأبو الفرج (١ : ٩) والحصري (١ : ٢٧) أنها « قتيلة بنت الحارث » فهي على هذا القول أخت النضر لابنته . وقال أبو الفرج في الأغاني : « فيقال إن شعرها أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه » .

(٢) هذا على القول بأنها بنت النضر . وأما على القول الآخر فإنها أخته . ومهما يكن فإن مقتل النضر بن الحارث كان يوم مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من بدر ، أمر علياً أن يضرب عنقه صبراً ، وهو بالصفراء .

(٣) نسب الجاحظ هذه الأبيات إلى ليل بنت النضر في البيان (٤ : ٤٣) وذكر أنها عرضت للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه ، وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها ، قال صلى الله عليه وسلم : « لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلتها » .

العرب ، ويقول : مُحَمَّدٌ يَا تَيْمَكُم بِأَخْبَارِ عَادٍ وَثَمُودَ ، وَأَنَا مَنبَثُكُمْ بِأَخْبَارِ الْأَكَاسِرَةِ وَالْقِيَاصِرَةِ . يريد بذلك القَدْحَ في نُبُوتِهِ ، وَأَنَّهُ إِنْ جَازَأْنَا يَكُونُ ذَلِكَ نَبِيًّا لِإِتْيَانِهِ بِقِصَصِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ فَإِنَّ رَقْدَ أُتَيْتَ بِمِثْلِهَا رَسُولٌ أَيْضًا . وذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ في قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ ، أَنَّهَا نَزَلَتْ في النَّضْرِ بنِ الْحَارِثِ الدَّارِيِّ ^(١) ، وَكَانَ يَشْتَرِي كِتَابَ الْأَعَاجِمِ فَارِسَ وَالرُّومَ ، وَكُتِبَ أَهْلُ الْحَيْرَةِ ، فيحَدِّثُ بِهَا أَهْلَ مَكَّةَ ، وَإِذَا سَمِعَ الْقُرْآنَ أَعْرَضَ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ . وَقَتِيلَةُ ابْنَتُهُ لَمَّا جَاءَتْ إِلَى حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُنشِدَتْهُ هَذِهِ الْأَيَّاتَ رَقَّ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَكَى . وَقَالَ : « لَوْ جِئْتَنِي مِنْ قَبْلِ لَعَفَوْتُ عَنْهُ » ، ثُمَّ قَالَ : « لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ بَعْدَ هَذَا صَبْرًا » . فَأَمَّا قَوْلُهَا « يَا رَاكِبًا » فَإِنَّهَا دَعَتْ وَاحِدًا مِنَ الرُّكَبَانِ غَيْرِ مَعِينٍ ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ يَجِيبُهَا مِنْهُمْ كَانَ هُوَ الْمَدْعُوُّ . وَالْمَظِنَّةُ : الْمَنْزِلُ الْمَعْلَمُ . وَقَوْلُهَا « مِنْ صَبْحِ خَامِسَةٍ » تَرِيدُ مِنْ صَبْحِ لَيْلَةِ خَامِسَةٍ لِلَّيْلَةِ الَّتِي تَبْتَدِئُ فِي السَّيْرِ مِنْهَا إِلَى الْأَثْنِيلِ وَأَنْتَ عَلَى الطَّرِيقِ غَيْرُ عَادِلٍ مِنْهَا . وَإِنَّمَا تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ : إِذَا كَانَ ابْتِدَاءُ السَّيْرِ مِنْ مَوْضِعِهَا يَكُونُ انْتِهَاؤُهُ فِي أَثْنِيلٍ مِنْ سَيْرٍ يَحْضُلُ فِي صَبَاحِ لَيْلَةِ خَامِسَةٍ لَيْلَتِهَا . وَمِنْ قَوْلِهِمْ ^(٢) : إِذَا خَرَجْتَ عَنْ مَكَانٍ كَذَا فَمَوْضِعُ كَذَا مَنْزِلٌ قَمِينٌ مِنْكَ ضَخْوَةٌ غَدٍ ، وَمَوْضِعُ كَذَا مَظِنَّةٌ مِنْ عَشِيَّةِ يَوْمِ كَذَا . وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ قَوْلُ الْآخَرِ :

يَسِطُ الْبُيُوتَ لَكِي يَكُونُ مَظِنَّةً مِنْ حَيْثُ تُوضَعُ جَفْنَةُ الْمُسْتَرْفِدِ

وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ فِي الزَّمَانِ وَهَذَا فِي الْمَكَانِ .

(١) ذَكَرَ فِي الْإِصَابَةِ ٨٧٠٥ أَنَّهُ النَّضْرُ بنِ الْحَارِثِ بنِ عَلْقَمَةَ بنِ كَلْدَةَ بنِ عَبْدِ الدَّارِ

الْقُرَشِيِّ الْعَبْدَرِيِّ .

(٢) ل : « وَمِنْ كَلَامِهِمْ » .

٢ — بَلَّغْ بِهِ مَيْتًا فَإِنَّ تَحِيَّةً ما إن تَزَالَ بِهَا الرَّكَّابُ تَخْفِقُ

٣ — مَنِيَّ إِلَيْهِ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَادَتْ لِمَائِحِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ

هذا هو الرسالة التي تريد أن تُحمَّها الراكب ، تريد : يارا كباً بَلَّغْ بهذا المكان ، إذا أتيتَه ، مقبوراً فيه تحيتي ، فإنَّ التَّحيات أبدأ تخفق بها الرَّكَّابُ وتُبلِّغُ أربابها . والخفقُ : الاضطراب . ومنفَعول بَلَّغُ الثَّاني محذوف ، لأنَّ قولها « فَإِنَّ تَحِيَّةً » يدلُّ عليه .

وقولها « مَنِيَّ إِلَيْهِ » يتعلَّق بفعلٍ مضمَرٍ قد دلَّ عليه بَلَّغُ ، كأنَّه قال : أوصل إليه مَنِيَّ تَحِيَّةً وأدِّ مَنِيَّ تَحِيَّةً ، لأنَّ جميعَ ذلك معناه بَلَّغُهُ عَنِّي . وقولها « وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ » معطوف على المفعول المضمَر الذي أظهرته . والمسفوحة : المصبوبة . وقولها : « جادت لمائحها » أي أجابت داعيها وساعدت مُستقيها . وقولها « وأخرى تخنُقُ » معطوف على عَبْرَةٌ ، كأنَّها قالت : وأدِّ إليه أيضا عبْرَةٌ قد خفقتني وهي في الطَّريق لم تُوجد . وهذا الكلام يشتمل على اقتصاصِ حالها ، وعلى ما في نفسها من الحسرات وآلام الفجيعة . والرَّكَّابُ : جمع رَكوبة ، وهي مفردة عن الموصوف ، لا يقال ناقة رَكوبة ، وكذلك حلوبة وقتوبة . وقولها « جادت لمائحها » في موضع الصِّفة لعبرة ، كما أنَّ تَخْنُقُ في موضع الصِّفة الأخرى . والمعنى : بَلَّغُهُ عَنِّي تَحِيَّةً وأعلمه من حالي بكاءً يتصل ولا ينقطع ، ودمعاً يُساعد ولا يخذل ، فمن سائلٍ مسفوحٍ ، ومن خانقٍ مدفوعٍ . وجادت من الجَوْدِ . ولك أن تروى « لمائحها » و « لمائحها » . والمائح أبلغ ؛ لأنَّ المئح الاستقاء ، والمئح أن تُدخل البئر ليملاً للدُّلو إذا قلَّ الماء . والذي يدلُّ على قلة الدَّمع والجهد في إسمائه يكون أجودَ في الرواية .

٤ — فَلْيَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيْتٌ أَوْ يَنْطِقُ

قولها « إن ناديتُهُ » شرطٌ وجوابه ما دلَّ عليه ليسمعَنَّ ، وكذلك قولها « إن كان يسمعُ ميَّت » شرطٌ ثانٍ وجوابه يدلُّ عليه ليسمعَنَّ . وترتيب الكلام إذا جاء على وجهه : إن ناديتَ النَّضْرَ وقد أتيتَهُ عني فليسمعَنَّ نداءك وليُجيبَنَّك إن كان الميَّت يسمعُ أو ينطق . وقولها « ليسمعَنَّ » جوابٌ يمين مضمرة ودلَّ على ليُجيبَنَّك أيضاً ، لأنَّ مَنْ صحَّ فيه السَّمْعُ إذا دُعِيَ صحَّ منه الجواب . وقد يقول الإنسانُ وقد سُئِلَ شيئاً : السَّمْعُ والطَّاعةُ ، والفهوم فيه : إنِّي أُجيبُك إلى ملتَمَسِك . ويريد به الفعل لا سماعَ سؤاله من دونِ الفعل .

٥ - ظَلَّتْ سِيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشَقُّقُ

٦ - أَمَّحَمَّدٌ وَأَنْتَ نَجَلٌ نَجِيبَةٌ مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

٧ - مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ

٨ - وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبَتْ وَسِيلَةٌ وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِشْقٌ يُعْتَقُ

قولها « ظَلَّتْ سِيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ » تحشُرُ منها لما جَرَى على أبيها^(١) ، تريد : صارت سيوفُ إخوانه تتناولُه بعد أن كانت تذبُّ عنه ، وتَضَعُ منه بعد أن كانت ترفعه ، وتبتذلُ حرْماته بعد أن كانت تصونها . ثم قالت كالمستعطفة والمتعجبة : لله أرحامٌ وقراباتٌ في ذلك المكان قُطِعَتْ أسبابها ، وهتكت أستارها .

وقولها « هناك » ظرف ، والكاف كاف الخِطاب ، ويُشار به إلى مكانٍ مُتَرَاخٍ . وإذا قيل هناك فزيد فيه اللامُ كان آكَدَ ، والمشار إليه أبعد . والعامل في « هناك » تَشَقَّقُ ، وهو في موضع الصِّفة للأرحام . واللام من قوله « لله » لام التعجب . وهم إذا عظموا شيئاً نسبوه إليه تفخيماً لأمره جلَّ شأنه .

(١) الكلام بعد « هناك تشقق » ساقط من ل ، وسننبه على نهاية هذا السقط .

وقولها « أحمد » نَوَّنتِ المَنَادَى المَفْرَدَ المَعْرِفَةَ ضَرُورَةً ، ولو رُدَّ إلى أصله فقيل أُحْمَدُ لجاز . وسيبويه يختار تركه على البناء في هذا المكان وإن نَوَّته للضرورة ، لمشابهة البناء في هذا المكان الإعراب^(١) . ولذلك جاز حمل الصفة عليه . ومثل هذا قول الآخر^(٢) :

لا نَسَبَ اليَوْمَ ولا خَلَّةً اتَّسَعَ الخَرَقُ على الرَاقِعِ

فنون خَلَّةٌ ، والفتح فيه للبناء ، لأنه مَبْنِيٌّ كمنصوب . وبعضهم روى : « أحمدٌ ها أنت نَجَلٌ نَجِيبةٌ » ، فأدخلها التنبيه على الجملة وقد تعرَّت من حرف الإشارة . وقد جاء مثله . قال النابغة :

ها إنَّها عِذْرَةٌ إلاَّ تَكُنْ نَفَعَتْ فإنَّ صاحبها قد تاءَ في البَلَدِ

والواو من « ولأنت » عاطفة للجملة ومفيدة معنى الحال ، وكذلك الواو من قوله « والفحلُ فحلٌ مُعَرِّقٌ » . والمعنى : أنت كريمُ الطرفين مُعَمِّمٌ مُخَوِّلٌ . ويقال : هو عريقٌ في الكرم ، إذا كان متناهيًا فيه . وإنما نادته في هذا البيت واستعطفته مقرظة ومُثنية والمدعوُّ له قولها : ما ضَرَّكَ لو مَنَنْتِ . وهذا الكلام فيه اعترافٌ بالذنب ، والتزامٌ للنعمة والمِنَّة في العفو لو حصل . فتقول : أيُّ شيء كان يضرُّكَ لو عفوتَ والفتى وإن كان مُغضَّبًا مُضَجَّرًا ، منطويًا على حَنَقٍ وعداوةٍ ، قد يَمُنُّ ويعفو . هذا إذا جعلت ما استغفها . ويجوز أن تجعل ما نافية والاستغفها في مثل هذا الكلام يفيد معنى النفي . وإنما قالت « ربَّما » لأنَّ الحالة التي أشارت إليها بقولها « المَغِيظُ الحَنَقُ » يقل فيها المَنُّ ، ورُبَّ اللِّقيلِ .

(١) التبريزي : « إذا نون المَنَادَى العلم فسبويه يختار رفعه ، وهو مذهب عيسى بن عمر والحليل بن أحمد . وكان أبو عمرو بن العلاء ينصب » . ومثل هذا الكلام عند ابن جني في التنبيه .

(٢) هو أنس بن العباس بن مرداس ، أو أبو عامر جد العباس بن مرداس . العيني

وقولها « والنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبَتْ وَسِيلَةً » تذكيرٌ منها بما يجمع النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وإيَّاه من القُرْبَى والقَرَابَةِ . وإنما يَدُلُّ بذلك على وجه الاستحقاق للصَّفْحِ عن الخيَّانَةِ ، لما يَدُلُّ به من الأسباب المتواشِجَةِ ، والأرحام المتشابِكَةِ . وقولها « وأحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ » أرادت : وأحَقُّهُمْ بأن يُعْتَقَ إِنْ كَانَ عِتْقٌ ، أى إِنْ وَقَعَ عِتْقٌ ، فَحَذَفَ الباءَ ، وحروف الجرِّ مع أن تُتْلَى كثيراً ، ثم حَذَفَ أن ورفَعَ الفعلَ ، فهو كقولهِ :

ألا أَيُّهَذَا الزاجِرِيُّ أَحْضَرُ الوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي^(١)
يَدُلُّ على أن أن من أَحْضَرُ محذوفٌ أنه عطف عليه بأن فقال : « وأن أَشْهَدَ اللَّذَاتِ » . وجواب الشرط ، وهو « إِنْ كَانَ عِتْقٌ » ، ما يَدُلُّ عليه « وأحَقُّهُمْ » و « أَقْرَبُ مَنْ أَصَبَتْ » . وكان هذه كان التامة فلماذا استغنت عن الخبر . والمعنى : والنَّضْرُ أَقْرَبُ الأسْراءِ الَّذِينَ أَسْرَتَهُمْ إِلَيْكَ ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْعِتْقِ إِنْ وَقَعَ فِكَالُ وَعِتْقٌ .

٣٣٣

وقال النابغة الجعدي^(٢) :

١ — فَتَى كَانَ يَدُنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ^(٣)

(١) لطفة بن العبد ، في معلقته .

(٢) هو عبد الله بن قيس ، من بني جعدة بن كعب بن ربيعة ، ويكنى أبا ليلي . وهو من مخضرمي الجاهلية والإسلام . ويقال إنه كان أقدم من النابغة الذبياني . الذبياني نادم النعمان ، وهذا نادم أباه . قالوا : ومات بأصبهان وهو ابن مائتين وعشرين سنة . الشعراء ٢٤٧ — ٢٥٥ والمعمرين ٦٤ — ٦٦ وابن سلام ٢٦ — ٢٨ والأغاني (٤ : ١٢٧ — ١٣٩) والخزانة (١ : ٥٠٩ — ٥١٥) والمؤتلف ١٩١ ومعجم المرزبان ٣٢١ والموشح ٦٤ — ٦٧ ، واللائي ٢٤٧ والاستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة .

(٣) كذا ورد هذا البيت . والحق أنه للأبيرد الرياحي كما في الكامل ١٢٣ ليسك . ولم يرو التبريزي هذه الحماسية .

هذا مثل قول الهذلي^(١) :

أبو مالك قاصِرٌ فقِرُهُ على نَفْسِهِ ومُشِيعٌ غِنَاهُ
وأحسن منهما قول الآخر :

إذا افتقرُوا عَضُوا على الفَقْرِ حِسْبَةً وإن أيسرُوا عادُوا سِرَاعًا إلى الفَقْرِ

٣٣٤

وقال أيضاً :

١ - فَتَى كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

٢ - فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيًا^(٢)

لما قال : « كان فيه ما يسرُّ صديقه » وعلم أن في الناس من يجمع الخيرَ خالصاً من دون الشرِّ خشياً أنه إن سكَّت على هذه الجملة ظنَّ به القصورُ عن التمام ، والوقوفُ دون الكمال ، فلا يكون فيه النكايَةُ في الأعداء والإساءة إليهم ، وإذلالهم وإرغامهم . ثمَّ وصفه بأن قال « على أن فيه ما يسوء الأعدايا » وهذا هو النهاية في الكمال ؛ لأنه إذا عرَف لأوليائه ما يُوجب عليه التوفّر عليهم ، وجميل التفقّد لهم ، وعرَف لأعدائه ما يُوجب التنبُّصَ منهم وإذلالهم ، كان في ذلك أكمل الكمال .

وقوله « فتى كملت خيراته غير أنه جواد » هذا استثناء في نهاية الحسن ، فهو كالتأكيّد لأوّل الكلام ؛ لأن كونه جواداً لا يكون عيباً فيخرجه من قوله « كملت خيراته » ، لكنّه إذا كان عيبه المستثنى من الخيراتِ الجودَ الذي

(١) هو المتنخل . ديوان الهذليين (٢ : ٣٠) .

(٢) البيتان من قصيدة رثى بها النابغة الجعدي أخاه ، وروى البغدادي في الحزانة

(٢ : ١٢ - ١٣) بعض أبياتها .

هو مؤثرٌ عند الله تعالى وعند الناس ، فخصاله المحمودة الباقية ماذا ترى تكون . فهو استثناءٌ منقطع من الأوّل ، كأنّه قال : كملت خيراته لكنّه جواد . وإذا تأملت وجدت البيت الثاني مثل البيت الأوّل ، في أنّه أتبع ثناءً بثناءً ، وأردف مديحاً بمدح ، فعجز كل واحدٍ منهما يؤكّد صدره ، ويزيده مبالغةً معنيً وتظاهرً مبدأً ومُنتهىً . ومثلهما بيت النابغة :

ولا عيبَ فيهم غير أن سُوّفهم بهنّ فلولٌ من قِراعِ الكتابِ
وموضع قوله « فتى » في البيتين جميعاً نصبٌ على الاختصاص ، كأنه قال : أذْ كُرُفْتِي هذه صفتُه . ولا يمتنع أن يكون موضعه رفعاً على أن يكون خبر مبتدأ محذوف . فإن قيل : ما موضع « على أن فيه ما يسوء الأعدايا » من الإعراب ؟ قلت : هو مجرى وإن كان جمعاً بين صفتين متضادتين على أن الثانية كالحال للأولى ، كأنّه قال : فيه ما يسرُّ صديقه مركباً على ما يسوء الأعدايا . وقوله « فما يُبقي من المال باقيا » تأكيدٌ للجود . وانتصاب « باقيا » يجوز أن يكون على المفعول ، ويجوز أن يكون على المصدر ، وقد وضعه موضع الإبقاء . ومثله :

* كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءِ كَافٍ ^(١) *

وضع كافٍ موضع كفاية ، وهو مصدرٌ منصوب ، لكنّه حذف فتحة الإعراب من آخره وإن كانت الفتحة مستخففةً ، على طريقة مَنْ قال :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ ^(٢) *

(١) البيت لبشر بن أبي خازم في مختارات ابن السجري ٧٥ . وعجزه :

* وليس لحبها إذ طال شاف *

(٢) الرجز في اللسان والمقاييس (قرق) وإصلاح المنطق ٤٦٤ .

٣٣٥

وقال^(١) :

- ١ — وأى فتي ودعت يوم طويبع عشيّة سلمنا عليه وسألمّا
 ٢ — رعى بصدور العيس منخرق الصبا فلم يدّر خلق بعدها أين يمما
 ٣ — فيا جازي الفتيان بالنعم اجزه بنعماه نعمى واعف إن كان أظلمّا^(٢)

انتصب «أى» بـ «ودعت»، والكلام فيه تعجب على طريق التفخيم للشأن، والتعظيم للأمر. وانتصب «عشيّة» على البدل من يوم، والمعنى: ما أجل شأن فتي ودعناه عشيّة شيعناه من يوم طويبع، وقضينا فيما بيننا وبينه بعدد حق التوديع، بأن سلمنا عليه وسلم هو علينا، أى قلنا: أصحبتك الله السلامة، وحفظك حيث كنت! وقال لنا مثل ذلك. وهذا كأنه كان تمنيّة للوداع حينئذ، وتذكرة من بعد من الشاعر. وإرسال القول فيه تحشّر وتوجّع. وقوله «وسألمّا» يريد وسلم علينا، فحذف علينا. ويجوز أن يكون أراد بـ «ودعت» الوداع الذي لا تلاقى بعده. ألا ترى أنه يقال للمفارق: غير مؤدّع! أى جعل الله بعده النقاء. وقد كشف عن هذا المعنى طرفة حيث يقول:

قفي ودّعينا اليوم يا ابنة مالك وعوجى علينا من صدور جمالك
 قفي لا يكن هذا تعلقة ساعة لبين ولا ذا حظنا من نوالك
 فإذا جعلت ودعت على هذا، انفصل معناه عن معنى سلمنا عليه وسألمّا. وهذا ظاهر.

(١) يفهم من هذا الصنيع أن الشعر للنابغة الجعدي. وفي التبريزي: «وقال آخر» فيكون غيره. وأنشد ياقوت هذه الأبيات في معجم البلدان (٦: ٧٣).
 (٢) أظلمّا، هذه الرواية التي يقتضيتها الشرح. وقد كتبت بخط مخالف لخط الأصل: «بجرما» وهذه الأخيرة هي رواية التبريزي، قال التبريزي بعدها: «ويروى إن كان أظلمّا».

وقوله « رَمَى بِصُدُورِ الْعَيْسِ مَنْخَرِقِ الصَّبَا » يريدُ أنه توجَّهَ في المَفَاذَةَ حيثُ تَنْخَرِقُ الرِّيحُ ، وَرَمَى بِصُدُورِ رَوَاحِلِهِ نَحْوَهَا ، فلم يُعْرَفْ له بعد ذلك خَبْرٌ ولا أثر . وقوله « أَيْنَ يَمَّا » موضعُ الجملة من الإعراب نصبٌ على أنه مفعول لم يَدْرُ ، كأنه قال : لم يَدْرِ خَلَقَ ما يقتضى هذا السُّؤال . وهذا الكلامُ نهايةٌ فيما يثيره الجَزَعُ من المشْفِقِ القَلِقِ ، وَيَدُورُ في شكوى المتولِّه الحَدِيبِ ، لأنه إذا لم يمكنه الرُّجُوعُ إلى شيءٍ بعد جَوْلَةِ الوداع والافتراق ، إلاَّ إلى صَدْمَةِ اليأس والاكْتِئابِ ، فذاك أجلب لِلوَاذِيعِ الرَّزِيئَةِ ، وأجمعُ لبوارحِ الشَّكِيَّةِ .

وقوله « فَيَا جَازِيَّ الْفِتْيَانِ بِالنَّعَمِ اجْزِهِ » دعاءٌ له ، والمعنى أحْسِنْ إليه بَدَلِ إحسانه إلى خَلْقِكَ ، وَجَزَاءً على إِنْعامِهِ في عِبَادِكَ ، وَتَجَاوَزْ عن سَيِّئَاتِهِ فيما كان فيه ظالماً ، وعن الحَقِّ والنِّصْفِ عادِلاً . وقوله « كانَ أَظْلَمًا » أى كان ظالماً . وأفعلٌ بمعنى فاعلٍ جاء كثيراً . ومثله :

* فَيْتَلِكُ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ ^(١) *

وجعل في الثانى شرطاً لأنه قال « واعفُ إن كان » وفي الأوَّل لم يأتِ بمثله ليدلَّ على سلامة طريقتِهِ من الجَوْرِ والاهْتِضامِ ، وبراءةِ ساحته في غالب ظنِّهِ ممَّا يستحقُّ به العقابَ والانتقامَ . والكلامُ وإن كان فيه دعاءٌ فهو تحشُّرٌ وتوجُّعٌ . وإنما قلتُ هذا لأنَّ استعمالَ الدُّعاءِ بعقبِ ما ذَكَرَ طريقٌ في إظهارِ الخيبةِ لا يكاد يعفِّيها تعاوُرَ الأحوالِ بالسَّلْوةِ ، ولا يحوِّلُ عن سلوكها تعاقبُ الأزمانِ بالمساءةِ والمَسَرَّةِ .

(١) سبق إنشاده وتخرجه في ص ١٠١ . وصدوره :

* تمنى أناس أن أموت وإن أمت *

٣٣٦

وقال شبيب بن عوانة^(١) :

١ - لَتَبِكِ النِّسَاءُ الْمُعْوَلَاتُ بَعْوَلَةً أبا حُجْرٍ قَامَتْ عَلَيْهِ النَّوَائِحُ

٢ -- عَقِيلَةٌ دَلَّاهُ لِلْحَدِّ ضَرِيحِهِ وَأَثْوَابُهُ يَبْرِقُنْ وَالْخُمْسُ مَائِحُ

٣ - خِدَبٌ يُضِيقُ السَّرَجُ عَنْهُ كَأَنَّمَا يَمُدُّ رِكَابَيْهِ مِنَ الطُّوْلِ مَائِحُ

لَتَبِكِ النِّسَاءُ : أمرٌ من فعلٍ يدلُّ على الحال . ألا ترى أنه وصف النساء المأمورات بأنهنَّ مُعْوَلَات . والأمر وإن كان في الأكثر يُبْنَى على المستقبل يصحُّ أن يبني على ما للحال ، ويراد به الاستدامة والاستمرار في الفعل . على ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . وقوله « بَعْوَلَةٌ » تَعَلَّقَ الباء منه بِلَتَبِكِ ، والمراد أن يكون بكاء المُعْوَلَات أبا حُجْرٍ بزيادة عَوَلَةٍ . المُعْوَلَات : الصَّامِحَات ، والاسم العويل . و « قامت عليه النَّوَائِحُ » في موضع الحال وقد مضى ، كأنه قال : لَتَبِكِ النِّسَاءُ فَقَدِمَاتِ النَّوَائِحُ يَنْحَنُ عَلَيْهِ . وهذا كله تفضيع للرزية ، وتنبيهٌ على وجوب البكاء له ، وأن الزيادة في العَوَلَات عليه مُسَوِّغَةٌ ، لأنَّ فَقْدَ اسْمِهِ غير مُشَاهِدٍ من قبل ولا مُعْتَادٍ .

وقوله « عَقِيلَةٌ دَلَّاهُ » اقتصاصُ حال التجهيز والدَّفْنِ ، وأنها وقعت بمراى منه ومسمع ، فشقي بمزاولتها ، وكمد لمشاهدتها . وأراد بالأثواب أ كفانه ، فجعلها تبرق لبياضها . والمائح أصله الذي يدخل البئر فيعرف الماء في الدلاء إذا قلَّ الماء . وها هنا أراد الذي يدخل القبر فينظفه ويصلح ما يجب إصلاحه منه . ودلَّى ، أصله الإرسال ، وتوسَّعوا فيه فقيل : دَلَّاهُ بغيره ، إذا خدعه . وتدلَّى

(١) العوانة : النخلة الطويلة ، أو دابة دون القنفذ ، وبها سمى الرجل .

على كذا بالحليل . فيقول : عقيلة هو الذي أرسله لأجد القبر ، وأكفانه لبياضها ونظافتها تلمع ، والخمس هو الذي تولى من القبر ما تولى . وسوق كل هذا تفجع وتألم ، وتذكر لما سخنت له العين ، وأحرقت له الكبد .
 وقوله « خدب » هو الكامل الخلق التام الأعضاء ، القوى السوى .
 لذلك قال « يضيق السرج عنه » . وقوله « كأنما يمدُّ ركابيه » وصفه بامتداد القامة وطول البادين^(١) . ويحمد من الفارس ذلك . وقوله « كان ماتحاً » أى مستقيماً ، يمدُّ ركابيه من بئر لطولها . والخدب : الطويل . يقال : إن في ذلك لخدباً أى طولاً . وبعير خدب : ضخمة شديد .

٣٣٧

وقال^(٢) :

١ — أبا خالدٍ ما كان أدهى مُصيبةً أصابت معداً يوم أصبحت ثاويًا
 ٢ — لعمري لئن سُرَّ الأعدى وأظهروا شماتًا لقد مرثوا بربعك خالياً
 ٣ — فإن تك أفتته الليالي فأوشكت فإن له ذكراً سيئيفني الليالياً

خاطب المرثى فقال متلها : ما أعظم مصيبة أصيبت بها قبائل معد يوم فجع بك فأصبحت مقياً في مكان لا تبرح منه . يُشير إلى القبر . ويقال : ثوى بالمكان وأثوى جميعاً . وقوله « أدهى » يقال دهاه كذا يدهاه دهيًا ودهواً ، إذا أثر فيه تأثيراً شديداً . ودهاية دهياء ودهواء . والدهاية : المنكر من الأمر . فيقول : إن المصيبة بك ما أعظمها وأنكرها ، فيا لمعد فقد بُليت بها .
 وقوله « لعمري » مبتدأ وخبره محذوف ، و « لئن سُرَّ » شرط ، واللام

(١) البادان : مثنى باد ، وهو باطن الفخذ .

(٢) التبريزي : « وقال آخر » .

موطئة للقسم ، وجواب لعمري لقد مرثوا ، وجواب الشرط ما دلَّ عليه هذا الجواب . والمعنى : وبقاى لئن كان الأعداى مسرورين بموتك ، شامتين بذويك وعشيرتك لقدم لك ، فقد وقعت الشماتة فى وقتها وحينها ، ووافاهم الشرور لحادث أمر عظم موقعه ، لأنهم مرثوا بربعك خاليا . والمعنى : أن ما كان ممدودا على ذويك وأولياك من نطاق الاعتزاز بمكانك ، والاعتلاء بجذك وجدوه قاصراً زائلا منقطعا . وانتصب « خاليا » على الحال . وقوله « فإن يك أفنته الليالى فأوشكت » معنى أوشكت : أسرعت . كأنه استقصر مدة بقائه . ويجوز أن يكون استقصر مدة عاتته . والكلام فى حذف النون من إن تك فقد تقدم فى مواضع . وقوله « فإن له ذكراً سيفنى الليالى » يريد : إن كان عمره قد انقطع فإن ذكره متصل بالأبد ، لا تفنيه الأيام ولا تقطعه الآماد ، بل هو يفنى الأيام والآماد . ووشك البين : سرعة القطيعة . وتقول : لو شكأن ذا ، كما تقول : لعجلان ما كان كذا . ومثله قوله :

فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه فى القبائل^(١)

٣٣٨

وقالت امرأة من كندة :

- ١- لا تخبروا الناس إلا أن سيّدكم أسلمتموه ولو قاتلتهم امتنعا
 - ٢- أنعى فتى لم تذر الشمس طالعة يوماً من الدهر إلا ضرراً أو نفعاً
- قوله « لا تخبروا الناس إلا » تهكم وسخرية ، يشوبه تعبير شديد . أى قد ارتكبتم أمراً عظيماً بتسليمكم سيّدكم ، فاسترّوا أمركم ولا تُنبئوا الناس به . وهذا مخاطبة لقوم خذلوا رئيسهم ولم يثبتوا معه ، حتى قُتل . فيقول :

(١) البيت ٤ من الحماسية ٣١٤ ص ٩٢٨ .

لو ثبتوا وتابعوا للدفاع عن نفسه وعنهم . وقوله « إلا أن سيّدكم » إلا بمعنى غير ، فهو منقطعٌ مما قبله . وهذا الاستثناء من المعنى ، كأنه قال : سألتم إلا أن سيّدكم أسلمتم .

وقولها « أنعى فتى لم تذرّ الشمس طالعةً » انتصب طالعةً على الحال المؤكّدة لما قبله . والكوفيّون يقولون في مثله : انتصب على القطع . وكما أن الحال يجيء مؤكّداً لما قبله تجيء الصفة أيضاً مؤكّدة لما قبلها . ومثال الحال : رأيتُه في الحمام عرياناً ، فعريان حالٌ مؤكّدة . ومثال الصفة أن تقول : فعلتُ كذا أمس الدّابر . وذرور الشمس : انتشارها في الجوّ . والمعنى : أذكر موت فتى لم تطلع الشمس يوماً من أيّام الدهر عليه إلا وهو ضارٌّ لأعدائه ناكٍ فيهم ، أو نافعٌ لأوليائه مُسَدِّ إليهم . وفي هذا ذهب إلى مثل ما قاله عدىّ :

إذا أنت لم تنفع بوّدك أهله ولم تنك بالبؤسى عدوك فابعد

٣٣٩

وقالت امرأة من بني أسد :

- ١ — خليلي عوجاً إنها حاجة لنا على قبر أهبانٍ سقته الرّواعدُ
تخاطب صاحبين لها تسألها التعريج على قبر أهبان زائرين له ، ومجددين العهد به . وقوله « سقته الرّواعد » دعاءٌ للقبر بالسّقيا . والرّواعد : السّحاب التي فيها الرّعد . وقولها « إنها حاجة لنا » حشوٌ واعتراض ، وقد وقع موقعاً حسناً ، وفيه استعطفٌ للمخاطبين واستلطافٌ فيما تكلفهما . ويقال : ما عند فلان تعويج عليهم ، أي تعريج . وعجنا بالمكان أشدّ العياج والعوج ، أي عطفنا .
- ٢ — فتمّ الفتى كلّ الفتى كان بينه وبين المزجيّ نفنّف متباعد
قولها « كلّ الفتى » مفيدٌ للتأكيد ، وجامعٌ أسباب الفتوة كلّها

الموصوف ، فكأنها قالت : ثمّ الفتى التامّ الفتوة حتى لم يغادر شيئاً من علائقها وأسبابها . وقولها « كان بينه وبين المزجى » ، والمزجى : الضعيف ، كأنه يزجى الوقت في الاعتداد به بين الفتيان . ويجوز أن يكون سمى الضعيفُ مزجى لتأخره وحاجتهم إلى ترجيته واستحثائه فيما يعين . وهذا كما قيل « المركب » في الضعيف الفروسيّة . والنّفذ : المهواة بين الجبلين ، والأرضُ بين الأرضين . وهذا كما يقال : بين هذا وبين كذا بونٌ بعيد . فتقول : بين هذا الفتى وبين من يزجى في الفتيان مهواةً بعيدة ، حتى لا التقاء ولا تداني .

٣- إذا انتضل القوم الأحاديث لم يكن عيباً ولا عيباً على من يقاعد^(١) أصل الانتضال والنضال في الرّماء ، ثم يستعمل توسعاً في المفاخرة وقت المنافرة ، ومجاثاة الخصوم لدى المنافرة^(٢) . ألا ترى لبيداً يقول :
فانتضلنا وابن سلمي قاعد
كعتيق الطير يغضى ويوجل
ثم قال :

فرميتُ القومَ رشقاً صائباً ليس بالعُضل ولا بالمتععل
فيقول : إذا تجاذب القوم أطراف السمر والأخبار ، وتنازعا قصص
الفرسان والأيام ، ودسوا في أثناء المسارّة روائح التبجح والمسكثرة ، لم يكن
حاجزاً فيما بينهم فدمًا ، ولا ضعيف التصرف بكياً ، ولا كان ثقيلاً على جلسائه ،
سيئ العشرة^(٣) خلطائه ، بل كان حسن المجلس معهم ، مستحلي المناذمة بينهم ،
خفيف الوطأة عليهم .

ومن روى : « ولا رباً على من يقاعد » فإنه يريد : لا متكبراً على
جليسه فعل ذى الملكة والسلطان ، والآخذ على مصطنعه بالاعتلاء والامتنان .

(١) التبريزى : « ولا ربا » . وقال : « ويروى : عيباً ... ويروى : لبا ، أى ضعيفاً » .

(٢) المنافرة ، بالفاء : المفاخرة ، كأنها من كثرة النفر بمعنى العشرة . وبالقاف : المنازعة

(٣) في الأصل : « العشرة » ، تحريف .

ومراجعة الكلام . (٣٢ - حماسة - ثان)

٣٤٠

وقال كعب بن زهير^(١):

١- لقد ولى أليته جوى^(٢) معاشر غير مطلول أخوها^(٣)

كان جوى على ما دل عليه الكلام حلف في وجوه ناكبيه والعازمين على قتله ، أنهم لا يستمرئون فعلهم ذلك ، وأن عشيرته وأصحابه سيطلبون دمه ويديركون ثاره ، فكانوا عند ظنه بهم من غير إهمال ولا تضييع . فيقول : جعل جوى ولاية يمينه التي أقسم بها إلى معاشر لا يبطل دم صاحبهم ولا يهدر ، بل لا ينامون ولا ينيمون حتى ينالوا الوتر . وقوله « غير مطلول أخوها » أى دم أخيها ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . قال :

دماؤهم ليس لها طالب مطولة مثل دم العذرة

وقال :

تلكم هريرة لا تجف دموعها أهرير ليس أبوك بالمطلول

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى ، من شعراء الصحابة ، نشأ في بيت كلهم شعراء ، فأبوه وجده ، وعمته سلمى والخنساء غير المشهورة ، وخال أبيه بشامة بن الغدير ، وابنا عمته صخر والخنساء المشهورة ، وأخوه بجير وولده عقبة وحفيده العوام ، كلهم شعراء . أسلم بهد الفتح ، وعفا عنه الرسول وآمنه بهد كان قد أهدر دمه ، وكساه البردة . انظر كتب الصحابة والأغاني (١٥ : ١٤٢ - ١٤٣) والشعراء ١٠٤ - ١٠٧ ومعجم الرزباني ٣٤٢ والخزانة (٤ : ١١) .

(٢) جوى هذا هو جوى بن عائذ ، من مزينة . وكانت مزينة حلفاء الأوس ، فر جوى على الأوس والخزرج وهم يقتتلون فدخل في الأوس فأصيب جوى ، فر به ثابت الخزرجي والد حسان ، وقال له : لقد دخلت في قوم ما يحمونك ! فقال جوى وهو يوجد بنفسه : أعطى الله عهداً ليقتلن بن منكم خمسون ليس فيهم أعور ولا أعرج . وثارت مزينة ، فأعملت القتل في الخزرج فقتل منهم عدة . شرح السكري لديوان كعب ٢٠٩ - ٢١١ وشرح التبريزي للحجاسة .

أى لا يُنسى دمه ولا يبطل ديتُهُ . والأليَّةُ : اليمين ، وجمعها أليابا .
والفعل منه آليتُ أولى إبلاءً ، وائتلى . وفي بعض اللغات يقال الألوَّةُ .

٢ - فإن تهلك جوى فإن حرباً كظنك كان بعدك موقدوها
خاطب بعد أن أخبر على طريق التسلية ، فيقول : إن ذهبت لما دُعيت له
فإن الذين شبوا نار الحرب بعدك في التقاضى بك كانوا كما ظننتهم ، وعند أملاك
فيهم . فقوله « موقدوها » ارتفع بكان ، وكظنك في موضع خبر كان وقد تقدم ،
والجملة أعنى كان موقدوها بعدك كظنك خبر إن ، واسم إن وهو حرباً نكرة غير
موصوفة أيضاً ، وساغ ذلك لما كان المراد بها مفهوماً معلوماً . ويجوز أن يجعل
قوله « كظنك كان بعدك موقدوها » من صفة حرباً ، ويجعل خبر إن محذوفاً ،
كأنه قال : إن حرباً هذه صفتها وقعت . وبيت الأعشى حجة في الوجهين
جميعاً . وهو :

إن محلاً وإن مرتحلاً وإن في السفر إذ مضى مهلاً
ألا ترى أن معناه إن لنا محلاً وإن لنا مرتحلاً ، لحذف الخبر ، ومحل
ومرتحل نكرتان .

٣ - وما ساءت ظنونك يوم تولى بأرماح وفي لك مشرعوها
٤ - ولو بلغ القليل فعال قوم لسرك من سيوفك متضوها^(١)
٥ - كأنك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها^(٢)

(١) بعده عند التبريزي ، وهو في الديوان بعد البيت التالي :

لنذرك والنذور لها وفاء إذا بلغ الخزيّة بالغوها

(٢) بعده عند التبريزي :

فما عتر الأطباء بحى كعب ولا الخمسون قصر طالبوها
صبحن الخزرجية مرهفات أبان ذوى أرومتها ذووها

قوله « وما ساءت ظنونك » تشكراً للعشيرة وإن كان لفظه إعلاماً جويّاً ما كان منهم وثناً عليهم ، فيقول : لقد حسنَ ظنُّكَ بأرماحِ وفي لك مهيتوها ومعلموها يوم حلفك ، فلا جرّمَ أنَّهُم صدّقوا ظنَّكَ بهم ، وحقّقوا اعتقادك فيهم ، وجدّوا في طلب الأمر وانكشوا ، حتّى برّت يمينك ، وطابت نفوسُ أودائك والمفجوعين بك . وجعل الباء من قوله « بأرماح » متعلّقا بقوله ظنونك ، وإنّما الظنّ كان بأربابها ، مجازاً واتّساعاً .

وقوله « ولو بلغ القتيلَ فعالمٌ قومٍ » يريد لو أمكن إبلاغُ المقتولين ما يفعله الأحياء بعدهم لقمّت في ذلك وقعدت ، علماً بأنّ ما أتاه قومك إذا تأدّى إليك سرّك وقوعه وحدثهم له . ويقال : نصّأ سيفه وانتضاه ، إذا جرّده من غمده . وقال « من سيوفك » وأضافها إليه لما كان أربابها من أسبابه ، وما للسبب مثل ما للسبب .

وقوله « كأنك كنت تعلم يوم برّت ثيابك » أراد بالثياب السّلاح ، وهذا كما يُقال له البرّ . قال الهذلي (١) :

* فوَقَّرَ بَرّاً ما هنالِكَ ضائعٌ (٢) *

يعنى به السّيف ، ومعنى وُقِّرَ وُقِّعَ وَقَرَاتٌ وهزَمَاتٌ فيه . ويقال برّاه كذا وابتزّه . وفي المثل : « من عزّ برّ » ، أى من غلب سآب . وقال اللّريدى : البرّ السّلاح ، يدخل فيه الدرع والمغفر والسّيف . وجعل تعلم بمعنى تعرف ، لذلك اكتفى بفعول واحد ، كقول الله تعالى : ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ . و « ما سيلقى » ما بمعنى الذى ، وما بعده من صليته ، وحذف المفعول من سيلقى

(١) هو قيس بن عيزارة . ديوان الهذليين (٣ : ٧٨) ، وانظر ما سيأتى فى الحماسية ٣٤٥ ص ٩٨٨ .

(٢) صدره : * فويل ام بز جر شعل على الحصى *

استطالةً للاسم بصلته ، أراد ما سئلناه ، ويعنى بذلك ما يصيبهم في مكافأة فعلهم ، وعند الانتقام منهم .

٣٤١

وقال آخر :

١- نَعَى النَّاعِي الزُّبَيْرَ فَقَلْتُ تَنْعَى فَعَى أَهْلَ الْحِجَازِ وَأَهْلَ نَجْدٍ

٢- خَفِيفَ الْحَاذِ نَسَّالَ الْفِيَا فِي وَعَبْدًا لِلصَّحَابَةِ غَيْرَ عَبْدٍ

يقول : خَبَّرَ النَّاعِي بِمَوْتِ الزُّبَيْرِ ، فَقَلْتُ بِمَظَا لِسَانِهِ ، وَمَفْخَمًا لِلتَّأْثِيرِ بِمَكَانِهِ : إِنَّكَ تَذَكَّرَ مَوْتَ قَرِيبِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ نَجْدٍ وَمَخْتَارِهِمْ ، وَمَنْ لَا تَحْقُ الْفُتُوَّةُ بِالِاتِّفَاقِ إِلَّا لَهُ . وَقَوْلُهُ « خَفِيفَ الْحَاذِ » وَصَفَهُ بِخَفَةِ الْعِجْزِ وَقِلَّةِ اللَّحْمِ عَلَى الْفَخِذِ ، وَذَلِكَ مُسْتَحَبٌّ مِنَ الْفُرْسَانِ . قَالَ الْخَلِيلُ : الْحَاذَانُ : أَدْبَارُ الْفَخِذِينَ ، وَالْأَحَاذُ الْجَمِيعُ ^(١) . وَقِيلَ هُوَ الظَّهْرُ . وَالْحَاذُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ : الْحَالُ وَالْمُؤَوَّنَةُ . وَقَوْلُهُ « نَسَّالَ الْفِيَا فِي » أَرَادَ نَسَّالًا فِي الْفِيَا فِي ، فَأَجْرَاهُ مَجْرَى قَطَاعِ الْفِيَا فِي . وَالنَّسْلَانُ : مِشِيَةُ الذَّنْبِ إِذَا أَعْنَقَ وَأَسْرَعَ . وَيُقَالُ : نَسَلَ الْمَاشِي ، إِذَا أَسْرَعَ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ أَيْ يُسْرِعُونَ .

وقوله « عَبْدًا لِلصَّحَابَةِ غَيْرَ عَبْدٍ » يَصِفُهُ بِكَرَمِ الصَّحَابِ ، وَحُسْنِ التَّوْفُرِ عَلَى الرَّفَاقِ . وَالصَّحَابَةُ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ ، يُقَالُ أَحْسَنَ اللَّهُ صَحَابَتَكَ ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ صِفَةً ، وَقَوِي فِي الْوَصْفِيَّةِ حَتَّى جَرَى مَجْرَى الْأَسْمَاءِ ، وَتَفَرَّدَ عَنِ الْمَوْصُوفِ بِهِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ صَاحِبُ اسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ صَحِبَ ، تَفَرَّدَهُ بِنَفْسِهِ ، قَوِي حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ بِمَشْتَقٍّ مِنْ صَحِبَ ، لَا يَكَادُ يُقَالُ هُوَ صَاحِبٌ زَيْدًا كَمَا

(١) المعروف في جمعه « أحواذ » ، كما في اللسان .

يقال هو ضاربٌ زيداً . ومعنى « غير عبدي » نفيٌ لذلِّ العبودية ، لأنَّ قوله « عبداً للصحابة » أراد كرم الخلق وسهولة الجانب ، وتحمل الأعباء عن رفقائه . وقد ألم في هذا بقول الآخر^(١) :

* طَبَاخِ سَاعَاتِ الْكَرَمِيِّ زَادِ الْكَسِيلِ *
*

٣٤٢

وقال رقيقة الجرمي ، من طيِّء :

- ١- أقولُ وفي الأَ كِفَانِ أبيضُ ماجدٌ كغصنِ الأَرَاكِ وَجْهُهُ حِينَ وَسَمَا
- ٢- أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَائِيًّا رِفَاعَةَ طُولِ الدَّهْرِ إِلَّا تَوَهَّأَ

مفعول « أقول » هي جملة البيت الذي يليه ، والواو من قوله : « وفي الأ كِفَانِ أبيضُ ماجد » واو الحال ، و « كغصنِ الأراك » في موضع الصفة لأبيض . شبه امتداد قامته به . و « وجهه » على هذا يكون مبتدأ وخبره حين وسما ، والجملة في موضع الصفة لما قبله . وظروف الأزمنة لا تتضمن الأشخاص والجثث ، لا تقول زيدٌ اليوم ، ولكن هذا مثل قولهم : الهلالُ اللَّيْلَةَ ، فكما جاز هذا لأن المراد طلوع الهلال اللَّيْلَةَ ، كذلك قوله « وجهه حين وسما » لأن المعنى : يُقُولُ وَجْهَهُ^(٢) حِينَ وَسَمَّ . ومعنى وَسَمَّ : خَرَجَ قَلِيلًا ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ بِمَعْنَى تَوَسَّم ، كما أَنَّ وَجْهَهُ بِمَعْنَى تَوَجَّهَ ، وَنَبَّهَ بِمَعْنَى تَنَبَّهَ ، وَقَدَّمَ بِمَعْنَى تَقَدَّمَ . وَيُقَالُ لَوَنَّ الْغَلَامُ^(٣) ، وَطَرَّ ، وَوَسَّم ، وَبَقَلَ بِالتَّخْفِيفِ ، فِي مَعْنَى وَاحِدٍ . وَأَجَازَ أَبُو حَاتِمٍ بِقَلِّ بِالتَّشْدِيدِ وَرَوَاهُ الْأَصْمَعِيُّ وَلَمْ يُجِزْهُ غَيْرُهُ . وَالْمَعْنَى : أَقُولُ

(١) هو السماخ ، أو جبار بن جزء أخى السماخ ، أو أبو النجم ، أو ابن المعتز . الخزانة (٢ : ١٧٣ بولاق) و (٤ : ١٧٧ سلفية) .

(٢) بقول الوجه : خروج شعره . وفي الأصل : « يقول وجهه » ، تحريف .

(٣) استعمال مجازي لم يرد في المعاجم المتداولة .

متلِّهًا وقد كُفِنَ بمرأى منى ثمَّ شابَّ مجتمِعٌ كريمٌ شريفٌ حسن الطَّاءة^(١) ،
 كأنَّه غُصِنَ من الأراكِ ووجهه قد وَسَمَّ حديثًا . والمعنى : اعتُبط ولم يُمتَّع
 بشبابه ، ولا أمهلَ لاستكمالِه واكتمالِه . فأقول : حقًّا عبادَ الله ما أرى .
 وقد ألمَّ في هذا المعنى بقول النَّابغة :

* يقولون حِصْنٌ ثمَّ تَأبَى نفوسُهُم^(٢) *

كأنه يكذب للمشاهدة كما كذب النَّابغة الإخبار . وكلُّ ذلك لاستفطاع
 الحال ، واستعظام الأمرِ والخطب . فأما قوله « أَحَقًّا » انتصب^(٣) عند سيديويه
 على الظرف ، كأنَّه أفي الحقِّ ذلك . فإن قيل : كيف جاز أن يكون ظرفًا ؟
 قلتَ : لمَّا رآهم يقولون : أفي حقِّ كذا ، أو أفي الحقِّ كذا ، جعله إذا نصبوه
 على تلك الطريقة ، قال :

أفي حَقِّ مُوَاسَاتٍ أَخَاكُم بِمَالِي ثُمَّ يَظْلِمُنِي السَّرِيسُ^(٤)

وقال :

أفي الحقِّ أَنِّي مُفْرَمٌ بِكَ هَائِمٌ وَأَنَّكَ لَا خَلَّ هَوَاكَ وَلَا خَرُّ
 وقوله « أن استُ رائيا » أنْ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ . والمعنى : أفي الحقِّ لستُ
 رائيًا هذا الفتى إلا متوَّهاً أَبَدَ الدَّهْرِ . وقوله « توَّها » مصدر في موضع الحال .

(١) الطَّاءة بفتح الطاء : الحال اللينة . قال الكمي :

أغمشى المكاره أحيانًا ويحملني منه على طأة والدهم ذونوب

(٢) عجزه كما في شروح سقط الزند ٢٦٢ ، ٨١٣ :

* فكيف بحصن والجمال جنوح *

(٣) جرى في حذف فاء الجواب على مثل ما جرى عليه في ص ٨١٤ . وهو جائز

على قلة .

(٤) لأبي زيد الطائي ، كما في اللسان (سرس) . والسريس : الغنبن ، أو الندى

لا يولد له .

وفائدة قوله « عباد الله » أنه رجع فيما كان لا يؤمن به ولا يسكن إليه شناعةً وقباحةً ، إلى الناس كافةً يستثبتهم ويستفتيهم .

٣- فَأَقْسِمُ مَا جَسَّمْتُهُ مِنْ مُهِمَّةٍ تَوُودُ كِرَامَ الْقَوْمِ إِلَّا تَجَشَّمًا^(١)
٤- وَلَا قُلْتُ مَهْلًا وَهُوَ غَضَبَانُ قَدْ غَلَا مِنْ الْغَيْظِ وَسَطَ الْقَوْمِ إِلَّا تَبَسَّمًا

يُصِفُ رِضَاهُ وَحُسْنَ طَاعَتِهِ لَهُ ، وَقُوَّةَ نَهْضَتِهِ بِكُلِّ مَا يُحْمَلُهُ مِنَ الْأَثْقَالِ الْمُتَعَبَةِ ، وَالْأَرَابِ الْمُثْقَلَةِ ، وَدَوَامَ صَبْرِهِ عَلَى جَمِيعِ مَا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْمَهْمَاتِ الشَّاقَّةِ عَلَى كِرَامِ النَّاسِ الْبَاهِظَةِ ، إِلَى مَا كَانَ يُوجِبُ لَهُ وَيَعْظُمُ قَدْرَ كَلَامِهِ ، فَقَالَ : وَلَمْ أَقُلْ لَهُ رَفَقًا إِذَا احْتَمَى غَيْظًا إِلَّا سَكَنَ وَحَسُنَتْ فَيْئَتُهُ ، وَكَرُمَتْ عَطْفَتُهُ ، حَتَّى بَدَأَ لِي مَضْحَكُهُ ، وَتَهَلَّتْ فِي لُقْيَائِي غُرَّتُهُ . هَذَا وَمَجْلِسُهُ مَشْهُودٌ ، وَالْأَقْوَامُ حَوْلَهُ قَعُودٌ ، فَلَا يَتَدَاخَلُهُ نَخْوَةٌ ، وَلَا تَأْخُذُهُ بِالْإِبَاءِ وَالنَّشْدُودِ عِزَّةٌ . وَهَذَا كُلُّهُ تَنْبِيهُ عَلَى تَعَالَى لَوْعَتِهِ ، وَتَعَالَى حُرْفَتِهِ وَفَجَعَتِهِ .

٣٤٣

وقال آخر :

١- أَلَا لَأَفْتِي بَعْدَ ابْنِ نَاشِرَةِ الْفَتَى وَلَا عُرْفٍ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى فَأَدْبَرَ
٢- فَتَى حَنْظَلِيٍّ مَا تَزَالُ رِكَابُهُ تَجُودُ بِمَعْرُوفٍ وَتُنْكِرُ مُنْكَرًا
٣- لَحَى اللَّهُ قَوْمًا أَسْلَمُواكَ وَجَرَّدُوا عَنَّا جِيجَ أَعْطَتْهَا يَمِينُكَ ضَعْرًا

حذف الخبر من قوله « لا فتى » و « لا عرف » جميعا ، كأنه قال : لا فتى في الدنيا بعد ذهابه ، ولا عرف موجود بعد تولَّى عرفه . وفي وصفه المرثي

(١) التبريزي : « من ملة » .

بالتفتي كأنه جَمَعَ له الفضائل كلها ، كما أن نفي العُرف كأنه نَفَى به الحماد كلها ؛ لأنَّ من شرط النُتُوَّة أن يدخل تحتها خِصالُ الخير ، كما أن العُرف والمُروف يدخل تحتَه كلُّ ما عُرف في الإحسان والصَّلاح . ولك أن تنوِّن « لا فتى » وإن كان الأوَّل أشرفَ في المعنى وأبلغ ، فيكون في موضع الرَّفَع بالابتداء ، وكذلك لا عُرف ترفعه وتنوِّنه ، لأنَّك تلتقي حركة الهمزة من إلَّا وهي كسرة على التَّنوين . والفصل بين الرَّفَع والنَّصَب أن النَّصَب يفيد الاستغراق ، كأنه نفي قليل الجنس وكثيره ، إذ كان جوابَ هل مِن فتى ، ومن عُرفٍ ؟ والرَّفَع لا يكون فيه الاستغراق ، لكونه جوابَ هل فتى وهل عُرفٌ (١) ، فلا يمنع أن يكون السُّؤال عن واحدٍ من الجنس ويكون الجوابُ على حدِّه . وقوله « ماتزال ركابه » من صفة فتى ، و « تجود بمعروف » خبر ماتزال .

وارتفع « فتى حنظلي » على أنه خبر مبتدأ محذوف ، ولو نصبه على المدح والاختصاص لجاز ، وقصده إلى أنه أَمَّارٌ بالمعروف . ونَهَاءٌ عن المنكر ، ولا يَرْضَى بذلك فيما يليه من البلاد ، بل ترى الرُّكبان تطوف به ، فيأتيهما في الأبعد مثل ما يأتيهما في الأقارب (٢) . وقوله « ركابه » أراد أصحاب ركابه .
يعنى : سله .

وقوله « لَحَى اللهُ قوما أسلموك » تصريحٌ بأن أصحابه خذلوه وتقاعدوا عن نُصْرَتِهِ حتَّى تمكَّن منه الأعداء فقتلوه . وقوله « جرّدوا عناجيج أعطتها يمينك ضمرا » بيانٌ لأنَّ الخيل التي جرّدوها للركض في الحرب ممَّا سمحت به يده ، فلم يُراعوا ذمّة ، ولم يحافظوا حرمة ، ولا راجعوا أنفسهم فيما تُنتججه الأعدوة ، وتسير به الرّكب من سيِّئ القالة . والعناجيج : الخيل الطوال ،

(١) في الأصل : « هل من فتى ومن عرف » .

(٢) في الأصل : « فتأتيهما . . . ما تأتيهما . . . » .

واحدها عُنجوج . ومعنى « لَحَى اللهُ » يجوز أن يكون من اللحاء : السَّبّ والذم . ويجوز أن يكون من اللّحَى : القشر . وكيف جعلته فهو دعاء عليهم ، تسويداً لوجوههم ، وإلحاقاً للعار بهم ، وتوبيخاً لفعالهم ، وجزاء على صنعمهم . وفائدة قوله « ضَمَرَا » أنهم لم يُؤتُوا من عُدَّةٍ ولا عَدَدٍ ، وإنما أُتُوا من عَجْزِهِمْ وجُبْنِهِمْ ، وسوء نياتِهِمْ ، وسقوط همّتِهِمْ .

٣٤٤

وقال آخر :

١- أضحى أبو القاسم الثاوى ببلقعة تسنى الرياح عليه من سوافيها^(١)

قوله « أضحى » ها هنا لاتصال الوقت ، والباء من قوله ببلقعة تعلق بالثاوى ، وخبر أضحى تسنى الرياح عليه ، والكلام توجع وتحشر بأنه استبدل بمجالسه الفضاء ، ومن ندماؤه وخلطائه الخلاء ، ومن رفيع دسسته ونبيه فرشه التراب ، والرياح السّوافى تأتي بها إليه ، وتجمعه عليه^(٢) . والسّفا والسافياء : التراب . ويقال سفت الريح التراب وغيره تسفيه سفيًا ، والريح سافية ، والجميع السّوافى ، للتراب والورق واليبيس . وقيل السافياء : الريح تحمل ترابًا كثيرًا تهجم به على الناس . والسّفا : اسم ما تسفيه . والبلقع : المكان الخالى .

٢- هبت وقد علمت أن لا هبوب به وقد تكون حسيرًا إذ يباريها
يقول : هبت الرياح عليه رافعة الحشمة في ابتذالها إياه ، عالمة أنه لا هبوب

(١) أولها عند التبريزى :

كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت فقص مر اللىالى من حواشيتها

(٢) جعل ضمير التراب صرة مؤنثاً وأخرى مذكراً .

لريح دَوْلته ، ولا نَفَاذَ لأمره ، ولا استقامةً لصولته ، وقد كانت إذا هَمَّتْ بمباراته تَقِفُ حَسِيرًا بهيرًا لا انخراقَ لها ، ولا مَجْرًا لذيها . وقوله « أن لا هُبُوبَ » أن مخففة من الثَّقيلة ، كأنه قال : أنه لا هبوب به . والضمير للأمر والشأن ، وإن شئتَ كان المرثى . ولا هبوب في موضع خبر أن ، والجملة سَدَّتْ مَسَدًا مفعولى عَلِمَتْ .

٣ — أَضْحَى قِرَى لِمَنَايَا رَهْنَ بَلْقَعَةٍ وقد يكونُ غَدَاةَ الرَّوْعِ يَقْرِيهَا يقول : صار طُعْمَةً لِمَنَايَا هَذَا المفقودُ ومرتهنًا في قبره ، لا انفكاك له ولا دِفَاعَ به ، وقد كان وهو حَيٌّ غَدَاةَ الرَّوْعِ يَقْرِي المنايا من لحوم الأعداء ، ويجعلهم قِراها وطُعْمها . ويقارب هذا قول الآخر^(١) :
وَإِنَّا لِلَّحْمِ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ وَنُلْجِمُهُ حِينًا وَليس بذي نُكْرٍ

٣٤٥

وقال عقيل بن علفة^(٢) :

- ١ — لِنَعْدُ المَنَايَا حَيْثُ شَاءَتْ فَإِنَّهَا مُحَلَّلَةٌ بَعْدَ الفتى ابنِ عَقِيلِ
 - ٢ — فتى كان مَوْلَاهُ يَحُلُّ بِنَجْوَةٍ فَحَلَّ المَوَالِي بَعْدَهُ بِمَسِيلِ
 - ٣ — طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ وَهُمْ كَانَمَا تَصُولُ إِذَا اسْتَنَجَدْتَهُ بِقَبِيلِ
- كأنه أذن لأنواع الموت أن تبتكر حيث شاءت ، وتنال من الناس من أرادت ، فقد حل لها ذلك بعد أخذها الفتى ابن عقيل ، لأنه هو الذى كان

(١) هو دريد بن الصمة . الحماسية ٢٧٢ ص ٨٢٥ .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٣٦ ص ٤٠٠ . وساق التبريزى نسبه : عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة . والأبيات يقولها في رثاء ولده علفة بن عقيل ، وهو ولده الأكبر . الأغاني (١١ : ٨٨) .

يُخشى عليه منها ، ويُرتجى يومه وغده ، وإذا قد أصيب الناسُ به فلا خطرَ على
النيايا ، ولا خوفَ من الرزايا . ويقال : حَلَّتْهُ من كذا تحميلاً ، إذا أطلقتَه له .

وقوله « كان مولاه يُحَلُّ بنَجْوَةٍ » فالنجوة : اسم المكان المرتفع ، والجميع
النَّجاء . وقيل هو اسمٌ لما إذا أُوتيت إليه نَجَوْتِ من محذورك . وقد دخل تحت
قوله « مولاه » ابنُ العمِّ وكلُّ مَنْ ينتسب إليه بولاءٍ . ألا ترى أنه لما أعاد
ذِكْرَه قال : « فَحَلَّ الموالِي بعده بِمَسِيلٍ » . وإنما قال ذلك لأنهم كانوا بأجمعهم
يتعززون به ويستظهرون على الدهر بحميته ، فلما أُصيبوا به تمكَّنت الأقدارُ من
التأثير فيهم ، وتسَلَّت الآفاتُ من كلِّ جانبٍ عليهم ، وصاروا بمنزلة من نزلَ
في مسيلٍ من الأرض فلعبت الشُّيولُ به ، وتهجَّمت نُوبٌ^(١) الزَّمان عليه ، وقد
كان من قبلُ في يَفَاعٍ لا يرتفع إليه الأئنيُّ وإن طَمَأ ، ولا يرتقى إليه الأبيُّ
وإن استَعَلَى .

وقوله « طويل نجاد السيف » وصفه بامتداد القامة ، وهذا كما أن الفرسَ
إذا وُصِفَ بطول الخَدِّ قيل : هو طويل العِذار . ومثله قول أبي نواس :

سَبَطُ البَنانِ إذا احتبَى بنجادِهِ غَمَرَ الجِجامِ والسَّماطُ قيامُ

وهذا المعنى مضادٌ لما وُصِفَ به بعضهم^(٢) تَأَبَّطُ شَرًّا ، وكان يلقَّبُ بالشَّعْلِ ،
فَسَلَبَ بزَّ قَتِيلٍ له وتقلدَ سيفه ، وكان القَتِيلُ حَسَنَ الشَّطاطِ ، وتأَبَّطُ شَرًّا
قصير القامة ، فطال عليه حائلُ السيفِ المسلوبِ وانجرَّ على الأرض ، فقال فيه :

فويُلمُّ بزَّ جَرَّ شَعْلٍ عَلَى الحَصَى فوُقِّرَ بزُّ ما هنالك ضائعُ

أراد بالبزِّ السيف ، ومعنى وُقِّرَ وَقَع فِيهِ وَقَرَاتٌ وهزَمَاتٌ ، لتأثير الحصى

(١) وكذا وردت هنا كلمة « نُوبٌ » بالهمز . انظر ما مضى في ص ٩٢٩ .

(٢) هو قيس بن عيزارة . انظر حواشي الحماسية ٣٤٠ ص ٩٨٠ .

فيها . وجعل البرّ ضائعاً لِمَا لَيْسَ بِهِ غيرُ صاحبه . فأما قوله « يصول إذا استنجدته بقبيل » فإنه يصفه بغناؤه إذا استغِيثَ به وكَمَالِ آلاته ، حتى صار المستنصر له والمستغِيثَ به ، إذا أجابه واحتمضره ، كأنه أجابه قبيلَ لارجل . والوهم : العظيم التامُ الخلق . ويقال : جملَ وهم ، وهو القوى العظيم المنقاد ، المطيعُ لصاحبه .

٣٤٦

وقال مسافع العبسي^(١) :

١ - أبعد بني عمرو أسرُّ بمقبيلٍ من العيشِ أو آسى على إثرِ مُذِيرٍ

٢ - وليس وراءَ الشيءِ شيءٌ يَرُدُّه عليك إذا ولى سِوى الصَّبرِ فاصبرِ

قوله « أبعد بني عمرو أسرُّ بمقبيلٍ » كأنه قال منكراً مستقيماً . يريدُ أسرُّ بعد أن فُجِعَت بهؤلاء القوم بقدرٍ يساعِدُ ، أو عيشٍ يُقبِلُ ، أو زمانٍ يُطَاوِعُ ، أو أحزنٍ في إثرِ فائتٍ ، أو أجزعٍ لتولى مُذِيرٍ . والمعنى : أن الشرور كان يتصل بحياتهم ، والغمَّ كان يُحذِرُ مخافةً أن يكون فيهم ، وإذا قد مضوا لسبيلهم فلا شيء من أعراض الدنيا يلحق له حبورٌ إذا نيل ، ولا شيء من أعلاق المنى يُحزن له إذا أُفِيت .

وقوله « وليس وراءَ الشيءِ شيءٌ يَرُدُّه عليك » أي^(٢) يَرَجِعُه إليك .

فالاغتصام بحبل الصبر هو الأولى ، والأحبُّ ديناً ودُنياً ، فاصبر . وقوله « سِوى الصبر » موضعه من الإعراب استثناءً خارج ، لأنَّ الصبر ليس من الشيء الرادِّ الفائتَ في شيء ، فقد انقطع مما قبله .

(١) هو مسافع بن حذيفة العبسي ، كما في شرح التبريزي . قال البغدادي في الخزانة

(٢) : (٣٦٠ : ٢) : « وهو شاعر فارس من شعراء الجاهلية » .

(٢) في الأصل : « أو » .

٣- سلامٌ بنى عمرو على حيثُ هامكمُ جمالَ النديِّ والقنَا والسَّنورِ

٤- أولاكُ بنوخيرٍ وشرِّ كليهما جميعاً ومعروفٍ أُمَّمٌ ومُنكرٍ

لما استسلم للجزع وما اعتاده من الهلع ، وصبرَ نفسه مسلماً ، وتبع أثر المصيبة معقياً ، حيّاهم فقال : عليكم التَّحِيَّةُ من الله يا بنى عمرو حيث قرأت هامكم . و « هامكم » ترتفع بالابتداء وخبره محذوف ، كأنه قال : حيث هامكم حاصلة موجودة . والجملة أضيف إليها حيث لينشرح بها ، لأن حيث يقتضى جملتين ، فهى فى الأمكنة مثل حين فى الأزمنة . ثم قال « جمالَ النديِّ » أى أذكرُ جمالَ المجلس يومَ الحفل ، وزينَ السَّلاحِ غداةَ الروع ، فانتصبَ جمالَ على الاختصاص والمدح ^(١) . وذكر الهامَ على عادةِ العرب ، فى زعمهم أن عظامَ الموتى تصير هامةً تطير . والنديُّ والنَّادى : المجلسُ . ويقال : ندَّاهمُ المجلسُ ، أى جمعهم ، فانتدَّوه .

وقوله « أولاك بنوخيرٍ وشرِّ كليهما » إبدان منه بأنهم كانوا مستصلحين اكل ما يعنُّ ويحدثُ من السَّرِّاءِ والضَّرِّاءِ ، فكانوا بنى الخير لاستدرار المنافع من ما لهم وجاههم ، وبنى الشرِّ لاستدفاع البلياء ببأسهم . وكانوا يُسعدون مواليتهم ببرِّهم وتفقدهم ، ويُشققون مُعاديهم بحدِّهم وسطوتهم . وقوله « كليهما جميعاً » انجرَّ كليهما على البدل من خيرٍ وشرِّ ، ولا يجوز أن يكون توكيداً لهما ، لأنَّ توكيد ما لا يُعرف لا فائدة فيه . والكوفيون يجوزون توكيد ما يدخله التَّجزئةُ من النَّكرات ، يقولون : قرأت كتاباً كلُّه ، وأأكلتُ رغيفاً كلُّه ، على التوكيد . وأصحابنا البصريُّون يميزون الكلامَ بمثل هذا ، ولكنهم يمتنعون من إجراء الآخر على الأوَّل على طريق التَّأكيْد ويجعلونه بدلاً ، كأنه قال بنو كلاً الخير

(١) وقال التبريزى لانه منصوب على النداء .

والشَّرَّ . وانتصب « جميعا » على الحال . وكَلَّا يضاف إلى المثنى ، إلا أنَّ المعطوفَ والمعطوفَ عليه والحرفَ العاطفَ الواوَ بمنزلة المثنى . وفائدة قوله « معروف ألمَّ ومنكر » أنَّ يَصْرَفًا إلى النَّوازل الملمَّة والحوادث الطَّارئة ، فيكون الخير والشَّر مقصورين على أفعالهما ، فلذلك قال « ومعرِوفٍ ألمَّ ومنكر » ليتميِّزَ ما يكون من فعلهما عما يحدث من غير فعلهما .

٣٤٧

وقال الربيعُ بن زيادِ العبسيِّ^(١)

في مالكِ بن زهيرِ العبسيِّ :

١- إني أرقتُ فلم أغمضُ حارِ من سيِّئِ النَّبأِ الجليلِ السَّاري^(٢)

٢- من مثله تُمسي النساءُ حواميرًا وتقومُ مُعولةً مع الأسنحارِ

يقول : لما تساقطَ الخبرُ الموجعِ السَّاري بلبيلٍ ، العَظيمُ في شأنه ، الفظيعُ عند وقوعه إلى ، سهرتُ فلم أغمضُ يا حار . كأنَّه ذكرَ ابتداءَ حاله لا ابتداءَ نعيِّه . والأرقُ : السَّهر . ويقال غمضتُ عيني بالتشديد ، وغمضتُها ، واغمضتُ . وأضاف السَّيِّئُ إلى النَّبأِ لأنَّه جعل النَّبأَ للجِنسِ ، فهو كإضافة البعض إلى الكلِّ .

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١٦٣ ص ٤٨٤ .

(٢) كان من خبر هذه الأبيات فيما روى التبريزي أن مالك بن زهير العبسي كان متزوجاً في بني فزارة ، فبعث إليه أخوه قيس حين قتل نديبة بن حذيفة أن اخرج عنهم ليلاً . فبعث إليه مالك : مالي إلى بني بدر من ذنب ، وإنما ذنبك عليك ، وما أنا بتارك منزلي لما أحدثت أنت . وغبر مالك في بني فزارة دهما ، ثم غدرت به فزارة ، وجه إليه حذيفة من يقتله فقتلوه . وكان الربيع مجاوراً لحذيفة ، فجاء إليه وقال : يا حذيفة سيرني فإني جاركم ، فعيده ثلاث ليال ، فقال حمل لحذيفة : بئس ما صنعت ، قتلت مالكاً وخليت حبيل الربيع ، والله ليضرمها عليك ناراً فدونك الرجل قبل أن يفوتك ولا أحسبك تدركه . ثم إن الربيع جمع بني عبس للقاء بني فزارة وجرت بسبب هذا حروب فيما بينهم .

ويقال: أساء ما صنع، فهو سيء، وساءني الشيء مَسَاءَةً، وسؤتني بما فعلت مَسَاءَةً وَمَسَائِيَةً. ويقال السَّيِّئُ والسَّيِّئَةُ والسُّوءَى. والسَّيِّئَةُ كالخَطِيئَةِ، وهو بإزاء الحسنة، والسُّوءَى بإزاء الحسنى. والسُّوءُ: الاسمُ الجامعُ للآفات والأدواء.

وقوله «من مثله تمسى النساء حواسرا»، أى يأتى عليهنَّ المَسَاءُ وقد طَرَحْنَ خُمْرَهُنَّ فهنَّ كاشفات الرُّءُوسِ، مسببات الشُّعُورِ، لا يَكْتَسِبْنَ ولا يَسْتَتِرْنَ، ويقُمْنَ مع السَّحَرِ صَائِحَاتٍ عَائِدَاتٍ إلى عَادَتِهِنَّ مِنَ النَّيَاحَةِ والبكاء. وقيل الإمْسَاءُ مِنَ الظُّهْرِ إلى المَغْرِبِ، وقيل بل إلى نِصْفِ اللَّيْلِ مِنَ الإمْسَاءِ. وروى بعضهم: «تَمْشِي النِّسَاءُ» أى يَمْشِينَ متبرِّزات لا يَدْفَعُهُنَّ عَنْ ذَلِكَ حِشْمَةٌ ولا يَحْجِزُهُنَّ رِقَبَةٌ. والأوَّلُ أَجْوَدُ، حتَّى يَكُونَ المَسَاءُ فى مَقَابِلَةِ الصَّبَاحِ، وَيَكُونَ الشَّاعِرُ قد ذَكَرَ طَرَفِي النَّهَارِ مِنْ أَوْقَاتِهِنَّ.

٣ - أَفْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرَجُّو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الأَطْهَارِ^(١)
٤ - مَا إِنْ أَرَى فى قَتْلِهِ لِدَوَى القُوَى إِلَّا المَطِيَّ تُشَدُّ بالأَكْوَارِ^(٢)

هذا فيه ما فى قول الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت بأطهار

وإلى هذا أشار أبو تمام فى قوله:

لبيت صوّتاً زبطرياً هرقت له
كأس الكرى ورضاب الخرد العُرب

وقوله «أفبعد» لفظه لفظ الاستفهام، والاستفهام يطلب الفعل، فكأنه

قال: أترجو النساء عواقب الأطهار بعد مقتل مالك؟ وهو ينكر أن يكون ذلك

(١) أنشد ابن رشيق هذا البيت فى العمدة (١ : ٩٤) شاهداً على ما سماه الخليل «الإقعاد» وهو هنا حذف نون متفاعلين وإسكان ما قبله فى آخر تفعيله من الشطر الأول، وهو ما يسميه المتأخرون «القطع». وانظر شروح سقط الزند ١١٤٦.
(٢) التبريزى: «لدوى النهى».

أو يُستجاز وقوعه . والمراد بعواقب الأطهار مراجعةُ البعولة إلى مضاجعة النساء بعقبِ أطهارهنّ والتمتع بهنّ . والمعنى أنّ الأمر أفتح من أن يُتوهمَ ذلك ، وأنّ الخطبَ في المصاب به أنكى في القلوبِ والثفوسِ من أن يُتذكَرَ لذاتٍ ، أو يُتحدَّثَ بتناسلٍ وولادات . وقوله « ابن زهير » جعل عروض الضرب الثاني من الكامل مقطوعة^(١) ، ولو قال « زهير » لاستقام له وكان يكون متفاعلين . وهم يُدخلون على الأعلام التّغييرَ كثيرًا ، لكنّه مال إلى هذا وجعله فعلائن . وقد فعَلَ في أوّل المقطوعةِ مثل ذلك ، لكنّه في ذلك أعذَرَ لأنّه جعلها مصرّعة ، ولم يرضَ بأن يجعله فعلائن حتّى سكنَ العين منه وجعله مفعولن ، ويسمى مقطوعاً مُضمرًا . وفعلَ أيضًا مثله في قوله :

* مُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفًا *

والعذر فيه كالعذر في قوله « أفبعد مقتل مالك بن زهير » ولو قال « عذوفة » لاستقام له . وربّما مالوا إلى المزاحف من غير ضرورة . على ذلك قول المتنخل في الطائفة :

أبَيْتُ عَلَى مَعَارٍ فَخِرَاتٍ بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ الْعِبَاطِ^(٢)

رووا أنّ كل العرب ترويه « معارٍ فخراتٍ » بالتنوين ، وإنّما هو من الضرب الأوّل من العروض الأولى من الوافر : مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ ، فجعل مُفَاعَلَتُنْ الثاني مُفَاعِلَيْنَ بِالْعَصْبِ ، وهو في زحاف هذا البحر جائز ، لكنّه لو روي « معارٍ » بفتح الياء لسلم ، ولم يفعل . وقوله « ما إن أرى في قتله لذوي القوي »

(١) أي جعل العروض التي ضربها الثاني مقطوع مقطوعة مثله . وهذه العروض أصلها

العروض النامة .

(١) ديوان الهذليين (٢ : ٢٠) : « على معاري » .

(٣٣ - حماسة - ثان)

أضاف المصدرَ إلى المفعول والمراد في قتلهم لمالك ، ويعني بذوى القُوَى ذوى الرَّأى والفِعْل^(١) ، والعدد والعدّة ، فيقول : لا أرى لمن كان هكذا من أولياء دمه وطّاب ثأره ، إلّا امتطاء الإبل وتجنّيب الخيول ، وركوب كلّ صعب وذلول ، إلى أن يُنال من العدو مثل ما ناله منهم ، فإنّ في ركوب الجِدِّ مساعدة من الجِدِّ ، ولن ترى العزمَ أُصرِحَ بالفعلِ إلا وثمَّ مطاوعةٌ من القدر . وقوله « تُشدُّ بالأكوار » يريد تُشدُّ الأكوار عليها ، فرمى بالكلام .

٥- ومجنّباتٍ ما يذقنَ عدوفاً يقدفنَ بالمهتراتِ والأمهارِ

٦- ومساعراً صدأ الحديدِ عليهمُ فكانما تطلّى الوجوهُ بقارِ

عطف قوله « ومجنّباتٍ » على « إلّا المطفى » والمراد أرى لهم أعدادهم مطاياً سرحوّلة ، وخيلاً مجنوبة . وكذا كانت عاداتهم في مقصدِهم الغارات ، وركوبهم إلى الوقعات ، أن يركبوا الإبلَ ويجنّبوا الخيلَ إلى أن ينتهوا إلى موضع الغارة ، أو ملتقى القوم للمحاربة ، فحينئذ يُنيخون الإبلَ ويركبون الخيلَ وهى وادعة لم يلحقها كبير^(٢) تعب ، ولم يملكها سامةٌ ضجّر ، فيعملونها كما يحبّون .

وهذا كما قال النابغةُ يصف خيلَ عمرِ وبن هندٍ :

مُقرّنةٌ بالأدَمِ والعيسِ كالقطا عليها الخبُورُ مُحَقَّبَاتُ المَرَاجِلِ^(٣)

ويقدفنُ بالأولادِ في كلِّ منزلٍ تشحطُ في أسلحتها كالوصائلِ

ومعنى « ما يذقنَ عدوفاً » أى أدنى ما يؤكل . وقال الخليل : يستعمل في الطعام والشراب . ويقال : ما ذُقْتُ عدفاً ولا عدوفاً ولا عدوفاً ولا عدافاً^(٤)

(١) كذا في النسختين ، ومعناه صحيح .

(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « كثير » بالثاء .

(٣) الخبور : جمع خبر ، بالفتح ، وهى الزيادة العظيمة .

(٤) ضبط فى النسختين بفتح العين . وفى اللسان بضمها ، وفى مادة (عدف) مهملة الدال

فى اللسان والقاموس : « عداف » بضم العين .

أى ذواقاً . والفعل منه قد يُبني فيقال تعذفتُ عذوفةً . وقوله « بالمهرات والأمهار » أى لما يلحقهنَّ من الكلال ، والتعامل عليه فى طيِّ المنازل بها والتَّرحال . والمَساعِر : جمع المِسر ، وهو كانه آلةٌ فى إسعارِ نار الحرب وإيقادها . وإنما قال « صدأ الحديد عليهم » لاتصال لبسهم الدُّروع^(١) ، و « كأنما تطلّى الوجوهُ بقار » ، لأنَّ المراد أنَّ السَّموم والحرُّور قد لَفَحَت وجوههم ، وغيَّرت ألوانهم ، لأنهم تعودوا قَصَدَ الغارات ، وقَطَعَ المشاق . وجعل الخيلَ كالفُرسان والفُرسان كالخيل فى الصَّبْر والثَّبات .

٧ - مَنْ كان مسرُورًا بمقتلِ مالكٍ فليأتِ ساحتنا بوجهِ نهارٍ^(٢)

٨ - يَجِدِ النِّساءَ حواسِرًا يندُبُهُ يَلْطِمُنَ أوجهُنَّ بالأسحارِ

كانت العادة مستمرةً مستحكمةً فيهم ، أنهم لا يندُبون القليل أو يدرك ثأره . فيقول : مَنْ كان فرحاً بمقتل مالك ، شامتاً بأوليائه ، فليزِعْ ملابسَ المسرّة ، وليطرحْ أرديةَ الشّامة ، فقد أدركت الأثارُ وأريقَت الدِّماءُ ، وشُفيت الأُدواءُ ، وليحضُرْ ساحتنا فى أوّل النهار ، ليرى أن ما كان مُحَرِّمًا من الرِّثاءِ قد حلَّ ، وأن الحَظْرَ الواقعَ بمكانه قد رُفِعَ ، ويجدِ النِّساءَ مكشوفاتِ الرُّبوسِ يذُكرُنه بما كان من فضائله ، ويندُبُنه بأشهر أوصافه ، وأعلى مراتبه ومَحالِّه ، فإنَّ ذلك متَّصلٌ من فعلهنَّ غيرُ منقطعٍ فى أطراف الليل والنهار ، والآصالِ والأسحارِ . وبعضهم يرويه :

* مَنْ كان محزوناً بمقتلِ مالكٍ *

والمراد المواتون ، كما كان المراد بالأوّل المنابذين . وأكثُرُ من رأيناه كان

(١) ل : « للدروع » .

(٢) هذه أوجه من رواية التبريزى : « فليأتِ نسوتنا » .

يروى « فليأتِ نسوتنا ». ورأيت الأستاذَ الرئيسَ أبا الفضل ابنَ العميد يقول :
« إني لأتعبُّ من أبي تمامٍ مع تكلفه رمَّ جوانبِ ما يختاره من الأبيات^(١) ،
وغسله من درنِ بَشعِ الألفاظِ ، كيف ترك تأمُّلَ قوله فليأتِ نسوتنا . وهذه
لفظةٌ شنيعة . وكيف ذهبَ عليه تأمُّلُ قوله :

قلتُ لقومٍ في الكنيفِ ترَوَّحوا عشيَّةً بتنا عند ما وانَ رُزح^(٢)
تنالوا الغنى أو تبالغوا بنفوسكم إلى مُستراحٍ من حمامٍ مُبرِّحٍ
حتى جمع بين كنيفٍ ومستراحٍ في بيتين . وتأملُ أمثال ما ذكره وبينه
من شرائط الاختيار » .

٩ - قد كُنَّ يَحْبَانُ الوجوهَ تَسْتَرًا فالיוםَ قد أْبْرَزْنَ للنُّظَارِ^(٣)
١٠ - يَضْرِبْنَ حُرَّ وُجُوهِنَّ عَلَى فِتْيِ عَفِّ الشَّمَائِلِ طَيِّبِ الْأَخْبَارِ
يصفهنَّ بأنهن ابتذلن أنفسهنَّ للمصيبة وقد كان من قبلُ سِتْرُ الصِّيَانَةِ
مُسْبَلًا عليهن ، لا يُظْهَرْنَ المَعَارِيَّ من الوجوهِ وسائرِ الأعضاء لأحدٍ من الناس ،
لتسترهنَّ وارتفاع محالهنَّ ومناصبهنَّ عن التبرُّز والتبرُّج ، إذ كُنَّ بيضاتِ خُدورٍ
ورباتِ حِجَالٍ وستور . وقوله « فالיום قد أْبْرَزْنَ للنُّظَارِ » يريد الوجوه . وهُنَّ
وإن رَمَيْنَ قِنَاعَهُنَّ ، وأظْهَرْنَ مُحِيَّاهُنَّ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَطْمَعُ فِي الدُّنُوِّ مِنْهُنَّ ،
والنظر إليهنَّ ، فيخرجَ إلى حدِّ المنكر . وقوله « يَضْرِبْنَ حُرَّ وُجُوهِنَّ عَلَى
فِتْيِ » يريد ما ينلن من أنفسهنَّ بالضرب والإهانة ، إجلالاً للرزيئة ، وافتدَاءً
للمرثى^(٤) . والعَفُّ : العفيف ، ومصدره العِفَّة والعَفَاف . والشَّمَائِلُ : خَلِيقَةُ الرَّجُلِ

(١) انظر ما مضى في ١٣ — ١٤ ، ٨٤ .

(٢) من الحماسية ١٥٦ ص ٤٦٤ — ٤٦٥ .

(٣) التبريزي : « حين برزن » . ويروى : « حين بدون » . انظر شروح سقط

الزند ٥٢ والمزهر للسيوطي (٢ : ٣٦٤) في (معرفة التصحيف والتحريف) .

(٤) هذا هو الوجه . وفي الأصل : « افتدء بالمرثى » ، ل : « وافتدء بالمرثى » .

وطبيعته ، واحدها شمال . وقوله « طيب الأخبار » أي حديثه حسن في الناس
لا يؤوبن بدنيته ، ولا يؤسم بنتيصة .

٣٤٨

وقال كعب بن زهير^(١) :

١ - لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى أَبِي مَصَارِعَ بَيْنَ قَوِّ فَالسُّلَى^(٢)

٢ - وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى أَبِي جَرِيرَةَ رُمَحِهِ فِي كُلِّ حَيٍّ

٣ - مِنْ الْفِتْيَانِ مُحْلُولٍ مُرِّ وَأَمَّارٍ بِإِرْشَادٍ وَغَى

٤ - أَلَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى وَلَهْفَ الْبَاكِيَاتِ عَلَى أَبِي

قوله « لعمرك » مبتدأ وخبره مضمرة ، وفيه معنى اليمين ، وجوابها ما خشيت . فكان هذا المتوفى مضى لسبيله لعارضٍ عارض له بين قوِّ والسُّلَى . وإنما قال « مصارع » لأنه جعل كلَّ قطعةٍ مما بين هذين الموضعين كالمصرع لواحدٍ من الناس . فيقول توجعاً : وبقائك ما خشيتُ على هذا الرجل أن يصرع بين هذين الموضعين ، ولكنني كنت أخشى عليه جرائره في الأحياء ، وتراته في القبائل . وعلى ما يدلُّ عليه كلامه كان مات هذا المرثي حنفاً أنفه ، فلهذا قال : لم أختش عليه القدر بين هذين المكانين ما خشيتُ عليه من جرائر رُمحه في الأحياء .

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٤٠ ص ٩٧٨ .

(٢) الأبيات الثلاثة الأولى في معجم البلدان (السلي) ، والأول والثاني في محاضرات الراغب

(٢ : ٣٠٨) واللغات (سلا) والجمهرة (١ : ١٧٣) . والأول في معجم ما استعجم

(السلي) والثاني في الجمهرة (١ : ٦٥) . قال ابن دريد : « أنشده ابن الأعرابي في كتاب

المرثي لامرأة تراثي أبها . والأبيات كلها في الكامل ٧٢٥ لبسك مع خلاف في الرواية

والترتيب . قال المبرد : « فهذا الشعر من أجنى أشعار العرب ، ينبغي صاحبه أن تقديره في

المرثي أن تكون منيته قتلاً ، ويتأسف من موته حنفاً أنفه » .

وقوله « من الفتيان مُحَلُولٍ مُمِرٌّ » تعلقَ من بمحذوف ، كأنه قال : كان من بين الفتيان سهلَ الخُلُقِ ، وطىءَ الجانب . والمُحَلُولِي هو الذى تنَاهَى حلاوتَهُ . قال الخليل : افْعَوْعَل : بناءٌ للمبالغة . على ذلك قولهم اعشَوْشَبَ المكانُ ، إذا تنَاهَى عَشْبُهُ ؛ واحلَوَلَى ، إذا تنَاهَى حلاوته . والمِمِرٌّ : الذى صار مُرّاً . وليس هذا من قولهم : ما أَمَرَ وما أَحَلَى ، لأن ذلك معناه ما أتى بِحُلُوٍ ولا مُرٍّ ، ولكن يجب أن يكون من أَمَرَ الشئ فهو مُمِرٌّ ، وفى بعض اللغات مَرٌّ . قال :

* لئن مَرَّ فى كَرمانَ ليلِي لَطالَمًا^(١) *

حتى يكونَ مثلَ محلولٍ . وقوله « أَمَرٌ بِإِرشادٍ وَغىٌّ » وضع إرشاداً موضعَ رِشادٍ ، ألا ترى أَنَّهُ قال وَغىٌّ . وهم كما يستعيرون الاسم للمصدر يستعيرون المصدر للاسم ، وكما يوضع العطاء موضعَ الإِعطاء فى قول القطامى :

* وبعْدَ عِطائِكَ المِائةِ الرِّتاعا^(٢) *

يضعون الإِعطاء موضعَ العِطاء . فعلى هذا وضع الإِرشادَ موضعَ الرِّشادِ . [وإذا كان كذلك فيجب أن يكونَ إِرشادُ هذا لا يتعدَّى ، لوقوعه موقعَ الرِّشادِ^(٣)] . وقوله « ألا لَهْفَ الأرامِلِ واليتامى » الصدر من البيت تحشُرُ لما أصاب الفقراء واليتامى بعد موته ، إذ لم يكن فى الدهر مَن يُؤويهم أو يُؤونهم . والأرامِل : جمع أَرَمَلٍ ، وهذه الصفة يشترك فيها المؤنث والمذكر ، واشتقاقه من أَرَمَلَ القوم ، إذا نَفِدَتْ نَفقاتُهُمْ ، وحقيقته صاروا من الفقر فى الرَّمَلِ ، كما يقال : أترَبَ الرجلُ^(٤) . والشهادةُ فى اشتراك الرجلِ والمرأة فى هذه الصفة قولُ جرير :

(١) البيت للطرماح فى ملحقات ديوانه ١٣٥ واللسان (صر) . وعجزه :

* حلا بين شطى بابل فالضريح *

(٢) ويروى : « الرباعا » . وصدره فى ديوان القطامى ٤١ :

* أكفراً بعد رد الموت عنى *

(٤) إذا قل مالهُ ، ويقال أيضاً لمن اغتنى .

(٣) التكملة من ل .

هَذِي الْأَرَامِلُ قَدْ قَضَيْتُ حَاجَتَهَا فَمِنْ لِحَاجَةِ هَذَا الْأَرْمَلِ الذِّكْرُ
 وَقَوْلُهُ « وَلَهْفَ الْبَاكِيَاتِ عَلَى أَبِي » هَذَا الْعَجْزُ تَحْسُرٌ لِمَتَعَلِّقِينَ بِحَبْلِهِ ،
 وَالرَّاجِحِينَ لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ ، وَالْوَاصِلِينَ سَبَبِهِمْ بِسَبَبِهِ دُونَ أَوْلَادِكَ ، فَتَكَرِيرُهُ اللَّفْظُ
 يَشْتَمِلُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى .

٣٤٩

وقال^(١) :

- ١- فِي بَعْضِ تَطَوَّافِ ابْنِ طَعْمَةَ مَمَّةَ آمِنًا لَاقَى حِمَامَةً
- ٢- وَصَدَا لَهُ مِنْ خَلْفِهِ يَنْفَتَرُهُ لَا بِلِ أَمَامَةٍ^(٢)
- ٣- غُرٌّ أَمْرُؤٌ مَنَّتَهُ نَفْسٌ سُنُّهُ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ
- ٤- هِيَهَاتَ أَغْيَا الْأَوْلِيَاءِ مِنْ دَوَاءِ دَائِكَ يَا دِعَامَةَ

قوله « في بعض تطواف ابن طعممة » قد أبرز اسمه ، يقول : يا دِعَامَةَ . فهو
 دِعَامَةُ بْنُ طَعْمَةَ . وَتَطَوَّافٌ : بِنَاءٌ لِمَا يَشُوبُهُ فِي الْوُقُوعِ أَدْنَى تَكْلُفٍ . فَكَأَنَّ
 هَذَا الرَّجُلَ كَانَ جَوَالَةً ، فَاتَّفَقَ عَلَيْهِ أَنْ مَاتَ آمِنًا مَا كَانَ ، فَأَخَذَ يَقْتَصُّ حَالَهُ
 وَيَتَحَزَّنُ لَهُ ، وَجَعَلَ التَّطَوَّافَ لِلْجِنْسِ ، وَأَضَافَ الْبَعْضَ إِلَيْهِ . وَانْتَصَبَ « آمِنًا »

(١) يفهم من هذا الصنيع أن هذه المقطوعة لكعب بن زهير أيضاً . لم تكن في رواية
 التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) رواه ابن جنى والتبريزي : « رصداً له من خلفه » . وقال ابن جنى : « لك في من
 هذه أوجه : إن شئت علقها بنفس رصداً ، وإن شئت جمعتها صفة له فعلقها حينئذ بمحذوف ،
 وإن شئت علقها بنفس يفتريه ، ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل في يفتريه . ولا يجوز أن
 يكون حالاً من المراء ، لافي له ولا في يفتريه ، لأن الإنسان لا يكون من وراء نفسه ، فالعنى
 لاذن يدفعه » .

على الحال من لاقى حمامه ، وإذا كان العامل في ذى الحال فعلا جاز تقديم الحال عليه .

وقوله « وصدًا له » خفي عليه كيف اتفق مصرعه . ومعنى صدًا له دعاه . ويجوز أن يكون فعل بمعنى تفعل ، كأن صدا بمعنى تصدّي له قائداً . والتصدّي تعرضٌ يختلط بازورار وإعراض . على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴾ . يقول : تصدّي له الحين سائقاً له يأتيه على غرة ، بل تصدى له قائداً لا سائقاً . كأنه لما خفي عليه من أين أتى لم يقطع الكلام على وجه واحد ، بل تدارك وانتقل وهو بعد شك ، ولكن كأنه أوماً إلى جماع الطرق . وقوله :

غُرَّ امرؤٌ منته نفسٌ أن تدوم له السلامه

مبنى غُرَّ خدع على وجه له في الاستنامة إليه غررٌ . ويقال : ما غررك بفلان ؟ أى لِمَ اجترأت عليه وكان الوجه أن لا تجترى . على ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ . ويقال : مَنْ غررك من فلان ؟ أى من الذى جذبك عنه وحال بينك وبينه ، وكان الوجه أن تكون مُقبلاً عليه . ويقال : ما غررك من فلان ؟ أى لم وثقت به وكان الحكم أن لا تثق به . فأما قوله « منته نفسٌ » فإنما نكره لغرض ما^(١) ، وهو أن لكل رجلٍ فيما يهتم به أو يرجوه أو يخافه نفسين : نفسٌ تبعثه عليه ، ونفسٌ تصرفه عنه ، فلهذا قال : منته نفسٌ أن تدوم له السلامة ، أى غررت تلك النفسُ أمراً جعلت من أمانيه دوام السلامة . يشهد لهذا الذى قلناه قولُ الآخر :

شاورَ نفسى طمعٍ وخيبةٍ تقول هاتى : لا ، وهاتيك : بلى

ثم قال :

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « فإنها نكرة لغرض ما » .

فَشَجَعَتْهُ نَفْسُ حِرْصِ طَمِعَتْ وَحَذَرْتَهُ نَفْسُهُ الْأُخْرَى الرَّدَى

وقوله :

هيهات أعيًا الأولين دواءه دائك يا دعاة

أراد بالأولين الأمم السالفة ، وقد أعجزهم دواء الموت . وقوله « هيهات » استبعادٌ لوقوع ما تقدم ذكره ، وهو أن تدوم [له ^(١)] السلامة . وهيهات : اسمٌ للفعل وهو بَعَدَ ، وفاعله ما دلَّ عليه ما قبله ، وكأنه قال : بَعُدَ ذاك أن يكون . على هذا قوله :

فهيهات هيهات العقيقُ ومن به رهيئات خِلُّ بالعقيق توأصله ^(٢)

٣٥٠

وقال غوية بن سلمي بن ربيعة ^(٣) :

١ — أَلَا نَادَتْ أُمَامَةً بِاحْتِمَالٍ لَتَحْزُنَنِي فَلَا بِكِ مَا أَبَالِي

٢ — فَسِيرِي مَا بَدَا لَكَ أَوْ أَقِيمِي فَأَيًّا مَا أَتَيْتِ فَعَنْ تَقَالِ

يقول : أظهرت هذه المرأة من نفسها ارتحالاً عني لتجلبب علي حزناً وغمًّا ، ونادت بالفراق وكثرته على أسنة الناس . ثم انصرف عن الإخبار عنها وأقبل عليها مخاطبها فقال : لا بك ما أبالي . وهذه اليمين فيها تهكم وسخرية ، لأن من

(١) هذه من ل .

(٢) البيت لجرير ، في ديوانه ٤٧٩ ومقاييس اللغة (عق) واللسان (هيه) . ورواية الديوان « فأيهات أيهات ... وأيهات » . وتوأصله ، بالتاء كذا جاءت أيضاً في رواية الديوان ، وفي المقاييس : « نواصله » بالنون ، وفي اللسان : « نحاوله » .

(٣) ابن جنى : « يجوز أن يكون تحقير غوية ، ويجوز أن يكون تحقير غية بعد التسمية بها » . وفي معجم المرزبانى ٣٠٧ — ٣٠٨ : « غوية ، ويقال غوية بغين معجمة ، وهو غوية بن سلمى بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة الضبي ، من بني ثعلبة بن ذؤيب ، جاهلي » .

يُحِلُّ من قلبه امرأةً محلَّها لا يجعلها أهلاً للإقسام بها . فقولك لا بكِ ، كقولك لا بالله . وما أبالي جوابُ القسم . وقيل : أراد لا بكِ أبالي ، أى لا أبالي بكِ ، ويكون ما صلةً ، ولا قَسَمَ في هذا الكلام على هذا . ورُوى « فَا بَكَ ما أبالي » فيكون دعاءً عليها . ومعنى آ بَكَ : أبعَدَكَ اللهُ ، والشاهد في ذلك قوله :

وَخَبَّرْتَنِي يَا قَلْبُ أَنْكَ ذُو نَهْيٍ بَلَيْلِي فَذُقْ مَا كُنْتَ قَبْلُ تَقُولُ^(١)
فَا بَكَ هَلَّا وَاللَّيَالِي بِغِرَّةٍ تَلِمُ^(٢) وَفِي الْأَيَّامِ عَنكَ غُفُولُ^(٣)

فإذا رويت لا بِكِ فالبيت على كلامين ، لأنَّ لا بِكِ ينفصل عما قبله ، ويصير ما أبالي متصلاً به لأنَّه جوابه . وإذا رويت « آ بَكَ » فالكلام على فصولٍ ثلاثة . فالفصل الأول أنها أرادت أنْ تُدْخِلَ عليه جَزَعًا بالفراق ، فكأنَّه أقبل قبلها^(٣) ودعا عليها ، ويكون الدعاء حشواً حسناً ، وما أبالي كلاماً آخر ، وينفصل ما أبالي عن الدعاء وعن الأول .

وقوله « فِيسِرِي ما بدا لك أو أقيمي » استهانَ بها وبفراقها ، فخيرها بين السَّير ما بدا لها وأرادته ، وبين الإقامة ، ثمَّ قال : فأَيَّ الأمرينِ اخترتِ فعن تقالٍ لى إِيَّاه . وإنما قال تقالٍ ولم يقل قلى ، لأنَّ فى التَّقالى زيادةً معنى ، وهو أن يحدثَ الفعلُ شيئاً بعد شيء . على ذلك قوله تداعى البناء وما أشبهه . وقوله « فَأَيَّ ما أتيتِ » أيَّ انتصَبَ بأُتيتِ ، وما صلة ، ومن شرط أيٍّ أن يجيء مضافاً ،

(١) فى أساس البلاغة : « أنك ذوعرى » .

(٢) فى مقاييس اللغة (أدب) : « ترور » بدل « تلم » . وفيه أيضاً : « شغول » . وأنشده فى اللسان وأساس البلاغة (أدب) برواية « غفول » ، ونسب فى أساس البلاغة إلى رجل من بنى عقيل .

(٣) القبل ، بالضم : الوجه . الجوهرى : « وقولهم إذاً أقبل قبلك ، أى أفصد قصدك وأتوجه نحوك » .

فأفرده هنا لما كان المضاف إليه معلوماً . على ذلك قوله تعالى : ﴿ أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ . ألا ترى أن المعنى أى الأسماء تدعوا . ولما كان السَّيرُ منها أحب إليه علقه بما وسَّعَ أمدَهُ فقال : ما بدأ لك ، ولم يشترط في الإقامة شيئاً . وقوله « فَمَنْ تَقَالٍ » ، عن تقتضى فعلاً مضمراً ، كأنه قال : أىَّ الأمرين أتيت أتيت عن تقالٍ منى ، فحذف الثاني ، لأنَّ الأوَّل يدلُّ عليه . وحذف منى أيضاً لأنَّ في الكلام عليه دليلاً . وما بدأ لك في موضع الظرف . وبدا هذا من البدؤ : الظهور ، وليس من البداء : التحوُّل ، لأنَّ المعنى سيرى مدَّةَ ظُهور السَّير في رأيك . ففاعل بدأ السَّيرُ ، ودلَّ عليه سيرى لأنَّ الفعل يدلُّ على مصدره كما أن المصدر يدلُّ على فعله .

- ٣- فكيف ترؤغني امرأة ببين حياتي بعد فارس ذي طلال^(١)
 ٤- وبعدها ابني ربيعة عبد عمرو ومسعود وبعد أبي هلال
 ٥- أصابتهم حميد بن المنايا فدى عمي لمصباحهم وخالي
 ٦- أولئك لو جزعت لهم لكانوا أعزَّ على من أهلي ومالي

أخذ يتعجب من نفسه وممن يظن به أنه يقف موقف من يفزعه امرأة بفراق ، فقال : كيف يكون ذلك مدَّةَ حياتي بعد أن فُجعتُ بفارسٍ هذا الفرس . وذو طلال كان اسمَ فرسه ، و« حياتي » انصبَّ على الظرف ، أى مدَّةَ حياتي ؛ لأنَّه حذف اسمَ الزَّمان معه . ثمَّ عدَّد بعد ذكر هذا الفارسِ من فُجِعَ به من عشيرته حالاً بعد حال ، ووقتاً بعد وقت . ذكر أبا ربيعة ومسعوداً وأبا هلال ، وهؤلاء كانوا حُماةَ العشيرة وفُرسانَ الكتيبة ، فلهذا خصَّهم

(١) ل والتبريزي : « وكيف » .

الخفيفة والثقيلة الاستفهام وكل ما ليس بواجب . وإذا ظرف ليقولن ، وجاوب جملة مضاف إليها وشرح إذا بها .

وقوله « ودلّيتُ في زوراء يُسْفَى ترابها » أي أدخلتُ فأرسلتُ في حفرةٍ معوجة ، يعني اللحد ، وقوله « يسفي ترابها على » أي يهال ترابها عليه إذا دفن فيها . وقد مضى القول في السّافياء والسّوافي^(١) ، إلا أنّه يقال سفّت الرّيح التُّراب سَفِيًّا ، ثم قالوا : سفي الترابُ يسفي ، والتُّراب سافٍ ، وهو من باب فَعَلَ وفَعَلْتُهُ . وقال بعضهم : كان يجب أن يقال في التُّراب مسفَى ففعل سافٍ ، كقولهم عيشة راضية وإنما هي مرضية . وقال الخليل : السّفَا : اسبمُ ما تسفيه الرّيح من التُّراب وغيره . وطويلا : انتصبَ على الحال ، والعامل فيه دلّيتُ ، وإقامتي في موضع الرّفْع على أنّه فاعل طويلا . والمقبور هكذا مقامه في الثرى . وهذا اقتصاصُ حاله عند ما تمّنتي معرفته من جهة مخارقٍ إذا حصلت له من التلهّف والتوجّع . ثم استمرّ في ذكر الحال فقال :

٣ - وقالوا ألا لا يبعدن اختياله^١ وصولته إذا القروم تسامت

٤ - وما البعد إلا أن يكون مغيباً^٢ عن الناس مني نجدتي وقسامتي^(٢)

يريد : وقال الناس مكبراً^(٣) ما يقع بي ، ومظهراً الفجيرة لي : لا يبعدن اختياله وصولته ، يعني كبره وحميته ، وبأسه وبطشه ، إذا حصل بين الصّفين ، فتدافعت فحولة الرّجال ، وتزاحمت أركانهم في القتال أو الجدل . وقد تقدم

(١) انظر ما مضى في ص ٩٨٦ .

(٢) ل : « وبسالتى » وفي هامشها : « ويروى وقسامتى » . التبريزى : « وقسامتى »

ثم قال : « ويروى : وبسالتى » .

(٣) كذا في النسختين .

القول في لا يَبْعَدَنَّ وما أشبهه^(١) . والقُرُوم : جمع القَرَم ، وهو الفَحْلُ أَقْرَم ،
أى تُرِكَ حَتَّى اسْتَقْرَم ، وهو المَكْرَم لا يُحْمَل عليه شيء ، وإنما يُتْرَك للفِضْلة .
ويقال قَرَمٌ ومُقْرَمٌ . على ذلك قوله :

إذا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرَا حَدٌّ نَابِهِ تَخَمَّطَ فِينَا نَابُ آخَرَ مُقْرَمٍ^(٢)

ومعنى تسامت تبارت في السمو ذكرأ وحالا .

وقوله « وما البعد إلا أن يكون مغيبا » يقول : إن الانتفاع بهذا القول
إعظاماً للرزء ليس يقع ، لأنَّ البعد كلُّ البعد في الموت ، الذي يتغيبُ به عن
النَّاسِ ما شَمِلَهُم من معونتي ومَعُونَتِي ، وإحساني وإفْضالي . ويقال رجل
نَجِدٌ^(٣) ، وهو ظاهر النَّجْدَةِ . ورجل قَسِيمٌ وسِيمٌ : ظاهر القَسَامَةِ والوَسَامَةِ . كأنَّه
أراد بالقَسَامَةِ ما قُسِمَ في الخلق من طوِّله . وكذلك قولهم : رجل مقسَّم الوجه ،
يرجع إلى هذا ، لأن المعنى ما قُسِمَ في أعضائه من الحُسن ، فكلُّ عضوٍ يَمُتُّ
بِمِثْلِ مائةٍ صاحبه . والقَسَامَةُ : الجماعة يشهدون على الشيء ويُقسِمون مع الشَّهادة .

٥ - أَيَبْكِي كَالوَمَاتِ قَبْلِي بِكَيْتِهِ وَيَشْكُرُ لِي بَدْلِي لَهُ وَكَرَّامَتِي^(٤)

٦ - وَكُنْتُ لَهُ عَمًّا لَطِيفًا وَوَالِدًا رَوْوْفًا وَأُمَّا مَهَّدَتْ فَأَنَامَتِ

(١) انظر ما مضى في ص ٨٩٢ ، ٩٠٥ .

(٢) لأوس بن حجر في ديوانه ٢٧ واللسان والمفاتيح (قرم ، ذرا) وكذا اللسان
(خط) .

(٣) بالفتح ، وفتح فضم ، وفتح فكسر ، ثلاث لغات .

(٤) رواه ابن جني في التنبية : « ويشكرني » ، وقال : « يجوز أن يكون أراد : على
بدلي ، فحذف حرف الجر فنصبه بالفعل قبله ، على ما تقدم . ويجوز أن يكون بدلي بدلا من
ضمير المتكلم ، أى يشكر بدلي . وإنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب إذا كان بدل
البعض أو بدل الاشتغال ، نحو عجبت منك عقلك ، وضربتك رأسك . ومن أبيات الكتاب :
ذريتي إن أمرك لن يطاعا وما ألفتني حلمي مضاعا . »

قوله « أيبكى » هو بيان ما تمتى معرفته من أحوال مُحَارِقٍ عند مفارقتِه له ،
 فقال : ليتنى علمتُ هل يوفى الجزعَ حقَّه ، كما لو أصبتُ به كنت أوفيه ،
 ويرثني لى بمثل ما كنت أرثيه ؛ وهل يشكر آلائي لَدَيْهِ ، وإقبالي عليه ،
 وإحساني إليه مدة حياتي أم لا . فحذف أم لا لأن المراد مفهومٌ ، أنه يريد
 أيكون ذلك أم لا . وعلى ذلك قول القائل : ليتنى علمتُ أزيدُ في الدار -- إذا
 سكتَ عليه ، فلا بد من أن تريد أم لا .

وقوله « وكنت له عمًّا لطيفًا » ، أي كنتُ جَمَعْتُ له مدَّةَ عمري وما اطرد
 في نفسي ، بين حدب الآباء وشفقتهم ، ولطف العمومة وتوفُّرهم ، وتفقد الأمهات
 وإشبالهن^(١) . والمعنى : كنتُ أتنبَّئ له في الأحوال بين ما يأتيه العمُّ في وقت
 لُطفه أو يأتيه الوالد وقت رَأْفَتِهِ ، أو الأمُّ وقت تربيتهَا ولُطفها . وقد سارت هذه
 اللفظة ، وهي « أمٌّ مهَّدتْ فأنامت » مثلًا فيما يُنشر من إحسان الغير إلى الغير .
 ويقال : ما امتهد فلانٌ عندي مهَّد ذلك ، أي ما وطفد لنفسه . وقد أخرج في
 معرَضٍ آخرٍ قليل :

* كما مهَّدتُ للبعْلِ حسناء عاقِر^(٢) *

وروى بعضهم : « ويشكرُني بذلي له وكرامتي » على أن يكون بذلي بدلًا
 من المضر في يشكرُني .

(١) الإشبال : التمطف والمعوثة .

(٢) البيت لدريد بن الصمة ، كما في الحيوان (٧ : ٣٧ - ٣٨) أو معقر بن حمار

البارقي ، كما في الأغاني (١٠ : ٤٥) والزهر (٢ : ٣٤٨) . وصدرة :

* لها ناهض في الوكر قد مهَّدت له *

٣٥٢

وقال مسجاح بن سباع^(٣) :

- ١ - لَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى بَلَيْتُ وَقَدْ أَنَى لِي لَوْ أَيْبَدُ
- ٢ - وَأَفْنَانِي وَلَا يَفْنَى نَهَارٌ وَلَيْلٌ كَلَّمَا يَمْضِي يَعُودُ
- ٣ - وَشَهْرٌ مُسْتَهْلٌ بَعْدَ شَهْرٍ وَحَوْلٌ بَعْدَهُ حَوْلٌ جَدِيدُ
- ٤ - وَمَعْفُودٌ عَزِيْزُ الْفَقْدِ تَأْتِي مَنِيتُهُ وَمَأْمُولٌ وَلِيْدُ

يقول : جُلْتُ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ شَرْقِيَّهَا وَغَرْبِيَّهَا ، عَافِيًا وَطَالِبًا بِمَا يَطْلُبُ بِهِ مِثْلِي الْمَالَّ وَالْجَاهَ ، وَالْعِزَّ وَالْفَخْرَ ، إِلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ ، وَتَسَلَّطَ عَلَيَّ الْبَلَى وَالْهَرَمُ ، وَضَعُفَ الْأَمَلُ فِي الْبَقَاءِ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْخَوْفِ مِنَ الْفَنَاءِ ، فَقَدْ آنَ لِي أَنْ أَلْحِقَ السَّابِقِينَ إِنْ قُدِّرَ لِي ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « أَنَى لِي » يُقَالُ أَنَى وَأَنَ بِمَعْنَى ، وَفَاعِلُهُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ لَوْ أَيْبَدُ ، وَالْمَعْنَى أَنَى لِي الْبُيُودُ إِنْ كُتِبَ وَقُضِيَ عَلَيَّ .

وقوله « وَأَفْنَانِي وَلَا يَفْنَى نَهَارٌ » جَمَعَ بَيْنَ فِعْلَيْنِ ، عَلَيَّ قَوْلُهُ نَهَارٌ ، لَكِنَّهُ أَعْمَلَ الثَّانِي ، وَهُوَ الْخِتَارُ . وَالْمُرَادُ : أَثَرٌ فِي قَوَائِمِ مَضِيِّ نَهَارٍ لَا يَتَقَضَى ، وَتَجَدُّدُ لَيْلٍ لَا يَتَصَرَّمُ ، بَلْ كَلَّمَا يَمْضِي وَاحِدٌ عَادَ بَدَلَهُ آخِرُ ، وَكَذَلِكَ أَفْنَانِي ، أَيِ أَفْنَى جَدَّتِي وَغَنَائِي ، شَهْرٌ يَنْسَلَخُ بَعْدَ اسْتِهْلَالِهِ ، إِلَى وَقْتِ اسْتِكْمَالِهِ ، وَسَنَةٌ يَتْبَعُهَا مِثْلُهَا ، فَلَا يُعْرَفُ قِضَاؤُهَا . ثُمَّ مَا يَلْحَقُنِي فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَالسَّنِينَ

(٣) الرزباني في معجمه ٤٦٩ : « المسجاح — ويقال المسجاج — بن سباع بن خالد ابن الحارث بن قيس بن نصر بن عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة . جاهلي . » . وأنشد له هذه الأبيات . وذكره السجستاني في العمريين ٧٦ وأنه عاش حتى هرم وممل الحياة . وأنشد له أيضاً هذه الأبيات ، ولكنه أسقط اسم أبيه « سباع » وزاد « ذهل » بين « عائذة » و « مالك » . وفي الاشتقاق ١٢١ : « ومنهم مسجاج بن سباع ، كان من العمريين . ومسجاج مفعال من السجح ، والسجح : قشرك الشيء . » .

والأعوام ، مِنْ فَقْدٍ مِنْ أَعْتَمَدُهُ لِيَوْمِ وَغَدِي ، وَخِلَافَتِي بَعْدَ مَوْتِي ، وَأَسْتَكْفِلُهُ
وَأَلْدِي ، وَأَسْتَرَعِيهِ هَمَلِي . هَذَا مَعَ كَمَالِهِ فِي فَضْلِهِ ، وَبِرَاعَتِهِ وَطَوْلِهِ ، وَالْإِشَادَةِ
بِالْتَّمُؤِيهِ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالتَّبَرُّيزِ مِنْ كُلِّ فَاضِلٍ . وَمِنْ
وِلَادَةِ طِفْلِ يَعْلَقُ الرَّجَاءُ بِنَشْئِهِ ، وَتُجْمَعُ أَسْبَابُ الطَّمَعِ فِي حَيَاتِهِ ، وَيُشْغَلُ
الْوَقْتُ بِتَرْبِيَّتِهِ وَالتَّرْفُوفِ عَلَيْهِ عَوَضًا مِمَّا كَانَ لَهُ مِنْ كَاسِبِهِ وَكَافِلِهِ ، وَرَحْمَةِ
لِبَقَائِهِ بَعْدَ مَنْ كَانَ يِعْرُضُ عَلَيْهِ ، وَعَقِبَ مَنْ هَنَى فِيهِ فَلَمْ يَهْنَأْ .

وَإِذَا تَأَمَّلَ النَّاضِرُ مَا اقْتَبَصَهُ هَذَا الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَلَى قَلَّتِهَا ، مِنْ
امْتِحَانِهِ بِالسَّكْبَةِ وَالسَّنِّ ، وَتَرَاجُعِ الْقُوَّةِ بِمَا خَذِ الدَّهْرُ ، وَمَعَ التَّجَوُّالِ فِي
الْبُلْدَانِ ، وَمُقَاسَاةِ الشَّقَاءِ فِي الْحَلِّ وَالتَّرْحَالِ ، وَالتَّنْقِيلِ فِي الْأَحْوَالِ ، ثُمَّ مَرُورِ
الْأَيَّامِ وَكُرُورِهَا بِمَا لَا يَسُرُّ عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ رَفَعَ الطَّمَعِ عَمَّا كَانَ تَجْمَعُهُ يَدُهُ
وَنَفَضَ الْيَدَ مِمَّا كَانَ يَشُدُّهُ قَبْضُهُ ، ثُمَّ الْمُصَابِ فِي الْكَامِلِ الْبَارِعِ ، وَتَعْلِيْقِ
الرَّجَاءِ بِالطِّفْلِ الدَّارِجِ — وَجَدَّ عَيْشَهُ عَلَى الْعَكْسِ مِمَّا وَصَفَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ :

أَلَا انْعَمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي
وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ أَقْرَبُ عَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا أَوْ ثَلَاثَةَ أَحْوَالِ (١)
وَهَلْ يَنْعَمَنَّ إِلَّا خَلِيٌّ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبِيْتُ بِأَوْجَالِ

فَيَأْمَلُهَا فَإِنَّهَا عَجِيبَةٌ .

(١) رواية ديوان امرئ القيس ٥٠ : « في ثلاثة أحوال » .

[خاتمة الجزء في نسخة الأصل]

تم الجزء الأول من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي ، المعروف بكتاب الحماسة .

يتلوه في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى : « وقال حران^(١) بن عمرو بن عبد مناة يرثي زيد الفوارس وغيره من أبناء عمه :

تبكى على بكر شربتُ به سفهاً تبكيتها على بكرِ
هلاً على زيد الفوارس زِيدِ اللاتِ أو هلاً على عمرو
تبكين لارقاتِ دُموعكِ أو هلاً على سَلَفِي بنِي نَصْرِ^(٢) »

(١) كذا في الأصل . وانظر ما سيأتي في تحقيقه .

(٢) في نهاية هذا الجزء من نسخة الأصل هذا النص :

قد وقف هذا الكتاب الجليل والأثر الجميل ، والدة السلطان الأعظم ، والحاقان المفخم ، السلطان عبد المجيد خان ادام الله أيام وعمر دولته إلى آخر الدوران . أعنى بها حضرت بزم عالم سلطان ، عليّة الشان ، جعل الله سعى الواقعة مشكوراً ، وجزاءها جزاء موفوراً ، لسنة ست وستين ومائتين وألف ١٢٦٦ .



